شرح

نهج البلاغة

للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف

محمد حسين الحسيني الجلالي

تحقيق

مُحَمَّد جواد الحسيني الجلالي

(الجزء الرابع)



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

هوية الكتاب

الكتاب: شرح نهج البلاغة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

تأليف : السيد محمّد حسين الجلالي

تحقيق : محمّد جواد الحسيني الجلالي

الطبعة: الاولى ١٤٢٢ هـ

الفلم والالواح الحساسة: زنكغراف قم

الناشر: المحقق

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني :

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني

رسائل

امير المؤمنين (ع)

(باب الكتب والرسائل)

باب المختار من كتب أمير المؤمنين صلوات الله عليه ورسائله
إلى أعدائه وأُمراء بلاده
ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله و وصاياه لأهله وأصحابه

(في فضل الكتابة)

أعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها، أن الله تعالى! نسب تعليمها إلى نفسه، واعتده من وافر كرمه وافضاله فقال عز اسمه: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ مع ما يروى أن هذه الاية والتي قبلها مفتتح الوحي، وأوّل التنزيل على أشرف نبيّ، وأكرم مرسل ﷺ، وفي ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها ما لاخفاء فيه...

ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته، فقال جلت قدرته:﴿وانّ عليكم لحافظين كراما كاتبين﴾ ولا اعلى رتبة وأبذخ شرفاً ممّا وصف الله تعالى به ملائكته ونعت به حفظته، ثمّ زاد ذلك تأكيدا ووفر محلّه اجلالا وتعظيما بأن أقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدست عظمته: ﴿ن وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّك بِمَجْنُونٍ﴾ والاقسام لا يقع منه سبحانه إلّا بشريف ما أبدع، وكريم ما اخترع، كالشمس والقمر والنجوم ونحوها إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها...

ثم كان نتيجة تفضيلها، وأثرة تعظيمها وتبجيلها، أن الشارع ندب إلى مقصدها الاسنى، وحث على مطلبها الاغنى، فقال ﷺ: «قيّدوا العلم بالكتاب» مشيرا إلى الغرض المطلوب منها، وغايتها المجتناة من ثمرتها؛ وذلك أن كلّ ذي صنعة لابدّ له في معاناتها من مادّة جسمية تظهر فيها الصورة، وآلة تؤدّي إلى تصويرها، وغرض ينقطع الفعل عنده، وغاية تستثمر من صنعته. إلى أن قال: الكتابة في اللغة مصدر كتب، يقال: كتب يكتب كتبا وكتابا وكتابة ومكتبة وكتبة فهو كاتب، ومعناها الجمع، يقال: تكتّب القوم اذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل: كتيبة، وكتبت البغلة: اذا جمعت بين شفريها بحلقة أو سير ونحوه، ومن ثمّ سمّي الخطّ كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض، كما سمي خرز القربة كناية لضم بعض الخرز إلى بعض. قال ابن الاعرابيّ: وقد تطلق الكتابة على العلم، ومنه قوله تعالى:﴿أم عندهُمُ الغيبُ فَهُم يكتُبون﴾ أي يعلمون. وعلى حدّ ذلك قوله ﷺ في

كتابه لأهل اليمن حين بعث اليهم معاذا وغيره: «انّي بعثت اليكم كاتباً» قال ابن الاثير في غريب الحديث: «أراد عالما، سمي بذلك لأن الغالب على من كان يعلم الكتابة أن عنده علما ومعرفة، وكان الكاتب عندهم قليلا وفيهم عزيزا»...

أما في الاصطلاح، فقد عرّفها صاحب مواد البيان: بأنها صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية، دالة على المراد بتوسط نظمها. ولم يبين مقاصد الحدّ ولا ما دخل فيه ولا ما خرج عنه، غير أنه فسر في موضع آخر معنى الروحانية فيها بالالفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه ويصوّر من ضمّ بعضها إلى بعض صورةً باطنةً قائمةً في نفسه، والجثمانية بالخط الذي يخطّه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة مقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة».(١)

وذكر من اصطلاحات الكتاب في عصره المصطلحات التالية: كاتب اصل ـ كاتب الاموال ـ كاتب الجند ـ كاتب الجيش ـ كاتب الخراج ـ كاتب الدرج ـ كاتب الدست ـ كاتب الدعوة ـ كاتب الرسائل ـ كاتب السر ـ كاتب السلطان ـ كاتب القاضي ـ كاتب مفرد ـ كاتب المماليك ـ كاتب الدولة، وغيرها.

وعن الرسائل، قال: وهي جمع رسالة، والمراد فيها امور يرتّبها الكاتب: من حكاية حال من عدوّ أو صيد، أو مدح وتقريض، أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك ممّا يجري هذا المجرى، وسمّيت رسائل من حيث انّ الاديب المنشىء لها ربّما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال، مفتتحة بما تفتتح به المكاتبات،، ثمّ توسّع فيها فافتتحت بالخطب وغيرها».(٢)

وذكر الرسائل في عصره وجعلها على اصناف من الرسائل الملوكية ورسائل المدح والتقريظ ورسائل الغزو ورسائل الصيد.

وعن العهود، قال في معنى العهد: العهد، لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معان:

أحدها : الأمان، ومنه قوله تعالى:﴿فأتمّموا اليْهِمْ عهْدَهُمْ إلى مدّتِهِم﴾.

الثاني: اليمين، ومنه قوله تعالى:﴿وأوفُوا بِعَهْدِ الله اذا عاهدْتُمْ﴾.

---

(١) صبح الأعشى ١ : ٣٧ ـ ٥١، ط / ١٣٨٢ هـ

(٢) صبح الاعشي ١٤ : ١٣٨ ـ ١٣٩، ط / ١٣١٢ هـ

الثالث : الحفاظ، ومنه قوله ﷺ: «حسن العهد من الايمان».

الرابع : الذّمّة، ومنه قوله ﷺ «لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده».

الخامس : الزمان، ومنه قولهم: «كان ذلك على عهد فلان».

السادس : الوصيّة، ومنه قوله تعالى:﴿ولقَدْ عهِدْنا إلى آدَمَ منْ قَبْلُ فَنَسِى﴾ وهو المراد هنا.

قال الجوهري: ومنه اشتقّ العهد الذي يكتب للولاة».[1]

وفي العهد قال: للقلشقندي في صبح الاعشي:«الفصل الثاني فى بيان انواع العهود: وهي ثلاثة انواع: النوع الاوّل: عهود الخلفاء من الخلفاء، ويتعلّق النظر به من ثمانية أوجه، الوجه الاوّل: في أصل مشروعيّتها.

والاصل في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر ﵁، انّه قيل لعمر عند موته: «ألا تعهد؟ فقال: أ أتحمل أمركم حيّا وميّتا؟ ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني، (يعني أبابكر)، وان اترك فقد ترك من هو خير منّي رسول الله ﷺ». فأثبت استخلاف أبي بكر ﵁ بذلك، مشيرا إلى ماروي: «أنّه لما اشتدّ بأبي بكر الصدّيق ﵁ الوجع، أرسل إلى عليّ وعثمان ورجال من المهاجرين والانصار، فقال: قد حضر ما ترون، ولابدّ من قائم بامركم،؛ فإن شئتم استخرتم لانفسكم، وان شئتم استخرت لكم. قالوا: بل اختر لنا، فامر عثمان فكتب عهد عمر بن الخطاب ﵁ (على ما سياتى ذكره) فقال عمر: لا أطيق القيام بامور الناس . فقال ابوبكر: هاتوا سيفي! وتهدده، فانقاد عمر، ثمّ دخل عليه طلحة فعاتبه على استخلاف عمر. فقال: انّ عمر والله خيرٌ لكم وانتم شرٌّ له، والله لو وليّتك لجعلت انفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتّى يكون الله هو الذي يضعها. أتيتني وقد وكفت عينك، تريد أن تفتنني عن ديني وتردني عن رأيي، قم لا أقام الله رجلك، والله لئن بلغني أنك غمصته وذكرته بسوء لالحقّك بحمضات قنّة حيث كنتم تسقون ولا تروون، وترعون ولا تشبعون، وأنتم بذلك بجحون راضون، فقام طلحة فخرج».

قال العسكري: الحمضات، جمع حمضة، ضرب من النبت، والقنة: أعلى الجبل.

قال الماوردي: وكان استخلاف أبي بكر ﵁ عمر باتّفاق من الصحابة من غير نكير،

---

(١) صبح الاعشي ١٤: ١٣٩.

فكان اجماعا.

وقد عهد عمر إلى ستة، وهم عثمان، وعلي ﷺ، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، وتركها شورى بينهم، فدخلوا فيها وهم أعيان العصر وأشراف الصّحابة». (١)

والوصية: ما يوصى به على نحو الالزام والفرض، وبهذا المعنى وردت المادة في القرآن الكريم ثلاثين مرة، منها قوله تعالى:﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا اليك﴾(٢).

وقد غلب استعمال المادة بالوصية بعد الموت، كما في قوله تعالى:﴿كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت أن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين﴾.(٣) وراجع المادة في المعجم.

ويظهر ان العهد والوصية يفترقان بأن العهد يكون في امور عامة للمجتمع الاسلامي، والوصية تكون في امور خاصة موجهة إلى أشخاص، وقد استعملت المادة في المعنيين، فلابد في التعيين من قرينة للمراد.

[١]

من كتاب له ﷺ إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

مِنْ عبدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ، جَبْهَةِ ٱلْأَنْصَارِ(٤) وَسَنَامِ ٱلْعَرَبِ(٥).

(ك ١/١) دعوة اهل الكوفة:

هذا الكتاب من أوائل كتب الإمام التي وجهها إلى قيادات الجيش الاسلامي خارج المدينة المنورة التي كانت عاصمة الدولة الاسلامية ودار الهجرة النبوية، وقد وجهها إلى اهل الكوفة باعتبارها تمثل القطر العراقي كلّه، حيث لم تكن للمدن الاخرى كبغداد والهاشمية وجود انذاك، وباعتبارها معقل الجيش الاسلامي في خارج العاصمة

(١) صبح الأعشى ٩: ٣٤٩ ـ ٣٥٠، ط / القاهرة.
(٢) الشورى: ١٣.
(٣) البقرة: ١٨٠.
(٤) في هـ. ص: جبهة الأنصار، أي سادتهم وأشرافهم، والمراد بالانصار ـ هنا ـ: الأعوان، لا بنو قيلة.
(٥) في هـ. ص: سنام العرب، أي أهل الرفعة والعلوّ منهم.

الاسلامية كان التركيز على كسب النصر منهم قبل أن يتغلغل فيهم دعايات الاعداء.

وفي المقطع الاول: يتضمن وصف المرسل والمرسل اليه بأوصاف تكشف عن مضمون الرسالة في البداية، وهي:

١ ـ (من عبد الله علي) فهو كغيره من المسلمين عبد من عباد الله، لا يدعي لنفسه فخراً وشرفاً من ذلك؛ تأسياً بسيرة النبيّ الاعظمﷺ الذي تضمنت له الشهادة الثانية بالعبودية لله تعالى.

٢ ـ (أمير المؤمنين) وهو اللقب الذي تسمى به الخلفاء من قبله، ولا يعني اكثر ممّا له من المعنى اللغوي بالامارة والقيادة التي حصلت بسبب البيعة من المؤمنين له باعتباره واجداً للمواصفات المطلوبة في القيادة الاسلامية.

٣ ـ (إلى أهل الكوفة) باعتبارهم قادة الجيش الاسلامي المرابط في جبهة الحدود للدولة الاسلامية، وان هذه المرابطة انما هي بدوافع اسلامية؛ فإنّ هذه الحالة يجب أن يكون الجيش وقادة الجيش على معرفة كاملة بالاحداث المصيرية للامة، وهي الخلافة.

٤ ـ (جبهة الأنصار) الجبهة: هي اعلى واشرف عضو في جسم الإنسان، وقد عبر عن هؤلاء المرابطين بذلك؛ لانهم ينصرون الاسلام في المقدمة ،فهم بالنسبة إلى غيرهم علم من المسلمين كالجبهة.

٥ ـ (وسنام العرب) وهم اهل الرفعة؛ لأنّ السنام اعلى اعضاء البعير؛ للمسؤولية الملقاة على عاتقهم باعتبارهم يجاهدون في سبيل الاسلام.

وهذه النقاط الخمس تشير إلى المواضيع التي يطلبها المرسل في رسالته والمواقف التي يمكن بل تفرض أن يقدرها المرسل اليه.

(٢/ك١) **بيان امر عثمان:**

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ.

إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ المُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ ٱسْتِعْتَابَهُ[(١)]. وَأُقِلُّ عِتَابَهُ[(٢)]، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ[(٣)] سَيْرِهما فِيهِ[(٤)] ٱلوَجِيفُ[(٥)]، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا ٱلْعَنِيفُ. وَكَانَ مِنْ

---

(١) في هـ. ص: أي طلب العتبىٰ، وهو العذر والرضا.

(٢) في هـ. ب: أي ما أقول شيئاً كما يقولون.

(٣) في هـ. د: أكثر ـ م، أهون ـ هامش م.

عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ(٦) لَهُ قَوْمٌ قَتَلُوهُ(٧)، وَبَايَعَنِي(٨) ٱلنَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ، وَلَا مُجْبَرِينَ(٩)، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

(ك ٢/١) بيان امر عثمان:

وفي المقطع الثاني أشار إلى النقطة الاساسية في الفتنة التي تشغل بال الامة الاسلاميّة في تاريخ هذه الرسالة وخاصة قادة الجيش المرابطين في الكوفة باعتبارها واقعة في حدود الدولة الاسلامية، ولم يستعمل الإمام الطرق الدبلوماسية المتبعة عادة في مثل هذه الظروف باخفاء الحقائق، بل اعلنها كما يراها بصدق، كما هو المعهود من سيرة النبي ﷺ فقال:

١ ـ (أما بعد، فإني أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه) بحيث لا تختلف حالة السماع بالاذن عن الرؤية بالعين، بأن يكون الوصف صادقا ودقيقا لما حدث.

ثم بين مواقفه وموقف اعدائه من مقتل الخليفة عثمان وامر البيعة.

فعن مواقف العامة قال:

٢ ـ (إن الناس طعنوا عليه) ولم يسرد موارد الطعن، وهي مشروحة في التاريخ، ترجع كلها إلى سوء الادارة التي كانت تحكم المجتمع في خلافة الخليفة (رض) من ثورة المصريين وغيرهم ضده، وعن موقف نفسه قال:

٤ ـ (فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عتابه) وهي تتلخص في ثلاث نقاط:

أوّلاً: (فكنت رجلا من المهاجرين) وهو كسائر المهاجرين في ذلك العصر الذين لهم أراؤهم الخاصة.

ثانياً: (اكثر استعتابه) قال الشارح ابن أبي الحديد:« الاستعتاب: طلب العتبى، وهي

---

(٤) لم يرد في ص: « فيه ».
(٥) في هـ. أ: ضرب من سير الإبل، وفي هـ. ب: سرعة، وفي هـ. ص: هو ضرب من السير سريع، أي كانا مجدّين في الطعن عليه والإغراء به، وروي عن عائشة انها قالت: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً.
(٦) في هـ. ب: قدّر.
(٧) في ب: فقتلوه، وفي هـ. د: فقتلوه ـ ب ل ش.
(٨) في ص: « ثم بايعني».
(٩) في ص: مجبورين، وفي هـ. ص: في نسخة: مجبرين.

الرضا، قال: كنت اكثر طلب رضاه».[١]

ثالثاً: (واقل عتابه) أي اقل عتابه وتعنيفه على الامور بسبب أن الخطأ في الادارة لم يكن منه مباشرة، بل من مروان بن الحكم الذي كان يصدر الاوامر على لسانه، كما هو مشروح في التاريخ، والخليفه (رض) بحكم تقدمه في العمر المتجاوز الثمانين عاماً وتسلط مروان على الادارة لقرب نسبه منه اقل عتابا من المباشر لتسيير الامور بنفسه.

وعن موقف غيره من الصحابة أشار إلى ثلاثة بالاسم وذكر مواقفهم، وهم طلحة والزبير وام المؤمنين عائشة، فقال:

٥ ـ (وكان طلحة والزبير) يشتركان معاً في التاليب على عثمان، وذكر من موقفهما المعارض امرين:

أوّلاً: (أهون سيرهما فيه الوجيف) وهو السير السريع بشدة مواخذتهما على الخليفة عثمان مسرعين في الحكم عليه، غير ملتمسين له غدراً قط.

ثانياً: (وأرفق حدائهما العنيف) والحداء: الغناء للابل عند السياقة، والمطلوب في الحداء الرفق كي يسير الابل متاثراً بالحداء، وليس العنف.

وموقف كلّ من طلحة والزبير في معارضة الخليفة عثمان كان موقفا شديداً، واقل ما يقال في موقفهما انّه كان موقفا متسرعاً وعنيفا، مع أن المطلوب في مواقع الفتنة العكس، حتّى تسكن الفتنة؛ فانهما لم يسكنا الفتنة بل زاداها تأجيجا.

وعن موقف السيدة عائشة قال:

٦ ـ (وكان من عائشة فيه فلتة غضب) والفلتة: الفجأة في القرار من دون تدبّر وتفكير، فاتخذت في المشاركة ضد الخليفة عثمان قراراً عاطفيا لغضبها، اكثر من كونه مبدئيّا كما في قول عمر: «بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها» أي كان قرارها فجأة من غير تدبّر فيه وفي عواقبه.

وعن نتيجة الفتنة قال:

٧ ـ (فأتيح له قوم فقتلوه) والفتنة التي أبتدأت بثورة المصريين القادمين من مصر إلى المدينة محتجين على سوء الادارة في مصر إلى الخليفة الثالث(ض) وبعد مناظرة كلّ من

---

(١) شرح النهج ١٤: ٧، ط /١٢٦٢.

طلحة والزبير والسيدة عائشة لهؤلاء وغيرهم انتهت بمقتل الخليفة من قوم منهم لا يعرفون، كما هو شأن الغوغاء في كلّ عصر وزمان، حيث لا يظهر القاتل الحقيقي نفسه خوفا من الانتقام، كما هو مشروح في تاريخ هذا العصر.

٨ ـ وعن البيعة قال:

(وبايعني الناس) حيث لم يكن لهم خليفة ولا تسقيم دولة من دون رئيس مطاع فيها، والبيعة: انعقدت من الجماهير في المسجد النبوي بصورة علنية، وقد ذكر من صفات هذه البيعة الخصائص التالية:

أولا: (غير مستكرهين) والكره: المشقة، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«وقد ذكر أن خط الرضي: مستكرهين، بكسر الراء، والفتح احسن واصوب، وان كان قد جاء استكرهت الشئ بمعنى كرهته» .[١]

قال الجلالي: والسياق يقتضي الكسر، ويعني ان البيعة كانت عن رغبة، كما ان الطاعة كانت كذلك، والله اعلم.

ثانياً: (ولا مجبرين) والاجبار: الالزام بالشئ الذي لا يرغب فيه تطوعاً، بفرض الارادة على الإنسان قهراً.

ثانياً: (بل طائعين) والطاعة: الانقياد بالعمل بالارادة الشخصية من دون فرضها على الانسان.

رابعاً: (مخيرين) احراراً في الاختيار للبيعة وعدمها، فقد رفض جمع منهم بيعة الإمام، ومنهم عبدالله بن عمر، فلم يجبرهم الإمام على ذلك، كما هو مشروح في التاريخ.

وهذه النقاط تؤكد أسباب الفتنة ودعاتها ونتائجها، وموقف الإمام منها، وكل واحدة منها في الوضوح والدلالة تجعل السامع كالناظر.

(٣/ك ١) طلب النصر:

وَٱعْلَمُوا أَنَّ دَارَ ٱلْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا[٢]، وَجَاشَتْ[٣] جَيْشَ[٤]

---

(١) شرح النهج ١٤ : ٧، ط /١٩٦٢.

(٢) في هـ. ص: دار الهجرة: المدينة، وقلعت بأهلها وقلعوا بها: خرَجوا منها راغبين عنها، ويجوز أن يريد بها دار الاسلام، وقلعت بهم وقلعوا بها: تحركوا للبغي والفساد في الأرض.

(٣) في هـ. ص : غلت .

(٤) في هـ. د: لم ترد «جيش» في ب.

ٱلْمِرْجَلِ[١]، وَقَامَتِ ٱلْفِتْنَةُ عَلَى ٱلْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ.

وبعد انعقاد البيعة الجماهرية للإمام في عاصمة الدولة الاسلاميّة وفي المسجد النبوي الشريف تحمل الإمام مسؤولياته القيادية، ومنها: طلب النصر من الجيش المرابط لمواجهة دعاة الانشقاق، فقال:

١ ـ (واعلموا أن دار الهجرة) وهي المدينة المنورة باعتبارها عاصمة الاسلام.

٢ ـ (قد قلعت بأهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل) قلع المكان بأهله: عدم الصلاحية للاستيطان، والجيش: الاضطراب، والمرجل: القدر المعد للطبخ؛ فإنّ المدينة التي كانت عاصمة الامان اصحبت لا تصلح لذلك للاسباب المذكورة؛ فإنّ الثورة الناقمة ابتدأت بالمصريين وبمناصرة كل من طلحة والزبير والسيدة عائشة، ونفس هؤلاء خرجوا اليوم دعاة ضد الإمام إلى البصرة، وطبيعيّ أن يحاولوا استمالة اهل الكوفة وغيرهم، فاصبحت المدينة تفقد صفة العاصمة مع وجود الثورة الناقمة فيها وخروج هؤلاء واعوانهم ومناصرة معاوية في الشام اياهم، فليس الخيار سوى مواجهتهم بالحرب التصحيحية.

٢ ـ (وقامت الفتنة على القطب) لدعوة المعارضة الى محاربة الإمام بخروجها الى البصرة واتخاذها ساحة للحرب ضد الإمام والقطب الذي عليه المدار،، وهم دعاة المعارضة المذكورة.

والى واجب الجيش الاسلامي في الفقه أمران:

٤ ـ أولا: (فأسرعوا إلى أميركم)؛ فإنّ الامارة انعقدت، فيجب على الجيش طاعة الاوامر القيادية.

٥ ـ وثانيا: (وبادروا جهاد عدوكم) كما يراه القائد الاعلى؛ فإنّ العدوان يعم المجتمع الاسلامي ككل، ومنهم الجيش المرابط في الكوفة.

وختم الرسالة الموجهة بقوله: (إن شاء الله عزوجل) عملا بقوله تعالى:﴿ولا تقولن لشئ اني فاعل غدا إلّا أن يشاء الله) .[٢]

---

(١) في هـ. ص : القدر .
(٢) الكهف :٢٣.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:[أخبار علي عند مسيره إلى البصرة ، ورسله إلى أهل الكوفة] وروى محمّد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار القرشي ، قال : لما نزل علي عليه السلام الربذة متوجها إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمّد بن جعفر بن أبي طالب ومحمّد بن أبي بكر الصديق ، وكتب إليهم هذا الكتاب ، وزاد في آخره : فحسبي بكم إخوانا ، وللدين أنصارا ، ف) انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون)[١] وروى أبو مخنف ، قال : حدثني الصقعب ، قال : سمعت عبد الله بن جنادة يحدث أن عليا عليه السلام لما نزل الربذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري ، وهو الأمير يومئذ على الكوفة ، لينفر إليه الناس ، وكتب إليه معه من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد ، فإني قد بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إلى من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي ، وقتلوا شيعتي ، وأحدثوا في الاسلام هذا الحدث العظيم ، فأشخص بالناس إلى معه حين يقدم عليك ، فإني لم أو لك المصر الذي أنت فيه ، ولم أقرك عليه إلا لتكون من أعواني على الحق ، وأنصاري على هذا الامر ، والسلام.

فأما رواية محمّد بن إسحاق فإنه قال : لما قدم محمّد بن جعفر ومحمّد بن أبي بكر الكوفة ، استنفرا[٢] الناس ، فدخل قوم منهم على أبى موسى ليلا ، فقالوا له أشر علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى علي عليه السلام ، فقال أما سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم ، وأما سبيل الدنيا فاشخصوا معهما فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج وبلغ ذلك المحمدين ، فأغلظا لأبي موسى ، فقال أبو موسى : والله إن بيعة عثمان لفي عنق علي وعنقي وأعناقكما ، ولو أردنا قتالا ما كنا لنبدأ بأحد قبل قتله عثمان فخرجا من عنده ، فلحقا بعلي عليه السلام ، فأخبراه الخبر . وأما رواية أبى مخنف ، فإنه قال : أن هاشم بن عتبة لما قدم الكوفة ، دعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعري ، فاستشاره ، فقال اتبع ما كتب به إليك فأبى ذلك ، وحبس الكتاب ، وبعث إلى هاشم يتوعده ويخوفه . قال السائب : فأتيت هاشما فأخبرته برأي أبى موسى ، فكتب إلى علي عليه السلام : لعبد الله علي أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإني قدمت بكتابك على امرئ مشاق بعيد الود ،

(١) سورة التوبة: ٤١ .
(٢) في نسخة:« واستنفرا ».

ظاهر الغل والشنان، فتهددني بالسجن، وخوفني بالقتل، وقد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحل بن خليفة، أخي طئ، وهو من شيعتك وأنصارك، وعنده علم ما قبلنا، فاسأله عما بدا لك، واكتب إلى برأيك والسلام. قال: فلما قدم المحل بكتاب هاشم على علي عليه السلام سلم عليه، ثم قال: الحمد لله الذي أدى الحق إلى أهله، ووضعه موضعه، فكره ذلك قوم قد والله كرهوا نبوة محمّد صلى الله عليه وآله، ثم بارزوه وجاهدوه، فرد الله عليهم كيدهم في نحورهم، وجعل دائرة السوء عليهم. والله يا أمير المؤمنين لنجاهدنهم معك في كل موطن، حفظا لرسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته، إذ صاروا أعداء لهم بعده. فرحب به علي عليه السلام، وقال له خيرا، ثم أجلسه إلى جانبه، وقرأ كتاب هاشم، وسأله عن الناس وعن أبي موسى، فقال والله يا أمير المؤمنين، ما أثق به ولا آمنه على خلافك، إن وجد من يساعده على ذلك فقال علي عليه السلام والله ما كان عندي بمؤتمن ولا ناصح، ولقد أردت عزله فأتاني الأشتر فسألني أن أقره، وذكر أن أهل الكوفة به راضون فأقررته».[١]

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«واختلف المتكلمون في حالها وحال من حضر واقعة الجمل، فقالت الامامية كفر أصحاب الجمل كلهم، الرؤساء والاتباع. وقال قوم من الحشوية والعامة: اجتهدوا فلا إثم عليهم، ولا نحكم بخطئهم ولا خطأ علي عليه السلام وأصحابه. وقال قوم من هؤلاء: بل نقول أصحاب الجمل أخطئوا، ولكنه خطأ مغفور، وكخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع عند من قال بالأشبه، وإلى هذا القول يذهب أكثر الأشعرية. وقال أصحابنا المعتزلة: كل أهل الجمل هالكون إلا من ثبتت توبته منهم، قالوا وعائشة ممن ثبتت توبتها، وكذلك طلحة والزبير، أما عائشة فإنها اعترفت لعلى عليه السلام يوم الجمل بالخطأ، وسألته العفو، وقد تواترت الرواية عنها باظهار الندم، وإنها كانت تقول ليته كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله بنون عشرة، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام – وثكلتهم – ولم يكن يوم الجمل وإنها كانت تقول ليتني مت قبل يوم الجمل، وإنها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكي حتى تبل خمارها. وأما الزبير فرجع عن الحرب معترفا بالخطأ لما أذكره علي عليه السلام ما أذكره. وأما طلحة فإنه مر به – وهو صريع – فارس فقال له قف، فوقف، قال: من أي الفريقين أنت قال: من أصحاب

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٤: ٨ ـ ١٠.

أمير المؤمنين ، قال : أقعدني ، فأقعده ، فقال : امدد يدك أبايعك لأمير المؤمنين ، فبايعه .

وقال شيوخنا : ليس لقائل أن يقول ما يروى من أخبار الآحاد بتوبتهم لا يعارض ما علم قطعا من معصيتهم . قالوا لان التوبة إنما يحكم بها للمكلف على غالب الظن في جميع المواضع ، لا على القطع ، ألا ترى إنا نجوز أن يكون من أظهر التوبة منافقا وكاذبا ، فبان أن المرجع في قبولها في كل موضع إنما هو إلى الظن ، فجاز أن يعارض ما علم من معصيتهم بما يظن من توبتهم».[١]

[٢]

ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة:

وجَزَاكُمُ الله منْ أهْلِ مِصْرَ عَنْ أهْلِ[٢] بَيْتِ نَبِيِّكمْ أحْسَنَ ما يجْزِي العَامِلين بِطَاعَتِهِ، والشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وأطَعْتُمْ، ودُعِيتُمْ فأجَبْتُمْ.

(ك ١/٢) الكتاب إلى اهل الكوفة:

الخطاب لاهل الكوفة من كتاب له اليهم، ومنه يظهر أن الإمام لم يستخدم كلّ الجيش في الكوفة حينما توجه الى البصرة عام ٣٦، بل قاد ما يفتقر اليه من الجيش في مواجهة اهل البصرة.

وحيث أن هذا النصر لم يكن يتحقق إلّا بمشاركة اهل الكوفة، وجه الى القيادة المستقرة في الكوفة هذا الكتاب الذي يتضمن اعلان النتائج والشكر على دورهم المناصر كما امر الله: (وكن من الشاكرين)[٣].

ويظهر من تاريخ الكتاب من رواية الشيخ المفيد (ت /٤١٣) في كتاب النصرة في حرب البصرة، المعروف بكتاب الجمل، عن عمر بن سعد، عن يزيد بن الصلت، عن عامر الاسدي، قال: ان عليا كتب بعد فتح البصرة مع عمر بن سلمة الارحبي إلى اهل الكوفة: من عبدالله علي بن أبي طالب إلى قرضة بن كعب ومن قبله من المسلمين، قال: ـ (ثم ذكر النص المذكور بزيادة قوله:) نعم الاخوان والاعوان على الحق انتم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كتب عبد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست وثلاثين) (راجع مسند

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٤ : ٢٤ ـ ٢٥.
(٢) لم ترد «أهل» في أ، وفي هـ. د: عن بيت ـ ل.
(٣) الاعراف : ١٤٤.

نهج البلاغة).

وهذا المقطع اشارة إلى ما يوجب خير الجزاء لاهل الكوفة (وجزاكم الله من اهل مصر) هي الكوفة للاسباب التالية:

١ ـ (من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم)؛ فإنّ اهل الكوفة ادوا الواجب الاسلامي في رعاية حقوق النبيﷺ في اهل بيته.

٢ ـ (أحسن ما يجزي العاملين بطاعته)؛ فإنّ الطاعة لله سبحانه، وهي الدافع الاساسي لهذا الموقف.

٣ ـ (والشاكرين لنعمته)؛ فإنّ القيادة الشرعية في خدمة الاسلام والمسلمين نعمة تستحق الشكر، ولا يعرف قدر هذه النعمة إلّا عند زوالها وفقدانها .

٤ ـ (فقد سمعتم) النداء للنصر الذي وجهه الإمام في الكتاب الأوّل: بقوله: (فاسرعوا إلى اميركم وبادروا جهاد عدوكم).

٥ ـ (وأطعتم) الاوامر القيادية ايماناً بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة التي يؤمن بها.

٦ ـ (ودعيتم) من قبل القائد إلى النصر.

٧ ـ (فأجبتم) أي الدعوة والاوامر القيادية.

وهذه النقاط السبع تكشف عن رؤية واضحة في الجيش الاسلامي بالالتزام بالانضباط العسكري كما يفرضه الموقف.

ولا ادري لماذا حذف الرضى الزيادة من قوله: (فنعم الاخوان والاعوان على الحق أنتم) وربما كان مصدره غير رواية المفيد، والله اعلم، فإنّ اهل الكوفة في هذه المبادرة ابدوا ما تقتضيه الاخوة الاسلاميّة والعون لتحقق الاهداف الاسلامية.

[٣]

ومن كتاب له ﷺ لشريح بن الحارث قاضيه:

وتتضمن معاملة على ارض والوعظ بالموت وواجب الموقف ونتيجة الموعظة.

رُوِيَ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ ٱلْحارِثِ قاضِيَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﷺ ٱشْتَرَى عَلى عَهْدِهِ داراً بِثَمانِينَ

دِينَاراً، فَبَلَغَهُ عليه السلام[١] ذَلِكَ، فَاسْتَدْعى شُريحاً[٢]، وَقالَ لَهُ[٣]: بَلَغَنِي أَنَّكَ ٱبْتَعْتَ دَاراً بِثَمانِينَ دِينَاراً، وَكَتَبْتَ[٤] كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ[٥] شُهُوداً، فَقَالَ[٦] شُرَيْحُ: قَدْ كانَ ذَلِكَ يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، قالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ مُغْضِبٍ[٧]، ثُمَّ قالَ لَهُ:

(ك ١/٣) تحقيق الخبر:

والحادثة التي ادت إلى كتابة هذا الكتاب حادثة طبيعية في نفسها لتوثيق الملك الذي اشتراه احد قضاة الإمام، وهو شريح القاضي (ت /٨٧).

والكتاب يكشف عن المراقبة للمسؤولين في ادارة خلافته ومنهم هذا القاضي الذي ابتاع داراً وربما كان الإمام حساساً مما جرى على الخليفة عثمان في تسلل جماعات في ادارته تعمل لمصالحها الخاصة ممّا انتهى الأمر إلى الفتنة الكبرى، فكان من الامام طلب القاضي والتحقيق معه في الأمر، والإمام اراد اعلان ذلك ليكون درسا لعماله والمسؤولين الاداريين جميعا.

ففي مرحلة التحقيق طلب القاضي شريحا ووجه اليه ما يوجب التحقيق معه بقوله:

١ ـ (بلغني أنك ابتعت دارا) وهذا امر طبيعي لمن له المال من طبقات المجتمع الذين لا تكون لهم مسؤولية في الدولة.

٢ ـ (بثمانين دينارا) وهذا المبلغ ليس ضئيلا؛ فان ثمانين مثقال ذهب في ذلك العصر لا يتوفر للموظف العادي في الدولة، فالاحتمال بأن يكون بسبب الرشوة والقضاء احتمال وارد، ينبغي للقائد التاكد على نزاهة القضاء الاسلامي من ذلك.

٣ ـ (وكتبت كتابا وأشهدت فيه شهودا) كما هي المألوف؛ للتاكد من سلامة العقد.

---

(١) لم ترد «عليه السلام» في أ و ط. د.
(٢) في أ: واستدعاه.
(٣) لم ترد «له» في أ وب.
(٤) في ط زيادة: لها، وفي هـ. د: كتبت لها ـ ض و ح.
(٥) في ط و د زيادة: فيه وفي هـ. ب : في نسخة : زيادة: فيه، وفي هـ. د: شهّدت شهوداً ـ ف ن ل.
(٦) في ط زيادة: له، وفي هـ. د: فقال له ـ ض و ح.
(٧) في هـ. ص: انكاراً لا بتياعه بثمانين ديناراً ما يفنىٰ، وايثاره بالنفقة على ما يبقىٰ، وهذا يدل على زهد شديد في الدنيا، واستكثاراً للقليل منها، ونسبة لهذا المشتري إلى الإسراف، وتـخويفاً له من انفاق المال الحرام، وهذا من نوادر أحواله عليه السلام، انتهى من الشرح.

وشريح القاضي أقر بذلك، فنظر اليه نظر المغضب.

(٢/ك ٣) واجب الموعظة:

يا شُرَيْحُ، أما إنَّهُ سَيَأتِيكَ مَنْ لا يَنْظُرُ فِي كِتابِكَ[١] وَلا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ[٢] حتى يُخْرِجَكَ مِنْها[٣] شاخِصاً[٤]، وَيُسْلِمَكَ[٥] إلى قَبْرِكَ خالِصاً، فَانْظُرْ يا شُرَيْحُ لا تَكُونُ ٱبْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ ٱلثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ[٦]؛ فَإِذاً أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دارَ الدُّنْيا وَدَارَ ٱلآخِرَةِ.

وقاضي المسلمين باعتباره يشغل منصباً يمثل الحكم الذي طبقه النبيّ في حياته يلزم ان يتصف بالنزاهة من حيث المادة والماديات حتّى لا يطمع فيه أي طامع بالرشوة في القضاء وشراء دار بما يفوق حقوق القضاء قد يؤمي إلى احد أمرين:

الأوّل: تعدي القاضي على حقوق المسلمين بالرشوة وماشابه.

الثاني: عدم الورع المطلوب في قاضي المسلمين؛ فإنّ القضاء النزيه يلازم عادة الابتعاد عن المادة والماديات، وشراء دار بهذا الثمن ليس من الصفات المطلوبة في القاضي، ومن اجل ذلك نظر الإمام إلى هذا القاضي الذي يعمل في وظيفة القضاء في ظل حكومته نظر المغضب من دون ارتياح إلى ما قام به، وذكره أوّلاً بالموعظة التي تجب أن يعتبر بها كلّ الموظفين في الدولة الاسلاميّة، ثمّ بواجب الموقف، ثمّ اعلان هذه الموعظة كتابة.

وعن العظة قال:

١ ـ (يا شريح، أما انّه سيأتيك) ملك الموت الذي يأتي كلّ الناس ومن اوصافه:

٢ ـ (من لا ينظر في كتابك) حيث أن الكتاب لتوثيق المعاملة في الحياة، وعند الموت لا ينفع الكتاب.

٣ ـ (ولا يسألك عن بينتك) في أي شئ يرتبط بك بالحياة مادام الهدف قبض الروح.

---

(١) في هـ. ب: ملك الموت.
(٢) في هـ. ب: في نسخة: عن بيتك.
(٣) هـ. ب: من الدار.
(٤) أي ذاهباً مبعداً، وفي هـ. ب: راحلاً.
(٥) في هـ. ب: في نسخة: ويسلّمك.
(٦) في ب: حلّ لك، وفي هـ. د: حلّ لك ـ د ل ش.

٤ ـ (حتى يخرجك منها شاخصا) أي ذاهبا إلى مصير لا رجعة منه ابداً، وهو القبر.

٥ ـ (ويسلمك إلى قبرك خالصا) من كلّ ما في الدنيا من المادة والماديات.

وتكفي هذه الحالة من الموعظة بالموت والزهد في الدنيا.

وعن واجبات الموظف في الموقف قال:

١ ـ (فانظر يا شريح، لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك)؛ فإنّ للموظف حريته واختياره في أن يبتاع ما يريد من اية جهة مشروعة قانونيا، ولكن لابد أن تكون على حساب الوظيفة التي يقوم بها.

٢ ـ (أو نقدت الثمن من غير حلالك) بأن يكون قد حصلت عليه من طريق الرشوة كما هي العادة في القضاة وما اكثر طرقها الشرعية وغير الشرعية في استمالتهم لاحقاق الباطل وابطال الحق، نعوذ بالله منهم.

٣ ـ (فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة) فيما اذا حصلت على هذه الدار من طرق غير قانونية اسلاميا.

اما خسران الدنيا فعند الموت الذي به يخسر الانسان كلّ شئ، واما خسران الآخرة فالعقاب الموعود على الاكتساب من غير الطرق القانونية اسلاميا.

(٣/ك ٣) **موعظة كتبيّة:**

أما إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ، لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلى هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِراءِ هَذِهِ ٱلدَّارِ بِدِرْهَمٍ[١] فَما فَوْقَهُ[٢] وَالنُّسْخَةُ[٣]:

هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ[٤] قَد أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مَنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ[٥] ٱلْهَالِكِينَ، وَتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارُ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ[٦]:

ٱلْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إلى دَوَاعِي الآفاتِ[٧]، وَٱلْحَدُّ ٱلثَّانِي[٨] يَنْتَهِي إلى دَوَاعِي

---

(١) في ب و ط: بالدرهم، وفي هـ. ب: في نسخة: بدرهم.
(٢) في ط: فوق، وفي هـ. د: فوق ـ ض ح ب.
(٣) في ط و د زيادة: هذه.
(٤) في هـ. د: من عبد ـ ب.
(٥) في هـ. ص: الخطة ـ بالكسر ـ: الموضع يُعلمه الشخص ثم يعمره، والمراد به هنا المنزل.
(٦) في هـ. ص: جعل هذه الحدود الأربعة كناية عما يلزمها من الأُمور المنفّرة عنها، وشبّه الإنتهاء إليها باللزوم لدخول الحد في غايتها.
(٧) في هـ. ص: هي الزوجة والولد؛ لأنّ نقصها بعد حصولها آفة في الحال.

ٱلْمُصِيبَاتِ(٩)، وَٱلْحَدُّ ٱلثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى ٱلْهَوَى ٱلْمُرْدِي(١٠)، وَٱلْحَدُّ ٱلرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلى الشَّيْطانِ الْمُغْوِي(١١)، وفيهِ يُشْرَعُ بابُ هذِهِ الدَّارِ.

اشْتَرَى هذَا المُغترُّ بالْأَمَلِ مِنْ هذا ٱلْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ هذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ ٱلْقَناعَةِ، وَألدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ(١٢)، فَما أَدْرَكَ(١٣) هذَا الْمُشترِي فِيَما اشْتَرَى مِنْ(١٤) دَرَكٍ(١٥)، فَعَلَى مُبَلْبِلِ(١٦) أجْسَامِ ٱلْمُلوُكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ ٱلْجَبابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الفَرَاعِنَةِ، ـ مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ المَالَ عَلَى المَالِ فأكْثَرَ، وَمَنْ بَنى وَشَيَّدَ(١٧)، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ(١٨)، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ(١٩)، وَنظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ ـ إِشْخاصُهُمْ(٢٠) جَميعاً إِلى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقابِ، إذا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ القَضَاءِ ﴿وَخَسِرَ هُنالِكَ ٱلْمُبْطِلوُنَ﴾.

شَهِدَ على ذلِكَ العَقْلُ إذا خَرَجَ منْ أسْرِ الْهَوَى، وسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ(٢١) الدُّنْيا.

---

(٨) في هـ. د: والثاني ـ ب.
(٩) في هـ. ص: هي القنيات؛ باعتبار أن نقصها بعد حصولها مصيبة تؤثر في نفس صاحبها.
(١٠) في هـ. ص: إنما انتهىٰ إلى الهوىٰ المردي؛ لأنه يفتح باب الرغب في الدنيا ويقتضيه.
(١١) في هـ. ص: قال في الشرح: إن قلت: لم جعل الشيطان الغوي في الحد الرابع؟ قلت: لقوله: «وفيه يشرع باب هذه الدار» لأنه إذا كان الحد ينتهي إليه كان أسهل لدخوله إليها ودخول اتباعه وأوليائه من أهل الشيطنة والضلال.
(١٢) في هـ. ب: الذل.
(١٣) في هـ. ب: من الدرك.
(١٤) في هـ. د: اشتري منه من ـ ض ب.
(١٥) في هـ. ص: فيه دليل علىٰ مشروعية ضمان الدرك.
(١٦) مبلبل الأجسام ما يحرك أمراضها المهلكة، وفي هـ. ب: جاعلاً للاضطراب، وفي هـ. ص: أي مفرّقها وخالطها بالتراب، أي درك المصائب من فعله فلا رجوع به على أحد، كما قال تعالىٰ: ﴿ثم لا تجدوا لكم به علينا تبيعا﴾، والله أعلم.
(١٧) في هـ. د: فأكثر فشيّد ـ ب، وفي هـ. ص: أي قوّىٰ البناء وزخرف أي نقش الجدار بالزخرف، وهو ماء الذهب.
(١٨) في هـ. ب: زيّن، وفي هـ. ص: نجّد، أي فرش المنزل بالوسائل، والنجّاد: الذي يعالج الفرش والوسائط ويخيطها، والتنجيد: التزيين، ويجوز أن يريد بقوله: «نجّد» رفع وعلىٰ، من النجد وهو المرتفع من الأرض، من الشرح.
(١٩) في هـ ب: اعتقد: أي جمع ملكاً، أي اتخذ عقدة، أي ضيعة، وفي هـ ص: أي اتخذ لنفسه عقده كالضيعة والذخيرة من المال الصامت، انتهىٰ من الشرح.
(٢٠) «اشخاصهم» مبتدأ مؤخّر، و «علىٰ مبلبل الأجسام» خبر مقدّم، أي علىٰ مبلبل الأجسام اشخاص إلى الموقف.
(٢١) في هـ. ص: جمع علاقة، وهي العشق والتولّع.

وقد استخدم الإمام في هذه الموعظة الكتابة التي تسخدم عادة في توثيق الاملاك حتّى يكون الوعظ عاماً ويبقى دائما، فقال:

(أما إنك لو أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق) ونسبة الدرهم إلى الدينار نسبة العشر في العدد، وقد سرد في النسخة نقاطا عن المشتري والدار وحدودها والثمن والحساب والشهود.

ونقاط النسخة هذه:

أوّلاً: عن المشتري والبائع قال:

١ ـ (هذا ما اشترى عبد ذليل) فهو عبد كسائر عباد الله ولكنّه ذليل حيث اظهر حاجته إلى هذه الدار، والحاجة ذل.

٢ ـ (من عبد قد أزعج للرحيل) والبائع هو لامحالة ميت كسائر الناس، ولكنّه منزعج وهو القلق، ولولا ذلك لما باع ما عنده، ولكن هذا القلق الظاهري في الدنيا ليس كالقلق الحقيقي من الموت والرحيل الى الآخرة.

من اوصاف الدار المشراة:

١ ـ (اشترى منه دارا من دار الغرور) حيث أن كلما زاد الإنسان مالا يصبح اكثر غروراً بالدنيا واهلها وعلائقها المادية.

٢ ـ (من جانب الفانين) والجانب: الجهة؛ فإنّ موقع هذه الدار على الارض في جانب الفانين، وهو المكان الذي هو لكل من يفنى.

٣ ـ(وخطة الهالكين) والخطة: المكان المخطط علامة للبناء والسكنى، والتي تعمر باهلها الساكنين فيها، فان موقع هذه الدار في المحلة التي يسكنها الهالكون من الحياة إلى الآخرة.

ثانياً: وعن حدود الدار، قال:

(ويجمع هذه الدار حدود أربعة)؛ فإنّ المتعارف في تحديد موقع الدار تعيين الجهات الاربع من الشرق والغرب والشمال والجنوب، ولكن الحدود الاربعة التي قررها الامام، هي:

١ ـ (الحد الأوّل: ينتهي إلى دواعي الآفات) والداعية: ما تدعوا إلى حصول شئ اخر

يشبهه، والافة: العاهة؛ فان ما يعرض جسم الإنسان من العاهات والامراض حد ينتهي اليه التنعم بالدار وما فيها ومن عليها من المادة والماديات.

٢ ـ (والحد الثاني: ينتهي إلى دواعي المصيبات) والمصيبة: المكروه، من فقدان العناوين الخياليّة في الحياة.

٣ ـ(والحد الثالث: ينتهي إلى الهوى المردي) والردى: الهلاك؛ فإنّ هوى النفس تقود الانسان الى الهلاك في الحياة؛ لأنّ النفس امارة بالسوء، وما اكثر تحذير الروايات من الانقياد لهوى النفس منها فقوله صلى الله عليه وآله: «(ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى وطول الامل».

٤ ـ (والحد الرابع: ينتهي إلى الشيطان المغوي) الغواية: الضلالة؛ فإنّ الشيطان اقسم على غواية الناس (قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين).[١]

وزاد في هذا القسم أن الدار المحدودة بالحدود الاربعة لابد لها من باب، ولا يكون لهذا الدار من باب من جهاتها الاربعة إلّا الحد الرابع.

(وفيه يشرع باب هذه الدار) والاشراع: فتح الطريق؛ فإنّ الحدود الآخرى تقرب على هذا الباب الذي منه يجري الشيطان في بدن الإنسان مجرى الدم، جعلنا الله سبحانه من عباده المخلصين.

رابعاً: وعن الثمن لهذه الدار قال:

١ ـ (اشترى هذا المغتر بالأمل) وهو المشتري الذي يستأنس بهذه الدار الجديدة كلّ من يشتري شيئا جديداً ولفترة مّا يستانس به، وبعد تلك الفترة يسأم منه ويعرضه الملل منه، وبذلك يظهر غرور الامل فيه.

٢ ـ (من هذا المزعج بالأجل) وهو البائع الذي ما باع ما باع إلّا لقلقه في الحياة من الاحتفاظ بهذه الدار وما تستتبع صياتها من انواع الهموم المادية والروحية.

٣ ـ(هذه الدار) التي هي السلعة المشتراة كالعين في المعاملة.

٤ ـ بالثمن الذي يتكون من ثلاثة امور:

أوّلاً: (بالخروج من عز القناعة)؛ فإنّ القناعة كنز لا يفنى، وشراء البيت يجعل الإنسان

---

(١) سورة ص: ٨٥.

عبداً لذلك الشيئ بصيانته ما يتمكن، وفي ذلك ذل تخلو القناعة منه.

ثانياً: (والدخول في ذل الطلب)؛ فإنّ السعي في طلب الشيئ يرافق ذلاً يكون القانع في حرية منه.

ثالثاً: (والضراعة)؛ فإنّ الحصول على شيئ يرافق الظراعة، وهي الخضوع للاسباب التي يسببها تحصيل ذلك الشيئ من المماكسة مع مالكها وبائعها وما شابه، ولا تتحقق معاملة في الامور المادية من دون هذه النقاط.

وعن نتيجة هذه المعاملة في شراء الدار الموصوفة قال:

(فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك) من يبيعه؛ فإنّ المشتري لا يحصل على تعويض لأي شيئ يعرض على العين من تبعته، كما هي الحال في المعاملات في الدنيا على الاعيان فيما اذا كان فيها عيب يرجع على البائع للتعويض، أو يكون له خيار الفسخ للمعاملة؛ فإنّ الدار الموصوفة لا يتحمل فيها البائع ايّة خسارة قط.

خامسا: حساب التعويض والتدارك.

حساب التعويض والتدارك:

ان استحقاق المتبايعين للتعويض فهو على الله تعالى لاسواه، وليس للمشتري على البائع، والى ذلك أشار بقوله:

١ ـ (فعلى) الله سبحانه وحده يكون الحساب يوم القيامة، الذي بيده كلّ شيئ، كما يدل على ذلك صفاته منها:

٢ ـ (مبلبل أجسام الملوك) الذي ابلى اجسامهم بالرغم ممّا كانوا يتمتعون به في دنياهم.

٣ ـ(وسالب نفوس الجبابرة) حيث سلب الروح منهم بواسطة ملك الموت بالرغم من جبروتهم .

٤ ـ (ومزيل ملك الفراعنة) والفرعون وصف لملوك مصر، ولكنه اشتق منه الفعل واصبح علما لكل جبار ذكتاتور في الحكم.

أوّلاً: (مثل كسرى) لقب ملوك الفرس.

ثانياً: (وقيصر) لقب ملوك الروم.

ثالثاً: (وتبع) لقب ملوك اليمين القدامى.

رابعاً: (وحمير) ملوك اليمن بعدهم، وتواريخم مطبوعة في كتب التاريخ.

خامساً: (ومن جمع المال على المال فأكثر) والعطف على كسرى؛ فإنّ هذا يسير على خطى الفراعنة ظانا أن جمع المال يخلده.

سادساً: (وبنى وشيد) والشيد: رفع النار.

سابعاً: (وزخرف، ونجد) والزخرف: كلّ ما يتزين به.

ثانياً: كالبناء المزخرف والنجد: الزينة التي تنتقل كالسجاد والستائر .

ثامناً: (وادخر ، واعتقد) والادخار: حبس المال لوقت الحاجة، والعقدة: الضيعة تعقد لمن يمكلها، فلا يتحقق العقدة والاعتقاد إلّا في الارضين.

سابعاً: (ونظر بزعمه للولد) معتقدا أن الادخار ينفع اولاده في المستقبل.

فان هؤلاء جميعا يشتركون في الحقيقة التالية:

(إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض والحساب ، وموضع الثواب والعقاب) في يوم القيامة (إذا وقع الأمر بفصل القضاء) من الله سبحانه تعالى؛ فإنّ عند ذلك تظهر الحقائق كما قال تعالى:﴿وخسر هنالك المبطلون﴾.(١)

واخيراً عن الشهود على هذه النسخة، قال:

(شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا)؛ فإنّ هذه النقاط عن المتبايعين المشتري والبائع، واوصاف الدار المشتراة، وحدودها وثمنها والحساب والتعويض والتدارك والثواب والحساب، توجب الموعظة والاعتبار من هذه الدار التي لا يخلد فيها ديّار.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«نسب شريح وذكر بعض أخباره هو شريح بن الحارث بن المنتجع بن معاوية بن جهم بن ثور بن عفير(٢) بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد الكندي ، وقيل إنه حليف لكندة من بني الرائش . وقال ابن الكلبي ليس أسم أبيه الحارث ، وإنما هو شريح بن معاوية ابن ثور . وقال قوم هو شريح بن هانئ . وقال قوم هو شريح بن شراحيل ، والصحيح انه شريح بن الحارث ،

---

(١) المؤمن : ٧٨.

(٢) في بعض النسخ:«عقر » ، والتصويب من الاستيعاب: ٥٩٠ ، وذكر إنه توفي سنة سبع وثمانين وهو ابن مائة سنة ، وولي القضاء ستين سنة من زمن عمر إلى زمن عبد الملك بن مروان .

ويكنى أبا أُميّة . استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة ، فلم يزل قاضيا ستين سنة ، لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير ، امتنع فيها من القضاء ، ثم استعفى الحجاج من العمل فأعفاه ، فلزم منزله إلى أن مات ، وعمر عمرا طويلا ، قيل إنه عاش مائة سنة وثمانيا وستين ، وقيل مائة سنة ، وتوفى سنة سبع وثمانين . وكان خفيف الروح ، مزاحا ، فقدم إليه رجلان ، فأقر أحدهما بما ادعى به خصمه ، وهو لا يعلم فقضى عليه ، فقال لشريح : من شهد عندك بهذا قال : ابن أخت خالك وقيل إنه جاءته امرأته تبكي وتتظلم على خصمها ، فما رق لها حتى قال له إنسان كان بحضرته : ألا تنظر أيها القاضي إلى بكائها فقال إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون . وأقر عليعليه السلام شريحا على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيرة من الفقه مذكورة في كتب الفقهاء . واستأذنه شريح وغيره من قضاة عثمان في القضاء أول ما وقعت الفرقة ، فقال اقضوا كما كنتم تقضون حتى تكون للناس جماعة ، أو أموت كما مات أصحابي . وسخط عليعليه السلام مرة عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء ، وأمره بالمقام ببانقيا – وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنها اليهود – فأقام بها مدة ، حتى رضى عنه وأعاده إلى الكوفة . وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أدرك شريح الجاهلية ، ولا يعد من الصحابة ، بل من التابعين ، وكان شاعرا محسنا ، وكان سناطا لا شعر في وجهه».(١)

[٤]

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض امراء جيشه:

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ ٱلطَّاعَةِ، فَذَاكَ ٱلَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ(٢) ٱلْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى ٱلشّقَاقِ وٱلعِصْيَانِ فَانْهَدْ(٣) بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ ٱنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ؛ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ(٤) مَغِيبُهُ خَيْرٌ مَنْ مَشْهَدِه(٥)، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

(١/ك٤) الى بعض أمراء جيشه:

يشير الإمام إلى خصائص الحرب الاسلامية العادلة ومواجهة المنشقين.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٤ : ٢٨ ـ ٢٩.
(٢) في ب : تراقت، وفي هـ. ب: في نسخة: توافت، وتراقت : أي صعدت.
(٣) في هـ. ب: انهض، وفي هـ. ص: أي ارتفع ناهضاً.
(٤) في هـ. ص: هو الذي يخرج إلى الجهاد غير راغب فيه.
(٥) في أ: شهوده، وفي هـ. د: شهوده ـ ف وهامش ن.

أوّلاً: (فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب)؛ فإنّ الحرب اسلامية عقائدية، وقد أمر سبحانه الدعوة الى السلم حيث قال ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها﴾.[١] وان خروج المنشقين خروج عن امره تعالى، قال: (واطيعوا واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم﴾.[٢]؛ فإنّ القصد من الحرب ليس إلّا تطبيق حكم الله سبحانه.

ثانياً: (وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك) والتوافي: اجتماع القوم على الشقاق؛ فإنّ حكم الخروج على السلطة الشرعية بالبغي هو الحرب، قال تعالى:﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْۢ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.[٣]

ثالثاً: (واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك)؛ فإنّ الحرب العقائدية لا تكون بالاكراه والاغراء، بل بالرؤية الواضحة لخوض الحرب في سبيل احقاق الحق، وعلى هذه كانت سنة الرسول صلى الله عليه وآله في حرب تبوك.

واشار الى السبب في الاستغناء عمن لا يؤمن بالهدف بقوله:

(فإن المتكارة مغيبه خير من شهوده ، وقعوده أغنى من نهوضه) والمتكاره، وهو المتثاقل في الحرب لحب السلامة وكراهة الموت، فهو بالرغم من ايمانه بمشروعية الحرب؛ فإنّ بهذا الموقف يكون متخاذلا في الساحة وجبنه يوجب الخذلان في المعركة، فلا بد من الاستغناء عنه كما قال تعالى:﴿ولو خرجوا فيكم مازادوكم إلّا خبالاً﴾.[٤]

[٥]

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس، وهو عامل آذربيجان[٥]:

وَإِنّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ[٦]، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرعىً[٧] لِمَنْ[٨]

(١) الانفال : ٦١.
(٢) النساء : ٥٩ .
(٣) الحجرات: ٩.
(٤) التوبة : ٤٧ .
(٥) في هـ. ب: «أذْرَ بيجان» أفصح، وفي هـ. ص: قال في الشرح: هذا الكتاب كتبه إلى الاشعث بن قيس بعد انقضاء الجمل.
(٦) في هـ. ص: بفتح الطاء المؤاكلة، وبكسرها: هبة المطعم، انتهىٰ من الشرح.
(٧) المسترعىٰ: الذي يرعاه من فوقه، وهو الإمام.
(٨) في هـ. ب: علىٰ.

فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ(١) فِي رَعِيَّةٍ، وَلَا تُخَاطِرَ(٢) إلَّا بِوَثِيقَةٍ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنَ خُزَّانِي عليهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ. وَٱلسَّلَامُ.

(ك ١/٥) الاشعث بن قيس عامل أذربيجان:

يتضمن هذا المقطع الاشارة إلى واجبات الموظف الذي يتحمل وظيفة اسلامية في الحياة، وانّ عليه أن يتحرك عاملا بالمسؤولية بما انها مسؤولية، ويتقاضى ما يستحق عليها واهمها: ان الوظيفة ليست دكان تجارة يرتزق من ورائها بطرق غير مشروعة، واهم هذه الواجبات، هي:

أوّلاً: (وإن عملك ليس لك بطعمة) وهي المأكلة التي يأكلها الإنسان للارتزاق من دون اداء للمسؤولية التي بها يستحق الاجرة العادلة.

ثانياً: (ولكنّه في عنقك أمانة) من الله سبحانه؛ لأنّ الوظيفة مسؤولية اسلامية يحاسب عليه سبحانه الموظفين عليها.

ثالثاً: (وأنت مسترعي لمن فوقك) فان الذي اعطاك الوظيفة اصبح راعياً، وجعلك مسؤولاً، فانت مستخدم برابطة عقد بين الموظف ومن وظفه لاداء واجبات خاصة محدودة.

رابعاً: (ليس لك أن تفتات في رعية) والفوت: السبق، ويعني الاستبداد بالراي بالسبق إلى الراي من دون اوامر قيادية، والنسخة التي راجعتها كانت بالفاء الموحدة، ولعل في ذلك تصحيف عن القاف المثناة، أن تقتات: تأخذ قوتك من الرعية وتعيش عليهم، وعسى أن يوفقني الله تعالى للحصول على النسخ المطلوبة لتخريج نص موحد بعونه تعالى.

خامساً: (ولا تخاطر إلّا بوثيقة) المخاطرة: الاقدام على شئ خطر، له اثر سلبي في الحياة؛ فإنّ الموظف يجب أن يتقيد بالاوامر القيادية ولا يخاطر فيها إلّا بما يوجب الوثوق التام بان القرار صائب وليس منحرفا عن المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة.

---

(١) في ط: تفتات، وفي هـ. ا: الاقتيات، افتعال من القوت، وهو السبق إليٰ الشيء دون ايـتمار من توعّد، نقول: اقتات عليه بأمر كذا، أي قاته به، وفي هـ. ب: ان تجعله قوتاً، وفي هـ. ص: اقتات فلان على فلان: إذا فعَل بغير إذنه ما سبيله ان يستأذنه فيه، انتهىٰ من الشرح.

(٢) في هـ. ب: من المخاطرة.

سادساً: (وفي يديك مال من مال الله عز وجل) فليس المال مالك كي تتصرف فيه كما تريد، بل المال مال الله، فلابد فيه من رضى الله سبحانه، وذلك لا يكون إلّا برضى القيادة التي عقدت لك الوظيفة.

سابعاً: (وأنت من خزانه حتّى تسلمه إلي)؛ فإنّ الوظيفة الملقاة على عاتقك هي أمانة، فلابد من الحفاظ عليها حتّى يأتي القرار القيادي فيها.

ثامناً: (ولعلي أن لا أكون شرّ ولاتك لك) اشارة إلى أن الوالي المسلم أو الذي يتسلم القيادة الاسلامية العليا لابد وأن يلتزم بواجباته الاسلاميّة ويقوم بما يقتضيه العدالة في تامين ما يفتقر اليه الموظف بالمسؤولية الاسلاميّة من الحقوق العادلة .

وهذه النقاط تحدد الوظيفة بحدودها الاسلامية في نطاق الانضباط والمسؤولية في سلسلة متصلة بين القائد الاعلى والموظف بمسؤولية خاصة، حسب ما تفرضه الوظيفة الاسلامية.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« ثم قال له :) ولعلي لا أكون شر ولاتك (، وهو كلام يطيب به نفسه ويسكن به جأشه ، لان في أول الكلام إيحاشا له ، إذ كانت ألفاظه تدل على أنه لم يره أمينا على المال ، فاستدرك ذلك بالكلمة الأخيرة ، أي ربما تحمد خلافتي وولايتي عليك ، وتصادف منى إحسانا إليك ، أي عسى ألا يكون شكرك لعثمان ومن قبله أكثر من شكرك لي ، وهذا من باب وعدك الخفي ، وتسمية العرب الملث . وأول هذا الكتاب :) من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس . أما بعد ، فلو لا هنات وهنات كانت منك ، كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس ، ولعل أمرا كان يحمل بعضه بعضا إن اتقيت الله عز وجل ، وقد كان من بيعة الناس إياي ما قد علمت ، وكان من أمر طلحة والزبير ما قد بلغك ، فخرجت إليهما ، فأبلغت في الدعاء ، وأحسنت في البقية ، وإن عملك ليس لك بطعمة . . . . (، إلى آخر الكلام ، وهذا الكتاب كتبه إلى الأشعث بن قيس بعد انقضاء الجمل».(١)

[٦]

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٤ : ٣٤.

إِنَّهُ بَايَعَنِي ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِين بَايَعُوا أَبَابَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْانْصَارِ، فَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ[١] إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلهِ رِضاً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ[٢] أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ[٣]، وَوَلَّاهُ ٱللهُ مَا تَوَلَّى[٤].

(ك ١/٦) **بيعة الخلفاء:**

يستفتح المقطع بأن بيعة الإمام لا تختلف عن بيعة من سبقه من الخلفاء الثلاث في أن البيعة له انعقدت بالشورى، فهي ملزمة كما كانت نت بيعة من سبقه ملزمه، فقال:

(إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان) فانهم جميعا استندوا إلى البيعة بالشورى في اعتقادهم (على ما بايعوهم عليه) من الاعتقاد بالشورى.

ثم سرد خصائص بيعة الخلفاء في نقاط:

أوّلاً: (فلم يكن للشاهد أن يختار) بعد الشورى؛ فإنّ الشورى والبيعة للخليفة الاول انعقدت باصحاب السقيفة في جماعة خاصة، عارضها سعد بن عبادة الخزرجي من الانصار ولم يشترك فيها بنو هاشم من المهاجرين ولا احد من النساء بما فيهن امهات المؤمنين؛ فإنّ هؤلاء كلهم كانوا من الشاهدين في المدينة ولم يحصل البيعة منهم، ولكن بعد انعقادها لم يكن لاحد خيار ؛ لانعقاد البيعة بالشورى المزعومة.

والبيعة للخليفة الثاني: انعقدت بالنص من الخليفة الاول من دون اية شورى، ولكن انعقاد البيعة كانت ملزمة لكل من شاهد، من دون أن يكون له خيار.

والبيعة للخليفة الثالث انعقدت بالشورى في جماعة لا يتجاوز عددهم الستة، وبذلك لم يكن لاحد من الشاهدين خيارا.

وهكذا البيعة للخليفة الرابع؛ فإنّ البيعة انعقدت في المسجد النبوي لعامة الناس وهم اكثر من البيعة التي أنعقدت لكل من الخلفاء المتقدمين، فتكون كذلك ملزمة لغير من بايع

---

(١) في ص: فسمّوه.
(٢) في أ و ص: من.
(٣) في ب: المؤمن، وفي هـ. ب: المؤمنين.
(٤) في هـ. ب: من ولّىٰ يولّي.

من الشاهدين في المدينة المنورة.

فان رد بيعة الإمام يستلزم رد البيعة لكل واحد من الخلفاء الثلاث من قبل.

ثالثاً: (ولا للغائب أن يرد)؛ فإنّ البيعة المنعقدة في المدينة تستلزم أن تكون نافذة في كلّ من هو غائب عن المدينة، فلا يكون له حق الرد عليها.

وهم بطبيعة الحال اكثر من سكان المدينة.

وإلى السبب في انعقاد البيعة أشار بقوله:

ثالثاً: (وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار) فانهم بحكم قربهم إلى النبيّ كانوا اعرف بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، وباختيارهم البيعة يكون اقربها إلى رضى الله سبحانه من غيرهم ممن لم يشاركهم في اوصافهم.

وعن نتيجة البيعة قال:

رابعاً: (فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى) بسبب الاجماع من جماعة لهم معرفة بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية للخلافة.

وعن موقف الخلفاء من المعارضة، قال:

خامساً: (فإن خرج من أمرهم خارج بطعن) في الدين كما خرج مسيلمة الكذاب بعد وفاة الرسول ﷺ مدعيا النبوة، في معارضة خلافة أبي بكر.

(أو بدعة) كما خرج في معارضة أبي بكر، فراجع موارد الاعتبار.

(ردوة إلى ما خرج منه) بقبول الاسلام عقيدة وشريعة.

(فإن أبى قاتلوه) كما قاتل ابوبكر مسيلمة وقاتل واحرقه مقمطا بالنار.

وعن السبب الموجب لاستحقاق القتل قال:

(على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى) اقتباسا من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.[1]؛ فإنّ الله يوليه الذي يتولاه ويعاقبه على ذلك بسبب استحقاقه العقاب بعد فشل اتباع سبيل الهداية والمشاقة، نعوذ بالله منها.

وهذه النقاط الخمس كانت من خصائص الخلفاء الثلاث، فهي كذلك تكون في خلافة

---

(١) النساء: ١١٥.

الإمام ايضا.

(ك ٢/٦) موقف معاوية:

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ، لَتَجِدَنِّي[1] أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى؛ فَتَجنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلَامُ.

وأشار في هذا المقطع إلى أن كلما ذكر في خصائص بيعة الخلفاء الثلاث جارٍ بالنسبة إلى معاوية في موقفه، فان بيعة المهاجرين والانصار في المدينة تلزمه وهو في الشام، وليس له الرد بكونه غائبا؛ فإنّه بخروجه على الإمام الذي انعقدت عليه الشورى يكون خارجا على الإسلام بتغيير نظام الشورى الى الملوكية في نظام الحكم، والذي هو طعن في الاسلام عقيدة فهو كفر به، أو شريعة فهو بدعة، وبذلك يستحق بعد أن يتبين الحق العقاب الاسلامي بالمقاتلة (على اتباعه غير سبيل المؤمنين).

وأشار إلى الشعار الذي رفعه معاوية (بالمطالبة بدم عثمان) بقوله:

أوّلاً: ـ (ولعمري يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك)؛ فإنّ الموقف الذي وقفه انما هو موقف هوى، وليس موقف عقل يستند إلى منطق اسلامي، وطبيعيّ أن مواقف الهوى تمليه المصالح وليست المبادي، ولذلك يتغير في الشعارات حيث الظروف والاحوال.

ثانياً: (لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان) لما وقفه الإمام من مواقف لفك الحصار عن عثمان في الدار، وجلب الماء اليه مع ولديه الحسن والحسين.

وهو موقف لم يقف فيه احد غيره من الصحابة على كثرتهم من المهاجرين والانصار في المدينة، كما هو مشروح في كتب التاريخ.

ثالثاً: (ولتعلمن أني كنت في عزلة عنه) فلم يكن للإمام دور في اثارة الشعب عليه كما حصل من الصحابة الآخرين وفي مقدمتهم طلحة والزبير والسيدة عائشة، كما هو مشروح في كتب التاريخ.

رابعاً: (إلا أن تتجنى) والتجنى: طلب الجناية بادعاء شئ لم يفعله، كما هي سياسة العداء للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي أعلنها معاوية في موافقه السابقة، حيث لم ينظر الخليفة عثمان وهو محاصر، وموقفه الحاضر بدعوى ما ليس له، واللاحقة

---

(١) في هـ. ب: لتجدنني.

في الحرب باستخدام الوسائل غير الاسلامية.

وخامساً: خمسها بقوله: (فتجن ما بدا لك، والسلام)؛ فإنّ التاريخ بالمرصاد للطغاة والمتلاعبين بالدين بالحيل، والدعايات لها آثار وقتية ينخدع بها البعض، ولكنها تنكشف ويكون لها رد فعل اقوى، والله العاصم.

[٧]

ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً:

أَمَّا بعْدُ فقَدْ أَتَتْني مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوصَّلَةٌ(١)، وَرِسَالةٌ مُحَبَّرَةٌ(٢)، نَمَّقْتَها(٣) بِضَلَالِكَ، وأَمْضَيْتَها بِسُوءِ رَأْيِكَ، وكِتابُ امْرِئٍ لَيْسَ لهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، ولا قائِدٌ يُرْشِدُهُ، قدْ دَعاهُ الهَوَى فأَجابَهُ، وقادَهُ الضَّلالُ فاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ(٤) لا غِطاً(٥)، وضلّ خابِطاً(٦).

(ك ٧/١) الى معاوية ايضا:

وهذه رسالة جوابية اجاب بها الإمام على رسالة معاوية، وقد ذكر نصها الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ).

واهمها نقاط ثلاثة:

أوّلاً: (انى احذرك الله ان تحبط عملك وسابقتك بشق عصا هذه الامة) ولا أدري كيف تجرأ معاوية على توجيه هذا الكلام الى الامام علي؟.

ثانياً: (فكيف يكون حال من قتل اعلام المسلمين وسادات المهاجرين) اشارة إلى مقتل طلحة والزبير.

---

(١) من وصل الكلام: إذ لفّقه من كلمات وعبارت لا ترتبط بعضها ببعض كالثوب المرقّع، وفي هـ . ب: مزيّنة. وفي هـ . ص: أي مجموعة الالفاظ ولا تلتئم معناها، إذ ليس لها مقصد صحيح يجمعها.

(٢) في هـ . ب: مزينة. في هـ . ص: أي محسّنة، كأنه عليه السلام يشير إلىٰ أنه كان يظهر عليها أثر التكلّف والتنميق .

(٣) في هـ . ب: زينتها.

(٤) في هـ . ص: أي قال هجراً، أي قبيحاً. وفي هـ . ا: فهجر، من الهجر، وهو الاسم من الاهجار، وهو الايحاش في النطق.

(٥) في هـ . ا: الصوت، وفي هـ . ص: لاغطا: مكثراً منه.

(٦) في هـ . د: هجر لا غطا خابطا ـ ب، وفي هـ . ص: خبط البعير في مشيه، فهو خابط: إذا مشى ضالاً فخبط بيده كل ما يَلقاه، ولا يتوقى شيئاً، من الشرح.

ثالثاً: (انى نصبتها [الامرة والخلافة] واهل الشام لم يدخلوا فيها؟).[١]

وقد رد الإمام هذه النقاط في هذا المقطع بقوله:

١ ـ (أما بعد، فقد أتتني منك موعظة موصلة) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «اي مجموعة الالفاظ من ها هنا وها هنا، وذلك عيب في الكتابة والخطابة، وانما الكاتب من يرتجل فيقول قولا فصلا أو يروي فيأتي بالبديع المستحسن».[٢]

٢ ـ (ورسالة محبرة) والتحبير: التزويق، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«كانه يشير إلى انه كان يظهر عليها اثر التكلف والصنع».[٣]

٣ ـ(نمقتها بضلالك) والتنميق: التزيين، فإنّه وصله بين سابقة الاسلام، والالتزام بلوازم البيعة كما كانت في عهد الخلفاء الثلاثة وبين شق عصا الامة؟ وهل الذي انعقدت على بيعته المهاجرين والانصار كمن يرفضها بعد انعقادها؟ ومن عجائب الدهر أن يدعي الباغي شق العصا وهو المقترف لها؟

٤ ـ (وأمضيتها بسوء رأيك) الاتهام بامور ليست لها حقيقة إلا في مخيلة المتهم نفسه، الذي يتصور ان ما يتخيله حقيقة، ويمضيها ويرتب عليها من الآثار ما يتوقعه نفسه.

٥ ـ (وكتاب امرئ) أي اتاني كتابك الذي يعبر عن صفاتك الشخصية، وهي:

أوّلاً: (ليس له بصر يهديه) فلا ينظر إلى الامور برؤية الهداية الاسلاميّة.

ثانياً: (ولا قائد يرشده) من المبادي في القيادة الاسلاميّة.

ثالثاً: (قد دعاه الهوى فأجابه) فانما ينفذ هوى نفسه.

رابعاً: (وقاده الضلال فاتبعه)؛ لأنّه يعبر عن الضلال من المبادي النبوية.

وعن نتيجة هذه الصفات، قال:

(فهجر لاغطا وضل خابطا) والهجران: الهذي، واللاغط: ذو اللغط، وهو الصوت والجلبة، والخبط: الضرب بصورة عشوائية، فان الاتهامات المذكورة لا يسندها اي اعتماد على المبادي والوسائل والاهداف التي بشر بها القرآن الكريم وطبقها الرسول العظيم في حياته.

---

(١) شرح النهج ١٤ : ٤١٢، ط /١٩٦٢.
(٢) شرح النهج ١٤ : ٤١٢، ط /١٩٦٢.
(٣) شرح النهج ١٤ : ٤١٢، ط /١٩٦٢.

اما الأوّل؛ فإنّ شق عصا المسلمين لم يحصل من الإمام، بل ممّن خرج على الإمام وعصاه، وهو معاوية كما هو مشروح في كتب التاريخ.

و اما الثاني: فان مقتل البغاة في معركة الجمل انما كان بتنفيذ الامام علي حكم البغاة في القرآن، ولم يكن الا بعد سلسلة من الاعتداءات على الشعب المسلم في البصرة، كما هو مشروح في التاريخ.

ولوضوح الدعاية الكاذبة في كلّ من هذين الاتهامين، اكتفى الشريف بالمقطع الثالث فقال:

(٢/ك ٧) بيعة واحدة:

ومن هذا الكتاب:

لِأَنَّها بَيْعَةٌ واحِدَةٌ لا يُثَنَّى فِيها النظَرُ[١]، ولا يُسْتأَنَفُ فِيهَا الْخيارُ[٢]، الخَارِجُ مِنْها طَاعِنٌ، والمُرَوِّي[٣] فِها مُدَاهِنٌ[٤].

فان هذا المقطع يرد على دعوى معاوية (انى نضحتها [الامرة والخلافة] واهل الشام لم يدخلوا فيها) وكانّها استخدمت للدعاية والتاثير على اهل الشام، فانهم بحكم كونهم بعيدين عن المدينة لم يكن لهم راي في الخلافة. فهل البيعة تناط بهم؟

فرد عليه الإمام في نقاط بقوله:

أوّلاً: (لأنها بيعة واحدة)؛ فإنّ البيعة لا تكون لامرة واحدة كما كانت في بيعة الخلفاء الثلاثة من قبل، فان البيعة انعقدت لهم مرة واحدة ولم تتوقف على مشاركة كلّ الاقاليم فيها.

ثانياً: (لا يثنى فيها النظر) أي لايعاد ثانية للنظر في البيعة؛ فإنّ البيعة لما انعقدت لا يمكن تجديدها كما كانت الحال في الخلفاء الثلاثة.

ثالثاً: (ولا يستأنف فيها الخيار) بأن يرجع الذي بايع عن بيعته؛ فإنّ البيعة اذا انعقدت لزمت، فيلزم العاقد في كلّ مراحل حياته واحواله ولا يحق له استئنافها بدعوى أن له

---

(١) أي لا يتكرر فيها النظر بعد النظر الأوّل.
(٢) أي لاخيار لأحد فيه أن يستأنف النظر بعد عقدها.
(٣) في ب: المتروي، والمتروي الذي يتفكر في القبول والردّ، من تروّىٰ: إذا أنعم النظر.
(٤) : أي منافق.

خيار فسخها .

وإلى نتائج البيعة أشار بقوله:

رابعاً: (الخارج منها طاعن) لكونه خارجا على الإمام الذي انعقدت له البيعة، فيكون خروجه طعنا في البيعة، والخارج يشمله حكم البغاة في الاسلام.

خامساً: (والمروي فيها مداهن) والمروي: الذي يرتئي ويبطئ في الطاعة، والمداهن: المنافق؛ لما في ذلك من اخلال بواجبات البيعة في الاسلام.

وهذه النقاط الخمس من خصائص كلّ بيعة، لا يمكن نقضها بعد انعقادها، فتكون البيعة ملزمة لمن عقد البيعة ولمن لم يعقدها، فسقط الخيار فيها، ويجب الطاعة لها اذا انعقدت كما هي الشروط المعتبرة، وهي بيعة المهاجرين والانصار في المدينة كما كانت عليه حال البيعة بالنسبة إلى الخلفاء من قبل الإمام.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« وهذا الكتاب كتبه علي عليه السلام جوابا عن كتاب كتبه معاوية إليه في أثناء حرب صفين بل في أواخرها ، وكان كتاب معاوية : من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب ، أما بعد ، فان الله تعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ ، وإني أحذرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشق عصا هذه الأمة وتفريق جماعتها ، فاتق الله واذكر موقف القيامة ، وأقلع عما أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لو تمالا أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبهم الله على مناخرهم في النار ، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين ، بله ما طحنت رحا حربه من أهل القرآن ، وذي العبادة والايمان ، من شيخ كبير ، وشاب غرير ، كلهم بالله تعالى مؤمن ، وله مخلص ، وبرسوله مقر عارف ! فان كنت أبا حسن إنما تحارب على الامرة والخلافة ، فلعمري لو صحت خلافتك لكنت قريبا من أن تعذر في حرب المسلمين ، ولكنها ما صحت لك ، إني بصحتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ، ولم يرتضوا بها وخف الله وسطواته ، واتق بأسه ، ونكاله ، وأغمد سيفك عن الناس ، فقد والله أكلتهم الحرب ، فلم يبق منهم إلا كالثمد في قرارة الغدير . والله المستعان (. فكتب علي عليه السلام إليه جوابا عن كتابه .

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :) أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة ، ورسالة محبرة ، نمقتها بضلالك ، وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتبعه ، فهجر لاغطا ، وضل خابطا ، فاما أمرك لي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها ، وأستعيذ بالله من أن أكون من الذين إذا أمروا بها أخذتهم العزة بالاثم ، وأما تحذيرك إياي أن يحبط عملي وسابقتي في الاسلام ، فلعمري لو كنت الباغي عليك ، لكان لك أن تحذرني ذلك ، ولكني وجدت الله تعالى يقول :﴿ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.[1] فنظرنا إلى الفئتين ، أما الفئة الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها ، لان بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام ، وكما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر وهو أمير لأبي بكر على الشام . وأما شق عصا هذه الأمة فانا أحق أن أنهاك عنه . فاما تخويفك لي من قتل أهل البغي ، فان رسول الله ﷺ امرني بقتالهم وقتلهم ، وقال لأصحابه :) إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله (، وأشار إلي وأنا أولى من أتبع امره . وأما قولك أن بيعتي لم تصح لان أهل الشام لم يدخلوا فيها كيف وإنما هي بيعة واحدة ، تلزم الحاضر والغائب ، لا يثنى فيها النظر ، ولا يستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعن ، والمروي فيها مداهن . فأربع على ظلعك ، وانزع سربال غيك ، واترك ما لا جدوى له عليك ، فليس لك عندي إلا السيف ، حتى تفئ إلى أمر الله صاغرا ، وتدخل في البيعة راغما . والسلام».[2]

[٨]

ومن كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية:

أَمَّا بَعْدُ فإِذَا أَتاكَ كِتابِي هذا فاحْمِلْ مُعاوِيَةَ على الفَصْلِ[3]، وخُذْهُ بالأَمْرِ الجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ[4]، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ[5]، فإِنِ اخْتارَ الحَرْبَ فانْبِذْ[6] إِلَيْهِ، وإِنِ اخْتارَ

---

(١) الحجرات: ٩.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٤ : ٤٢ ـ ٤٣.
(٣) في هـ. ب: القطع.
(٤) في هـ. ب: ظاهرة.
(٥) في هـ. ص: قال في الشرح ابن أبي الحديد ما مفاده : وإنّما جعلها مخزية، لأنّه في هذه الحال إنّما يدخل فيها خوفاً من الحرب، وفيه حجة لجرير ان يرغب بشيء من الزلفة، انتهىٰ من

السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، والسَّلَام.

(ك ١/٨) الفرصة الأخيرة:

كان جرير بن عبدالله البجلي (ت /٥٤) ممّن حمل رسالة من الإمام إلى معاوية، وقد تقدمت الاشارة اليها في الخطبة رقم ٤٣، بقوله: (ان استعدادي لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام، وجرف لاهله عن خير أن ارادوه، ولكن قد وقّتّ لجرير وقتا لا يقيم بعده إلّا مخدوعا أو عاصيا، والراي عندي مع الاناة..) فراجع، ومن ذلك يظهر أن هذا الكتاب كان بعد ذلك تاريخياً.

وكما هو طبيعي في كلّ جبهة محاربة لابد من وجود متطرفين في الدعوة الى الحرب والغالب فيهم الشباب المتحمسين، والدعوة إلى السلم والغالب فيهم الشيوخ المحبين للسلامة وهما القلة في الجيش، والغالب منهم من ينظر إلى واجباته بعد صدور امر القيادة الذي يفترض فيه رعاية المصلحة الاسلامية العليا للدفاع عن الدين والوطن والشعب، وكان موقف الإمام هذا الموقف الوسط الرافض للتطرف من الجانبين.

ولذلك كان من الطبيعي أن ينتهز كلّ جانب من المتحاربين لكسب الرسول وعطفه إلى جانبه حسب المصلحة التي ينتهزها كلّ واحد منهما.

ومن منطلق هذين الأمرين الطبيعيين يجب تقسيم هذا المقطع.

فان جرير البجلي بحكم كونه من الصحابة حيث اسلم في السنة التي توفي فيها النبيﷺ كان من كبار السن في هذا العصر، فلم يكن له موقف مؤيد للتطرف إلى الحرب. ولعله لهذا السبب وقع الخيار عليه في تحمل الرسالة باعتباره محايداً، ولكن الجبهة الاموية الشابة النشطة تمكنت من المراوغة السياسية في التاخير عن جواب الرسالة التي أبلغها بامانة، وكان الإمام على معرفة من هذه المرواغة حيث حدد لجرير وقتا كافيا لا يبقى بعده إلّا مخدودعا أو عاصيا.

وحينما حلت ساعة الصفر ولم يرد الجواب بالنفي أو الاثبات ارسل اليه بهذا الكتاب.

(ك ٢/٨) الفرصة الاخيرة:

وقد جعل الكتاب الفرصة الاخيرة للقرار في الجانب الأموي للسلم أو الحرب في

الشرح ١٤: ٤٥.

(٦) في ب: فانبذه. قلت: المراد: اطرح إليه عهد الامان واعلن الحرب معه.

نقاط:

١ ـ (أما بعد، فإذا أتاك كتابي) بعد أن انكشف مراوغة العدو لكسب الوقت وعدم الاجابة القاطعة عن الرسالة التي حملها الإمام بواسطة جرير البجلي.

٢ ـ (فاحمل معاوية على الفصل) وهو القرار القاطع بالنفي أو الاثبات بعيدا عن المراوغة السياسية.

٣ ـ(وخذة بالأمر الجزم) في الجواب من دون تاخير لكسب الوقت.

٤ ـ (ثم خيره بين حرب مجلية) والجلاء: الاخراج، بأن يكون خاسراً ويخرج عن موقعه.

٥ ـ (أو سلم مخزية) والخزي: العجز؛ فإنّ السلم يعني الاستسلام إلى ما لم يرغب فيه في البداية.

٦ ـ (فإن اختار الحرب، فانبذ إليه) والنبذ: الطرح اي في حال اختيار الحرب لابدّ من التدرج في مراحلها، فان اولى المراحل العهد والهدنة، قال الشارح:«فانبذ له من قوله تعالى:(فانبذ اليهم على سواء)(١) واصله: العهد والهدنة وعقد الحلف يكون بين الرجلين أو بين القبيلتين، ثمّ يبدوا لهما في ذلك ،فينتقلان إلى الحرب، فينبذ احدهما الآخر عهده كأنّه كتاب مكتوب بينهما قد نبذه احدهما يوم الحرب وابطله».(٢)

٧ ـ (وإن اختار السلم فخذ بيعته، والسلام)؛ فإنّ هذه الفرصة الاخيرة للقرار من اختيار السلم أو الحرب من جانب العدو.

وهذه النقاط تكشف عن الوعي الكامل من جانب الإمام لمواقف العدو وسياسة المراوغة في تأخير الجواب لكي يجد ثغرة ينفذ منها، وكان كما تنبأ.

يتضمن مواقف المشركين العرب والمسلمين والرسول واصحابه ، والإمام واصحابه، وقتله عثمان.

[٩]

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

---

(١) الانفال: ٥٨.

(٢) شرح النهج ١٤ : ٤٦، ط /١٩٦٢.

فأَرَادَ قَوْمَنا قَتْلَ نَبِيِّنا، واجْتِيَاحَ[١] أَصْلِنا، وهَمُّوا[٢] بِنَا الْهُمُومَ[٣]، وفَعَلُوا بِنا الأَفاعِيلَ[٤]، ومَنَعُونا الْعَذْبَ[٥]، وأَحْلَسُونا[٦] الخَوْفَ[٧]، واضْطَرُّونا إلى جَبَلٍ وَعْرٍ[٨]، وأَوْقَدُوا لَنا نارَ الحَرْبِ.

(ك ٩/١) المشركون العرب:

حينما بشر الرسول القائدﷺ برسالة الاسلام واعلن المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية الداعية الى تطبيق حكم الله في الارض والعدالة الاسلامية القاضية على كلّ المغريات العرقية والمبادي الجاهلية والعنف والسرقة كان المشركون العرب من قوم النبيّ قريش صفا واحداً في العداء، وحالوا بمختلف الطرق المتيسرة لهم صد النبىﷺ عن الوصول الى اهدافه بالوسائل الاسلامية التي يسير عليها، وعرضوا البديل المادي لها من الملك والرئاسة، ولكنه رفض كل المغريات المادية متمسكا بتطبيق عدالة السماء على الارض كما بشر به الأنبياء من قبل، وقد اشار الإمام إلى مواقف العداء في نقاط:

١ ـ (فأراد قومنا قتل نبينا)؛ فإنّ قريش بالرغم من انهم من قوم النبي استخدموا كلّ الوسائل في سبيل اطفاء صوت النبوة، وكان منها مؤامرة القتل الجماعي باشتراك افراد من كلّ قبيلة في قتل النبيّ ليلة المبيت، الذي كان سببا مباشراً لهجرة النبىﷺ إلى المدينة في ١٢ ربيع الاول من العام الاول للهجرة.

٢ ـ(واجتياح أصلنا) باستئصال شجرة النبوة من أصلها، لكي لا يكون للنبي واهله اثر في التاريخ.

٣ ـ(وهموا بنا الهموم) بتخطيط المشركين العرب للقضاء على صوت الاسلام وانزال الهموم بدعاته، ومن اهونها: اتهام النبىﷺ بالجنون.

---

(١) في هـ. ص: الاجتياح الاستئصال، ومنه الجائحة للسَّنَة والفتنة.
(٢) في هـ. ب: قصدونا، وفي هـ. ص: جمع همّ، مصدر جمع لاختلاف أنواعه.
(٣) قصدوا نزول الهموم بنا.
(٤) في هـ. ص: هي الآثار المنكرة.
(٥) أي رغد العيش، وفي هـ. ص: أي الماء.
(٦) في هـ. ب: الزمونا.
(٧) في هـ. ص: أي جعلوا الخوف ملازماً لنا، كحلس البعير يلازم ظهره، وهو كساء يجعل تحت الرحل، كي لا يعقر ظهره، وقد اشتهر التعبير بلفظه عن معنىً اللزوم.
(٨) في هـ. ب: صعب.

٤ ـ (وفعلوا بنا الأفاعيل) من المواقف غير الانسانية.

٥ ـ (ومنعونا العذب) حيث قاطعوا النبى وعشيرته المتعاطفة معه في حصار شعب أبي طالب ،لتجويعهم حتى يستسلمو ولا ينصروا النبيّ في مواقفه.

٦ ـ (وأحلسونا الخوف) والحلس: الالتزاق، كما يلتصق الحلس بالجسد، والحلس هو كساء رقيق، فكان الخوف من العدو امراً مرافقا للحياة بالنسبة إلى النبى ﷺ ومناصريه.

٧ ـ (واضطرونا إلى جبل وعر)؛ فإنّ الحياة بين الاعداء وفي الحصار تكون حياة فاقدة لادنى المتطلبات تكون صعبة، فهي كما يعيش الإنسان في جبل وعر لايمكن الحياة فيه، ممّا اضطر انصار رسول الله ﷺ الى الهجرة إلى الحبشة.

٨ ـ (وأوقدوا لنا نار الحرب) في الحروب المتتالية من بدر واحد وحنين والاحزاب وغيرها، كما هو مشروح في السيرة النبوية.

فما كانت هذه المواقف العدائية الكثيرة من المشركين العرب ضد النبيّ داعية الاسلام واصحابه المناصرين له إلّا لما وجدوا في الاسلام من حيث المبادي والوسائل والاهداف خطراً مباشراً عليهم وعلى سلوكهم في الحياة والاهداف التي يعيشون من اجلها من المادة والماديات.

(٢/ك ٩) نصيروا الاسلام:

فَعَزَمَ اللهُ لنَا[١] على ٱلذَّبِّ[٢] عَنْ حَوْزَته[٣]، والرَّمْي مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِه[٤]، مُؤْمِنُنا يَبْتغِي[٥] بِذَلِكَ الأَجْرَ، وكافِرُنا يُحَامِي[٦] عنِ الأَصْلِ، ومَنْ أَسْلَمَ منْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ[٧] مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحَلِفٍ[٨] يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فهُم منَ القَتْلِ بمكانِ أَمْنٍ.

ونصر الله الاسلام ببني هاشم والمسلمين الاقربين.

على النقيض تماما ممّا خطط له المشركون العرب من استئصال شجرة النبوة والقضاء

---

(١) في هـ. ب: أوجب، وفي هـ. ص: أي جعل لنا عزماً علىٰ ذلك ومضاءً فيه.
(٢) في هـ. ب: الدفع.
(٣) في هـ. ب: مجمعه، وفي هـ. ص: حوزة الملك: بيضته وخاصة أمره.
(٤) في هـ. د: حومته ـ ص، وفي هـ. ص : قد يروىٰ «حومته» بالواو وهو معظم الأمر وعمدته.
(٥) في ط: يبغي.
(٦) في هـ. ب: من الحماية.
(٧) في هـ. ب: خال.
(٨) في ب: محلف، وفي هـ. ب: ملازم، وفي هـ. ص: أي عهد وميثاق بينه وبين من ينصره.

على ثمارها بالوسائل المادية المتيسرة لهم، نصرالله سبحانه النبيّ عليهم وانتصر بنصرة الاسلام في المبادي والوسائل والاهداف، واشار الإمام إلى نقاط من ذلك:

١ ـ (فعزم الله لنا) العزم: الارادة الجارية؛ فإنّ الله بقضائه المبرم اراد القيام بدورهم المطلوب في نصر الاسلام الاوائل عامة، ولبني هاشم خاصة وللمسلمين.

٢ ـ (على الذب عن حوزته) الحوزة: الناحية؛ فإنّ الاسلام هي رسالة الله سبحانه، والدفاع عنها دفاع عن الجانب الذي يدعوا الى الله سبحانه، والدفاع عن النبيّ وحوزته دفاع عن المبدأ الذي دعا اليه عقيدة وشريعة.

٣ ـ(والرمي من وراء حرمته)؛ فإنّ للنبىﷺ حرمة النبوة والرسالة، والرمي عنها: المحاماة عنها.

٤ ـ (مؤمننا يبغي بذلك الأجر) لايمانه بأن نصر النبيّ نصر للاسلام ونصر لدين الله تعالى، قال الله تعالى:﴿فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَٰئِك هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.[1]

٥ ـ (وكافرنا يحامي عن الأصل) بالدفاع عن النبىﷺ.

ويعنى بهم الهاشميين الذين ابتلوا بالحصار في شعب أبي طالب لنصرهم النبيّ دفاعاً عن الرابطة النسبية، وليس ايمانا بالرسالة له.

٦ ـ (ومن أسلم من قريش خلو ممّا نحن فيه) فان المسلمين الاوائل من قريش لم يكونوا في نفس الحالة التي كان عليها بنو هاشم ، بل كانوا خلواً من المضايقات التي واجهها بنو هاشم.

واشار إلى الاسباب الداعية إلى ذلك بقوله:

أوّلاً: (بحلف يمنعه)؛ فإنّ قريش المعادية للنبي ورسالته كانت محكومة بالعادات القبلية ومنها: الحلف، فمن اسلم من قريش كان يمنعه الحلف من وصول الاذى اليه، حيث تلك الاعراف القبيلة.

ثانياً: (أو عشيرة تقوم دونه) فاذا لم يكن بين المسلم من قريش تحالف، كانت له عشيرة تحمية من اعتداء الاعداء؛ فإنّ الاعداء لا يعتدون عليه خشية المقابله بالمثل من

---

(١) الاعراف : ١٥٧.

تلك العشيرة.

ولهذين السببين كان المسلم من قريش (من القتل بمكان أمن) لا يعتدى عليه، ولم تكن هذه الحالة لبني هاشم؛ فانهم جميعاً اصبحوا محكومين من مشركين العرب باعتبارهم العشيرة القريبة من النبيّ محمّدﷺ، ونصبوا لهم العداء بالمحاربة الاقتصادية في الحصار في شعب أبي طالب لمتاصرتهم النبيّ محمّدﷺ، وفي مقدمتهم عمه ابو طالب كما هو مشروح في كتب السيرة والتاريخ.

(٣/ك ٩) الرسول واصحابه:

وكانَ رَسُولُ اللهِﷺ إذا احْمَرَّ الْبأس[١]، وأحْجَمَ[٢] النَّاسُ، قَدَّمَ أهْلَ بَيْتِه فَوَقى[٣] بِهِمْ[٤] أصْحَابَهُ حرّ السُّيُوفِ والأَسِنَّةِ[٥]، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الحَارِثِ[٦] يَوْمَ بَدْرٍ، وقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُؤتَةَ[٧].

وأشار إلى لمحة من مواقف النبىﷺ واهل بيته واصحابه قائلا:

(وكان رسول اللهﷺ إذا احمر البأس وأحجم الناس قدم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة) واحمرار البأس، كناية عن الحرب؛ حيث تحمر الارض من الدم وحر السيوف: مواقعها الشديدة، تولد حرارة في مواقع الضرب.

وهذه هي النقطة الاساسية الفارقة بين الاسلام والكفر؛ فإنّ الحرب الاسلاميّة حرب عقائدية شارك فيها من يشارك عن عقيدة للاستشهاد في سبيله، سواءً في ذلك القريب والبعيد في النسب، والحرب الكافرة تمييز بين ذلك، فيبقى القريب ويستخدم البعيد، وكان الرسول القائد بنفسه يشترك في المعركة هو واهل بيته، وفي كلّ لحظة كان احتمال القتل بالنسبة اليه وغيره على حد سواءً. والحروب المادية تستخدم الجيش كمرتزقة لمثل هذا اليوم وقاء للقادة الذين أن اقتضت مصلحتهم الهروب من الحرب لهربوا وتركوا

---

(١) في هـ. ب: اشتد، وفي هـ. ص: أي اشتدت الحرب، وهم يشبهونها بالنار في احتدامها وحرّها وأكلها.
(٢) في هـ. ب: تأخر، وفي هـ. ص: تأخّروا عن الإقدام.
(٣) في ب: فوفىٰ.
(٤) في هـ. ب: في نسخة: به.
(٥) في هـ. د: حرّ الأسنة والسيوف ـ ب، وفي هـ. ب: جمع سنان.
(٦) في أ ب ض: الحرث.
(٧) في هـ. ب: «مؤتة» موضع قتل بها جعفر الطيّار.

الجيش هالكاً .

وخص باهل بيته الهاشميين بالذكر، فقال:

أوّلاً: (فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر) وهو عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب من المسلمين الاوائل قبل اعلان الاسلام في دار الارقم في مكة المكرمة، وكان اكبر عمراً من النبيﷺ بعشر سنين، قتل في بدر وعمره ثلاث وستين عاماً، وذلك في العام الثاني للهجرة.

ثانياً: (وقتل حمزة يوم أحد) وحمزة عم النبيﷺ ابن عبدالمطلب، قتله ووحسي غلام جبير بن مطعم الذي وعده بالعتق ان قتل حمزة، ففعل ومثلت هند أم معاوية بن أبي سفيان بجسده، وحزن الرسولﷺ عليه حزنا بالغا ، وذلك في غزوة احد في خارج المدينة المنورة في العام الثالث الهجري.

ثالثاً: (وقتل جعفر يوم مؤتة) وجعفر بن ابي طالب ابن عبدالمطلب، فقتل في غزوة مؤتة العام الثامن للهجرة، حيث بعثه رسول اللهﷺ لقتال الروم، وكان عمره حين قتل ثلاث وثلاثين عاما، وقبره اليوم في منطقة تسمى المزار في الاردن، وله قبر عامر، زرته آ،(راجع مزارات اهل البيت).

وانّ مواقف هؤلاء المسلمين الاوائل والمحاربين القدماء هي التي نصرت الاسلام والمسلمين في احلك الظروف؛ فإنّ كلّ قطرة من دماء هؤلاء انتجت وعيا اسلاميا في العصور المتاخرة فيب الثبات والصمود في الدفاع عن الاسلام والمسلمين.

(ك ٩/٤) الإمام واصحابه:

وأَرَادَ[١] مَنْ لوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ[٢] مِثلَ الذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهادَةِ، ولكِنْ آجالُهُمْ عُجِّلَتْ، ومَنِيَّتُهُ أُخرتْ[٣].

فَياعَجَباً[٤] لِلدَّهْرِ! إذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بي مَنْ لمْ يَسْعَ بِقَدَمِي[٥]، ولمْ تكُنْ لهُ كَسَابِقَتي الَّتي

---

(١) في هـ ص: أراد نفسه.

(٢) في هـ . ب: يعني نفسه.

(٣) في هـ . د: اجّلت ـ ب.

(٤) في أ: فيا عجبي.

(٥) في هـ . ص: كان معاوية يتحكّك في علي عليه السلام ويستخرج كامنه بتفضيل أبي بكر وعمر، وكان عليه السلام يجاوبه بما لا ينكره اعداءهُ كذكره في هذا الفصل فضائل بني هاشم تصريحاً وإشارة

لا يُدْلِي[١] بِمِثْلِها أحَدٌ، إلاَّ أنْ يَدَّعِي مُدَّعٍ[٢] مَالَا أعْرِفُهُ، ولا أظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ[٣]، والحَمدُ للهِ على كلِّ حَالٍ[٤].

وأشار في هذا المقطع إلى استمرار الخط الاسلامي في المبادي والوسائل والاهداف التي بشر بها النبي محمّد ﷺ بتطبيق حكم الله على الارض اعتماداً على الكتاب والسنة، وان لرسالة الاسلام اصحاب في كل عصر ومصر، وبالنسبة إلى عصره عن اصحابه قال:

(وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عجلت ومنيته أجلت) فان السائر في على خط الشهادة في سبيل الله كانوا يوجدون في عصره كما وجدوا في عصر الرسالة، ولم يذكر الإمام احداً بالاسم، بل امتنع عن ذلك وربما من خوف احتمال التفضيل لتقدمهم على الآخر، وقال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «يعز به نفسه».[٥]

قال الجلالي: وهو بعيد؛ لمكان ضمير الجمع في كلمة (اجالهم) وان كان الإمام اكثرهم شوقا إلى الشهادة من عزة؛ لانه اعرفهم يحقيقتها واثرها، والله العالم.

وعن نفسه قال:

(فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي)؛ فإنّ السعي في سبيل الاسلام لم يسبقه فيه غيره في عمره، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«اشارة إلى معاوية في الظاهر، والى من تقدم عليه من الخلفاء في الباطن، والدليل عليه قوله: (التي لا يدلي احد بمثلها) فاطلق القول اطلاقا عاماً مستغرقا لكل الناس اجمعين».[٦]

وأشار إلى موجبات العجب بقوله:

خفية إلىٰ فضائله الخاصة، وهذا من حكمة المكاتبة.

(١) هـ. ص: الادلاء: الاحتجاج والبت في قضاء الحاجة، ففيه إشارة إلىٰ اعتبار الأفضلية في استحقاق الخلافة.

(٢) في هـ. ص: أي أن كل من ادعىٰ خلاف ذلك فهو كاذب، لأنّه لو كان صادقاً لكان عليه السلام يعرفه لا محالة، فإذا أنكر تلك الدعوىٰ فمدعيها مبطل.

(٣) في هـ. ص: أي لا أظنه ولا أعلمه يعرفه، لكنه إذا نفىٰ الظن ان يعلمه الله ينتفي علمه بذلك بطريق الاولىٰ.

(٤) في هـ. ص: أي أن التسوية بينه وبين من دونه بليّة ابتلي بها، فهو يحمد الله علىٰ البلوىٰ كعلىٰ النعمىٰ.

(٥) شرح النهج ١٤ ـ ٥٠، ط /١٩٦٢.

(٦) شرح النهج ١٤ ـ ٥٠، ط / ١٩٦٣.

أوّلاً: (ولم تكن له كسابقتي) من السبق إلى الاسلام في الصغر، والمواقف التي قام بها في دور المراهقة في الغزوات التي شارك فيها في عصر الشباب وصلته الوثيقة بالنبي القائد في حياته حتّى الممات.

ثانياً: (التي لا يدلي أحد بمثلها) الادلاء: القيام بالشيئ كما يقوم بارسال الدلو لنزع الماء؛ فإنّ السوابق المشار اليها مميزة له عن غيرة من الصحابه (رضى) اجمعين، كما هو مشروح في كتب الحديث.

ثانياً: (إلا أن يدعي مدّع ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه) مشيراً إلى أن دعوى المقارنة التي يحاول معاوية في كتابه دعوىً مجردةً عن البرهان، فتكون دعوى منكرة، وينكرها الله سبحانه وانها كذب وافتراء، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «وليس مراده سلب نطق الذي هو بمعنى العلم، بل حتّى سلب أي علم السلب».[١]

وختم الإمام المقطع بقوله: (والحمد لله على كلّ حال) اشارة إلى أن هذا المنكر من معاوية امر مكروه للانسان، والواجب الاسلامي يقتضي الحمد لله على كلّ حال بما فيه حال الكره، فانه لايحمد على مكروه سوى الله.

(٥/ك ٩) قتلة عثمان:

وَأَمَّا ما سَأَلْتَ منْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثمانَ إليْكَ، فإنِّي نَظَرْتُ في هذَا الأَمْرِ فلمْ أرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إلَيْكَ ولا إلَى غيرِكَ، ولَعَمْرِي لئِنْ لمْ تَنزِعْ[٢] عَنْ غَيِّكَ[٣] وشِقَاقِكَ[٤]، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لا يُكلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ في بَرٍّ ولا بَحْرٍ، ولا جَبَلٍ ولا سَهْلٍ، إلَّا أنّهُ طَلَبٌ يَسُوكَ وِجْدَانُهُ[٥]، وزَوْرٌ[٦] لا يَسُرُّكَ لُقْيانُهُ[٧]، والسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

وختم المقطع من الكتاب بطلب معاوية ورد الإمام عليه، فقد طلب معاوية من الإمام أن يدفع اليه قتلة عثمان، ورد الامام يتضمن نقاطاً:

---

(١) شرح النهج ١٤ ـ ٥٠، ط / ١٩٦٣.
(٢) في هـ. ب: ترجع، وفي هـ. ص: أي لئن لم تنته وتفارقه.
(٣) في هـ. ب: جهلك، وفي هـ. ص: الجهل والضلال.
(٤) في هـ. ص: هو المخالفة والمناصبة.
(٥) في هـ. ص: مصدر «وجد».
(٦) في هـ. ب: زائر، وفي هـ. ص: هو الزائر، يقع على الواحد والجماعة.
(٧) في هـ. ب: لقاه، وفي هـ. ص: مصدر «لقى» بضم اللام.

أوّلاً: أن المطالبة لحق قانوني لابدّ وان يكون بالرجوع إلى المحكمة الشرعية التي تشكل لذلك، وبعد التحقيق يكون القرار من المحكمة، فاذا لم يقبل القرار فيكون الحكم للاستئناف والمحاكمة من جديد، وليس للمطالب فرض رأيه على المحكمة بالمطالبة ممن يراه متهماً قبل تشكيل المحكمة، وهذا ما يطالب به معاوية؛ فإنّ طلب ذلك يجب أن يكون بالرضوح إلى حكم الإمام بالتبعية، ثمّ المطالبة بالطرق الشرعية الاسلاميّة، وهذا التناقض في نفسه يكشف عن أن المطالبة ليست حقيقية، بل مجرد شعار سياسي فقط.

ثانياً: أن المطالبة للدم لابدّ وان يكون من قبل صاحب الدم وهو ابن المقتول مثلا، والمفروض انّه لم يطالب ابن عثمان بذلك، كما لم يعلن معاوية أن طلبه مستند الى طلب ابن عثمان أو ولده.

ثالثاً: أن القتل قد حصل من الغوغاء والثائرين، وكان فيهم المصريون وغيرهم ممن شجعهم بما فيهم طلحة والزبير والسيدة عائشة، وكما هو الشأن في كلّ ثورة، المجرم الحقيقي في الثورة لا يعرف بالتحديد إلّا بعد تحقيق طويل.

وختم الإمام هذه النقطة الثالثة بأن الحكم الظالم يولد ثورة، واذا حصلت الثورة لا يمكن اخمادها أو ارجاع عجلتها إلى الوراء، كما هو ثابت في تاريخ الثورات في العالم؛ فإنّ الحكم الجديد القائم بالثورة يقضي على الحكم السابق، وبعد فترة الانتقال التي لا تخلو من اثار سيئة يصبح الحكم الجديد معترفا به عمليا، ثمّ بعد فترة يكون الحكم البديل المعترف به واقعا وان سياسة الظلم التي أدت الى قتل الخليفه عثمان هي نفس السياسة التي يتبعها معاوية، ويكون لها نفس المصير مهما طال الزمن، وقد ايده التاريخ في قضاء العباسيين على هذه السياسة بالثورة عليها.

والى هذه النقاط الثلاث أشار الإمام بقوله:

(وإما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك فإني نظرت في هذا الأمر) وليس الجواب قراراً ارتجاليا، بل عن نظر ودراسة لكل جوانب الموضوع، وكانت النتيجة هذه النقاط الثلاث:

أوّلاً: (فلم أره يسعني دفعهم إليك) لما تقدم في النقطة الاولى من أن المطالبة بشئ لابدّ وان يكون بالرجوع إلى المحكمة الشرعية، فلابد من الاعتراف بالبيعة حتّى تشكل المحكمة لذلك، ولا يمكن فرض المدعي رأية على المحكمة مسبقا، فإنّه مرفوض

اسلاميا.

ثانياً: (ولا إلى غيرك) فانك كغيرك تشتركان بالرجوع إلى المحكمة الاسلاميّة الشرعية في البت في الحكم والموضوع، واما غيرك فان كان صاحب الدم فهو ايضا يجب أن يتقدم الى المحكمة ويطالب فيها.

ثالثاً: (ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك) حيث أن المطالبة بشيئ ليس لك ورفض الرضوخ للمحكمة العادلة انما هو لحقيقة اخرى، وهي الغي، اي الضلال عن طريق الحق بالتغلب على الحكم من دون أساس اسلامي شرعي بالشورى، ورفع راية البغي بالدعايات الكاذبة لتحقيق المكاسب السياسية، وهي تساوي عملية الثورة الهائجة من المصربين وغيرهم على الخليفة عثمان بسبب السياسات التي كانت تطبق باسمه.

فان موقف الغي والضلال لتسلّم الحكم بالقوة هو موقف الثورة في تسلّم الحكم بالقوة.

فالقوة الاموية في المطالبة بالحكم تحت شعار قميص عثمان تعادل الثورة المصرية ضد الخليفة عثمان، ونتيجتهما واحدة، وهي تشريع قلب نظام الحكم الاسلامي القائم على الشورى إلى نظام الغلبة بالقوة، وهذه النتيجة ستصيب معاوية ايضا، والى ذلك أشار بقوله:

(لتعرفنهم عن قليل يطلبونك ، لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر ولا جبل ولا سهل) فإنّه مهما طال الزمن فان الثوار يخططون للقضاء على الحكم القائم بالظلم باسلوب الظلم الذي اقام حكمه عليه، وذلك بتشريع القيام بالحكم بالظلم وليس بالشورى كما امر به الاسلام، وحيث ان ذلك لا يرغب فيه أي ظالم قال:

(إلا انّه طلب يسوءك وجدانه)؛ لأنّ الحاكم لايحب تسليم السلطة لغيره مهما كان.

(وزور لا يسرك لقيانه) فإنّ الثوار القادمين ثوار جدد لتسليم الحكم، وطبيعيّ أن لا يسره لقاؤهم.

وختم ذلك بقوله:(والسلام لأهله) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «لم يستجز في الدين ان يقول له: والسلام عليك؛ لأنّه عنده فاسق لا يجوز اكرامه، فقال:(والسلام لاهله) اي على اهله».[(١)]

---

(١) شرح النهج ١٤ : ٥١، ط /١٩٦٢.

[١٠]

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

فَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ[(١)] ما أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ[(٢)] بِزِينَتِها، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَها، وَقادَتْكَ فَاتَّبَعْتَها، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَها، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ[(٣)] واقِفٌ[(٤)] عَلى ما لا يُنْجِيكَ مِنْهُ مُنْجٍ[(٥)].

فَاقْعَسْ[(٦)] عَنْ هَذَا ٱلْأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ[(٧)] ٱلْحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ[(٨)] بِكَ، وَلا تُمَكِّنُ الْغُوَاةَ[(٩)] مِنْ سَمْعِكَ، وَإِلّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ ما أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ[(١٠)]، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ[(١١)] قَدْ أَخَذَ ٱلشَّيْطانُ مِنْك مَأْخَذَهُ[(١٢)]، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ والدَّمِ[(١٣)].

وتتضمن الموعظة ضرورة الحرية الاسلاميّة والقيادة واقتراح لتفادي الحرب والثأر بدم عثمان.

(١/ك ١٠) الموعظة الاسلامية:

ابتدأ المقطع المختار بالموعظة الاسلاميّة حيث أن الدين النصيحة، وخاطب الإمام معاوية محذراً له من الاغترار بالدنيا بقوله:

١ ـ (وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه) والجلباب: الثوب الذي

(١) في هـ. ص: جمع جلباب، وهي الملحفة في الأصل، واستعير لغيرها من الثياب، انتهىٰ من الشرح، قلت: واستعير ها هنا لعموم أحوال الدنيا الغارّات.
(٢) في هـ. ص: أي أبدت بهجة وحسناً.
(٣) في ص: يوقفك، وفي هـ. ب: يحبسك.
(٤) في هـ. ص: أي موقف، وهو الموت. أو من إليه أمر الموت.
(٥) في ب و ط: مجنّ، وفي هـ. ب: في نسخة: منج، وفي هـ. د: مجن ـ ن ب، والمجن هو الترس.
(٦) في هـ. ب: تأخّر، وفي هـ. ص: قعس عن الشيء: تأخّر عنه.
(٧) في هـ. ب: في نسخة: تأهباً، وفي هـ. ص: أي عدته.
(٨) في هـ. د: لما نزل ـ ب.
(٩) في هـ. ب: جمع غاو.
(١٠) أي انبّهك بصدمَةُ القوة إلىٰ ما لم تنتبه إليه بالموعظة.
(١١) في هـ. ب: متنعّم، وفي هـ. ص: اترفته النعم: ألِفَها وأبطرته.
(١٢) في ب: ما أخذَهُ ومآخِذه، وفي هـ. ب: في نسخة: مأخذه، وفي هـ. ص: روي «مـاخذه» بالجمع.
(١٣) من هنا إلىٰ قوله:«متماديا» لم يرد في أ. وفي هـ. د: العبارة ساقطة في ف ن.

يغطي الجسم، كناية عن الموت حيث يعرى الجسم من الثياب ويغطيه بالكفن للدفن.

٢ ـ (من دنيا قد تبهجت بزينتها) حيث صارت بهيجة؛ فإنّ هذه المظاهر البهيجة لابدّ وان تزول يوما ما.

٣ ـ(وخدعت بلذتها) المادية من الاموال والاولاد والخياليّة من الملك والسلطة.

٤ ـ (دعتك فأجبتها)؛ فإنّ معارضة الحكم الاسلامي القائم بالشورى نابع من دعوة الدنيا اليها.

٥ ـ (وقادتك فاتبعتها) فلولا قيادة الدنيا للوصول إلى الحكم لما كانت هذه المعارضة السياسية.

٦ ـ (وأمرتك فأطعتها)؛ فإنّ حيث الدنيا هو السبب الآمر إلى اعلان المعارضة ضد الحكم بالشورى.

وكان موقف معاوية الطاعة لهذا، كما يظهر من مواقف معاوية فيما بعد، حيث انّه بعد وصوله للحكم لم يرفع شعار قميص عثمان قط.

٧ ـ (وإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن) والمجن: الترس الواقي من ضربات العدو، فان الموت يقف في طريق الحياة، ولا مجن من ضربة الموت القاضية.

فان هذه الحقائق تكفي لعدم اغترار الإنسان بالدنيا الزائلة.

٨ ـ (فاقعس عن هذا الأمر) والعقس: التاخر، والامر: هو المطالبة السياسية للحكم التي تناقض سياسة الحكم بالشورى واستبداله بالحكم الملوكي المستبد، كما كانت عليه القياصرة والأكاسرة.

٩ ـ (وخذ أهبة الحساب) الذي سيحاسب الله كلّ انسان على اعماله ان خيرا أو شرا.

١٠ ـ (وشمر لما قد نزل بك) والتشمير: الجد في العمل بما يستلزمه يوم الحساب.

١١ ـ(ولا تمكن الغواة من سمعك) والغاوي: قرين السوء الضال الذي يقلب الحقائق.

وفي هذا ايماء الى ان معاوية انما هو الواجهة لحزب يخطط له المواقف التي يقف عليها ويعلنها، وليس هو المقرر الوحيد ضد الحكم الاسلامي بالشورى فقط.

١٢ ـ (وإلا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك)؛ فإنّ صحبة السوء يوجب الغفلة بايحاءات متوالية في نفس الإنسان حتّى يغفل عن الحقيقة ويتصور أن ما يذكره الآخرون من المديح انما هو عن حقيقة، مع انّه ليس إلّا تفخيخا موقتا لفخ اعظم منه، والله

العالم.

واما الحقيقتان ـ حيث ما يرى الإمام فيه ـ فهما:

أوّلاً: (فإنك مترف) والترف: طغيان النعمة، وقد عاش معاوية هذا الترف في عهد والده قبل الاسلام، ثم بالولاية على الشام في خلافة عمر بعد الاسلام، وقد عاتبه الخليفة الثاني حينما راى عليه آثار الترف وان لم يعاقبه.

ثانياً: (قد أخذ الشيطان منك مأخذه) حيث اصبحت صوت المعارضة للحكم الاسلامي بالشورى.

ثالثاً: (وبلغ فيك أمله) وهو وجود سد يمنع من انتشار الحكم الاسلامي بالشورى في العالم المتحضر آنذاك، فإنّه لو استمر ذلك لكانت الحرب العقائدية قاضية على الكفر كلّه وحققت المعارضة ما كان العدو يأمله من دون مباشرة، بل بايد اسلامية.

رابعاً: (وجرى منك مجرى الروح والدم) بالتغلغل في الحياة حتّى يستولي على عقل القائد للواقد المعارضة للحكم الاسلامي بالشورى وعاطفته، فلا يفكر في المصلحة الاسلاميّة العليا، بل في مصالح نفسه وسياسة المعارضة فقط.

وهذه الخصائص الثلاث توجب الانحراف عن الحكم الاسلامي بالشورى، اعاذ الله المسلمين منها.

(٢/ك ١٠) المؤهلات الاسلاميّة:

وَمَتى[١] كُنْتُمْ يا مُعاوِيَةَ ساسَةَ[٢] الرَّعِيَّةِ، ووُلَاةَ أمْرِ ٱلْأُمَّةِ، بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلا شَرَفٍ باسِقٍ[٣]، وَنَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ لُزُوم سَوابِقِ ٱلشَّقاءِ.

وَأُحَذِّرُكَ أنْ تَكُونَ مُتَمادِياً[٤] فِي غِرَّةِ[٥] ٱلْأُمْنِيَّةِ[٦]، مُخْتَلِفَ ٱلْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ.

واشار إلى ضرورة المؤهلات الاسلاميّة في القيادة، ومنها: الحركة المسؤولة في القيادة العليا، وأن معاوية والحزب المتعاون معه يفقدون هذه التجربة لمن يدرس تاريخ

---

(١) في هـ. ب: انكار.
(٢) جمع سائس ،وفي هـ. ب: سادات.
(٣) في هـ. ب: رفيع طويل.
(٤) في هـ. ب: بالغاً إلىٰ المدىٰ.
(٥) في هـ. ب: غفلة.
(٦) الأمنية بضم الهمزة، ما يتمناه الإنسان ويأمل حصوله .

حياتهم في الماضي، حيث انهم نشأوا في بيت أبي سفيان الاموي، وكان قائد الحروب ضد النبيّ في مواقع متتالية، ونتيجة ذلك: انّ معاوية لم يتربى في بيئة اسلامية، ولا في بيئة موالية للاسلام حتّى يتحقق له تجربة فكرية ولم تكن له مشاركة عملية في الحروب للدفاع عن الاسلام، بل كان على النقيض من ذلك، فقال:

١ ـ (ومتى كنتم يا معاوية) والخطاب موجه اليه بصيغة الجمع اشارة إلى أن الحزب الذي يدير الحرب ليس معاوية وحده، بل هو الواجهة للحزب المعادي للمبادي الاسلاميّة.

٢ ـ (ساسة الرعية) من المسلمين، بل كان معاوية بالذات قد شارك في حرب بدر ضد المسلمين، فكيف تكون له تجربة اسلامية في العمل الدفاعي عن الاسلام حتّى يدعوا الى القيادة العليا لنفسه؟

٣ ـ (وولاة أمر الأمة) الاسلاميّة، فان مسؤولية القيادة لابدّ وان يتقدمها مسؤوليات اسلاميّة بنفس المستوى يثبت المسؤول المقترح جدارته بالقيام بها فتتحول اليه المسؤولية لنجاحه في ذلك على نفس المستوى، وهذا لم يحصل في تاريخ حياتهم، فلم يحمله النبيﷺ ايّة مسؤولية قيادية لاحد منهم، وانما كانت مسؤولياتهم ادارية دون المسؤولية القيادة العليا.

ثم أشار إلى ما يؤيد ذلك من تواريخ حياتهم بقوله:

٤ ـ (بغير قدم سابق) فلم يكن لمعاوية ولا الحزب الاموي تقدم فكري في سابق حياتهم في الاسلام.

٥ ـ (ولا شرف باسق) والباسق: العالي مقاما، بل كانت المسؤوليات الادارية التي يقوم بها عامة الناس، وهذه لا تؤهل الإنسان لمسؤولية القيادة الاسلاميّة، بل كان بعض ذلك في سابق حياة معاوية بالتربية في خطط الاعداء والمشاركة في الحرب ضد الاسلام والمسلمين في بدر كما هو مشروح في التاريخ.

فان هذه النقاط الخمس تشير الى ضرورة المؤهلات لمن يتطلع إلى مسؤولية قياديّة عليا، ومن اهمها تجربة المسؤولية، وهي مفقودة في معاوية.

ثم أشار إلى دور النفاق الذي يقوم به الحزب الأُموي المعارض بقوله:

١ ـ (ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء)؛ فإنّ الشقاء السابق يبقى اثره في الإنسان؛

لكونه يصبح طبيعة ثانية، فان الاسلام وان غير الإنسان في الاعتقاد ولكنه يبقى العمل الذي تعوده قبل الاسلام مؤثرا في الحياة لا يمكن أن يتخلى عنه بفترة وجيزة، بل يفتقر إلى فترة طويلة حتّى يتعود على الحياة الاسلاميّة فكريا وعمليا.

٢ ـ (وأحذرك أن تكون متماديا في غرة الأمنية) الغرة: الغفلة، والامنية: طمع النفس، فإنّها هي الدافع التي تدفع الإنسان إلى رفض الحكم الاسلامي بالشورى، واستبداله بالحكم بالوراثة.

٣ ـ (مختلف العلانية والسريرة) وهي النفاق بالذات.

فان هذه الصفات الثلاث تنطبق على مواقف معاوية والحزب الأموي المعارض في انفسهم، كما يدل على ذلك تاريخ حياتهم الماضية في الحرب على الاسلام، وفي مخططاتهم للوصول إلى الحكم بمعارضة الحكم الاسلامي بالشورى، والمواقف التي تختلف في العلانية والسريرة، وهو النفاق، نعوذ بالله منها.

(٣/ك ١٠) اقتراح انهاء الحرب:

وَقَدْ دَعَوْتَ[١] إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جانِباً، وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ[٢] الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِيُعْلَمَ[٣] أَيُّنَا ٱلْمَرِينُ[٤] عَلى قَلْبِهِ وَالْمُغَطّى عَلى بَصَرِهِ.

فَأَنَا أَبُوحَسَنٍ قاتِلُ جَدِّكَ وَخالِكَ وَأَخِيكَ[٥] شَدْخاً[٦] يَوْمَ بَدْرٍ، وذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي، مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا، وَإِنِّي لَعَلَى ٱلْمِنْهاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

ثم اقترح الإمام لتفادي الحرب الكشف عن موقف كلّ من الإمام ومعاوية بقوله:

---

(١) في هـ. ب زيادة: الناس.

(٢) في هـ. ب: من العفو.

(٣) في ب: لنعلم، وفي ط: لتعلم.

(٤) في هـ. ب: المغطىٰ، وفي هـ. ص: أي المغطىٰ المغشىٰ بالرين.

(٥) في هـ. ا: عتبة والوليد وحنظلة، وفي هـ. ص: جدّه عتبة بن ربيعة، وهذا يؤيد أن عتبة كان قرن عبيد الله بن الحارث وأجاز عليه حمزة وعلي، وخاله: الوليد بن عتبة وكان قرن علي، وأخو حنظلة بن أبي سفيان، قتله عليّ عليه السلام، وأسر عمر بن أبي سفيان، وفرّ معاوية بن أبي سفيان مع الفرّار على قدميه حتىٰ بلغ مكة، ومن نوادر الأعمش: أنه سأله رجل وكان قد خاطر صاحباً له: هل معاوية من أهل بدر أم لا؟ فقال له: أصلحك الله، هل شهد معاوية بدراً؟ قال: نعم، من الجانب الآخر. انتهىٰ من شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٨٦، رواية عن النقيب أبي جعفر .

(٦) في هـ. ب: أي دقاً.

١ ـ (وقد دعوت إلى الحرب)؛ فإنّ المبتدئ للدعوة اليها كان معاوية بالخروج على الحكم بالشورى، ومهما كانت الاسباب المدبرة لها؛ فإنّ في الحرب الاسلاميّة العقائدية يحارب المسلم في سبيل عقيدته لينال احدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، فقام الإمام بهذا الاقتراح لتفادي اثار الحرب على مستصل الاسلام والمسلمين.

٢ ـ (فدع الناس جانبا واخرج إلي) فيكون الحرب بين الاثنين، وبهذا الاقتراح يتبين من يطلب الحكم للشهادة في سبيل الله ومن يطلب الحكم للحكم فقط.

وعن آثار هذا الاقتراح قال:

٣ ـ(وأعف الفريقين من القتال)؛ فإنّ من آثار هذه الحرب والصراع الثنائي أن بامن المسلمون من ويلات الحرب بين الجانبين.

٤ ـ (ليعلم أينا المرين على قلبه والمغطى على بصره) والرين: ما يغطي القلب من البصيرة والغشاوة: ما يغطي البصر من البصر؛ فإنّ قبول هذا الاقتراح يظهر حقيقة الموقفين.

ثم استدل على أن رفض هذا الاقتراح انما هو لعامل النفاق الذي لا يزال له اثره في النفوس، وان اعتقادها بالاسلام هو اعتقاد ظاهري من دون اعتقاد الفكر عليه، فقال:

١ ـ (فأنا أبو حسن، قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر)؛ فإنّ بيت أبي سفيان حيث اشتركوا في بدر لحرب المسلمين والاسلام وقاتلهم الامام فيها وخص بالذكر منهم:

أوّلاً: جد معاوية من قبل الام، وهو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وهند أم معاوية تنتسب اليه.

ثانياً: أخ معاوية، وكان له اخوان: حنظلة وعمر، فقتل علي حنظلة واسر عمرا اخاه، وفلت معاوية هاربا على رجليه فقدم مكة وقد انشدخ قدماه فعالج نفسه شهرين حتّى برأ».[(١)]

ثالثاً: خاله الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

٢ ـ (وذلك السيف معي) اشارة إلى أن الوسيلة في الحرب لا تختلف.

٣ ـ(وبذلك القلب ألقى عدوي)؛ فإنّ العداء السالف ضد الحكم الاسلامي بالشورى

---

(١) شرح النهج ١٤ : ٨٥.

من البغي الذي يجب الحرب ضده.

وعن رؤيته الواضحة للمبادئ والاهداف الاسلامية بقوله:

٤ ـ (ما استبدلت دينا).

٥ ـ (ولا استحدثت نبيا).

٦ ـ (وإني لعلى المنهاج) النبوي الاسلامي الذي آمنت به دينا ومحمّد نبيا؛ مؤكدا على ثوابت القرآن والسنة، وأشار إلى الموقف المناقض للمعارضة في تاريخهم الماضي بقوله:

أوّلاً: (الذي تركتموه طائعين) حيث رفضوا الاسلام وحاربوه في الجد والاب والاخوان صخر وابنه ابوسفيان واولاده طلحة وعمر ومعاوية.

ثانياً: (ودخلتم فيه مكرهين) حيث كان اسلامهم جميعا عام الفتح، العام العاشر للهجرة بعد انتصار الاسلام، فكان اسلاما بالاكراه.

فان هذه الحقائق التاريخية التي شرحتها بتفصيل كتب التاريخ والاسرة تكشف عن أن مواقف معاوية في معارضة الحكم الاسلامي بالشورى ليست نابعة عن اصول اسلامية، بل هي من اصول النفاق اعاذ الله المسلمين شرها.

(٤ / ك ١٠) دم عثمان:

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثائِراً بِدم عُثْمانَ[١]، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُناكَ إِنْ كُنْتَ طالِباً. فَكَأَنِّي بك قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ[٢] مِنَ الْحَرْبِ إِذ أَعَضَّتْكَ ضَجِيجَ اَلْجمالِ[٣] بِالْأَثْقالِ، وَكَأَنِّي بِجَماعَتِكم[٤] تَدْعُونِي[٥] ـ جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتابِعِ، وَالْقَضاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصارِعَ ـ إِلى كِتابِ اَللّٰهِ، وَهِيَ[٦] كافِرَةٌ جاحِدَةٌ، أَوْ مُبايِعَةٌ حائِدَةٌ[٧].

وختم المقطع المنتخب بالشعار الذي كان معاوية يستخدمه في الحرب، مشيراً إلى أن

(١) في ص: ثائراً بدم عثمان.
(٢) في هـ . ب: تصيح.
(٣) في ب : الجمل، وفي هـ . د: الجمل ـ ش، وفي هـ . ب: في نسخة: الجمال.
(٤) في ط: جماعتك، وفي هـ . ص: بجماعتكم.
(٥) في هـ . ب يدعونني، و في ص: في نسخة: يدعونني، وفي هـ . د: يدعونني ـ حاشية ش.
(٦) في هـ . ب: تلك الجماعة.
(٧) في هـ . ب: مائلة.

رفع هذا الشعار هو دليل النفاق في المواقف، فقال:

أوّلاً: (وزعمت أنك جئت ثائرا بعثمان) وهذا زعم مجرد عن اعتقاد به؛ لأنّ من يعتقد بشئ لابدوان يطلبه ممّن قام به؛ فإنّ التاريخ يشهد أن عليا كان في عزلة من الأمر وقام بنصر عثمان حينما طلب ذلك ما امكنه، وجلب له الماء بصحبة ولديه الحسن والحسين؛ انقاذاً له من الهلكة.

ثانياً: (ولقد علمت حيث وقع دم عثمان، فاطلبه من هناك إن كنت طالبا) مشيراً إلى الذين شاركوا الغوغاء في مواقفهم ولم ينصروا عثمان قط، فان الذين اثاروا على عثمان كان الغوغاء والذين شجعوهم عليها كان طلحة والزبير والسيدة عائشة، فالمطالب بالدم لابدّ أن يكون هؤلاء. وان معاوية لم يتحرك قط في المؤاخذة عليهم، بل تربص وهو في الشام يراقب مصيرهم في البصرة من دون اية مؤاخذة بكلمة.

ثم أشار إلى النتيجة الحتمية لمواقف النفاق السياسية بقوله:

أوّلاً: (فكأني قد رأيتك تضج من الحرب إذا عضتك ضجيج الجمال بالأثقال)؛ فإنّ هذه الدعايات لا تؤثر في الجماهير المؤمنة بالقيادة الاسلاميّة العليا، فاذا اتخذت قرارها الاخير في الحرب؛ لانها تحارب عن اعتقاد للاستشهاد في سبيل الله.

ثانياً: (وكأني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع وبعد مصارع إلى كتاب الله ، وهي كافرة جاحدة) أنّ الحرب العقائدية لاتهدأ إلّا بتحقيق اهدافها.

ونتيجه ذلك: أن الجماعة التي تحارب على أساس المصالح المادية لا تستمر في الحرب بعدما تواجه تتابع الجيوش العقائدية ومصارع القتلى، فتستخدم وسيلة لايقاف الحرب بالوسيلة التي توهن بها الجيوش العقائدية، وهي القرآن، وتستخدم كتاب الله كوسيلة سياسية لتحقيق هدفها وهو ايقاف الحرب.

ثمّ أشار إلى أن هذه الجماعة المعارضة تتكون من طائفتين:

الاولى :(كافرة جاحدة) لا تؤمن بالقرآن، وانما تستخدمها وسيلة فقط .

الثانية: (أو مبايعة حائدة) بالانحراف عن الحكم الاسلامي بالشورى، وقد صدق تنبؤ الإمام، فلم يمكن لمعاوية وجماعة من المقاومة حتّى دعوا إلى كتاب الله لايقاف الحرب، والتي أنهكتهم برفع المصاحف.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« وإنما قال أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية هذه الكلمة لان معاوية قالها في رسالة كتبها ، ووقفت عليها من كتاب أبى العباس يعقوب بن أبي أحمد الصيمري الذي جمعه من كلام علي عليه السلام وخطبه ، وأولها : أما بعد ، فإنك المطبوع على قلبك ، المغطى على بصرك ، الشر من شيمتك ، والعتو من خليقتك ، فشمر للحرب ، واصبر للضرب ، فوالله ليرجعن الامر إلى ما علمت ، والعاقبة للمتقين . هيهات هيهات ! أخطأك ما تمنى ، وهوى قلبك فيما هوى ، فأربع على ظلعك ، وقس شبرك بفترك ، تعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ، ويفصل بين أهل الشك علمه ، والسلام . فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام : أما بعد ، يا بن صخر ، يا بن اللعين ، يزن الجبال فيما زعمت حلمك ، ويفصل بين أهل الشك علمك ، وأنت الجاهل القليل الفقه ، المتفاوت العقل ، الشارد عن الدين . وقلت : " فشمر للحرب ، واصبر "، فإن كنت صادقا فيما تزعم ، ويعينك عليه ابن النابغة ، فدع الناس جانبا ، وأعف الفريقين من القتال ، وابرز إلي لتعلم أينا المرين على قلبه ، المغطى على بصره ، فأنا أبو الحسن حقا ، قاتل أخيك وخالك وجدك ، شدخا يوم بدر ، وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي !». (١)

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« واعلم أن هذه الخطبة قد ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب " صفين " على وجه يقتضى أن ما ذكره الرضى – رحمه الله – منها قد ضم إليه بعض خطبة أخرى ، وهذه عادته ، لان غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه ، والذي ذكره نصر بن مزاحم هذه صورته: فذكره». (٢)

[١١]

ومن وصيّة له عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه (٣) إلى العدوّ (٤):

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ عدوّكم ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ ٱلْأَشْرافِ (٥)، أَوْ

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ٨٢.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ٨٦.
(٣) في ب: بعث به.
(٤) لم ترد «بعثه إلىٰ العدوّ» في أ.
(٥) في هـ. ص: الأشراف: الأماكن العالية، جمع شرف. وقُبُلها: ما استقبل منها، وضد الدُبُر.

سِفاحِ[1] ٱلْجِبَالِ، أَوْ أَثْناءِ[2] ٱلْأَنْهارِ، كَيْما يَكُونَ لَكُمْ رِدْءًا[3]، وَدُونَكُم مَرَدّاً[4].

وَلْتَكُنْ[5] مُقاتَلَتُكُمْ[6] مِنْ[7] وَجْهٍ[8] واحِدٍ[9] أَوِ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَباءَ[10] فِي صَياصِي ٱلْجِبالِ[11]، وَبِمَناكِبِ[12] ٱلْهِضَابِ[13]، لِئَلّا يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَدُوُّ مِنْ مَكانِ مَخافَةٍ أَوْ أَمْنٍ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ ٱلْقَوْمِ عُيُونُهُمْ؛ وَعُيُونُ ٱلْمُقَدِّمَةِ طَلائِعهُمْ[14]، وَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّفَرُّقَ فَإِذا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ٱرْتَحَلْتُمْ[15] فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمُ ٱللَّيْلُ فَاجْعَلُوا ٱلرِّمَاحَ كِفَّةً[16]، وَلا تَذُوقُوا ٱلنَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا[17] أَوْ مَضْمَضَةً[18].

(١/ك ١١) واجبات الجيش:

يتضمن هذا المقطع ارشادات عسكرية جربها الإمام في حياته منذ عهد الصبا لا يستغني عنها المحارب في مواجهة العدو ؛ للدفاع عن الدين والوطن في حالتين، هما:

---

(١) في هـ. د: وسفاح ب، سفاح الجبال: أسافلها، وفي هـ. ص: جمع سفح: أسفل الجبل.
(٢) في ب: انتهاء، وفي هـ. ب: في نسخة: أثناء، هـ. ص: الأثناء: جمع ثنيّ، وهو ما انعطف منها.
(٣) في هـ. ب: معينا، وفي هـ. ص: أي عوناً.
(٤) المردّ ـ بتشديد الدال ـ: مكان الردّ والدفع، وفي هـ. ب: جمع مردّ، وفي هـ. ص: أي يـردّ العدوّ عنكم.
(٥) في ص: وليكن.
(٦) في هـ. ص: مصدر قاتل، وهي بفتح التاء.
(٧) في هـ. ب: في نسخة: في.
(٨) في هـ. ب: جانب.
(٩) لم ترد «واحد» في أ و د، وكتب عليها في ص: نسخة، وفي هـ. د: وجه واحد ـ ض ح ب.
(١٠) في هـ. ب: حفظة.
(١١) في هـ. ص: أي أعاليها.
(١٢) في ط و د: ومناكب، وفي هـ. ص: ظهورها.
(١٣) في هـ. ب: التلال.
(١٤) في هـ. ص: المقدمة ـ بكسر الدال ـ: الذين يتقدّمون الجيش، والطلائع جمع طليعة، وهم جماعة قليلة يتقدّمون لتعرّف الأخبار.
(١٥) في ص: رحلتم.
(١٦) في هـ. أ: أي لتكن الرماح حواليكم ككفة الميزان، وكفّ الصائد وما أشبهها، وفي هـ. ب: أي دافعات، وفي هـ. ص: كفة بكسر الكاف، أي دائرة، وكلّ ما استدار فهو كفة بـالكسر، وكـل مـا استطال: كفّه بالضم، انتهىٰ من الشرح.
(١٧) في هـ. ب: قليلاً.
(١٨) في هـ. ب: قليلاً، وفي هـ. ص: كلاهما عبارة عن النوم القليل.

أوّلاً: ـ (فإذا نزلتم بعدوّ) في مواجهة عسكرية للدفاع عن الدين والوطن.

ثانياً: (أو نزل بكم) العدو في دياريكم، فلابد من الدفاع عن النفس، ففي كلتا الحالتين لابدّ من الالتزام بما تقتضيه الظروف من الاستعداد العسكري، فقال:

أوّلاً: ـ (فليكن معسكركم) وهو موقع تجمع العسكر يتصف بالصفات التالية:

١ ـ (في قبل الأشراف) والقبل: ما يستقبل من المكان، والاشراف: الاماكن العالية حتى يمكن الاستطلاع على تحركات العدو، ولا يقع تحت رحمته.

٢ ـ (أو سفاح الجبال) والسفح: القسم الاسفل من المنطقة الجبلية، حيث يجري الماء الذي لا يستغني عنه المحارب، فتكون الجبال درعاً لظهورهم، والماء مورداً للشرب.

٣ ـ(أو أثناء الأنهار) والثني: ما انعطف من الشيئ؛ فإنّ التواء ذلك يمنع الهدف للعدو والقرب من المياه يؤمن مادة الشرب.

فان العسكر على الوصف المذكور له اثران:

أوّلاً: (كيما يكون لكم ردءا) وهو العون على العدو بالمناعة الطبيعية.

الثاني:(ودونكم مردا) وهو الحاجز بينكم وبين العدو.

وثانياً: (ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين) بأن يكون التركيز على جانب واحد والتحصن الطبيعي من الجهات الاخرى، وان لم يمكن فمن جهتين؛ فإنّ الحرب على جهات متعددة في آن واحد يودي الى الفشل؛ لان القوى تتوزع فلا يمكنها التركيز على واجبها.

وثالثاً: (واجعلوا لكم رقباء) وهو الجاسوس الذي يراقب تحركات العدو ويخبر الجيش ليتخذ الموقف المناسب للمواجهة.

وعن مواقع المراقبة قال:

١ ـ (في صياصي الجبال) والصياصي: القرون، استعمل لا عالي الجبال حتّى يكون الناظر ابصر بالمسيرة التي يتخذها العدو، ويمكنه الاطلاع على العدد الذي يتحرك به من الجيش.

٢ ـ(ومناكب الهضاب) والمنكب: المرتفع من الشيئ، والهضبة: الجبل الذي يكون اعلاه متسعاً، وعن الحكمه في اختيار المناطق العالية للمراقبة، قال:

(لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن)؛ فإنّ العدو يستخدم كلّ الطرق للقضاء

على الجيش المحارب؛ فإنّ المواقع المخوفة التي يخاف منها هجوم العدو، يمكن مراقبتها من على سطح الارض، واما المواقع الآخرى التي يتصور الجيش انّه في مأمن منها لا يمكن ذلك إلّا بالاشراف عليه من موضع عال، وبذلك يراقب العدو من كلّ جانب محتمل فيما اذا غير تكتيكه العسكري.

ورابعا: (وأعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم)؛ فإنّ كتيبة الجيش يتكون من القلب وفيه القيادة، والمقدمة والمؤخرة والميمنة والميسرة، ومن القلب تصدر الاوامر، وما يحيط بها يحافظ عليه اكثر من غيره، وطبيعيّ أن يكون تحرك الكتيبة على رؤية واضحة للاهداف لدفع الاخطار، كالعين في جسم الانسان؛ فإنّ الرؤية الواضحة لها تأثير كبير على أعضاء الجسم الظاهرية، وكذلك كتيبة الجيش فانها تقوم بواجباتها العسكرية تحت الرؤية الواضحة للمقدمة القائدة للمسيرة، فإنّها عين الكتيبة وهذه المقدمة عين الطليعة، وهي طائفة تتقدم الجيش للاستطلاع عن تحركات العدو.

والفرق منها وبين الجاسوس انّ الجاسوسيتستر في تحركاته بينما الطليعة لاتتستر، بل تتحرك بكامل استعدادها العسكري، فاذا تسترت كانت كالجاسوس.

خامساً: (وإياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا)؛ فإنّ من اهم اسباب النصر للعدو احداث الفرقة بين الجيش المحارب باي سبب مادي أو فكري أو غيرهما، فيضرب احدهما بالآخر تخطيطا لسياسة «فرّق تسد»، والجماعة التي تركز على هدف واحد وهو النصر على العدو لابدّ وان تترك كلّ الخلافات الفكرية والشخصيّة والقبلية والقوميّة وغيرها إلى جانب، وتركز على الوحدة في الهدف، ومن اهم مظاهرها النزول جميعا والارتحال جميعا؛ فإنّ حصل الخلاف في الرأي، فلا يصر احد على الخلاف مهما كان السبب.

سادساً: (وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة، ولا تذوقوا النوم إلّا غرارا أو مضمضة) ذكر من الواجب العسكري في الليل ثلاث:

١ ـ (فاجعلوا الرماح كفة) بأن تكون مجتمعة كالكف، بأن تكون مستديرة حولكم كالدائرة؛ استعداداً للمواجهة في اية لحظة يباغت العدو الإنسان بها.

٢ ـ (ولا تذوقوا النوم) إلّا بعذر الحاجة الجسمية اليه، ويكفى ذلك النوم الغرار، وهو النوم الحفيف، أو النوم المضمضة وهو النوم المتقطع، كالذي يهب من النوم ويستيقظ ثمّ

ينام، ثمّ يستيقظ كمن يتمضمض بالماء للوضوء، فان حالة الحرب تستدعي الاستعداد الكامل والأنتباه.

وهذه النقاط الخمس ارشادات عسكرية ضرورية في الاستعداد، وحيث انى ليست من اهل الاختصاص، عسى ان يشرح هذه الارشادات من له خبرة عسكرية ممّن يجد في نفسه القدرة والكفاءة.

[١٢]

وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عليه السلام وصَّــى بها مَعْقلِ[١] بْنِ قَيْسٍ ٱلرِّياحِيِّ حِينَ أَنْفَذَهُ إِلَى ٱلشّامِ فِي ثَلاثَةِ آلافٍ مُقَدِّمَةً لَهُ[٢]:

ٱتَّقِ ٱللّهَ ٱلَّذِي لا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرِ ٱلْبَرْدَيْنِ[٣]، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ[٤]، وَرَفِّهْ[٥] فِي ٱلسَّيْرِ، وَلا تَسِرْ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقاماً لَا ظَعْناً، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ[٦].

فَإِذا رَفَعْتَ[٧] حِينَ يَنْبَطِحُ[٨] ٱلسَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ ٱلْفَجْرُ، فَسِرْ عَلى بَرَكَةِ ٱللّهِ. وَإِذَا لَقِيتَ ٱلْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحابِكَ وَسَطاً، وَلَا تَدْنُ[٩] مِنَ ٱلْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ[١٠] ٱلْحَرْبَ. وَلَا تَبَاعَدْ مِنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ ٱلْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي. وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ[١١] عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ.

---

(١) في د: لمعقل.
(٢) في أ: لهم.
(٣) في هـ. ب: البردين، يعني الغداة والعشي، وفي هـ. ص: هما الغداة والعشي، وهما الأبردان .
(٤) في ب: الناس، وفي هـ. ب: في نسخة: بالناس، وفي هـ. أ: غوّر بالناس، أي نزل بهم ليغوّروا، أي ليقيلوا، وفي هـ. ب: أي أنزل الناس في سبط النهار، وفي هـ. ص: «وغوّر» أي أنزل في الغائرة، وهي القائلة.
(٥) في هـ. ص: أي يَسِّر، من الرفاهية.
(٦) في هـ. ص: هو الإبل الحمّالة، وكل ما يحمل عليه ويركب يسمىٰ ظهراً.
(٧) في أ و ط ود: وقفت، وفي ب: وافقت، وفي هـ. ص: أي ثقلك ورحلك على الحوامل.
(٨) في ب: ينتطح، وفي هـ. د: حتىٰ ينسلخ ـ حاشية، ينتطح ـ ش.
(٩) في هـ. ب: تذر.
(١٠) في هـ. ب: يتعلق.
(١١) في أ: سبابهم، وفي ص: سبابهم، وفي هـ. ب: سبابكم.

(ك ١/١٢) واجبات قائد الجيش:

سرد الإمام من واجبات قائد الجيش الاسلامي العقائدي ما فيه التاكيد على المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، فلا يمكن للقائد أن يستخدم وسيلة غير اسلامية؛ لأنّ الغاية لا تبرر الواسطة في الاسلام، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وكل حركة من واجبات القائد لابدّ وان تتلائم مع المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي أمر بها القرآن الكريم وطبقها الرسول العظيم في غزواته .

وعن نفس القائد العسكري قال:

١ ـ (اتق الله الذي لابد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه)؛ فإنّ تقوى الله سبحانه هو الدافع الأوّل للحرب العقائدية؛ فإنّ اكرمكم عند الله أتقاكم، وقد ذكر صفتين من صفات الله تعالى الحاكمة في حياة كلّ مسلم، وهما:

أوّلاً: لقاء الله سبحانه في يوم القيامة للحساب في أي انحراف في واجبات القيادة العسكرية في الاسلام.

ثانياً: أن حياة كلّ انسان ينتهي اليه.

وهاتان الصفتان يوجبان تقوى الله في كلّ الحالات.

وعن موقف القائد من العدو قال:

٢ ـ (ولا تقاتلن إلّا من قاتلك) حيث أن من الثوابت الاسلامية عدم البدءة بالقتال؛ فإنّ القتال ليس آخر الحلول في تصحيح المسيرة المنحرفة، فلا يجوز القتال الا مع من يبدأ به .

وعن واجب القائد تجاه الجيش الذي يقوده، قال:

٣ ـ(وسر البردين) اشارة إلى ما يفتقر اليه الجيش من رعاية حاجاته في حالاته، ومنها: الوقت المناسب للسير، وهو بحسب المنطقة العربية: الغداة والعشي، حيث انّه وقت البرودة وخاصة في الصيف، فلا يكون مزيد مشقّة على مشقّة الحرب.

٤ ـ (ولا تسر أول الليل): وذكر لذلك اسبابا، هي:

أوّلاً: (فإن الله جعله سكنا) والجيش يفتقر إلى الراحة والسكون، والليل هو الوقت الطبيعي لذلك.

ثانياً: (وقدره مقاما لا ظعنا) حيث قدر الله سبحانه الليل للاقامة والنهار للظعن، وهو السفر.

ثالثاً: (فأرح فيه بدنك) للاستراحة بالنوم استعداداً للحركة في النهار.

رابعاً: (وروح ظهرك) وترويح الظهر بتتخيف الحمل الذي ينقل على الظهر في النهار.

٥ ـ (فإذا وقفت حين ينبطح السحر، أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله) والانبطاح: انبساط وقت السحر بعد ظهوره، فان عند السحر ثمّ طلوع الفجر يكون الجسم قد اتخذ ما يفتقر اليه من الراحة والاستعداد، فيكون الوقت المناسب للحركة متوكلا على الله.

وعن ساعة الحركة قال:

٦ ـ (فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا) كما عليه تركيبة الجيش من كون موقع قائد الجيش في القلب، يحيط به المقدمة والميسرة والميمنة والمؤخرة.

٧ ـ (ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب) فلا يكون الجيش في موقع استقرار حتى يستفز العدو الى اتخاذ قرار البدءة بالحرب.

٨ ـ (ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس) فلا يكون الجيش في موقع ضعف.

٩ ـ (حتى يأتيك أمري) فعلى كلّ الحالات لا يكون قائد الجيش ذا صلاحية للتصرف في الامور الا بأمر قيادي من الإمام، حيث انّه يرى الاصلح في ظل الحوادث والمحادثات الجانبية من طرق سياسية غير طرق المواجهة العسكرية.

١٠ ـ (ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم) والشنآن: العداوة، فان الهدف من الحرب الاسلامية ليس إلّا الدفاع عن العقيدة والحق والوطن، فلابد من ضبط النفس والدعاء الى الحق ببيان العذر في الاسباب الموجبة للحرب، وبعد أن تكون المواقف واضحة الرؤية يبدأ القتال بعد أن يبدأ العدو به، فيكون على كلّ حال دفاعاً.

وهذه النقاط العشر الاسلامية تميّز الحرب الاسلامية عن غيرها من الحروب المادية، وراجع الكتاب ١٦ أيضا.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« معقل بن قيس، كان من رجال الكوفة وأبطالها، وله رياسة وقدم، أوفده عمار بن ياسر إلى عمر بن

الخطاب مع الهرمزان لفتح تستر [١] وكان من شيعة علي عليه السلام ، وجهه إلى بني ساقة فقتل منهم وسبى ، وحارب المستورد بن علفة الخارجي من تيم الرباب ، فقتل كل واحد منهما صاحبه بدجلة ، وقد ذكرنا خبرهما فيما سبق ، ومعقل بن قيس رياحي من ولد رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم».[٢]

[١٣]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى أَمِيرَيْنِ مِنْ أُمَراءِ جَيْشِهِ:

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُما وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُما مَالِكَ بْنَ ٱلْحَرثِ ٱلْأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا[٣]، وَٱجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً[٤]، فَإِنَّهُ مِمَّنٌ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ[٥] وَلَا سَقْطَتُهُ[٦]، وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا ٱلْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا ٱلْبُطْءِ عَنْهُ أَمْثَلُ[٧].

(ك ١ / ١٣) الانضباط العسكري:

جاء في رواية المنقري (ت /٢١٢) أن المخاطب بهذا الكلام هما زياد بن النضر وشريح بن هاني، وان الإمام سرحهما امامه نحو معاوية من الكوفة في اثني عشر الفا إلى أن التقيا أبا الاعور السلمي فبعثا الى الامام علي: «ان قد لقينا ابا الاعور السلمي بعد الروم في جند من اهل الشام بعد فدعوناهم واصحابه إلى الدخول في طاعتك فأبوا علينا فمرنا بأمرك»، فارسل الإمام الكتاب اليهما (راجع النص في المسند).

وشريح بن هاني بن يزيد بن الحارث الحارثي (ت /٧٨).

وهاني بن يزيد بن نهيك بن دريد المذحجي.

ومالك بن الحارث بن الاشتر النخعي.

---

(١) تستر ، بضم أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه : أعظم مدينة بخوزستان .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ٩٢ ـ ٩٣.
(٣) في ب: وأطيعاه.
(٤) في هـ . ص: هو الترس.
(٥) أي ضعفه.
(٦) أي خطأه.
(٧) قال ابن أبي الحديد: لقد أبلغ أمير المؤمنين في هذا الفصل علىٰ اختصاره من الثناء على الأشتر ما لا يبلغ بالكلام الطويل، ولعمري لقد كان الأشتر أهلاً لذلك، كان جواداً، رئيساً، حليماً، فصيحاً، شاعراً، وكان يجمع بين اللين والعنف، فيسطو في موضع السطو ويرفق في موضع الرفق، انتهىٰ.

وكلهم من كبار اصحاب الإمام، وطبيعيّ أن قرار الإمام بأن يجعل مالكا اميرا عليهما كان لاسباب تتواجد في شخصية مالك وخبرته بالمنطقة التي فيها العدو دونهما، وهما اتصفا بالانضباط العسكري في هذا الأمر القيادي، وقد نضمن الأمر صلاحية واسعة لمالك حيث قال:

(وقد أمرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر) والحيّز: النواحي التي ترافق الدار، فتكون صلاحيته للمنطقة باسرها ومن سكن فيها بما فيهم شريح وهاني.

وتضمن الأمر القيادي النقاط التالية:

١ ـ (فاسمعا له) باعتباره الآمر الجديد للمنطقة.

٢ ـ (وأطيعا) لما يأمر، باعتباره اكثر خبرة بالمنطقة والعدو.

٣ ـ(واجعلاه درعا) وهو ما يلبس للوقاية عن الضرب، وذلك يعني: أن مالكا هو الذي يقي الجيش بقراراته الصائبة.

٤ ـ (ومجنا) والمجن: الترس الذي يستتر به من ضربات السيف؛ فإنّ مالكا اعرف بالخطط التي يستخدمها العدو؛ لاتقاء ضرباته، فهو يستعمل الترس ضده.

فإنّ هذه النقاط الاربع ضرورية في اية قيادة عسكرية تؤدي الى النجاح.

ثمّ أشار إلى صفات شخصية لمالك للتجربة الشخصيّة التي له معه، وسردها مشيراً الى الاسباب الداعية إلى اختياره اميراً، فقال:

أوّلاً: (فإنه ممّن لا يخاف وهنه) وهو الضعف؛ للرؤية الواضحة والشجاعة الباسلة التي يتمتع بها.

ثانياً: (ولا سقطته) وهي العثرة الناجمة عادة من عدم التركيز على الاهداف المطلوبة في ساحة الحرب.

ثالثاً: (ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم)؛ فإنّ التسابق مع الزمن في اتخاذ القرار وتنفيذه في الوقت المناسب امر ضروري في نجاح اية معركة.

رابعاً: (ولا إسراعه إلى ما البطؤ عنه أمثل) أي اشرف واحسن من التسرع؛ لأنّ من اهم ما يطلب في القائد اتخاذ المناسب في الوقت المناسب، وذلك لا يكون إلّا بخبرة سابقة ومعرفة كاملة بمحططات العدو وطريق تفكيره في الحرب، والطرق المعاكسة التي تضمن

فشلها، وحسب تجربة الإمام فان هذا الوعي العسكري كان متواجداً في مالك، ومواقفه الصامدة في مسألة التحكيم وغيرها خير شاهد على ذلك.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[فصل في نسب الأشتر وذكر بعض فضائله]

الشرح : هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمة بن سعد بن مالك ابن النخع بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد . وكان فارسا شجاعا رئيسا من أكابر الشيعة وعظمائها ، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره ، وقال فيه بعد موته : رحم الله مالكا ، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله ! ولما قنت علي عليه السلام على خمسة ولعنهم وهم : معاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلمة ، وبسر بن أرطاة ، قنت معاوية على خمسة ، وهم : علي ، والحسن ، والحسين – عليهم السلام – وعبد الله بن العباس ، والأشتر ، ولعنهم . وقد روي أنه قال لما ولى علي عليه السلام بني العباس على الحجاز واليمن والعراق : فلماذا قتلنا الشيخ بالأمس ! وإن عليا عليه السلام لما بلغته هذه الكلمة أحضره ولاطفه واعتذر إليه وقال له : فهل وليت حسنا أو حسينا أو أحدا من ولد جعفر أخي ، أو عقيلا أو واحدا من ولده ! وإنما وليت ولد عمي العباس ، لأني سمعت العباس يطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله الامارة مرارا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عم إن الامارة إن طلبتها وكلت [١] إليها ، وإن طلبتك أعنت عليها . ورأيت بنيه في أيام عمر وعثمان يجدون في أنفسهم إذ ولى غيرهم من أبناء الطلقاء ولم يول أحدا منهم ، فأحببت أن أصل رحمهم ، وأزيل ما كان في أنفسهم ، وبعد فإن علمت أحدا من أبناء الطلقاء هو خير منهم فأتني به . فخرج الأشتر وقد زال ما في نفسه . وقد روى المحدثون حديثا يدل على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله ، وهي شهادة قاطعة من النبي صلى الله عليه وآله بأنه مؤمن ، روى هذا الحديث أبو عمر بن عبد البر في كتاب "الاستيعاب" في حرف الجيم ، في باب "جندب" قال أبو عمر [٢] ».[٣]

---

(١) وكلت إليها ، أي احتجت إليها وعجزت .

(٢) بسنده عن علي بن المديني ، عن يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر . عن أبيه .

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ٩٨ ـ ٩٩.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:« د ع ب، شريح بن هانئ بن يزيد بن الحارث ابن كعب وقيل شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب واسمه سلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الحارثي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له وبه كنى النبي صلى الله عليه وسلم أباه أبا شريح ولأبيه صحبة، وكان شريح يكنى أبا المقدام روى عن علي وسعد بن أبي وقاص وعائشة وسمع أباه هانئا روى عنه ابناه محمّد والمقدام والشعبي ويونس بن أبي إسحاق وكان من أعيان أصحاب علي وشهد معه حروبه وشهد الحكمين بدومة الجندل وبقى دهرا طويلا وسار إلى سجستان غازيا فقتل بها سنة ثمان وسبعين وكان قد أخذ الكفار على المسلمين الطريق وحفظوا عليهم الدروب التي في الجبال فقتل عامة ذلك الجيش وقال شريح ذلك اليوم:

أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا   قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمت أدركت النبي المنذرا   وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا   والجمع في صفينهم والنهرا
وباخميراوات والمشقرا   هيهات ما أطول هذا عمرا

قيل إنه عاش مائة وعشرين سنة أخرجه الثلاثة».(١)

وقال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:« ب د ع ، هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب واسمه سلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الحارثي وقيل هانئ بن يزيد بن كعب المذحجي الحارثي قاله أبو عمر وغيره وقال ابن منده النخعي والأول أصح وان كان النخع من مذحج ولكن هانئا ليس من النخع انما هو من ولد الحارث بن كعب وهو من مذحج أيضا يكنى أبا شريح بابنه شريح وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناه أبا شريح وانما كانت كنيته أبا الحكم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عبد الوهاب بن علي باسناده عن أبي داود بن الأشعث قال حدثنا الربيع بن نافع عن يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده شريح عن أبيه هانئ انه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فسمعهم يكنونه بابى الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله هو الحكم فلم تكنى أبا الحكم قال لان قومي إذا اختلفوا

(١) أسد الغابة ؛ لابن الأثير ٢ : ٣٩٥ – ٣٩٦.

في شئ أتوني فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحسن هذا فمالك من الولد قال شريح ومسلم وعبد الله قال فمن أكبر قال شريح قال فأنت أبو شريح وأخبرنا يحيى بن محمود باسناده إلى ابن أبي عاصم قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه شريح عن جده هانئ أبى شريح قال قلت يا رسول الله أخبرني بشئ يوجب لي الجنة قال عليك بحسن الكلام وبذل الطعام أخرجه الثلاثة ، ضباب هذا بفتح الضاد».[١]

[١٤]

ومن وَصِيَّةٍ لَهُ ﷺ لِعَسْكَرِهِ قَبْلَ لِقاءِ ٱلْعَدُوِّ بِصِفِّينَ:

لا تُقاتِلُوهُمْ[٢] حَتّى يَبْدَؤُكُمْ، فَإِنَّكُمْ ـ بِحَمْدِ ٱللّهِ ـ عَلى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيّاهُمْ حَتّى يَبْدَؤُكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذا كانَتِ ٱلْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ ٱللّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً[٣]، وَلا تُجْهِزُوا[٤] عَلى جَرِيحٍ، وَلا تَهِيجُوا ٱلنِّساءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَراءَكُمْ؛ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ ٱلْقُوى وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلْعُقُولِ، إِنْ كُنّا لَنُؤْمَرُ[٥] بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكاتٌ، وَإِنْ كانَ ٱلرَّجُلُ لَيَتَناوَلُ ٱلْمَرْأَةَ فِي ٱلْجاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ[٦] أَوِ ٱلْهِرَاوَةِ[٧] فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

(ك ١/١٤) الممنوعات على الجيش:

يشير الإمام إلى طائفة من الأمور التي يجب على الجيش الاسلامي الامتناع منها، والتي بها يفترق الجيش الاسلامي عن الجيش المادي؛ فإنّ الرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية تحتم على افراد الجيش الاسلامي العقائدي من الامتناع

(١) أسد الغابة ؛ لابن الأثير ٥ : ٥٢ – ٥٣.
(٢) في ط: لا تقاتلونهم.
(٣) في هـ . أ : أعور الفارس: إذا بدا فيه موضع خلل للضرب، وفي هـ . ب: العور، من الأعور: الذي لا سلاح له، ظاهر العورة، وفي هـ . ص: بادىء العورة.
(٤) هـ .ص: الإجهاز على الجريح: إتمام قتله، وهذا إذا كان القوم قد انهزموا كلهم ولم يبق لهم ردء، لا إذا كانت الحرب قائمة والردء ثابت فيجوز.
(٥) في هـ . ب: في نسخة: لنؤمن.
(٦) في هـ . ب: بالفهر: أي الحجر، وفي هـ . ص: الحجر ملأ اليد.
(٧) في هـ . ب: العصا.

عن أي نصر تنافي هذه الرؤية الواضحة والمسؤولية الاسلاميّة، ويتضمن هذا المقع منها:

أوّلاً: (لا تقاتلوهم حتّى يبدأوكم)؛ فإنّ البدأ في القتال مرفوض اسلاميا، وقد أكّد الإمام على هذا في كلّ موطن، والروايات في ذلك كثيرة، (يراجع المادة في المعجم) وذكر هنا السبب في هذا التأكيد بقوله: (فإنكم بحمد الله على حجة ، وترككم إياهم حتّى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم) حيث أن الحرب حرب اسلامية عقائدية فلابد فيها من الحجة أو دليل يستند اليه عند الله؛ فإنّ الرؤية الواضحة الموجبة للمشاركة في الحرب بقيادة امام يتواجد فيه مؤهلات القيادة حجة في نفسها، واطاعة اوامره القيادية بعدم البدأة بالقتال حجة اخرى، حيث يكون الحرب حينئذ دفاعاً وليس هجوما.

ثانياً: (فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا)؛ فإنّ النصر على العدو وهزيمته في الحرب لابدّ أن لايوجب غرورا في النفس بالتعدي عن المسؤوليات الملقاة على عاتق المحارب؛ فإنّ المدبر بانهزامه من ساحة المعركة يعترف عمليا بالاستسلام للحكم الاسلامي الغالب.

ثالثاً: (ولا تصيبوا معورا) والعورة: الخلل؛ فإنّ الذي اثرت الحرب في جسمه باحداث علة جسمية فيه، وان لم يكن قاضيا على حياته، فانه سوف ينشغل بنفسه، فلايكون له القدرة على مواصلة الحرب، وكفاه بذلك ندما، فلا يجوز اصابته للقضاء على حياته؛ لكونه معوقاً.

رابعاً: (ولا تجهزوا على جريح) وهو الذي اصابه الجرح في جسمه ولكن لم يمت به، والتجهيز: الاسراع في قتله؛ فإنّه لا يجوز قتله بالاجهاز عليه؛ فإنّ ما ابتلي به من الجرح مانع له من أن مواصلة الحرب لكونه معوقا.

خامساً: (ولا تهيجوا النساء بأذى) والهياج: الاثارة، فان موافقهن ليست مواقف المقالين في ساحة الحرب، وهذا يختلف عن عصرنا حيث أن النساء المحاربات مدربات على القتال في ساحة الحرب، ويشاركن المحاربين جنبا إلى جنب، فيكونان في حالة واحدة، وانما ينطبق ذلك على النساء في المجتمع الاسلامي الذي ليس فيه قانون مشاركة النساء في القتال.

وذكر الإمام حقائق توجب استثناء النساء من اي اذى ، وهي:

الاولى ـ (فإنهن ضعيفات) في المجتمع؛ حيث ليس لديهن القرار في الحرب، واشار

إلى ثلاث جهات من ضعفهن:

أوّلاً: (القوى)؛ فإنّ الطاقة الجسميّة للنساء على الاغلب اضعف من الرجال، ولا يطقن حمل ما يطيقه الرجال من الحمل الثقيل.

ثانياً: (والأنفس)؛ فإنّ الحالة النفيسة الغالبة للمرأة العاطفة، وتتئأثر بها لذكاوتها اكثر ممّا يتأثر به الرجل في ساحة الحرب بحيث يتغلب عليها.

ثالثاً: (والعقول)؛ فإنّ الرؤية الواضحة للنساء للامور التي تستوجب التضحية بالدم، اضيق من الرجال الذين يسترخصون الحياة من اجل الاهداف العليا.

وهذه الخصائص هي الغالبة من المرأد بسبب التربية الاجتماعية التي يسيطر على حياة المرأة في المجتمع، ولا تعم النساء المثاليات اللاتي يتمتعن بدرجة عالية من الوعي الاسلامي وقمن بواجباتهن الاسلامية عن رؤية واضحة ونفوس متنعمة بروح المسؤولية وصبر يعجز عنه عزم الرجال، وكمثال عن عصر الأنبياء امرأة عمران، وفي عصر الرسالة خديجة الكبرى، وفي عصر الامامة زينب الكبرى بطلة كربلاء، وغيرهن في مختلف العصور، عسى أن يقوم بدراسة هذا الجانب من المسلمات الفاضلات من لها القدرة والكفاءة.

أكد الامام على عدم التعرض للنساء بقوله: (وان شتمن اعراضكم وسببن أمراءكم)؛ فإنّ الحرب الطائفية التي يستخدمها العدو هي الشتم والسب، وهذا في نفسه يكشف عن عدم الثقافة الاسلاميّة لهن، فيكون العذر لهن الجهل، كما هو الحال فيما لو صدر مثلها من الاطفال.

الرابعة: (إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنّهنّ لمشركات)؛ فإنّ السيرة النبويّة كانت على الكف عن النساء المشركات، فكيف بالمسلمات؟ فيكون الأمر بالكف عن النساء شاملا للمسلمات بطريق اولى.

الخامسة: (وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعيّر بها وعقبه من بعده) الفهر: الحجر الذي يمسك بالكف، والهراوة: العصا الضخمة؛ فإنّ من العرب الجاهلية من استخدمها ضد المرأة للتاديب فاصبح عارا عليه يعير به هو وعقبه من بعده.

فان هذه الخصائص الاربعة من الضعف من الناحية الجسمية، والعاطفة من الناحية النفسية والسيرة النبوية والحمية العربية كلها توجب استثناء المرأة من العقاب والعتاب

مهما كانت الاسباب.

ملحوظة: كلمة (ان) في قوله: (وان كنا) وقوله: (وان كان الرجل) هي المخففة من المثقلة، فلا تكون عاملة عمل المثقلة، وتتضمن ضمير الشأن المقدر اسماً لها، ويجب في خبرها اللام؛ للتفيق بين المخففة والناصبة.

[١٥]

وَكانَ عليه السلام يَقُولُ إَذا لَقِيَ ٱلْعَدُوَّ مُحارِباً:

ٱللَّهُمَّ أَفْضَتِ ٱلْقُلُوبُ[١]، وَمُدَّتِ ٱلْأَعْناقُ، وَشَخَصَتِ ٱلْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ ٱلْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ[٢] ٱلْأَبْدانُ.

ٱللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ[٣] ٱلشَّنآنِ[٤]، وَجاشَتْ مَراجِلُ ٱلْأَضْغانِ[٥].

ٱللَّهُمَّ إِنّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَتَشَتُّتِ أَهْوَائِنا.

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ[٦] بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفاتِحِينَ﴾[٧].

(١/ك ١٥) دعاء الحرب:

يتضمن هذا المقطع ثلاثة فصول قصيرة من الدعاء في ساحة الحرب الاسلامية تعبّر عن خصائص القائد المسلم وخصائص العدو وخصائص الحرب الاسلامية.

فعن خصائص القائد المسلم في ساحة المعركة أشار بقوله:

(اللهم إليك) وحدك، وليس إلى غيرك، تكون هذه الحرب دفاعاً عن المبادي الاسلامية ودينك الذي بلغه رسولك صلى الله عليه وآله.

وعن حالة القائد والجيش:

١ ـ (أفضت القلوب) والافضاء: الوصول؛ لانها تحركت باوامرك ببيك فاتصلت بما امر الله تعالى به.

---

(١) في غير ص: « اللهم اليك أفضت» . وفي هـ . ب: مالت : سالت وأصابت، وفي هـ . ص: اما بمعنىٰ حقّت وقربت، ومنه إفضاء الرجل إلى المرأة، وإمّا بمعنى أظهرت سرّها.
(٢) في هـ . ص: أي اهزلت، ومنه بعير نضوٌ، أي هزيل.
(٣) في ب وط: مكتوم، وفي هـ . ب: في نسخة: مكنون، وفي هـ . د: مكتوم ـ ب ل.
(٤) صرح القوم بما كانوا يكنّونه من البغض والعداء.
(٥) في هـ . ص: جاش المرجل، أي غلا، والمرجل: القدر، والاضغان جمع ضغن، وهو الحقد.
(٦) في هـ . ص: أي أحكم.
(٧) الأعراف: ٧ / ٨٩.

٢ ـ (ومدت الأعناق) للوصول إلى ما امر الله به أن يوصل.

٣ ـ(وشخصت الأبصار) بالتحليق إلى رضى الله سبحانه.

٤ ـ (ونقلت الأقدام) بالسير على الخطوات التي أمر الله بها.

٥ ـ (وأنضيت الأبدان) والنضو: الهزال بسبب ما تستخلف الحروب من الاهوال.

فإنّ هذه الحالات الخمس للقائد والجيش المسلم الذي يتحرك برؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية لا يكون إلّا امتثالا لامر الله تعالى.

وإلى حقائق جيش العدو أشار بقوله:

أوّلاً: ـ (اللهم قد صرح مكتوم الشنآن) والصرح: الكشف، والشنان: العداء؛ فإنّ العدو بموقفه المعادي والبدأ بالقتال كشف عما يكنه من العداوة .

ثانياً: ـ (وجاشت مراجل الأضغان) والجيش: الغليان، والمرجل: القدر، والضغن: الحقد؛ فإنّ الاحقاد الكامنة قد غليت كما يغلي الماء في القدر على النار، فلم يبق مجالا للمحافظة على المبادي الاسلاميّة سوى الدفاع بالقتال كآخر الحلول.

وإلى خصائص الحرب الاسلاميّة أشار بقوله:

١ ـ (اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا) حيث أن الهدف هو القضاء على دين الله تعالى الذي بلغه الرسول القائد للعباد، وطبقه في حياته في سننه الشريفة.

٢ ـ (وكثرة عدونا)؛ فإنّ الحق دائما قليل الاصحاب، والباطل دائما كثير الاتباع، وعلى هذه الحقيقة كان الانبياء والرسل والعقلاء والصالحون في كلّ امة، وفي كلّ عصر القليل من الناس هم اهل الحق والحقيقة، والمنكرين للحقائق والمهملين للمسؤوليات والهاربين من الواجبات هم الاكثرية، وما اكثر الايات التي تذم الاكثرية نكتفي منها بقوله تعالى:﴿ولكن اكثرهم للحق كارهون).[(١)]

﴿ بل الزهم لا يؤمنون﴾ [(٢)].

﴿ ولكن اثرهم يجهلون﴾.[(٣)]

---

(١) الزخرف: ٧٨.

(٢) البقرة: ١٠٠.

(٣) الانعام: ١١١.

﴿ واكثرهم فاسقون﴾ [١]

﴿ واكثرهم الكافرون) .[٢]

٢ ـ (وتشتت أهوائنا) والهوى: ارادة النفس الانسانية وميولها؛ فإنّ كلّ انسان له هواه الخاص به ويقيس صحة الامور وفسادها بالنسبة إلى هواه الخاص. وقليل من يالخف هواه، قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ؛ فإنّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.[٣] وساحة الحرب ساحة امتحان للهوى، وختم ذلك بقوله تعالى.

٢ ـ ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾.[٤]

حيث انّه ليس الهدف من الحرب الاسلاميّة لوى الدفاع عن الحق.

[١٦]

وَكانَ يَقُولُ ؏ لِأَصْحابِهِ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ:

لاتَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَها كَرَّةٌ[٥]، وَلا جَوْلَةٌ[٦] بَعْدَها حَمْلَةٌ، وَأَعْطُوا ٱلسُّيُوفَ حُقُوقَها، وَوَطِّنُوا[٧] لِلْجُنُوبِ مَصارِعَها[٨]، وَٱذْمُرُوا[٩] أَنفُسَكُمْ عَلَى ٱلطَّعْنِ ٱلدَّعْسِيِّ[١٠]، وَٱلضَّرْبِ ٱلطِّلَحْفِيِّ[١١]، وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ.

(ك ١٦/١) **الكرّ والفرّ:**

يذكر الإمام توجيهات قيادية يفتقر اليها المحاربون في الساحة، فإنّه ليست هناك في

(١) التوبة :٨.
(٢) النحل :٨٣.
(٣) النّازعات : ٤٠.
(٤) الاعراف : ٨٩.
(٥) أي لا يشتد عليكم الضراب إذا عدتم إلىٰ الحرب والهجوم على الأعداء.
(٦) الجولة: الدورة من وجه العدو.
(٧) في ط: ووطئوا، وفي هـ. ب: في نسخة: ووطئوا.
(٨) أي لتكن ضرباتكم للعدو محكمة بحيث لا يحتاج إلىٰ تثنية لصرع جنب المضروب.
(٩) في هـ. ب: جدّوا، من ذمر فيه، وفي هـ. ص: «إذمروا» أمر من ذمرته علىٰ كذا، أي حضضته عليه.
(١٠) في هـ. ب: الدعسي: أي الشديد، وفي هـ. ص: الطعن الدعسي: منسوب إلى الدعس، وهو الحشو، كأنه يحشي به أجواف الأعداء، يقال: دعست الإناء: حشوته.
(١١) في هـ. أ: ضرب طلحف: شديد، وفي هـ. ب: الطلحفي: أي الشديد، وفي هـ. ص: الطلحفي، بمعنىٰ الشديد، بكسر الطاء وفتح اللام، والياء زائدة.

التاريخ حرب ظافرة دائما ولا حرب خاسرة دائما؛ فإنّ الحرب سجال فيها نصر وخسارة، وقتل واسارة، وليس على المحارب عن رؤية واضحة في المبادي والوسائل والاهداف إلّا ان يقوم بواجبه العسكري كما يتطلبه الساحة، ومن هذه التوجيهات قوله:

١ ـ (لا تشتدن عليكم فرّة بعدها كرّة) والفرّة: الفرار من الساحة لتكتيك عسكري حينما يكون العدو فيه القوّة؛ فإنّ هذه الفرّة لا تعتبر فرارا من الزحف في ساحة الحرب؛ لأنّ الرؤية الواضحة في المواقف موجودة وانما اجبر على الفرار بسبب القوة في جانب العدوّ؛ فإنّ هذه الرؤية الواضحة تدعوا إلى الكرّة بعد الفرّة كما هي طبيعة ساحة الحرب.

٢ ـ (ولا جولة بعدها حملة) والجولة: هزيمة قريبة ليست هزيمة تامة؛ فإنّ الهزيمة اذا تعقبتها حملة ضد العدو لا تعتبر هزيمة، بل تكتيكا حربياً مؤقتا .

٣ ـ(وأعطوا السيوف حقوقها) بالضرب القاتل؛ فإنّ مواقف القتال ليس موقف التردد، بل هو موقف عقاب لا يؤخذ فيه رأفة ورحمة.

٤ ـ (ووطئوا للجنوب مصارعها) والجنب: الضلع من اليمن أو اليسار من الجسم، والمصرع: مكان سقوط القتيل في المعركة، والتوطئة: التمهيد لذلك، بأن يكون الضربة قاضية على العدو في المعركة فيقع عاب اثر الضربة صريعا.

٥ ـ (واذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي) الضرب الدعسي: الطعن بشدة، والتذمير: التحقيق على الشئ، وذلك بالتدريب على الطعن القاضي على العدو، طعنا لاحياة بعدها.

٦ ـ (والضرب الطلحفي) وهو الضرب الشديد.

٧ ـ (وأميتوا الأصوات؛ فإنّه أطرد للفشل) واماتة الاصوات بالسكوت والتركيز على الدور المطلوب من المقاتل في ساحة الحرب؛ فإنّ الاصوات قد تؤثر على التركيز فتسبب الفشل، واظن المراد: رفع الشعارات في ساحة الحرب؛ فإنّ رفع الشعارات تكون مشجعة قبل بدء القتال، واما حين القتال فانه يؤثر على التركيز وينتج الفشل.

(٢/ك ١٦) بين الاسلام والاستسلام:

فَوَٱلَّذِي[(١)] فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ ما أَسْلَمُوا، وَلكِنِ ٱسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا ٱلْكُفْرَ، فَلَمّا وَجَدُوا أَعْواناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ!

---

(١) في ط: والّذي.

وختم المقطع مؤكداً بالقسم بأن العدو المحارب انما يحارب المبادي الاسلاميّة، فالحرب حرب عقائدية من جانبهم للقضاء على الاسلام، فقال:

١ ـ (فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة) قسما بالله تعالى خالق النبات والبشر.

٢ ـ (ما أسلموا) ولم يعتقدوا بالاسلام كدين عقيدة وشريعة، وكان اسلامهم في الظاهر اسلام المنافقين.

٣ ـ(ولكن استسلموا) باظهار الاسلام في عام الفتح، حيث لم يجدوا محيصا سوى قبول الاسلام كقوة اثبتت وجودها ولا يمكن مقاومتها، وهذا ليس اسلاما، بل استسلاما للامر الواقع.

٤ ـ (وأسرّوا الكفر) حيث لم يجدوا بداً سوى قبول الاسلام حقنا لدمائهم وأنفسهم من القتل، ثمّ استدل على هذه الحقيقة بقوله:

٥ ـ (فلما وجدوا أعوانا عليه أظهروه)؛ فإنّ الحرب ضد من يدعوا إلى الخلافة والحكم الاسلامي بالشورى لا مبرر له سوى هذه الحقيقة، بانهم استلسموا ولم يسلموا، وفي ذلك اشارة إلى العون الخارجي الذي ساعد العدو في محاربة حكم الاسلام المتمثل بالإمام عليه السلام
.

وهذه النقاط الخمس تؤكد الحقيقة بأن العدو لا يعتقد بالاسلام كدين جاء لتحرير البشرية من العبودية للمادة والماديات، وصالح للتطبيق في الحياة .

[١٧]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى مُعاوِيَةَ جَواباً عَنْ كِتابٍ مِنْهُ إِلَيْهِ:

فَأَمّا(١) طَلَبُك إِلَيَّ ٱلشّامَ، فَإِنّي لَمْ أكُنْ لِأُعْطِيَكَ ٱلْيَوْمَ ما مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمّا(٢) قَوْلُكَ: إِنَّ ٱلْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ ٱلْعَرَبَ إِلّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ(٣) بَقِيَتْ، أَلَا وَمَنْ(٤)

---

(١) في د: وأما.

(٢) عبارة:« قولك أن الحرب ... إلى قوله: فإلى النار» لم ترد في أ، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ف و ن.

(٣) في هـ. ص: جمع حشاشة، وهي بقية الروح في بدن المريض، وروى «حشاشة» بـالأفراد، انتهىٰ.

(٤) في ب: فمن أكله، ولم ترد «ألا» في ب، وفي هـ. ص: ويُروىٰ: «ألا ومَن أكله الحـقّ فـإلى

أَكَلَهُ ٱلْحَقُّ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْبَاطِلُ فَإِلَى ٱلنّارِ.

وَأَمَّا ٱسْتِواؤُنا فِي ٱلْحَرْبِ وَٱلرِّجالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى ٱلشَّكِّ مِنِّي عَلَى ٱلْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ ٱلشّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى ٱلدُّنْيا مِنْ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ عَلَى ٱلآخِرَةِ.

وَأَمّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدَ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ، وَلا أَبُو سُفْيانَ كَأَبِي طالِبٍ، وَلاَ ٱلْمُهاجِرُ كَالطَّلِيقِ[١]، وَلاَ ٱلصَّرِيحُ[٢] كَاللَّصِيقِ[٣]، وَلاَ ٱلْمحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلاَ ٱلْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ[٤]، وَلَبِئْسَ ٱلْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نارِ جَهَنَّمَ.

(١ / ك ١٧) لا مساومة على الدين:

هذا الكتاب رسالة جوابية من الامام على رسالة من معاوية، جاء فيها: (قد كتب سألتك الشام على أن تلزمني لك بيعة وطاعة) ونقلها الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: فكتب معاوية إلى علي عليه السلام مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة ، وكان من نافلة أهل العراق : أما بعد فإنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض ، ولئن كنا قد غلبنا على عقولنا لقد بقى لنا منها ما نندم به على ما مضى ، ونصلح به ما بقى ، وقد كنت سألتك الشام على أن تلزمني لك بيعة وطاعة ، فأبيت ذلك علي ، فأعطاني الله ما منعت ، وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك إليه أمس ، فإني لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو ، ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف ، وقد والله فارقت الاجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ، ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستذل به عزيز ، ولا يسترق به حر ، والسلام .

فلما انتهى كتاب معاوية إلى علي عليه السلام قرأه ، ثم قال : العجب لمعاوية وكتابه ! ودعا

النار»، وهذه الرواية أليَق من الرِّواية المذكورة في أكثر الكُتُب، لأنّ الحق يأكل أهلَ الباطل، ومَن رَوَى تلك الرواية أضمَر مُضافاً تقديرُه «أعداءَ الحق»، ومضافاً آخَر تقديرُه «أعداءَ الباطل». ويجوز أن يكون مَن أكله الحقّ فإلى الجَنّة، أي من أفضَى به الحقّ ونُصرتُه والقيامُ دونَه إلى القتل؛ فإنّ مصيرَه إلى الجنّة، فيسمّي الحقّ لما كانت نُصرتُه كالسبب إلى القَتْل أكْلا لذلك المقتول، وكذلك القولُ في الجانب الآخَر، هذا معنىً ما ذكره، واللّه أعلم.

(١) في هـ. ب: الطليق: ما يطلق من الحبس.

(٢) في هـ. ب: من صرح وظهر أباه.

(٣) في هـ. ب: من لا أب له ظاهراً.

(٤) المدغل: صاحب الدغل، وهو الفساد، والمراد به: المفسد والمنافق.

عبيد بن أبي ب رافع كاتبه ، فقال : أكتب جوابه : أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض ، فإني لو قتلت في ذات الله ، وحييت ، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم أرجع عن الشدة في ذات الله والجهاد لاعداء الله ، وأما قولك : إنه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى ، فإني ما نقصت عقلي ، ولا ندمت على فعلي . وأما طلبك الشام...».(١)

وكان ذلك من الإمام قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة.

ومهما يكن دوافع معاوية في كتابه؛ فإنّ الاقتراح من وجهة نظر الإمام مساومة على الدين وليس سوى اقتراحاً ماديا كما ينظر اليه اصحاب الملك في الدنيا من الامور المادية التي طبيعيّ ان تخضع للمساومة والمفاوضة، فيتربض الطرفان كلّ بما يحب تصرفه من الحكم.

وموقف الإمام الداعي إلى تطبيق حكم الله على الارض كما بشر به النبيّ محمّدﷺ وطبقه بسننه في حياته، لا مساومة فيه على المبادي الاسلامية، ومن ثمّ رفض كلّ المقترحات من المشركين العرب بأن ينصب ملكا للعرب وليس نبياً، وجاهد في تطبيق حكم الله على الارض كما اوحي اليه، والإمام السائر على خطى النبىﷺ لا يمكنه المساومة على هذه المبادئ.

وتضمنت الرسالة الجوابية للإمام النقاط التي ذكرها معاوية في رسالته معلقا عليها بقوله:

أوّلاً: ـ (فأما طلبك إلي الشام، فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس)؛ فإنّ الموقف الاسلامي لتحقيق الحق لا تغيير فيه ولا تبديل، فالمبدأ الثابت هو المبدأ في الماضي والحاضر والمستقبل.

ثانياً: ـ (وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلّا حشاشات أنفس بقيت) مبرراً لاقتراح المساومة على أن يكون الشام لمعاوية والعراق لعلي، فهذا ايضا لا يكون مبرراً للمساومة على المبادئ؛ لأنّ الحرب العقائدية انما تقوم على المبادئ، فمن رفض الحق وحاربه فانه يستحق الجزاء العادل على ذلك، كما يستحق الجزاء العادل من يحامي عن

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١٥ : ١٢٢.

الحق، فقال عليه السلام :(ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة ومن أكله الباطل فإلى النار) كلّ يلقى جزاءه العادل.

ثانياً: ـ (وأما استواؤنا في الحرب والرجال)؛ فإنّ معاوية يشير بذلك أن الاقتراح ليس بسبب ضعف من جانبه فان الجيش ـ حسب زعم معاوية ـ يستوي في القوة في الحرب والرجال مع جيش علي عليه السلام، فليس الافتراح الا حبا للسلم وليس عن ضعف.

وعلق الإمام على ذلك بقوله:

(فلست بأمضى على الشك مني على اليقين)؛ فإنّ التساوي بين الجيشين المتحاربين ليس من جهة المبادئ من جانب الإمام (فهو على اليقين) وله رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي يسير عليها هو واصحابه، واما من جانب معاوية؛ فإنّ الاقتراح في نفسه يكشف عن الشك في الحصول على ما يريد من الحرب بواسطة الحرب، فاقترح المساومة ولو كان واثعا بالظفر في الحرب لما اقترح ذلك، والشك لا يتساوى مع اليقين قط.

وزاد على ذلك مشيرا إلى التباين بين الموقفين في الجيبشين المتحاربين.

فقال: (وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة)؛ فإنّ اهل الشام يحاربون من أجل الدنيا كما يكشف في ذلك اقتراح المساومة، وان اهل العراق يحاربون من أجل رضى الله سبحانه والفوز بالآخرة باحدى الحسنيين، اما النصر أو الشهادة، وهذا هو الفرق بين اليقين والشك في المبادئ والاهدف بين الشعبين!!.

رابعاً: ـ (وأما قولك: إنا بنو عبد مناف) مشيراً إلى أن القرابة في النسب الذي يجتمع في عبد مناف، وانه يوجب التواصل والقناعة بقبول الاقتراح للمساومة.

فعلق الإمام على ذلك بأن الاجتماع في النسب وان صح لكنّه لا يلازم المساومة على المبادي، فان في اعقاب عبد مناف من البيوتات التي تختلف اشد الاختلاف في المواقف والاختلاف في المبادئ التي أظهرها كانت مواقف مشركي العرب ضد نبي الاسلام والهاشميين عامة في حصار شعب ابي طالب، فقال عليه السلام: (فكذلك نحن)؛ فإنّ الاجتماع في عبد مناف امر حقيقي بينه النسب كما هو مشروح في كتب الانساب. ولكن في نفس الوقت الفروق بين البيوتات المنحدرة من الانساب ايضا حقيقة واقعة، أشار إلى موارد في كلّ طبقة منها.

منها ما تفصلها كتب التاريخ، فان على بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.

وقارن بين افراد من النسبين الهاشمي والأموي وخصائص لكل منها بقوله:

١ ـ (ولكن ليس أُميّة كهاشم)؛ فإنّ أُميّة لم يعرف بفضله، وهاشم كان يهشم الثريد للناس.

٢ ـ (ولا حرب كعبد المطلب) وحرب له زعامة مادية، وعبدالمطلب له زعامة روحية.

٣ ـ(ولا أبو سفيان كأبي طالب) وان أبي سفيان حارب النبيّ، واباطالب نصر النبي

وعن صفاتهم المنافقة قال:

٤ ـ (ولا المهاجر كالطليق) والمهاجرين الذين هاجروا هجرة الجبشة من اجل الحفاظ على عقيدتهم من الهاشميين ليسوا كالطلقاء الذين حاربوا النبي وعفا عنهم الرسول في عام الفتح من مشركي مكة وفيهم الامويّون.

٥ ـ (ولا الصريح كاللصيق) والصراحة في النسب: طهارته، واللصيق: الدعي الذي ليس من النسب حقيقة، بل يدعيه.

٦ ـ (ولا المحق كالمبطل)؛ فإنّهما لا يتساويان.

٧ ـ (ولا المؤمن كالمدغل) والدغل: الفساد.

٨ ـ (ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم) فليس يتساوى من يتبع صالحاً يدخل إلى الجنة، كمن يتبع غير صالح يهوي في النار.

فان النقاط الثمان في المقارنة بين ما نزل من بطون عبد مناف من الهاشميين والامويين، والخصائص التي في كلّ واحد منهما سواءاً في توارث للجينات الموراثية فيهم، أو بالعمل الذي قاموا به في حياتهم، فانها تدل بوضوح على الفرق بين البيتين البيت الهاشمي الذي يمثله الإمام علي، والبيت الأموي الذي يمثله معاوية، في الاصول والمبادي والخصائص والاهداف وكفى بكل واحدة منها فارقا.

(٢/ك ١٧) فضل النبوة:

وَفِي أَيْدِينا بَعْدُ فَضْلُ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلَّتِي أَذْلَلْنا بِهَا ٱلْعَزِيزَ، وَنَعَشْنا[١] بِهَا ٱلذَّلِيلَ، وَلَمّا أَدْخَلَ ٱللّٰهُ ٱلْعَرَبَ فِي دِينِه أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هذِهِ ٱلْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي ٱلدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلى حِينِ فازَ[٢] أَهْلُ ٱلسَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ ٱلْمُهاجِرُونَ ٱلْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ، فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلا عَلى نَفْسِكَ سَبِيلاً، وَٱلسّلامُ[٣].

وختم المقطع بالاشارة إلى أن هناك فارق أساسي لا يمكن أن يجمع بين البيتين البيت الهاشمي والبيت الأموي، وهو فضل النبوة التي خصها الله سبحانه للبيت الهاشمي لعبده ورسوله محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، وكفى بهذا الفضل فارقاً فكيف يتساويان، فقال:

(وفي أيدينا بعد فضل النبوة)، ثمّ أشار إلى اثارها في الحياة بقوله:

أوّلاً: ـ(التي أذللنا بها العزيز) الذي يرى العزة في المادة والماديات فقط.

ثانياً: ـ(ونعشنا بها الذليل) والنعش: الرفعة حيث أن بالنبوة اصبحت الطبقة المستضعفة مرتفعين في حالتهم الاجتماعية قبل الاسلام.

وعن موقف الامويين من النبوة قال:

ثالثاً: (ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجا وأسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها كنتم ممّن دخل في الدين إما رغبة وإما رهبة) فلم يكن الاسلام منكم إلّا استسلاما بنزعة مادية للوصول إلى ما تريدون عن طريق قبول الاسلام، كما ظهرت في مواقف الحرب للملك.

واما رهبة وخوفا من القضاء على حياتكم، فيما اذا بقيتم على كفركم.

رابعاً: وعن مواقف الآخرين بالمقارنة إلى مواقف الامويين قال:

(على حين فاز أهل السبق بسبقهم ، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم) فكان السابقون إلى الاسلام امتازوا بفضل السبق، ولم يكون الامويون منهم، كما أن المهاجرين الاولين فازوا بالهجرة إلى الحبشة ولم يكن الامويون منهم، فلا يكون هناك جامع بين البيتين في المواقف سوى الاجتماع في الجد الاعلى .

---

(١) في هـ. ب: أي رفعنا.
(٢) في أ: فات، وفي هـ. ب: في نسخة: فات.
(٣) لم ترد «والسلام» في أ و ص.

خامساً: عن المقارنة بين هذه البيت في المواقف، النابع من الالتزام بالمبادي والاهداف الاسلاميّة يظهر انه لا مساومة في الدين، ويجب الاعتبار منها، فقال: (فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا ، ولا على نفسك سبيلا، والسلام).

فان المساومة في الدين امر مرفوض أساسا في الاسلام، والحرب الاسلاميّة عقائدية للدفاع عن المبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية، لنيل احدى الحسنيين، النصر أو الشهادة.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:[ذكر بعض ما كان بين علي ومعاوية يوم صفين] وذكر نصر بن مزاحم بن بشار العقيلي في كتاب " صفين "أن هذا الكتاب كتبه علي عليه السلام إلى معاوية قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة . قال نصر : أظهر علي عليه السلام أنه مصبح معاوية ومناجز له ، وشاع ذلك من قوله . ففزع أهل الشام لذلك ، وانكسروا لقوله . وكان معاوية بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم مع معاوية مبغضا لمعاوية وأهل الشام ، وله هوى مع أهل العراق ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان يكتب بأخبار معاوية إلى عبد الله بن الطفيل العامري ، وهو مع أهل العراق فيخبر بها عليا عليه السلام ، فلما شاعت كلمة علي عليه السلام وجل لها أهل الشام ، وبعث ابن الضحاك إلى عبد الله بن الطفيل : أنى قائل شعرا أذعر به أهل الشام وأرغم به معاوية ، وكان معاوية لا يتهمه ، وكان له فضل ونجدة ولسان ، فقال ليلا ليستمع أصحابه :

ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدا ... علينا وأنا لا نرى بعده غدا
ويا ليته إن جاءنا بصباحه ... وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعدا
حذار علي إنه غير مخلف ... مدى الدهر ما لب الملبون موعدا
وأما قراري في البلاد فليس لي ... مقام وإن جاوزت جابلق مصعدا
كأني به في الناس كاشف رأسه ... على ظهر خوار الرحالة أجردا
يخوض غمار الموت في مرجحنة[1] ... ينادون في نقع العجاج محمّدا
فوارس بدر والنضير وخيبر ... وأحد يهزون الصفيح المهندا
ويوم حنين جالدوا عن نبيهم ... فريقا من الأحزاب حتى تبددا[2]

(١) المرجحنة : الامر العظيم .
(٢) جالدوا : دافعوا .

هنالك لا تلوي عجوز على ابنها وإن أكثرت من قول : نفسي لك الفدا
فقل لابن حرب ما الذي أنت صانع أتثبت أم ندعوك في الحرب قعددا[١]
فلا رأي إلا تركنا الشام جهرة وإن أبرق الفجفاج فيها وأرعدا[٢]

فلما سمع أهل الشام شعره أتوا به معاوية ، فهم بقتله ، ثم راقب فيه قومه ، فطرده من الشام ، فلحق بمصر وندم معاوية على تسييره إياه . وقال معاوية : لشعر السلمي[٣] أشد على أهل الشام من لقاء علي ، ما له قاتله الله ، لو صار خلف جابلق مصعدا لم يأمن عليا ! ألا تعلمون ما جابلق ؟ يقوله لأهل الشام ، قالوا : لا ، قال : مدينة في أقصى المشرق ليس بعدها شئ . قال نصر : وتناقل الناس كلمة علي عليه السلام : «لأناجزنهم مصبحا» [٤]، فقال الأشتر :

قد دنا الفضل في الصباح وللسلم رجال وللحروب رجال
فرجال الحروب كل خدب مقحم لا تهده الأهوال[٥]
يضرب الفارس المدجج بالسيف إذا فر في الوغا الأكفال
يا بن هند شد الحيازيم للموت ولا تذهبن بك الآمال
إن في الصبح إن بقيت لأمرا تتفادى من هوله الابطال
فيه عز العراق أو ظفر الشام بأهل العراق والزلزال
فاصبروا للطعان بالأسل السمر وضرب تجرى به الأمثال[٦]
إن تكونوا قتلتم النفر البيض وغالت أولئك الآجال[٧]
فلنا مثلهم غداة التلاقي وقليل من مثلهم أبدال

(١) القعدد : الجبان القاعد عن الحرب ، وبعده في صفين :
وظـني بـألا يـصبر القـوم مـوقفا يقفه وإن لم يجر في الدهر للمدى
(٢) الفجفاج : كثير الكلام المتشبع بما ليس عنده .
(٣) في كتاب صفين ؛ لنصر : « لقول السلمي» .
(٤) في كتاب صفين ؛ لنصر : «إني مناجز القوم إن أصبحت» .
(٥) الخدب : الشديد الصلب ، والمقحم ، من قحم في الامر كنصر قحوما ، إذا رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية .
(٦) الأسل : الرماح . والشم : العوالي .
(٧) يقال : غاله غول ، إذا أهلكه .

يخضبون الوشيج طعنا إذا جرت من الموت بينهم أذيال[١]
طلب الفوز في المعاد وفيه تستهان النفوس والأموال

قال : فلما انتهى إلى معاوية شعر الأشتر قال : شعر منكر ، من شاعر منكر ، رأس أهل العراق وعظيمهم ، ومسعر حربهم ، وأول الفتنة وآخرها ، قد رأيت أن أعاود عليا وأساله إقراري على الشام ، فقد كنت كتبت إليه ذلك فلم يجب إليه ، ولأكتبن ثانية ، فألقي في نفسه الشك والرقة . فقال له عمرو بن العاص وضحك : أين أنت يا معاوية من خدعة علي ! قال : ألسنا بني عبد مناف ! قال : بلى ، ولكن لهم النبوة دونك ، وإن شئت أن تكتب فاكتب ، فكتب معاوية إلى علي عليه السلام مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة ، وكان من نافلة أهل العراق : أما بعد فإنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض ، ولئن كنا قد غلبنا على عقولنا لقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ، ونصلح به ما بقي ، وقد كنت سألتك الشام على أن تلزمني لك بيعة وطاعة ، فأبيت ذلك علي ، فأعطاني الله ما منعت ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس ، فإني لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو ، ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف ، وقد والله فارقت الأجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ، ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستذل به عزيز ، ولا يسترق به حر ، والسلام».[٢]

[١٨]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى عَبْدِ ٱللّهِ بْنِ عَبّاسٍ وَهُوَ عامِلُهُ عَلَى ٱلْبَصْرَةِ:

وَٱعْلَمْ[٣] أَنَّ ٱلْبَصْرَةَ مَهْبَطُ[٤] إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ[٥] ٱلْفِتَنِ، فَحادِثْ[٦] أَهْلَها بِالْإِحْسانِ إِلَيْهِمْ، وَٱحْلُلْ عُقْدَةَ ٱلْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

(ك ١٨/١) البصرة:

(١) الوشيج : شجر الرماح .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ١٢٠ ـ ١٢٣.
(٣) في هـ . د: أعلم ـ ن ف م.
(٤) في هـ . ص: موضع هبوطه.
(٥) في هـ . ص: موضع غرسها، ويروىٰ «معرس» بالمهملة، وهو الموضع الذي ينزل فيه القوم من آخر الليل للإستراحة.
(٦) في هـ . ب: في نسخة: فَحَادَثْ، وفي هـ . ص: أي تعهّدهم، من قولك: حادت السيف بالصفا.

الكتاب توجيهٌ شخصيٌ لعبيد الله بن عباس باعتباره موظفا في الادارة التي تحكم باسم الإمام، ويتضمن ثلاثة فصول في وصف البصرة وبني تميم، والمسؤولية المشتركة التي يتحملها كل موظف باعتباره مباشرا لمسؤولية في حكم الامام، والإمام باعتباره القائد الاعلى للحكم الاسلامي الذي يدار باسمه.

وعن البصرة قال:

١ ـ (اعلم أن البصرة مهبط إبليس) حقيقة أو باعتبار أن الجند الذي اغتر بتلبس ابليس نزل في هذه المدينة واتخذها مقراً للمعارضة المسلحة ضد حكم الإمام.

٥٢٥ ـ (ومغرس الفتن)؛ فإنّ فتنة المعارضة المسلحة ابتدأت منها، وهي في الاساس كانت سببا للفتنة الكبرى حيث طمع في الحكم فيها كلّ من طلحة والزبير، فهوى بعض اهلها فيها، ولعله يشير إلى أن العدو الاموي غرس في هذه المدينة أوكاراً للمعارضة تأتمر بامره عند الحاجة.

وعن الاسلوب المفضل في التعامل مع هذه الحالة غير الطبيعة قال:

٣ ـ(فحادث أهلها بالاحسان إليهم)؛ فإنّ الفتنة نار، والنار لا تطفأ بالنار، بل لابدّ من اطفائها بالماء لازالة اثر النار، والاحسان إلى اهل الفتنة يوجب ازالة الفتنة من اصلها أو اثرها.

٤ ـ (واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم)؛ فإنّ العدوان يزرع عقدة الخوف في الناس ويصير ذلك سببا لمتابعتهم العدو ، ويقفوا موقف المعارض للحكم العادل ، فاذا تمكن الحاكم من حل هذه العقدة النفسية يكون متغلبا على العدو، وان لم ينجح في ازالتها رأساً.

وهذه النقاط أساسية في التعامل مع اية طبقة مشبوهة في امرها.

(٢/ ك ١٨) بنو تميم:

وَقَدْ بَلَغَنِيْ تَنَمُّرُكَ[١] لِبَنِي تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلاّ طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ[٢]، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ[٣] فِي جاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنا رَحِماً ماسَّةً،

---

(١) في هـ. ب: تشبهك بالنمر، وفي هـ. ص: أي تخلقك بأخلاق النمر، وهي الأَنَفَة والغضب.

(٢) كناية عن الضعف والقوة.

(٣) في هـ. ب: في نسخة: برغم، وفي هـ. ب: حقد، وفي هـ. ص: الوغم: الترة، أي لم يهدر لهم دم، يصفهم بالشجاعة والحمية.

وَقَرَابَةً خاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلى صِلَتِها، وَمَأْزُورُونَ[١] عَلى قَطِيعَتِها[٢].

ينتهي نسبهم إلى تميم بن مرزاد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولهم بطون كثيرة، وهي من اشهر القبائل العربية التي انتشرت في كلّ انحاء الجزيرة العربية، وكما نقل الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: (ملأت السهل والجبل) وسرد من مآثرهم ما لم يشركهم فيها غيرهم ثلاث خصال: كثرة العدو، والافاضة في الجاهلية، وانهم أشرف بيت في العرب، راجع: شرح نهج البلاغة ١٥: ١٢٦ ـ ١٣٦، ط /١٩٦٢.

وهذه الكثرة العددية في النفوس البشرية كانت في الجهتين المتحاربتين حسب ميول الافراد واتجاهها السياسي، وحيث أن من بني تميم كان من نصر طلحة والزبير في حرب الجمل فاتخذ أبي العباس موقعا معاديا لهم بعد النصر، وقد بلغ النبأ الإمام عليه السلام، فقام بواجبه القيادي في توجيه من يتحمل المسؤولية باسمه فقال:

١ ـ (وقد بلغني تنمرك لبني تميم) والتنمر: الغلظة والتعامل مع الآخر كالنمر الوحشي في الصفات.

٢ ـ (وغلظتك عليهم) بالقول والفعل؛ لمواقفهم في نصر العدو قبل النصر عليه، وهذا النوع من التعامل مع من نصر العدو المخذول مرفوض اسلاميا؛ لأنّه ليس من الاخلاق الاسلاميّة التي تدعوا إلى قبول الاعذار، وخاصة ممّن يقوم بالمسؤولية باسم الإمام، فإنّه يكون ممثلا عنه عليه السلام في الحكم.

ثم أشار الإمام إلى خصائص قبيلة بني تميم بنقاط:

أوّلاً: (وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلّا طلع لهم آخر)؛ فإنّ الكثرة العددية للنفوس عندهم يقتضي ان يكون فيهم الصالح والطالح عدد نجوم السماء، وان انحراف البعض لا يستلزم الانحراف للكل، فاذا غاب احد بسببٍ فانه يطلع آخر في مكانه؛ لكثرة الصالحين فيهم.

ثانياً: (وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام) والوغم: الحقد، وذكر الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:« بفضل خصائصهم؛ ففي الجاهلية فهم اشرف بيت

(١) في هـ . ب: في نسخة: موزورون.
(٢) في هـ . د: قطعها ـ ك.

في العرب الذي سرقته ملوك لخم، وفي الاسلام قال رسول الله لنصر بن سعد من بني تميم:«هذا سيد اهل الوبر».

ثالثاً: (وإن لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة، نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها) وصلة الرحم اصل ثابت في الاسلام، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): قال أبو عبيدة : ولبني عمرو بن تميم خصال تعرفها لهم العرب ولا ينازعهم فيها أحد ، فمنها أكرم الناس عما وعمة ، وجدا وجدة ، وهو هند بن أبي هالة ، واسم أبى هالة نباش بن زرارة أحد بني عمرو بن تميم ، كانت خديجة بنت خويلد قبل النبي ﷺ تحت أبي هالة فولدت له هندا ، ثم تزوجها رسول الله ﷺ وهند بن أبي هالة غلام صغير ، فتبناه النبي ﷺ ، ثم ولدت خديجة من رسول الله ﷺ القاسم والطاهر وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، فكان هند بن أبي هالة أخاهم لأمهم ، ثم أولد هند بن أبي هالة هند بن هند ، فهند الثاني أكرم الناس جدا وجدة ، يعني رسول الله ﷺ وخديجة ، وأكرم الناس عما وعمة – يعني بني النبي ﷺ وبناته».(١)

(٣/ك ١٨) المسؤولية المشتركة:

فَارْبَعْ(٢) أَبَا ٱلْعَبّاسِ ـ رَحِمَكَ ٱللّٰهُ فِيما جَرَى عَلى يَدِكَ وَلِسانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَإِنّا شَرِيكانِ فِي ذٰلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلا يَفِيلَنَّ(٣) رَأْيِي(٤) فِيكَ، وَٱلسَّلامُ.

وختم المقطع بالمسؤولية المشتركة بين الإمام وكل من يمثله من الموظفين في ادارة الحكم والمسؤولية التي يتحملها الموظف انما استمدت من الإمام الذي حمله اياها، فقال:

١ ـ(فأربع أبا العباس رحمك الله) اربع: أي كن على حالتك الطبيعية كما تجلس متربعاً وتوقف على التنمر على من ساعد الاعداء جهلا؛ فإنّ المسؤولية الاسلامية تفرض على الموظف أن يحاسب نفسه في كلّ ما يصدر منه من منطلق المسؤولية، وخص منها بالذكر قائلا:

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ١٣١ ـ ١٣٢.
(٢) في هـ. ب: اسكن، وفي هـ. ص: أي توقف وتثبت في جميع ما تعمده فعلاً.
(٣) في هـ. ب: يضعفن، وفي هـ. ص: فال الرأي: ضعف وأخطأ.
(٤) في أ و ب: رأي.

(فيما جرى على لسانك) من العتب على قام بامر جهلا من دون رؤية واضحة وعزم راسخ.

(ويدك) من العقاب تأديبا لما يصدر من العدو في الشر.

(من خير) يصدر حتّى يثبت انّه خير، وليس لمصلحة مادية أو شخصية أو صداقة.

(وشر) كما صدر من بني تميم من مناصرة العدو.

فان الموظف المسلم مسؤول اسلاميا عن كلّ ذلك للمباشرة بها، وكذلك تقع المسؤولية على من اعطاه الوظيفة ايضا، ولذلك قال:

٢ ـ (فإنا شريكان في ذلك) احدهما بالمباشرة وهو الموظف المسؤول، والثاني بالتسبيب وهو الإمام الذي جعله في هذه الوظيفة.

٣ ـ(وكن عند صالح ظني بك)؛ فإنّ هذا التوجيه ليس انتقاداً على التقصير في اداء الوظيفة عن عمد، بل هو من اجل تصحيح الاخطاء وتلافي نتائجها العكسية قبل فوات الاوان.

(تكلمة).

وتعقيبا لما أشار اليه الإمامعليه السلام من دور بني تميم اذكر نص ما أفاده الاستاذ عمر رضا كحالة حفظه الله على طوله، قال: «فمن بني حنظلة الوهبة وهم بيت الشيخ محمّد بن عبد الوهاب في الرياض، وآل بسام في عنيزة، والقضاة في عنيزة، وآل شبئانة في المجمعه، ووشى وظلم، وجوى، وآل معيوف في جلاجل، وآل منيف في الحوطة، وآل مغامس في الخطامة، وآل عبد الكريم في حرمة والخرشا، وآل جاسر، وآل أبا حسين في الوشم وفي وشيقر، وآل فايز، وآل مسند، وآل عمر في وتيثية، وآل عتيق، وآل مسعد في القصب. ومن الوهبة المعاضيد الذين منهم، آل ثاني أمراء قطر. وأما بنو سعد بن زيد مناة فمنهم العناقر في ثرمدا، وآل معمر في سدوس، وآل أبو عليان، وآل حسن في بريدة. وأما بنو عمر بن تميم، فمنهم المزاريع والنواصر ومن المزاريع آل حماد في الحوطة، وآل مرشد في الحلوة، وآل عون في القديع، وآل حمادهم أكثر تميم الموجودين في نجد عددا، ويقسمون إلى قسمين: آل مرشد، وآل حسين، ومن المزاريع أيضا آل ماضي أهل الروضة، وآل فوزن، وآل فارس، وآل قاسم في الروضة، وآل هويثل في نجد، وآل عطية، وآل عساف في المجمعة، وآل بكر في الرياض، والهلالات في عرقة، وغيرهم

كثير في قرى نجد . ومن النواصر آل مقبل أهل أضرما ، وأهل الداخلة كلهم نواصرة ، وآل حصنان في شقرا ، والحماضا في القصب .) قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص ١٣٣ - ١٣٢) .

تميم بن مر : قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلى تميم بن مر بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان . منازلهم : كانت منازلهم بأرض نجد ، دائرة من هنالك على البصرة واليمامة ، حتى يتصلوا بالبحرين ، وانتشرت إلى العذيب من أرض الكوفة ، ثم تفرقوا في الحواضر ، ولم تبق منهم باقية ، وورث منازلهم الحيان العظيمان بالشرق غزية من طي ، وخفاجة من بني عقيل بن كعب . بطونهم : لتميم بطون كثيرة منهم : الحارث بن تميم ، بنو العنبر ، بنو الهجيج ابن عمرو بن تميم ، بنو أسيد بن عمير ، بنو مالك بن عمرو بن تميم ، بنو عمرو بن العلاء بن عمار بن عدنان بن الحارث ، بنو الحارث بن عمرو بن تميم ، وهم : الحبطات ، بنو امرئ القيس بن زيد مناة ابن تميم ، بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، بنو منقر بن عبيد بن مقاعس ، بنو صريم ابن مقاعس ، بنو عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة ، بنو الحارث الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، بنو مالك ابن سعد بن زيد مناة ، بنو ربيعة بن مالك ابن زيد مناة ، بنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة ، بنو الحارث بن يربوع ، بنو العنبر ابن يربوع ، بنو رياح ، بنو طهية بن مالك ، بنو دارم بن مالك بن حنظلة ، وكان في هذه البطون رؤساء وأمراء . منازلهم : من منازلهم : صلب ، رهبي ، مغنى المثنى ، الحيار ، الدهناء ، الأحساء ، سحنان ، الرمادة ، وبرة ، الحيرة ، سهبى ، فرغ القبة ، فرغ الحفر ، شرف الارطى ، الهراء الشعر ، والصمان . ومن جبالهم : عطالة [١] . ومن أوديتهم : ذو عشر [٢] وكلية . ومن مياههم : حمض [٣] ، دحيضة ، كنهل ، الجفار ، أوارة ، الغريز ، البنيان ، سيحان ، لصاف ، أسن ، طويلع ، المنيفة ، اللهيماء ، برقة منشد ، الفردوس ، عارمة ، عنظوان ، ثكد ، نطاع ، والكلاب . تاريخهم : تمتاز هذه القبيلة بتاريخها الحربي في الجاهلية والاسلام ، فمن وقعاتهم الحربية أن كسرى قد توج هوذة بن علي الحنفي ، وضم

(١) قال ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٦٨٥ : عطالة جبل لبني تميم وقال الخارزنجي : هضبة ما بين اليمامة والبحرين .
(٢) قال الزبيدي في تاج العروس ج ٣ ص ٤٠٤ : ذو عشر، واد بين البصرة ومكة من ديار تميم ثم لبني مازن بن مالك ابن عمرو .
(٣) ماء قرب اليمامة . وفي الصحاح، ج ١ ص ٢٩٨: ماء لبني تميم بنجد .

إليه جيشا من الأساورة ، فأوقع ببني تميم يوم الصفقة ، بسبب عير كسرى التي كان يجريها هوذة بن علي ، فلما سارت ببلاد بني حنظلة ، اقتطعوها برأي صعصعة وناجية جد الفرزدق ، فكتب كسرى إلى المكعبر عامله على هجر ، فاغتالهم وأراهم أنه يعرضهم للعطاء ، ويصطنعهم ، فكان أحدهم يدخل من باب المشقر ، فينزع سلاحه ، ويخرج من الباب الآخر ، فيقتل ، إلى أن فطنوا ، وأصفق الباب على من حصل منهم ، فلذلك سميت الصفقة ، وشفع هوذة في مائة من أساراهم ، فتركوا له ، فكساهم ، وأطلقهم يوم الفصح ، وكان نصرانيا . ولما أوقع كسرى ببني تميم في ذلك اليوم ، فقتل المقاتلة ، وبقيت الأموال والذراري ، بلغ ذلك مذحج ، فخشي بعضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتنموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن ، وأحلافها من قضاعة [1] . ومن أيامهم يوم القصيبة باليمامة ، وهو يوم كان لعمرو بن هند على تميم ، فانتصر عليهم وأحرق منهم . وأغار النعمان بن المنذر على بني تميم ، ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب ، فهزموه . ومن أيامهم مع بكر بن وائل ، يوم ذي احثال ، يوم الهزبر ، يوم الستار ، ويوم الجفار ، يوم خوى ، يوم سفار ، الغطالي وهو آخر وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل في الجاهلية . ومن الحروب التي اشتعلت أوارها بينهما في الاسلام ، يوم الوقيط . ومن الوقعات الحربية التي كانت بينهما وقعة حصلت بينهما في رأس العين [2] . ومن الوقعات الحربية التي اشتعلت نيرانها بين بني تميم وعامر بن صعصعة ، يوم الوتدة [3] يوم نجب ، يوم رحرحان الثاني ، يوم ملزق [4] ، كان لبني تميم على عبس وعامر ، بعد أن قاتلت تميم جميع من أتى بلادها من القبائل ، وهم : إياد ، بلحارث بن كعب ، كلب ، طئ ، بكر ، تغلب ، وأسد ، كانوا يأتونهم حيا ، حيا ، فتقتلهم تميم ، وتنفيهم عن البلد ، وآخر من أتاهم بنو عبس ، وبنو عامر . ومن الوقعات الحربية بين تميم وشيبان ، يوم النباح [5] ، فكان هذا اليوم لتميم على شيبان ، ويم الزويرين كان لشيبان على تميم ، ويوم غبيط المدرة يوم غلبت فيه شيبان . ومن

(١) راجع تفصيل ذلك في الأغاني ج ١٥ ص ٦٩ ـ ٧٢.
(٢) من بلدان الجزيرة، إحدى محافظات الجمهورية السورية .
(٣) ويقال: الوتدات، وليلة الوتدة، والوتدة موضع بنجد، وقيل : بالدهناء .
(٤) وهو أيضا يوم السوبان .
(٥) وهي قرية بالبادية .

الأيام التي كانت بين تميم وحنيفة، يوم ملهم، ووقعة كانت بينهما بخشيبة [١]. ومن الأيام التي كانت بين تميم والحارث ابن كعب، يوم نجران، ولما التقت بنو تميم مع بني الحارث بن كعب، تداعت تميم في المعمعة يا آل كعب فتنادي أهل اليمن يا آل كعب، فتنادوا يا آل الحارث، فتنادي أهل اليمن يا آل الحارث، فتنادوا آل مقاعس، وتميزوا بها من أهل اليمن. ومن الأيام التي كانت بين تميم وغيرها من القبائل، يوم الشعبية، يوم الكلاب الثاني لبني تميم، وبني سعد، والرباب رئيسهم قيس بن عاصم على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفا، رئيسهم زيد بن المأمون، وهم: مذحج، وهمدان، وكندة واشتركت بنو تميم في جبلة، وأخذوا موثقا على كرب بن صفوان، ألا يعلم بهم بني عامر، وقد قتل بنو عامر يوم جبلة ثلاثين غلاما. ومن أيامهم يوم مسلحة، وهو يوم غزافيه قيس بن عاصم، وبنو تميم على بني عجل غيرة بالناج، وثيتل إلى جنب مسلحة. وجرت وقعة حربية في وادي المروت بين تميم وقشير. ووقعة كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر، وكانت لكلاب على بني نمير، فاستغاثت نمير بني تميم، ولجأت إلى مالك بن زيد سيد تميم يومئذ بديار مضر، فمنع تميما من انجادهم، وقال: ما كنا لنلقي بين قيس وخندف دماء نحن عنها أغنياء، وأنتم، وهم لنا أهل وأخوه، فان سعيتم في صلح عاونا، وإن كانت حمالة أعنا، فأما الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها. ومن أيام تميم يوم نجران، وهو يوم للأقرع بن حابس في بني تميم على اليمن، هزمهم، وكانوا أخلاطا. ومن أيام تميم يوم الزخيخ، وهو لتميم على اليمن، ويوم الغطالي، ويوم جهجوه. وبعث النبي ﷺ سنة ٩ هـ عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمر ابن جوير الفزاري، إلى بني تميم بالسقيا، وهي أرض بني تميم، في خمسين فارسا من العرب، فكان يسير الليل، ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء قد حلوا، وسرحوا مواشيهم، فلما رأوا الجميع، ولوا، فأخذ منهم أحد عشر رجلا، ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا.[٢] وقدم على النبي ﷺ سنة ٩ هـ وفد بني تميم، وهم سبعون، أو ثمانون رجلا، منهم: الأقرع بن حابس، الزبرقان بن بدر، عطارد بن حاجب، قيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وانطلق معهم عيينة ابن حصن، فقدموا المدينة، فدخلوا المسجد، فوقفوا عند الحجرات

---

(١) وهي أرض قريبة من اليمامة.
(٢) راجع شرح المواهب للزرقاني.

فنادوا بصوت عال جاف ، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجلس ، فقام الأقرع بن حابس ، فقال : والله ان مدحي لزين ، وان ذمي لشين ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : ذلك الله ، فقالوا : إنا أكرم العرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام ، فقالوا : ائذن لشاعرنا وخطيبنا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس ، وجلس معه الناس .[١] وقال أبو هريرة ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث ، سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهم : سمعته يقول : هم أشد أمتي على الدجال ، قال أبو هريرة . وجاءت صدقاتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هذه صدقات قومنا ، وكانت سبية منهم عند عائشة ، فقال : إعتقيها ، فإنها من ولد إسماعيل .[٢] وقاتل خالد بن الوليد الذين ارتدوا عن الاسلام من بني تميم في البطاح ، وهي ارض في بلادهم . وفي سنة ١٤ هـ أمد عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص ، بثلاثة آلاف تميمي ، حيث كانت تميم من امنع قبائل العرب يومئذ وأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عاصم بن عمرو فقال : يا معشر بني تميم ألستم أصحاب الإبل والخيل ، اما عندكم لهذه القبيلة من حيلة ؟ قالوا : بلى والله ، ثم نادى في رجال من قومه رماة ، وآخرين لهم ثقافة ، فقال لهم : يا معشر الرماة ذبئوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل ، وقال : يا معشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة ، فقطعوا وضنها [٣] وأقبلت سنة ٣٦ هـ وفود البصرة ، نحو علي بن أبي طالب ، حيث نزل بذي قار ، فجاءت وفد تميم وبكر قبل رجوع القعقاع ، لينظروا ما رأى ، وفي السنة ذاتها خرج إلى علي بن أبي طالب اثنا عشر الف رجل ، وهم أسباع قريش ، وكنانة ، وأسد ، وتميم ، والرباب . وقد قتل من تميم يوم الجمل ٥٠٠ نفس .

وحمل زياد إلى معاوية بن أبي سفيان مالا من البصرة ، ففزعت تميم ، والأزد ، وربيعة ، إلى مالك بن مسمع ، وكانت ربيعة مجتمعة عليه ، واجتمع الناس إليه، فلحق بالمال فرده ، وضرب فسطاطا بالمربد ، وأنفق المال في الناس ، ووفاهم عطاءهم . وقد اشتركت بنو تميم في قتل حجر بن عدي ، فقال زياد وهو على المنبر : لتقم همدان ، وتميم ، وهوازن ،

---

(١) وهي قصة طويلة انظرها في الأغاني . طبعة الساسي ج ٤ ص ٧ ـ ٩. وفي صحيح البخاري ج ٣ ص ٥٢ أتى نفر من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا : يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا فرئي ذلك في وجهه فجاء نفر من اليمن فقالوا : اقبلوا قد قبلنا يا رسول الله .

(٢) مرقاة المفاتيح ٥ : ٥١٠.

(٣) راجع تاريخ الطبري ٤ : ١١٨.

وأبناء بغيض ، ومذحج ، وأسد وغطفان ، فليأتوا جبانة كندة ، وليمضوا من ثم إلى حجر فليأتوني به [1] . وتعد تميم من القبائل التي قاتلت الحسين وشيعته ، فجاءت بسبعة عشر رأسا منهم . ثم نجد تميما سنة ٦٥ تحارب مع المهلب بن أبي صفرة عامل عبد الله بن الزبير ، الخوارج . وقد اشتركت تميم في حروب خراسان الداخلية سنة ٦٥ هـ ، فقد أعانوا عبد الله بن خازم ، على من كان بها من ربيعة ، وعلى حرب أوس بن ثعلبة ، حتى قتل منهم ، وظفر . ولما جفا ابن خازم بني تميم اتوا ابنه محمّدا بهراة ، فكتب ابن خازم إلى بكير وشماس ، يأمرهما بمنع بني تميم من دخول هراة [2]، ثم حاصر عبد الله ابن خازم سنة ٦٦من كان بخراسان من رجال بني تميم ، بسبب قتل من قتل منهم . ومن أيامهم بخراسان يوم قصر قر نبي لعبد الله بن خازم على تميم . ثم حاربت تميم سنة ٦٦ هـ في صف المختار ، وبقيادة إبراهيم بن الأشقر ، أهل الشام الذين كانوا بقيادة عبد الله بن زياد . وفي سنة ٦٧ هـ جعل المهلب بن أبي صفرة عامل عبد الله بن الزبير ، الأحنف ابن قيس على خمس تميم في محاربة المختار . ولما قتل عبد الله بن خازم من قتل من بني تميم بفرتنا ، تفرق عنه عظم من كان بقي مع منهم ، فخرج إلى نيسابور ، وخاف بني تميم على ثقله بمرو ، فقال لابنه موسى حول ثقلي عن مرو ، واقطع نهر بلخ . ثم حاربوا مع ابنه موسى بن عبد الله بن خازم سنة ٨٥. ثم نجد تميما سنة ١٠١ هـ تحارب مع ص ٩١ .

عدي بن ارطاة عامل يزيد بن عبد الملك ، يزيد بن المهلب .[3] وحاربت تميم سنة ١٠٢ هـ الترك ، وكان على خيلها شعبة بن ظهير ، فقاتلهم حتى قتل . وقاتلت تميم سنة ١٠٦ مع مسلم بن سعيد ، وعددهم خمسمائة مقاتل . وقاتلت تميم الترك سنة ١١٠ هـ ، فكشفوهم ، وركبهم المسلمون يقتلونهم ، حتى حجزهم الليل ، وتفرق العدو . وحاربت تميم الترك سنة ١١٢ هـ مع الجنيد بن عبد الرحمن ، لما خرج غازيا يريد طخارستان ، فنزل على نهر بلخ ، وصير تميما والأزد في الميمنة . وحاربت تميم سنة ١٢١ ولي عهد صاحب فرغانة بقيادة نصر بن سيار . وقد انضم إلى خازم بن خزيمة بالبصرة ، عدة من بني تميم سنة ١٣٤ هـ ، فشخص خازم إلى عمان ، فأوقع بمن فيها من الخوارج ، وغلب

---

(١) انظر الأغاني ١٦: ٤ ، طبعة الساسي .
(٢) انظر الأغاني ١٦ : ٤، طبعة الساسي.
(٣) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري: ج ٧.

عليها ، وعلى ما قرب منها من البلدان ، وقتل شيبان الخارجي [١]

قال الجلالي: ويستدرك عليه حفظه الله: أن من هذه القبيلة الحر بن يزيد الرياحي ناصر الحسين في يوم عاشوراء، وبعد أن كان مانعا له من دخول كربلاء عام ٦١، وهو الحر بن يزيد بن ناحيه بن فعنب بن عتاب بن هرمي بن حمدي بن ناج بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم المذكور.

وكان من انصار الحسين من بني تميم ايضا.

١ ـ حجاج بن بدر السعدي.

٢ ـ سعد بن حنظلة التميمي.

٣ ـ شبيب بن عبدالله النهشلي.

٤ ـ شعبة بن حنظلة التميمي.

٥ ـ يحيى بن سالم المازني.

٦ ـ ابو عمرو النهشلي

وهؤلاء استشهدوا جميعا في نصرة الحسين، فراجع رجال الطوسي: ٧٥، ط / النجف ١٣٨١هـ

ومن هذه القبيلة أيضا الفرردق الشاعر الذي مدح الإمام السجاد بقصيدته الميمية، والتي مطعلها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفة والحل والحرم

وهو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عفان بن محمّد بن مضى بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم المذكور.

ومن المتأخرين خلق كثير.

وسمعت من شيخنا العلامة ادام الله ايامه: أن شاعر اهل البيت الشيخ كاظم الازري(ت / ١٢١١ هـ) ولم يظبط نسبه، هو من سلالة عشيرة بني تميم، وكان من فطاحل الشعراء، وله الهائية المعروفة بالازرية، ومطلعها:

لمن الشمس في قباب قباها   سقت جسم الدجى بروح ضياها

(١) معجم قبائل العرب ؛ للدكتور عمر كحالة – ج ١ – ص ١٢٥ – ١٣٢.

وهي في الف بيت، وعسى أن يقوم بدراسة انسابهم واحوالهم من يجدفي نفسه القدرة والكفاءة منهم.

ثم ذكر جملة من المصادر المتوفرة، وليس منها المصادر التالية التي يجب أن يستدرك عليها:

١ ـ تاريخ احمد بن اعثم الكوفي (ت/ ٣١٤هـ).

٢١ ـ الغارات؛ لابراهيم بن محمّد الثقفي، طبعة ١٣٥٥ .

٣ ـ تاريخ ابن واضح اليعقوبي (ت/ ٢٨٤ هـ) بتحقيق محمّد صادق بحر العلوم، ط /النجف ١٣٧٧.

٤ ـ انساب الاشراف؛ لاحمد البلاذري (ت /٢٧٩ هـ)، ط / بيروت ١٣٩٤.

٥ ـ شرح نهج البلاغة في عشرين مجلدا؛ لإبن أبي الحديد المعتزلي (ت/ ٦٥٦)، طبعة القاهرة ١٩٦٠م.

ومن المعاصرين مصادر اشهرها: الغدير في الكتاب والسنة والأدب؛ للشيخ عبد الحسين الأميني حفظه الله.

قال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:« ب دع، عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله كنى بأبيه العباس وهو أكبر ولده وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية وهو ابن خالة خالد بن الوليد وكان يسمى البحر لسعة علمه ويسمى حبر الأمة ولد والنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالشعب من مكة فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه بريقه وذلك قبل الهجرة بثلاثة سنين وقيل غير ذلك ورأى جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا إبراهيم بن محمّد ابن مهران الفقيه وغيره قالوا باسنادهم إلى محمّد بن عيسى السلمي قال حدثنا بندار ومحمود بن غيلان قالا حدثنا أبو أحمد عن سفيان عن ليث عن أبي جهنم عن ابن عباس انه رأى جبريل عليه السلام مرتين ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم مرتين قال وحدثنا محمّد بن عيسى قال حدثنا محمّد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم علمه الحكمة أخبرنا أبو ياسر بن أبي حبة وغير واحد اجازة قالوا أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد أخبرنا أبو الحسين بن النقور أخبرنا المخلص حدثنا يحيى بن محمّد

بن صاعد حدثنا يوسف بن محمّد بن سابق حدثنا أبو مالك الجنبي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال نحن أهل البيت شجرة النبوة ومختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة وأهل بيت الرحمة ومعدن العلم أخبرنا أبو محمّد بن أبي القاسم أخبرنا أبى أخبرتنا أم البهاء فاطمة بنت محمّد أخبرنا أبو طاهر الثقفي أخبرنا أبو بكر محمّد بن إبراهيم حدثنا محمّد بن جعفر الزراد حدثنا عبيد الله بن سعد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان عمر كان إذا جاءته الأقضية المعضلة قال لابن عباس انها قد طرت علينا أقضية وعضل فأنت لها ولأمثالها ثم يأخذ بقوله وما كان يدعو لذلك أحدا سواه قال عبيد الله وعمر عمر يعنى في حذقه واجتهاده لله وللمسلمين وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة كان ابن عباس قد فات الناس بخصال بعلم ما سبقه وفقه فيما احتج إليه من رأيه وحلم ونسب وتأويل وما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ولا بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه ولا أفقه في رأى منه ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه ولقد كان يجلس يوما ولا يذكر فيه الا الفقه ويوما التأويل ويوما المغازي ويوما الشعر ويوما أيام العرب ولا رأيت عالما قط جلس إليه الا خضع له وما رأيت سائلا قط سأله الا وجد عنده علما وقال ليث بن أبي سليم قلت لطاوس: لزمت هذا الغلام يعنى ابن عباس وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى رأيت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تدارؤا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس وقال المعتمر بن سليمان بن شعيب ابن درهم قال كان هذا المكان وأومأ إلى مجرى الدموع من خديه من خدي ابن عباس مثل الشراك البالي من كثرة البكاء واستعمله علي بن أبي طالب على البصرة فبقى عليها أميرا ثم فارقها قبل ان يقتل علي بن طالب وعاد إلى الحجاز وشهد مع علي صفين وكان أحد الامراء فيها وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر وعلى ومعاذ بن جبل وأبي ذر روى عنه عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وأبو الطفيل وأبو أمامة بن سهل بن حنيف وأخوه كثير بن عباس وولده علي بن عبد الله ابن عباس ومواليه عكرمة وكريب وأبو معبد نافذ وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وابن أبي مليكة وعمرو بن دينار وعبيد بن عمير وسعيد بن المسيب والقاسم بن محمّد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وسليمان بن يسار وعروة بن

الزبير وعلي بن الحسين وأبو الزبير ومحمّد بن كعب وطاوس ووهب بن منبه وأبو الضحى وخلق كثير غير هؤلاء أخبرنا غير واحد باسنادهم إلى أبى عيسى قال حدثنا أحمد بن موسى حدثنا عبد الله حدثنا الليث وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال الترمذي وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا أبو الوليد حدثنا الليث حدثني قيس بن الحجاج المعنى واحد عن قيس الصنعاني عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام انى أعلمك كلامات احفظ الله يحفظك احفظ الله ؟ جده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف قال محمّد بن سعد أخبرنا محمّد بن عمر الواقدي حدثني الحسين بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة العوفي القاضي عن أبيه عن جده قال لما وقعت الفتنة بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ارتحل عبد الله بن عباس ومحمّد بن الحنفية بأولادهما ونسائهما حتى نزلوا مكة فبعث عبد الله بن الزبير إليهما يبايعان فأبيا وقالا أنت وشأنك لا نعرض لك ولا لغيرك فأبى وألح عليهما الحاحا شديدا فقال لهما فيما يقول لتبايعن أو لأحرقنكم بالنار فبعثا أبا الطفيل إلى شيعتهم بالكوفة وقالا انا لا نأمن هذا الرجل فانتدب أربعة آلاف فدخلوا مكة فكبروا تكبيرة سمعها أهل مكة وابن الزبير فانطلق هاربا حتى دخل دار الندوة ويقال تعلق بأستار الكعبة وقال أنا عائذ بالبيت قال ثم ملنا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابهما وهم في دور قريب من المسجد قد جمع الحطب فأحاط بهم حتى بلغ رؤس الجدر لو أن نارا تقع فيه ما رؤى منهم أحد فأخرناه عن الأبواب وقلنا لابن عباس ذرنا نريح الناس منه فقال لا هذا بلد حرام حرمه الله ما أحله الله عز وجل لأحد الا للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة فامنعونا وأجيرونا قال فتحملوا وان مناديا ينادى في الخيل ما غنمت سرية بعد نبيها ما غنمت هذه السرية ان السرايا تغنم الذهب والفضة وانما غنمتم دماءنا فخرجوا بهم حتى أنزلوهم منى فأقاموا ما شاء الله ثم خرجوا بهم إلى الطائف فمرض عبد الله بن عباس فبينما نحن عنده إذ قال في مرضه انى أموت في خير عصابة على وجه الأرض أحبهم إلى الله وأكرمهم عليه وأقربهم إلى الله زلفى فان مت فيكم فأنت هم فما لبث الا ثماني ليال بعد هذا القول حتى توفى رضي الله عنه فصلى عليه محمّد بن الحنفية فأقبل طائر أبيض فدخل في أكفانه فما

خرج منها حتى دفن معه فلما سوى عليه التراب قال ابن الحنفية مات والله اليوم حبر هذه الأمة وكان له لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وتوفى سنة ثمان وستين بالطائف وهو ابن سبعين سنة وقيل إحدى وسبعين سنة وقيل مات سنة سبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين وهذا القول غريب وكان يصفر لحيته وقيل كان يخضب بالحناء وكان جميلا أبيض طويلا مشربا صفرة جسيما وسيما صبيح الوجه فصيحا وحج بالناس لما حصر عثمان وكان قد عمى في آخر عمره فقال في ذلك:

أن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكى وعقلي غير ذي دخل ... وفى فمي صارم كالسيف مأثور

أخرجه الثلاثة».[1]

[١٩]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى بَعْضِ عُمّالِهِ:

أَمّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهاقِينَ[2] أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً[3]، وَٱحْتِقارًا وَجَفْوَةً[4].

وجه الإمام احد عماله توجيها ادارياً في التعامل مع غير المسلمين من الفرس إمّا في ايران أو البحرين حيث كانت الجالية فيها كبيرة ولا تزال لهم له فى البحرين التاريخية آثار، وخاصة في مسقط وعمان، وفي صنعاء قرية تسمى بقرية الفرس، ومن المواطنين من يرجع إلى اصول فارسية وان لم تتكلم إلّا بالعربية، فهم مسلمون دينا ولغة وحضارة، وكلمة (دهاقين) جمع دهقان، وهي كلمة معربة من اصل فارسي مركب من جزئين هما: (ده) بمعنى القرية، و (گان) بالجيم المعطشة بمعنى العظيم، وحيث ان الكلمة على صيغة الجمع ؛ فإنّ الجالية الفارسية كبيرة في هذا البلد حيث يتعدد فيها الرؤساء للقرار فيها.

وقد قال اليعقوبي: انه كتبها إلى عمر بن سلمة إلارحبي (ت /٨٣) ٢ ـ١٧٩.(راجع المسند).

ويتضمّن المقطع الشكوى وموادها، وينبغي أن يكون لذلك اسباب دعت العامل

---

(١) أسد الغابة ؛ لابن الأثير ٣: ١٩٢ – ١٩٥.

(٢) في هـ. ص: جمع دهقان، بكسر الدال، وهم البناة أرباب الأموال والسواد، وهي لفظة معرّبة، انتهىٰ من الشرح.

(٣) في ب و ص: قسوة وغلظة، وفي هـ. د: قسوة وغلظة ـ ش.

(٤) في هـ. ب: جفاء.

لاستخدامها، ولم يتعرض اليها المقطع، واكتفى بالحل الوسط في معالجة الامور الادارية حتّى لا يوجد سبب لشكوى، وعن الشكوى وموادها قال:

(أما بعد؛ فإنّ دهاقين أهل بلدك شكوا منك) فهم على اقل الفروض ثلاثة فاكثر، والشكاية اما كانت بالانتقاد مباشرة أو بالخطاب والكتاب.

وعن مواد الشكوى قال:

أوّلاً: (غلظة) الخشونة من دون رقة.

ثانياً: (وقسوة) غلظة القلب وعدم الرحم.

ثالثاً: (واحتقارا) الاستهانة بالناس.

رابعاً: (وجفوة) وهي ترك الاستئناس.

وكلّ ذلك قد يكون في الكلام وعدم رعاية الحال والمقام، وطبيعيّ أن يختلف بحسب اختلاف طبائع الافراد من جهة وبحسب اختلاف الاعراف في المجتمعات من جهة اخرى.

وانّ الدهاقين باعتبارهم طبقة راقية من المجتمع قد يتوقعون نوعاً من التعامل القائم على التفضيل الطبيعيّ الذي هو مرفوض اسلاميا، أو يواجهون تعاملا استعلائيا من الحاكم الظافر كما هو الغالب في الحكام على الامم المستضعفة، أو لا يكون هذا ولا ذاك بل يرون أن الاسلوب الجديد في الحكم اسلوبا قاسيا باعتقادهم مع انّه اسلوب طبيعيّ في الحاكم.

وحيث أن ذلك لم يشر اليه في النص فلا محيص أن تكون الشكوى حقيقة عن صفات في العامل غير طبيعيّة منه لغيرهم من الناس .

والاسباب التي أدت إلى هذه المواقف من العامل قد تكون الخشية من الانزلاق إلى عاداتهم وتاثيرهم عليه شخصيا أو على من يرتبط بادارته أواستعلائهم عليه في الفكر والثقافة وما شابه.

وحيث انها لم تنكشف بالضبط تلك الاسباب، أشار الإمام إلى الموقف الحذر كحل وسط للتعامل مع غير المسلمين، فقالعليه السلام:

(٣/ك ١٩) الحل الوسط:

وَنَظَرْتُ[١] فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ[٢]، وَلا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْباباً مِنَ ٱللِّينِ تَشُوبُهُ[٣] بِطَرَفٍ مِنَ ٱلشِّدَّةِ، وَداوِل[٤] لَهُمْ[٥] بَيْنَ ٱلْقَسْوَةِ وَٱلرَّأْفَةِ، وَٱمْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ ٱلتَّقْرِيبِ وَٱلإِدْناءِ، وَٱلْإِبْعادِ وَٱلْإِقْصاءِ، إِنْ شاءَ ٱللّهُ.

١ ـ (ونظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم)؛ فإنّ دنوهم وقربهم الى الادارة الاسلامية يستلزم تأثيرهم عليها بصورة مباشرة، وبذلك يكون للشرك تاثيرا مباشرا أو غير مباشر على ما تقوم به الادارة الجديدة.

٢ ـ (ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم)؛ فإنّ العهد بين الحاكم والمحكوم عقد اجتماعي يجب ان يكون على اساس الثقة المتبادلة في كلّ بنوده، والاقصاء الكامل أو الجفاء الكامل ينافي روح الروح الاسلامية والعقل.

وعن الحل الوسط أشار بقوله:

أوّلاً: (فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة) والجلباب: الثوب: والشوب: الخلط، فيكون التعامل معهم تعاملاً ليس باللين الكامل الذي يوجب تأثيرهم في الادارة الجديدة، ولا بالشدة الكاملة الموجبة للنفرة، بل تعاملا على أساس اداء الواجبات المحددة في وقت محدد، فيكون الحل الوسط بينهما.

ثانياً: (وداول لهم بين القسوة والرأفة) والدولة: الادارة حسب المسؤوليات الواضحة في اسبابها ونتائجها، فالرافة التامة يعد ضعفا يستخدمه القوي، والقسوة التامة تعتبر ظلما ينتصر منه الضعيف، والحل التوسط بينهما.

ثالثاً: (وامزج لهم بين التقريب والإدناء ، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله)؛ فإنّ لكل واحد منها موجب، والادارة الحكيمة هي التي تحددها واسبابها ونتائجها، وباعلان هذا المنهاج للادارة يعرف كل واحد واجباته وحدوده التي اذا تعداها تحمل المسؤولية بنفسه على نفسه، فلا يكون هناك موضع للشكوى.

وهذه النقاط الثلاث تشكل الحجر الاساس للادارة الحكيمة في الحياة.

---

(١) في ب: فنظرت، وفي هـ. د: فنظرت ـ ش.
(٢) أي لأنّهم مشركون باللّه.
(٣) هـ. ب: تخلطه.
(٤) في هـ. ب: دار، وفي هـ. ص أي مرّة كذا ومرّة كذا.
(٥) في هـ. د: بهم ـ ب ف ن م.

[٢٠]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى زِيادِ بن أَبِيهِ، وَ هُوَ خَلِيفَةُ عامِلِهِ عَبْدِ ٱللّهِ بْنِ العَبّاسِ عَلَى ٱلْبَصْرَةِ[١]، وَعَبْدُ ٱللّهِ عامِلُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَوْمَئِذٍ عَلَيْها وَعَلى كُوَرِ[٢] ٱلْأَهْوازِ وَفارِسَ وَكِرْمان:

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللّهِ قَسَماً صادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ[٣] فَيْءِ[٤] ٱلْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لَأَشُدَّنَّ[٥] عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ ٱلْوَفْرِ[٦]، ثَقِيلَ[٧] ٱلظَّهْرِ، ضَئِيلَ[٨] ٱلْأَمْرِ، وَٱلسَّلامُ.

(ك ١/٢٠) جزاء الخيانة:

جاء في تاريخ اليعقوبي (ت /٣٨٤) مانصه:

كتب إلى زياد وكان عامله على فارس: اما بعد؛ فإنّ رسولي اخبرني بعجبٍ، زعم انك قلت له فيما بينك وبينه: أن الاكراد هاجت بك، فكسرت عليك كثيرا من الخراج، وقلت له: لا تعلم بذلك اميرالمؤمنين.

يا زياد أقسم بالله انك لكاذب، ولئن لم تبعث بخراجك لا شدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر، إلّا أن يكون لما كسرت في الخراج محملاً) .[٩]

وهذا النص يظهر الخلفية التاريخية لهذا المقطع؛ فإنّ زيادا اتهم الاقلية الكردية بسرقة الخراج، وربما استخدامها للغرض الخياني المفتعل، فكان موقف الإمام الموقف الحازم المطلوب ضد أي خائن، فقال:

أوّلاً: ـ (وإني أقسم بالله قسما صادقا) فقد اكد القسم بالله خمس مرات حتّى لا يكون

---

(١) من هنا إلىٰ آخر العنوان لم يرد في أ.
(٢) في هـ. ب: الكورة: الولاية.
(٣) في أ: في، وفي هـ. أ: في نسخة: من.
(٤) الفئ الغنيمة أو الخراج.
(٥) في هـ. ب: أي لأحملنّ.
(٦) في هـ. ب و ص: أي المال.
(٧) في هـ. ب: للضرب، وفي هـ. ص: أي بالدّين؛ لأنّه تضطرّ لعدم المال إلىٰ الدّين.
(٨) في هـ. ب: ضعيف، وفي هـ. ص: أي حقير.
(٩) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨، ط /النجف ١٣٥٨، وراجع: المسند.

أدنى شك في تنفيذ حكم الله في الخيانة.

ثانياً: ـ (لئن بلغني أنك خنت من في المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا) ؛ فإنّ التقرير من رجل واحد يحتمل الصدق والكذب والخطأ، فلا يؤخذ به لاول مرة حتّى يعتضد بتقارير اخرى، وان اعلان هذا التقرير لمعرفة الحقيقة أوّلاً ولاعتبار الآخرين بذلك ثانيا.

ثالثاً: ـ (لأشدن عليك شدة تدعك) متأثراً بهذه الشدة، والشدة: الحملة العسكرية، فيكون موقعه موقف المحارب؛ لأنّ الخيانة في فئ المسلمين وحقوقهم خيانة للامانة العامة، وقد قال الله تعالى:﴿لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون﴾.[1]

وإلى نتائج هذه الشدة أشار بقوله:

١ ـ (قليل الوفر) وهو اليسار بكثرة المال، بأن تجبر على رد الفيئ ببيع ما تملك بأي ثمن كان.

٢ ـ (ثقيل الظهر) بالاستقراض لاداء دين الله وحمل وزر الخيانة في الاخرة.

٣ ـ(ضئيل الأمر) والضئيل: الحقير من الشيئ؛ فإنّ الخيانة خزي في الدنيا لصاحبه تسجل كنطقة سوداء في تاريح حياته.

وهذه النقاط الثلاث جزاء عادل لكل خائن بالمسؤولية العامة التي يتحملها، ويجب ان يؤديها بأمانة.

[٢١]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلَيْهِ أَيْضاً:

فَدَعِ ٱلْإِسْرافَ مُقْتَصِداً[2]، وَٱذْكُرْ فِي ٱلْيَوْمِ غَدًا، وَأَمْسِكْ مِنَ ٱلْمالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ ٱلْفَضْلَ لِيَوْمِ حاجَتِكَ[3].

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللّهُ أَجْرَ ٱلْمُتَواضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ[4] فِي ٱلنَّعِيمِ تَمْنَعُهُ[5] ٱلضَّعِيفَ وَٱلْأَرْمَلَةَ[6] أَنْ[7] يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ ٱلْمُتَصَدِّقِينَ،

---

(١) الانفال: ٢٧.
(٢) في هـ. ب: حال.
(٣) أي يوم القيامة.
(٤) في هـ. ب: من تمرّغت الدابة، وفي هـ. ص: أي يتقلّب كما يتمرّغ الحمار في التراب.
(٥) في ط: أن تمنعه، وفي هـ. د: أن تمنعه ـ ح.

وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِما سَلَّفَ(٨)، وَقادِمٌ عَلى ما قَدَّمَ، وَٱلسَّلامُ.

(١/ك ٢١) **تحذير الولاة:**

يشير هذا المقطع إلى تحذيرات من الإمام للوالي لصفات يتصف بها، وهي تناقض المبادي الاسلامية التي يدعوا اليها القرآن الكريم وطبقها الرسول العظيم، فقال:

أوّلاً: ـ (فدع الإسراف مقتصدا)؛ فإنّ الله نهى عن ذلك؛ لان هذه الثابتة الاسلاميّة تقوم على أساس الاقتصاد الاسلامي؛ فإنّ الاسراف تضييع للموارد الطبيعيّة التي يفتقر المجتمع اليها.

قال تعالى:﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا انّه لا يحب المسرفين﴾.(٩)

وقال:﴿ وان المسرفين هم اصحاب النار﴾.(١٠)

ثانياً: (واذكر في اليوم غدا)؛ فإنّ الاسراف في اليوم يؤثر على ما يفتقر اليه الانسان في المستقبل، كما أن تضييع الحقوق بالاسراف في الدنيا يتبع العقاب الذي يستحقه أصحاب النار في الآخرة.

ثالثاً: ـ (وأمسك من المال بقدر ضرورتك) مما تفتقر اليه الإنسان في الحياة، واما الزيادة عما يحتاج اليه الادارة فتكون مسؤولية جديدة، فاذا كانت ضرورية فتكون مما يفتقر اليه والا فلابد وان يصرف فيما ينفع في المستقبل، فقال:

ثالثاً: (وقدم الفضل ليوم حاجتك)؛ فإنّ ما يفضل على ما تفتقر اليه يكون زيادة، وبما انها غير مفتقر اليها تكون مسؤولية جديدة، فيجب استخدامها فيما تفتقر اليه في المستقبل في الحياة.

ثم أشار الى الآثار في الآخرة بقوله:

رابعاً: ـ (أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين؟)؛ فإنّ لتواضع والتكبر صفتان متضدتان لا يمكن اجتماعهما، ومجرد الرجاء لذلك لا يغير واقع الحال، بل العمل هو المقياس .

---

(٦) من توفّي عنها زوجها.
(٧) في ط: وأن.
(٨) في أ و ب و د: سلف، وفي هـ. د: أسلف ـ ض ح ب.
(٩) الأعراف :٣١ .
(١٠) غافر : ٤٣.

خامساً: (وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدفين؟) التمرغ: التقلب في الشئ بأن يكون مستوليا على الانسان؛ فإنّ المتصدق من يدفع الصدقة الى المحتاجين، ولا يكون ذلك بمنع الطبقة الضعيفة التي لا تقوى على النعمة ماديا أو الارملة التي لا زوج يعيلها من النعم الذي تتيسر للوالي، وهو يتقلب فيها ممّا يجلب اليه والحقوق الشرعية أو الهدايا، فان الطمع في ثواب المتصدقين يستلزم العمل من اجل من يفتقر الى الصدقة، ومنها: بذل النعم المتوفرة عند الإنسان الى من يفقدها.

وإلى السبب في كون الرجاء والطمع بالوصف المذكور لا اثر لهما، قال:

(وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدم. والسلام)؛ لأنّ الدنيا مزرعة الآخرة، فما يعمل فيه في الدنيا له الجزاء في الآخرة، وما يقدمه فيها يحصل عليها فيما بعد .

وهذه النقاط الخمس تحدد مسؤولية الولاة وتحذر من الانزلاق إلى ما ينافي المسؤولية الاسلامية في ادارة الحكم الاسلامي العادل في كافة طبقات المجتمع بما فيها طبقة الضعفاء والارامل؛ فإنّ الولاة عادة يتشاغلون عن هذه المسؤوليات مع انها من صميم الاهداف للحكم الاسلامي.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« قلت : قبح الله زيادا ! فإنه كافأ إنعام علي عليه السلام وإحسانه إليه واصطناعه له بما لا حاجه إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته ومحبيه والاسراف في لعنه ، وتهجين أفعاله ، والمبالغة في ذلك بما قد كان معاوية يرضى باليسير منه ، ولم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاوية ، كلا ، بل يفعله بطبعه ، ويعاديه بباطنه وظاهره ، وأبى الله إلا أن يرجع إلى أمه ، ويصحح نسبه ، وكل إناء ينضح بما فيه . ثم جاء ابنه بعد فختم تلك الأعمال السيئة بما ختم ، وإلى الله ترجع الأمور !».(١)

وقال أيضاً ما نصّه:« فأما أول ما ارتفع به زياد فهو استخلاف ابن عباس له على البصرة في خلافه عليّ ع ، وبلغت عليا عنه هنات ، فكتب إليه يلومه ويؤنبه ، فمنها الكتاب الذي ذكر الرضي رحمه الله بعضه ، وقد شرحنا فيما تقدم ما ذكر الرضى منه ، وكان علي عليه السلام أخرج إليه

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ١٣٩.

سعدا مولاه يحثه على حمل مال البصرة إلى الكوفة ، وكان بين سعد وزياد ملاحاة ومنازعة ، وعاد سعد وشكاه إلى علي ع وعابه فكتب علي عليه السلام إليه : أما بعد فإن سعدا ذكر أنك شتمته ظلما ، وهددته وجبهته تجبر تكبرا ، فما دعاك إلى التكبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الكبر رداء الله ، فمن نازع الله رداءه قصمه ، وقد أخبرني أنك تكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد ، وتدهن كل يوم ، فما عليك لو صمت أياما ، وتصدقت ببعض ما عندك محتسبا ، وأكلت طعامك مرارا قفارا ، فإن ذلك شعار الصالحين ! أفتطمع وأنت متمرغ في النعيم ، تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم ، أن يحسب لك أجر المتصدقين ! وأخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار ، وتعمل عمل الخاطئين ، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت ، وعملك أحبطت ، فتب إلى ربك يصلح لك عملك ، واقتصد في أمرك وقدم إلى ربك الفضل ليوم حاجتك ، وأدهن غبا ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : "ادهنوا غبا ولا تدهنوا رفها" . فكتب إليه زياد : أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإن سعدا قدم على فأساء القول والعمل ، فانتهرته وزجرته ، وكان أهلا لأكثر من ذلك . وأما ما ذكرت من الاسراف واتخاذ الألوان من الطعام والنعم ، فإن كان صادقا فأثابه الله ثواب الصالحين ، وأن كان كاذبا فوقاه الله أشد عقوبة الكاذبين . وأما قوله : (إني أصف العدل وأخالفه إلى غيره) ، فإني إذن من الأخسرين . فخذ يا أمير المؤمنين بمقال قلته في مقام قمته ، الدعوى بلا بينه ، كالسهم بلا نصل ، فإن أتاك بشاهدي ، عدل ، وإلا تبين لك كذبه وظلمه».(١)

[٢٢]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلى عَبْدِ ٱللّهِ بْنِ ٱلْعَبّاسِ رضي الله عنه، وَكانَ يَقُولُ عَبْد ٱللّهِ(٢): مَا ٱنْتَفَعْتُ بِكَلامٍ بَعْدَ كَلامِ رَسُولِ ٱللّهِ صلى الله عليه وآله كَانْتِفاعِي بِهذَا ٱلْكَلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ قَدْ(٣) يَسُرُّهُ دَرَكُ ما لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُؤُهُ فَوْتُ ما لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِما نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلى مَا فاتَكَ مِنْها، وَما نِلْتَ مِنْ دُنْياكَ

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٩٦ ـ ١٩٧.
(٢) في أ: إلى ابن عباس وكان ابن عباس يقول، وفي د: وكان يقول ابن عباس.
(٣) لم ترد «قد» في أ و ص.

فَلا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فاتَكَ مِنْها فَلَا تَأْسَ[١] عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ[٢] فِيما بَعْدَ ٱلْمَوْتِ[٣].

(ك ٢٢/١) السرور والحزن:

السرور والحزن حالتان طبيعيتان للانسان حينما يطرأ ما يوجبهما من الاسباب في اعتقاد الانسان، واذا تأمل الإنسان في تلك الاسباب فيراها اسبابا وقتية زائلة وتافهة فيما لو قيست بالنسبة إلى ما هو اهم منها، كالطفل الذي يفرح بما ترغب اليه نفسه ويكره ما ينفعه من الدواء ، والسبب في ذلك ان كلا من السرور والحزن وقتيان، وكذلك يختلف حالات الإنسان فيهما فقد ينقلب الحزن فرحا والفرح حزنا.

والإمام يشير الى أن الله سبحانه قدّر الامور بقضائه وقدره، ويظن الإنسان انّه هو الذي يوجد هذه الامور مع انّه تعالى قدرها على اسباب، فما يمكن منها يكون واسطة في تحققها، وما لم يمكن منها لا يتحقق، وليس للانسان أن يكلف نفسه اكثر ما يطيق، والقضاء الالهي جار سواءً اراد الإنسان ام لا. قال تعالى:﴿مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذٰلِك عَلَىٰ ٱللهِ يَسِيرٌ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.[٤] فاذا كانت الاسباب الموجبة للفرح والحزن وقتية زائلة، فلا يكون الفرح والحزن حقيقيا، وانما الفرح الحقيقي لما يكون خالدا، ولا يكون الشيئ خالدا بعد الموت، فلابد من العمل في سبيل ما يبقى دون ما يفنى، فقال:

١ ـ (أما بعد؛ فإنّ المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته) فهو بادراك الشيئ يظن انّه هو الذي كان سببا في حصوله مع أن حصوله كان مقدراً على اسباب قدر الله ذلك عند سعي الإنسان اليه.

٢ ـ (ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه) حيث يظن انّه هو السبب في فوت ذلك الشيئ مع العلم بأنه لم يمكن ادراك ذلك الشيئ لعدم اجتماع شرائطه وان سعى ما سعى.

٣ ـ(فليكن سرورك بما نلت من آخرتك . وليكن أسفك على ما فاتك منها)؛ لأنّ

---

(١) أي لا تحزن.

(٢) في هـ. ب: همتك.

(٣) في ص زيادة: والسلام، وكتب عليه «نسخة»، قلت: سيأتي معناه بالرقم ٦٦ .

(٤) الحديد : ٢٣ .

الآخرة هي الخالدة الباقية وغيرها زائل.

٤ ـ (وما نلت من دنياك فلا تكثر فيه فرحا)؛ فإنّ الفرح الطبيعي طبيعي، دون الاكثار منه.

٥ ـ (وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا)؛ فإنّ الاسف من فوات شئ طبيعيّ، واما المبالغة فيه فانه يكون جزعاً على فوات امر لا يمكن تغييره.

وهذه الخصائص الثابتة بين الفرح والحزن توجب أن يكثر اهتمام الإنسان بالاسباب الحقيقية التي توجب السرور والحزن الخالد، فقال :(وليكن همك فيما بعد الموت) حيث يخلد الإنسان باعماله فيكون السرور والحزن مخلدا.

[٢٣]

[ومن كَلامٍ لَهُ عليه السلام قالَهُ قبْلَ[١] مَوْتِهِ عَلى سَبِيلِ ٱلْوَصِيَّةِ لَمّا ضَرَبَهُ ٱبْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ ٱللّهُ[٢] يتضمن المقطع الثوابت الاسلاميّة وتذكير الانسان أن الموت حقيقة واقعة.

(ك ١/٢٣) الثوابت الاسلامية:

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللّهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله[٣]، فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هذَيْنِ ٱلْمِصْباحَيْنِ[٤]، وَخَلاكُمْ ذَمٌّ[٥].

ابتدأ المقطع بالوصية على الثوابت الاسلامية التي بها يقوم عماد الاسلام ، وهي:

أوّلاً: (وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئا)؛ فإنّ الشرك على انواعه ـ يؤدي إلى اغلاق باب التفكير في الإنسان ؛ فإنّ التوحيد نتيجة انطلاق الفكر الانساني من قيود العبودية للجهل ومغريات الحياة من المادّة والماديات.

ثانياً: (ومحمّد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سننه)؛ لأنّ سنة الرسول تطبيق لكل المبادي الاسلامية التي جاءت في القرآن الكريم، مبينة لما اجمل منها فيه، ومفسرة لما لم يتضح منها، فلا يمكن الاستغناء عنها في فهم القرآن الذي هو الدستور الاسلامي الخالد.

(١) في أ و ب: قبيل، وفي هـ. ص: في نسخة: قبيل.
(٢) لم ترد «لما ضربه ابن ملجم لعنة الله» في ا، وورد في ب قبل «على سبيل الوصية».
(٣) عطف على «أن لا تشركوا».
(٤) لم ترد «وأوقدوا هذين المصباحين» في أ و ب، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ف ن ل ش.
(٥) في هـ. ا: أي جاوزكم العيب.

وان تضييع السنة النبوية أو تبديلها بما يتصور أنه احسن منها انما يؤدي الى عزل القرآن عن الحياة.

ثالثاً: (أقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم، وأوقدوا هذين المصباحين)؛ فإنّ كلا من القرآن والسنّة عمودان للاسلام لا يقوم إلّا بهما معاً، واقامتها هو العمل بهما في التطبيق على الحياة في الفرد والمجتمع.

واشار الى السبب في كونهما كذلك انهما مصباحين لهداية المجتمع إلى المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، فلا يمكن فهم الاسلام بدونهما؛ فإنّ احدهما يشير إلى المبادي اجمالا والآخر بالتفصيل، والانحراف عنهما ضلال وتضليل .

وختم هذه النقاط الاساسية والوصية بقوله: (وخلاكم ذمّ) أي بعد القيام بذلك تخلون من اي ذم؛ لانكم قمتم بالواجب المفروض عليكم.

(٢/ك ٢٣) ايام الانسان:

أَنَا بِالْأَمْسِ صاحِبُكُمْ، وَٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكمْ، وَغَداً مُفارِقُكُمْ، إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي[(١)]، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[(٢)].

ثم أشار إلى الادوار الثلاثة لأيام الإنسان في الحياة، وخصائص كلّ دور، والمسؤوليات التي ترافقها.

الأوّل: (أنا بالأمس صاحبكم) ومن خصائص ماضي الإنسان في الحياة الصحبة مع الناس، واقربهم الاهل والاولاد الذين يحمل كلّ واحد منهم ذكرى من ايام الماضي، فعلى الانسان أن يؤدي مسؤوليته الصحيحة، ويغتنم الفرصة المتاحة له في هذا المجال.

الثاني:﴿واليوم عبرة لكم) حيث أثرت به ضربة ابن ملجم، وفي حالة كهذه يلزم الاعتبار للاقرباء والاصحاب بالموت الذي ليس منه مفر، وهو يؤدي مسؤوليته في هذا الدور بالوعظ والعبرة.

الثالث: (وغدا مفارقكم) بالموت، وهذه هي خصيصة كلّ حي ولكل من الاقرباء والاصحاب بالنسبة الى المجرم الجاني مسؤولية اسلامية كما هي للإمام المضروب في

---

(١) في هـ. ب: فأنا أولى بدمي.
(٢) النور: ٢٤/٢٢.

العهد بالنسبة الى اليوم الذي سياتي، والى مسؤولية الإمام نفسه أشار بقوله:

(إن أبق فأنا وليّ دمي ، وإن أفن فالفناء ميعادي . وإن أعف فالعفو لي قربة) ويشير ا إلى أن المسؤولية الاسلامية عليه بالنسبة إلى الجاني هي العفو الذي حث القرآن عليه، وقام الرسول بتطبيقه في كل مراحل حياته.

وإلى مسؤولية الاقرباء قال:

(وهو لكم حسنة ، فاعفوا ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾[١])، فإنّ القصاص حق اسلامي لهم ولا يتدخل الامام في حقوقهم، بل يشير الى أن المسؤولية الاسلاميّة تحبّذ العفو، وهو يقوم بدوره الارشادي بان العفو موجب للغفران، والله المستعان.

(٣/ك ٢٣) الموت وحقيقته:

وَٱللّٰهِ ما فَجَأَنِي مِنَ ٱلْمَوْتِ واردٌ كَرِهْتُهُ، وَلا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَما كُنْتُ إِلَّا كَقارِبٍ وَرَدَ[٢]، وَطَالِبٍ وَجَدَ ﴿وَما عِنْدَ ٱللّٰهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ﴾[٣].

قَال الرّضي رَحمه اللّه تعالى: أَقُولُ[٤]:

وَقَدْ مَضى بَعْضُ هذَا ٱلْكَلامِ فِيما تَقَدَّمَ مِنَ ٱلْخُطَبِ[٥]، إِلَّا أَنَّ فِيهِ ها هُنا زِيادَةً أَوْجَبَتْ تَكْرِيرَهُ.

وختم المقطع بالحقيقة التي لا يمكن أن ينكرها احد وان كانت مراتب الناس تختلف في درجة الرؤية اليها في كلّ الحالات ولشر إلى أن رؤيته الشخصيّة رؤية واضحة بطله:

ـ (والله ما فجئني من الموت)؛ فإنّ مع الرؤية الواضحة للموت كحقيقة لا تكون مفاجاءةوصف حالته مع هذه الرؤية الواضحة بقوله:

أوّلاً: (وارد كرهته)؛ فإنّ الموت وارد كما يرد الزائر على المزرور، ومع العلم بأن وروده حاصل لا محالة لا يكون كرهاً له، بل متوقعا لمن له الرؤية الواضحة للخصائص ومنها حقيقة أنّ الموت حقيقة.

ثانياً: (ولا طالع أنكرته) حيث أن الموت ليس شيئاً جديداً، بل هو مشاهد بموت

---

(١) النور: ٢٢.
(٢) في هـ. ب: مقارب من الماء ورد.
(٣) آل عمران: ١٩٨/٣.
(٤) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ، أقول» في ب و ص، والعبارة إلىٰ آخرها. لم ترد في أ.
(٥) تقدم في الخطبة ١٤٩.

الكثيرين ممن يعرفهم الانسان من الاقرباء والاصدقاء والمعارف والاخوان والجيران، فهو طالع معروف غير منكر.

ثالثاً: (وما كنت إلّا كقارب ورد) القارب: طالب الماء في الليل، حيث يحصل على الماء عند الحاجة اليه واجتماع شرائطه وكذلك الموت.

رابعاً: (وطالب وجد)؛ فإنّ علمه فهذا المصير كان طالب للشئ فوجده كما اخبر به على لسان النبيﷺ، وكان طول حياته طالبا للشهادة فوجدها قائلا: (فزت ورب الكعبة).

وختم المقطع بقوله: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ اقتباسا من قوله تعالى:﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِندِ ٱللهِ وَمَا عِندَ ٱللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾.(١)

[٢٤]

ومن وَصِيَّةٍ لَهُ عليه السلام بِما يُعْمَلُ فِي أَمْوالِهِ كَتَبَها بَعْدَ مُنصَرِفِهِ مِنْ صِفِّينَ

وأوصى فيها بما يعمل في أمواله، ويتضمّن الوصية بالوقف الذي أوقفه والوصي والشرط والمال الموصى به من النخيل والاماء.

(ك ١/٢٤) الوقف الذرّي:

تتضمّن هذه الوصية بنوداً خمسة في الهدف من الوصية والوصي له من الذرية والموصى له، والشرط والمال الموصرى من النخيل والاماء، وكلّ ما يملكه الإمام سواها، وكان بنفسه يشرف على النخيل بالحرث والسقي والغرس، ويعيش عليها هو واسرته المتكونه من سبعة وعشرين فرداً ـ على بعض الروايات ـ منهم: الحسن والحسين وزينب من زوجته فاطمة الزهراء، واثنى وعشرين من امهات شتى. وقد وصى بهذه الوصية عند منصرفه من صفين عام ٣٧، حيث كانت نتائج الحرب غير معروفة، وقد عنى الإمام في هذه الوصية ذريته المذكورين عامة من دون تفضيل بين الذرية بالنسبة إلى المال الذي خلفه، فقال:

(ك ٢/٢٤) المادة الاولى: في الهدف من الوصية:

---

(١) آل عمران : ١٩٨ .

هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللّٰهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ فِي مالِهِ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللّٰهِ لِيُولِجَني[١] بِهِ ٱلْجَنَّةَ وَيُعْطِيَنِي[٢] بِهِ ٱلْأَمَنَةَ[٣].

١ ـ (هذا ما أمر به عبد الله علي بن أبي طالب في ماله) فهي وصية شخصية في اموال شخصية اكتسبها بيده، وليس فيها حق من اموال المسلمين التي يرجع امرها إلى بيت المال.

وعن الهدف، قال:

٢ ـ (ابتغاء وجه الله) حيث امر به بقوله تعالى:﴿كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الوصية﴾[٤])، فالوصية فريضة مكتوبة.

٣ ـ(ليولجه به الجنة) والايلاج: الادخال؛ فإنّ هذا الأمر بالوصية هذا يكون سببا للدخول الى الجنة؛ لكونه امتثالا لامرالله تعالى بالوصية.

٤ ـ (ويعطيه به الأمنة) وهي الامن يوم الحساب؛ للقيام بالمسؤولية الواجبة بالنسبة إلى الوصية في الدنيا.

(٣/ك ٢٤) الثانية والثالثة: في الموصى به والوصي:

مِنْها:

فَإِنَّهُ[٥] يَقُومُ بِذلِكَ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ فِي ٱلْمَعْرُوفِ[٦]، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ؛ وَإِنَّ لابنِي[٧] فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ ٱلَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ.

وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ ٱلْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ٱبْنَيْ[٨] فَاطِمَةَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللّٰهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ

---

(١) يولج: أي يدخل، وفي ط: ليولجه، وفي هـ. د: ليولجه به الجنة ـ ح ب.
(٢) في ب: ويعطيني الأمنة، وفي ط: ويعطيه، وفي هـ. د: ويعطيني الأمنة ـ ن ش.
(٣) الأَمَنَة ـ بالتحريك ـ: الأمن.
(٤) البقرة: ٢٠٠.
(٥) في د: وانه.
(٦) في ط: بالمعروف، وفي د: وينفق منه بالمعروف، وفي هـ. د: وينفق منه في المعروف ـ ب، وينفق منه المعروف ـ ح.
(٧) في د: لبني.
(٨) في ب: لا بني، وفي هـ. ب: في نسخة: إلىٰ ابني.

ٱللّهِ ﷺ(١)، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ.

١ ـ (وإنه يقوم بذلك الحسن بن علي) فهو الوصي دون غيره مادام حيا.

٢ ـ (يأكل منه بالمعروف وينفق في المعروف) باعتباره احد الافراد الموصى لهم من الذية يتصرف بالمعروف من الاستهلاك والانفاق، وليس هذا من الصدقة التي للفقراء فإنّها محرمة عليه، بل من الوقف الذي الذي هو صدقة لغة.

٣ ـ(فإن حدث بحسن حدث) وهو القتل في ساحة المعركة بصفين (وحسين حيّ، قام بالأمر بعده وأصدره مصدره) بأن يقوم بمثل ما قام به الحسن.

٤ ـ (وإن لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي) فان الموصى بهم هم ذرية الإمام عامة البالغة عددهم سبعة وعشرون ـ على بعض الروايات ـ من دون فرق بين ابنائه من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وغيرها من الامهات، فكلهم مساو في ذلك وان كان الوصى من اولاد فاطمة خاصة.

وإلى السبب في هذا التفضيل قال:

٥ ـ (وإني إنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة) وهو الحسن، ثمّ الحسين خاصة دون غيرهما من الاولاد للاسباب التالية:

أوّلاً: (ابتغاء وجه الله) حيث طهرهم في اية التطهير، وذلك فضل الله الذي ليس له نظير، ولكونه أقرب اليه. واما كون ذلك رضى لله، حيث طهر اهل البيت وأذهب عنهم الرجس.

ثانياً: (وقربة إلى رسول الله) حبث أن النبيّ كان يحبهما ومن احب امراً احب من احبه تقربا اليه.

ثالثاً: (وتكريما لحرمته)؛ فإنّ من اكرم شخصا اكرم ولده، ففي اكرام الحسنين اكرام لجدهم.

رابعاً: (وتشريفا لوصلته) وهي قرابة النبيّ التي حصلت بالمصاهرة، فإنّها شرف تذكر وتشكر وتقدّر في كلّ الحالات، وخاصة هذه الحالة وهي ساحة الحرب.

وهذه الخصائص توجب تقدمهما على غيرهما فاختارهما وصيين دون غيرهما من الاولاد الذين ليس لهم هذه الخصائص.

---

(١) في أ: إلىٰ رسوله.

(ك ٤/٢٤) **المادة الرابعة: في شرائط الوصية:**

وَيَشْتَرِطُ عَلَى ٱلَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ ٱلْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ[١]، وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ[٢] هَذِهِ ٱلْقُرَى وَدِيَّةً[٣] حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً.

ـ (ويشترط على الذي يجعله إليه) من الاخوين الحسن والحسين بأن يجعل امر الوصية اليه باعتباره المسؤول عن تنفيذها في حياته، وهي امور:

أوّلاً: (أن يترك المال على أصوله) فلا يتصرف بأصول المال بالبيع أو الهبة أو غيرهما من انواع المعاوضات، بل تكون الاصول باقية كما هي من دون تصرف مخل بها.

ثانياً: (وينفق من ثمره حيث أمر به وهدي له) من انواع الانفاق من الاستهلاك والهبة والصدقات الواجبة المامور بها والصدقات المستحبة الذي هدى اليه الاسلام.

ثالثاً: (وأن لا يبيع من أولاد نخل هذه القرى ودية) وهي الفسيلة التي يتولد منها وتنمو النخلة مستقلة، بتوهم أن بيع الفسيل ليس بيعاً للنخل فلا يشمله حكم النخل.

(حتى تشكل أرضها غراسا) بأن تصبح الارض مغروسة بتمامها من النخل بسبب تزايد الفسيل فيها فيشكل على الناظر امرها حيث لا يوجد مكان للانتفاع من الارض بالجلوس ونحوه، فيضطر إلى بيع الفسيل تخلصا منها للحاجة إلى الارض لمنفعة اخرى. وقد عبر الإمام عنها بالقري لاتصال النخيل بعضها بالبعض فتجتمع في المكان الواحد.

(ك ٥/٢٤) **المادة الخامسة ـ في الإماء:**

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِيَ اللَّاتِي[٤] أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حامِلٌ فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ؛ فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا ٱلرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا[٥] ٱلْعِتْقُ.

قَالَ السيّد ٱلرَّضيُّ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى[٦]:

(١) في ص: فهدي له.
(٢) في هـ. د: وأن لا يبيع من نخل ـ م ن ف ع.
(٣) في هـ. ب: الوديّة: الصغيرة من شجر النخل.
(٤) في ب: اللائي.
(٥) في ص: وحرّزها.
(٦) لم ترد «قال السيد الرضي رحمه الله تعالىٰ» في ب و ص و د.

قَوله عليه السلام فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ: «وأَلَّا يَبِيعَ مِنْ نَخْلِهَا وَدِيَّةً»: ، ٱلْوَدِيّةُ[١]: ٱلْفَسِيلَةُ[٢]، وَجَمْعُهَا وُدِيٌّ[٣].

قَوْلُهُ عليه السلام[٤]: «حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً»: هُوَ مِنْ أَفْصَح ٱلْكَلَام، وَٱلْمُرَادُ بِهِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَكْثُرُ فِيهَا غِرَاسُ ٱلنَّخْلِ حَتَّى يَرَاهَا ٱلنَّاظِرُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ ٱلصِّفَةِ ٱلَّتِي عَرَفَهَا بِهَا، فَيُشْكِل عَلَيْهِ أَمْرُهَا وَيَحْسِبُهَا غَيْرَها.

(ومن كان من إمائي) بعد وفاة الإمام (اللاتي أطوف عليهن) كناية عن الغشيان بالجماع دون غيرهن، فالحالات المتصورة كثيرة اهمها ثلاث:

الأوّل: (لها ولد)؛ فإنّ الأمّة ذات الولد لا يجوز بيعها وتنعتق بنفسها بمجرد تملك ابنها لها، فان الولد لا يملك احد العمودين.

الثانية: (أو هي حامل، فتمسك على ولدها وهي من حظه) فهي ليست من الارث فتمسك حتّى تضع الحمل، فتصبح حينئذ أم ولد، فتكون من نصيب الولد، وحيث أن الولد لا يملك احد العمودين من الوالدين فتتحرر الام عليه.

الثالثة: (فإن مات ولدها وهي حية) بعد أن ولد حيا بعد وفاة الإمام.

(فهي عتيقة)؛ لأنّ الام تصبح من نصيب الولد، وبمجرد ذلك تتحرر؛ لأنّ الولد لا يملك احد العمودين كما تقدم في الصورة الثانية.

وعن حالة الام قال:

(قد أفرج عنها الرق وحررها العتق) حيث أن الرق المنتقل بالارث إلى الولد افرج عن الام ما بانعتاقها بسبب ارث الولد اياها المساوق لانعتاق الام.

وبالجملة: فبمجرد أن تنتقل الام ذات الولد بالارث إلى الولد تنعتق في الحالات الثلاث وتفصيل الكلام ليس من المقام، وقد اراحنا الله من هذه البحوث في هذه الايام.

[٢٥]

ومن وَصِيَّةٍ لَهُ عليه السلام كانَ يَكْتُبُها لِمَنْ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى ٱلصَّدَقاتِ[٥].

---

(١) في ب: فإن الودية، وفي هـ.د: فان الودية ـ ش.
(٢) في هـ. ب: الفسيلة: الغرس، صغيرة.
(٣) من قوله: «قال السيد الرضي» إلىٰ هنا لم ترد في أ.
(٤) في د: وقوله.
(٥) من هنا إلىٰ آخر عنوان الكتاب لم يرد في أ.

(ك ٢٥/١) جباية الصدقات:

يتضمّن مسؤولية جباية الصدقات وصفات الجابي ورسالته وحريّة الاختيار للمتصدق وواجبات الوسيط في النقل، وحقوق الحيوانات، والهدف من الجباية.

هذه الخطبة في أدب الجباية للصدقات الواجبة من الزكاة المفروضة اقتصاديّا في الاسلام وسرد الإمام فيها نقاط هامة تميّز نظام الجباية في الاسلام عن غيرها من انواع المكوس والظرائب في الدول، فان الجباية في الاسلام تمثل الدولة ونظامها الاقتصادي القائم على العدل والحرية والرضا بين القائد والقاعدة في عقد اجتماعي كما كانت عليه السيرة النبوية.

وتتضمّن الخطبة التاكيد على المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية في جباية الصدقات بالاشارة إلى صفات الجابي ورسالته وتفويض الاختيار للمزكي والوسيط الحامل للصدقة وواجباته والهدف من الجباية.

قال الشريف:

وَإِنَّما ذَكَرْنا منها[1] جُمَلاً لِيُعْلَمَ بِها أَنَّهُ ﷺ كانَ يُقِيُم عِمادَ ٱلْحَقِّ وَيَشْرَعُ أَمْثِلَةَ ٱلْعَدْلِ فِي صَغِيرِ ٱلْأُمُورِ وَكَبِيرِها وَدَقِيقِها وَجَلِيلِهاً:

وظاهر كلام الشريف (ره) انّه اورد هذه الوصية بجملتها من دون تقطيع لها على خلاف عادته من الانتخاب في مقاطع، ومن أجل ذلك قال:(جملا) اي بجملتها، وذكر السبب في عدوله عن منهجه بقوله:

(ليعلم بها) امورا اربعة، هي:

١ ـ (أنه كان يقيم عماد الحق) بتنفيذ حكم الله سبحانه في استعمال الصدقات الواجبة.

٢ ـ (ويشرع أمثلة العدل) كصفات العامل الذي يمثل الدولة الاسلامية .

٣ ـ(في صغير الأمور وكبيرها) في بيان الاختيار الكامل لمن يعطي الصدقة.

٤ ـ (ودقيقها وجليلها) كواجبات الوسيط لارسال الصدقات وحقوق الحيوانات واولادها.

ومن أجل ذلك لم يتصرف الشريف في الرواية التي اعتمد عليها، وهي تقارب رواية

---

(١) في ط و د: هنا.

الكليني (ت /٣٢٨) في الكافي، في كتاب الزكاة، وما رواه الطوسي (ت / ٤٦٠) عنه في التهذيب (راجع المسند) وعليه تكون كلمة (من) في العنوان زائدة، والله اعلم.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وقد كرر عليه السلام قوله: " لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله " في ثلاثة مواضع من هذا الفصل: الأول قوله: " حتى يوصله إلى وليهم ليقسمه بينهم ". الثاني قوله عليه السلام: " نصيره حيث أمر الله به". الثالث قوله: " لنقسمها على كتاب الله "، والبلاغة لا تقتضي ذلك، ولكني أظنه أحب أن يحتاط، وأن يدفع الظنة [1] عن نفسه، فإن الزمان كان في عهده قد فسد، وساءت ظنون الناس، لا سيما مع ما رآه من عثمان واستئثاره بمال الفئ».[2]

قال الجلالي: وظني ـ والله العالم ـ أن الشريف الرضي لولا أنه اخذ على نفسه في هذه الوصية العدول عن المنهج الذي اختاره في الانتقاء لحذف من المكررات التي أشار اليها الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، واكتفى بواحدة منها، وليست المسألة مسألة احتياط ودفع الظنه عن نفسه، بل تطبيق شريعة الله بالرضا بين القائد والقاعدة في العقد الاجتماعي بينهما كما كانت في عهد الرسول حينما ارسل جابي الصدقات إلى خيبر. (راجع السيرة من موارد الاعتبار)، والله اعلم.

(٢/ك ٢٥) صفات الجابي:

اِنْطَلِقْ عَلى تَقْوَى ٱللّهِ وَحْدَهُ لاشَريكَ لَهُ، وَلا تُرَوِّعَنَّ[3] مُسْلِماً، وَلا تَجْتازَنَّ[4] عَلَيْهِ كارِهاً، وَلا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ ٱللّهِ فِي مالِهِ، فَإِذا قَدِمْتَ عَلَى ٱلْحَيِّ فَانْزِلْ بِمائِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخالِطَ أَبْياتَهُمْ، ثُمَّ ٱمْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَٱلْوَقارِ، حَتّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ، فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ وَلا تُخْدِجْ[5] بِالتَّحِيَّةِ[6] لَهُمْ.

وعن مسؤوليات الجابي للصدقات باعتباره ممثلا للدولة الاسلاميّة قال:

---

(١) الظنة: التهمة.
(٢) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٥: ١٥٢ ـ ١٥٣.
(٣) في هـ. ب: أي لا تخيفنّ، وفي هـ. ص: أي لا تفزعه، ويروىٰ: تروّعن ـ بالتشديد ـ.
(٤) في ص: ولا تجتاز، وفي ب: ولا تجتازن، وفي هـ. ص: ولا تجتازنّ، أي لا تمرّن.
(٥) في هـ. أ: من الاخداج، وهو النقصان، وفي هـ. ب: أي لا تنقص، ومن هذا يقال: «خديجة»؛ لأنّها كانت ضعيفة البدن ولم تكن عظيمة.
(٦) في هـ. ص: بالتحية، الباء زائدة، وروي «تخدج التحية» من غير باء، والإخداج: النقص، انتهىٰ من الشرح.

١ ـ (انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له) فيجب أن يكون الجابي متصفا بصفة التقوى في هذه المهمة، ومن لوازم التقوى:

٢ ـ (ولا تروعن مسلما) بمطالبة الصدقات من منطق القوّة والسلطة والتهديد والوعيد كما هي العادة المتبعة في عمال الدول المادية.

٣ ـ(ولا تجتازن عليه كارها) والاجتياز: الوصول إلى صاحب المال من دون اعلام، فيصح كارها لوصول الجابي اليه.

٤ ـ (ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله) بدعوى مفتعلة للابتزاز من الناس.

٥ ـ (فإذا قدمت على الحي فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم)؛ فإنّ الماء مما ينتفع منه عامة المارة، وفي هذا السلوك تمهيد لعدم الاستيحاش من الجابي.

٦ ـ (ثم امض إليهم بالسكينة والوقار) وليس بالعجلة التي تكشف عن انهم هدف لهذا الجابي.

٧ ـ (حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم) كما هي العادة فلا يشعر احد منهم بالخوف من الجابي.

٨ ـ (ولا تخدج بالتحية لهم) والخدج: النقض، والخديج: ناقص الخلقة، وخدج التحية: أن تكون غير تامة حسب العرف المتبع، كما لو استعجل بالتحية، وطالب اصحاب المال مطالبة استعلاء وقوة.

كما قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ❁؛ فإنّ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱلله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.(١)

والصفات الثمان هذه تميّز الجابي في الدولة الاسلاميّة عن أمثاله في الدول التي تستخدم الجباية من منطق القوة والاستعلاء.

(٣/ك ٢٥) رسالة الجابي:

ثُمَّ تَقُولُ: عِبادَ ٱللّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ ٱللّهِ، وَخَلِيَفَتُهُ، لِآخُذَ مِنكُمْ حَقَّ ٱللّهِ فِي أَمْوالِكُمْ،

(١) النّور: ٢٧ ـ ٢٨.

فَهَلْ لِلّٰهِ فِي أَمْوالِكُم مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلى وَلِيِّهِ.

فَإِنْ قالَ قائِلٌ: لا، فَلَا تُراجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ[١] لَكَ مُنْعِمٌ، فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ[٢]، أَوْ تَعْسِفَهُ[٣] أَوْ تُرْهِقهُ[٤]، فَخُذْ ما أَعْطاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ[٥]، فَإِنْ كانَ لَهُ ماشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلا تَدْخُلْها إِلّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَها لَهُ[٦]، فَإِذا أَتَيْتَها فَلا تَدْخُلْها[٧] دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ[٨]، وَلا عَنِيفٍ بِهِ، وَلا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً، وَلا تُفْزِعَنَّها، وَلا تَسُوءَنَّ صاحِبَها فِيها.

وعن رسالة الجابي قال:

١ ـ (ثم تقول : عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته) فهو يمثل الجهة القانونية تمثيلا شرعيا لتطبيق ما امر الله به، رسولا من الخليفة.

وعن مضمون الرسالة قال:

٢ ـ (لآخذ منكم حق الله في أموالكم) من الزكاة الواجبة على كلّ مسلم.

٣ ـ(فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوة إلى وليه؟) وبهذا السؤال يبتدئ الرسالة للاستفهام عن واقع الحال فقط.

٤ ـ (فإن قال قائل: لا ، فلا تراجعه)؛ فإنّ بهذا الجواب تنتهي المسؤولية الشرعية في الجباية، وليس على الجابي التحقيق مع صاحب المال وكأنّه يقوم بدور التحقيق في المحكمة.

٥ ـ (وإن أنعم لك منعم) بأن قال في الجواب عن السؤال: (نعم)؛ بأنّ عليه صدقة واجبة

---

(١) في هـ. ب: أي ان قال: نعم، وفي هـ. ص: أي قال لك: نعم.

(٢) في أ: وتوعده، وفي هـ. ص: أي تأخذ منه الصدقة عنفاً، وأصله: الأخذ علىٰ غير الطريق، تمت من الشرح.

(٣) في هـ. ا العسف: الأخذ على غير الطريق.

(٤) في هـ. ب: تكره، وفي هـ. ص: أي لا تغشه بمشقة وكلفة.

(٥) في هـ. ص: قال في الشرح: وهذا يدل على أن المصدّق كان يأخذ العين والورق كما يأخذ الماشية، وإن النصاب من العين والورق تدفع زكاته إلىٰ الإمام وامرائه، وفي هذه المسألة اختلاف بين الفقهاء، انتهىٰ من الشرح.

(٦) في هـ. ص: «فإنّ أكثرها له»، قال في شرح ابن أبي الحديد: هذا كلام لا مزيد عليه في الفصاحة والرئاسة والدين؛ وذلك لأن الصدقة المستحقة جزء يسير من النصاب، والشريك إذا كان له الأكثر حرم عليه أن يدخل أو يتصرف إلا بإذن شريكه، فكيف إذا كان له الأقل، انتهىٰ.

(٧) في ص: تدخلنها، وفي ط و د: تدخل عليها، وفي هـ. د: فلا تدخلها ـ ف، وفي هـ. ص: قال ذلك لما كان يعرفه من عادة ولاة السوء فعله.

(٨) في هـ. د: دخول مفسد ـ ف.

عن اختيار وجرية ففي هذه الحالة تكون مرحلة الجباية.

٦ ـ (فانطلق معه) لاخذ الصدقة الواجبة في الحالات التالية:

(من غير أن تخيفه) في ذلك، فيكون خائفا من الدولة الاسلامية، مع أن الدولة الاسلامية لا تقوم إلّا بالتلاحم مع الشعب والتعاطف معه .

(أو توعده)؛ فإنّ الوعيد يوجب عدم ثقته بالحكومة.

(أو تعسفه) والعسف: الاخذ بشدة.

(أو ترهقه) والرهق: التكليف الشاق.

فان اياً من هذه الصفات تضعضع ثقة الشعب بالدولة الاسلاميّة، والدولة التي لا يثق بها الشعب دولة خاسرة آجلا أم عاجلا:

٧ ـ (فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة) فيما اذا وجب فيهما الزكاة بشروطها المشروحة فقهياً من النصاب وغيره.

٨ ـ (فإن كان له ماشية أو إبل) يجب فيهما الزكاة الانعام الثلاثة بشروطها.

٩ ـ (فلا تدخلها إلّا بإذنه ،؛ فإنّ أكثرها له)؛ لأنّ الزكاة نسبة ضئيلة بالنسبة إلى رؤوس الاموال، ولا يجوز شرعا التصرف في مال الغير من دون رضاه.

وعن حالة الاذن قال:

١٠ ـ (فإذا أتيتها) أي الماشية والابل من الانعام الثلاث التي يجب فيها الزكاة.

(فلا تدخل عليها) بالصفات التالية:

أوّلاً: (دخول متسلط عليه) وكأنّ للجابي سلطة على المالك.

ثانياً: (ولا عنف به) والعنف: استعمال القوّة في الخطاب.

ثالثاً: (ولا تنفرن بهيمة) من البهائم بالضرب بالسوط وما شابه.

رابعاً: (ولا تفزعنها) بايجاد الذعر فيها الموجب للنقر عن مواضعها.

خامساً: (ولا تسوءن صاحبها فيها)؛ فإنّ هذه الحالات توجب إساءة صاحبها.

لما بين هذه البهائم واصحابها من صلات لا تقل عن صلة الإنسان بصاحبه، ومن اجل ذلك لا تعتدي هذه البهائم عادة على اصحابها وتستوحش من الغرباء عند اللقاء بها.

($\frac{٤}{ك\ ٢٥}$) حرية الاختيار:

وَٱصْدَعِ[١] ٱلْمالَ صَدْعَيْنِ[٢]، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا ٱخْتارَ فَلا تَعَرَّضَنَّ لِمَا ٱخْتارَهُ، ثُمَّ ٱصْدَعِ ٱلْباقِيَ[٣] صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا ٱخْتارَ[٤] فَلا تَعَرَّضَنَّ لِمَا ٱخْتارَهُ، فَلا تَزالُ كَذلِكَ[٥] حَتّى يَبْقى ما فِيه وَفاءٌ لِحَقِّ ٱللّهِ فِي مالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ ٱللّهِ مِنْهُ.

فَإِنِ ٱسْتَقالَكَ فَأَقِلْهُ[٦]، ثُمَّ ٱخْلِطْهُما[٧].

ثُمَّ ٱصْنَعْ مِثْلَ ٱلَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتّى تَأْخُذَ حَقَّ ٱللّهِ فِي مالِهِ.

وَلا تَأْخُذَنَّ عَوْداً[٨]، وَلا هَرِمَةً[٩]، وَلا مَكْسُورَةً[١٠]، وَلا مَهْلُوسَةً[١١]، وَلا ذاتَ عَوارٍ[١٢].

وعن حرية الاختيار للمالك في مال الجباية قال:

١ ـ (واصدع المال صدعين) والصدع: الشق، وذلك بقسمة المال إلى قسمين.

٢ ـ (ثم خيره) بأن يختار صاحب المال احد الشقين المفضل عنده؛ لأيّ سبب كان.

٣ ـ (فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره) فيكون له ما اختار.

٤ ـ (ثم اصدع الباقي صدعين، ثمّ خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره. فلا تزال كذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله).

٥ ـ (فاقبض حق الله منه) من القسم الذي هو يختاره بحريته واختياره.

٦ ـ (فإن استقالك فأقله) والاقالة: فسخ البيع ندماً، بأن غير رأيه في الاختيار، بأن اعتقد أن القسم الذي اختاره هو القسم الآخر فارضخ لما يراه هو لا انت.

(ثم اخلطهما، ثمّ اصنع مثل الذي صنعت أولا حتّى تأخذ حق الله في ماله)؛ لأنّ واجب

---

(١) في هـ. ب: أي أقسم، والصدع: الشق.
(٢) الصدعين بكسر الصاد: أي وقتين، وفي الديوان: صَدعين، وفي هـ. ص: أي جزءين.
(٣) هـ. د: وأصدع المال ـ ك ح.
(٤) في هـ. ص: أي من أحد الصدعين، وفي هـ. د: «فإذا اختار» ساقطة من ن.
(٥) في أ و ب: بذلك.
(٦) أي طلب منك الاعفاء من هذه القسمة فاعفه.
(٧) لم ترد «ثم اخلطهما» في ط: وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ح.
(٨) في هـ. ص: هو المسنّ من الإبل، وفي هـ. ب: مسنة.
(٩) في هـ. ب: ضعيفة، وفي هـ. ص هي المسنّة.
(١٠) في هـ. ص: أي في أعضائها كسر.
(١١) في هـ. ب: المهلوسة التي لا لحم لها، مهزولة، وفي هـ. ص: أي مريضة.
(١٢) في هـ. ب: أي معيبة، وفي هـ. ص: بفتح العين العيب، وقد جاء بالضم.

الجابي هو تحصيل حق الله تعالى عن رضى من صاحب المال، فإنّه لا يكون رضى الله الا في رضاه.

٧ ـ (ولا تأخذن) لحق الله الطوائف الاتية:

أوّلاً: (عودا) وهو المسن من الابل.

ثانياً: (ولا هرمة) والهرم: اكبر سنا من العود.

ثالثاً: (ولا مكسورة) بالعيب في الاعضاء كالعرج.

رابعاً: (ولا مهلوسة) والهلس: ضعف البدن.

خامساً: (ولا ذات عوار) والعوار: العيب، كالمرض.

فان هذه الاوصاف نريد التخلص منها كلّ مالك، والصدقة حق الله تعالى، ولا يكون الا طيبا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾.[1](القرة ٢٦٧) وقال: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [2]؛ فإن كان لا يرضاه صاحب المال لنفسه فلا يؤخذ لغيره من المسلمين.

(٥/ك ٢٥) صفات الوسيط:

وَلا تَأْمَنَنَّ عليْهَا إلاَ مَنْ تَثِقُ بِدِينِه، رافِقاً بِمالِ ٱلْمُسْلِمِينَ حَتّى يُوَصِّلَهُ إلى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بِيْنَهُمْ، وَلا تُوَكِّلْ بِها إلّا ناصِحاً شَفِيقاً، وَأَمِيناً[3] حَفِيظاً، غَيْرَ مُعَنِّفٍ[4] وَلا مُجْحِفٍ[5]، وَلا مُلْغِبٍ[6] وَلا مُتْعِبٍ.

وفي صفات الوسيط لنقل الصدقات إلى الدولة، قال:

١ ـ (ولا تأمنن عليها إلّا من تثق بدينه)؛ فإنّ حق الله لا يؤتمن عليه إلّا يوثق به من الاهمال والخيانة.

(رافقا بمال المسلمين) فيكون متعاطفا مع المسلمين في نصرة دولة الاسلام.

(حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم) كما يقتضيه الإمامه والاسلام.

---

(١) .

(٢) البقرة: ٢٦٧.

(٣) في أ: أو أمينا.

(٤) في هـ. ب المعنّف: الخشن.

(٥) في هـ. ب: مهلك.

(٦) في هـ. ص: اللغوب: الإعياء، وفي هـ. ب: من اللغوب.

٢ ـ (ولا توكل بها إلا) من تجتمع فيه الصفات التالية:

أوّلاً: (ناصحا) يعين على رفع الضر.

ثانياً: (شفيقا) الشفقة: الحرص على الاصلاح.

ثالثاً: (وأمينا) الامانة: الوثوق.

رابعاً: (حفيظا) الحفظ: الصيانة.

خامساً: (غير معنف) العنف: القسوة.

سادساً: (ولا مجحف) والاجحاف: سوق الابل كثيرا بحيث يوجب هزالها.

سابعاً: (ولا ملغب) الذي يحمل الابل على الاعياء.

ثامناً: (ولا متعب) الذي يؤلم الابل ويزعجها.

فان هذه الصفات تضاد صفة الوثاقة المطلوبة في الوسيط لا يصال الامانة ورعايتها؛ فإنّ من صيانة الامانة رعاية حقوق هذه الحيوانات بما ذكر في الصفات.

(٦/ك ٢٥) حقوق الحيوانات:

ثُمَّ ٱحْدُرْ[١] إِلَيْنا مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ ٱللّٰهُ[٢]، فَإِذَا أَخَذَها أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ[٣] إِلَيْهِ أَنْ لا يَحُولَ بَيْنَ ناقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلها[٤]، وَلا يُمَصِّرَ[٥] لَبَنَها فَيَضُرَّ ذٰلِكَ بِوَلَدِها، وَلا يَجْهَدَنَّها رُكُوباً، وَلْيَعدِلْ بَيْنَ صَواحِباتِها فِي ذٰلِكَ وَبَيْنَها، وَلْيُرَفِّهْ[٦] عَلَى ٱللّاغِبِ[٧]، وَلْيَسْتَأْنِ[٨] بِالنَّقِبِ[٩] وَٱلظّالِعِ[١٠]، وَلْيُورِدْها ما تَمُرُّ بِهِ مِنَ ٱلْغُدُرِ[١١]، وَلا يَعدِلْ بِها عَنْ نَبْتِ

---

(١) أي أسرِع، والمراد: سق إلينا سريعاً، وفي هـ. أ: أي أرسل. وفي هـ. ص: حدرت السفينة وغيرها أحدرها ـ بالضم ـ.

(٢) في د زيادة: به، وفي هـ. د: لم ترد «به» في ض ح ب.

(٣) في هـ. ص: أي قدم واجتهد.

(٤) في ص: ناقة وفصيلها.

(٥) في هـ. أ: المَصْرْ: حلب جميع ما في الضَرع من اللبن، وفي هـ. ص :أي لا يحلب جميع ما في ضرعها.

(٦) في هـ. ص: من الرفاهية، أي ليعفه من الركوب والحمل عليه.

(٧) أي المتعب، واللاغب: ما أعياه التعب.

(٨) في هـ. ب: من التأني، وفي هـ. ص: من الاناءة، وهي المهلة.

(٩) في هـ. أ: نقب البعير: إذا رقّت أخفافه، وبعير نقب: أي دقيق الخفّ، وفي هـ. ب: النقب: الذي فسد خفّه فبقي، وفي هـ. ص: النقب: رقة خف البعير حتىٰ كأن الأرض تجرحه.

(١٠) يقال: ظلع البعير: إذا غمز في مشيه، وفي هـ. ص: الضلع: عرج بشدّة.

(١١) جمع غدير. ما غادره السيل من المياه.

ٱلْأَرْضِ إِلى جَوَادِّ ٱلطُّرُق، وَلْيُرَوِّحْها[١] فِي ٱلسَّاعاتِ، وَلْيُمْهِلْها عِنْدَ ٱلنِّطافِ[٢] وَٱلْأَعْشَابِ، حَتّى تَأْتِينَا ـ بِإِذْنِ ٱللّهِ ـ بُدُناً مُنْقِيَاتٍ[٣]، غَيْرَ مُتْعَباتٍ وَلا مَجْهُودَاتٍ.

وعن واجبات الوسيط بالنسبة إلى حقوق الحيوانات قال:

(ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به) والحدر: الاسراع في الارسال وعدم التاخير، فان قسى التاخير آفات.

(فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه) أن يقوم بواجباته في رعاية حقوق الحيوانات التي ائتمن عليها ، وهي:

١ ـ (ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها) وهو ولد الناقة الرضيع الذي لا يفارق امه.

٢ ـ (ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بوليدها) والمصر: حلب كل ما في الضرع.

٣ ـ(ولا يجهدنها ركوبا) باستخدامها في ركوب الركاب عليها في الطريق فوق ما تتحمل عادة.

٤ ـ (وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها)؛ فإنّ الحيوانات لها صواحب تلتقي بهن كما هو في الانسان.

٥ ـ (وليرفه على اللاغب) الحيوان الذي غلبه الاعياء من المشي.

٦ ـ (وليستأن بالنقب) وهو الابل الذي رقت اخفافه ولا يمكنه المشي إلّا بالرفق.

٧ ـ (والظالع) المنعرج في المشي.

٨ ـ (وليوردها ما تمر به من الغدر) والغدير: مجمع الماء.

٩ ـ (ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطريق) الجواد: جمع الجادة، وهي الطريق المسلوكة كثيرا، فإنّها خالية من العشب عادة.

١٠ ـ (وليروحها في الساعات) باعطاء الفرصة لاستراحتها بين فترة واخرى .

١١ ـ (وليمهلها عند النطاف والأعشاب) والنطفة: الماء القليل للشرب، والعشب: الكلأ الرطب التي تتقوت منها الحيوانات.

---

(١) في هـ. ب: من الراحة.

(٢) في هـ. ب: الماء، وفي هـ. ص: هي المياه، وهو في الأصل: الماء القليل، والمفرد: نطفة.

(٣) اسم فاعل من «انقت الإبل»: إذا سمنت، وأصله: صارت ذات نِقِيٍ، أي مخّ، وفي هـ. ص: ذوات نقيٍ، وهي المخ.

١٢ ـ (حتى تأتينا بإذن الله) وهي تتمتع بالصفات المطلوبة، وهي:

أوّلاً: (بدنا) الحيوان الكثر اللحم، ضد الهزال.

ثانياً: (منقيات) والانفية: السمينة.

ثالثاً: (غير متعبات) بسبب كثرة المشي.

رابعاً: (ولا مجهودات) بسبب كثرة الحمل.

فان هذه النقاط الاثنى عشر من حقوق الحيوانات، والصفات المطلوبة فيها عند الناس، فيكون كذلك عند الله.

(٧/ك ٢٥) هدف الجباية:

لِنَقْسِمَها عَلى كِتابِ ٱللّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنَّ ذلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شاءَ ٱللّهُ.

وذكّر بالهدف الاصلي من هذه الجباية بقوله:

أوّلاً: (لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيهﷺ)، قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱلله وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ ٱلله وَٱلله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[١]

وختم الخطبة بقوله: (فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله)؛ لأنّه هذا الاسلوب في التعامل مع افراد المجتمع الاسلامي يجعلهم يشعرون بواجباتهم تجاه الدولة الاسلامية التي تجمعهم، فهي تفترق عن غيرها من الدول المادية .

فان الاسلام يختلف عن الكفر في المبادي والوسائل والاهداف والمبادي ترجع إلى تحرير العقل عن الوسائل المادية، وفي غيره تخدر العقول بمغريات الحياة بالشهوات والوسائل المختلفة، وتحرير العقل لا يكون الابطاعة الله ، ولا يطاع الله من حيث يعصى. وأما الدول الماديّة فهي تبتني على أن الغاية تبرر الواسطة.

والهدف في الاسلام هو خدمة المجتمع، وفي غيرة خداع المجتمع.

وطبيعيّ أن هذه المبادي والوسائل والاهداف يكون تطبيقها حيث الظروف الاحوال المتصورة في كلّ عصر ومصر.

---

(١) التّوبة : ٦٠.

[٢٦]

ومن عَهْدٍ[١] لَهُ عليه السلام إِلى بَعْضِ عُمّالِهِ وَقَدْ بَعَثَهُ عَلَى ٱلصَّدَقَةِ[٢]:

يتضمّن بنود التقوى والاخلاص والاخاء والصدقة فرضها والامتاع فيها والاستهابه بها.

ويشير المقطع إلى نقاط في مواصفات العامل على الصدقة من الأمر بالتقوى والاخلاص والاخاء، في حين أن الخطاب موجّه إلى اصحاب المال؛ لكي يكون تثقيفا اسلاميا للجانبين، ويكون حجة في حالة انحراف العامل عن حدود صلاحياته.

وكذلك يتضمّن نقاط بالنسبة لاصحاب المال وأن الصدقة ليست تفضلاً وانما هي واجب اسلامي بالعقد الاجتماعي بين القائد للوفاء بحق الناس من الحكم العادل ومن القاعدة التي يدافع عنها القائد، ويلوح بالعقاب لمن لم يؤدّ واجبه من الصدقة في الآخرة وكذلك المستهين بها، ويصفها بأنها حياة الأمّة في نظامها الاقتصادي الديني، وشرحها ذلك في بنود:

(١/ك ٢٦) من مسؤوليات القائد:

آمُرُهُ بِتَقْوَى ٱللّهِ فِي سَرائِرِ أَمْرِهِ، وَخَفِيّاتِ عَمَلِهِ[٣]، حَيثُ لا شَاهِدَ[٤] غَيْرُهُ، وَلا وَكِيلَ[٥] دُونَهُ[٦].

وَآمُرُهُ أَنْ لا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ ٱللّهِ فِيما ظَهَرَ[٧] فَيُخالِفَ إِلى غَيْرِهِ فِيما أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلانِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى ٱلْأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ ٱلْعِبادَةَ.

وَآمُرُهُ أَنْ لا يَجْبَهَهُم[٨]، وَلا يَعْضَهَهُمْ[٩]، وَلا يَرْغَبَ[١٠] عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْإِمارَةِ عَلَيْهِمْ؛

---

(١) في هـ. ص : سمي ما يكتب للعمال عهداً، من عهدت إليه: أوصيته (ورد هذا في أوّل باب الكتب و الوصايا).

(٢) العنوان في أ هكذا «ومن عهد له في مثله»، وفي ص: ومن عهد له عليه السلام في مثله إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة.

(٣) في ب: أعماله، وفي هـ. د: أعماله ـ ش.

(٤) في د: لا شهيد، وفي هـ. د: لا شاهد ـ ض ح.

(٥) في هـ. د: ولا دليل ـ ب.

(٦) في هـ. ص: يعني في الموضع الذي يعتقد أنه لا يطّلع عليه أحد من الخلق.

(٧) في ص: أظهر.

(٨) جبهه: ضرب جبهته، وفي هـ. ب: الجبه : الزجر.

(٩) في هـ. ص: ولا يعضههم، أي لا يرميهم بالبهتان والكذب، وهي العضيهة، وعضهت فلاناً

فَإِنَّهُمُ ٱلْإِخْوانُ فِي ٱلدِّينِ، وَٱلْأَعْوانُ عَلَى ٱسْتِخْرَاجِ ٱلْحُقُوقِ.

وَإِنَّ لَكَ فِي هذِهِ ٱلصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مْعلُوماً، وَشُرَكاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ، وَضُعَفاءَ ذَوِي فاقَةٍ.

وَإِنّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلّا تَفْعَل(١١) فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ ٱلنّاسِ خُصُوماً يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ(١٢)، وَبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ ٱللّهِ ٱلْفُقَراءُ وَٱلْمَساكِينُ، وَٱلسَّائِلُونَ وَٱلْمَدْفُوعُونَ(١٣)، وَٱلْغارِمون(١٤) وَٱبْنُ ٱلسَّبِيلِ.

وَمَنِ ٱسْتَهانَ بِالْأَمانَةِ، وَرَتَعَ فِي ٱلخِيانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْها، فَقَدْ أَحَلَّ(١٥) بِنَفْسِهِ فِي ٱلدُّنْيَا الذُّلَّ وَٱلْخِزْيَ(١٦)، وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزى؛ وَإِنَّ أَعْظَمَ ٱلْخِيَانَةِ خِيَانَةُ ٱلْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ ٱلْغِشِّ غِشُّ ٱلْأَئِمَّةِ، وَٱلْسّلامُ.

البند الاول: تقوى الله.

ـ(آمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيات عمله ، حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه) فان اعلى ما في قائمة المسؤولية هو تقوى الله في كلّ حال، وحيث أن طبيعة عمل الجباية أن يكون بعيداً عن المراقبة المباشرة من الجهة التي خولت العامل للجباية، كان التاكيد على التقوى امراً ضروريا.

البندالثاني: الاخلاص.

ـ (وآمرة أن لا يعمل بشيئ من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسر)؛ فإنّ

عضها، انتهىٰ من الشرح.

(١٠) في هـ. ص: أي لا تحتقرهم، يقال: فلان يرغب عن القوم، أي يأنف من الانتماء إليهم أو من المخالطة لهم، انتهىٰ من الشرح.

(١١) لم ترد «تفعل» في أ و د، وفي هـ. د: والاّ تفعل ـ ش.

(١٢) في ب: يوم القيامة خصوماً، وفي هـ. د: يوم القيامة خصوماً ـ ش.

(١٣) في هـ. ص: كل الأربعة الأوصاف. المراد بها الفقراء والمساكين، وإنّما كرر صفاتهم تشنيعا علىٰ من يظلمهم، والغارم وابن السبيل ذكرهما، ولم يذكر بقية الاصناف ؛ لانّ غرضه تهجين فعل من خان الصدقة،فذكر مستحقها من لا تستسيغ النفوس ظلمه وتنفر من أخذ حقه، لأنّها ترفّ عليه بالطبع البشري ، والله أعلم.

(١٤) في د: والغارم، وفي هـ. د: والغارمون ـ ح.

(١٥) في هـ. ب: في نسخة: أذل.

(١٦) لم ترد «الذل والخزي» في ب، وفي هـ. د: «الذل والخزي» ساقطة من ش، وفي هـ. ص: أي جعل نفسه محلاً للخزي، وفي ط: فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا.

قبول المسؤولية في الجباية اظهار لطاعة الله، ولا يظهر صدق هذه الدعوى إلّا عند التطبيق، فان المنافق يظهر ما لا يعتقد به نفاقاً، فالاخلاص قوام هذه المسؤولية، ولذلك قال:

(ومن لم يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الأمانة وأخلص العبادة) وبالنتيجة من اختلف سره وعلانيته كان منافقا، ومن اختلف فعله ومقالته كان خائنا لمسؤولية الجباية.

البند الثالث: الاخاء الاسلامي:

(وامره) بالاخاء الاسلامي مع اصحاب الصدقات، وذكر من لوازم هذا الاخاء الاسلامي اموراً، هي:

١ ـ (ألّا يجبههم) المجابهة: المقاتلة بما يكره في القول والفعل، استعير عن ضرب الجبهة.

٢ ـ (ولا يعضههم) والعضهة: الكذب؛ فإنّ من عادة الوسطاء الكذب على المرسل والمرسل اليه حتى يحصل ما يقصدوه، ومن أجل ذلك ذكر الإمام هذه الاوامر في العهد حتّى تكون حجة على من يتخلف.

٣ ـ(ولا يرغب عنهم تفضلا بالإمارة عليهم) والرغبة عن الشئ: تحقيره؛ فإنّ العادة على ترفع الموظف المسؤول على غيره مرتبة ووظيفة كما هي العادة بين الناس.

فان هذه الصفات الثلاث ليست من اخلاقيات الاسلام للموظف المسؤول في الدولة الاسلاميّة.

وعن السبب في ذلك قال:

(فإنهم الإخوان في الدين والأعوان على استخراج الحقوق) وان الاخاء الاسلامي يفرض على الجابي أن يتحلى باخلاقيات الاسلام؛ حيث انّه يمثل الدولة الاسلامية.

وعن فريضة الصدقة قال:

البند الرابع: ان الصدقة فريضة.

ولا فرق بين الصلاة والزكاة في اصل الفرض سوى أن الصلاة فريضة عبادية محضة والزكاة فريضة عبادية اقتصادية، وكل مسلم يجب عليه الاتيان بهما معاً، ومن أجل ذلك

قورنتا في اكثر من آية، فقال تعالى:﴿اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾.[١] وعن موجبات الصدقة قال:

أوّلاً: (وإن لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا) فرضه الله سبحانه في القرآن الكريم كدستور اسلامي.

ثانياً: (وحقا معلوما) حدده النبيّ العظيم في سننه كما هو مشروح في كتب الفقه.

ثالثاً: (وشركاء أهل مسكنة) فانهم يشاركون في المال الذي يجبيه صاحب الصدقات، فعليه مسؤولية عادلة تجاه اهل المسكنة من ضعاف الشعب المسلم.

رابعاً: (وضعفاء ذوي فاقة) وأهل الحاجة الماسة إلى المساعدة ممن له القدرة على المساعدة العادلة.

والى ذلك أشار في بقوله تعالى:﴿وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.[٢]

خامساً: (وإنّا موفوك حقّك فوفّهم حقوقهم)؛ فإنّ العقد الاجتماعي بين القائد والقاعدة في الحكم الاسلامي هو الدفاع عن حقوق الناس جميعا، ومن تلك الحقوق: حفظ الاموال من أن تسرق، ومحاكمة السارق، ولولا نظام حكم قائم لكان اموال اصحاب الصدقات هدفاً وطعمة للسارقين من دون أن يكون هناك حكم عادل للمعاقبة والمحاكمة.

فظن المالك بأن المال كلّه له وليس له شريك، ظنٌ باطلٌ، فان الدولة التي وفرت الحماية عن الاموال لها حق، وحقها مساعدتها اقتصاديا لكي تستمر في الدفاع عن كافة الحقوق وصيانة الطبقة المستضعفة من اهل المسكنة من ان تنزلق إلى السرقة والخيانة.

وبهذه النقاط الخمس يتبين أن صاحب الصدقات ليس له المال كلّه، بل هو في شركة مع من يوفر له الحماية بنسبة عادلة، تكون الحصة العليا لصاحب المال والحصة القليلة للفقراء والمستضعفين.

البند الخامس: فى الامتناع عن الصدقة.

(وإلّا تفعل) ما عليك من مسؤولية الصدقة فيكون الامتناع موقف الخصومة مع الله سبحانه، حيث تركت أوامره (فإنك من أكثر الناس خصوما يوم القيامة، وبؤسا لمن خصمه عند الله) هؤلاء الناس:

---

(١) البقرة: ٨٣.
(٢) الذاريات : ١٩ .

٢ ـ (الفقراء) والفقير: من لا يملك قوت سنته.

٣ ـ(والمساكين) والمسكين: من لا يملك قوت يومه.

٤ ـ (والسائلون) والسائل: من يستعطي في حياته .

٥ ـ (والمدفوعون) والمدفوع: الذي يدفعه الطبقة العالية عن التقدم في الحياة مادياً.

٦ ـ (والغارم) والغارم: العاجز عن وفاء الدين.

٧ ـ (وابن السبيل) وهو المنقطع عن اهله ووطنه في السفر.

وهؤلا جميعا يشملهم قوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.[1] (التوبة : ٦٠).

فيكون المانع عن الزكاة مخاصماً لهؤلاء جميعاً؛ لقدرته على مد يد العون اليهم بما فرضه الله عليه، وهذه الخصومة في الآخرة لا تفوت عند الله كما هي في الدنيا، فانه لا ينعدم عن توليد آثار سيئة مبتدأ بالكراهية الشخصية والتي تتحول تدريجيا إلى مراحل اكثر كراهته حتّى الثورة التي بها يخسر اصحاب الاموال كلّ اموالهم، وليس الحق الواجب الشرعي فقط الذي منعوه مما فرضه الله في اموالهم، والتي اعطى الله ذلك اياهم كأمانة في ايديهم حتّى حلول الموت.

البند السادس: في الاستهانة بالصدقة:

١ ـ (ومن استهان بالأمانة) التي فرض الله سبحانه من اخراج الصدقة الواجبة يكون خائنا.

٢ ـ (ورتع في الخيانة) والرتع: العيش في السعة، فإنّه عيش زائل موقت؛ لما تولد في المجتمع من اثار سلبية، منها: حقد الفقراء الذي قد ينتهي إلى الثورة العارمة نتيجة للخيانة لحقوقهم.

٣ ـ(ولم ينزه نفسه ودينه عنها) حيث انّه باختياره استهان بواجبه الديني.

٤ ـ (فقد أحل بنفسه في الدنيا) والذل: حالة النفس، والخزي: اثره في الحياة، وكل ذلك بموجب ما اختاره بنفسه لهذين الأمرين في الحياة.

فان الاستهانة بالقانون العادل بالصدقة تشجيع للاستهانة بالقانون في كلّ مواده، ومنها:

---

(١) .

السرقة وغيرها، لان انعدام القانون يساوي الذل ويسود الظلم بدلا عن العدل.

٥ ـ (وهو في الآخرة أذل وأخزى) لانها خالدتان في الآخرة وزائلان في الدنيا.

٦ ـ (وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة) ولما في الاستهانة بالامانة ورفض الصدقة من اضرار اجتماعية تسري آثارها في المجتمع باختلاف طبقاته بسبب الاستهانة بالقانون الذي يستلزم استهانة افراد المجتمع كلّه به.

٧ ـ (وأفظع الغش غش الأئمة) والغش: الخداع؛ فإنّ الاشتهانة بالقانون الاسلامي الذي يطبقه الإمام استهانة بامره في الصدقات، وليست الاستهانة سوى الخداع للتهرب من دفع الصدقة الواجبة كما يوجبه العقد الاجتماعي بين القائد والقاعدة.

[٢٧]

ومن عَهْدٍ لَهُ ﷺ إلى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ حينَ[١] قَلَّدَهُ مصْرَ:

ويتضمّن بنود النصيحة وذكر المتقين والموت وعقاب النار ومسؤولية الولاية والمقياس للمتميزين امام الهدى وامام الردى.

(١/ك ٢٧) البند الأوّل: في النصيحة:

فَاخْفِضْ[٢] لَهُمْ جَناحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ[٣] بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتّى لا يَطْمَعَ الْعُظَماءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ[٤]، وَلا يَيأَسَ[٥] الضُّعَفاءَ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ[٦]، فَإِنَّ اللّهَ[٧] تَعالى يُسَائِلُكُمْ[٨] ـ مَعْشَرَ عِبادِهِ ـ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمالِكُمْ

---

(١) في ب و ص: لمّا.

(٢) في هـ. ص: صدر الكلام:« فإذا قضيت بين الناس فاخفض».

(٣) في هـ. ب: في نسخة: وآس، وفي هـ. ب: من المؤاساة، وفي هـ. ص: أي أجعلهم اُسوة في الحقير من الإحسان إليهم والكثير.

(٤) في هـ. ص: أي اجعل في حيفك على الرعية لأجلهم، فإن ولاة الجور يطمع العظماء فيهم أن يحيفوا ما حده الله تعالىٰ فيها حفظاً لقلوبهم واستماله لهم، انتهىٰ من الشرح، ولعل الكلام أعمّ من ذلك.

(٥) في هـ. د: في حيفك ولا تيأس ـ ف.

(٦) لم ترد «عليهم» في أ، وفي هـ. ص: قوله: «عدلك عليهم» وإن تسأل المدعي البينة، وعلى المدعىٰ عليه اليمين، فمن صالح أخاه صلحاً فأجر صلحه، إلّا أن يكون صلحاً يحلّل حراماً أو يحرّم حلالاً، تَمّ ذلك من رواية الإمام هبة الله الجرجاني.

(٧) في د: وإن، وفي هـ. د: فإن ـ ض ح.

(٨) في ب: ليسائلكم.

وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَغْفِر[(١)] فَهُوَ أَكْرَم.

ففى علاقاته باهل مصر قال:

١ ـ (فاخفض لهم جناحك) خفض الجناح: كناية عن العطف برعاية مصالح افراد المجتمع؛ فإنّ العطف يولد العطف وخاصة لمن يتولى مسؤولية في القيادة، اقتباسا من قوله تعالى:﴿و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾.[(٢)]

٢ ـ (وألن لهم جانبك) الجانب: الناحية، ولين الجانب بالرفق في التعامل مع الناس باللين ورفض الخشونة.

٣ ـ(وابسط لهم وجهك) والبسط: المد، بالتركيز على المخاطب، والتوجه اليه مباشرة من دون توجه الى ايّة جهة اخرى.

٤ ـ(وآس بينهم في اللحظة والنظرة) فيما اذا تعدد الحضور، كما هي العادة بالنسبة إلى من يتحمل المسؤولية، فيتوجه اليه اصحاب الحاجات وغيرهم، والمواساة: التسوية، فلا يكون لاحدهم تفضيلا على اخر، واللحظة: النظرة بمعنى، إلّا أن اللحظة تكون عفويّة وآنية، والنظرة مقصودة واطول.

وأشار إلى أن هذه الامور الاربعة لها آثار في مختلف طبقات المجتمع فقال:

٥ ـ (حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم) والحيف: الظلم؛ فإنّ اضداد الامور المذكورة من الرعونة والخشونة والقبض وعدم المساوات في النظر، يولد الخوف من الوالي وتؤخذ علامات تدل على ظلم الوالي في هذه الامور البسيطة، فكيف في الامور الكبيرة؟ فإنّه اذا كان ظالما فيها فلا ضمان بأن لا يكون ظالما في غيرها ايضا.

٦ ـ(ولا ييأس الضعفاء من عدلك بهم) حيث أن كلا من الامور المذكورة من خفض الجناح واللين وبسط الوجه والمساواة في اللحظة والنظر يكشف عن وعي كامل للمواقف، وعلى مثل هذا الموقف يقاس غيره من المواقف المستقبلية.

وإلى أهمية هذه النقاط قال:

٧ ـ(فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده) عن كلّ شيئ صدر من الإنسان في الحياة.

أوّلاً: (عن الصغيرة من أعمالكم) كاللحظة والنظرة؛ فإنّها وان تعتبر امرا صغيرا، ولكن

---

(١) في أ و ط: يعف، وفي هـ. ب: في نسخة: يعف.

(٢) الشعراء: ٢١٥.

كل منها يعبران عن شخصية الإنسان في اول لقاء.

ثانياً: (والكبيرة) من حيث اعتقاد من ياتى بذلك ويختلف باختلاف الاعمال خيرا وشراً، وهي جميعا عند الله اعمال كبيرة بسبب الآثار المرتبة عليها.

ثالثاً: (والظاهرة) نفسها ظهوراً لا يمكن انكاره.

رابعاً: (والمستورة) سواءً من الله سبحانه حيث انّه ستار العيوب، أو من العبد نفسه خشية استغلال العدو نقاط الضعف فيه.

فان الاعمال جميعا من يحاسب عليها يوم القيامة خيرا أو شراً.

٨ ـ (فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم)؛ لأنّ العذاب على الاعمال التي يسبقها الانذار، ويجزي الإنسان عليه تعالى، والعمل يسحق العذاب والتجري ظلم زائد على العمل المنهي عنه، وعفو الله من كرمه الذي هو من صفات الذات المقدسة.

(٢/ ك ٢٧) البند الثاني: في صفات المتقين:

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعاجِلِ الدُّنْيا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشارَكُوْا أَهْلَ الدُّنْيا فِي دُنْياهُمْ، وَلَمْ يُشارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيا فِي آخِرَتِهِمْ، سَكَنُوا الدُّنْيا بِأَفْضَلِ ما سُكِنَتْ، وَأَكَلُوها بِأَفْضَلِ ما أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ ٱلدُّنْيا بِما حَظِيَ بِهِ ٱلْمُتْرَفُونَ[١]، وَأَخَذُوا مِنْها ما أَخَذَ ٱلْجَبَابِرَةُ ٱلْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ ٱنقَلَبُوا عَنْها بِالزَّادِ ٱلْمُبَلِّغِ، وَٱلْمَتْجَرِ ٱلرَّابِحِ[٢]، أَصابُوا لَذَّةَ زُهْدِ ٱلدُّنْيا فِي دُنْياهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ ٱللّهِ غَداً فِي آخِرتَهِمْ، لا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَلا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ[٣].

(واعلموا عباد الله أن المتقين) لهم على مر التاريخ الصفات التالية:

١ ـ (ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة) فجمعوا بين العمل في الدنيا والحصول على الاجر في الآخرة.

---

(١) المترفون: المنعّمون، وذلك بأداء حق الله والعباد فيعيش المؤمن سعيداً.

(٢) في ب: المربح، وفي هـ. ب: في نسخة: الرابح.

(٣) في هـ. ص :ذكر حال الزهاد، فقال: أخذوا من الدنيا بنصيب قوي، وخلصت لهم الآخرة، وروي أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحاري، فأكلا كسرة يابسة واغترفوا بأيديهما من ماءٍ في بعض الغدران، وقام الفضيل فخاض برجله في الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التي هو فيها، فقال لرفيقه: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا، انتهىٰ من الشرح.

٢ ـ (فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم) فلا فرق بينهم سوى العمل والايمان بالآخرة.

٣ ـ(ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم) لاختلاف النتائج والحالات في المسير والمصير.

٤ ـ (سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت) بسبب معرفتهم بزوالها، فاستعدوا لما بعدها؛ فإنّ من سكن في الدنيا من مخلوقات الله ما لايعد ولا يحصى، والمقياس في الافضلية ليس حالة السكنى المادية التي يتهيأ للراحة عادة، حيث انّه لا راحة لاحد فيها مهما تهيأت اسباب الراحة، فيمل منها من يسعوا نحوها.

٥ ـ (وأكلوها بأفضل ما أكلت) باستحقاق للاكل وطهارة للماكول، وراحة نفسية حال الاكل، وهي عادة مفقودة عند اهل الدنيا من عبدة المادة والماديات.

٦ ـ (فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون) والترف: النظرف في النعمة لكثرتها، فانهم جميعا لايأكلون اكثر بما تحمله بطونهم في الطعام والشراب، ويستمتعون بظاهر الطبيعة التي خلقها الله من الشمس والقمر والكواكب.

٧ ـ (وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون) مما يفتقرون اليه في الحياة من الصحة والسلامة والعافية من المرض، والفرح والحزن وما شابه من مشاكل الحياة ومحاسنها.

٨ ـ (ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح) وهو العمل الصالح في الدنيا الذي هو زاد للاخرة، والذي يكفي للبلوغ إلى المقصد في رحلة الآخرة، وفي نفس الوقت هو تجارة رابحة للحصول على ما أعد الله للمتقين.

٩ ـ (أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم)؛ فإنّ للزهد لذة روحية وراحة نفسية تفوق لذات اصحاب الدنيا المادية الزائلة، وقد وصلوا إلى هذه اللذة الروحية في الدنيا واصحاب الدنيا يشعرون بظرورتها بعد أن ينتقلوا إلى الآخرة.

١٠ ـ (وتيقنوا أنهم جيران الله غدا في آخرتهم) لإيمانهم بصدق ما وعد الأنبياء والرسل من قرب جوار رحمة الله في الآخرة.

١١ ـ (لا ترد لهم دعوة) مما يطلبون من الله وان طالت مدة الاجابة، كما يشاء الله من المصالح.

١٢ ـ (ولا ينقص لهم نصيب من لذة) روحية للعمل بالواجبات والمسؤوليات الاسلامية الواجبة عليهم في الدنيا.

وهذه النقاط الاثنى عشر تضاد صفات غير المتقين؛ حيث ليس لهم واق عما انذروا به في الحياة، وهم في الآخرة من الأخسرين، ويكفى ذلك وقاية لمن اتقى.

قال تعالى:﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّماوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّك إِنَّ رَبَّك فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا ما شَاءَ رَبُّك عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.[١]

(٣/ك ٢٧) **البند الثالث: في الموت:**

فَاحْذَرُوا[٢] عِبادَ ٱللّهِ ٱلْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً، أَوْ شَرٍّ لا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً[٣]، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِها[٤]، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى ٱلنّارِ مِنْ عَامِلِها.

وَأَنْتُمْ[٥] طُرَدَاءُ[٦] ٱلْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُم مِنْ ظِلِّكُمْ، ٱلْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَواصِيكُمْ[٧]، وَٱلدُّنْيا تُطْوَى مِنْ[٨] خَلفِكُمْ.

١ ـ (فاحذروا عباد الله الموت وقربه) فانه لا محالة آتٍ وكل آتٍ قريب.

٢ ـ (وأعدوا له عدته)؛ فإنّ الحذر من الشيئ يستوجب الاستعداد له بما يقتضيه.

---

(١) هود: ١٠٥ ـ ١٠٨.

(٢) في ص: وَاحذروا، وفي هـ. ص: زاد الإمام الجرجاني بعد هذا: «وأعلموا عباد الله أنكم إذا أيقنتم بالله تعالى وحفظتم نبيّكم ﷺ في أهل بيته، وعبدتموه بأفضل ما عبد وشكرتموه، وإن كان غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم صياماً؛ إذ كنتم أتقى لله وأنصح لأولياء الله من آل محمّد ﷺ، وقال تعالىٰ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودّة في القربىٰ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ ،انتهىٰ.

(٣) في هـ. ص :في هذا دلالة علىٰ نفي القول بالخروج من النار، لأنّه لو كان ذلك القول صحيحاً لكان الموت قد يأتي بشرّ يكون معه خير في وقت ثانٍ فيبطل التأبيد، والله أعلم.

(٤) استفهام بمعنىٰ النفي، أي لا أقرب إلىٰ الجنة ممّن يعمل لها.

(٥) في ص: فإنكم، وفي ب: وانكم، وفي هـ. ب: في نسخة: وأنتم، وفي هـ. د: وإنكم ـ ش.

(٦) في هـ. ص: طرداء، جمع طريد، بمعنى مطرود، أي ملحوق كما يطرد الصيد.

(٧) النواصي: جمع ناصية، وهو مقدّم شعر الرأس، وفي هـ. ص: قوله:«معقود بنواصيكم» أي لازم لكم؛ كأنه شيء معقود إلىٰ الناصية، وفيه معنىٰ التسلّط والقهر؛ لأنّ ناصية الإنسان في أعلاه، فمن قيد بها قهر وانقاد، وإلىٰ هذا ألمح طرفة في قوله:

لعمرك إنّ الموت ما أخطأ الفتىٰ   لكان لطول المرح ويساه في اليد
إذا شاء يوماً قاده بزمامه   ومن يك في حل المنيّة ينقد

(٨) لم ترد «من» في أ و ب، وفي هـ. د: لم ترد «من» في ف و ش.

٣ ـ(فإنه يأتي بأمر عظيم) لعظم ما يترتب على الموت من الآثار من الحساب وغيره.

٤ ـ (وخطب جليل) والخطب: الأمر الشديد، والجلال: العظمة في العقاب والاهوال.

٥ ـ (بخير لا يكون معه شرّ أبدا) لمن يعمل الصالحات فيكون الآخرة له دار خلود.

٦ ـ (أو شرّ لا يكون معه خير أبدا)؛ فإنّ الخلود يزيد الشر شراً من حيث الزمان.

٧ ـ (فمن أقرب إلى الجنة من عاملها)؛ فإنّ العامل بالصالحات في الدنيا عامل لها.

٨ ـ(ومن أقرب إلى النار من عاملها؟) قال تعالى:﴿ولا تجزون الا ما كنتم تعملون﴾.(١)

٩ ـ (وأنتم طرداء الموت)؛ لأنّ الموت يطاردكم ويتسابق مع الزمن بزيادة في العمر وكثرة العلل والاسقام، وانتم كالطريد يحاول عدم المواجهة ولا محيص له عنه.

(إن أقمتم له أخذكم) مباشرة بسبب عدم الفرار والصلاح.

(وإن فررتم منه أدرككم) مع مرور الزمن وطول العمر وتوارد الامراض.

(وهو ألزم لكم من ظلكم) في الحالتين؛ للعلم بتحققه وعدم العلم بزمان ذلك.

١٠ ـ (الموت معقود بنواصيكم) والناصية: مقدم شعر الراس، فلا يمكن الفرار منه لاحد في الحياة.

(والدنيا تطوى من خلفكم) بالتقدم في العمر.

وهذه النقاط العشر كافية في العبرة من الموت والاستعداد للاخرة بعمل الصالحات.

(٤/ك ٢٧) **البند الرابع: في الخوف من عقاب النار:**

فَاحْذَرُوا ناراً قَعْرُها بَعِيدٌ، وَحَرُّها شَدِيدٌ، وَعَذابُها جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيها رَحْمَةٌ، وَلا تُسْمَعُ فِيها دَعْوَةٌ، وَلا تُفَرّج(٢) فِيها كُرْبَة.

وَإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُم مِنَ ٱللّه، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ(٣) فَاجْمَعُوا بَيْنَهُما؛ فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ إِنَّما يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ ٱلنّاسِ ظَنّاً بِاللّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلّهِ(٤).

---

(١) يس : ٥٤ .

(٢) في ب: يفرج، وفي هـ. ب: في نسخة: تفرج.

(٣) في هـ. د: لم ترد «به» في ب.

(٤) في هـ. ص: هذا تحذير من مذهب المرجئة؛ لأنّهم يرجون ولا يخافون، فقال عليه السلام: لا يثبت حقيقة الرجاء إلّا مع تحقيق الخوف؛ لأنّهما مبنيان على تصديق وعد الله ووعيده، فمن جوّز الخلف في الوعيد لزمه جوازه في الوعد، وإذا ما اقتضى صدق أحدهما اقتضى صدق الآخر،

١ ـ (فاحذروا نارا) وعد الله العصاة العذاب لها، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.(١)

ثم وصف النار بقوله:

٢ ـ (قعرها بعيد) والقعر: افصى العمق، فلا يقاس بالنار المادي الذي يمكن تحديد القعر له عادة.

٣ ـ(وحرها شديد)؛ فإنّ الشدة في الحرارة كذلك ليست تدرك بالمقاييس المادية.

٤ ـ (وعذابها جديد) حيث تبدل الجلود جلوداً جديدة فيتجدد العذاب.

٥ ـ (دار ليس فيها رحمة) لانها دار عذاب، والعذاب لا رحمة فيه يستحقها من يعذب بها.

٦ ـ (ولا تسمع فيها دعوة) فإنّها جزاء عادل، وليس في ذلك مجال لغيره.

٧ ـ (ولا تفرح فيها كربة) وهي الصعوبة والضيق؛ لخلود العذاب في دار الخلود.

وهذه الاوصاف يوجب الخوف من الله والاستعداد للامن من عقابه، وذلك الخيار بيد الإنسان في الدنيا، وللوقاية قال:

(وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به فأجمعوا بينهما) فالجمع بين الخوف وحسن الظن لا يكون إلّا بالعمل استعداداً ووقاية؛ فإنّ كلا منهما يتلازم مع الآخر.

(فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، وإن أحسن الناس ظنا بالله أشدهم خوفا لله) فلا يكون الخوف من العذاب وحسن الظن بالله إلّا بالاستعداد بالعمل الصالح للوقايه من العذاب، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَٱلكَافِرُونَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ﴾ (٢).

(٥/ك ٢٧) البند الخامس: مسؤولية الولاية:

والله أعلم.

(١) النساء: ٥٦.

(٢) البقرة: ٢٥٤.

وَٱعْلَمْ، يا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنادِي[١] فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ[٢] أَنْ تُخالِفَ عَلى نَفْسِكَ[٣]، وَأَنْ تُنافِحَ[٤] عَنْ[٥] دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلّا سَاعَةٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ، وَلا تُسْخِطِ ٱللّٰهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَإِنَّ فِي ٱللّٰهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ[٦]، وَلَيْسَ مِنَ ٱللّٰهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ.

صَلِّ ٱلصَّلاةَ[٧] لِوَقْتِهَا ٱلْمُوَقَّتِ لَها[٨]، وَلا تُعَجِّلْ وَقْتَها لِفَراغٍ، وَلاتُؤَخِّرْها عَنْ وَقْتِها لاِشْتِغالٍ، وَٱعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاتِكَ.

١ ـ (واعلم يا محمّد بن أبي بكر) وقد وصفه بالاسم تكريما لمقام الخليفة أبي بكر (رض) باعتباره اول خليفة في الاسلام.

٢ ـ (أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر) ولا يعلم بالضبط السبب في ذلك، وليست العظمة لاسباب مادية جغرافية، بل في خصوصية لاهل مصر، وحيث عبر عنهم بالاجناد يستكشف من ذلك انهم اصحاب رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، وانهم يقومون بمقارعة الظلم ولا يتحملون الضيم.

وتاريخ اهل مصر في الفتنة الكبرى يشهد بانهم استخدموا كلّ الوسائل المتيسرة لهم في مقاومة الظلم والمعرفة الكاملة لخطط العدو في افشال محاولة ايصال صوتهم إلى الخليفة عثمان والكشف عن الرسائل المزورة باسم الخلافة.

٢ ـ (فأنت محقوق) أي حقيق حسب تربيتك الاسلامية للرؤية الواضحة التي لك للمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة أن تقوم بما يأتي:

---

(١) في هـ. ب: جمع جند.
(٢) في هـ. ب: جدير، وفي هـ. ص: حقيق خليق جدير.
(٣) في هـ. ص: أي لا تتبع هواها.
(٤) في هـ. ا: نافح فلان عن فلان: إذا تخاصم عنه، وكافحه قريب من نافحه، ونفحه بالسيف: إذا تناوله من بعيد، وفي هـ. ب: تحارب، وفي هـ. ص: أصل المنافحة: المجالدة بالسيف والدفاع عند التحام الحرب.
(٥) في هـ. د: في ـك ن.
(٦) إذا فقدت شيئاً من عرض الدنيا فإنّ في الله عوضاً عنه، ولا عكس.
(٧) في هـ. ب: في نسخة: الصلوات.
(٨) في هـ. ص: أي الذي جعل وقتا لها، فلا يخرج منه الوقت الاضطراري، ويكون النهي متوجّها إلىٰ فعلها في غير الوقتين الاختياري والاضطراري، أو يكون هذا حثّاً له علىٰ الأفضل وأمراً بإيثار الصلاة والاهتمام بها، والله أعلم.

٤ ـ (أن تخالف على نفسك) ولا تتسلم لهوى النفس الامارة بالسوء، بل بالشورى مع جماعة المسلمين كما امر به الدين.

٥ ـ (وأن تنافح عن دينك) والمنافحة: الدفاع عن الدين بالالتزام والتطبيق للثوابت الاسلاميّة التي يقوم عليها الدين.

٦ ـ (ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه؛ فإنّ في الله خلفا من غيره وليس من الله خلف غيره) فلا يمكن لرضى الله وسخطه أن يبدل برضى غيره أو سخطه.

٧ ـ (صل الصلاة لوقتها الموقت لها)؛ فإنّ الصلاة شعار الاسلام الذي يذكر الانسان في خمس مرات في اليوم بالمعاهدة على ثوابت الاسلام.

٨ ـ (ولا تعجل وقتها لفراغ)؛ لأنّ التوقيت من الثوابت الاسلاميّة، فلا تقدم الوقت بسبب وجود فراغ قبل الوقت.

٩ ـ (ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال) بما قد يبدو اشتغالا؛ فإنّه لا شغل اهم من الصلاة في الوقت المفروض، قال تعالى: ﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾.[١]

١٠ ـ (واعلم أن كلّ شيئ من عملك تبع لصلاتك)؛ لأنّ الصلاة عمود الدين ان قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها، واول ما يحاسب به العبد صلاته.

وهذه النقاط العشر تحدد الاولويات في هذه الولاية لكي تكون قدوة لمن يسير برؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية في الحياة.

(٦/ك ٢٧) البند السادس ـ في مقاييس الهدى والردى:

وَ مِنْ هذَا ٱلْعَهْدِ[٢]:

فَإِنَّهُ لَا سَوَاءٌ إِمامُ ٱلْهُدى، وَإِمامُ ٱلرَّدى، وَوَلِيُّ ٱلنَّبِيِّ وَعَدُوُّ ٱلنَّبِّي؛ وَلَقَدْ قالَ لِي رَسُولُ ٱللّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَخافُ عَلى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً[٣]؛ أَمَّا ٱلْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ ٱللّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا ٱلْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ[٤] ٱللّهُ بِشِرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ[٥] كُلَّ مُنافِقِ ٱلْجَنَانِ[٦]، عالِمِ

---

(١) النساء: ١٠٣.
(٢) في أ: ومنه.
(٣) في هـ. ص أي مظهر الشرك، وإلّا فالمنافق مشرك باطناً.
(٤) يقمعه، أي يقهره، وذلك بسبب علم الناس بشركه.
(٥) في هـ. د: عليهم ـ هامش ن.
(٦) منافق الجنان: هو من أسرّ النفاق في قلبه.

ٱللِّسانِ[١]، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ».

وختم المقطع بالاشارة إلى المقاييس الحقيقية لمعرفة الحق من الضلال، وهو العمل والعمل لا غير، وليس الكلام الفارغ إلّا دعاوى كاذبة يتستر خلفها اصحاب النفاق ليلبسوا الباطل لباس الحق، حيث ليس الاسلام إلّا للتطبق في كلّ مجالات الحياة العبادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والاخلال بركن في الثوابت الاسلامية عن علم وعمد يضيع الحق ويبدله بالباطل.

فقال عليه السلام:

١ ـ (فإنه لا سواء) فكما لا يتساوى الضياء والظلام، فلا يتساوى كلّ من الحق والباطل، فانّ أحدهما إلى الله والآخر إلى النار.

٢ ـ (إمام الهدى وإمام الردى) والداعي الحق هو امام الهدى، والداعي إلى الباطل هو امام الردى الذي يردي من يتبعه، فلا يتساويان.

٣ ـ(وولي النبي وعدو النبي)؛ فإنّ امام الهدى ولي النبيّ، وان امام الردى عدو النبيّ، فهما على خطين متقابلين، فلا يتساويان.

فان احياء سنة النبيّ ولاية للنبي، وهو عمل يدعوا اليه امام الهدى، وعلى النقيض اماتة سنة النبى صلى الله عليه وآله عداوة للنبي، وهو عمل يدعو اليه امام الردى، فلا يتساويان.

ثمّ ذكر الإمام حديثا نبويا يرتبط بالمقام، فقال:

٤ ـ(ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لا أخاف على أمتي مؤمنا ولا مشركا) وعن سبب ذلك قال:

(أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه ، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه) والمنع: الحصانة، والقمع: الاستئصال؛ لوضوح طريقة كلّ واحد من المؤمن والمشرك النابعة من الايمان والشرك وآثارها في الحياة.

(ولكني أخاف عليكم كلّ منافق الجنان عالم اللسان) حيث يخالف ما يعتقده فكريا عما يقوله باللسان.

وإلى المقياس الذي يعرف به هذا المنافق قال:

---

(١) هو من يعرف أحكام الشريعة ويمكنه بيانها فيقول حقاً ويفعل مُنكراً.

٥ ـ (يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون) وبهذا المقياس الفاصل في معرفة الحق من الباطل ختم الإمام هذا المقطع من العهد، وما اعظمه من مقياس لا يخطئ كما تدل عليه موارد الاعتبار في التاريخ.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« الإشارة بإمام الهدى إليه نفسه ، وبإمام الردى إلى معاوية ، وسماه إماما ،كما سمى الله تعالى أهل الضلال أئمة ، فقال :) وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)[١] ثم وصفه بصفة أخرى وهو أنه عدو النبيﷺ ليس يعني بذلك أنه كان عدوا أيام حرب النبيﷺ لقريش ، بل يريد أنه الان عدو النبيﷺ ، لقولهﷺ له عليه السلام : " وعدوك عدوي وعدوي عدو الله " . وأول الخبر : " وليك وليي ، ووليي ولي الله " ، وتمامه مشهور ، ولان دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه ومن أفعاله ، وقد قال أصحابنا في هذا المعنى أشياء كثيرة ، فلتطلب من كتبهم ، خصوصا من كتب شيخنا أبي عبد الله ، ومن كتب الشيخ أبي جعفر الإسكافي ، وأبي القاسم البلخي ، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم . ثم قال عليه السلام : " إن رسول اللهﷺ قال : إني لا أخاف على أمتي مؤمنا ولا مشركا " أي ولا مشركا يظهر الشرك ، قال : لان المؤمن يمنعه الله بإيمانه أن يضل الناس ، والمشرك مظهر الشرك يقمعه الله بإظهار شركه ويخذله ، ويصرف قلوب الناس عن اتباعه ، لأنهم ينفرون منه لإظهاره كلمه الكفر ، فلا تطمئن قلوبهم إليه ، ولا تسكن نفوسهم إلى مقالته ، ولكني أخاف على أمتي المنافق الذي يسر الكفر والضلال ، ويظهر الايمان والأفعال الصالحة ، ويكون مع ذلك ذا لسن وفصاحة ، يقول بلسانه ما تعرفون صوابه ، ويفعل سرا ما تنكرونه لو اطلعتم عليه ، وذاك أن من هذه صفته تسكن نفوس الناس إليه ، لان الانسان إنما يحكم بالظاهر فيقلده الناس ، فيضلهم ويوقعهم في المفاسد».[٢]

قال ابن الأثير في أسد الغابة، ما نصه:« ب د ع، محمّد بن عبد الله بن عثمان وهو محمّد بن أبي بكر الصديق وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية تقدم نسبه عند ذكر أبيه ولد في حجة الوداع بذي الحليفة لخمس بقين من ذي القعدة خرجت أمه حاجة فوضعته فاستفتى أبو بكر رسول اللهﷺ فأمرها بالاغتسال والاهلال وان لا تطوف بالبيت حتى

(١) سورة القصص: ٤١.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ١٧٠ ـ ١٧١.

تطهر أخبرنا أبو الحرم مكي بن ريان بن شبة النحوي باسناده عن يحيى بن يحيى عن مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن أسماء بنت عميس انها ولدت محمّد بن أبي بكر بالبيداء فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال مرها فلتغتسل ولتهلل وكانت عائشة تكني محمّدا أبا القاسم وسمى ولد ه القاسم فكان يكنى به وعائشة تكنيه به في زمان الصحابة فلا يرون بذلك بأسا وتزوج علي بأمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر وكان أبو بكر تزوجها بعد قتل جعفر بن أبي طالب وكان ربيبه في حجره وشهد مع علي الجمل وكان على الرجالة وشهد معه صفين ثم ولاه مصر فقتل بها وكان ممن حصر عثمان بن عفان ودخل عليه ليقتله فقال له عثمان لو رآك أبوك لساءه فعلك فتركه وخرج ولما ولى مصر سار إليه عمرو بن العاص فاقتتلوا فانهزم محمّد ودخل خربة فأخرج منها وقتل وأحرق في جوف حمار ميت قيل قتله معاوية بن خديج السكوني وقيل قتله عمرو بن العاص صبرا ولما بلغ عائشة قتله اشتد عليها وقالت كنت أعده ولدا وأخا ومذ أحرق لم تأكل عائشة لحما مشويا وكان له فضل وعبادة وكان علي يثني عليه وهو أخو عبد الله بن جعفر لامه وأخو يحيى بن علي لامه أخرجه الثلاثة».[1]

[٢٨]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلى مُعاوِيَةَ جَواباً[2]

قال الشريف: وَهُوَ مِنْ مَحاسِنِ ٱلْكُتُبِ:

ويتضمّن شمائل النبي وفضل اصحابه واهل البيت والهدف من الحرب ونقض الاتهامات الكاذبة وخاصة في امر عثمان.

خص الشريف الرضي (ت /٤٠٦) هذا الكتاب بوصفه بقوله: (وهو محاسن الكتب) واكتفى بذلك، والله اعلم بما جال في فكره هنالك، واظن ـ والله العالم ـ السبب أن معاوية في كتابه الذي نقل بعضه الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)[3] حاول ان يحرف الهدف في هذه الحرب العقائدية من جانب الإمام بتطبيق الاسلام في الخلافة بالشورى، ومن جانب معاوية بتبديل نظام الحكم إلى الوراثة والحكم الملوكي السائد في ذلك العصر

(١) أسد الغابة ؛ لابن الأثير ٤: ٣٢٤ – ٣٢٥.
(٢) في هـ. ص: قوله:«جوابا» عن كتاب جاء منه مع أبي أُمامة الباهلي.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ١٨٤ ـ ١٨٨.

في مختلف الامم من كسرى وقيصر.

ولتحريف الهدف الاصلي في هذه الحرب الاسلامية العقائدية وجه معاوية كتاباً ينتقد الإمام في امور شخصية.

حيث أن الوسيلة الوحيدة انذاك في التحليل السياسي والدعايات كانت المراسلات على ايدي الناس يقرأها على الجميع.

كما ظن معاوية أن الإمام يكون محرجا؛ فإن لم يجب على الاتهامات كان متهما بصحة الاتهامات، وان اجاب انشغل عن الهدف الاصلي للحرب بامور خاصة شخصية تستدعي تعدد الكتب في الرد والنقاش.

وقد فوت الإمامعليه السلام كلّ هذه الظنون بذكر حقائق لا ينكرها تاريخ حياته في جواب الاتهامات، ولم يجب عليها بالتفصيل سوى الاتهام بامر عثمان، وقال: (فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، وركز على هدف الحرب العقائدية بقوله: (فاسلامنا قد سمع وجاهليتنا لا تدفع) والله العالم.

(١/ك ٢٨) **شمائل النبي:**

أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتانِي كِتابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ[١] ٱصْطِفاءَ ٱللّهِ[٢] مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِدِينِه، وَتَأْيِيدِهُ[٣] إيّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحابِهِ؛ فَلَقَدْ خَبَأَ[٤] لَنَا ٱلدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً؛ إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنا بِبَلاءِ ٱللّهِ[٥] تَعالَى عِنْدَنا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذلِكَ كَناقِلِ ٱلتَّمْرِ إِلَى هَجَرَ[٦]، أَوْ دَاعِي[٧]

---

(١) لم ترد «فيه» في أ و ب.
(٢) في أ و ب زيادة: تعالى.
(٣) في ب: وتأييدِهِ وتأييدَهُ ـ معاً ـ.
(٤) في هـ. ص: اللفظ مهموز، وفي هـ. ب: ستر.
(٥) في هـ. ص: أي إنعامه وإحسانه.
(٦) في هـ. ب: بلد فيه التمر الكثير، وهو معدنه، وفي هـ. ص: هجر اسم بلدة بالبحرين كثيرة النخل، غير مصروف، قال في شرح ميثم بن علي: وأصل هذا المثل أنّ رجلاً قدم من هجر إلى البصرة بمال يشتري به شيئاً للربح فلم يجد فيها أكسد من التمر، فاشترىٰ بماله تمراً وحمله إلىٰ هجر وأدخره في البيوت ينتظر به السعر، فلم يزدد إلّا رخصاً حتىٰ فسد جميعه وتلف ماله، فضرب مثلاً لمن يحمل الشيء إلىٰ معدنه لينتفع به فيه، و «هجر» معروفة بكثرة التمر، حتىٰ أنه ربما يبلغ سعره خمسين جلّة بدينار، وزن الجلّة مائة رطل، فذلك خمسة الآف رطل لم يسمع بذلك في بلاد أُخرىٰ، انتهىٰ.
(٧) في أ و ص و د: وداعي، وفي هـ. د: أو داعي ـ ض ش ح ب.

مُسَدِّدِهِ[١] إِلَى ٱلنِّضالِ.

وافتتح الجواب بشمائل النبيﷺ فقال:

(أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمّداﷺ لدينه وتأييده إياه بمن أيده من أصحابه) وهذه الخصائص معروفة لكل المسلمين وليس اعرف بها ممن عاشها وآمن بها صغيرا وجاهد في سبيله شاباً وحارب من اجله شيخا وهو الإمام نفسه.

فعلق الإمام على ذلك بقوله:

١ ـ (فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا) والخبُ: الستر، فان ذكر هذه الخصائص لمن ساهم فيها صبيا وشابا وكهلا وشيخاً لمن اعجب العجب.

٢ ـ (إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا)؛ فإنّ الحرب القائمة على أساس الدفاع عن العقيدة والشريعة انما هي بقيادة اهل بيت النبيّ، وهم اخبر بتاريخ نبيهم من غيرهم.

٣ ـ (فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر) مثل عربي شائع؛ فإنّ هجر معروفة بكثرة النخيل المنتجة لانواع التمور، فلا حاجة لها إلى أن ينقل اليها التمر.

وسرد الحقائق في تاريخ الاسلام ونبيه لمن عاشه وساهم فيه بمواقفه التي تضبطها السيرة النبوية في غزاوتهﷺ، لانه اعرف بها من غيره.

٤ ـ (أو داعي مسدده إلى النضال) والمسدد: الذي يعلم الرماية، والنضال: الرماية نفسها؛ فإنّ من يتعلم الرماية لا يدعو المعلم إلى التسابق معه، بل لابدّ وان يسأله عن الطريقة الفضلى للرماية وفنونها وتاريخها، وهكذا الحال فيمن يريد معرفة تاريخ الاسلام في فجره لابدّ وان يسأل الإمام الذي تربى فيه صغيرا، لا أن يخبره بها وهو اعرف بها.

(٢/ك ٢٨) فضل الصحابة:

وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْإِسْلامِ فُلَانٌ وَفُلانٌ[٢]؛ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ ٱعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ، وَما أَنْتَ وَٱلْفَاضِلَ[٣] وَٱلْمَفْضُولَ، وَٱلسَّائِسَ والمَسُوسَ، وَما

(١) في هـ. ب: مقوّمه ومساعده ومعلّمه، وفي هـ. د: مسدده ـ ض ش ح ب.
(٢) في هـ. ص: أبوبكر وعمر.
(٣) في هـ. ص تقرأ الأربعة بالرفع على أصل العطف، كقوله: ما أنت وبيت أبيك والفخر، ويقرأ بالنصب على أنّ «الواو» بمعنى «مع»؛ لأن في «ما أنت» معنىٰ الفعل.

لِلطُّلَقاءِ[١] وَأَبْناءِ ٱلطُّلَقاءِ وَٱلتَّمْيِيزَ[٢] بَيْنَ ٱلْمُهاجِرِينَ ٱلْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبِ دَرَجاتِهِمْ، وَتَعْرِيفِ طَبَقاتِهِمْ؟

ثم قال عن فضل الصحابة:

(وزعمت أن أفضل الناس في الاسلام فلان وفلان) وعلق الإمام على ذلك بقوله:

١ ـ (فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله)؛ فإنّ فضل الصحابة انما هو بما لهم من العمل في سبيل الاسلام بالجهاد بالنفس والمال، وكان معاوية بمعزل عن ذلك كلّه، فهو قد حارب ضد المسلمين في حرب بدر في العام الثاني للهجرة، فلم يكن معاوية من السابقين في الاسلام، ولا من المهاجرين ولا من الانصار.

٢ ـ (وإن نقص لم تلحقك ثلمته)؛ فإنّ النقيصة ان لم تثبت كما تشاجر عليها كلّ من المهاجرين والانصار يوم السقيفة بالفضل بالهجرة، فيكون المهاجرون افضل، أو بالنصرة فيكون الانصار افضل، وايا ما كان؛ فإنّ ذلك امر لا يرتبط بمعاوية الذي لم يكن من الانصار ولا من المهاجرين، والثلمة: العيب.

٣ ـ(وما أنت والفاضل والمفضول؟)؛ فإنّ التفاضل انما يكون بين من وجدت فيه خصائص الفضل من الهجرة أو النصرة، وهم من سبق الى الاسلام، وليس معاوية من أي واحد منهم.

٤ ـ (والسائس والمسوس؟)؛ فإنّ الخلاف بالتفاضل بين المهاجرين والانصار في يوم السقيفة انما كان للاسلام بالسياسة الاسلاميّة القائمة على نظام الشورى، وما يدعيه معاوية قلب لنظام الشورى الى الملوكية لمعارضة نظام الشورى الذي عقد البيعة للإمام.

٥ ـ (وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم) الطلقاء: هم مشركوا مكة الذين عفى عنهم النبي في عام الفتح، العام الثامن للهجرة.

فقال: «انتم الطلقاء»، وكان منهم ابو سفيان وابنه معاوية؛ فإنّ الخلاف في السقيفة بين المهاجرين والانصار لابدّ وان يكون بالتحكيم لمن يرضى كلّ من المهاجرين والانصار بذلك ممّن يعرفهم ويعرفونه، وليس منهم الطلقاء وابناء الطلقاء الذين لم يشتركوا في

(١) في هـ. ب: معاوية وأبوه كانوا أُسراء فأُطلقوا.
(٢) في هـ. ص: هذا منصوب لمكان اللام في الطلقاء.

هجرة ولا نصر.

ولهذه النقاط الخمس لا يحق لمعاوية باعتباره من ابناء الطلقاء أن يتدخل في امر الصحابة وهو يخطط لحكم ملوكي لا سابقة له في الاسلام، ويعمل على تقويض الخلافة القائمة على الشورى الذي دعي اليها الاسلام.

(٣/ك ٢٨) **صوت غريب:**

هَيْهاتَ، لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْها[1]، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيها مَنْ عَلَيْهِ ٱلْحُكْمُ لَها.

أَلا تَرْبَعُ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ عَلى ظَلَعِكَ[2]، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ[3]، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ ٱلْقَدَرُ، فَما عَلَيْكَ غَلَبَةُ ٱلْمَغْلُوبِ[4]، وَلا لَكَ ظَفَرُ[5] ٱلظّافِرِ.

وأشار إلى أن هذه الدعوة من معاوية باعتباره من ابناء الطلقاء صوت جديد غريب على الاسلام؛ لأنّه ليس صوتا من المهاجرين ولا من الانصار ولا من المسلمين السابقين إلى الاسلام، فيكون صوتا دخيلا جديداً مرفوضا من قبل الاسلام فقال:

١ ـ (هيهات) أن هذا التصنيف للصحابة ممّن لا يتصف بصفاتهم القائمة على الحكم بالشورى لا يكون مقبولا اسلاميا، بل مرفوضا رفضا قاطعا، حيث أن التقييم يجب أن يكون ممّن يومئ بالحكم بالشورى، ومعاوية ليس منهم.

٢ ـ (لقد حن قدح ليس منها) الحنين: الصوت، والقدح: السهم، وهو مثل يضرب لمن يفتخر بغيره ممّن لا صلة له به، وتأنيث الضمير باعتباره جماعة الاقداح التي تصوت عند اجتماعها في مكان حملها.

٣ ـ(وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها)؛ فإنّ الحكم في هذه القضية، وهي ترتيب

---

(١) في هـ.ب قدح القمار: الّذي لا يكون من أصل سهام القمار، وفي هـ. ا: مثل تضرب العرب للرجل يدخل في القوم وليس منهم، ولما أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتل عقبة بن أبي معيط قال: أقتل بني قريش. قال عمر: حَنَّ قدح ليس منها، يقال: حنّ وزأر: صوّت.

(٢) في هـ. ص: أي ألا تقم رافقاً، وفي هـ. ب: الا تربع أي الا تسكن، من تربع الرجل في جلوسه.

(٣) في هـ. أ: هذا مثل لقول العرب: أربع على ظلعك، أي أرفق بنفسك وكفّ، ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق، قال أبوعبيد: ظلعت الأرض بأهلها، أي ضاقت بكثرتهم، وفي هـ. ص: أي ألا ترفق بنفسك وتكف ولا تحمّلها ما لا تطيقه، والظلع مصدر ظلع البعير يظلع ظلعاً: غمز في مشيه، انتهىٰ من الشرح.

(٤) في هـ. ص: من قوله: «ضاق به ذرعاً» والذرع في الأصل: بسط اليد.

(٥) في هـ. ب: الغلبة ليس عليك.

طبقات الصحابة يجب أن يكون ممن له معرفة بهم، والمشارك معهم بالهجرة والنصر والاسبقية في الاسلام، لا لمن يكون الحكم عليه في ذلك كما هو شأن معاوية الذي اخذ يتحكم في هذه القضية.

٤ ـ (ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك) والظلع: مشيُ البعير حينما يهرم ويعجز عن المشي، فلا يجبر على المشي، والتربع: الوقوف.؛ فإنّ من لاخبرة له في الامور لابدّ وان يتوقف عند حده، ولا يتدخل في ذلك.

(وتعرف قصور ذرعك ؟) والذرع: القياس بذراع اليد، ومن يعرف قصور يده عن المقياس لايستخدمه لغرض القياس، بل ان ذلك عيب عليه أن (وتتأخر حيث أخرك القدر) بأنّه ليس لك الكفاءة في التدخل في ذلك.

٥ ـ (فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر)؛ فإنّ غلبة المهاجرين على الانصار في الطبقة وظفر احد المرشحين للخلافة بها على غيره ليس من صلاحيات من ليس منهم، فهم اعرف بتلك الاحداث والاسباب الموجبة لها من فضيلة الهجرة والنصرة والسبق في الاسلام، وليس لمعاوية شيئ منها.

(ك ٤/٢٨) **اهل البيت النبوي:**

وَإِنَّكَ(١) **لَذَهَّابٌ فِي ٱلتِّيهِ**(٢) **رَوَّاغٌ**(٣) **عَنِ ٱلْقَصْدِ**(٤).

أَلا تَرَى ـ غَيْرُ مُخْبِرٍ(٥) **لَكَ وَلكِنْ بِنِعْمَةِ ٱللّهِ أُحَدِّثُ ـ أَنَّ قَوْماً ٱسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ ٱللّهِ مِنَ ٱلْمُهاجِرِينَ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ حَتّى إِذَا ٱسْتُشْهِدَ شَهِيدُنا**(٦) **قِيلَ: سَيِّدُ ٱلشُّهَداءِ**(٧)**، وَخَصَّهُ رَسُولُ ٱللّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِندَ صَلاتِهِ عَلَيْهِ!**

---

(١) في هـ. د: ولا ظفر ـ ح ب.

(٢) في ط: فإنك.

(٣) في هـ. ب: ميّال، وفي هـ. ص: وحاصل الكلام: قائل ما لا يعني وتارك ما يعني، وأعجب لعلماء السوء من العامة، كيف اتبعوا عقب معاوية في هذه العيضهة، واتخذوها دينا يجادلون فيه ويقاتلون عليه؟.

(٤) في هـ. ص: المراد به هنا: السير على غير قصد ولا طريق.

(٥) في هـ. ب: مخبّر، ولعلها نسخة، وفي هـ. ب: يعنى ما أخبرك.

(٦) هو حمزة بن عبد المطلب حيث استشهد في أحد.

(٧) في هـ. ص: أي المستشهدين في زمنه ﷺ وإلّا فإنّ علياً عليه السلام أفضل الشهداء مطلقا، ويؤخذ من هذا الكلام أن الطاعات تعظم بإعتبار فاعلها، ويكثر ثوابها، وإنّ ذلك وجه من وجوه كبرها، ولا بدّ من حكمة لله في ذلك وإن خفيت.

أَوَلا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ أللّهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتّى إذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنا كَما[١] فُعِلَ بِواحِدِهِمْ[٢] قِيلَ: ٱلطَيَّارُ فِي الجَنَّةِ وذُو ٱلْجَناحَيْنِ.

وأشار إلى أن احق الناس بالتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعرف طبقاتهم هم اهل بيت النبيﷺ حيث انهم عاصروا الاحداث وساهموا فيها بمواقفهم وورثوا الاخبار من منابع اجدادهم الموصولة إلى النبيﷺ فقال:

١ ـ (وإنك لذهاب في التيه) وهو الضلال؛ لكثرة الذهاب فيه.

٢ ـ (رواغ عن القصد) وهو الطريق الواضح، والروغ: الميل والانحراف عنه.

٣ ـ(ألا ترى ـ غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث ـ) بالحقائق التي ورثها الإمام، وهي:

أوّلاً: (أن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل) فهناك منهم من له فضل الشهادة، وهناك منهم من له فضل الهجرة، وهناك منهم من له فضل النصرة، وعلى هذا الاساس يكون الترتيب والتمييز بين طبقات الصحابة؛ حيث درجات مساندتهم التي أشار اليها الرسول الاعظم.

ثانياً: (حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: سيد الشهداء، وخصه رسول اللهﷺ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه) فيكون ترتيب الشهداء ايضا بما قام به الرسولﷺ؛ فإنّ شهادة حمزة بن عبد المطلب امتازت بخصلتين:

الأوّل: لقب سيد الشهداء.

الثاني: تخصيص الرسول له بسبعين تكبيرة.

وهذان لمّ تحصل لأيّ شهيد في الاسلام سواه.

ثالثاً: (أولا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله ـ ولكل فضل ـ حتّى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل: الطيار في الجنة، وذو الجناحين)؛ فإنّ الرسول القائدﷺ فضل جعفر ابن أبي طالب على سائر الشهداء بلقبين:

الأوّل: لقب (الطيار في الجنة).

الثاني: لقب (ذو الجناحين).

---

(١) في هـ. د: ما فعل ـ ض ح ب.

(٢) في هـ. ص: هو جعفر رضي الله عنه.

(ك ٢٨ / ٥) دور اهل البيت:

وَلَوْ لا مانَهَى ٱللّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ ٱلْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذاكِرٌ[١] فَضائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُها قُلُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَلا تَمُجُّها[٢] آذانُ ٱلسّامِعِينَ.

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مالَتْ بِهِ ٱلرَّمِيَّةُ[٣]، فَإِنّا صَنَائِعُ رَبِّنا[٤]، وَٱلنَّاسُ بَعْدَ صَنائِعُ لَنا، لَمْ يَمْنَعْنا قَدِيمَ عِزِّنا، وَلَا عادِيّ[٥] طَوْلِنا[٦] عَلى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْناكُمْ بِأَنْفُسِنا، فَنَكَحْنا وَأَنْكَحْنا؛ فِعْلَ ٱلْأَكْفاءِ.

ثم أشار إلى دور اهل البيت النبوي للخصائص التي يمتازون بها بسبب تخرجهم من مدرسة النبوة وتمتعهم بالرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة، فقال:

١ ـ (ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين) ولم يذكرها الإمام لانها معروفة عند المؤمنين، واكتفى بالاشارة إلى واجب الموقف بقوله:

٢ ـ (فدع عنك من مالت به الرمية) أي دع الحديث عن الذي ليس له فضائل الصحابة من الهجرة والنصرة والسبقة إلى الاسلام، ومن مدحهم نبي الاسلام بالقاب خاصة من اهل بيته، فالحديث عن غيرهم ـ ويعنى به معاوية ـ حديث من مالت به الرمية اي اخطأت الرمية للوصول إلى الحقيقة، كما يخطئ الصياد رمية السهم لاصابة الصيد، وعن السبب في ذلك قال:

---

(١) في هـ. ب: يعني نفسه.

(٢) في هـ. ص: المجّ: قذف الشيء وإلقاءهُ.

(٣) في هـ. ص: الرمية، فعيله بمعنىٰ مفعول، من الرمي، أي الشيء يرمىٰ، أي يصاد، قال في الصحاح: والرمية الصيد يرمىٰ ويقال: بئست الرمية الارنب، أي بئس الشيء مما يرمىٰ الإرنب، وكأنّه كنّى بذلك عن الدنيا لما كانت تصاد وتختل وتطمع طالبها كالصيد، والله أعلم.

(٤) في هـ. ب: أي فإنّا منصوص علينا، وفي هـ. ص: قال في الشرح: الصنائع جمع صنيعة، وصنيعة الملك: من يصطنعه الملك ويرفع قدره، يقول: ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالىٰ هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا نحن، فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالىٰ، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت وباطنه أنّهم عبيد الله وأنّ الناس عبيدهم، انتهىٰ.

(٥) في ب و د: وعادي، وفي هـ. ب: في نسخة: ولا عادي، وعادي أي قديم، وفي هـ. د: ولا عادي ـ ض ح ب ل.

(٦) في هـ. ب: أي فضلنا.

٢ ـ (فإنا صنائع ربنا) والصنعة: من يرفع قدره؛ لان اهل البيت تخرجوا من مدرسة النبوة وتربوا على ما رباهم الرسول صلى الله عليه وآله عليه جيلا بعد جيل، فلهم قدر جعله الله لهم، ويحمل ابناؤهم جينات النبي في دمائهم.

٤ ـ (والناس بعد صنائع لنا) حيث يقوم اهل البيت النبوي بالمحافظة على تراث النبيّ الاطهر بالقول والعمل، بتطبيقه في حياتهم الخاصة والعامة.

والى نتيجة التخرج من هذه المدرسة النبويّة قال:

٥ ـ (لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك) العادي : المعتاد، فان الالتزام بالثوابت الاسلامية جعلت المسلمين جميعا اكفاء بالرغم من وجود ما فرق بينهم قبل الاسلام من الخلافات الجاهلية، وقد مثل دليلا على ذلك بمثال تاريخي مستنداً إلى الخلاف بين بني أُميّة وبني هاشم في الجاهلية، والصفات المناقضة بين الاسرتين على ما هو مشروح في التاريخ. وبالاسلام الغيت تلك الخلافات؛ فإنّ الاسلام يجبّ ما قبله، واصبح الجميع متساوين في الاحكام، ونتيجة هذا التكافؤ حصلت مناكحات شرعيه بين الاسرتين في الاسلام.

والظاهر أنه يشير الى:

أوّلاً: ـ زواج الخليفة عثمان الأموي نسباً بكل من بنتي الرسول صلى الله عليه وآله رقية وام كلثوم، وهما من الاسرة الهاشميّة نسبا.

ثانياً: ـ وزواج الرسول صلى الله عليه وآله الذي هو من الاسرة الهاشميّة نسباً من أم حبيبة بنت أبي سفيان الأموي نسبا.

(٦/ك ٢٨) مقارنة سريعة:

وَلَسْتُمْ هُنَاكَ. وَأَنَّى يَكُونُ ذلِكَ كَذلِكَ وَمِنَّا ٱلنَّبِيُّ وَمِنكُمُ ٱلْمُكَذِّبُ(١)، وَمِنَّا أَسَدُ ٱللّٰهِ(٢) وَمِنكُمْ أَسَدُ ٱلْأَحْلافِ(٣)، وَمِنَّا سَيِّدُ شبَابِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ(٤) وَمِنكُمْ صِبْيَةُ ٱلنَّارِ(٥)، وَمِنَّا خَيْرُ

---

(١) في هـ. ص: أبوسفيان بن حرب، من الشرح، والأُولىٰ تعقيبه على عمومه، أي المكـذبون له منكم.

(٢) في هـ. ص: حمزة عليه السلام.

(٣) في هـ أ: أسد الأحلاف، ويقال: أسد الحلفاء هو عتبة بن أبي ربيعة، وإنّما لقّب به لقـوله: أنـا أسد الحُلفاء، حين قال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسوله، وفـي هـ. ب: يـقال لأبـي سـفيان أسـد الأحلاف لكثرة حلفه، وفي هـ. ص: عتبة بن ربيعة، من الشرح.

نِسَاءِ ٱلْعالَمِينَ[٦] **وَمِنكُمْ حَمّالَةُ ٱلْحَطَب**[٧]**؛ فِي كَثِيرٍ مِمّا لَنا وَعَلَيْكُمْ**[٨].

وأشار بقوله: (ولستم هناك) أي أن الكفاءة في الاسلام وان كانت صادقة ولكن الكفاءة الحقيقية المتوارثة غير متحققة؛ لما يحمل كلّ من الاسرتين من جينات حية متوارثة يصعب التغلب عليها بمرور الزمن ان لم يكن مستحيلا، فقال:

(وأنى يكون ذلك)؛ فإنّ تاريخ الاسرتين ومواقفهما تنفي الكفاءة في الماضي ولها اثرها في الحاضر و المستقبل، وقارن بين شخصيات معروفة تاريخها بين الاسرتين:

أوّلاً: (ومنا النبي ومنكم المكذب)؛ فإنّ النبيﷺ هاشمي، وراس المكذبين من الامويين، وهو ابو سفيان بن حرب والد معاوية.

ثانياً: (ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف) فاسد الله لقب لقب به الرسول حمزة بن عبد المطلب الهاشمي، واسد الاحلاف هو الذي قاد الاحلاف لعملية عسكرية ضد النبي ثلاث مرات في حرب الاحزاب عام ثلاث للهجرة.

ثالثاً: (ومنا سيد شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار) وسيد شباب اهل الجنة الحسن والحسين كما لقبهما الرسول، وصبية النار من عارضهما في حياتهما وهم اولاد مروان بن الحكم، فقد وصفهم النبي بانهم من اهل النار وهم صغار.

رابعاً: (ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب) وخيرة النساء خديجة الكبرى أو بنتها فاطمة الزهراء كما في نصوص كثيرء، وحمالة الحطب: أم جميل، زوجة أبي لهب عبد العزى وهي بنت حرب الأموي، والد أبي سفيان، فتكون عمة معاوية، ولقبها القرآن بأن وصفها بحمالة الحطب، وزوجها بابي لهب كما في القرآن الكريم على ما عليه المفسرون، فراجع.

واكتفى الإمام بهذه الامثلة وقال:

---

(٤) في هـ. ص: الحسنان عليهما السلام.

(٥) في هـ. ب: يزيد، وفي هـ. ص: قوله:«صبية النار» أشار إلىٰ قول النبيّ ﷺ لعقبة بن أبي معيط حين قتله صبراً يوم بدر. وقد قال ـ كالمستعطف ـ: من للصبية يا محمّد؟ فقال: النار، وعقبة بن أبي معيط من بني عبد شمس، انتهىٰ من الشرح.

(٦) في هـ. ص: يعني فاطمة عليها السلام نصّ رسول الله ﷺ على ذلك، من الشرح.

(٧) في هـ. ص: هي أم جميل بنت حرب، أمرأة أبي لهب، انتهىٰ من الشرح.

(٨) في هـ. ص: أي أن ما ذكرته داخل في جملة من فضائلنا ومثالبكم.

(في كثير بمالنا وعليكم) فاحدى الاسرتين تمثل الخير، والاخرى تمثل الشر جاهلية واسلاما، والتاريخ شاهد على ذلك كلّه قديما وحديثا.

(٧/ك ٢٨) **هدف الحرب:**

فَإِسْلَامُنا ما قَدْ سُمِعَ، وَجاهِلِيَّتُكُم[1] لا تُدْفَعُ، وَكِتابُ ٱللّهِ[2] يَجْمَعُ لَنا ما شَذَّ عَنّاوَهُوَ قَوْلُهُ[3]: ﴿وَأُولُواْ ٱلأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ ٱللّهِ﴾[4]. وَقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلىٰ بِالْقَرَابَةِ، وَتارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ.

وَلَمَّا احْتَجَّ ٱلْمُهاجِرُونَ عَلَى ٱلأَنْصارِ يَوْمَ ٱلسَّقِيفَةِ بِرَسُولِ ٱللّهِ ﷺ فَلَجُوا[6] عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ ٱلْفَلَجُ بِهِ[7] فَالْحَقُّ لَنا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصارُ عَلى دَعْوَاهُمْ.

وركز الإمام على أن الهدف من الحرب التصحيحية هو تطبيق نظام الحكم الاسلامي بالشورى ورفض الحكم بالغلبة والوراثة، واوضح ذلك في نقاط:

أوّلاً: (فإسلامنا قد سمع) قد سمعه كلّ المسلمين وغير المسلمين من أن الاسلام جاء بنظام قائم على الشورى وليس على الملوكية ولا بالغلبة بالقوة ولا بالعنصرية من الانظمة التي كانت سائدة انذاك، فإنّها جميعا أنظمة جاهلية، كانت في عصر الجاهلية للعرب ومحاها الاسلام، واشار كذلك بقوله: (وجاهليتنا لا تدفع) أي لاتدافع عنها احد اعلانا ظاهرا، وان كان المنافقون يحاولون ذلك عملياً؛ لأنّ الاسلام في حقائقه نور لامع ظهوره للناس، لا يمكن الرجوع إلى الظلمة وان تؤخر المسيرة بعض الدعايات الباطلة ولكن الحقائق لابدّ وان تظهر.

ثانياً: (وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا)؛ فإنّ المرجع الوحيد هو القرآن الكريم القانون السياسي للاسلام، فما يفوتنا شيئ إلّا ونرجع فيه إلى القرآن في حل المشاكل التي تواجه

(١) في أو ص و ط و د: وجاهليتنا، وفي هـ. ب: في نسخة: وجاهليتنا.
(٢) في هـ. د: والقرآن ـ ك.
(٣) في ط زيادة: سبحانه وتعالى.
(٤) الأنفال: ٧٥/٨.
(٥) آل عمران: ٦٨/٣.
(٦) في هـ. أ و ب: أي ظفروا.
(٧) في هـ. ب: أي بالنبيّ

الامة الاسلاميّة.

وبما أن مشكلة الحرب هي حول نظام الحكم فلا بد من الرجوع اليه واستدل بآيتين تدلان على ذلك:

الاولى: قوله تعالى:﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾.(١)

فان هذه الاية تدل على أن القربى توجب الأولوية.

الثانية: قوله تعالى:﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾(٢)

وهذه الاية تدل على أن التبعية بالعمل يوجب الاولوية.

والإمام في موقفه الداعي إلى الحكم بالشورى تطبق عليه الايتان معاً، فهو اقرب نسبا إلى الرسول صلى الله عليه وآله من معاوية، وانه يتبع سنة النبيّ في الحكم بالشورى، دون معاوية.

ولذلك قال عليه السلام:

(فنحن مرّة أولى بالقرابة ، وتارة أولى بالطاعة) لدلالة الآية الاولى: على اولويه القرابة والثانية على اولية الطاعة والتبعية.

ثالثاً: (ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم) والفلج: الظفر، ففي السقيفة اشتد الخلاف بين المهاجرين والانصار، واستند الانصار على الاحقية للخلافة لانفسهم بالنصرة، والمهاجرون بالقرابة من الرسول لكونه منهم، وبهذا ظفروا على الانصار. ونفس المنطق ينطبق على الإمام علي عليه السلام فهو اقرب إلى النبي من معاوية.

(فإن يكن الفلج به، فالحق لنا دونكم)؛ لأنّ المهاجرين ظفروا على الانصار بالقرابة، فكذلك يكون الظفر على معاوية بالقرابة ايضا.

(وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم) بأن يكون الظفر بالخلافه بغير القرابة، فيجب أن يكون الحق للانصار وليس للمهاجرين .

ان النقاط الثلاث يوجب التبعية والطاعة الشرعية لحكم الاسلام بالنظام القائم على الشورى، وليس بالغلبة والملوكية التي لم يقررها احد في الاسلام كنظام.

---

(١) الانفال : ٧٥.

(٢) آل عمران : ٦٨.

(٨/ك ٢٨) **تقييم الاتهامات:**

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ ٱلْخُلَفاءِ حَسَدْتُ[١]، وَعَلى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذلِكَ كَذلِكَ فَلَيْسَ ٱلْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ ٱلْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكاةٌ ظاهِرٌ[٢] عَنْكَ عارُها[٣].

ثم أشار اشارات قاطعة لتقييم الاتهامات التي وجهها معاوية، وهي:

أوّلاً: ـ الحسد:

(وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت) فعلق على هذا الاتهام بقوله:

١ ـ (فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك)؛ فإنّه على فرض صحة هذا الاتهام، فيجب على المجني عليه أن يحاكم، والحقيقة الثابتة تاريخا أن احدا من الخلفاء لم يحاكمه في ذلك، بل كانوا يستشيرونه في امورهم، فيكون من الفضول الذي لا مبرر له أن يحشر معاوية نفسه في قضية ليست له، وتمثل الإمام بمصرع شعر قاله ابوذؤيب خويلد بن خالد الهذلي (ت /٢٧ ه) وتمامه قوله:

[وعيرها الواشون انى احبها] وتلك شكاة ظاهر عنك عارها[٤]

ثانياً: ـ الضعف:

وَقُلْتَ: إِنّي كُنْتُ أُقادُ كَما يَقادُ ٱلْجَمَلُ ٱلْمخْشُوشُ[٥] حَتّى أُبايِعَ؛ وَلَعَمْرُ ٱللّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ[٦]، وَما عَلَى ٱلْمُسْلِمِ مِنْ غَضاضَةٍ[٧] فِي أَنْ يَكُونَ

---

(١) في ه. ب: قال: علي حسد الخلفاء.
(٢) في ه. ب و ص: أي زائل.
(٣) في ه. أ: تمثل به عليه السلام، يقال: هذا أمر ظاهر عنك عاره، أي زائل، ومنه قولهم : ظهر فلان بحاجتي: إذا استخف بها وجعلها بظهره، كأنه زالها ولم يلتفت إليها وجعلها ظهره، أي خلف ظهره، وفي ه. ص: هذا عجز بيت، وصدره: «وعيّرها الواشون أني أُحبّها».
(٤) راجع: ديوان الهذلي ص ٢١، ط /١٣٨٥.
(٥) في ه. ب: المخزوم، وفي ه. ص: هو الذي جعل في أنفه الخشاش، وهو حلقة أو سير يقاديه.
(٦) أعجب للطاغية كيف يشمت بأمير المؤمنين ذهابه مع فاطمة الزهراء الى دور المهاجرين والانصار بعد يوم السقيفة يدعوهم الى نصرته، وأعظم بأمير المؤمنين جوابا له:« وَما عَلَى ٱلْمُسْلِمِ مِنْ غَضاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مالَمْ يَكُنْ شاكّاً فِي دِينِهِ، وَلا مُرْتاباً بِيَقِينِه».
(٧) في ه. ب: نقصاناً.

مَظْلُوماً مالَمْ يَكُنْ شاكّاً فِي دِينِهِ، وَلا مُرْتاباً بِيَقِينِه[١].

وَهذِهِ حُجَّتِي إِلى غَيْرِكَ قَصْدُها[٢]، وَلكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْها بِقَدْرِ ما سَنَحَ[٣] مِنْ ذِكْرِها.

(وقلت: إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع) والخشاش: ما يجعل في انف البعير، لحمله على الانقياد .

فعلق الإمام على ذلك بقوله:

(ولعمر الله، لقد أردت أن تذم فمدحت ، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه).

فان المسلم انما يتخذ المواقف برؤية واضحة لما يأمر به الدين، وليس المصلحة الشخصية، فاذا كانت في ذلك ظلم على الإنسان شخصية وفي ذلك المصلحة للدين فالمسلم يختار المصلحة الدينيّة في رؤية واضحة ويقين، وليس هذا ضعفا بل قوة بالايمان، ثمّ أشار بأن بيان هذه الحقيقة ليس لاقناع معاوية لعلمه بأن معاوية صاحب خطة يخطط لها منذ عشرين سنة، فلا تراجع له عنها، فقال: (وهذه حجتي إلى غيرك قصدها) ليعرف عامة الناس الحقائق (ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها) والسنح: الظهور؛ فإنّ ذلك ظهور الحقائق للناس هو الهدف في كلّ مرحلة تسنح لها مناسبة.

وثالثاً: ـ امر عثمان:

ثُمَّ ذَكَرْتَ ما كانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْر عُثْمانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هذِهِ لِرَحِمَكَ مِنْهُ[٤]، فَأَيُّنا كانَ أَعْدَى لَهُ[٥]، وَأَهْدَى إِلى مَقَاتِلِهِ[٦]. أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ[٧] فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ[٨]؟ أَمَّنِ

---

(١) في هـ. ب: بنفسه.
(٢) في هـ. ص: أي توجيهها.
(٣) سنح: أي ظهر وعرض، وفي هـ. ب: اعترض.
(٤) أي لقرابتك منه.
(٥) أشدّ عدوانا.
(٦) المقاتل: الوجوه التي يمكن تحقيق القتل منها.
(٧) يعني نفسه عليه السلام.
(٨) أي طلب عثمان منه أن يقعد ويكف، يعني نفسه عليه السلام.

ٱسْتَنْصَرَهُ فَتَراخَى عَنْهُ وَبَثَّ ٱلْمَنُونَ إِلَيْهِ[١]؛ حَتّى أتى قَدَرُهُ[٢] عَلَيْهِ؟. كَلّا وَٱللّٰهِ لَقَدْ ﴿يعَلم ٱللّٰهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلّا قَلِيلاً﴾[٣].

وَما كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ[٤] عَلَيْهِ أحْداثاً[٥]؛ فَإِنْ كانَ ٱلذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشادِي وَهِدايَتِي لَهُ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لَهُ:

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ ٱلظِّنَّةَ[٦] ٱلْمُتَنَصِّحُ[٧] ﴿وَما أَرَدْتُ إِلَّا ٱلإِصْلاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلّا بِاللّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾[٨] واليه انيب .

وقد خص الإمام هذا الأمر بالجواب فقال:

(ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه) فيحق لصاحب الرحم الجواب عنما يخص رحمه.

فان عثمان هو ابن عفان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس (ت /٣٥).

ومعاوية هو ابن أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس الأموي (ت /٥٩) ويجتمعان في أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.

ثم ذكر النقاط التالية:

أوّلاً: (فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله؟)؛ فإنّ الإمام كان في المدينة وليس له جيش يأتمر بامره ولا هو في موقع المسؤولية، بينما معاوية في الشام كان له جيش منظم يأتمر بأمره.

---

(١) يقصد معاوية، حيث أنّه خذله وبثّ المنون إليه، يريد إفضاء عثمان إلىٰ الموت.

(٢) في هـ. ب: هلاكه.

(٣) الأحزاب: ٣٣ / ١٨ .وفي هـ ص: « ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُم» يشير به إلىٰ معاوية الذي منع عثمان النصر، وفي هـ. ب: المانعين.

(٤) في هـ. ب: أنكر.

(٥) الأحداث: جمع حدث، وهي البدعة.

(٦) في هـ. ب و ص: التهمة.

(٧) في هـ. ص: المتنصّح: باذل النصيحة ابتداءً، وهذا عجز بيت، وصدره: «وكم سبقت في آثاركم من نصيحة». والأصل قول الله عزّ وجلّ حاكياً: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحبّونَ ٱلنّاصِحِينَ﴾ وما أحسن قول السيد أحمد بن علي المرتضىٰ بن مفضّل في هذا:

نصحت ومِن حقّ النصيحة أنّها ... تفيد الّذي يوماً لها منك يقبل
وتورثك التهمى وتمنعك الاخا ... وهذا لعمري في النصيحة مشكل
فإن تخفها تحرم صديقك نفعها ... وإن تبدها ما إن عليها معوّل

(٨) هود: ١١/ ٨٨.

ثانياً: (أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه؟) مشيراً إلى نفسه حيث بذل له النصر فكان جواب عثمان (ره) عدم الحاجة اليه (واستكفه) اي طالب قعوده عن النصر؛ لعدم الحاجة اليه باعتقاده (واستكفه) اي طالب كفه عن النصر.

ثالثاً: (أمن استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتّى أتى قدره) مشيراً إلى معاوية، فقد استنصره عثمان بارسال جيش يدافع عنه، ولكن معاوية لم يرسل احداً ـ أو ارسل ولم يصل إلّا بعد مقتله كما في رواية اخرى ـ؛ فإنّ ذلك لأي سبب كان ـ يدل على عدم الاستعداد لنصر عثمان في المحنة، بل يدل على التراضي الذي تسبب قتله، فكان بثا (للمنون) أي الموت اليه بطريق غير مباشر إلى أن قتل.

فان النقاط الثلاث تدل بوضوح على أن معاوية كان قادراً على النصر والاستعداد له قبل حادث القتل، ولكنه لم يفعل شيئا للوقاية منها، وعليّ لم تكن له القدرة الكاملة ففعل ماكان تمكن منه، ثمّ استشهد بقوله تعالى مقتبساً: ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلموا الينا ولا يؤتون البأس إلّا قليلا﴾.[1] والمعوق: من يمنع من الجهاد.

ثم أشار الإمام الى أن ما قام به من النصر لم يكن إلّا بدافع ديني محتفظا بالنقد البناء فقال:

(وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثا) كما تقتضيه المسؤولية الاسلاميّة (فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فرب ملوم لا ذنب له) وهذا واجب قد اداه في مواقع حتّى قال :(والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن اكون اثما) راجع الخطبة: ٢٤.

ثم اسشهد بالمصرع الثاني من البيت:

[وكم سقت من اثاركم من نصيحة]   وقد يستفيد الظنة المتنصح

وحيث انّه ليس على المسلم إلّا العمل بما يمليه الواجب الاسلامي ختم الكلام مقتبسا من القرآن الكريم بقوله:

﴿ما أردت إلّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت والله انيب﴾.[2]

رابعاً: ـ التهديد:

---

(١) الاحزاب : ٩٨.

(٢) هود : ٨٨.

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحابِي عِنْدَك إِلَّا ٱلسَّيْفُ[١]، فَلَقَدْ[٢] أَضْحَكْتَ بَعْدَ ٱسْتِعْبارٍ[٣]، مَتى أَلْفَيْتَ[٤] بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ عَنِ ٱلأَعْدَاءِ ناكِلِينَ[٥]، وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ.

فـ * لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقُ[٦] ٱلْهَيْجا حَمَلْ[٧] *

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ ما تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ[٨] نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ[٩] مِنَ ٱلْمُهاجِرِينَ وَٱلْأَنصارِ وَٱلتّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ، شَدِيد زحامُهُمْ، ساطِع[١٠] قَتامُهُمْ[١١]، مُتَسَرْبِلِينَ سَرابِيلَ ٱلْمَوْتِ؛ أَحَبُّ ٱللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، وقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ[١٢]، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا[١٣] فِي أَخِيكَ وَخالِكَ وَجَدِّكَ[١٤] وَأَهْلِكَ ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[١٥].

وعن التهديد قال:

(وذكرت انّه ليس لي ولأصحابي إلّا السيف).

فقد علق الإمام عليه بقوله:

١ ـ (فلقد أضحكت بعد استعبار)؛ فإنّ ما تقدم من النقاط الثلاث كان طلباً للعبرة والبكاء على حالة الضعف في الارادة، وجاء هذا التهديد لمن غاص في غزوات الرسول ﷺ مدافعاً عن الاسلام منذ نعومة اظفاره موجبا للضحك بدلاً عن البكاء.

---

(١) في هـ. د: ولأصحابي إلّا السيف ـ ب.
(٢) في هـ. ب: في نسخة: فقد.
(٣) الاستعبار: البكاء، وفي هـ. ب: استعبر الرجل: بكى.
(٤) هـ. ب: وجدت.
(٥) في ط: متأخّرين.
(٦) في ب: يدرك، وفي هـ. ب: في نسخة: يلحق.
(٧) في هـ. ب: في نسخة: تحمل، وبعده: «ما أحسن الموت إذا حان الأجل».
(٨) في هـ. ب: مسرع.
(٩) في هـ. ب: عسكر.
(١٠) في هـ. ب: ظاهر.
(١١) في هـ. ب: غبارهم.
(١٢) في هـ. ب يعني من أولاد الذين غزوا مع النبيّ ﷺ يوم بدر.
(١٣) هـ. ب: حرف السيف.
(١٤) في هـ. ص: «أخيك وخالك وجدك» أخوه هو حنظلة بن أبي سفيان قتله علي، وخاله الوليد بن عتبة قتله علي، وجده عتبة بن ربيعة قتله علي وحمزة عليهما السلام.
(١٥) هود: ١١/٨٣.

٢ ـ (متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين؟)؛ فإنّ تاريخهم مشرق في الدفاع عن الاسلام في ساحة الحرب ضد العدو، وكفى ما تقدم الاشارة اليه من مواقف محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلبﷺ وعمه حمزة بن عبدالمطلب وابن عمه جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب، وهاهو على بن أبي طالب بن عبدالمطلب لا يختلف عنهم في الرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية من غير ادنى نكول أو ترديد.

٣ ـ(ثم أنشد المصرع الأوّل من بيت لحمل بن سعدانه الكلبي بقوله:

«فلبّث قليلا يلحق الهيجا حمل ».

قال ابن الاثير في أسد الغابة ما نصه:« ب س، حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب بن عليم بن جناب بن هبل بن عبد الله ابن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبى وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له لواء فشهد به صفين مع معاوية وهو القائل البث قليلا يلحق الهيجا حمل وشهد مع خالد بن الوليد مشاهده كلها وقد تمثل بقول سعد بن معاذ يوم الخندق حيث قال

البث قليلا يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الاجل

أخرجه أبو عمر وأبو موسى الا ان أبا موسى قال ابن سعد والصواب ابن سعدانة ذكره غير واحد من العلماء.

حارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة».[(١)]

٤ ـ (فسيطلبك من تطلب) يعني نفسه.

٥ ـ (ويقرب منك ما تستبعد)؛ فإنّ التهديد يتضمن في ذاته عدم الرغبة في حصول ما يهديد به، وكلما كان التهديد اكبر كان الكذب؛ حيث أن المهدد لا يقصد من التهديد سوى التخويف، فيرى ما يهدد به بعيداً.

٦ ـ (وأنا مرقل نحوك) أي مسرع، فليس هذا تهديداً بل تعاملاً بالمثل، ووصف جيشه العقائدي وصفا يعكس الوعي الاسلامي الكامل لهذه الحرب التصحيحية باعتبار تواريخهم المشرق فهم:

---

(١) أسد الغابة ؛ لابن الاثير ٢ : ٥٢.

أوّلاً: (في جحفل) وهو الجيش العظيم، مشيراً إلى انّه جيش شعبي متلاحم مع القيادة، وليس جيشا نظاميا من المرتزقة محاربين للحصول على ارزاقهم، بل هم جيش عقائدي لنيل احدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

ثانياً: (من المهاجرين) فهم على وعي كامل في مواقف اعداء الاسلام من المشركين والكافرين.

ثالثاً: (والأنصار) اللذين لا تزال ذكريات حياة النبي ماثلة امامهم.

رابعاً: (والتابعين لهم بإحسان) اقتباساً من قوله تعالى:﴿وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.[1](التوبة ١٠٠).

خامساً: (شديد زحامهم) بسبب تلاحم القيادة والقاعدة.

سادساً: (ساطع قتامهم) والقتام: الغبار المرتفع من الارض على اثر عدو الخيول للحرب.

سابعاً: (متسربلين سرابيل الموت) في استعدادهم للموت في سبيل اعلاء كلمة الله.

ثامناً: (أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم) في ساحة الحرب مع العدو.

تاسعاً: (قد صحبتهم ذرية بدرية) من الاولاد ممن شارك في حرب بدر ضد المشركين العرب بقيادة أبي سفيان والد معاوية.

عاشرا: (وسيوف هاشمية) التي استخدمت في صدر الاسلام ضد الاموية فكافحتها فى حرب بدر في العام الثاني من الهجرة.

والى القتلى من الجانب الأموي المشرك من قرابة معاوية اشار بقوله:

(قد عرفت مواقع نضالها في :

(أخيك) وهو حنظلة بن أبي سفيان الاموي.

(وخالك) وهو الوليد بن عتبة.

(وجدك) من طرف الام وهو عتبة بن ربيعة.

(وأهلك) من الامويين ممن قادهم إلى الحرب أبو سفيان والد معاوية، مشيراً إلى أن

---

(١) .

مواقف معلوية في الحرب ضد الإمام مدفوعة بالثأر لهؤلاء الامويين المشركين الذي قاتلهم الإمام مع المسلمين الاوائل في حرب بدر، وقضى عليهم المسلمون بنصر من الله.

وختم المقطع بقوله تعالى:﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾[1]؛ فإنّ الظلم دائما في طراع مع العدل في كل عصر ومصر.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«

[كتاب لمعاوية إلى علي]

سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد ، فقلت : أرى هذا الجواب منطبقا على كتاب معاوية الذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى علي عليه السلام ، فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الذي ذكره أرباب السيرة وأورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين إذن غير صحيح ، وإن كان ذلك الجواب ، فهذا الجواب إذن غير صحيح ولا ثابت ، فقال لي : بل كلاهما ثابت مروي ، وكلاهما كلام أمير المؤمنين عليه السلام وألفاظه ، ثم أمرني أن أكتب ما عليه علي عليه السلام ، فكتبته ، قال رحمه الله : كان معاوية يتسقط [2] عليا وينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر ، وأنهما غصباه حقه ، ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه ، والرسالة يبعثها يطلب غرته ، لينفث بما في صدره من حال أبي بكر وعمر ، إما مكاتبة أو مراسلة ، فيجعل ذلك حجة عليه عند أهل الشام ، ويضيفه إلى ما قرره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم ، فقد كان غمصه [3] عندهم بأنه قتل عثمان ، ومالأ على قتله ، وأنه قتل طلحة والزبير ، وأسر عائشة ، وأراق دماء أهل البصرة . وبقيت خصلة واحدة ، وهو إن يثبت عندهم أنه يتبرأ من أبي بكر وعمر ، وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرسول في أمر الخلافة ، وأنهما وثبا عليها غلبة ، وغصباه إياها ، فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه ، بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره ، لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين ، إلا القليل الشاذ من خواص الشيعة ، فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب عليا ويحرجه ويحوجه إذا قرأ ذكر أبى بكر ، وأنه أفضل المسلمين ، إلى أن يخلط خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعنا في أبى بكر ، فكان الجواب

---

(١) هود : ٨٣.

(٢) يتسقطه : يتنقصه .

(٣) غمصه : اتهمه .

مجمجما[١] غير بين ، ليس فيه تصريح بالتظليم لهما ، ولا التصريح ببراءتهما ، وتارة يترحم عليهما ، وتارة يقول أخذا حقي وقد تركته لهما ، فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتابا ثانيا مناسبا للكتاب الأول ليستفزا فيه عليا ﷺ ويستخفاه ، ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاما يتعلقان به في تقبيح حاله وتهجين مذهبه . وقال له عمرو : إن عليا رجل نزق تياه ، وما استطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبى بكر وعمر ، فاكتب . فكتب كتابا أنفذه إليه مع أبي أمامة الباهلي ، وهو من الصحابة ، بعد أن عزم على بعثته مع أبي الدرداء . ونسخة الكتاب : من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب . أما بعد ، فإن الله تعالى جده اصطفى محمّدا ﷺ لرسالته ، واختصه بوحيه وتأدية شريعته ، فأنقذ به من العماية ، وهدى به من الغواية ، ثم قبضه إليه رشيدا حميدا ، قد بلغ الشرع ، ومحق الشرك ، وأخمد نار الإفك ، فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وآلاءه . ثم إن الله سبحانه اختص محمّدا ﷺ بأصحاب أيدوه وآزروه ونصروه وكانوا كما قال الله سبحانه لهم :) أشداء على الكفار رحماء بينهم)[٢] ، فكان أفضلهم مرتبة ، وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة ، الخليفة الأول ، الذي جمع الكلمة ، ولم الدعوة وقاتل أهل الردة ، ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ، ومصر الأمصار وأذل رقاب المشركين . ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة ، وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية . فلما استوثق الاسلام وضرب بجرانه عدوت عليه فبغيته الغوائل ، ونصبت له المكايد ، وضربت له بطن الامر وظهره ، ودسست عليه ، وأغريت به ، وقعدت حيث استنصرك عن نصره ، وسألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته ، وما يوم المسلمين منك بواحد . لقد حسدت أبا بكر ، والتويت عليه ، ورمت إفساد أمره ، وقعدت في بيتك ، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته ، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته ، وسررت بقتله ، وأظهرت الشماتة بمصابه ، حتى إنك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل أبيه ، ثم لم تكن أشد منك حسدا لابن عمك عثمان ، نشرت مقابحه ، وطويت محاسنه ، وطعنت في فقهه ، ثم في دينه ، ثم في سيرته ، ثم في عقله ، وأغريت به السفهاء من أصحابك وشيعتك ، حتى قتلوه بمحضر منك ، لا تدفع عنه بلسان ولا يد ، وما من هؤلاء إلا من بغيت عليه ،

---

(١) مجمجما : غير واضح .
(٢) سورة الفتح: ٢٩ .

وتلكأت في بيعته ، حتى حملت إليه قهرا ، تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش ، ثم نهضت الان تطلب الخلافة ، وقتلة عثمان خلصاؤك وسجراؤك والمحدقون بك ، وتلك من أماني النفوس ، وضلالات الأهواء . فدع اللجاج والعبث جانبا ، وادفع إلينا قتلة عثمان ، وأعد الامر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضا . فلا بيعه لك في أعناقنا ، ولا طاعة لك علينا ، ولا عتبى لك عندنا ، وليس لك ولأصحابك عندي إلا السيف . والذي لا إله إلا هو لأطلبن قتلة عثمان أين كانوا ، وحيث كانوا ، حتى أقتلهم أو تلتحق روحي بالله . فأما ما لا تزال تمن به من سابقتك وجهادك فإني وجدت الله سبحانه يقول :) يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين)[١] . ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشد الأنفس امتنانا على الله بعملها ، وإذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة ، فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد ، ويجعله) كصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين)[٢] .

قال النقيب أبو جعفر : فلما وصل هذا الكتاب إلى علي عليه السلام مع أبي أمامة الباهلي ، كلم أبا أمامة بنحو مما كلم به أبا مسلم الخولاني ، وكتب معه هذا الجواب . قال النقيب : وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش ، لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم ، وليس في ذلك هذه اللفظة ، وإنما فيه : " حسدت الخلفاء وبغيت عليهم ، عرفنا ذلك من نظرك الشزر [٣]، وقولك الهجر [٤] ، وتنفسك الصعداء ، وإبطائك عن الخلفاء " . قال : وإنما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين ، والمشهور عندهم كتاب أبى مسلم فيجعلون هذه اللفظة فيه ، والصحيح أنها في كتاب أبي أمامة ألا تراها عادت في جوابه ولو كانت في كتاب أبى مسلم لعادت في جوابه ! انتهى كلام النقيب أبى جعفر».[٥]

[٢٩]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ:

(١) سورة الحجرات : ١٧.
(٢) سورة البقرة : ٢٦٤.
(٣) يقال : شزره وإليه : نظر إليه بأحد شقيه ، أو هو نظر فيه إعراض .
(٤) الهجر ـ بضم فسكون ـ : القبيح من القول .
(٥) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ١٨٤ ـ ١٨٨.

وَقَدْ كَانَ مِنَ ٱنتِشَارِ[١] حَبْلِكُمْ[٢] وَشِقَاقِكُمْ[٣] ما لَمْ تَغْبَوْا[٤] عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ ٱلسَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ، فَإِنْ خَطَتْ[٥] بِكُمُ ٱلأُمُورُ ٱلْمُرْدِيَةُ، وَسَفَهُ ٱلْآرَاءِ ٱلْجَائِرَةِ[٦]، إِلَى مُنَابَذَتِي[٧] وَخِلَافِي، فَها أَنَذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، وَرَحلْتُ رِكابِي[٨].

وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى ٱلْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لا يَكُونُ يَوْمُ ٱلْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ[٩]؛ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي ٱلطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي ٱلنَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرَ مُتَجاوِزٍ مُتَّهَماً[١٠] إِلَى بَرِيءٍ[١١]، وَلَا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ.

(١ / ك ٢٩) المعارضة المسلحة:

لكل انواع الحكم في العالم معارضة لا توافق على نوعية الحكم، كما يشهد التاريخ في حاضرة وماضيه وكذلك يكون في المستقبل، فاذا لاتوجد معارضة معلنة فهي تمارس نشاطها بسرية، ولا يكون ذلك إلّا في حكم ديكتاتوري، وللحكومات القائمة تجاه المعارضة سياسيات مختلفة وهي غالبا ماتستخدم كلّ الوسائل الماديّة المتاحة للقضاء عليها من الاغراء الكاذب والمناصب والعناوين الخياليّة والتجويع الاقتصادي، ثمّ التصفية الجسدية ان لم تكف المعارضة عن نشاطها المعادي.

والحكم القائم على نظام الشورى الاسلامي يستمد قوته الشرعية القانونية من

---

(١) في هـ. ب: تفرق.

(٢) في هـ. ب: عهدكم.

(٣) في هـ. ب: خلافكم.

(٤) في هـ. ب: من الغباوة، وهي الجهالة، وفي هـ. ص: أي تسهوا وتغفلوا، يقال: اغبيت عن الشيء وغبيت الشيء أغبي غباوة: إذا لم تفطن له، وغبّي عليّ الشيء كذلك إذا لم تعرفة، انتهىٰ من الشرح.

(٥) في هـ. ب: أثرت، وفي هـ. ص: خطت: أي تجاوزت بكم وقدمتكم إلىٰ منابذتي، والخطو: مقدار ما بين القدمين، انتهىٰ من الشرح.

(٦) في هـ. ب: من الجور.

(٧) في هـ. ب: معاداتي.

(٨) في هـ. ب: جندي وجماعتي.

(٩) في هـ. ص: مثال يقال للشيء الحقير، واللعقة بفتح اللام ويروى بضمّها، وهي ما تأخذه الملعقة، انتهىٰ من الشرح.

(١٠) في هـ. ب: نتجاوز.

(١١) في هـ. ب: لا آخذ بريئا بمجرم.

المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، وعلى أساس ذلك يقيم حكم المعارضة.

لا يتحكم الحكم الاسلامي اذا لم تكن له اغلبية الاصوات بالشورى، فاذا تحقق كما هو الحال في حكومة الإمام ـ فتكون شرعية وقانونية يجب الالتزام بقراراتها العادلة، وللمعارضة حقها في اعلان صوتها ما دامت ملتزمة بهذا الحق القانوني. فاذا تعدت حقها القانوني بأن اصبحت معارضة مسلحة انطبق عليها حكم البغي المشروع فقهيا حيث لا يمكن لأيّة حكومة أن تتحمل المقاومة المسلحة التي تهدد امن الشعوب وسلامتها بالقوة؛ فإنّ لها حق الخيار عن طريق الشورى القانوني فقط.

والإمام في هذا المقطع يشير إلى اهم النقاط في حكم المعارضة المسلحة ضد الحكم بالشورى.

أوّلاً: ـ حكم البغي:

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.[1]

وأشار إلى ما قام به البغاة في حرب الجمل (سنة ٣٦) ويظهر من هذا المقطع أن فلول المعارضة الخاسرة في حرب الجمل تجمعت لشن معارضة مسلحة من جديد، فحذرهم بهذا الكتاب مذكراً بحكم البغي في الاسلام قائلا:

١ ـ (وقد كان من انتشار حبلكم) وانتشار الحبل كناية عن انفلات زمام الامور كالجمل الذي لا يمسكه قائد فتعم الفوضى في المجتمع.

٢ ـ (وشقاقكم) للحكم اللاسلامي بالشورى والبغي عليه بفرض الحكم بالقوة.

٣ ـ (ما لم تغبوا عنه) والغباوة عن الشيئ: عدم معرفته، فان نتيجة البغي المتقدم في حرب الجمل معروفة لدى المعارضة المسلحة.

ثانياً: ـ العفو:

وبعد انتصار الحكم بالشورى على المعارضة المسلحة لابدّ وان ينتهي كلّ مظاهر الانتقام، وقد اشار اليها بقوله:

١ ـ (فعفوت عن مجرمكم) حيث انّه لا يباشر اية حركة مسلحة وان كان لا يزال يعتقد

---

(١) الحجرات: ٩.

بالمعارضة ولكن لم يتصف بحمل السلاح.

٢ ـ(ورفعت السيف عن مدبركم)؛ فإنّ الهروب عن ساحة المعركة يعني عدم المقاومة المسلحة وان كان معارضا فكريا.

٣ ـ(وقبلت من مقبلكم) ممّن خرج من المعارضة حيث اتضحت له الرؤية الواضحة من خطأ المعارضة واقبل إلى جانب الحكم بالشورى.

ثالثاً: ـ الانذار:

ثم أنذر القيام المسلح ضد الحكم بالشورى وفرض الارادة بالقوة فقال:

١ ـ (فإن خطت بكم)؛ فإن تحركت المعارضة خطوة نحو استخدام السلاح في المعارضة.

٢ ـ (الأمور المردية وسفه الآراء الجائرة) والردى: الهلاك، والجور: العدول عن الصواب، وايضا بالشعارات التي ترفعها المعارضة فكريا ضد الحكم بالشورى.

٣ ـ(إلى منابذتي وخلافي) والمنابذة: الطرح بالعدول عن السلم إلى الحرب واستخدام السلاح ضد الإمام شخصيا باعتباره القائد للحكم الاسلامي بالشورى.

٤ ـ (فها أنا ذا قد قربت جيادي ورحلت ركابي)؛ فإنّ القائد لابدّ وان يقوم بدوره المسؤول في تطبيق حكم البغي في المعارضة المسلحة، والجياد: الخيل، والركاب: الابل، فإنّها على استعداد لتنفيذ حكم البغي بالجهاد ضد العدو.

وعن نتائج هذه الحكم القاطع قال:

رابعاً: ـ اخر الحلول:

ان الحرب ضد البغاة لابدّ وان يكون اخر الحلول، فبالنسبة إلى المقاومة المسلحة للبغاة فلا يتبادر اليها، بل لابدّ من محاولات جدية لمنع اراقة دماء الابرياء وايضاح المواقف للطرفين، فقال:

٥ ـ(ولئن ألجأتموني إلى المسير إليكم) باستخدام اخر الحلول وهو الحرب.

(لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلّا كلعقة لاعق)؛ فإنّ في وقعة الجمل كانت الشبهة اقوى من هذه المرة؛ حيث أن كثيراً من الشعب كان يحسن الظن بقيادة طلحة والزبير والسيدة عائشة، وفي هذه المرة ليست لهم قيادات من الصحابة بل وجوه من الفلول القبلية التي شجعها الامويون ودعتهم الى المقاومة المسلحة بدوافع قبليّة وحس

الانتقام الذي ليس من الاسلام، وقوله:(لعقة لاعق) بالفتح مثل يضرب للشئ الحقير التافه، وبالضم ما تاخذه الملعقة، فلا تشبع، أي دفعة واحدة من الأكل القليل.

ولتفصيل خلفية هذا الكتاب راجع ماذكره الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح الخطبة ٥٦.

خامساً: ـ الحقوق الاسلامية:

والحرب ضد البغاة لابدّ وان ينحصر على المتلبس بالجريمة دون غيره، فيجب رعاية الحقوق الاسلاميّة تجاه طبقات الشعب وان كانوا من المعارضة فكريا اذا وضعوا السلاح فهم في امان، وقد أشار الى ثلاث صفات فقال:

١ ـ (مع أني عارف لذي الطاعة منكم فضله) باعتباره مواطنا صالحاً يحترم القانون الاسلامي الحاكم.

٢ ـ (ولذي النصيحة حقه) حيث يقوم بواجبه الاسلامي بالتوجيه والنصح بما يقتضيه الموقف.

٣ ـ(غير متجاوز متهما إلى برئ)؛ فإنّ القانون الاسلامي يمنع من ذلك، قال تعالى:﴿ولا تزروا وازرة وزر اخرى﴾[1] ؛ فإنّ كلّ الناس احرار وبراء من التهمة حتّى تقوم الحجة على ذلك.

٤ ـ (ولا ناكثا إلى وفي) والناكث: من ينقض العهد؛ فإنّ لنقض العهد عقابه، ولا يتعدى هذا العقاب الى من لم ينقض وان كان على صلة قربى أو غيره بالناقض.

وهذه النقاط الخمس الاسلامية تحدد السياسة الاسلاميّة في حكم المعارضة المسلحة ضد الحكم بالشورى.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:

قال إبراهيم : فحدثنا محمّد بن عبد الله ، قال : حدثني ابن أبي السيف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن كعب بن قعين ، قال : خرجت مع جارية من الكوفة إلى البصرة في خمسين رجلا من بني تميم ، ما كان فيهم يماني غيري ، وكنت شديد التشيع ، فقلت لجارية : إن شئت كنت معك ، وإن شئت ملت إلى قومي ! فقال : بل معي ، فوالله لوددت أن الطير

(١) الانعام : ١٦٤.

والبهائم تنصرني عليهم ، فضلا عن الانس.

قال : وروى كعب بن قعين أن عليا عليه السلام كتب مع جارية كتابا ، وقال : أقرأه على أصحابك ، قال : فمضينا معه ، فلما دخلنا البصرة ، بدأ بزياد ، فرحب به وأجلسه إلى جانبه ، وناجاه ساعة وساءله ، ثم خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال : احذر على نفسك ، واتق أن تلقى ما لقى صاحبك القادم قبلك . وخرج جارية من عنده ، فقام في الأزد ، فقال : جزاكم الله من حي خيرا ! ما أعظم غناءكم ، وأحسن بلاءكم ، وأطوعكم لأميركم ! لقد عرفتم الحق إذ ضيعه من أنكره ، ودعوتم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه . ثم قرأ عليهم وعلى من كان معه من شيعة علي عليه السلام وغيرهم - كتاب علي عليه السلام ، فإذا فيه : من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين : سلام عليكم ، أما بعد فإن الله حليم ذو أناة ، لا يعجل بالعقوبة قبل البينة ، ولا يأخذ المذنب عند أول وهلة ، ولكنه يقبل التوبة ، ويستديم الأناة ، ويرضى بالإنابة ، ليكون أعظم للحجة ، وأبلغ في المعذرة ، وقد كان من شقاق جلكم أيها الناس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه ، فعفوت عن مجرمكم ، ورفعت السيف عن مدبركم ، وقبلت من مقبلكم ، وأخذت بيعتكم ، فإن تفوا ببيعتي ، وتقبلوا نصيحتي ، وتستقيموا على طاعتي ، أعمل فيكم بالكتاب والسنة وقصد الحق ، وأقم فيكم سبيل الهدى ، فوالله ما أعلم أن واليا بعد محمّد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك منى ، ولا أعمل بقولي . أقول قولي هذا صادقا ، غير ذام لمن مضى ، ولا منتقصا لأعمالهم ، وإن خبطت بكم الأهواء المردية ، وسفه الرأي الجائر إلى منابذتي ، تريدون خلافي ! فها أنا ذا قربت جيادي ، ورحلت ركابي ، وأيم الله لئن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة ، لا يكون يوم الجمل عندها إلا كلعقة لاعق ، وإني لظان ألا تجعلوا - إن شاء الله - على أنفسكم سبيلا . وقد قدمت هذا الكتاب إليكم حجة عليكم ، ولن أكتب إليكم من بعده كتابا ، إن أنتم استغششتم نصيحتي ، ونابذتم رسولي ، حتى أكون أنا الشاخص نحوكم ، إن شاء الله تعالى . والسلام . قال : فلما قرئ الكتاب على الناس قام صبرة بن شيمان ، فقال : سمعنا وأطعنا ، ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، ولمن سالم سلم ، إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك ، وإن أحببت أن ننصرك نصرناك . وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ونحوه ، فلم يأذن لأحد

منهم أن يسير معه ، ومضى نحو بني تميم».[١]

[٣٠]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى مُعاوِيَةَ:

فَاتَّقِ ٱللّهَ فِيما لَدَيْكَ، وَٱنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَٱرْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا[٢] لَاتُعْذَرُ[٣] بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً[٤]، يَرِدُهَا[٥] ٱلْأَكْيَاسُ، وَيُخالِفُهَا ٱلْأَنْكَاسُ[٦]؛ مَنْ نَكَبَ[٧] عَنْها جارَ[٨] عَنِ ٱلْحَقِّ، وَخَبَطَ فِي ٱلتِّيهِ، وَغَيَّرَ ٱللّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ[٩] بِهِ نِقْمَتَهُ.

فى طاعة الله وطاعة النفس.

(ك ١/٣٠) طاعة الله:

استفتح المقطع بالدعوة الى تقوى الله تعالى ومستلزماتها واهمها: الطاعة لله وحده.

أشار إلى اعلام الطاعة وصفات واحوال المطيعين وجزاء العاصين فقال:

وعن التقوى والاسباب الموجبة لها قال:

١ ـ (فاتق الله فيما لديك) من القدرة على معارضة الحكم الاسلامي بالشورى؛ فإنّ هذه القدرة الشخصية والعسكرية ينبغي أن توجه إلى الاعداء وليس الى المسلمين.

٢ ـ (وانظر في حقة عليك)؛ فإنّ حق الله الذي انعم عليك بهذه القدرة هو استخدامها في ما يرضي الله، وليس فيما يرضي النفس الانسانية الامارة بالسوء.

٣ ـ(وارجع إلى معرفة مالا تعذر بجهالته) من السنة النبوية التي عاشها المسلمون وعرفها كل واحد منهم في تطبيق الحكم الاسلامي بالشورى وليس بالغلبة والقوة.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٤ : ٤٨ ـ ٥٠.

(٢) في ص: من، وفي هـ. ص: في نسخة: ما، وفي هـ. ص «من» يعني نفسه عليه السلام «ما» يعني حقّه عليه السلام.

(٣) في ب: لا يعذر.

(٤) في هـ. د: غاية مطلوبة ـ ض ب.

(٥) في ب: يودّها، وفي هـ. ب: في نسخة: تردها.

(٦) في هـ. ب: جمع نكس، وهو الدنيء من الرجال.

(٧) في هـ. ب: رجع.

(٨) في ص: حاد، وفي هـ. ب: عدل.

(٩) في هـ. ب: ألمّ.

وعن علامات الطاعة لله تعالى قال:

أوّلاً: (فإن للطاعة أعلاما واضحة) لوضوح السيرة النبوية فيها بتطبيقها في حياته.

ثانياً: (وسبلا نيرة) هي القرآن الكريم القانون الاساسي للاسلام والسنة النبويّة .

في كلّ مجالات الحياة العباديّة والاجتماعية والاقتصاديّة والسياسية.

ثالثاً: (ومحجة نهجة) والمحجة: الطريق المستقيم، والنهج: الوضوح؛ لوضوحها في ذلك العصر القريب من حياة الرسول ﷺ وضوحا لا لبس فيه، لمعرفة المسلمين جميعا السيرة النبوية بحذافيرها اما مباشرة كالانصار والمهاجرين أو من الجيل الثاني مباشرة عنهم.

رابعاً: (وغاية مطلوبة)؛ فإنّ لطاعة الله غاية يمكن الوصول اليها لمن يطلبها من السبل الشرعية لها.

وعن صفات المطبعين لله قال:

١ ـ (يردها الأكياس) والكيس: العاقل، حيث انّه يختار ما هو الاصلح عاقبة ولا يغتر بالعاجل من القدرة على شيئ من دون تفكير فيما تنتهي اليه من الاثار.

٢ ـ (ويخالفها الأنكاس) والنكس: الدني من الناس، حيث يخالف طاعة الله سبحانه ويرتكب ماتشتهيه نفسه من دون نظر إلى العواقب، أو عدم اعتقاد بها.

وعن جزاء العاصي قال:

أوّلاً: (من نكب عنها جار عن الحق) والنكب: العدول؛ فإنّ العدول عن طاعة الله باستخدام البديل لا يكون إلّا اختيارا للمعصية، وهي جور؛ لكونه عدولا عن الحق.

ثانياً: (وخبط في التيه) وهو الحيرة، حيث لا يكون له منهاج ثابت عليه، فتكون قراراته تابعة لشهواته التي تتغير من حال إلى حال، وتستلزم الضلال في المسير والهدف.

ثالثاً: (وغير الله نعمته) التي أنعم الله عليه، فالقدرة التي وهبها الله لا تبقى إلى الابد، واستخدامه فيما لا يرضي الله يكون مضيعة لنعمه تعالى.

رابعاً: (وأحل به نقمته) حيث انّه لا بديل لتضييع النعمة سوى النقمة؛ فإنّ الله اعطى معاوية نعمة القدرة الفكرية والعسكرية، وحق هذه النعمة الالهيّة استخدامها في رضى الله والتعاون مع الحكم الاسلامي بالشورى ضد اعداء الاسلام، وليس بالتعاون مع اعداء الاسلام ضد الحكم الاسلامي القائم بالشورى، كما هو مشروح في التاريخ من دفع الجزية

إلى البيزنطيين للتفرغ لمحاربة الاسلام.

وانّ رفض الحكم بالشورى واستخدام القوّة في تسلم الحكم تمهيد لشرعية استخدام القوة ضد نفسها، كما فعل العباسيون في ازاحة الحكم الأموي من الوجود؛ فإنّ ذلك كله يسبب تغيير نعمة الله الى النقمة.

(٢/ك٣٠) طاعة النفس:

فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ! فَقَدْ بَيَّنَ ٱللّٰهُ لَكَ سَبِيلَكَ[١]، وَحَيْثُ[٢] تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ[٣] إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحِلَّةِ كُفْرٍ، وَإِنَّ[٤] نَفْسَكَ قَدْ أَوْحَلَتْكَ[٥] شَرّاً، وَأَقْحَمَتْكَ[٦] غَيّاً[٧]، وَأَوْرَدَتْكَ[٨] ٱلْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ[٩] عَلَيْكَ ٱلْمَسَالِكَ.

وطاعة النفس الامارة بالسوء تضاد طاعة الله تعالى، فحذر عنها واثارها باعتبارها السبب الرئيسي في عدم الرضوخ لطاعة الله فقال:

١ ـ (فنفسك نفسك) على سبيل الاغراء، اى احذر نفسك وأبعدها من الانحراف عن المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة التي يدعوا اليها القرآن، وطبعها على السنّة النبويّة، فقد قال تعالى:﴿ان النفس لأمارة بالسوء إلّا مارحم ربي﴾.[١٠]

٢ ـ (فقد بين الله لك سبيلك) في النصوص الآمرة بالطاعة للحكم بالشورى وغيرها.

٣ ـ(وحيث تناهت بك أمورك) بأن انتهت إلى المرحلة الاخيرة من القرار.

٤ ـ (فقد أجريت إلى غاية خسر)؛ فإنّ النتيجة لهذه المرحلة الاخيرة الخسران.

---

(١) في ب: سبلك، وفي هـ. ب: في نسخة: سبيلك.

(٢) في هـ. ص: الظاهر أن «حيث» هاهنا متضمنة معنى الشرط، وواقعة مع ما بعدها موقع الشرط والجزاء، وجوابها قوله: «فقد أجريت إلى غاية...الخ» أي سواء تناهت بك أُمورك إلىٰ نيل ما طلبت أو فوته، فقد فعلت أفعالاً توجب لك الخسر والكفر، ومحلك في الآخرة محل الخاسر الكافر.

(٣) في هـ. ب: مشيت.

(٤) في ط: فإن.

(٥) في ط و د: أولجتك، وفي هـ. ب: من الوحل، ويروىٰ: أوجلتك من الوجل، وفي هـ. ص: أي اثبتك في الشر كما يرتبك الداخل في الوحل.

(٦) في هـ. ب: ادخلتك.

(٧) في هـ. ب: جهالات.

(٨) في هـ. ب: أدخلتك.

(٩) في هـ. ب: أصعبت.

(١٠) يوسف : ٥٣.

٥ ـ (ومحلة كفر) حيث لا يكون للطاعة بديل سوى الكفر الذي يحل محلها .

وعن نتيجة طاعة النفس قال:

أوّلاً: (وإن نفسك قد أولجتك شرا) والولوج: الدخول في الشر بسبب طاعة النفس، وهي بالنسبة إلى موقف معاوية الدخول في الحرب لتغيير نظام الحكم بالشورى إلى نظام ملوكي على غرار حكم الفرس الاكاسرة والروم القياصرة.

ثانياً: (وأقحمتك غيا) وهو عدم الرشد بترك الحكم الاسلامي بالشورى ومعارضتها بالقوة العسكرية.

ثالثاً: (وأوردتك المهالك) حيث المهالك الروحية بالانحراف عن اصل الشورى الاسلامي والمخاطر الجسدية في الحرب كما هو متوقع.

رابعاً: (وأوعرت عليك المسالك) والوعورة: الصعوبة؛ فإنّ هذا التغيير في نظام الحكم الاسلامي بالشورى بالقوة سيعطى مبررا لاية قوة اخرى ان تعامل معاوية بالمثل سواءً من غير المسلمين حيث لا رابطة تربطهم بالمسلمين، وايضا من المسلمين؛ لأنّ معاوية شرع استخدام القوّة في الاستيلاء على السلطة، وهذه من المسالك الوعرة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، وصدق الرسول العظيم.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« وأول هذا الكتاب : أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي ، وتستقبح موازرتي ، وتزعمني متحيرا وعن الحق مقصرا ، فسبحان الله ، كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة ! إني لم أشاغب إلا في أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، ولم أتجبر [١] إلا على باغ مارق ، أو ملحد منافق ، ولم آخذ في ذلك إلا بقول الله سبحانه :) لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم)[٢] ، وأما التقصير في حق الله تعالى فمعاذ الله ! وإنما المقصر في حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة ، وركن إلى الأهواء المبتدعة ، وأخلد إلى الضلالة المحيرة ، ومن العجب أن تصف يا معاوية الاحسان ، وتخالف البرهان ، وتنكث الوثائق التي هي لله عز وجل طلبة ، وعلى عباده حجة ، مع

---

(١) في بعض النسخ:« ولم أضجر».
(٢) سورة المجادلة: ٢٢ .

نبذ الاسلام ، وتضييع الاحكام ، وطمس الاعلام، والجري في الهوى ، والتهوس [١] في الردى ، فاتق الله فيما لديك ، وانظر في حقه عليك . . . الفصل المذكور في الكتاب . وفي الخطبة زيادات يسيرة لم يذكرها الرضي رحمه الله منها : وإن للناس جماعة يد الله عليها ، وغضب الله على من خالفها ، فنفسك نفسك قبل حلول رمسك ، فإنك إلى الله راجع ، وإلى حشره مهطع [٢] وسيبهظك كربه ، ويحل بك غمه ، في يوم لا يغنى النادم ندمه ، ولا يقبل من المعتذر عذره (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون)[٣]».[٤]

[٣١]

ومن وَصِيَّةٍ لَهُ عليه السلام لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام
كَتَبَهَا إِلَيْهِ بِحاضِرِينَ[٥] مُنْصَرِفاً مِنْ صِفِّينَ:

٣١ ـ ومن وصية له للحسن بن علي عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفا من صفين .

يتضمّن صفات الموصي والموصى له ـ سبب الكتابة ـ تقوى الله ـ احياء القلب ـ ومسائل ذلف ـ تاريخ الوصية ـ من اهداف الوصية: الادب ـ منابع الوصية ـ من اهداف الوصيّة: الرشد ـ سيرة اهل البيت ـ العلم ـ شرط الوصية ـ الاعتصام بالله ـ الرسول الرائد ـ صفات الله وطاعته ـ حال الدنيا ـ مثل الدنيا ـ ميزان النفس ـ الاعجاب آفة النفس ـ مع اهل الفاقة ـ الاستعداد للاخرة ـ الدعاء ـ الاذن في الدعاء ـ حالات الداعي ـ الاولوية في الادعية ـ اجابة الدعاء ـ التوبة ـ ذكر الموت ـ اهل الدنيا ـ الحياة سفرة ـ منهاج الحياة ـ

---

(١) التهوس في الردى : الوقوع فيه .
(٢) المهطع : الذي ينظر في ذل وخشوع .
(٣) سورة الدخان: ٤١ .
(٤) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ٧ ـ ٩.
(٥) «حاضرين» بلد في نواحي صفين، وفي هـ . ب: اسم بلد، وفي هـ . ص: قال ابن أبي الحديد: «كتبها إليه بحاضرين»؛ الذي كنا نقرؤه قديماً؛ «كتبها إليه بالحاضرَيْن» على صيغة التثنية؛ يعني حاضر حلب وحاضر قِنّسرين، وهي الأرباض والضواحي المحيطة بهذه البلاد؛ ثم قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام؛ ولم يفسّروه؛ ومنهم من يذكره بصيغة الجمع لا بصيغة التثنية، ومنهم من يقول: بخناصرين، يظّنونه تثنية خناصرة أو جمعها، وقد طلبتُ هذه الكلمة في الكتب المصنفة، سيّما في البلاد [والأرضين] فلم أجدها، ولعلّي أظفر بها فيما بعد فألحقها في هذا الموضع، انتهىٰ. وقال ابن خلّكان: خناصرة ـ بالخاء معجمة وبعدها نون وبعد الالف صاد مكسوره مهملة، وبعد الراء هاء ـ: وهي بليدة قديمة بالقرب من حمص، انتهىٰ.

النفس والمجتمع ـ منهاج الاسوة ـ مع الموظفين ـ مع المعارف ـ ختام الوصية.

هذه الوصية اطول وصية كتبها الإمام لولده الحسن بعد صفين عام ٣٧ في حاضرين.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«أما قوله : "كتبها إليه بحاضرين" ، فالذي كنا نقرؤه قديما ، "كتبها إليه بالحاضرين" على صيغة التثنية ، يعنى حاضر حلب وحاضر قنسرين ، وهي الأرباض والضواحي المحيطة بهذه البلاد ، ثم قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام ، ولم يفسروه ، ومنهم من يذكره بصيغة الجمع لا بصيغة التثنية ، ومنهم من يقول بخناصرين ، يظنونه تثنية خناصرة أو جمعها ، وقد طلبت هذه الكلمة في الكتب المصنفة ، سيما في البلاد والأرضين فلم أجدها ، ولعلي أظفر بها فيما بعد فألحقها في هذا الموضع».(١)

وتتضمّن مواضيع كثيرة نشير اليها تباعاً، وفي رواية الرضى (ت /٤٠٦) ورواية ابن طاووس (ت / ٦٦٤) مواضع خلاف، يراجع المسند في ذلك.

وهي جديرة بأن تحقق مستقلة عسى أن اوفق لذلك أو غيرى ممّن يجد في نفسه القدرة والكفاءة.

ترجمة الإمام الحسن عليه السلام.

وقد ترجم الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) الإمام الحسن ترجمة طويلة في شرح النهج ١٦: ٩ ـ ٥١، اكتفيت بمطلع الترجمة وقدمته في اول الوصية على خلاف العادة من ذكر المنتقى من شرحه في الآخر؛ لطول هذه الوصية، ويراجع موارد الاعتبار، والله وليّ التوفيق.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«

[ترجمة الحسن بن علي وذكر بعض أخباره]

قال الزبير بن بكار في كتاب " أنساب قريش " : ولد الحسن بن علي عليه السلام للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله حسنا ، وتوفي لليال خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين . قال : والمروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله سمى حسنا وحسينا رضي الله عنهما يوم سابعهما ، واشتق اسم حسين من اسم حسن . قال : وروى جعفر بن

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ٥٢.

محمّد عليه السلام أن فاطمة عليها السلام حلقت حسنا وحسينا يوم سابعهما ووزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضه . قال الزبير : وروت زينب بنت أبي رافع ، قالت : أتت فاطمة عليها السلام بابنيها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه الذي توفي فيه ، فقالت : يا رسول الله ، هذان ابناك ، فورثهما شيئا ، فقال : أما حسن فإن له هيبتي وسؤددي ، وأما حسين فإن له جرأتي وجودي . وروى محمّد بن حبيب في أماليه أن الحسن عليه السلام حج خمس عشرة حجة ماشيا تقاد الجنائب معه ، وخرج من ماله مرتين ، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات ماله ، حتى أنه كان يعطي نعلا ويمسك نعلا ، ويعطي خفا ، ويمسك خفا . وروى أبو جعفر محمّد بن حبيب أيضا أن الحسن عليه السلام أعطى شاعرا ، فقال له رجل من جلسائه : سبحان الله ! أ تعطي شاعرا يعصي الرحمن ، ويقول البهتان ! فقال : يا عبد الله ، إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر . وروى أبو جعفر ، قال : قال ابن عباس رحمه الله : أول ذل دخل على العرب موت الحسن عليه السلام . وروى أبو الحسن المدائني ، قال : سقي الحسن عليه السلام السم أربع مرات ، فقال : لقد سقيته مرارا فما شق علي مثل مشقته هذه المرة . فقال له الحسين عليه السلام : أخبرني من سقاك ؟ قال : لتقتله ؟ قال : نعم ، قال : ما أنا بمخبرك ، إن يكن صاحبي الذي أظن فالله أشد نقمة ، وإلا فما أحب أن يقتل بي برئ . وروى أبو الحسن ، قال : قال معاوية لابن عباس ، ولقيه بمكة : يا عجبا من وفاة الحسن ! شرب علة بماء رومة، فقضى نحبه ، فوجم ابن عباس ، فقال معاوية : لا يحزنك الله ولا يسوءك ، فقال : لا يسوءني ما أبقاك الله ! فأمر له بمائة ألف درهم . وروى أبو الحسن قال : أول من نعى الحسن عليه السلام بالبصرة عبد الله بن سلمة ، نعاه لزياد ، فخرج الحكم بن أبي العاص الثقفي ، فنعاه ، فبكى الناس – وأبو بكرة يومئذ مريض ، فسمع الضجة ، فقال : ما هذا ؟ فقالت امرأته ميسة بنت سخام الثقفية : مات الحسن بن علي ، فالحمد لله الذي أراح الناس منه ! فقال : اسكتي ويحك فقد أراحه الله من شر كثير ، وفقد الناس بموته خيرا كثيرا ، يرحم الله حسنا ! قال أبو الحسن المدائني : وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين ، وكان مرضه أربعين يوما ، وكانت سنه سبعا وأربعين سنة ، دس إليه معاوية سما على يد جعدة بنت الأشعث ابن قيس زوجة الحسن ، وقال لها : إن قتلتيه بالسم فلك مائة ألف ، وأزوجك يزيد ابني . فلما مات وفى لها بالمال ، ولم يزوجها من يزيد . قال : أخشى أن تصنع بابني كما صنعت

بابن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».[١]

(ك ١/٣١) الموصي والوصي:

مِنَ ٱلْوَالِدِ ٱلْفانِ، ٱلْمُقِرِّ لِلزَّمانِ[٢]، ٱلْمُدْبِرِ ٱلْعُمُرِ، ٱلْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، ٱلذَّامِّ لِلدُّنْيَا، ٱلسَّاكِنِ مَسَاكِنَ ٱلْمَوْتَى، ٱلظَّاعِنِ عَنْها غَدًا.

إِلَى ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُؤَمِّلِ مالا يُدْرِكُ[٣]، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ[٤] ٱلأَسْقامِ، وَرَهِينَةِ ٱلْأَيَّامِ[٥]، وَرَمِيَّةِ[٦] ٱلْمَصَائِبِ[٧]، وَعَبْدِ ٱلدُّنْيا، وَتَاجِرِ ٱلْغُرُورِ، وَغَرِيمِ ٱلْمَنايا، وَأَسِيرِ ٱلْمَوْتِ، وَحَلِيفِ[٨] ٱلْهُمُومِ، وَقَرِينِ ٱلأَحْزَانِ، وَنُصُبِ[٩] ٱلآفاتِ[١٠]، وَصَرِيعِ ٱلشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ ٱلأَمْواتِ[١١].

واستفتح المقطع بصفات الموصي فقال:

١ ـ (من الوالد الفان) اقتباس من قوله تعالى:﴿كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾.[١٢]

٢ ـ (المقر للزمان) لغلبته على الإنسان خطوة فخطوة نحو الفناء.

٣ ـ(المدبر العمر) حيث انقضى زهرة حياته بل اكثره، فهو في سن الكبر، والعمر الطبيعي في حدود السبعين، فيكون عمره في ادبار للتوجه الى دار القرار.

٤ ـ (المستسلم للدهر الذام للدنيا) حيث لا محيص سوى الاستسلام لما ليس عنه سلام.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ٩ ـ ١١.
(٢) أي المعترف له بالشدة.
(٣) وهو البقاء في الدنيا.
(٤) في هـ. ص: الغرض: الرمية؛ لأنّ الإنسان كالهدف لآفات الدنيا وأمراضها.
(٥) في هـ. ص: كأنّ المعنىٰ أنّ الأيام تطالب الإنسان بنفسه فيرهنها جسده، وذلك تمثيل.
(٦) في هـ. ص: المرمي.
(٧) في هـ. ب: جمع مصيبة.
(٨) في هـ. ب: ملازم، وفي هـ. ص: الحلف والحليف والمحالف، والمعنىٰ: الملازم.
(٩) في هـ. ص: النصب: ما تنصب لترمىٰ.
(١٠) في هـ. ب: الهم.
(١١) في هـ. ص: اعلم أنّ هذه الصفات لم يجرها عليه السلام على الحسن عليه السلام بالنظر إلىٰ نفسه وخصوصيته، وإنّما ذلك بالنظر إلى أنه واحد من البشر الذين من شأنهم هذه الصفات والأحوال، وكل ذلك لتنفره من الدنيا وتحقّرها عنده، والله أعلم.
(١٢) الضحى :٢٦.

٥ ـ (الساكن مساكن الموتى) لكثرة من سكن في الدنيا وفارقها بالموت.

٦ ـ (والظاعن عنها غدا) والظعن: الانتقال مسافراً عنها في المستقبل القريب كالغد زماناً، وهي صفات تعلن عن روحية الإمام بعد الانصراف من صفين من دون نصر ظاهر بسبب حادثة التحكيم.

وعن صفات الوصي قال:

١ ـ (إلى المولود) في هذه الدنيا التي تغري من حل فيها بالعدة والعدد.

٢ ـ (المؤمل ما لا يدرك) ولعله اشارة إلى امل النصر في حرب صفين الذي لم يدرك.

٣ ـ(السالك سبيل من قد هلك) من قبلنا من ملك وهلك أو لم يملك فترك.

٤ ـ (غرض الأسقام) التي تتوجه إلى كلّ انسان في الحياة، ومنها: الاسقام الروحية التي حصلت في ساحة معركة صفّين، وربما صوب بعض الشامتين نحو الحسن بالذات نقداً لاذعاً لايصاله إلى الإمام بطريق غير مباشر.

٥ ـ (ورهينة الأيام)؛ فإنّ الحسن كالرهن في هذه الامة بعد الإمام باعتباره خليفة له، والسائر على خطاه، والمندسين سيرجعون الى نقده بعد وفات الإمام في الايام المقبلة، أو انّه كغيره من البشر رهين الحياة اياما في هذه الدنيا.

٦ ـ (ورمية المصائب) فتتوجه المصائب نحوه بعد حياة الإمام، متنبئا بمستقبل تعامل اعدائه الامويين مع الحسن الذي لا يملك ما يملكه الإمام من الاصحاب.

٧ ـ (وعبد الدنيا)؛ فإنّ كلّ من يعش في الدنيا يفتقر اليه في المعاش والمعاد كما يحتاج العبد في حياته الماديّة.

٨ ـ (وتاجر الغرور)؛ فإنّ متاع الدنيا غرور لا اجل له ولابقاء، فيكون المحتاج اليها تاجراً كذلك.

٩ ـ (وغريم المنايا) وهي الموت؛ لأنّه يطلب الإنسان كالغريم الذي يطالب الانسان.

١٠ ـ (وأسير الموت) حيث لا يمكن الفرار منه كالاسير.

١١ ـ (وحليف الهموم) التي ترافق الحياة لكل انسان.

١٢ ـ (وقرين الأحزان) المتواردة على كلّ انسان.

١٣ ـ (ونصب الآفات) والنصب: ما لا يفارق، فيكون معه دائما.

١٤ ـ (وصريع الشهوات) وهي الرغبات التي تقضي على الإنسان في حياته.

١٥ ـ (وخليفة الأموات) فبعد موت الموصي يكون خليفة له في اموره.

وهذه صفات عامة لكل انسان لا محالة، وان كان في بعضها اشارات وتنبؤات عن مستقبل الحسن بالذات، مع مواقف اعداء الامويين ضده، وربما لهذا السبب بالذات كتب الوصية للحسن خاصة ولم يشاركه فيها اخيه الحسين، والله اعلم.

(٢ / ك ٣١) **سبب الكتابة.**

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيما[1] تَبَيَّنْتُ[2] مِنْ إِدْبارِ ٱلدُّنْيا عَنِّي، وَجُمُوحِ[3] ٱلدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبالِ ٱلآخِرَةِ إِلَيَّ، ما يَزَعُنِي[4] عَنْ ذِكْرِ[5] مَنْ سِوَايَ، وَٱلاهْتِمام[6] بِما وَرَائِي[7]، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ[8] ٱلنَّاسِ ـ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَقَنِي[9] رَأْيِي[10]، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوائي، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ[11] أَمْرِي، فَأَفْضى بِي إِلى جِدٍّ لا يَكُونُ فِيهِ[12] لَعِبٌ[13]، وَصِدْقٍ لا يَشُوبُهُ كَذِبٌ، وَجَدْتُكَ بَعْضِي[14]، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصابَكَ أَصابَنِي، وَكَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتانِي، فَعَنانِي[15] مِنْ أَمْرِكَ ما يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتابِي هذا[16] مُسْتَظْهِراً[17] بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

---

(١) في ب: ممّا، وفي هـ. ب: في نسخة: فيما، وفي هـ. د: فإني فيما ـ ب فإن ممّا ـ ش.
(٢) في هـ. ب: علمت.
(٣) في هـ. ص: أي جوره.
(٤) في هـ. ب: ما يزعني: الذي يدفعني، وفي هـ. ص: أي يصرفني ويكفيني، وفي هـ. د: يرغّبني ـ ب.
(٥) في ص: ذكري، وفي هـ. ص: في نسخة: ذكر.
(٦) في هـ. ب: من الهمة.
(٧) في هـ. ص: أي ما أخلفه بعدي من ولد أو غيره.
(٨) هـ. ب: جمع همة.
(٩) في ب: فصدقني، وفي هـ. ب: أعرضني.
(١٠) في هـ. ص: يقال: صدقه كذا، أي وضح له أمره، فالمعنىٰ: وضح لي الرأي الذي ينبغي أن أكون عليه.
(١١) في هـ. ب: خالص.
(١٢) في ب: معه، وفي هـ. ب: في نسخة: فيه، وفي هـ. د: معه ـ ش.
(١٣) في هـ. ص: أي لا يمكن أن يكون فيه لعب.
(١٤) في هـ. ص: قوله: «وجدتك بعضي» جواب «حيث»؛ لأنّ الكلام رتب بعدها ترتيب الشرط والجزاء.
(١٥) في هـ. ب: إلىٰ عناية من أمرك، وفي هـ. ص: عطف على «وجدتك».
(١٦) لم ترد «هذا» في ط.
(١٧) في هـ. ب احتياطاً، وفي هـ. ص: أي مستعينا، من الظهير وهو المعين، أي أنا مستظهر به في

اشار الإمام الى هموم شخصية بقوله:

١ ـ (أما بعد؛ فإنّ فيما تبينت من إدبار الدنيا عني) بسبب بلوغ النصف الآخر من العمر البالغ سبعين عاما.

٢ ـ (وجموح الدهر علي) والجموح: الغلبة من شروره غير المتوقعة، ومنها: مسألة التحكيم.

٣ ـ (وإقبال الآخرة إلي) بسبب تقدم العمر لحظة فلحظة.

فان هذه الامور الثلاثة لها تأثير نفسي على كلّ انسان، وخاصة من هو في قمة القيادة، فهي كافية عن الانشغال بامور اخرى والتركيز على النفس فقط فقال:

٤ ـ (ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي) من الاولاد وشؤونهم، بل تقتضي هذه الامور التركيز على الاستعداد للاخرة لنفسي خاصة.

ثم ذكر السبب في كتابة الوصيّة بقوله:

١ ـ (غير أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي) فجعل هم نفسي وحيداً من هموم الناس، ومقتضى هذا التفرد امور، هي:

أوّلاً: (فصدفني رأيي) أي صرف رايي إلى امر اخر سوى الاستعداد لما يهم نفس الإنسان للاخرة.

ثانياً: (وصرفني عن هواي) بما اهوى أن يحصل من شؤون الاولاد مثلا.

ثالثاً: (وصرح لي محض أمري) بالخلوص على ما يتعلق بالنفس خاصة من الامور الشخصية.

وعن نتيجة هذا التفرد والاستعداد للاخرة قال:

١ ـ (فأفضى بي إلى جد لا يكون فيه لعب).

٢ ـ (وصدق لا يشوبه كذب) ويستلزم ذلك عدم التفكير في امر الاولاد وما شابه من امور الدنيا، فإنّه بالرغم من ذلك كتب هذه الوصية، مع انها ليست من الامور الشخصية، بل هي للامور العائلية.

وعن سبب ذلك فقال:

حَالَيْ بقائي وفنائي.

١ ـ (ووجدتك بعضي)؛ فإنّ اولادنا اكبادنا تمشي على الارض.

٢ ـ (بل وجدتك كلي)؛ فإنّ الحسن هو المعد لتحمّل المسؤولية للقيادة الاسلاميّة من جانب اهل البيت بعد وفاة والده.

٣ ـ(حتى كأن شيئا لو أصابك أصابني) لوحدة المسير والهدف.

٤ ـ (وكأن الموت لو أتاك أتاني) لانك جزء مني.

ونتيجة لهذه الحقيقة يجب كتابة هذه الوصية لانها استعداد للنفس إلى سفر الآخرة، فقال:

٥ ـ (فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي) فالوصية للابن خطوة من خطوات الاستعداد للاخرة.

٦ ـ (فكتبت إليك مستظهرا به) يكون مورداً للرجوع اليه للتحامي عن الوقوع في الخطأ كما يستعين الإنسان بظهر له.

٧ ـ (إن أنا بقيت لك) في الحياة، ولكن ليس بالقريب منك للمشافهة بالخطأ.

٨ ـ (أو فنيت) بالشهادة فحينئذ لا يكون التواصل إلّا بواسطة هذه الوصية؛ فإنّ كتابة الوصية واجب اسلامي وهي خطوة للاستعداد الشخصى إلى مسيرة الآخرة.

(٣/ك ٣١) تقوى الله:

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى ٱللّهِ ـ أَيْ بُنَيَّ ـ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَٱلْاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللّهِ إِنْ أَنتَ أَخَذْتَ بِهِ[1]؟

اول مواد الوصية تقوى الله فقال:

(فإني أوصيك بتقوى الله أي بني)؛ فإنّ تقوى الله الحجر الاساس لاي عمل صالح، والاجتناب عن اي عمل طالح في الحياة.

وأشار إلى كيفية تحصيل التقوى بقوله:

أوّلاً: (ولزوم أمره) بالطاعة للاوامر الشرعية في كلّ مجالات الحياة في العبادة

---

(١) في هـ . ص: قال ابن أبي الحديد: أن السبب يراد به هنا القرآن، وأقول: الأظهر إن المراد بالحبل والسبب في هذ الموضع الوصلة بحسن المعاملة، أي صل ما بينك وبين الله بحسن المعاملة واجعل ذلك سبباً واصلاً بينك وبينه، كأنّك متعلق بطرفه وطرفه محفوظ عند الله، والله أعلم.

والاقتصاد والسياسة.

ثانياً: (وعمارة قلبك بذكره)؛ فإنّ بذكر عن الله تعمر القلوب؛ قال سبحانه: ﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.[١]

ثالثاً: (والاعتصام بحبله) وهو القرآن الكريم وسنة رسوله العظيم.

ثم علل ذلك بقوله على سبيل الاستفهام الانكاري:

(وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به؟).

حبث لا سبب أقوى منه، قال تعالى:﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[٢].

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لاَ ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٣].

(٤/ك ٣١) احياء القلب:

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ[٤]، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَناءِ[٥]، وَبَصِّرْهُ[٦] فَجائِعَ[٧] ٱلدُّنْيا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ[٨] ٱلدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ ٱللَّيالِي وَٱلْأَيَّامِ، وَٱعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبارَ ٱلْماضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِما أَصَابَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ مِنَ ٱلأَوَّلينَ، وَسِرْ فِي دِيارِهِمْ وَآثارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيما فَعَلُوا، وَعَمَّا ٱنْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا[٩]، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ ٱنْتَقَلُوا عَنِ ٱلأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيارَ[١٠] ٱلْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ.

ثم شرح الامام المادة الثانية لتقوى الله حيث قال: (وعمارة قلبك بذكره) وسرد الاسباب التي تحيي القلوب بالوعي الاسلامي المسيطر على الإنسان ويوجهه في الحياة

---

(١) الرعد : ٢٨ .
(٢) آل عمران : ١٠٣.
(٣) البقرة: ٢٥٦.
(٤) لم ترد «ونوره بالحكمة» في ب، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ش.
(٥) أي أطلب منه الاقرار بالفناء.
(٦) أي أجعله بصيراً.
(٧) في هـ. ب: جمع فجيعة، وهي الألم.
(٨) في هـ. ب: حملة.
(٩) لم ترد «وأين حلّوا ونزلوا» في ب، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ش.
(١٠) في أ و ب و ط: دار، وفي هـ. ب: في نسخة: ديار، وفي هـ. د: ديار ـ ض ب ل.

إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

١ ـ (أحي قلبك بالموعظة)؛ لأنّ العقل بدون هذه الصفات يكون عقلا عاطلا عن التفكير الصحيح فهو ميّت عمليا.

والوعظ: ذكر ما يصلح السريرة من العبر التاريخية وغيرها.

٢ ـ (وأمته بالزهادة) والزهد: القناعة بما يفتقر اليه من المادة وعدم الاغترار بما زاد على ذلك.

٣ ـ(وقوة باليقين) وهو الرؤية الواضحة بمراتبها الثلاث من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

٤ ـ (ونوره بالحكمة) وهو المعرفة والعلم بحقائق الاشياء دون ظواهرها.

٥ ـ (وذلله بذكر الموت) الذي يذل كلّ انسان في الحياة مهما كان عزيزاً.

٦ ـ (وقرره بالفناء) والاقرار هو الاعتراف بالشئ كحقيقة واقعة.

٧ ـ (وبصره فجائع الدنيا)؛ فإنّ مصائب الدنيا لا حد لها ولا حصر في النفس والمال وغيرهما.

٨ ـ(وحذره) من خصائص الدهر، وخص بالذكر منها:

أوّلاً: (صولة الدهر) حيث له صولة وصولة في حياة كلّ فرد واهمها غرور الشباب.

ثانياً: (وفحش تقلب الليالي والأيام) فكم من عال سفل وسافل علا، وجاهل تعلم وعالم اصبح جاهلا، وفقير استغنى وغني افتقر، وهكذا إلى مالا نهاية له من تقلب الدهر.

٩ ـ (وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين) بدراسة التاريخ الماضي للامم والافراد والملوك والرؤساء والقضاة والولاة؛ فانهم جميعا خلدوا اما في خلد التاريخ أو مزبلته باعمالهم حسب طاقاتهم في الدنيا، وخصّ انواع الذكر بقوله:

أوّلاً: (وسر في ديارهم) وهي ممالك سلطة السلاطين من فرعون وكسرى وزنوبيا وغيرهم.

ثانياً: (وآثارهم) من الاهرام وطاق طيسون وبالمير وتاج محل وغيرها لعزهم.

ثالثاً: (فانظر فيما فعلوا) فهل نفعتهم هذه الآثار ؟

رابعاً: (وعما انتقلوا) ألم تكن الديار ديار سلطانهم؟

خامساً: (وأين حلوا ونزلوا) ألم يكن مصيرهم الاخير القبر ككلّ الناس؟

وعن نتيجة الذكر والعبرة من دراسة التاريخ والآثار أشار بقوله:

١٠ ـ (فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا ديار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم) فلا يكون هناك فرق بين الملك والرعية والغني والفقير .

وهذه النقاط العشر تحيي القلوب وتوصل إلى ما هو المطلوب من الإنسان المتهيئ للسير الى دار الامان، والله المستعان.

(٥/ك ٣١) وسائل احياء القلب:

فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْياكَ، وَدَعِ ٱلْقَوْلَ فِيما لا تَعْرِفُ، وَالْخِطابَ فِيما لَمْ تُكَلَّفْ[١]، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذا خِفْتَ ضَلالَتَهُ، فَإِنَّ ٱلْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ ٱلضَّلالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ ٱلْأَهْوَالِ[٢].

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ ٱلْمُنكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبايِنْ[٣] مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجاهِدْ فِي ٱللّٰهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلا تَأْخُذْكَ فِي ٱللّٰهِ لَوْمَةُ لائِمٍ.

وَخُضِ[٤] ٱلْغَمَراتِ[٥] لِلْحَقِّ[٦] حَيْثُ كانَ[٧]، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلتَّصَبُّرَ[٨] عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ ٱلْخُلُقُ ٱلتَّصَبُّرُ فِي ٱلحَقِّ[٩].

---

(١) في هـ. ص: لايشكّ ذو النظر الصحيح أنّ علم اللطيف من ذلك، ولا تغتر بزعم الزاعمين أن معرفة توحيد الله وعدله متوقفة على قواعد، فقد عرف المؤمنون قبل مبعث رسول الله ﷺ وبعده ربهم واعتقدوا جلاله قبل تكلّف المتكلّفين لقواعده واختلافهم في مبانيه ومسالكه، عصمنا الله برحمته.

(٢) في هـ. ب: المخاوف.

(٣) أي باعد وجانب.

(٤) في هـ. ب: من خاض يخوض.

(٥) في هـ. ب: الشدائد.

(٦) في ب: إلىٰ الحق، وفي هـ. د: إلىٰ الحق ـ ش.

(٧) في هـ. ص: قال ابن أبي الحديد: لا شبهة إن الحسن عليه السلام لو تمكن لخاضها إلّا أنّ من فقد النصّار فلا حيلة له، وهل ينهض البازي بغير جناح؟! والّذي خاضها مع عدم النصّار الحسين عليه السلام، ولهذا عظم عند الناس قدره فقدمه قوم كثير على الحسن، فإن قلت: فما قول أصحابكم في ذلك؟ قلت: هما في الفضيلة عندنا سيّان، أما الحسن فلوقوفه مع قوله تعالىٰ: ﴿إلّا أن تتقوا منهم تقاة﴾ وأما الحسين فلإعزاز الدين ،انتهىٰ.

(٨) في د: الصبر، وفي هـ. د: التصبر ـ ض ب ل.

(٩) لم ترد «وتفقه في الدين ... إلىٰ: في الحق» في ب، و في هـ. د: العبارة ساقطة من ش، وعبارة: «في الحق» لم ترد في أ و ص.

وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي ٱلْأُمُورِ[١] كُلِّها إِلى إِلهِكَ؛ فَإِنَّكَ تُلْجِئُها إِلى كَهْفٍ حَرِيزٍ[٢] وَمانِعٍ عَزِيزٍ.

وَأَخْلِصْ فِي ٱلْمَسْأَلَةِ لِرَبِّك، فَإِنَّ بِيَدِهِ ٱلْعَطاءَ وَٱلْحِرْمانَ وَأَكْثِرِ ٱلاسْتِخارَةَ[٣]، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلا تَذْهَبَنَّ عَنْها[٤] صَفْحاً[٥]، فَإِنَّ خَيْرَ ٱلْقَوْلِ ما نَفَعَ، وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لايَنْفَعُ، وَلا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ[٦] تَعَلُّمُهُ.

وزاد في وسائل احياء القلب توجيهات عملية فقال:

١ ـ (فاصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك)؛ لأنّ الاخرة هي المثوى الخالد، والدنيا مرحلة الانتقال اليها.

٢ ـ (ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف)؛ فإنّ من حسن اسلام المرء تركه مالا يعينه، فلا تتكلم عن شئ لا تعرف حقيقته، ولا تخطب في شئ لم تكلف من قبل مسؤول أعلى في ابلاغ ذلك الخطاب.

٣ ـ (وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته)؛ فإنّ مجرد احتمال الضلاله كافية في الامساك عن دخول ذلك الطريق حتّى تتبين الحقيقة وتقوم الحجة الشرعية.

وذكر في تعليل ذلك :(فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال) في الآخرة عند الله، وفي الدنيا عند الناس، والتاريخ لا يرحم احداً.

٤ ـ (وأمر بالمعروف تكن من أهله)؛ فإنّ من المعروف الأمر بالمعروف، فالآمر يكون من اهل المعروف لأداء واجبه الاسلامي.

٥ ـ (وأنكر المنكر بيدك ولسانك) وليس باللسان فقط، بل بالعمل باليد ايضا، ويقتضي ذلك ان:

ـ (وباين من فعله بجهدك) وبمقاطعة من يعمل المنكر بحسب الجهد المستطاع، فلا يكون مقاطعة تامة عند الضرورة كصلة الرحم وما شابه.

---

(١) في ط: امورك، وفي هـ. د: امورك ـ ر.
(٢) في هـ. ب: محروز.
(٣) في ب: الاستجارة، وفي هـ. ب: طلب الجوار.
(٤) في ب زيادة: به، وفي ط زيادة: عنك.
(٥) أي جانبا، أي لا تعرض عنها.
(٦) أي لا يجوز، كالسحر ونحوه.

٦ ـ (وجاهد في الله حق جهاده)؛ فإنّ الجهاد فرض اسلامي كغيره من الفرائض والعبادات.

٧ ـ (ولا تأخذك في الله لومة لائم)؛ فإنّ صاحب الرؤية الواضحة يؤدي واجبه الديني من دون تأثر خارجي من اللوم أو المدح، ومن يفعل ذلك فهو يشارك الناس في اخلاصه فيكون مشركا، نعوذ بالله من ذلك.

٨ ـ (وخض الغمرات للحق حيث كان) والغمرة: الشدة، فالعامل في سبيل الله لا يتقيد بالحدود والاعراف المصطنعة؛ فإنّ الحق حق اينما كان، ويجب أن ينصر، والباطل باطل اينما كان فيجب أن يحارب.

٩ ـ (وتفقة في الدين) وبالتفقه والتفكير الاسلامي من المبادي والوسائل والاهداف يصبح المسلم فقيها في الدين فيهتدي بنفسه ويهدى غيره، وبدونه يكون مساقاً من قبل غيره من دون رؤية واضحة.

١٠ ـ (وعود نفسك التصبر على المكروه)؛ فإنّ توقع الراحة والتعود عليها يشد العزائم ولا يتحسس المتنعم بالراحة شدة المكروه على اصحابه، ومن اجل ذلك لا يحس الاغنياء الكبار بجوع الفقراء الا حين الصوم.

ثم علق على ذلك فقال:

(ونعم الخلق التصبر في الحق)؛ فإنّ بالصبر تقوى عزيمة الإنسان على مواجهة المصائب والمشاكل التي لا تخلوا منها الحياة.

١١ ـ (وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك) فإنّه سبحانه هو الملجأ الحقيقي الذي لا يلجأ إلى سواه ومن لجأ إلى غيره خاب سعيه، والله غالب كما في طبيعة الناس وكذلك قال:

(فإنك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز)؛ فإنّ الله سبحانه هو الملجأ الحافظ الذي يمنع عن الاعداء، وله العزة وانّه على كلّ شئ قدير.

١٢ ـ (وأخلص في المسألة لربك؛ فإنّ بيده العطاء والحرمان) فالسؤال لابدّ وان يكون ممن بيده الامور، والناس وسائط لتحقيق ما يريد سبحانه.

١٣ ـ (وأكثر الاستخارة) وهي طلب الخيرة من الله، بأن يختار لك ما هو الاصلح .

١٤ ـ وختم الوصية بوسائل احياء القلب بالتاكيد على ضرورة حفظها على حدودها

وشرائطها المشروحة في كتب الاخلاق، فقال:

(وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا) والصفح: الجانب، بالقراءة السطحية من دون تفهم ودراسة.

والى سبب ذلك أشار بقوله:

(فإن خير القول ما نفع، واعلم انّه لا خير في علم لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه)؛ فإنّ العلوم والمعارف كثيرة، فيها ما ينفع كاختراع آلآت الزراعة والصناعة، ومنها ما يضر كاختراع آلآت القتل والدمار، ومنها ما لايضر ولاينفع كعلم الإنسان بالامم البائدة، والعلم الذي هو حقيق بالدراسة والفهم هو العلم الذي له اثر في نفس الإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه، فهو الذي ينتفع به ولا يضر.

(٦/ك ٣١) سبب الوصيّة:

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً[١]، بادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ[٢]، وَأَوْرَدْتُ خِصالاً مِنْها قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ[٣] أَنْ أُفْضِيَ[٤] إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أَوْ أَنْ[٥] أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَما نَقَصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَباتِ ٱلْهَوَى وَفِتَنِ[٦] ٱلدُّنْيا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ[٧] ٱلنَّفُورِ.

حيث أن هذه الوصية كانت عند انصرافه من حاضرين ـ كما صرح به الرضي(ت / ٤٠٦) في العنوان ـ فيكون في عام ٣٧ للهجرة أي ثلاث سنين قبل استشهاده عام ٤٠ في الكوفة، قال عليه السلام:

١ ـ (أي بني، إني لما رأيتني قد بلغت سنا) وهو سن الشيخوخة حيث تجاوز الستين.

٢ ـ (ورأيتني أزداد وهنا) وهو الضعف، وكلما تقدم بالإنسان في العمر ازداد ضعفا.

٣ ـ (بادرت بوصيتي إليك ، وأوردت خصالا منها).

---

(١) في هـ. ب: ضعفاً.
(٢) في هـ. ص: في نسخة: إيّاك.
(٣) في ص: قبل، وفي هـ. ص: في نسخة: دون.
(٤) أي ألقي إليك.
(٥) في ب و ص و ط: أو أن، وفي هـ. ب: في نسخة: وان.
(٦) في هـ. د: أو فتن ـ ب ض.
(٧) هـ. ب: كالإبل الصعب.

وعن سبب المبادرة أشار إلى ثلاث:

أوّلاً: (قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي) والافضاء: بثّ ما يدور في النفس الى الغير.

ثانياً: (وأن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي)؛ فإنّ التقدم في العمر يؤثر على الإنسان في جسمه ورأيه.

ثالثاً: (أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور) وحيث أن الإمام الحسن ولد في العام الثاني من الهجرة واسشهد عام ٤٩، فيكون حين الوصيّة في السابعة والاربعين من العمر، وليس هذا العمر عمر الحدث، ولا العمر الذي يتغلب عليه الهوى، بل هو اشد العمر كما صرح به القرآن الكريم بقوله: ﴿اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة﴾.[١] فاظن والله العالم أن الهوى وفتنة الدنيا المشار اليها هي الاستمرار في طلب الحكم الاسلامي بعد وفاته من معاوية كما يقتضيد تاريخ الوصية، والإمام انما يشير إلى الفارق بين شخصية الإمام وشخصية ابنه الحسن من جانب، وتجارب الإمام وتجارب ابنه الحسن كذلك، ومن أجل ذلك عبر عنه بالحدث بالنسبة اليه؛ فإنّ الاولاد احداث بالنسبة إلى آبائهم، فالإمام يشير الى أن الظروف التي هو فيها تختلف عن الظروف التي ستكون انت فيها، فاما بالنسبة إلى ظروفي فيجب الحرب مع معاوية، ولكن بالنسبة إلى ظروفك فلا، واني انما اوصى بهذه الوصية عن موقع القوّة الفكرية وان كان الجسم يسير إلى الضعف، وانه يجب الآخذ باعتبار التجارب هذه ـ وكما هو شأن كلّ مجالات حياته عليه السلام من سياسته المفتوحة تكون هذه الوصية وصية عامة ينتفع بها كلّ المؤمنين بسيرته، والله العالم.

(٧/ك ٣١) هدف الوصية هو الادب:

وَإِنَّما قَلْبُ ٱلْحَدَثِ كَالْأَرْضِ ٱلْخالِيَةِ، ما أُلْقِيَ فِيها مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدٍّ[٢] رَأْيِكَ مِنْ ٱلْأَمْرِ[٣] ما قَدْ كَفاكَ أَهْلُ

(١) الاحقاف: ١٥.
(٢) في أ: بحدّ، وفي هـ. ب: بجدّ.
(٣) في ب: الأُمور، وفي هـ. د: الأُمور ـ ش.

ٱلتَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ[١] وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ ٱلطَّلَبِ[٢] وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ ٱلتَّجْرِبَةِ، فَأَتاكَ مِن ذلِكَ ما قَدْ كُنَّا[٣] نَأْتِيهِ، وَاسْتَبانَ لَكَ ما رُبَّما أَظْلَمَ عَلَيْنا مِنْهُ[٤].

للأدب معان، منها: التعليم، وبذلك يختلف عن التربية التي هي مرحلة بدائية منها؛ فإنّ بالأدب بمعنى التعليم تنتقل التجارب بين الناس من جيل لآخر، وكلما انتجه العقل الإنساني من أنواع المعارف والفنون انما هو نتيجة التعليم والتعلم بدراسة ما خلفته الامم من آثارها ومعارفها.

والإمام في هذا المقطع يشير إلى أن الهدف من هذه الوصية هو تأديب ابنه الحسن بالتجارب التي اكتسبها كأب يوجّه ابنه في تحمل هذه التجارب، فقال:

١ ـ (وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شئ قبلته)؛ لأنّ الإنسان الذي لاخبرة له ولا تجربة في المادة التي لم يجربها من قبل يكون كالصفحة البيضاء التي تستقبل كتابة كل شئ فيها، وبأي لون كالارض التي لم يزرع فيها شئ فتستقبل الزراعة لأي نوع من الحبوب الصالحة للزراعة وتنمو فيها.

٢ ـ (فبادرتك بالأدب) الاسلامي الموجه في الحياة في مراحل الحياة من الطفولة.

(قبل أن يقسو قلبك) بالتعوّد على شئ غير صالح حسب مايراه الأب.

(ويشتغل لبك)؛ فإنّ الاشتغال بالشئ يزاحم الاشتغال بشئ آخر.

٣ ـ(لتستقبل بجد رأيك من الأمر) الذي تريد القيام به.

(ما قد كفاك أهل التجارب) بما فيه تجارب الاب الموصي

(بغيته وتجربته) في الحياة، ومنها: تجربة المطالبة بالحكم الاسلامي على الشورى.

وعن نتيجة هذه المبادرة قال:

٤ ـ (فتكون قد كفيت مؤونة الطلب) لمعرفة ما هو الواجب في المواقف قبل حصولها.

(وعوفيت من علاج التجربة) الشخصية حيث انها قد جرّبت من قبل .

٥ ـ (فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه) من المواقف التي اتخذها الامام .

---

(١) هـ. ب: مطلوبه.
(٢) في ب و ص: الطلبة، وفي هـ. ص: في نسخة: الطلب، وفي هـ. د: في نسخة: الطلبة.
(٣) في ب: ما كان؛ وفي هـ. ب، في نسخة: ما كنا.
(٤) في ب و ص: فيه، وفي هـ. ب: في نسخة: منه.

(واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه) لاختلاف الظروف والاحوال في العصور المتأخرة وبذلك يتحدد هدف الوصية بالتجارب الشخصية.

(٨ / ك ٣١) منابع الوصية:

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عمِرْتُ عُمُرَ مَنْ كانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثارِهِمْ، حَتّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ، قَدْ عمِرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ جَليلَهُ[١]، وَتَوَخَّيْتُ[٢] لَكَ جَمِيلَهُ[٣]، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ.

وعن المنابع التي استوجبت هذه الوصية قال:

١ ـ (أي بني، إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم) فالتجارب التاريخية التي مرت بها الامم ممّن قبل حكاما وشعوبا على اختلاف حضاراتهم ولغاتهم هي من التجارب الشخصيّة التي تنعكس في هذه الوصية؛ لأنّ الإمام درسها نظريا وشاهدها شخصيا .

وعن نتائج هذه الدراسة الشخصية قال:

٢ ـ (حتى عدت كأحدهم) انظر إلى الامور والحوادث المعاصرة بنفس المنظار الذي كان ينظر اليها هؤلاء الحكام والشعوب.

٣ ـ(بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم) فلم تكن الدراسة لمقطع خاص من عمر أحدهم أو لأثر خاص من آثارهم، بل دراسة عامة عنهم من البداية إلى النهاية، من بداية حكمهم الى الصعود، ثمّ نهاية حكمهم إلى السقوط.

٤ ـ (فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره)؛ فإنّ لكل حضارة بائدة أو حاضرة منفعة، ولكل حكم سابق أو حاضر أو قادم من الايجابيات والسلبيات ما لا تظهر حقائقها إلّا لمن يدرسها بروح موضوعية.

---

(١) أي عظيمه، والجليل: أي المختار المصطفىٰ، وفي ب و ص: نخيلته، وفي د: نخيله، وفي هـ. : في نسخة: نخيلته، وفي هـ. ص: في نسخة: جليله، وفي هـ. ب: أي خالصه.
(٢) في هـ. ب: قصدت.
(٣) في ص: جليله، وفي هـ. ص: في نسخة: جميله.

ومن هذه التجارب والدراسات في هذه الوصية أشار إلى منهجية واضحة، هي:

٥ ـ (فاستخلصت لك من كلّ أمر نخيله) وهي الصفوة المتبقية بعد النخل .

(وتوخيت لك جميله) والتوخي: التحرى لانتقاء الجميل فقط.

(وصرفت عنك مجهوله) أي ما فيه جهالة ولا يتحقق دراستها .

ومن هذه النقاط تستمد هذه الوصية التجارب النافعة للاعتبار بها.

(٩/ك ٣١) مراحل التربية والتعليم:

ومراحل التربية والتعليم في الاسلام حددها الحديث الشريف: «لاعب ابنك سبعا وادبه سبعا وصاحبه سبعا، ثمّ اجعل الحبل على الغارب».[١]

المرحلة الاولى ـ الطفولة:

ففي المرحلة الاولى من الطفولة يخرج الطفل من مدرسة الام التي اذا اعددتها اعددت جيلا طيب الاعراق، وأيّة مدرسة اطهر من مدرسة فاطمة الزهراء بالنسبة إلى ابنه الحسن، ولم يشر الإمام اليها، وأشار إلى المرحلة الثانية والثالثة.

المرحلة الثانية ـ الابتدائية:

وَرَأَيْتُ حَيْثُ[٢] عَنَانِي[٣] مِنْ أَمْرِكَ ما يَعْنِي ٱلْوالِدَ ٱلشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ[٤] عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ[٥] ذلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِل ٱلْعُمُرِ وَ[٦] مُقْتَبَل ٱلدَّهْرِ، ذُوِنِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِأَكَ بِتَعْلِيمِ كِتابِ ٱللّهِ[٧]، وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ ٱلْإِسْلَامِ وَأَحْكامِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ لا أُجاوِزُ ذلِكَ بِكَ إِلى غَيْرِهِ[٨].

وعن المرحلة الثانية من الصغر، وهو ما بعد السابعة، أشار إلى واجبات الاب بقوله:

١ ـ (ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد)؛ فإنّ ذلك مسؤولية الاب تجاه الاولاد في الصغر بعد بلوغ السابعة من العمر كما جاة في الحديث الشريف:« لاعب ابنك

(١) راجع: شرح الاربعين النبويّة: ٩.
(٢) في هـ. ب: في نسخة: حين.
(٣) في هـ. ب: عناني: اتعبني وجعلني في عناء، ما أتعب الوالدان.
(٤) أي عزمت، وهو عطف علىٰ «يعني الوالد».
(٥) «أن يكون» مفعول «رأيت»، وفي هـ. ب: كان تامة.
(٦) لم ترد «و» في ب، وفي هـ. د: مقبل العمر، مقتبل الدهر ـ ف ن ش.
(٧) في ط زيادة: عزّ وجلّ، وفي هـ. د: لم ترد «عزّ وجلّ» في ض ب.
(٨) أي لا أتعدىٰ بك كتاب الله إلىٰ غيره، بل أقف بك عليه.

سبعا وادبه سبعا...».

٢ ـ(الشفيق)؛ فإنّ الشفقة هي التي تؤثر في حياة الطفل في الصغر؛ لافتقاره إلى التربية الصحيحة كما تقتضيه مرحلة الطفولة:

٣ ـ(وأجمعت عليه) والاجماع: هو العزم على الشئ من دون توان في الواجب .

٤ ـ (من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر)؛ فإنّ هذه المرحلة هي مرحلة التعليم، حيث انها بداية النضج الفكري في نفسه وبداية الحياة العامة.

وعن واجبات الهدف في هذه المرحلة الثانية قال:

أوّلاً: (ذو نية سليمة) باعداد الإنسان الذي يتمتع بسلامة الضمير.

ثانياً: (ونفس صافية) خالية من مغريات الحياة من المادّة والماديات.

ثالثاً: (وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله) بالحفظ للقرآن الكريم وتفسيره الذي هو تأويل للايات بالمعنى اللغوي.

رابعاً: (وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه) من المسؤوليات التي يجب أن يعلمها ويتحملها الإنسان المسلم في الحياة.

خامساً: (لا أجاوز ذلك بك إلى غيره) والجواز: التعدّي من هذه العلوم الابتدائية الدينية.

التعلم في الاسلام.

المرحلة الثالثة ـ الرشد:

ثُمَّ أَشْفَقْتُ[١] أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ، مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكان إحْكامُ ذلِكَ عَلى ما كَرِهْتُ مِنْ تَنبيهِكَ لَهُ ـ أَحَبَّ إليَّ مِنْ إسْلامِكَ[٢] إلى أَمْرٍ[٣] لَا آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ[٤] الْهَلَكَةَ[٥]، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللّٰهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ

(١) أي خفت وخشيت.
(٢) في هـ . ب: من إسلامك: من تسليمك.
(٣) في ص: لأمر، وفي هـ . ص: في نسخة: إلىٰ أمر.
(٤) في هـ . د: به ـ ض ب.
(٥) أي على كراهة أن ينبّهك أحد لما ذكرت لك أحب اليّ من أن أدعك إلىٰ أمر أخشىٰ عليك الهلاك فيه.

يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هذِهِ[١].

وعن المرحلة الثالثة وهي مرحلة الكبر وبلوغ سن الرشد من الاربعة عشر فما فوق، أشار بقوله:

١ ـ (ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم) فان الاهواء والآراء لا تنحصر تحت ضابط، فلكل انسان رأيه وهواه، ويفتقر الإنسان في مرحلة الرشد الى موجه يوجهه إلى ما هو الصحيح، وهذا من واجبات الاب.

٢ ـ (فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة)؛ فإنّ واجب الاب التنبيه على الحقائق المرة التي يكرهها الشباب عادة في هذه المرحلة من العمر، حتى يكون العلم بذلك راسخا باحكام في نفس الإنسان؛ لئلا يقع في الهلاك.

وعن الهدف لواجبات هذه المرحلة قال:

أوّلاً: ـ (ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك)؛ فإنّ الرشد هو الهدف الأوّل الذي يمنع الإنسان من الضلال والانحراف.

ثانياً: (وأن يهديك لقصدك) وهو الطريق الواضح في الحياة.

وحيث أن من واجبات هذه المرحلة الثالثة الصحيحة، ويبتدأ من عمر المراهقة وما بعدها قال الإمام:

(فعهدت إليك وصيتي هذه)

(١٠/ ك ٣١) السنة الابراهيمية:

وَٱعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ ما أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى ٱللّٰهِ وَٱلْاقْتِصارُ عَلى ما افْتَرَضَهُ[٢] **ٱللّٰهُ عَلَيْكَ، وَٱلْأَخْذُ بِما مَضى عَلَيْهِ ٱلْأَوَّلُونَ مِنْ آبائِكَ، وَٱلصّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا**[٣] **أَنْ نَظَرُواْ لِأَنْفُسِهِمْ كَما أَنْتَ ناظِرٌ**[٤]**، وَفَكَّرُوا كَما أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ**

(١) في هـ. د: العبارة من قوله: «ثم اشفقت» إلىٰ هنا ساقطة من ل.
(٢) في ب: ما أفرضه، وفي ط و د: ما فرضه، وفي هـ. ب: في نسخة: ما افترض، وفي هـ. د: ما افترضه ـ ف.
(٣) في هـ. ب: لم يتركوا.
(٤) في هـ. ب: أي قد نظروا ولم يتركوا.

رَدَّهُمْ آخِرُ ذلِكَ إِلَى ٱلْأَخْذِ بِما عَرَفُوا، وَٱلْإِمْسَاكِ عَمّا لَمْ يُكَلَّفُوا.

وأشار إلى ثلاث نقاط رئيسية في الوصية متلازمة لا يمكن التفكيك بينها، فقال:

(واعلم يا بني، أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي) النقاط الثلاث:

أوّلاً: (تقوى الله) فإنّها أساس كلّ عمل صالح، ورادع عن كلّ عمل طالح.

ثانياً: (والاقتصار على ما فرضه الله عليك) بأن يكون الفرائض تودى على مواصفاتها المطلوبة، بأن لا تبتدع فريضة اخرى؛ فإنّ فرائض الله تعالى بحدودها معروفة، وغيرها ليست فريضة.

ثالثاً: (والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك) من الاسلام، اشارة إلى قوله تعالى:﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيه وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ○ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيه مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَك وَإِلٰهَ آبائِك إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلٰهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

رابعاً: (والصالحون من أهل بيتك) بسيرتهم المستمدة من سيرة جدهم النبي ألاعظم.

وعن السبب في ذلك قال:

١ ـ (فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر) حيث انهم استقصوا ما لديهم بالمحافظة على سنة النبيﷺ التي هي السنة الابراهيمية الحنيفية.

٢ ـ (وفكروا كما أنت مفكر) لانهم مروا في حياتهم بنفس المراحل التي تمر بها انت.

٣ ـ(ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا)؛ فإنّ سيرة اهل البيت هي خلاصة تجارب ابتدأت بالدعوة من أبي الأنبياء ابراهيم واستمرت في حياة سلالته حتّى النبيّ محمّدﷺ، ولم يتمكن احد من تطبيق حكم الله على الارض حاملا بالعقيدة والشريعة سوى النبي ﷺ، وحافظ اهل بيت النبي على هذا التراث في حياتهم الفكرية والتعليمية.

(١١/٣١ ك) درجات العلم:

فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَما عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لا بِتَوَرُّطِ ٱلشُّبُهاتِ(٢)، وَعُلُوِّ(٣) ٱلْخُصُوماتِ(٤).

---

(١) البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) في هـ. ب: أي لا تقع في الشبهات.

وَٱبْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذلِكَ بِالْاسْتِعانَةِ بِإِلهِكَ[٥]، وَٱلرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شائِبَةٍ[٦] أَوْلَجَتْكَ[٧] فِي شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلى ضَلالَةٍ.

وللعلم درجات، وليس التقليد المحض علماً، فلا يشمله كلام الإمام، بل هو متابعة عن جهل، وقد ذمه الله سبحانه في ذم الجاهلية القائلين :انا وجدنا اباءنا على أمة وانا على اثارهم مهتدون؛ فإنّ ذلك تجميد للعقل عن النظر في الامور، والاعتبار بما دار ويدور، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ ٱللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [٨].

فان التقليد المحض بسبب العادات والتقاليد جهل، وليس علما.

ودرجات العلم الاساسية ثلاث: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، وكل منها درجات، وعلم اليقين: ما يقوم الحجة عليه بما يوجب الالتزام به من دليل عقلي أو شرعي.

وعين اليقين: ما يكون بمنزلة المشاهدة بالعين في المسحوسات.

وحق اليقين: ما يكون بمشاهدة البصر والقلب في المعقولات.

وتفصل هذه الدرجات في العرفان.

وما ذكره الإمام من سيرة الانبياء والرسل من اولى درجات العلم، حيث أن الحجة قائمة على متابعة الأنبياء والرسل ومن سار على طريقهم من الشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم اهل البيت النبوي والصالحون من المسلمين.

والإمام في هذا المقطع يشير إلى الرقيّ في سلّم درجات هذه الدرجة الاولى زيادة في المعرفة وتطمينا للقلب كما طلب ابو الأنبياء ابراهيم سائلا: كيف تحيي الموتى؟ فقال سبحانه ﴿أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ [٩] فقال عليه السلام: في الاستعداد لهذه

---

(٣) في أ و د: وغلوّ، وفي ط: وعلق، وفي هـ. ب: في نسخة: وعلق، وفي نسخة: وغلوّ، وفي نسخة: وعلو، وفي هـ. د: علق ــ ح، علوّ ــ ب.

(٤) في هـ. د: العبارة من قوله: «فإن أنت» إلىٰ هنا ساقطة من ل.

(٥) في هـ. د: بالاستعانة عليه ــ ف.

(٦) الشائبة: ما يشوب الفكر من شك وحيرة، هـ. ب: مخلطة.

(٧) في هـ. ب: ادخلتك.

(٨) البقرة: ١٧٠.

(٩) البقرة: ٢٦٠.

الدرجة:

١ ـ (فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك) من المضي على ما مضى عليه الأنبياء والرسل واهل البيت في تطبيق حكم الله سبحانه على الارض؛ لانهم الحجة الشرعية على العمل بما انزل الله.

٢ ـ (دون أن تعلم كما علموا) من سلوك درجات المعرفة والعلم كما طلب ابو الانبياء ابراهيم لاطمئنان القلب بعد تحقق الايمان.

ثم شرح ما يفتقر اليه في سلوك درجات العرفان فقال:

أوّلاً: (فليكن طلبك ذلك بتفهم) طالبا معرفة الحقيقة للحقيقة لا غير.

ثانياً: (وتعلم) ما تجهله من الحقائق للعلم.

ثالثاً: (لا بتورط الشبهات) والا قوال المختلفة كما هي عادة العلماء، فيكثروا من تسويد الصفحات ما يزيد عدد المجلدات، ويضيع وقت الحاضرين في الدروس كالخطباء في المجالس.

رابعاً: (وعلق الخصومات) علق الشيئ بالشيئ: جعله معلقا به وعليه ومستمسكا عليه كما يتعلق الباب بالمفتاح فلا يمكن فتحه الا به؛ فإنّ الخصومات في البحث والجدل العلمي تفتقر كلّ من المتخاصمين إلى حجج يقطع بها الطرف الآخر، ولا فائدة لها سوى ذلك، ومن أجل ذلك يستخدم اصحاب الخصومات جماعة من العلماؤ في كل فن ممن يخدم مقاصدهم باقامة الحجج للمناقضة، فيكون دورهم دور المحامي الاجير ولا ينبئك مثل خبير.

خامساً: (وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك)؛ فإنّ بالاستعانة به يتحصن طالب العلم من التورط في الشبهات والانزلاق في الخصومات؛ لأنّه يكون مستعينا به ولا يعين الله سبحانه من لا يقوم بواجبه.

سادساً: (والرغبة إليه في توفيقك)؛ فإنّ الله هو ولي التوفيق وهو خير رفيق.

سابعاً: (وترك كلّ شائبة أولجتك في شبهة) بالتركيز على فهم الحقيقة للحقيقة نفسها، فان اختلاط الحق بالباطل في الاقوال قد يؤدي الى الدخول في الشبهات، والشبهات مزالق الفكر الحر.

ثانياً: (أو أسلمتك إلى ضلالة) وهي الانحراف عن الحق بسبب شوب الحق بالباطل

المودية اليها.

فان طلب العلم للعلم يستلزم هذه الصفات، وبدونها يكون طالب العلم تاجرا بالعلم حاله حال سائر التجار به له مالهم وعليه ما عليهم، وليس طالبا للعلم، وما اكثرهم في عصرنا الظالم والله العاصم.

(١٢/ك ٣١) شرط الوصية:

فَإِذا[١] أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكانَ هَمُّكَ[٢] فِي ذلِكَ هَمّاً واحِداً، فَانْظُرْ فِيما فَسَّرْتُ لَكَ.

وإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ ما تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّما تَخْبِطُ ٱلْعَشْوَاءَ[٣]، وَتَتَوَرَّطُ[٤] ٱلظَّلْماءَ، وَلَيْسَ طالِبُ ٱلدِّينِ مَنْ خَبَطَ[٥]، أو خَلَطَ[٦]، وَٱلامْسَاكُ عَنْ ذلِكَ أَمْثَلُ[٧].

وأشار إلى شرط هذه الوصية التي بدونها لا يكون الوصية نافعة؛ لعدم اجتماع شروطها:

أوّلاً: صفاء القلب (فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع) وصفاء القلب بتخليته من الشوائب النظرية وكل ما ينافي التركيز على الهدف؛ فإنّ الصفاء يلازم الخشوع لفهم الحقائق وبدونه يكون قراءة الوصيّة متعة وقتية زائلة.

ثانياً: العزم (وتم رأيك فاجتمع) بفهم الحقيقة للاعتبار، وليس لقتل الوقت: فاحصل العزم على هذا الهدف.

ثالثاً: التركيز (وكان همك في ذلك هما واحدا) بأن يكون التركيز على هدف واحد لاغير؛ فإنّ توارد الاهداف يوجب شرود الذهن إلى امور اخرى خارجة عن قدرة الإنسان، فيكون مضيعة للوقت.

---

(١) في ط: فإن.
(٢) في هـ. ب: قصدك.
(٣) العشواء: الضعيفة البصر، وهذا مثل للناقة التي لا تأمن من السقوط فيما لا خلاص منه.
(٤) التورط: الدخول في الشيء علىٰ صعوبة من التخلص منه.
(٥) في هـ. ب: خلط.
(٦) في أ و د: ولا من خَلَط، وفي هـ.أ:في نسخة: وخلّط، وفي هـ د: من خبط أو خلط ـ ض خ ب.
(٧) في هـ. ب: أجود.

رابعاً: (فانظر فيما فسرت لك) والنظر: الفكر الحر المجرد عن تاثير العوامل الخارجية من الافكار السابقة والنظريات السائدة، ففي مثل هذا يقع الإنسان تحت التاثير من دون أن يشعر بذلك، فلا يكن فكره حراً، بل مسيّراً بالعادات والتقاليد.

وهذه النقاط الاربع ضرورية في طلب العلم، وبدونها لا يكون طالب العلم طالبا للعلم مهما جدّ جدّه وفاق جهده.

ثم أشار إلى الآثار السلبية لاهمال هذه الشروط فقال:

(وإن أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك، وفراغ نظرك وفكرك) حيث تفقد الشروط المتقدمة التي تنتهي باهمها وهو فراغ النظر والفكر من اي عامل خارجي يؤثر في حرية الفكر لاستخلاص النتائج الحقيقة، فيستلزم الاثار السلبية، وهي:

١ ـ (فاعلم أنك إنما تخبط العشواء) والعشو: ضعف البصر، فالناقة الضعيفة البصر لا تبصر طريقها: فتخبط في الشيئ فتضرب الارض يمينا ويساراً من دون الوصول إلى الهدف.

٢ ـ (وتتورط الظلماء)؛ فإنّ تاثير العوامل الخارجية في الفكر يوجب التورط في الظلام.

فلا يعرف الحقيقة كما هي.

٣ ـ(وليس طالب الدين من خبط أو خلط) والخبط: الضرب الشديد، والخلط: ضم الشيئ الى الشيئ المشابه في الاجسام بحيث يمكن فرزهما، دون المزج الذي لا يمكن فيه ذلك كالمائعات، وكل منها تطرف ليس من الدين.

وبالنتيجة ان من لم يجتمع لديه شرائط الوصية فان الافضل له:

(والامساك عن ذلك أمثل) أي الافضل له أن لا يقحم نفسه في طلب شيئ ليس له اهليته لطلبه، والله العاصم.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« واعلم أنه قد أوصاه إذا هم بالشروع في النظر بمحض ما ذكره المتكلمون، وذلك أمور: منها أن يرغب إلى الله في توفيقه وتسديده. ومنها أن يطلب المطلوب النظري بتفهم وتعلم، لا بجدال ومغالبة ومراء ومخاصمة. ومنها إطراح العصبية لمذهب بعينه، والتورط في الشبهات التي يحاول بها نصرة ذلك المذهب. ومنها ترك الألف والعادة، ونصرة أمر يطلب به الرياسة،

وهو المعني بالشوائب التي تولج في الضلال . ومنها أن يكون صافي القلب مجتمع الفكر غير مشغول السر بأمر من جوع أو شبع] أو شبق أو غضب ، ولا يكون ذا هموم كثيرة ، وأفكار موزعة مقسمة ، بل يكون فكره وهمه هما واحدا . قال : فإذا اجتمع لك كل ذلك فانظر ، وإن لم يجتمع لك ذلك ونظرت كنت كالناقة العشواء الخابطة لا تهتدي ، وكمن يتورط في الظلماء لا يعلم أين يضع قدمه ! وليس طالب الدين من كان خابطا أو خالطا ، والامساك عن ذلك أمثل وأفضل».[١]

(١٣/ك ٣١) الاعتصام بالله:

فَتَفَهَّمْ يا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَٱعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ ٱلْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ ٱلْحَياةِ، وَأَنَّ ٱلْخَالِقَ هُوَ ٱلْمُمِيتُ، وَأَنَّ ٱلْمُفْنِي هُوَ ٱلْمُعِيدُ، وَأَنَّ ٱلْمُبْتَلِيَ هُوَ ٱلْمُعافِي، وَأَنَّ ٱلدُّنْيا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلّا عَلى ما جَعَلَهَا ٱللّهُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّعْماءِ وَٱلْاِبْتِلَاءِ وَٱلْجَزَاءِ فِي ٱلْمَعادِ، وَما[٢] شاءَ مِمّا لا نَعْلَمُ[٣]، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلى جَهالَتِكَ بِهِ[٤]، فَإِنَّكَ أَوَّلُ ما خُلِقْتَ[٥] جاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَما أَكْثَرَ ما تَجْهَلُ مِنَ ٱلْأَمْرِ[٦]، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذلِك.

فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ[٧].

وحيث أن الإنسان خلق ضعيفا[٨] فلابد من الاعتصام بالله تعالى الذي خلقه وهو على كل شئ قدير، وسرده عليه السلام صفات الذات المقدسة الدالة على قدرته المطلقة واوصاف

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ٧٣ـ ٧٤.
(٢) في د: وما، وفي هـ. د: أو ما ـ ح ب ل ش.
(٣) في ط: لا تعلم، وفي هـ. ص: ظاهر كلام ابن أبي الحديد أن هذه اللفظة وهي «وما شاء مما لا نعلم» متعلق معناها بأمر الجزاء في المعاد، ويظهر لهذا الّذي قاله وجه صحة، والظاهر أنه من الوجوه التي بنيت الدنيا عليها، وأنه معطوف على النعماء، أي وبنيت الدنيا على ما شاء مما لا تعلم من وجوه الحكمة، فعليك أن تعتقد أن فعل اللّه مشتمل على حكمة مّا ممّا بنيت الدنيا عليه، وأعمّ وجوه الحكمة: الابتلاء الذي خلقت الدنيا له، واللّه أعلم.
(٤) لم ترد «به» في ط.
(٥) في ط زيادة: به.
(٦) في د: الأمور، وفي هـ. د: الأمر ـ ض ح ب ش.
(٧) أي: خوفك.
(٨) النساء: ٢٨.

الإنسان على التقيض من ذلك فقال:

١ ـ (فتفهم يا بني وصيتي ، وأعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة) فقد قال تعالى:﴿هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا﴾.(١)

٢ ـ (وأن الخالق هو المميت) فالله سبحانه يخلق الإنسان الذي هو احد مخلوقاته ويميته، والحالتان ليستا بارادة الانسان.

٣ ـ(وأن المفني هو المعيد) والحالتان في الفناء والنشر في الحشر بيده تعالى دون غيره.

٤ ـ (وأن المبتلي هو المعافي) فلا يكون البلاء النازل إلّا منتهيا لمن اراد الله ان ينتهي اليه، والعافية من الله سبحانه، قال تعالى:﴿واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه﴾.(٢)

٥ ـ (وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلّا على ما جعلها الله عليه) وفسر ذلك بقوله:

أوّلاً: (من النعماء) حيث قال: ﴿ واسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾.(٣)

ثانياً: (والابتلاء) حيث قال:﴿ليبلوكم ايكم احسن عملا﴾.(٤)

ثانياً: (والجزاء في المعاد) حيث قال: ﴿ يوم لاتملك نفس لنفس شيئا ولا تجزون إلّا ماكنتم تعلمون﴾.(٥)

رابعاً: (أو ما شاء مما لا تعلم) من خلق الله حيث أنه ﴿رب العالمين﴾ وما تعرفه من العوالم هي المحسوسة لنا من الارض والسماء والكواكب وغير المحسوسة التي أخبر الأنبياء بها من الملائكة وما لا تعلمها من العوالم والمخلوقات امرها إلى الله وحده.

وعن نتيجة هذه القدرة المطلقة الحاكمة في الكون كلّه قال:

١ ـ (فإن أشكل عليك شئ من ذلك فاحمله على جهالتك به) لانها جعلت بارادة حكيم قادر اوجد الاشياء بقدرته الحاكمة في الكون، وله القدرة لتعويقة بما يعجز عنه البشر في الاسباب والآثار، والإنسان لا يعرف الا ظواهر المحسوسات، ويعجز عن

---

(١) الملك: ١.
(٢) الروم :٣٣.
(٣) لقمان : ٢٠ .
(٤) الملك : ٢ .
(٥) يس : ٥٤.

استقصائها فهو يعيش عيشة الجهل بالحقائق الكثيرة الحاكمة في الكون، ومنها ما اشكل عليه.

٢ ـ (فإنك أول ما خلقت خلقت جاهلا، ثمّ علمت) فلم يخلق احد عالما بكل شئ، وطرق تحصيل المعرفة كثيرة باختلاف الدرجات، وسياتي العلم بهذه الحقائق عند اجتماع شروطه وان كان في يوم القيامة.

٣ ـ(وما أكثر ما تجهل من الأمر) في المحسوسات مع العلم بوجودها ورؤيتها كالكواكب في السماء، وليس هناك من يعلم مادة تكوينها ومصيرها وآثارها التي تفوق قدرة علماء الفلك إلّا بمعرفة بعض الآثار والاذعان بجهالة اكثرها.

(ويتحير فيه رأيك) حيث لا دليل قاطع على الآراء والاحتمالات.

(ويضل فيه بصرك) لرؤية بعض الآثار وقياسها بغيرها من الآثار المحسوسة، فيكون قياسا ضالا.

(ثم تبصره بعد ذلك) حينما تظهر حقائق علمية اخرى تكشف بطلان النظرية السابقة، وما اكثر ذلك في العلوم التجريبية، وليس ببعيد عنها مسألة كروية الارض التي أعدم من اجلها غاليلو، واصبح من الضروريات العلميّة في عصرنا.

وبالجملة: لا يكون الجهل بالشيئ دليلا على النفي، بل ينتفي في حدود الاعتراف بالجهل فقط، والاذعان بالجهل علم في حقيقته وليس جهلا مطبقا.

وعن واجبات طالب العلم في هذه الحالة أشار بقوله:

(فاعتصم) بالله سبحانه الذي هو مجمع صفات الكمال والجلال دون غيره، وسرد من ذلك في حياة كل انسان بقوله:

أوّلاً: (بالذي خلقك) قال تعالى:﴿يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾.[١]

ثانياً: (ورزقك) قال تعالى:﴿ وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة وورزقكم من الطيبات﴾.[٢]

(١) النساء : ١ .
(٢) النحل : ٧٢.

ثالثاً: (وسواك) قال تعالى:﴿الذي خلق فسوى﴾.[١]

وهذه صفات الذات المقدسة التي يشعر بها أي انسان يتأمل في نفسه، وتكفي في العقيدة وتستلزم الواجبات الثلاث، وهي:

أوّلاً: (وليكن له تعبدك) بالتوحيد بالعبادة له تعالى.

ثانياً: (وإليه رغبتك) والرغبة: ارادة الشئ بحرص وطمع، فان اليه ينتهي عطاء كلّ خير في الحياة؛ لانه ارحم الراحمين في موضع العفو والرحمة.

ثالثاً: (ومنه شفقتك) والشفقة: الخوف؛ فإنّ عقاب الله سبحانه لا يمنع منه مانع؛ لأنّه أشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة.

وهذه الواجبات الثلاث من آثار الاعتصام بالله وحده لاسواه.

(١٤/ك ٣١) الرسول الرائد:

وَٱعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِيءُ عَنِ ٱللّهِ سُبْحانَهُ[٢] كَما أَنبَأَ عَنْهُ نبيّنا ﷺ، فَارْضَ بِهِ رائِداً[٣]، وَإِلَى ٱلنَّجَاةِ قائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ[٤] نَصِيحَةً[٥]، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ[٦] فِي ٱلنَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وَإِنِ ٱجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ[٧].

وبعد الاعتصام بالله تعالى بالعقيدة الصحيحة تأتي مرحلة الاعتقاد بالنبوة التي حملت رسالة السماء الى الارض من آدم حتّى النبي الخاتم، فقال:

١ ـ (واعلم يا بنيّ أن أحدا لم ينبئ عن الله كما أنبأ عنه الرسول ﷺ) فإنّه بحكم كونه اخر الأنبياء جمع في نبوته بين العقيدة كما بشر بها الأنبياء من قبل.

وزاد بالشريعة عليهم، فكانت نبوته خاتمة للاديان والشرائع.

---

(١) الاعلى : ٢ .
(٢) في هـ . د: لم ترد «سبحانه» في ض ب.
(٣) في هـ . ب: طالبا.
(٤) في هـ . ب: ما قصّرت، الإلو: التقصير.
(٥) في هـ . ص: أي لم أُقصر في نصحك، ألا الرجل يألو: قصّر، والفعل لازم، ولكنه حذف اللام فوصل الفعل إلى الضمير فنصبه، وكان أصله: لا آلو لك نصحاً، منصوب على التمييز، انتهى من الشرح.
(٦) في هـ . د: لم تبلغ ـ ن.
(٧) في هـ . ص: قوله: «مبلغ نظري لك»، صدق عليه السلام لأنّ علمه أكمَل وعقله أبلغ مع ما أكسبته السن من التجربة والحنكة.

٢ ـ (فارض به رائدا) وهو من يتعرف على ما يصلح للرعي، والنبى ﷺ قد عرف ذلك، وقام بابلاغه خير قيام؛ رائداً للحياة الاسلامية.

٣ ـ(وإلى النجاة قائدا) لعدالة المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي دعى اليها، والتي توجب النجاة في الدنيا والآخرة.

٤ ـ (فإني لم آلك نصيحة) أي لم اقصر في نصحك بخصوص سيرة الرسول القائد طيلة حياتي منذ ترعرعت في مدرسة فاطمة الزهراء صغيراً ومدرسة علي صبيا.

٥ ـ (وإنك لم تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت مبلغ نظري لك) للخبرة التي يتمتع بها الإمام من صحبته للنبي صغيراً وتخرجه من مدرسة النبوة بافعا ومساهمته في الدفاع عنه في كل مراحل حياته فيما اجتهد لنفسه من معرفة الحقائق يكون دون من قام له قبله، وكانت له مرتبة عين اليقين، وبالله نستعين.

(١٥/٣١ ك) التوحيد:

وَٱعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثارَ مُلْكِهِ وَسُلْطانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعالَهُ وَصِفاتِهِ[١]، وَلكِنَّهُ إِلهٌ واحِدٌ كَما وَصَفَ نَفْسَهُ، لايُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلا يَزُولُ أَبَداً، وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلَ قَبْلَ ٱلْأَشْياءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ[٢]، وَآخِرَ بَعْدَ ٱلْأَشْياءِ بِلَا نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتَهُ بِإِحاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ.

فَإِذا عَرَفْتَ ذلِكَ فَافْعَلْ كَما يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ[٣]، وَقِلَّةِ مَقْدرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيم حاجَتِهِ إِلى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ[٤] مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَٱلشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلّا عَنْ قَبِيحٍ.

وسرد صفات الذات المقدسة الدالة على التوحيد فقال:

ـ(واعلم يا بني انّه لو كان لربك شريك) كان لابد أن يقوم الشريك بواجبه من الربوبية. التي تميّزه عن الشريك في النبوة والخلق والصفات الذاتية، فقال:

أوّلاً: (لأتتك رسله) حيث لا نبي يدعو إلى اله اخر شريك؛ فإنّ المشركين جميعا

---

(١) في هـ. ص: هذا حق ثابت عند جميع العقلاء، فإن الذين يدعون مع اللّه آلهة أُخرىٰ لا يزعمونهم مستقلين، بل شفعاء لهم عند رب العالمين.
(٢) أي أنه لا ابتداء له.
(٣) في هـ. ب: منزلته.
(٤) في ط: والخشية، وفي هـ. د: والخشية ـ ض ح م ب.

يؤمنون بالله الواحد الاحد الذي خلق ـ في اعتقادهم ـ شركاء له نعوذ بالله، ولا يدعي احد منهم أن هناك شريكٌ لله صاحب كتاب ودين.

ثانياً: (ولرأيت آثار ملكه وسلطانه) في الخلق بما يميزه عن غيره، وليس في المشركين من يدعي بأن الشريك الذي اعتقدوه بجهلهم له آثار مخلوقة مساوقة لما خلقه الله، اله الكون.

ثالثاً: (ولعرفت أفعاله وصفاته) التي تختلف عن صفات الذات المقدسة والافعال، وليس في دعاة الشرك من يدعي ذلك.

فان شبهات المشركين انما تنتهي إلى تمثيل هؤلاء الالهة الشركاء في اعتقادهم لبعض صفات الله الواحد الاحد، فخلقوا لذلك اصناما بعيدة عن القدرة بتعدد الايدي المجسمة الواحدة، وتعدد الالسن معبرا عن لسان الجسم الواحد وهكذا.

وهذه الخصائص الثلاث تثبت التوحيد وتنفي الشريك المماثل في الصفات، ونفي الشريك المماثل يستلزم نفى الشريك غير المماثل بطريق اولى؛ لقدرته تعالى المطلقة، وعدم افتقاره إلى من هو دونه من الالهة المدعاة في الافعال والصفات اعاذنا الله من شرّ الجهالات وعبادة المادّة والماديات.

ثم سرد صفات الذات المقدسة قائلاً:

١ ـ (ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه) في القرآن الكريم في ايات كثيرة ومنها في سورة التوحيد: ﴿قل هو الله احد﴾.[1]

٢ ـ (لا يضاده في ملكه أحد) لقدرته المطلقة التي لا مثيل لها فلا يكن مضادتها.

٣ ـ (ولا يزول أبدا) لكونه واجب الوجود بالذات.

٤ ـ (ولم يزل)؛ فإنّ الابدية من لوازم وجوب الوجود.

٥ ـ (أول قبل الأشياء بلا أولية) كما هو مقتضى الازلية التي لا مبدأ لها.

٦ ـ (وآخر بعد الأشياء بلا نهاية) كما هو مقضى الابدية التي لانهاية لها.

٧ ـ (عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر)؛ فإنّ الفكر المادي والباصرة المادية لا يمكنها أن تحيط بالمجردات غير المادية، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت /

---

(١) .

٦٥٦هـ)

يمكن أن يستدل بهذا الكلام على نفي الثاني من وجهين : أحدهما أنه لو كان في الوجود ثان للبارئ تعالى لما كان القول بالوحدانية حقا ، بل كان الحق هو القول بالتثنية ، ومحال ألا يكون ذلك الثاني حكيما ، ولو كان الحق هو إثبات ثان حكيم لوجب أن يبعث رسولا يدعو المكلفين إلى التثنية ، لان الأنبياء كلهم دعوا إلى التوحيد ، لكن التوحيد على هذا الفرض ضلال ، فيجب على الثاني الحكيم أن يبعث من ينبه المكلفين على ذلك الضلال ويرشدهم إلى الحق وهو إثبات الثاني ، وإلا كان منسوبا في إهمال ذلك إلى السفه واستفساد المكلفين ، وذلك لا يجوز ، ولكنا ما أتانا رسول يدعو إلى إثبات ثان في الالهية فبطل كون القول بالتوحيد ضلالا ، وإذا لم يكن ضلالا كان حقا ، فنقيضه وهو القول بإثبات الثاني باطل . الوجه الثاني : أنه لو كان في الوجود ثان للقديم تعالى لوجب أن يكون لنا طريق إلى إثباته ، إما من مجرد أفعاله ، أو من صفات أفعاله ، أو من " صفات نفسه ، أو لا من هذا ولا من هذا ، فمن التوقيف . وهذه هي الأقسام التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام ، لان قوله : " أتتك رسله " هو التوقيف ، وقوله : ولرأيت آثار ملكه وسلطانه " ، هي صفات أفعاله ، وقوله : " ولعرفت أفعاله وصفاته " هما القسمان الآخران . أما إثبات الثاني من مجرد الفعل فباطل ، لان الفعل إنما يدل على فاعل ولا يدل على التعدد ، وأما صفات أفعاله وهي كون أفعاله محكمة متقنة ، فإن الاحكام الذي نشاهده إنما يدل على عالم ولا يدل على التعدد ، وأما صفات ذات البارئ فالعلم بها فرع على العلم بذاته ، فلو أثبتنا ذاته بها لزم الدور . وأما التوقيف فلم يأتنا رسول ذو معجزة صحيحة يدعونا إلى الثاني ، وإذا بطلت الأقسام كلها ، وقد ثبت أن ما لا طريق إلى إثباته لا يجوز إثباته بطل القول باثبات الثاني . ثم قال : " لا يضاده في ملكه أحد " ليس يريد بالضد ما يريده المتكلمون من نفي ذات هي معاكسة لذات البارئ تعالى في صفاتها كمضادة السواد للبياض ، بل مراده نفى الثاني لا غير ، فإن نفى الضد بحث آخر لا دخول له بين هذا الكلام».[1]

طاعة الله.

وأشار إلى الواجبات التي تستلزم عقيدة التوحيد بقوله:

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ٧٧ ـ ٧٨.

أوّلاً: (فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله) بسبب الصفات المناقضة لصفات الذات المقدسة وهي:

١ ـ (في صغر خطره) وهو القدر، فان قياس قدر الإنسان إلى قدر الله تعالى يكون قياس شئ صغير في الوجود إلى اعظم شئ في الوجود.

٢ ـ (وقلة مقدرته) والإنسان ليس له القدرة على تأمين كلّ حاجاته بنفسه، والله على كلّ شئ قدير.

٣ ـ (وكثرة عجزه)؛ فإنّ الإنسان يعجز عن منع الامراض والهموم التي ترد عليه في الحياة، والله سبحانه لا يعجزه شئ وهو على كلّ شئ قدير.

٤ ـ (وعظيم حاجته إلى ربه)؛ فإنّ هذه المظاهر من الفقر والعجز تؤكد على حاجة الإنسان إلى ربه حاجة عظيمة لا يمكن الرجوع فيها إلى غيره تعالى.

وهذا الخصائص الاربع توجب الواجبات الاسلاميّة التالية:

أوّلاً: (في طلب طاعتك) كما امر تعالى من الواجبات والمنهيات التي تعم الحياة.

ثانياً: (والرهبة من عقوبته) العادلة لمن ترك المحرمات وانحرف عن الطريق.

ثالثاً: (والشفقة من سخطه) أي الخوف بما يوجب سخطه من الاعمال المنافية لروح الاسلام.

وإلى السبب في هذا الالتزام بالواجبات الثلاث، قال:

(فإنه لم يأمرك إلّا بحسن ولم ينهك إلّا عن قبيح) فان المناط في الاحكام الشرعية هو الحسن والقبح الواقعيين فيها، والتي لا يعرفها سواه، وليس للانسان سوى الطاعة لما جعله الله منهاجاً لحياة الإنسان، والله المستعان.

(١٦ / ك ٣١) الدنيا والآخرة:

يا بُنَيَّ، إنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ ٱلدُّنْيا وَحالِها، وَزَوَالِها وَٱنْتِقالِها، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ ٱلْآخِرَةِ وَما أُعِدَّ لِأَهْلِها فِيها، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا ٱلْأَمْثالَ؛ لِتَعْتَبِرَ بِها، وَتَحْذُوَ[١] عَلَيْها.

إِنَّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ ٱلدُّنْيا[٢] كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبا[٣] بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ[٤]، فَأَمُّوا[٥] مَنزِلاً

---

(١) في هـ. ب: تقتدي.
(٢) أي عرفها باختبار وامتحان.
(٣) في هـ. ب: أي لم يطب.

خَصِيباً، وَجَناباً[٦] مَرِيعاً[٧]، فَاحْتَمَلُوا وَعْثاءَ[٨] ٱلطَّرِيقِ، وَفِراقَ ٱلصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ[٩] ٱلسَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ[١٠] ٱلْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذلِكَ أَلَماً، وَلا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ[١١] مَغْرَماً، وَلا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنزِلِهِمْ، وَأَدْناهُمْ مِنْ[١٢] مَحَلِّهِمْ[١٣].

وَمَثَلُ مَنِ ٱغْتَرَّ بِها كَمَثَلِ قَوْمٍ كانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبا بِهِمْ إِلى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ، وَلا أَفْظَعَ[١٤] عِنْدَهُم مِنْ مُفارَقَةِ ما كانُواْ فِيهِ إِلى ما يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

وذكر حال الدنيا التي تغرى الإنسان من الانحراف عن اداء الواجبات والمسؤوليات فقال:

(يا بني إني قد أنبأتك) في هذه الوصية وهذه جملة خبرية في مقام الانشاء لبيان التقابل بين حال الدنيا والآخرة فيما يأتي من الوصية، أو انها اخبار عما تقدم منه في حياتهما من قبل.

(عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها ، وضربت لك فيهما الأمثال لتعتبر بها وتحذو عليها) للانتقاع بها في الدنيا.

واكتفى عليه السلام بسرد مثل الدنيا مشيرا إلى حالاته، وبالمقابلة تعرف حالات الآخرة، فقال:

(إنما مثل من خبر الدنيا) والخبرة: تجربة الشئ شخصيا بدراسته بالذات.

١ ـ (كمثل قوم سفر) فان أهل الدنيا في سفر إلى أن تتوقف عجلات الزمن فيها.

---

(٤) في هـ. ب: مقحط.
(٥) في هـ. ب: أي قصدوا.
(٦) في هـ. ب: جانبا.
(٧) في هـ. ب: كثير المرعى.
(٨) في هـ. ب: شدة.
(٩) في هـ. ب: في نسخة: وحزونة.
(١٠) هـ. ب: خشونة.
(١١) لم ترد «فيه» في أ و ب و.
(١٢) في ب: إلىٰ، وفي هـ. ب: في نسخة: من.
(١٣) في ط: محلتهم.
(١٤) في هـ. ب: أصعب.

٢ ـ (نبا بهم منزل جديب) النبوة: الرفعة، والمسافر في الطريق يريد اقرب منزل للنزول، وثم الاستمرار في السفر، فما ارتفع منه يكون غير مرغوب فيه، والجرب: القحط، فاذا كانت الحالة كذلك يكون الخروج من المنزل باسرع وقت ممكن هو المطلوب .

٣ ـ(فأموا منزلا خصيبا) فقدوا مكانا آخر واتخذوه منزلا؛ لخصوبة الارض فيه.

(وجنابا مريعا) والجناب: الناحية، والريع: الافضل من كلّ شئ الموجب للاستراحة في المنزل الجديد من حيث المسكن والمنظر.

٤ ـ (فاحتملوا) في السفر كلما يحتمله المسافر عادة من الصعوبات، وذكر منها:

أوّلاً: (وعثاء الطريق) والوعث: المشقة.

ثانياً: (وفراق الصديق) حيث لا يشعر بقيمة الصداقة إلّا في الغربة بعد الفراق.

ثالثاً: (وخشونة السفر) حيث لا راحة في السفر، فإنّه قطعه من سقر.

رابعاً: (وجشوبة المطعم) والجشب: الغلظة؛ لعدم تهيؤ اسبابه المطلوبة.

وعن الهدف من السفر قال:

٥ ـ (ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم)؛ فإنّ المسافرين يتحملون كلّ المصاعب للوصول إلى مقصدهم، وهو الدار التي يستقرون فيه للراحة.

وعن السبب في تحمل المصاعب للسفر قال:

أوّلاً: (فليس يجدون لشئ من ذلك ألما)؛ فإنّ المقصد الاهم من السفر هو الوصول إلى الوطن، ويستسهل في سبيل ذلك كلّ الآلالم؛ لانها هي الطريق الوحيد للوصول إلى الهدف.

ثانياً: (ولا يرون نفقة مغرما)؛ لأنّ لكل شئ ثمن، وثمن الوصول إلى الطريق هو بذل المال المطلوب لذلك.

ثالثاً: (ولا شئ أحب إليهم بما قربهم من منزلهم ، وأدناهم من محلهم) بالرغم ما في السفر اليها من الصعوبات المتقدمة.

وهذا المثل ينبئ كيف أن صاحب الاعتبار ينتفع بالدنيا ولا يغتر بها، حيث ينتقل من حالات صعبة الى حالة أحسن وأفضل .

ثم مثل للاعتبار بالدنيا فقال:

(ومثل من اغتر بها) ووقع صيداً لمغريات الدنيا في المادّة والماديات (كمثل قوم كانوا

بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب ، فليس شئ أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه) والهجوم: المواجهة بغتةً.

(١٧/ك ٣١) **النفس الميزان:**

يا بُنَيَّ ٱجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ ما[١] تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَٱكْرَهُ لَهُ ما تَكْرَهُ لَها، وَلا تَظْلِمْ كَما لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَما تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنْ إلَيْكَ، وَٱسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِحُ[٢] مِنْ غَيْرِكَ، وَٱرْضَ مِنَ ٱلنَّاسِ بِما[٣] تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلا تَقُلْ ما لا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ[٤]، وَلا تَقُلْ ما لَا تُحِبُّ أَنْ يُقالَ لَكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْإِعْجَابَ[٥] ضِدُّ ٱلصَّوَابِ، وَآفَةُ ٱلْأَلْبابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ[٦]، وَلا تَكُنْ خازِناً لِغَيْرِكَ[٧]، وَإِذا أَنْتَ[٨] هُدِيتَ لِقَصْدِكَ، فَكُنْ أَخْشَعَ ما تَكُونُ لِرَبِّكَ.

ليس هناك من لا يبرر أي عمل يقوم به في الحياة بما يرضي نفسه وان لم يرض غيره، ولكن الامام أشار الى مقياس في العمل لا يمكن لأي أحد أن يتعامى عنه في الحياة، ولا أن يبرره، فهل يرضى الإنسان ما يقوم به الان لنفسه؟ فلو كان الملك اسيراً فهل كان يرضى لأن يتعامل في الاسر كما هو يريد أن يعامل الاسير من منطق القوة والظلم؟

ومن هذا المنطلق قال الإمام عليه السلام.

(يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك) وسرد من اثار هذا المقياس في التعامل مع الناس نقاطا هامة في الحياة فقال:

(فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها) فكما تحب الخير لنفسك احببها لغيرك؛ فإنّ حب الخير للغير يكفيك شرّ الطمع في الخير الذي عندك، وعلى النقيض سلب

---

(١) في ب: مما.
(٢) في ط: تستقبحه.
(٣) في ب: فيما، وفي هـ. ب: بما، وفي هـ. د: فيما ـ ش.
(٤) في هـ. ص: يناسب هذا ما أورده في صحاح الجوهري شاهداً على ذلك:

إذا ما علمت الأمر اقررت علمه ... ولا أدّعي ما لست اعلمه جـهلاً
كفى بامريءٍ يوماً يـقول بـعلمه ... ويسكت عما ليس يعلمه فـضلاً

(٥) الاعجاب: استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً، وفي هـ. ب: أي صار معجباً بنفسه.
(٦) الكدح: أشد السعي، وفي هـ. ب: كسبك.
(٧) أي لا تحرص على جمع المال ليرثه غيرك.
(٨) في هـ. د: كنت ـ ب.

الخير منه يولد الحقد عليك، وليس حقد الفقراء على الاغنياء إلّا من هذه الزاوية، وكذلك الثورات في السياسات لتغيير الحكم، حيث يحاول الحاكم عزل طبقات المجتمع من التمتع بالحقوق في الحياة فينتج الثورة للحصول عليها.

فلو كان الغني والسياسي يحب لغيره ما يحب لنفسه لاشركهم باعطاء حقوقهم في حدود القانون، وبذلك تقمع النقمة من اصلها وبوقى الثورة شرها.

ثم ذكر اظهر مصاديق ما تحبه النفس وتكرهه وهي:

١ ـ (ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم).

٢ ـ (وأحسن كما تحب أن يحسن إليك).

٣ ـ (واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك).

٤ ـ (وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك).

٥ ـ (ولا تقل ما لا تعلم).

٦ ـ (وإن قل ما تعلم).

٧ ـ (ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك).

وهذه النقاط السبع شائعة في المجتمعات، ولو تمكن الإنسان من ضبط النفس فيها لكان في راحة من اثارة السيّئة، ولا عاصم إلّا الله.

ملاحظة: جاء ضبط النفطة السادسة في الطبعة المعتمدة، وفي الشرح (وانّ قلّ ما تعلم) ولا تناسب لذلك مع السياق، واظن ذلك تصحيفا؛ لأنّ المصدرية وفعل الأمر من القول، فهو انسب وحتى تتهيأ النسخ المطلوبة من الاصل للتحقيق، فقد سعيت في تحصيل النسخ سعيا بليغا فكان من جمعٍ الاهمال، ومن اخر الامهال، وبعضهم الصدع، واخرين المنع، وعسى أن يقوم بذلك من يجد في نفسه القدرة والكفاءة، فيقوم بما هو الواجب هنالك، واني لا اقطع الامل، وعسى أن يوفقني الله لذلك قبل حلول الاجل.

الاعجاب آفة النفس.

وختم هذا المقطع بالاشارة إلى أن العجب الذي هو السبب الاصلي في الاستعداء على الآخرين، واستثناء نفسه من هذا الميزان العادل لمقايسه نفس الإنسان بغيره وتدبر اعماله بما يرضي نفسه فقط، فقال عن العجب وطرق مكافحته:

(واعلم أن الإعجاب) والعجب: الكبر والزهو على الآخرين من الناس، لما يتخيل في

نفسه من عناوين خيالية تفضله على غيره.

وأشار إلى صفتين رئيسيتين للعجب.

أوّلاً: (ضد الصواب)؛ فإنّ بني الإنسان جميعا متساوون في الخلق، فلا ميزة لاحد على الآخر في الانسانية، فهم جميعا يشتركون في الجنس مع كافة الحيوانات، وفي الفصل مع كافة البشر، فليس للون وغيره من الاعراض اثراً في حقيقة الانسانية، بل هي عوارض اعتبارية لادخل لها في الجنس والفصل.

ثانياً: (وآفة الألباب) الافة: المرض، واللب: العقل، والعجب اذا دخل في دماغ الإنسان واستقر يصبح متأثرا به في كلّ حالاته وتصرفاته في المجتمع من الافراد والاسر، ولا يقف عند حد من الحدود حتّى يدعي العظمة لنفسه دون غيره، حتّى يؤدّي به إلى الدكتاتورية في القرارات والتطرف في العلامات وكاكنه يتصرف من دون عقل؛ لأنّه مريض عقليا بآفة العجب، ويفتقر إلى معالجة نفسية، وغريب امر هذا الإنسان كيف يأخذه العجب وهو في كلّ يوم يذهب الى بيت الخلاء ويرى ما في نفسه وجسمه من الخراء، فلما هذا الهراء؟

وعن طريق التخلص من العجب قال:

أوّلاً: (فاسع في كدحك) والكدح: شدة السعي؛ فإنّ من يعمل بيده ساعياً لاي عمل كان يشعر بافتقاره واحتياجه للمجتمع الذي يعيش فيه، فلا يحصل على فرصة الخبز للاكل إلّا بالسعي إلى الخباز، وهكذا، فلا يكون له داعي للعجب، دون من يعيش منعماً من دون عمل، فيدخل العجب في لبه ويستولي على عقله؛ لأنّه لا يسعى لشئ في حياته.

ثانياً: (ولا تكن خازنا لغيرك)؛ فإنّ من اسباب العجب الثروة التي يرثها الإنسان ولم يعمل لها بيده، وبذلك يرى نفسه افضل من غيره، في حين أن غيره خزنه له وهو يخزنها لغيره.

فان كنت تحب ولدك فاجعله يقف على رجله ويسعى لنفسه من اجله.

ثالثاً: (وإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك)؛ فإنّ الخشوع دواء ناجع لمرض العجب، والخشوع لله سبحانه وحده يلازم الهداية للقصد وهو الطريق الواضح.

ومن تواجدت فيه هذه النقاط قد يكون بمأمن من العجب، اعاذنا الله منه.

(١٨/ك ٣١) طريق الآخرة:

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً(١) ذَا مَسافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا غِنَى(٢) بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيادِ(٣)، وَقَدْرِ بَلَاغِكَ مِنَ ٱلزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ ٱلظَّهْرِ، فَلا تَحْمِلَنَّ عَلى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثَقْلُ(٤) ذلِكَ وَبالاً عَلَيْكَ(٥)، وَإِذا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْفاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إلى يَوْمِ ٱلْقِيامَةِ فَيُوَافِيكَ(٦) بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ(٧)، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ.

وَٱغْتَنِمْ مَنِ ٱسْتَقْرَضَكَ فِي حالِ غِناكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وأشار إلى أن الدنيا طريق الآخرة، وان لهذا الطريق خصائص يجب معرفتها حيث ان كل انسان يجب أن يسلكها، فقال:

١ ـ (واعلم أن أمامك طريقا) مسيرة الدنيا للوصول إلى المقصد الذي لا مفر عنه.

٢ ـ (ذا مسافة بعيدة) بعد الزمن الذي يعيش الإنسان في الدنيا.

٣ ـ(ومشقة شديدة) لما في الدنيا من مشقات على الإنسان شخصية واجتماعية وغيرهما.

وعن ما يفتقر اليه من الطريق قال:

ـ (وأنه لا غنى لك فيه) عما يلي:

أوّلاً: (حسن الارتياد) وهو طلب ما تفتقر اليه مما هو حسن.

ثانياً: (قدر بلاغك من الزاد) والبلاغ: ما يكفي الإنسان من الزاد والراحلة.

ثالثاً: (مع خفة الظهر)؛ فإنّ ثقل الظهر بحمل الشيئ يوجب البطأ في السير.

---

(١) في هـ. ص: أعلم أنه قد أطرد تعبير الشارع وأهل الشرع عن موقف القيامة بالطريق والصراط، وعن سلوكه بالسفر، وذلك استعارة؛ تمثيلا لسلوكه وعبوره إلى الجنة أو إلى النار بحال قاطع الطريق إلىٰ المقصد، وقد تقدم التنبيه على ذلك وسيأتي، والله أعلم.

(٢) في ب و ص: لا غناء، وفي هـ. ب: لا غناء، لا غنى، بمعنى واحد.

(٣) في هـ. ب: الطلب.

(٤) في هـ. د: نقل ـ ب.

(٥) في هـ. ص: نهاه عن تكثير المال وتثميره؛ وذلك لأن الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، فتقليلها تخفيف لهما. ثم حثّه على إنفاق فضل المال في الصدقة وبيّن له أنّ المنفق من المال فيها هو الباقي لصاحبه دون ما ثمّر أو أنفق في مآرب الدنيا، والله أعلم.

(٦) في هـ. ب: يوصله إليك.

(٧) في هـ. ص: أي في الآخرة عند ما تأتي الموقف فرداً، وهو من قوله تعالىٰ: ﴿وأقْرِضُوا اللّه قَرْضاً حَسَناً﴾ ونحوها.

(فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك) فلاتحمل نفسك ما لا تطيق، فلا محيص عن التخفيف من المتاع في السفر.

وهذه نقاط أساسية في أي سفر يعزم عليه الإنسان، فاذا زاد المتاع واضطر إلى حمله في السفر فلابد له من مساعد يحمل عنه ذلك ويخفف عليه حمله.

المساعد في السفر.

وأشار إلى أن في سفر الآخرة ايضا من يقوم بدور المساعدة بالضبط، كما يقوم به ساعي البريد من حمل الطرود، وهم اهل الفاقة في الدنيا، فقال:

١ ـ (وإذا وجدت من أهل الفاقة) وهي الحاجة المادية غالبا أو المعنوية.

٢ ـ (من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة) فيساعدك في السفر كالمساعد.

٣ ـ(فيوافيك به غدا حيث تحتاج إليه) كما يوافيك ساعي البريد بما ترسله بواسطته وانت في السفر الى وطنك.

٤ ـ (فاغتنمه وحمله إياه) بالضبط مثلما تغتنم الفرصة اذا كان لك مساعد فتحمله مالا تحتمله في السفر شخصيا، فتسلمه اياه حتّى يوصلك إلى وطنك بفارق واحد هو:

٥ ـ (وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه)؛ فإنّ الزيادة رأس مال تنتفع به في الآخرة.

وعلل ذلك بقوله:

٦ ـ (فلعلك تطلبه فلا تجده)؛ فإنّ المسافر يحمل من النقود التي يفتقر اليها في السفر اكثر مما يحتاج اليه ؛ لخفة نقلها، واحتمال الحاجة اليها، وكذلك تكون حالة مساعدة اهل الفاقة؛ فإنّ تزويدهم بأكثر ما يمكن يكون انفع يوم القيامة.

٧ ـ (واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك)؛ فإنّ هذه الحال هي حالة يجب أن يغتنمها الإنسان، فلا تفوته فرصة العمر، فيكون مغتبطا لمساعدة اهل الحاجة، لا عابساً فيساعدهم عن رغبة، لا عن رهبة.

وما اروع هذه المعرفة بهذه الحقائق لمن يعرف حقيقتها ويطبقها في حياته!!!؟

(١٩/ك ٣١) الاستعداد للاخرة:

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً[١]، ٱلْمخِفُّ فِيها أَحْسَنُ حالاً مِنَ ٱلْمُثْقِلِ، و ٱلْمُبطِيءُ[٢]

---

(١) في صعبة المرتقىٰ.

(٢) في هـ. د: والبطيء ـ ض ب.

عَلَيْها أَقْبَحُ حالاً[١] مِنَ ٱلْمُسْرِعِ[٢]، وَأَنَّ مَهْبَطَكَ[٣] بها لا مَحالَةَ إمّا عَلى جَنَّةٍ أَوْ عَلى نَارٍ، فَارْتَدْ[٤] لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّيءِ[٥] ٱلْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ[٦]، وَلا إِلَى ٱلدُّنْيا مُنْصَرَفٌ.

وعن السبب الموجب لمساعدة اهل الفاقة قال:

ـ (واعلم أن أمامك عقبة كؤودا) والعقبة: الطريق الصعب في الجبال، والكؤود: ذو المشقة.

(المخف فيها أحسن حالا من المثقل)؛ فإنّ الثقل في الطريق الوعر يزيد المسافر همّا وجهداً وكرا.

(والمبطئ عليها أقبح حالا من المسرع)؛ فإنّ كلا من المسرع والمبطئ يواجهان عقبة صعبة يجب عليهما معا تجاوزها، والمسرع يواجه الصعوبة أكثر من غيره، والمبطئ يواجه الصعوبة كذلك؛ فإنّ المنطقة الجبلية لا تتغير بالنسبة إلى حالات الافراد، فلابد من يتجاوزها المبطئ مع وصف البطأ الذي عادة يكون بسبب الجبن ان لم يكن بداع اخر يوجب ذلك.

وكذلك في يوم القيامة.

ولعل ذلك لعلمهما باحصاء اعمالهما ونتائجه من الخير أو الشر في يوم القيامة، والتسرع إلى معرفة النتائج قبل اعلانها، فمع العلم بالنتائج مسبقاً فالاحسن أن ينتظرا حتى تعلن النتائج فيكون المبطئ عليها اقبح حالا؛ فإنّ البطء في السفر من دون سبب داع

---

(١) في ب: امرا، وفي هـ. د: امراً ـ ش.
(٢) في هـ. ص: هذا من تمثيل موقف القيامة بطريق المسافر، فسمّاه عقبة كؤودا التي هي أصعب المسالك، وأثبت لوازمها من حسن حال المخفّ عليها وقبح حال المثقل، والخفّة ـ هنا ـ: عبارة عن تخفيف الحساب، والثقل: عبارة عن مناقشة الحساب، وقد جاء في الحديث تشبيه حال ذلك الموقف وحال سالكه بمن يمرّ على طريق ضيّق عن يمينه وشماله مساقط، وتحت قدميه ما يقتضي تزلزله واضطرابه من حده مستقر القدم، وأنّ في مواضع الخطو حَسَكٌ ونحوه ممّا يعثر به السائر، وكل ذلك تمثيل لخطر سلوكه، وهذ هو صراط الآخرة ذو المزالق والمساقط والأهوال والتعثّر، والله أعلم.
(٣) في أ ب ص و د: مهبطها بك، وفي هـ. د: مهبطك بها ـ ض ب.
(٤) الارتياد: الطلب، والمراد ابعث لنفسك رائداً من طيبات الأعمال.
(٥) في ب: ووطن، وفي هـ. ب: في نسخة: ووطيء.
(٦) أي لا مجال هناك للاستعتاب، وهو الاسترضاء.

إلى ذلك قبيح، فانه يكشف عن الجبن لأن العقبة لابدّ من ان يتجاوزها المسافر على كلّ حال سواءً اسرع أم ابطأ.

(وأن مهبطك بها لا محالة على جنة أو على نار) سواءً في ذلك حالة السرعة أو البطؤ.

وعن الواجب في هذا الموقف قال:

أوّلاً: (فارتد لنفسك قبل نزولك) أي ابعث رائداً لطريق الآخرة كما تبعث الرعاة رائداً لمعرفة المكان الصالح للنزول في الرعي لوجود الكلأ والماء، وذلك بالاعمال الصالحة في الدنيا لتكون حاضرة في الآخرة عند نزولها.

ثانياً: (ووطئ المنزل قبل حلولك) والتوطئة: التمهيد لها بما تفتقر اليها عند حلول الآخرة حتّى يكون للعامل المكان الصالح اللائق به.

ثم ختم المقطع بالحقيقة التي لا تخفى على احد فقال:

(فليس بعد الموت مستعتب ولا إلى الدنيا منصرف) حيث أن الآخرة دار الجزاء فلا مجال للاستعتاب وهو طلب الرضا، فبما أن بالموت نهاية الحياة فلا مجال للرجوع إلى الدنيا مرة اخرى للعمل الصالح، قال تعالى:﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.(١)

(٢٠/ك٣١) خصائص الدعاء:

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلَّذِي بِيَدِهِ خَزائِنُ ٱلسَّماوَاتِ وٱلْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي ٱلدُّعاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالاجابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكُ عَنكَ(٢)، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إلى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، ولمْ يُعَيِّرْكَ بالإِنابَةِ(٣)، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ ٱلْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلىٰ(٤)، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ ٱلْإِنابَةِ، وَلَمْ يُناقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ(٥)، ولَمْ يُوئِسْكَ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ

---

(١) المؤمنون : ١٠٠.

(٢) في ط و د: يحجبه عنك، وفي هـ ب: في نسخة: يحجبه عنك، وفي هـ د: يحجبك عنك ـ ش.

(٣) لم ترد «ولم يعيّرك بالإنابة» في أ ب ص و ط و د، وفي هـ. د: في ب زيادة: ولم يعيّرك بالإنابة.

(٤) لم ترد «بك أولى» في ب ص وط، وفي ط: ولم يفضحك حيث تعرضت، وفي هـ. د: لم ترد «بك أولى» في ف ن ل ش، وفي ح: ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة.

(٥) في هـ. ب: الجرم.

نُزُوعَكَ[(١)] عَنِ ٱلذَّنْبِ حَسَنَةً[(٢)]، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ واحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بابَ ٱلْمَتابِ[(٣)] وباب ٱلاْستعتابِ.

والدعاء صلة الإنسان بربه جعله الإمام من المنهاج اليومي لحياة المسلم فقال:

(واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء)؛ فإنّ الله سبحانه باذنه بالدعاء جعل الترابط بينه وبين عبده مباشرة، وحيث انّه تعالى على كلّ شئ قدير وبيده خزائن السماوات والارض، فلا يحق للعبد ان يتوجه بالسؤال إلى غيره تعالى، حيث انّه تعالى هو الحقيق بالسؤال لاسواه، فقد أمر بتحصيل الرزق والمعاش بالطرق المتعارفة وذلك ليس سؤالا واستبطاء بل عقد عمل بين اثنين على أساس مشترك لمصلحة الطرفين، وهذا ليس دعاء، واشار إلى خصائص الدعاء بقوله:

١ ـ (قد اذن لك في الدعاء) حيث امر سبحانه بالدعاء، فيما بينه بقوله: (وادعوه مخلصين له الدين﴾.[(٤)]

٢ ـ (وتكفل لك بالإجابة) حيث قال: (ادعوني استجب لكم﴾.[(٥)]

٣ ـ (وأمرك أن تسأله ليعطيك)؛ فإنّ الأمر بالسؤال انما هو ليكون سببا للعطاء.

٤ ـ (وتسترحمه ليرحمك) حيث قال: (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين﴾.[(٦)] وقال: (قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾.[(٧)]

٥ ـ (ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك) بجعل الصلة الروحية بينك وبينه مباشرة.

٦ ـ (ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه) وان كانت الشفاعة لمن ارتضى ولكن من دون

---

(١) في هـ. ب: توبتك ورجوعك.

(٢) في هـ. ص: من قوله: تعالىٰ: ﴿فَأُولئكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئآتِهِم حَسَناتٍ﴾ فالظاهر من معنىٰ الآية ـ واللّه أعلم ـ: أنّ التائب إذا تاب من ذنوب كثيرة فتوبته حسنة، فيتعدد بتعدد الذنوب التي تاب منها فيكون توبته من الذنب الفلاني حسنة، ومن الذنب الفلاني حسنة اُخرىٰ، ثم كذلك يصير له بعدد السيئات التي تاب منها حسنات هي جزاء التوبة منها، فهي سعي له، واللّه أعلم بمعاني كتابه.

(٣) في ط و د زيادة: وباب الاستعتاب، وفي هـ. د: «وباب الاستعتاب» ساقطة من ش.

(٤) الاعراف : ٢٩.

(٥) غافر : ٦٠.

(٦) يوسف : ٥٦.

(٧) الزمر :٥٣.

الجاء للعبد في الشفاعة.

٧ ـ (ولم يمنعك إن أسأت من التوبة)؛ فإنّ باب التوبة مفتوحة حتّى ساعة الموت.

٨ ـ (ولم يعاجلك بالنقمة) وهي العذاب على ما يستحق النقمة؛ لاعطاء فرصة للتوبة.

٩ ـ (ولم يعيرك بالإنابة) وهي الرجوع إلى الله؛ فإنّ التعيير من صفات المخلوقين.

١٠ ـ (ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى) لمكان الجرأة على المعصية، ولكن الله اهل الستر لا الفضيحة.

١١ ـ (ولم يشدد عليك في قبول الإنابة) بشروط شديدة شاقة أو تعجيزية كما هي عادة اصحاب الدنيا.

١٢ ـ (ولم يناقشك بالجريمة) والنقش: بلوغ الغاية في الكشف والاعلان حتّى يتبين لجميع الناس حدود الجريمة.

١٣ ـ (ولم يؤيسك من الرحمة) بل قال تعالى:﴿انه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾.[١]

١٤ ـ (بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة) حيث قال:﴿ثم بدلنا مكان السيّئة الحسنة﴾.[٢]

١٥ ـ (وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشرا) قال تعالى:﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيّئة فلا يجزى إلّا مثلها﴾.[٣]

١٦ ـ (وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب) والتوبة: الرجوع عن الذنب، والاستعتاب: طلب الرضى، قال تعالى:﴿هو الذي يقبل التوبة عن عبادهة ويعفوا عن السيئات﴾.[٤]

حالات الدعاء

فَإذا نادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإذا ناجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْواكَ[٥]، فَأَفْضَيْتَ[٦] إلَيْهِ بِحاجَتِكَ[٧]،

(١) يوسف: ٨٧.
(٢) الاعراف: ٩٥.
(٣) الانعام: ١٦٠.
(٤) الشورى: ٢٥.
(٥) النجوىٰ من المناجاة، وهي المكالمة سرّاً.

وَأَبْثَثْتَهُ[٨] ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ[٩]، وَٱسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ[١٠]، وَٱسْتَعَنْتَهُ[١١] عَلى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مالا يَقْدِرُ عَلى إعْطائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيادَةِ ٱلْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ ٱلْأَبْدانِ، وَسَعَةِ ٱلْأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفاتِيحَ خَزَائِنِهِ، بِما أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتى شِئتَ ٱسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعاءِ أَبْوابَ نِعْمَتِهِ[١٢]، وَٱسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ[١٣] رَحْمَتِهِ.

وعن نتائج هذه الحقائق قال:

(فَإِذا نادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ)؛ لانه تعالى ﴿سميع الدعاء ﴾[١٤]

(وَإِذا ناجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْواكَ)؛ لانه تعالى ﴾﴿ما يكون من نجوى الا هو رابعهم ﴾[١٥]

وعن مضامين الدعاء قال:

١ ـ (فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحاجَتِكَ) والافضاء: الالقاء.

٢ ـ (وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ) بكشف ما في النفس مما لا يمكن الاعلان به.

٣ ـ (وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ) التي لا تشكوها الى غير الله تعالى .

٤ ـ (وَٱسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ) والكرب: الغم .

٥ ـ (وَٱسْتَعَنْتَهُ عَلى أُمُورِكَ) التي تخصك في الحياة.

٦ ـ (وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مالا يَقْدِرُ عَلى إعْطائِهِ غَيْرُهُ) وفسرها بقوله:

٧ ـ (مِنْ زِيادَةِ ٱلْأَعْمَارِ) حيث أن الاعمار بيد الله .

٨ ـ (وَصِحَّةِ ٱلْأَبْدانِ) فان الله تعالى هو الشافي والمعافي .

٩ ـ (وَسَعَةِ ٱلْأَرْزَاقِ) مما يفتقر اليه الانسان في الحياة.

---

(٦) في هـ. ب: وصلت.
(٧) أي طلبت قضاءها.
(٨) أي كاشفته، وذات النفس: حالتها، وفي هـ. ب: أبثث، أي قلت سرّ نفسك، والبثّ: أشدّ الحزن، أعلمته بثّك.
(٩) في هـ. ب: عمومك.
(١٠) الكرب.
(١١) في ب: فاستعنته.
(١٢) في ب و ص: نعمه، وفي هـ. ب و ص: في نسخة: نعمته.
(١٣) الشؤبوب: الدفعة من المطر، وفي هـ. ب: أمطار.
(١٤) ال عمران: ٣٨.
(١٥) المجادلة: ٧.

١٠ ـ (ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفاتِيحَ خَزَائِنِهِ، بِما أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ) فان الدعاء هو المفتاح الذي يجب العمل بمقتضى ما يدعو الانسان به، والسعي حسب ما أمر الله تعالى بالسعي فيه بقوله: ﴿وأن ليس للانسان الا ما سعى﴾[١]

وختم المقطع بالصلة المباشرة بين الله وعبده وهو الدعاء ومضامينه حسب حاجة الإنسان الشخصية غير محصورة بوقت دون وقت بل باختيار الداعي قال:(فَمَتى شِئتَ ٱسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعاءِ أَبْوابَ نِعْمَتِهِ، وَٱسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ) وبالاجمال فان من من يريد تحقيق شي في حياته فانه يفتقر إلى امرين:

الأوّل: السعي حسب متطلبات الشئ الذي يقصده من الشرائط والاسباب.

الثاني: الصلة المباشرة مع الله للحصول على الطافه الروحية لتحقيق ذلك، فإنّه سبحانه على كل شئ قدير.

(٢١/٣١ ك) ابطاء الاجابة:

فَلَا يُقْنِطَنَّكَ[٢] إِبْطاءُ إجابَتِهِ[٣]، فَإِنَّ ٱلْعَطِيَّةَ عَلى قَدْرِ ٱلنِّيَّةِ، وَرُبَّما أُخِّرَتْ عَنْكَ ٱلْإِجابَةُ؛ لِيَكُونَ ذلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ ٱلسَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطاءِ ٱلْآمِلِ، وَرُبَّما سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتاهُ[٤]، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِما هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ[٥]، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيما يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنكَ وَبَالُهُ، وَالْمَالُ يَبْقَى لَكَ وَلا تَبْقَى لَهُ.

وأشار إلى اسباب ابطاء الاجابة للدعاء فقال:

(فلا يقنطنك إبطاء إجابته)، ثمّ سرد اسباب الابطاء التي ترجع إلى مصالح، الله اعرف

---

(١) النجم : ٣٩.

(٢) في ب: يقنّطك، وفي هـ. ب: في نسخة: يقنّطنّك.

(٣) في هـ. ص: نهاه عن قول: «دعوت فلم أُجب» وهو الاستعجال، وقد ورد النهي عنه في أحاديث كثيرة، وذكر له أموراً من الحكمة تقتضي تأخير الإجابة ليبني الأمر علىٰ ذلك، واللّه أعلم.

(٤) في هـ. ب: في نسخة: ولا تؤتاه.

(٥) في هـ. ص: وكفى في ذلك عبرة قصة ثعلبة الأنصاري، وامتناع النبيّ ﷺ عن سؤال مثل ذلك لعمّه العباس حيث قال له: يا رسول اللّه اُدع اللّه أن يرزقني. فقال: سل اللّه العافية ياعمّ، فأعاد ذلك ثانية وثالثة فأجابه كذلك، والقصتان مشهورتان. قلت: وقصّة ثعلبة: أنّ النبيّ ﷺ أقرضه درهمين فبورك في ماله ، فازدهرت أمواله، فامتنع من الاتيان الى المسجد، ثمّ امتنع من اعطاء الزكاة...وهكذا. فاسترجع رسول الله ﷺ منه الدرهمين فعاد الى حالته الاولى .

بها وليس للسائل أن يفرض على المسؤول منه المصلحة، فهو يعطى حسب ما يراه مصلحة ومنها:

أوّلاً: (فإن العطية على قدر النية)؛ فإنّ النيّة الخالصة في الدعاء لها الاثر السريع في الاجابة؛ لأنّ الداعي لا يدعو الا مع علمه بكافة الشرائط الموجبة للدعاء، ومن هنا يمتنع الصالحون من الدعاء على الاشخاص المعتدين ويبادرون في الدعاء للصالحين، ولو كانت الاجابة حسب رغبات الداعين لاختل النظام وابتلى الداعي من حيث لا يشعر بأسوء حالة مما هو فيها.

ثانيا: (وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل)؛ فإنّ للدعاء اجر، وكلما زاد الدعاء وتكرر تكرر أجره وزاد، فيكون في التاخير موجبا لتكرر السؤال والتكرر موجبا الجزيل العطاء.

ثالثاً: (وربما سألت الشئ فلا تؤتاه وأوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا) فيكون السبب في التاخير هو الخير العاجل أو الآجل الذي يترتب على التاخير.

رابعاً: (أو صرف عنك لما هو خير لك)؛ فإنّ الله سبحانه يصرف الشئ الذي يسأله الداعي لعلمه بعاقبة الامور، والسائل لا يدري أن ما يطلبه ليس له خير حقيقة، قال تعالى:﴿عسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم﴾.

خامساً: (فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته) كما لو دعي الداعي للحصول على وظيفة وهو لا يعلم انها سوف توقعه في جريمة والله يعلم وانتم لا تعلمون) فيتقدم في دنياه ولكنّه يخسر اخرته فكيف يستجيب الله له ذلك وهو يطالب المنكر الذي نهى الله عنه؟

الجدير بالمسألة:

وختم المقطع بأن الجدير بالسؤال هو الخصال المعنوية لثباتها وليس الامور الماديّة لزوالها فقال:

١ ـ (فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله) من الخصال المعنويّة التي تبقى مع الإنسان مادام حيا و ميتا أيضا فيعرف بالشرف والامانة من الخصال الحميدة.

٢ ـ (وينفي عنك وباله) من الامور المادية والعناوين الخيالية التي لا واقع لها سوى الوبال المترتب عليها اذا لم يقم بالواجب المفروض عليه فيها.

ومثل بمثال حي لذلك فقال:

٣ـ(فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له)؛ فإنّ الامور المادية لابدّ وان تزول يوما ما وينتهي دورها، وتستبدل بشئ اخر منها، وكذلك الطالب لها لا يبقى ويفنى بالموت.

والمادة والماديات والعناوين الخياليّة التي تعطى للبعض الناس لاستخدامهم في اوقات، وتسلب منهم في اوقات اخرى وتنتهي قيمتها في اللحظة التي ينتهي دور من له السلطة في اعطائها، وما هذا شأنه ليس جديراً بالسؤال، وانما الجدير بالسؤال الخصال الحميدة ومكارم الاخلاق التي بها يخلد الإنسان في التاريخ طاهر الضمير، والله هو العليم الخبير.

(٢٢/ك ٣١) الإنسان في الدنيا:

وَاعْلَمْ[١] أَنَّكَ إِنَّما خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لا لِلدُّنْيا، وَلِلْفَناءِ لا لِلْبَقاءِ، وَلِلْمَوْتِ لا لِلْحَياةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ[٢] قُلْعَةٍ[٣]، وَدَارِ بُلْغَةٍ[٤]، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لا يَنْجُو مِنْهُ هارِبُهُ، وَلا يَفُوتُهُ طالِبُهُ[٥]، وَلابُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلى حالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْها بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذلِكَ، فَإِذا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

فى هذا المقطع يشير الامامعليه السلام إلى دور الإنسان في الدنيا كمرحلة من مراحل سيره وما لهذا الدور من المسؤوليات الانسانية التي يتحملها الإنسان في هذا الدور خاصة، واشار الى خلق الإنسان ومصيره الى الموت ومسيره عن طريق الدنيا إلى الآخرة وما يستوجب عليه من المسؤولية فقال:

١ ـ (واعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا) فقد قال الله تعالى:﴿وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون﴾[٦] وعبادة الله طاعته فيما امر ونهى، فلا يكون العبادة إلّا بالعمل في كل مرحلة من مراحل الوجود، ففي الدنيا بالعمل بالمسؤوليات التي حددها الله في الدنيا،

---

(١) في ط زيادة: يا بني.
(٢) في هـ. د: منزلة ـ ع.
(٣) في هـ. ص: قلعة، أي ليس بمستوطن.
(٤) في هـ. ص: البلغة: ما يتبلّغ به إلىٰ غيره.
(٥) لم ترد «ولا يفوته طالبه» في أ ب ص، وفي هـ. د: «ولا يفوته طالبه» ساقطة من ف ن ل ش.
(٦) الذاريات : ٥٦.

وبما أن الإنسان سائر نحو الآخرة عن طريق الدنيا وللخلود في الآخرة فيكون الإنسان مخلوقا للخلود في الآخرة وليس للطريق المؤدى اليها، وبالنتيجة ان الإنسان مخلوق:

٢ ـ (للفناء لا للبقاء) في الدنيا، بل للفناء في الدنيا للوصول إلى الآخرة والبقاء فيها.

٣ ـ(وللموت لا للحياة) في الدنيا؛ فإنّ كل من في الدنيا مصيره إلى الموت فيها، ثمّ الحياة في الآخرة.

٤ ـ (وأنك في منزل قلعة) بضم القاف، أي المنزل الذي يرتحل عنه إلى مكان آخر، فإنّه لا خلود في الدنيا.

٥ ـ (ودار بلغة) وهي الكفاية؛ حيث لا يعيش فيها اكثر بما فيه الكفاية للانسان في العيش، ولا يأكل اكثر مما يأكل ولا يحمل على جسمه اكثر مما يحمل.

٦ ـ (وطريق إلى الآخرة) يسير الإنسان على هذا الطريق نحو الآخرة بخطى ثابتة لحظة فلحظة.

٧ ـ (وأنك طريد الموت الذي) لا يرحم اصلا، وذكر من خصائص الموت:

أوّلاً: (لا ينجو منه هاربه) فالهارب من الموت باية وسيلة لا نجاة له منه.

ثانياً: (لا يفوته طالبه)؛ فإنّ من يطلبه الموت لا يفوته مهما طال العمر.

ثالثاً: (ولا بد انّه مدركه) في اي وقت أو مكان حل فيه اجله.

وهذه الحقائق الثابتة للدنيا وخاصة الموت الذي لا يمكن لاحد أن ينكره يوجب على الإنسان اداء مسؤولية في الدنيا.

وأشار إلى اهم مسؤولية انسانية فيها وهي التوبة بقوله:

(فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك) .

فان الحياة في الدنيا لا تخلو من الخطأ والنسيان المسيطران على الإنسان في كلّ زمان ومكان. ولا ينجوا منها الإنسان إلّا بالتوبة التي فتح الله بابها في هذه الدنيا وتسليمها الموت من الإنسان في اية لحظة جاء الاجل فيها.

وطبيعيّ أن هذا الحذر لا يكون إلّا بالمبادرة إلى أداء المسؤولية الاسلاميّة المفروضة على الانسان في الحياة شخصيا وعباديا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، وباداء هذه المسؤوليات في الدنيا يتخلص من النيران ويستحق الجنان، والله المستعان.

(٢٣/ك ٣١) ذكر الموت:

يا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرِ ما تَهْجِمُ[١] عَلَيْهِ[٢]، وَتُفْضِي[٣] بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ[٤]، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ[٥]، وَلا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ[٦].

وحيث أن الحذر من الشيئ يستلزم ذكره دواماً حتّى يتجنب الوقوع فيما يحذر، اكثر الإمام عليه السلام في هذا المقطع من ذكر الموت الذي يستلزم الحذر المستمر، كما يستمر ذكر الحيوان المفترس في مظان وجوده حذراً من أن يقع فريسة له، وأكد بتحذيرات متسلسلة قائلا:

١ ـ (يا بني أكثر من ذكر الموت)؛ فإنّ ذكر الموت يستلزم:

٢ ـ (وذكر ما تهجم عليه) في العمل في الحياة الدنيا.

٣ ـ (وتفضي بعد الموت إليه) من الحساب والثواب والعقاب.

فإنّ هذه النقاط الثلاث متلازمة متسلسلة، فان ذكر الموت يستوجب التأمّل في العمل الذي يقوم به الإنسان وآثاره فيما بعد الحياة.

وذكر الموت يستلزم ثلاث نقاط ايجابية مترابطة، هي:

أوّلاً: (حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك) بالحذر من الخطر الذي يتوجه .

ثانياً: (وشددت له أزرك) وهو القوة؛ استعداداً لمواجهة الخطر من الموت.

ثالثاً: (ولا يأتيك بغتة فيبهرك) والبهر: الغلبة، فلا يكون الموت مفاجأة لكمال الاستعداد له بالعمل بالمسؤولية، ومنها: الوصية للاولاد والاحبة حتّى لا يضيع حق لاي انسان له حق عليك في الحياة إلّا وهو مضبوط في وصية واضحة.

فالإنسان الذي يذكر الموت دائما يؤدّي واجباته الانسانية المطلوبة منه كما هي مفروضة عليه تجاه نفسه واسرته ومجتمعه، ويعيش في كلّ يوم يومه طاهر الضمير نقي الفكر ويخلد ذكرا حسنا في اهله وذويه ويستحق ما وعده الله سبحانه في الآخرة من

(١) في هـ. ب: أي الموت وأحواله.
(٢) في ص زيادة: بعد الموت.
(٣) في هـ. ب: تصل.
(٤) الحِذْر: الاحتراز والاحتراز، وفي هـ. ب: حَذَرَك: أي محذورك.
(٥) الأزر: القوة، وفي هـ. ب: ظهرك.
(٦) أي يغلبك على أمرك، وفي هـ. ب: يغلبك.

الثواب.

(٢٤ / ك ٣١) **الدنيا واهلها:**

وَإِيّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِما تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيا إِلَيْها[١]، وَتَكالُبِهِمْ[٢] عَلَيْها، فَقَدْ نَبَّأَ[٣] اللّهُ عَنْها، وَنَعَتْ[٤] لَكَ نَفْسَها، وَتَكَشَّفَتْ[٥] لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّما أَهْلُها كِلَابُ عاوِيَةٌ[٦]، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ[٧]، يَهِرُّ[٨] بَعْضُها بَعْضاً[٩]، وَيَأْكُلُ عَزِيزُها ذَلِيلَها، وَيَقْهَرُ كَبِيرُها صَغِيرَها، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ[١٠]، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ[١١]، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَها[١٢]، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَها[١٣].

سُرُوحُ[١٤] عاهَةٍ[١٥] بِوَادٍ وَعْثٍ[١٦]، لَيْسَ لَها رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلا مُسِيمٌ[١٧] يُسِيمُها[١٨]، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنارِ[١٩] الْهُدَى، فَتاهُوا فِي

---

(١) في هـ. ب: أي من اطمئنان أهل الدنيا إليها.
(٢) أي تواثبهم، وفي هـ. ب: تحارصهم، من الحرص، تجاذبهم وتكالبهم: أي تشددهم.
(٣) في ط: نبّأك.
(٤) في أ و ص زيادة: هي، وفي هـ. ص: كتب على «هي»: نسخة، وفي هـ. ب: من النعي، وفي هـ. ب: نعت هي ـ ف ن.
(٥) في هـ. ب: في نسخة: وكشف.
(٦) في هـ. ب: صائحة: نائحة.
(٧) ضارية: مولعة بالافتراس.
(٨) يهرّ: أي يمقت ويكره بعضها بعضاً، وفي هـ. ب: تصوّت.
(٩) في ط: بعضها علىٰ بعض.
(١٠) في ب: مغفّلة، وفي هـ. ب: في نسخة: معقلة، وفي هـ. د: مغفلة ـ ش، يُريد عليه السلام: الضعفاء الذين هم مأسورون قد شدّوا بالعقال.
(١١) يريد عليه السلام: الأغنياء الذين يفعلون ما شاؤوا.
(١٢) أي أضاعت عقولها.
(١٣) أي سارت في الطريق المجهول لها.
(١٤) في هـ. ب: جمع سرح، وهو السائمة من الأنعام، وفي هـ. ص: جمع سرح، وهو المال السارح، أي الراعي للآفة.
(١٥) في هـ. ب: الآفة، وفي هـ. ص: هي الآفة؛ لأنها راعية لهم لملاحظتها لهم.
(١٦) في هـ. ب: شديد وحش، وفي هـ. ص: الوعث هو الذي لا يثبت قوائم المشاة فيه، بل تغيب فيه لفرط سهولته، فيشقّ علىٰ من يمشي فيه، وأوعث القوم: وقعوا في الوعث.
(١٧) المسيم: من يسرح بالدواب إلىٰ المرعىٰ، وفي هـ. ب: الإسامة: الرعي من السوم، وهو الرعي.
(١٨) في هـ. د: العبارة في ع هكذا: بوادٍ وعث ليس لها مسيم يسيمها.
(١٩) في ص: طريق، وفي هـ. ص: في نسخة: منار، أي منازل.

حَيْرَتِها، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِها(١)**، وَاتَّخَذُوها رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِها، وَنَسُوا ماوَراءَها.**

افتتح المقطع بالتحذير عن الدنيا مشيرا إلى بعض مغرياتها واسباب الحذر منها بقوله:

١ ـ (وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها) والخلد: دار الاقامة؛ فإنّ سعي الناس في اتخاذ دار اقامة فيها ظاهرة عامة في اي مجتمع، وهذا يبغرى الإنسان بأن يتصور الدنيا هي دار اقامة حقيقية.

٢ ـ (وتكالبهم عليها) والتكالب: التنازع في سبيل الحصول على اكثر ما يمكن منها، كما تتنازع الكلاب على الجيفة التي يشتركون فيها.

وعن السبب لعدم الاغترار أشار إلى امور ثلاثة:

أوّلاً: (فقد نبأك الله عنها) في آيات القرآن الحكيم بوصف الدنيا بقوله: (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور).(٢)

ثانياً: (ونعت لك نفسها) والنعي: الاعلان عن الموت؛ فإنّ حوادث الدنيا قاطبة تنعى انها سائرة إلى فناء، فهل هناك من عاش عليها الى الابد؟ وهل هناك من خلدت اثاره المادية إلى الابد في الدنيا؟ قد أعلنت الدنيا عن المصير المشابه لكل انسان مهما كان متنعما فيها ماديا أو سياسيا أو غيرهما بهذه الحوادث التي هي ملئية في التاريخ.

ثالثاً: (وتكشفت لك عن مساويها) بالنتائج التي تتبع اعمال هؤلاء الراحلين بالموت حيث يحاسبهم التاريخ محاسبة دقيقة في الدنيا قبل الآخرة، ويرى كلّ منهم نتيجة عمله خيراً أو شراً كما هو ثابت في التاريخ.

وعن اهل الدنيا الذين لا يريدون الدنيا الا للدنيا قال:

١ ـ (فإنما أهلها كلاب عاوية)؛ فإنّ اعلاناتهم ودعاويهم ليست الا كنباح الكلاب في تخويف الاخرين من المنافسين والضعفاء، دون المتحصنين بالرؤية الواضحة، فانهم يتركون اهل الدنيا ودعاياتهم لانفسهم ولا يردون على نباح الكلب حتّى يتعب من النباح ويسكت، ولا يتاثرون بالدعايات حتّى تظهر حقائقها فتفشل.

٢ ـ (وسباع ضارية) والسبع: المفترس، والضراوة: الجرأة على الافتراس، فان اهل الدنيا يتحركون بهذه الصفات لمن يريدون اصطياده فانهم لا يمكنهم التاثير على من له

---

(١) في ص: نعيمها، وفي هـ. ص: في نسخة: نعمتها.

(٢) الأعراف :٢٢.

رؤية واضحة في الحياة.

١ ـ (يهر بيعضها بعضا) والهر: صوتها بالعوي والنباح، فاهل الدنيا يستخدمون كلمات فارغة لكي يؤثروا على ضعاف الناس وحتى من هو في طبقتهم.

٤ ـ (ويأكل عزيزها ذليلها) كما هو قانون شريعة الغاب؛ ليكون حصة الاسد للاقوى من السباع، وكذلك في صفات المجتمع حيث الطبقات المتسلسلة حتّى ينتهي إلى راس الظلم الذي هو اعز واقوى من في المجتمع، فيصبح الفقير هو الذليل في هذه الطبقات.

٥ ـ (ويقهر كبيرها صغيرها)؛ فإنّ الطبقات المتوسطة بين الذليل وبين العزيز سلسلة مترابطة يأكل الكبير منها من هو دونه من الطبقات الصغيرة، فيقهر الطبقة العالية للطبقة السافلة حتّى ينتهي إلى اضعف الطبعقات، وهي طبقة الفقراء على ما بينهم من طبقات على نفس الحالة كذلك.

٦ ـ (نعم معقلة) والنعم: الابل، والعقال: حبل يشد على ركبة البعير لئلا يتحرك من مكانه، وهكذا هي حالة اهل الدنيا الذين لا يحررون عقولهم بالتفكير لما بعد الدنيا، فهم يعيشون في دوامة دائرة الدنيا فقط، وهم الطبقات المستضعصفة التي عقلها حاجاتهم المادية دون العزيز الحاكم.

٧ ـ (وأخرى مهملة) وهي طبقة اخرى من اهل الدنيا يعيشون في الدنيا مهملة عن العقال، فهم يعيشون عيشة شريعة الغاب وهو العزيز الحاكم على الشعوب .

وعن السبب في ذلك قال:

٨ ـ (قد أضلت عقولها) حيث أن عقولها لا تسير في طريق مستقيم، بل في ضلال عن الحق فلاترى الا مصالحها المادية الشخصية.

٩ ـ (وركبت مجهولها) والركوب: الرحلة للسفر إلى مقصد مجهول لا يعلم مصيره.

١٠ ـ (سروح عاهة بواد وعث) السارح: الابل السائم، والعاهة: المرض، والوعث: الارض الصحراوية التي لا يمكن المشي فيه، فكلما مشي فيه كان سببا للدخول فيه اكثر فاكثر، بسبب رخاوته، فيكون المشي فيه كالمشي في الماء الوحل، وقد جربته في طريق الحج عام ١٣٨٣ من النجف في عرعر حيث اضطرت القافلة إلى استخدام اعمدة طويلة لدفع السيارة على خط من هذا الرمل الذي كان يشبه نهر الماء في الصحراء، فكان الله معنا.

١١ ـ (ليس لها راع يقيمها)؛ فإنّ الراعي اراد التخلص منها بسبب مرضها وعاهتها فاصبحت الابل في الرمل مرتطمة زيادة على ابتلائها بالعاهة.

١٢ ـ (ولا مقيم يسيمها) والمسيم: الراعي الذي يتفقد احوال المواشي لاصلاح امرها وهدايتها إلى مأمنها.

فان اهل الدنيا الذين يطلبونها للدنيا كالابل السارحة عن غيرها من الابل بسبب مرض ابتليت به فتركها اهلها بواد من الرمل الرخو، فلا يكون للابل مصير من التخلص منها الا بالهلاك في الرمل نعوذ بالله. وهكذا حال عباد المادة فانهم يبتلون بالمادة والماديات ولا يمكن لهم الخلاص منها حتّى تتغلب عليهم الماديات وتنهدم على رؤوسهم خرابا وبعجزوا عن الانتفاع من شئ منها.

١٢ ـ (سلكت بهم الدنيا طريق العمى) فانهم اعرضوا عن معرفة حقائق الاشياء وسلوك جادة العرفان فعاشوا في الدنيا كالاعمى عن العواقب والنتائج.

١٤ ـ (وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى) فبسبب الدنيا اصبحت ابصارهم لا ترى ماينبغي لصاحب البصيرة أن يراها بسبب نور الهداية التي تهدى إلى معرفة العواقب.

وعن نتيجة هذا الاغترار بالدنيا قال:

أوّلاً: (فتاهوا في حيرتها) حيث أن الدنيا وحوادثها المتسلسلة تجعل الإنسان في حيرة من القرارات الصائبة فهم يعقدون الصفقات مع اصحاب النفوذ لمصالح شخصية فاذا باصحاب النفوذ يستولون على مناصبهم ويعادونهم ويعتبرون كلّ من يتعاون معهم عدوا، فما اعظم الحيرة في التخلص من هذه المصيبة الجديدة التي صنعوها بانفسهم على انفسهم للدنيا، ولو عملوا بالواجب من اعتمادهم على الله لما كانوا في حيرة.

ثانياً: (وغرقوا في نعمتها) واهل الدنيا وان كانوا متنعمين بالدنيا وخيراتها فانهم غارقون كالغريق في الماء، فهو لا يتفتقر إلى الماء الذي به حياة كلّ شئ، بل يفتقر إلى من ينقذه منها .

ثالثاً: (واتخذوها ربا)؛ فإنّ اهل الدنيا اتخذوا الدنيا التي هي مادة رباً يعبدونها لتحقيق مآربهم.

رابعاً: (فلعبت بهم ولعبوا بها) ولكن الربوبية تقتضي الرحمة من الرب بالنسبة إلى المربوب كالاب بالنسبة الى ولده، ولكن الدنيا ليس فيها هذه من صفات الربوبية بل هي

صفات خداع للطرفين، حيث ان الدنيا لعبت بهم حيث غرتهم عن واجباتهم الانسانية، وهم لعبوا بها حيث انهم استخدموها لاغراضهم الشخصية وشهواتهم النفسية.

فهل تستحق الدنيا التي هذه صفاتها أن تكون الهدف الوحيد في الحياة؟!!

(٢٥/ك ٣١) الحياة سفرة:

رُوَيْداً[١] يُسْفِرُ الظَّلَامُ[٢]، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعانُ[٣]، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ[٤].

وَٱعْلَمْ يا بُنَيَّ[٥] أَنَّ مَنْ كانَتْ مَطِيَّتُهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهارَ فَإِنَّهُ يُسارُ بِهِ وَإِنْ كانَ واقِفاً، وَيَقْطَعُ ٱلْمَسافَةَ وَإِنْ كانَ مُقِيماً وَادِعاً[٦].

وأشار الإمام إلى أن الدنيا بصفاتها المعروفة لا تستحق أن تكون مقصودة للحياة بل يجب ان تكون مقصودة لما لها من منافع وقتية لما بعدها؛ لأنّ الدنيا مرحلة من الحياة في سفرة إلى حياة اخرى باقية فقال:

١ ـ (رويدا يسفر الظلام) أي لاتعجل، والسفر: الكشف؛ فإنّ الظلام المعنوي الذي يعم حياة الدنيا لا يكون ابديا، فإنّه سينكشف قريبا.

٢ ـ (كأن قد وردت الأظعان) الظعيية: ما يستخدم في السفر من المركب والمحمل، اشارة إلى ان آثار السفر الى الآخرة كأنّها حاضرة؛ لأنّ الموت لا محالة وارد على كلّ انسان.

٣ ـ (يوشك من أسرع أن يلحق)؛ فإنّ من يسرع في الشيئ لابدّ وان يلحق بالمركب، والحياة في الدنيا تمشي بسرعة عدد الانفاس التي يتنفس بها الماشي بخطى ثابتة نحو الموت.

وعن سبب هذه السرعة قال:

٤ ـ (واعلم أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنّه يسار به وإن كان واقفا)؛ فإنّ المسرع

---

(١) في هـ. ب: تقديره أرود رويدا.
(٢) في هـ. ب: أسفر: أضاء.
(٣) في هـ. ب: المرتحلون.
(٤) في هـ. ص: قال ابن أبي الحديد هذه ثلاثة أمثال محرّكة لمن عنده استعداد، واستقرأني أبو الفتوح محمّد بن عباد ﷺ وأنا يومئذ حدث هذه الوصية فقرأتها عليه من حفظي فلما وصلت إلى هذا الموضع صاح صيحة شديدة وسقط، وكان جبّاراً قاسي القلب، انتهىٰ.
(٥) لم ترد «يا بني» في أ و ب، وكتب عليها في ص: نسخة، وفي هـ. د: لم ترد «يا بني» في ش.
(٦) الوادع: الساكن المستريح، وفي هـ. ب: مرفها.

في النهار يمشي باختيار، والإنسان في كلّ حال يمشي في الليل والنهار، فيكون كالمسافر اتخذ الزمان مركبا فهو في النهار مسرع وفي الليل ايضا مسرع وان كان واقفا؛ لان مطية الزمان في حركة مستمرة شاء أم ابى.

٥ ـ (ويقطع المسافة وإن كان مقيما وادعا) والوادع: الساكن براحة؛ فإنّ حركة الزمان لا وقفة فيها فيكون السير مسرعا.

وهذه النقاط تحدد حقيقة الحياة بانّها سفرة، وان مسافرها اهلها والوسائل النقلية فيها الزمان، ويكون سرعة السير فيها نحو الاخرة المحددة بسرعة الزمان، والله المستعان.

(٢٦ / ك ٣١) **منهاج الحياة:**

وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ[١] أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ[٢] فِي ٱلطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ[٣] فِي ٱلْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إلى حَرَبٍ[٤]، فَلَيْسَ[٥] كُلُّ طالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلا[٦] كُلُّ مُجْمِلٍ[٧] بِمَحْرُومٍ.

وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِن ساقَتْكَ إِلَى ٱلرَّغائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتاضَ بِما تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ[٨] عِوَضاً.

وَلا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً.

وَما خَيْرُ خَيْرٍ لا يُنالُ[٩] إلّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لا يُنالُ إلّا بِعُسْرٍ.

وَإِيّاكَ أَنْ تُوجِفَ[١٠] بِكَ مَطايَا ٱلطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَناهِلَ ٱلْهَلَكَةِ.

وَإِن ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ ٱلْيَسِيرَ مِنَ ٱللَّهِ سُبْحانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ ٱلْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ[١١]، وَإِنْ كانَ كُلٌّ مِنْهُ.

---

(١) في هـ. ب: تتجاوز.
(٢) في هـ. ب: سهل.
(٣) في هـ. ب: أقصر.
(٤) في هـ. ب: أي إذهاب المال.
(٥) في ط و د: وليس، وفي هـ. ص: في نسخة: وليس.
(٦) في هـ. د: فليس ـ ش.
(٧) في هـ. ب: مجمل: من يعيش بتجمّل وعفّة.
(٨) في ص: عرضك.
(٩) في أ: لا يوجد. وفي هـ. ب و ص: في نسخة: لا يوجد.
(١٠) في هـ. ب: تسرع.
(١١) في هـ. ص: في نسخة: غيره.

وقد سرد في هذا المقطع منهاج الحياة للانسان الذي يعيش على الدنيا للحياة يبتني على ثلاث امور حقيقية في الحياة، هي:

الحقيقة الاولى: (واعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك)؛ فإنّ لكل انسان امل في الحياة، وليس هناك على وجه الارض من بلغ اماله في الدنيا، بل أن الامال في المال والاولاد والجاه وما شابه كلها تؤول الى الخيبة بل أشد الخيبة ممّا تورث امراضا نفسية لم يكن يتوقعها في حياته من اقرب الناس اليه.

والحقيقة الثانية:

(ولن تعدو أجلك) فكلما يحاول الإنسان في تاخير هذا الاجل لا يكون إلّا محاولة المستحيل، فكل انسان يواجه اجله، واذا جاء الاجل عمي الفكر والبصر، سواءً قريبا عاجلا أو اجلا.

والحقيقة الثالثة:

(وأنك في سبيل من كان قبلك) من ملائين الناس الذين عاشوا على هذه الارض بلا فرق إلّا عامل الزمان والمكان، مهما اختلفت الاجيال والاصول والظروف، فالقبر هو المصير للجميع.

ومن تامل هذه الحقائق الثلاث التي لا يخلو منها حياة انسان مهما كان عظيما أو حقيرا فلابد وان يتخذ لنفسه منهاجا محدداً ينقذه من مشاكل الحياة أو يخفف ـ على الاقل ـ تلك المشاكل في حياته، وقد أشار الإمام إلى نقاط هامة كمنهاج للحياة يحقق ذلك فقال:

الأوّل: الرفق في الطلب (فخفض في الطلب) والخفض: الرفق، فلا يكون الحرص على مال الدنيا الا حرصا على زيادة الهموم في المحافظة عليه.

ـ (وأجمل في المكتسب) والاجمال: الاقتصار على ما به الحاجة مما يكتسبهة الإنسان والاعراض عن الزيادة؛ فإنّ الزيادة ليست إلّا زيادة في المسؤولية.

وعن السبب في ذلك قال:

ـ (فإنه رب طلب قد جر إلى حرب) والحرب بالفتح: سلب المال، فيحصل بالضبط خلاف ما قصد، كما لو استخدم راس المال كاملا وخسره كلّه معتقدا نجاح المعاملة.

ـ (فليس كلّ طالب بمرزوق)؛ فإنّ للرزق وحصول الربح اسباب خارجة عن اختيار

الطالب من عوامل طبيعة وسياسة التي لا يمكن للطالب اي تحكم فيها.

ـ (ولا كلّ مجمل بمحروم)؛ فإنّ الذي يجمل في طلب المعاش ليس محروما من الحياة بالكفاية والصفات التي يعيشها طالب المعاش من دون اجمال.

الثانية: الالتزام بالقانون (وأكرم نفسك عن كلّ دنية) بأن لا يكون ما يقوم به في سبيل تأمين الحياة أمراً دينيا مكروها في نفسه كتحصيل المال بالمعاملات المحرمة شرعا أو قانونيا.

(وإن ساقتك إلى الرغائب) والرغيبة: ما يرغب الإنسان في الحصول عليه.

وعن سبب ذلك ذكر امورا ثلاثة:

١ ـ (فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا) كما هو الحال في الحصول على ما يرغب فيه الإنسان من طريق غير مشروع فانه يستلزم أن يكون النفس معرضا للخطر القانوني فيكون قد حصل على ما رغب فيه في حين انه بذل نفسه بدلا عن ذلك بالحبس والغرامة وما شابه لاجل الحصول على ما يترتب بسبب ارتكاب العمل الدنئ.

٢ ـ (ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا)؛ فإنّ اقتراف الدنية في سبيل الحصول على ما ترغب يستلزم أن تعبد غيرك، وهو الأمر الدني استخدمته وبذلك يفقد الحرية التي أعطاه الله سبحانه وقد قال: «لا يطاع الله من حيث يعصى».

٣ ـ(وما خير خير لا ينال إلّا بشر، وشر لا ينال إلّا بعسر)؛ فإنّ الخير الذي ينال بالشر ليس خيراً؛ فان الغاية لا تبرر الواسطة في الاسلام، وانما الخير ما كان خيراً في نفسه، واستحصل بطريق الخير والتعامل بالذي يعترف به القانون لابدّ وان يكون قد حصل من طريق قانوني والا فلا يكون معترفا به.

الثالثة: مجانبة الطمع.

(وإياك أن توجف بك مطايا الطمع) والوجب: السرعة في الشيئ؛ فإنّ الطمع في الحصول على النتائج بسرعة تستلزم المنافسة مع الرقباء بما يتيسر للمتنافسين من الدعايات والاعلانات الكاذبة، فيجب أن يجتنب عنها.

وعن السبب في ذلك أشار قائلا:

(فتوردك مناهل الهلكة) والمنهل: مورد الماء للشرب؛ فإنّ من يستخدم أساليب الطمع متسرعاً يكون قد اورد نفسه إلى الهلكة والموت بطريق يظن انها مورد شرب الماء للحياة

حيث ان الحقائق تنكشف، وبانكشافها يكون صاحبها ميّتا بين الاحياء.

وإلى نتيجة هذا المنهاج للحياة القائم على الخصائص الثلاث اشار:

(وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل)؛ فإنّ عدم الرفق في الطلب وتجاوز القانون والطمع غالبا يستطلب استخدام شخص وسيط لتحقيق تلك الاغراض، فيكون صاحب فضل على الإنسان، وهو بين فترة واخرى يلوح بهذا الفضل في المناسبات، وقد يطالب بما يعوض له عن ذلك. فلابد وان يتحاشى الإنسان عن هذه الوساطة ما امكن، لكي يرتاح من عواقبها.

وعن السبب في صحة هذه النتيجة اشار:

أوّلاً: (فإنك مدرك قسمك) ولكل انسان في الحياة قسمه الخاص به والذي به يكون كفافه.

ثانياً: (وآخذ سهمك) من الحياة المادية بقدر سعيك والظروف المحيطة بك، وليس للانسان إلّا ما سعى.

ثالثاً: (وإن اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كلّ منه)؛ فإنّ الكرامة في الحياة اعظم شرفا من الكثرة في المال من دون استحقاق، والله سبحانه اكرم من غيره، وان كان كلّ كرم ونعمة يرجع الى الله؛ لأنّه مسبب الاسباب.

فهذه الحقائق الثلاث تحفظ منهاجا واضحاً للحياة بالكرامة والشرف يصل إلى ما يريد باستحقاق، والله يقسم الارزاق.

(٢٧/ك ٣١) وصايا عملية:

وَتَلَافِيكَ ما فَرَطَ[١] مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ ما فِي ٱلْوِعَاءِ بِشَدِّ ٱلْوِكاءِ.

وَحِفْظُ ما فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ ما فِي يَدِي[٢] غَيْرِكَ.

وَمَرَارَةُ ٱلْيَأْسِ خَيرٌ مِنَ ٱلطَّلَبِ إِلَى ٱلنّاسِ.

وَٱلْحِرْفَةُ[٣] مَعَ ٱلْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْغِنَى مَعَ ٱلْفُجُورِ.

---

(١) في هـ. ب: أي سبق.

(٢) في أ و ص و د: يد غيرك، وفي هـ. ب: في نسخة: يد غيرك، وفي هـ. د: يدي غيرك ـ ش.

(٣) في هـ. ب: الحرفة والحرمان بمعنى، والحرفة: الصنعة، والحرفة: حفظ ا لنـفس مـن الحـمق

وَٱلْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ(١).
وَرُبَّ سَاعٍ فِيما يَضُرُّهُ.
مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ(٢)، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ.
قارِنْ(٣) أَهْلَ ٱلْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبايِنْ أَهْلَ ٱلشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ(٤).
بِئْسَ ٱلطَّعامُ ٱلْحَرامُ، وَظُلْمُ ٱلضَّعِيفِ أَفْحَشُ ٱلظُّلْمِ.
إِذا كانَ ٱلرِّفْقُ خُرْقاً(٥) كانَ ٱلْخُرْقُ رِفْقاً(٦).
رُبَّما كانَ ٱلدَّواءُ داءً، وٱلدّاءُ دَواءً، و رُبَّما نَصَحَ غَيْرُ ٱلنَّاصِحِ، وَغَشَّ ٱلْمُسْتَنْصَحُ.
وَإِيّاكَ وَالاتِّكالَ(٧) عَلَى ٱلْمُنى فَإِنَّها بَضائِعُ(٨) ٱلنَّوكى(٩).
وَٱلْعَقْلُ حِفْظُ ٱلتَّجارِبِ.

والجهل. وفي هـ. ص: قوله: عليه السلام: «الحرفة»، هي بكسر الحاء مثل الحُرف بـالضم، وهـو نـقصان الحظ وعدم المال، ومنه قولهم: رجل محارف، بفتح الراء، انتهىٰ من شرح ابن أبي الحديد.
أقول: ويحتمل أن المراد من الحرفة: الاحـتراف، وهـو التكسّب بـالصناعة، يـقول: لأن تكـون مكتسباً لكفايتك يوم بيوم، مع كونك عفيفاً في التكسّب والمصرف، خـير مـن أن تكـون غـنيا عاصياً للّه في الكسب والصرف، واللّه أعلم.

(١) في هـ. ص: قوله:«المرء أحفظ لسره» أي الأولى أن لا تبوحَ بسرّك إلى أحد؛ فإن لكل نصح نصيحاً، فإن أذعته فانتشر فوَلّ اللائمة لنفسك.

(٢) في هـ. ب: من كثر كلامه كثر سقطه، وفي هـ. ص: قوله:«من أكثر اهجر» يقال: أهجر الرجل: إذا أفحش في المنطق السوء والخنا، انتهىٰ من الشرح.

(٣) في هـ. ب: صر قرينا، اقترن.

(٤) في هـ. ص قوله: «قارن أهل الخير وباين أهل الشر» هذا يدل علىٰ أن الطـبع يسـرق قـال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فـإنّ القـرين بـالمقارن مـقتدي

(٥) في هـ. ب: خرقاً، أي خفّة، وفي هـ. ص: الخرق: الغشم والغلظة.

(٦) في هـ. ص: قوله: «كان الخرق رفقاً» نظير هذا قول أبي الطيّب:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى ... مضرّ كوضع السيف في موضع النـدىٰ

وكل هذا من قوله: عليه السلام: «إذا كان الرفق خرْقاً ... إلى قوله: المستنصح»، تحذير من جعل الأُمور علىٰ وتيرة واحدة،بل لابد من التبصّر والتبيين واستيضاح الأحوال، واللّه أعلم.

(٧) في هـ. ب: أي لا تتكل على المُنىٰ.

(٨) في هـ. ب: جمع بضاعة.

(٩) في هـ. ب: الحمقىٰ، وفي هـ. د: الموتىٰ ـ ب، وفي هـ. ص: كان يقال «المنىٰ والحلم سيّان»، وقال أبو تمام:

من كان مرعى عزمه وهـمومه ... روض الأماني لم يزل مهزولا

وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ ما وَعَظَكَ[(١)].
بادِرِ ٱلْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً.
لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلا كُلُّ غائِبٍ يَؤُوبُ.
وَمِنَ ٱلْفَسَادِ إِضاعَةُ ٱلزَّادِ وَمَفْسَدَةُ ٱلْمَعادِ.
وَلِكُلِّ أَمْرٍ[(٢)] عاقِبَةٌ.
سَوْفَ يَأْتِيكَ ما قُدِّرَ لَكَ.
ٱلتَّاجِرُ مُخاطِرٌ.
وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ[(٣)].
وَلا[(٤)] خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ[(٥)]، وَلا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ[(٦)].
سَاهِلِ ٱلدَّهْرَ ما ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ[(٧)]، وَلا تُخاطِرْ بِشَيْءٍ رَجاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ. وَإِيّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ ٱللَّجَاجِ[(٨)].

والخصائص الثلاث من الطلب برفق واحترام القانون وتجنب الطمع يستلزم التزامات عملية وصى بها الإمام في سلسلة وصايا عامة، تستحق كلّ واحدة منها دراسة مستقلة ونكتفي هنا بسردها:

١ ـ الصمت (وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك) والتلافي: التدارك، والفرط: التقصير؛ فإنّ الصمت من الصفات التي يقي الإنسان من آفات

(١) أفضل التجربة: ما زجرك عن قبيح أو حملك علىٰ حسنة.
(٢) في ص: امرء، وفي هـ. ب: في نسخة: امرئ.
(٣) في هـ. ص: قال أبو عثمان الجاحظ: رأينا بالبصرة أخوين كان أبوهما يحب أحدهما ويبغض الآخر، فأعطى محبوبه يوم موته كلّ ماله ـ وكان أكثر من مأتي ألف ـ ولم يعط الآخر شيئاً، وكان يتّجر في الزيت ويكتسب ما يصرفه في نفقه عياله، ثم رأينا أولاد الآخر الموسر بعد موت الأخوين من عائلة ولد الأخ المعسر يتصدقون عليهم من فواضل أرزاقهم، انتهىٰ من الشرح.
(٤) في ط: لا خير.
(٥) في هـ. ب: ذليل، وفي هـ. ص: أي ساقط الهمة ضعيف الكفاية.
(٦) في هـ. ب: متّهم، ضنين: بخيل، وفي هـ. ص: أي متهم بالغش.
(٧) في هـ. ب: مطيّته، وفي هـ. ص: القعود: البكر عندما يمكّن ظهره من الركوب إلىٰ أن ينثني، انتهىٰ من الشرح، وقد يكون القعود من الإبل: الّذي يقتعد للركوب في الحاجات ويمتهن وبتصغيره جاء المثل: اتخذوه قعيد الحاجات، إذا امتهنوا الرجل في حوائجهم.
(٨) في هـ. ص: مصدر لج في الأمر: بالغ في طلبه مع ظهور امتناعه.

كثيرة في الحياة، ويكون الإنسان في راحة ان سكت ولا يُتعب اللسان بالكلام والآخرين بالسماع، وكم من قتل حصل بسبب هذا اللسان؟ وكم من خاسر في التعامل مع الناس في الحياة الاجتماعية بسبب التكلم في ما لا يعني؟ فاذا تكلم المتكلم بشئ كان معترفا يؤاخذ على كلامه دون الصامت الذي لا يؤخذ عليه شئ؛ فإنّ الصامت يمكن أن يتدارك ما فات بالقول المفتقر اليه، ولا يمكن ذلك فيمن تكلم إلّا بحجة قوية لاثبات ما ناقص من منطقه.

٢ ـ الحفظ: (وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء) وهو رأس الشئ الذي يربط كرأس القربة، وكل شئ له وعاء خاص به، فحفظ المال في الصندوق والبنك، وحفظ الكتاب في المكتبة وحفظ العلم في القلب، وكل منها وعاء لما يناسبه، ويفتقر الى وعاء لربطه، وخص من انواع الحفظ الطلب بقوله:

(وحفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يد غيرك)؛ فإنّ الطمع هو الذي يدفع الإنسان الى الحصول على المال الذي في يد الغير، مع أنه بعد الحصول عليه يفتقر إلى حفظه، والحكيم من يحفظ ما في يديه أوّلاً قبل أن يفكر في الحصول على ما في يدي غيره.

٣ ـ والطلب: (ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس)؛ فإنّ الطلب من الناس يستلزم التذلل لهم، ومع عدم الحاجة إلى ذلك يكون الخيار بين مرارة اليأس والذل، والأوّل خير من الثاني اذا اراد الإنسان كرامة نفسه.

٤ ـ العفة والغنى: (والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور) والحرفة: ما يكتسب به للعمل، وهي مع العفة خير؛ لأنّه اكتساب شريف باستحقاق دون الغنى الذي يحصل بمخالفة القانون الذي سنه الله تعالى.

٥ ـ الوساطة والمباشرة: (والمرء أحفظ لسره، ورب ساع فيما يضره)؛ فإنّ الاعتماد على النفس والمباشرة فيما يخص الإنسان فيه الضمان لما يطلبه، وليس في الوساطة، وذكر السبب في ذلك بان الساعي الذي هو الواسطة في نقل الخطاب ربما سعى في تحقيق نقيض ما يطلبه الإنسان، بسبب سوء الفهم في الرسالة ومضمونها، أو التصرف اللائق في شرائط الرسالة فيكون ساعيا فما يضر المرسل، فالافضل حفظ المرء سره لنفسه ومباشرته لما يريد ان تمكن.

٦ ـ الكلام والفكر: (من أكثر أهجر ومن تفكر أبصر)؛ فإنّ الكلام الفارغ هذيان والمتفكر في اعماله ونتائجها بصير، والمطلوب من المسلم الرؤية الواضحة في الامور التي يباشرها في الحياة.

٧ ـ الخير والشر: (قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم)؛ فإنّ الصحبة ومقارنة الجليس تكون مؤثرة في الإنسان، ويكتسب الانسان من اخلاق جليسه ومقارنه خيرا أو شرا.

٨ ـ الحرام: (بئس الطعام الحرام)؛ فإنّ ما يكون طعمة للانسان من طريق غير قانوني يكون طعاما غير قانوني، والتعدى على القانون لا يفرق فيه بين المباشرة والوسيلة.

٩ ـ الظلم: (وظلم الضعيف أفحش الظلم)؛ فإنّ من عادة اصحاب الظلم انهم يخشون من هو ارفع منهم، حيث لا يسعهم الا قبول ذلك، فيظمون من دونهم، وهذا هو افحش؛ لأنّه يسكت عن ضعف شخصية؛ اذ لو كان عن قوة لا متنع على من ظلمه ممّن هو فوقه.

١٠ ـ الرفق: (إذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا) ولكل شئ في الحياة هدف محدد، فالرفق له شرائطه اذا تحققت كان الرفق حسنا، والا لانقلب إلى ضده وهو الخرق، كالرفق بالذئب ومن ذلك قال:

١١ ـ (ربما كان الدواء داء والداء دواء)؛ فإنّ الدواء انما ينفع عند اجتماع شرائطه وفقدان من ينافيه، وبدون ذلك قد يؤدّي إلى مرض، فيكون الدواء نفسه في غير تلك الشرائط داءً، وكذا العكس.

١٢ ـ النصيحة: (وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح) وهو على البناء على المجهول أي من يطلب منه النصيحة فلا يكون الاعتماد إلا على تقييم موازين النصح بالفكر والعقل السليم.

١٣ ـ التمني: (وإياك واتكالك على المنى؛ فإنها بضائع النوكى) والامنية: ما يمتناه الإنسان مما لا يمكن أن يتحقق، دون الرجاء الذي يمكن تحقيقه؛ فإنّ المنى بضاعة يتكل عليها الاحمق في حياته، وليس العاقل الذي يجب أن يصرف جهده فيما هو ممكن الوقوع.

١٤ ـ العقل: (والعقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك)؛ فإنّ التجربة هي التي تربط الإنسان عقالا عن الوقوع في امثال الخطأ الذي وقع فيه غيره، والعاقل يتعظ

بتجارب التاريخ كما يتعظ بتجارب نفسه ، ومالا يكون له اثرا في عقل النفس من الشهوات لا يكون حقيقة عقلا وان كان علما.

١٥ ـ الفرصة: (بادر الفرصة قبل أن تكون غصة)؛ فإنّ استغلال الفرص المتاحة تجعل الإنسان في مأمن من العواقب غير المتوقعة بذهابها كفرصة الشباب والصحة والسلامة وما شابه؛ فإنّ عدم المبادره الى اغتنام الفرصة توجب الغصة على فواتها.

١٦ ـ الاصابة: (ليس كل طالب يصيب ، ولا كلّ غائب يؤوب)؛ فإنّ على الإنسان اداء واجبه وهو الطلب، وليست الاصابة بيده كما أن الغائب لا يعلم برجوعه لكثرة الحوادث الطبيعية التي تؤخر موعد رجوعه وايابه الى الوطن.

١٧ ـ الفساد: (ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد)؛ فإنّ ما يفتقر اليه الانسان في الحياة هو الزاد، واضاعته فساد للحياة في الدنيا، والفساد في الحياة في الدنيا مفسدة للمعاد.

١٨ ـ (ولكل أمر عاقبة) حيث أن لكل عمل نتيجة لا يتخطاها خيراً أو شرا في الدنيا أو الاخرة.

١٩ ـ القدر: (سوف يأتيك ما قدر لك)؛ فإنّ الله سبحانه جعل لكل شئ قدرا.

٢٠ ـ النجارة: (التاجر مخاطر) وليس هناك تجارة مضمونة من الخسارة؛ لما يكتنف التجارة من انواع المخاطر في الدنيا.

٢١ ـ النموّ: (ورب يسير أنمى من كثير)؛ فإنّ النمو للعمل انما يكون بالاخلاص فيه، فيكون الانتاج للعامل باخلاص من جماعة قليلة مخلصة اكثر من جماعة كثيرة العدد من دون اخلاص.

٢٢ ـ العون والصداقة: (لا خير في معين مهين، ولا في صديق ظنين)؛ فإنّ المهين وهو الحقير بحكم كونه حقيرا لا يتمكن من الاعانة إلّا بقدر مهين، والظنين: المتهم، فإنّه بحكم كونه متهما لا تنفع الصداقة معه.

٢٣ ـ التساهل بالامور: (ساهل الدهر ما ذل لك قعوده)؛ فإنّ الدهر وهو الزمان يتغير بتغير الاحوال والافراد، فهو يوم لك ويوم عليك، ويوم لا لك ولا عليك، فيكون في هذه الحالة الاخيرة قاعداً وذليلا قيتساهل فيه بالعمل فيه بسهولة.

٢٤ ـ الرجاء: (ولا تخاطر بشيئ رجاء أكثر منه)؛ فإنّ رأس المال يجب أن يحفظ، ولا

تكون التجارة إلّا بما زاد على راس المال؛ فإنّ المتاجرة براس المال يوجب الخسران بالمخاطرة.

٢٥ ـ الخصومة: (وإياك أن تجمح بك مطية اللجاج) وهو الخصومة فيجب ظبطها؛ فإنّ الخصومة مطية تركب، فاذا ركبت قد تجمح كما تجمح الدابة فجاءة، وتوجب سقوط راكبها، وما اكثر الخاسرين في المحاكم بسبب ركوب هذه المطية واستخدامهم المحامين، ولم يكن نفع بين المتحاكمين سوى اصحاب المحاماة.

وهذه الوصايا العامة يفتقر اليها كلّ انسان في الحياة.

(٢٨/ك ٣١) الاخاء ولوازمه:

احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ[١] أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ[٢] عَلَىَ ٱلصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ[٣] عَلَى اللَّطَفِ[٤] وَٱلْمُقارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ[٥] عَلَى ٱلْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَباعُدِهِ عَلَى ٱلدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلى ٱللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى ٱلْعُذْرِ، حَتّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ.

لاتَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعادِيَ صَدِيقَكَ.

وَٱمْحَضْ[٦] أَخاكَ ٱلنَّصِيحَةَ؛ حَسَنَةً كانَتْ أَوْ قَبِيحَةً[٧].

وَتَجَرَّعِ ٱلْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلى مِنْها عاقِبَةً وَلا أَلَذَّ مَغَبَّةً[٨].

وَلِنْ لِمَنْ غالَظَكَ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ.

---

(١) في هـ. ص: في نسخة: في.
(٢) أي قطيعته، وفي هـ. ب: قطعه.
(٣) الصدود: المنوع.
(٤) في هـ. ص اللطف ـ بفتح اللام والطاء ـ: الإسم من ألطفه بكذا، أي برّه، وروي على اللطف، وهو التوقّف للأمر.
(٥) في هـ. ص: أي بخله.
(٦) في هـ. ا: أمحِض وأمحَض ـ معاً، وفي هـ. ب: أي أخلص.
(٧) في هـ. ص: أي سواء كنت تستحسن اظهارها له أو تستقبحه؛ لأجل الحب أو لكراهة ظهورها، كأن يكون مما يتعلق بأهله كأمر الطلاق، أو شدة ظهور قبيح وتبرج ونحو ذلك، واللّه أعلم.
(٨) في هـ. ب: أي عاقبة، وفي هـ. ص: قال في كامل المبرد: أوصىٰ علي بن الحسين ابنه محمّداً عليهما السلام فقال: يا بنيّ عليك بتجرّع الغيظ من الرجال؛ فإنّ أباك لا يضرّه بتجرع الغيظ من الرجال حمر النعم. والحلم أعز ناصراً وأكثر عدداً، تمت من الشرح، والأصل في ذلك كلّه: ﴿إدفع باللّتي هي أحسن السيئة﴾.

وَخُذْ عَلى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى[١] ٱلظَّفَرَيْنِ.

وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ[٢] لَهُ مِنْ نَفسِكَ بَقِيَّةً تَرْجِعُ إِلَيْها إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَّا.

وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ[٣].

وَلا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ ٱتِّكالاً[٤] عَلى ما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ.

وَلا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى ٱلْخَلْقِ بِكَ.

وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ[٥].

وَلا يَكُونَنَّ أَخُوكَ عَلى مُقَاطَعَتِكَ[٦] أَقْوَى مِنْكَ عَلى صِلَتِهِ، وَلا تَكُونَنَّ عَلَى ٱلْإِسَاءَةِ أَقْوَى[٧] مِنْكَ عَلَىَ ٱلإحْسَانِ.

وَلا يَكْبُرَنَّ عَلَيكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

خص المقطع بالاخوة الاسلامية ومتطلباتها وملاكاتها، فقال عن واجبات الاخوة في الاسلام:

الأوّل: (أحمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة) والصرم: القطيعة، والصلة: ضدها؛ فإنّ ابتدأ الاخ المسلم بالمقاطعة فلا تعامله بالمثل؛ لمكان الاخوة.

ثانياً: (وعند صدوده على اللطف والمقاربة) والصد: الهجر والاعتزال موقتا، فيكون دون القطيعة، والعلاج للهجران: اللطف والمقاربة الى من هجر؛ لمعرفة السبب وارجاع الحالة الطبيعية في العلاقة الاخوية، حيث لابد ان يقوم بذلك احد الطرفين، والا لانقلب إلى قطعية.

ثالثاً: (وعند جموده على البذل) والجمود: البخل، حيث لا يؤدّي واجب الاخوة بالصلة اقتصاديا، اذا كان متمكنا، فلابد من العطاء عوضا عنه، لتحسن العلاقة الاخوية.

---

(١) في ص: أحد، وفي هـ. ب: في نسخة: إحدىٰ.
(٢) في هـ. ب: أطلب بقاء بقية.
(٣) أي اقض حاجته التي ظن أنك ستقضيها له.
(٤) في هـ. ب: توكلاً واتكالاً.
(٥) في ب: زهد فيك، وفي هـ. د: زهد فيك ـ ش.
(٦) في ط و د: قطيعتك، وفي هـ. د: مقاطعتك ـ ض ب.
(٧) في ب: أقدر، وفي هـ. ب: أقوىٰ، وفي هـ. د: أقدر ـ ش.

رابعاً: (وعند تباعده على الدنو) فإنّه لاعلاج للتباعد إلّا الدنو من احد الجانبين، وحيث أن المبتدئ بالتباعد فيكون واجب الاخاء يقتضي الدنو من الجانب الآخر.

خامساً: (وعند شدته على اللين) فإنّه لا تزيد الشدة من الجانب الآخر إلّا زيادة قطيعة بينهما.

سادساً: (وعند جرمه على العذر) حتّى يتوب من جرمه؛ فإنّ التقريع على الجرم يزيده اصرارا فيها.

وهذه الواجبات الخمسة يجب أن يكون على الحالة التالية:

(حتى كأنك له عبد وكأنّه ذو نعمة عليك) فإنّه حذر عن أن هذه الواجبات انما هي بالنسبة إلى من صدق الاخاء دون من افتعلها لمآرب شخصية، فقال: (وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه) من تظاهر بالاخاء وكان منافقا (أو أن تفعله بغير أهله) ممن لا اخوة له؛ فإنّهما ليسا ممّن يتمتع بالاخوة الاسلامية؛ لمكان النفاق أو العداء المعلن.

وانما تكون هذه الواجبات بالنسبة إلى خصوص الاخوة الذين اضطرتهم الظروف للمواقف التي اتخذوها مضطرين، وسواء كانت الظروف شخصية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، فلا تعم من تظاهر بالاخاء نفاقا ولا من جهر بالعداء اعلانا.

وعما تستلزم العلاقات الاجتماعية من الاخوة والصداقة والعداء من وصايا اشار بقوله:

١ ـ (لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك)؛ فإنّ الصداقة الحقيقية تستلزم البراءة من العدو، والصداقة والعداوة لا تجتمعان في انسان.

٢ ـ (وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة) فإنّك مرآة له، يجب عليك بحكم الصداقة ان تكشف الحقائق له، ليكون على علم منها فيتحرك حسب تلك الظروف.

٣ ـ(وتجرع الغيظ، فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذ مغبة) الغيظ: العصبية الشديدة، والمغبة: ما غاب عن الإنسان من العواقب؛ فإنّ الغضب الشديد يحرك الإنسان نحو اتخاذ القرارات الارتجالية بسبب هذه الحالة النفسية التي هي اشبه بالجنون.

وعلى النقيض تماما من يتحلى بضبط النفس في حالة الغضب الشديد، فينظر إلى الامور بروح اسلامية، ويرى العواقب فينصرف كما يقتضيه الموقف من عقلانية تنتج حلاوة ولذة لا يتمتع بها الذي يتصرف في حالة الغضب ارتجاليا.

٤ ـ (ولن لمن غالظك، فإنّه يوشك أن يلين لك) الغلظة: الخشونة في الكلام أو العمل، فالنسبة بين الغلظة واللين نسبة النار والماء، فكما لا يمكن اطفاء النار بالنار كذلك يجب معاملة الخشونة باللين، ونتيجة ذلك أن يعدل المعتدي موقفه.

٥ ـ (وخذ على عدوك بالفضل، فإنّه أحلى الظفرين)؛ فإنّ العدو انما تغلب باحد الطريقين: اما بالقوة لفرض العقوبة العادلة على المعتدي، واما بالعفو الذي هو فضل عليه؛ فإنّ الحالتين يعتبران من الظفر على العدو، واحلاهما العفو ، قال تعالى:﴿وان تعفو وتضخفوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم﴾.[1]

٦ ـ (وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية ترجع إليها إن بدا له ذلك يوما ما)؛ فإنّ للقطيعة اسباب طبيعيّة، فعندما تنعدم الاسباب تدث اسباب جديدة توجب الصلة، فاذا استوجب اسباب للقطيعة فلا يكون قطيعة تامة، بل أبق خطا للرجعة فيما اذا اقتضت الحالة ذلك.

٧ ـ (ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه) بتحقيق ما يراه ويطلبه ان امكن ذلك؛ فإنّ عمل الخير من الخير، ومن اسبابه الظن، فمن ظن الخير بك فحقق ظنه.

٨ ـ (ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه، فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقه)؛ فإنّ الحوادث غير المتوقعة الحاصلة بينك وبين اخيك حوادث عارضة تزول، وحق الاخوة في الاسلام حق ثابت لا يزول، فيجب أن لا تكون هذه الحوادث سببا لاضاعة الحق الثابت في الاسلام.

٩ ـ (ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك)؛ فإنّ حقوق الاهل حقوق ثابتة في الاسلام يجب رعايتها، فلا تكون حق الاخوة مؤثراً على حقوق الاهل ومضيعا لاوقاتهم التي يفتقرون اليها في الحياة، بل أن حقوق الاهل تأتي في الدرجة الاولى، وتقدم على حقوق الاخوة.

١٠ ـ (ولا ترغبن فيمن زهد فيك)؛ فإنّ اعراض احد من الناس ـ لأيّ سبب كان ـ يعني انه لا يرغب في صحبتك، فيجب عليك أن تعامله بنفس المستوى، فلا ترغب فيه قط مادام على هذه الحالة من الرغبة عنك، لان الرغبة فيه مع حالة الاستكبار عليك ـ مثلا

---

(١) التغابن : ٢٤.

ـ يكون ذلا ومهانة لك، وسوف يستخدمها كذلك في اول فرصة متاحة له.

١١ ـ (ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته) فيجب التوازن بين القطيعة والصلة، فاذا كان الاخ اقوى في القطيعة فلابد أن تكون انت اقوى في الصلة، ولا يكون صلتك اضعف من قطيعته.

١٢ ـ (ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الاحسان) وبالنسبة إلى موقف الرد على الاساءة من العدو، فلا تكون الاساءة منك اقوى من الاحسان، بل يكون الاحسان اقوى منك أو يتساوى كلّ من الاحسان والاساءة، ولا يمكن التساوي بينما قط؛ لأنّ الاحسان دائماً مفضل عند الله على الاساءة.

١٣ ـ (ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك) وان كان الظلم قبيحا وله اثره في النفس؛ فإنّ الإنسان ان نظر الى الظلم باعتباره امراً عظيما يزاد الظلم تاثيرا في نفسه، دون ما اذا نظر اليه وكأنّه امر طبيعي من الظالم، فيكون اثر الظلم على نفسه اخف، وقد علل ذلك بقوله:

(فإنه يسعي في مضرته ونفعك) وحيث أن الظالم بظلمه يسعي في مضرة نفسه في الدنيا، حيث لا يخفى امر ظلمه على الناس، وفي الآخرة حيث ينتظر العقاب، والعلم بهذه النتائج الاكيدة على الظلم توجب أن لا يكثر الظلم في منظر الإنسان ولا يتأثر به كثيرا؛ فإنّ ذلك هو هدف العدو الظالم، فاذا استهان بالظلم ارتاح نفسيا بالاضافة إلى العلم بأنّه شهر بنفسه بالظلم المستقبح في كلّ امة وملة، وان ذلك ينفع المظلوم بمعرفة الحقيقة التي وعد الله سبحانه من مصير الظلم والضالمين، وهذا لا يعني قبول الظلم قط، بل مقارعة الظالم بما يتيسر وعدم الانزلاق إلى الظلم للمقابلة بالمثل للظالم، بل الالتزام بالمبادي الاسلامية الثابتة حتى بالنسبة إلى الظالم، فلا يجوز مقابلة الظلم بالظلم.

١٤ ـ (وليس جزاء من سرك أن تسوءه)؛ فإنّ من سرك واحسن اليك فلابد من الاحسان اليه متقابلا، كما قال تعالى:﴿هل جزاء الاحسان إلّا الاحسان﴾.(١)

وهذه النقاط الاربع عشر تحدد العلاقات الاجتماعية بين الاخوة في الصداقة والعداء في الاسلام.

(٢٩/ك ٣١) وصايا عامة:

(١) الرحمن : ٦٠.

وَٱعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّ ٱلرِّزْقَ رِزْقانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ[١]، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتاكَ.
ما أَقْبَحَ ٱلْخُضُوعَ عِنْدَ ٱلْحاجَةِ وَٱلْجَفاءَ عِنْدَ ٱلْغِنى.

إنَّما[٢] لَكَ مِنْ دُنْياكَ ما أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ[٣] وَإِنْ جَزِعْتَ كَنتِ جازعاً[٤] عَلى ما تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْك[٥] فَاجْزَعْ عَلى كُلِّ مالَمْ يَصِلْ إِلَيْك.

ٱسْتَدِلَّ عَلى مالَمْ يَكُنْ بِما قَدْ كانَ، فإِنَّ ٱلْأُمُورَ أَشْباهٌ، وَلا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ[٦] ٱلْعِظَةُ إِلَّا إذا بالَغْتَ فِي إِيلامِهِ، فَإِنَّ ٱلْعاقِلَ يَتَّعِظُ بِالأَدَبِ[٧]، وَٱلْبَهائِمَ لا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ.

اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ ٱلْهُمُومِ[٨] بِعَزَائِمِ[٩] ٱلصَّبْرِ وَحُسْنِ ٱلْيَقِينِ.

مَنْ تَرَكَ ٱلْقَصْدَ جارَ[١٠].

الصَّاحِبُ مُناسَبٌ[١١]، وَٱلصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ[١٢]، وَٱلْهَوَى شَرِيكُ ٱلْعَمى[١٣]، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ[١٤].

وَٱلْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُن لَهُ حَبِيبٌ.

مَنْ تَعَدَّى ٱلْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ[١٥]، وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلى قَدْرِهِ[١٦] كانَ أَبْقَى لَهُ.

---

(١) في هـ. ص: رزق تطلبه، وذلك لأنّ حصوله مشروط عند اللّه بالطلب، و «رزق يطلبك» وذلك أنه قدّر لك وجعل لك بلاغاً إلىٰ أجلك.

(٢) في هـ. د: أن ـ ب.

(٣) في هـ. ص: ما أصلحت به مثواك؛ وذلك لأنّ الدنيا إنّما خلقت للاخرة، فكل نفع فيها لا يعود إلىٰ الآخرة فليس بنفع في الحقيقة؛ لأنّه غير المقصود.

(٤) في أ و د: وإن جزعت، وفي هـ ب: في نسخة: وإن جزعت، وفي هـد: وإن كنت جازعاً ـ ش.

(٥) تفلّت: فلت وخرج .

(٦) في ب: ينفعه.

(٧) في ط: بالآداب.

(٨) في أ: الأُمور، وفي هـ. أ: في نسخة: الهموم.

(٩) في هـ. ب: جمع عزم.

(١٠) في هـ. ب: من الجور، وفي هـ. ص: القصد هو الطريق المعتدل، يعني إنّ خير الأُمور أوساطها؛ فإن الفضائل تحيط بها الرذائل، فمن تعدّىٰ حدّ الفضائل وقع في الرذائل.

(١١) في هـ. ب: من النسب، وفي هـ. ص: يعني أنّ وصلة الصحبة كوصلة النسبة، يعني مناسب ذي نسب، لكنه مستفاد مكتسب.

(١٢) أي أن الصديق من حفظ لك حقك وهو غائب عنك.

(١٣) في هـ. د: العنىٰ ـ ب،من العناء، وفي هـ. ص: وذلك لانّه يعمي عين البصير.

(١٤) في هـ. د: رب قريب أبعد من بعيد ورب بعيد أقرب من قريب ـ ت، وفي ل: ورب بعيد أقرب من قريب، وفي هـ. ص: هاتان الفقرتان باعتبار المودّة والنفع.

(١٥) في هـ. ص: صدق عليه السلام؛ لأنّ من خالف الحق يلزمه الحجج، فيتكلّف ويتعسّف، وكل ما

وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللّٰهِ سُبحانه.

وَمَن لَمْ يُبالِ بكَ(١٧) فَهُوَ عَدُوّكَ.

قَدْ يَكُونُ ٱلْيَأْسُ إدرَاكاً إِذا كانَ ٱلطَّمَعُ هَلَاكاً.

لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ(١٨) تَظْهَرُ، وَلا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصابُ، وَرُبَّما أَخْطَأَ ٱلْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ ٱلْاَعْمَى رُشْدَهُ(١٩).

أَخِّرِ ٱلشَّرَّ فَإِنَّكَ إذا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ(٢٠)، وَقَطِيعَةُ ٱلْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ ٱلْعَاقِلِ(٢١).

مَنْ أَمِنَ ٱلزَّمانَ خانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهانَهُ.

لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ.

إذَا تَغَيَّرَ ٱلْسُّلطَانُ تَغَيَّرَ ٱلزَّمانُ.

سَلْ عَنِ ٱلرَّفِيقِ قَبْلَ ٱلطَّرِيقِ، وَعَنِ ٱلْجارِ قَبْلَ ٱلدَّارِ(٢٢).

إيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ ٱلْكَلامِ(٢٣) ما يَكُونُ(٢٤) مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

يوصي الامام في هذا المقطع بوصايا عامة يفتقر اليها الانسان في الحياة، واستفتحها بالرزق الذي يهم كلّ انسان فقال:

١ ـ(واعلم يا بني أن الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك؛ فإنّ أنت لم تأته أتاك) والرزق: ما ينتفع به الانسان من مال أو غيره، والله قد وعد ذلك لكلّ انسان أو حيوان، قال

حاول تقويم شيء انهار عليه آخر.

(١٦) في هـ. ص: قوله: «ومن اقتصر على قدره ... الخ» صدق عليه السلام؛ فإنّ من طلب فوق قدره لابد أن يعجز عنه فيقصر، فلا يدوم عليه.

(١٧) في هـ. ص: أي لم يكترث بك وبشأنك.

(١٨) في هـ. ب: عيب.

(١٩) في هـ. ص: من هذا النحو قولهم في المثل: «مع الخواطي سهم صائب» وقولهم : «رمية من غير رام» وقالوا في المثل للقطغة الأولىٰ: «الجواد يكبو والحسام ينبو» وقالوا: «قد يهفو الحـليم ويجهل العليم». انتهىٰ من الشرح.

(٢٠) لأن طرق الشر كثيرة بخلاف طريق الخير فإنه واحد.

(٢١) في هـ. ص: هذا حق؛ لأنّك كما تنتفع بقرب العاقل لما يدلّك عليه من الصلاح، تنتفع ببعد الجاهل لما ينصرف عنك من الضرر في قربه.

(٢٢) في هـ. د: ثم الدار ـ م.

(٢٣) في هـ. د: في الكلام ـ ب.

(٢٤) في أ و ص: ما كان.

تعالى:﴿وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾.[١]

فان الله خلق ما يفتقر اليه الإنسان في الحياة كما جعل للوصول اليها شروطها، منها: الكسب للحصول على ذلك، فكما أن الحيوان لا يحصل على علفه إلّا بالسعي فكذلك الإنسان لا يحصل على ما ينفعه إلّا بالسعي، قال تعالى:﴿وان ليس للانسان إلّا ماسعى وان سعيه سوف يرى﴾.[٢]

والإمام يشير إلى أن الرزق الذي وعد الله كلّ العباد هو الرزق الأوّل المفتقر إلى السعي، ولكن هناك زيادة لا يكون باختيار الإنسان، بل بالحوادث الطبيعية الخارجة عن قدرة الإنسان كالارث وما شابه، فهو رزق ينتفع به الإنسان، وهو يأتي الإنسان بالطرق التي لم يتوقعها كالهدايا التي لا يخلو حياة الإنسان منها.

٢ ـ الحاجة والغنى: (ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى ؟) وحياة كلّ انسان لا يخلو من الحاجة إلى اشياء والغنى عن اشياء اخرى، فالحالتان متواجدتان عند كلّ انسان، وما اقبح الإنسان المحتاج الى شئمّا أن يخضع بسبب هذه الحاجة إلى من لا يستحق الخضوع له؛ فإنّ الخضوع ذل وفيه امتهان لكرامة الإنسان، وقوة النفس تستدعي الانضباط والصبر، وكذلك حالة الغنى، فمن استغنى عن الشئ يقتضي بذله لمن افتقر اليه، لا الجفاء؛ فإنّه لا داعي اليه مع الاستغناء.

٣ ـ(إن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك) وهو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان، فالدنيا انما يفتقر اليها لما فيه الحاجة في الحياة، والزيادة عما يفتقر اليه الإنسان يكون همّا زائدا على طاقة الإنسان، ولا يصلح بل يفسد ويشوش فكر الانسان.

٤ ـ (وإن جزعت على ما تفلت من يديك، فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك) التفلت: الفقدان بعد الوجدان، ويشيرﷺ إلى انة لا فرق في فقدان الشئ بعد وجدانه، وبين عدم وجدانه ابتداءً، في كلي الحالتين الشئ الذي فقد غير موجود، ولا تستحق الحالتين الجزع.

فاذا وجب الجزع على ما فقد فيلزم كذلك الجزع على مالم يحصل قط، وان لم يحصل عليه الانسان في الحياة لا يحد بحد؛ فإنّ نعم الله تعالى لا تحصى، وهل هناك من ملك

---

(١) هود : ٦.

(٢) النجم : ٣٩.

الدنيا كلها؟ فكما أن الإنسان لا يجزع على ما لم يحصل عليه ابتداءً فكذلك يلزم أن لا يجزع على شيئ وجده ثم فقده.

٥ ـ (استدل على ما لم يكن بما قد كان ؛ فإنّ الأمور أشباه) فإنّه لا طريق للعلم بكل شيئ إلّا بالطرق المشروحه في علم المنطق من الاستقراء والتمثيل، وحيث انّه لا يمكن الاستقراء التام فلابد من الاكتفاء بالتمثيل في معرفة الاشباه والنظائر، ودراسة تاريخ الحاضر يوقفنا على ما شابهها من الماضي، ومشابهاتها في المستقبل؛ لأنّ المستقبل مبني على الحاضر، والحاضر على الماضي في سلسلة مترابطة.

٦ ـ (ولا تكونن ممّن لا تنفعه العظة إلّا إذا بالغت في إيلامه)؛ فإنّ الموعظة لها اثرها في الحياة لمن تامل فيها، ومن يهمل المواعظ إلّا بالعنف يكون مهملا للواجب الإنساني الذي يقتضيه طبيعته، وقد علل ذلك بقوله:

(فإن العاقل يتعظ بالآداب، والبهائم لا تتعظ إلّا بالضرب) فمن لا يتعظ إلّا بالايلام يكون متنكرا لطبيعته الانسانية، فهو بصفة الحيوان الذي يختلف عن الانسان.

٧ ـ (اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين) حيث أن كلّ انسان يواجه الهموم في الحياة، فهو يواجه عدو نفسي، فاذا سيطر الهموم على الإنسان يصبح الإنسان مريضا نفسيا، واذا سيطر الإنسان على الهم تخلص من اثار الهم، وأشار إلى امرين يوجب السيطرة على الهم هما:

أوّلاً: (عزائم الصبر)؛ فإنّ الصبر عن عزم ورؤية واضحة للاسباب والمسببات يهزم الهموم على انواعها، فلا يكون لها اثرها.

ثانياً: (حسن اليقين) وهو العلم بأن الامور انما تجري باسباب ومسببات في سلسلة مترابطة، والهم لا يزيد ولا ينقص من ذلك شيئا، وانما يؤثر على نفسية الإنسان التي قد تختل بسبب تلك الهموم فتزيد الهموم هما اخرا.

٨ ـ (من ترك القصد جار) القصد: الطريق الواضح، والجور: الميل والانحراف؛ فإنّ من ترك الطريق الواضح في الحياة لابدّ وان ينحرف عن الصراط المستقيم سواءً في العبادة أو الاجتماع أو السياسية أو الاقتصاد؛ فإنّ لكل شيئ طريقه المستقيم في الحياة.

٩ ـ (والصاحب مناسب)؛ فإنّ الصحبة بين اثنين نسبة بينهما فيما يشتركان فيه من الصفات في الحياة من العمل أو الاهداف وما شابه، كما أن النسبة بالقربى ايضاً نسبة بين

الفرد والآخر في الدم والرحم، والفرق أن احدهما ذاتي بالوراثة والثاني عرضي بالاكتساب.

١٠ ـ (والصديق من صدق غيبه)؛ فإنّ الصداقة عند الحضور قد تكون مجاملة، ولكن حقيقة الصداقة تظهر في الغيبة، فاذا حفظ الصديق حقوق الصداقة في الغيبة كان صادقا في صداقته.

١١ ـ (والهوى شريك العناء) فلا فرق بينهما في الاثار؛ فإنّ الاعمى يخبط في مشيه من دون رؤية باصرة، وصاحب الهوى يخبط في مسيرة حياته من دون بصيرة لاثار اعماله.

١٢ ـ (رب قريب أبعد من بعيد ، ورب بعيد أقرب من قريب)؛ فإنّ البعد والقرب في النسب وان كان له حقيقة تاريخية، إلّا أن القرب في الصفات المشتركة التي تجمع بين مختلف الناس في الطبقات من العمل والهدف هو الذي يقربهم على اختلاف قومياتهم ولغاتهم واوطانهم، فتراهم يجتمعون على دائرة واحدة في البحث العلمي واللعب اكثر مما يجتمعون مع الاقرباء في النسب .

١٣ ـ (والغريب من لم يكن له حبيب)؛ فإنّ الحب في الله هو الذي يؤمن القلب، ومن يفقد هذا الحب يكون غريبا وان كان له اقرباء في النسب وحضور في الوطن.

١٤ ـ (من تعدى الحق ضاق مذهبه) حيث المذاهب التي يسلكها الإنسان كثيرة، وطريق الحق واحد، فاذا ترك طريق الحق لا يهتدي بأي طريق من طرق الضلال أن يتمسك، ويكون في حيرة وينتقل من مذهب إلى اخر حيث الاهواء والظروف، فتكون الطرق عليه على كثرتها ضيقة، ولايدري اياً منها يسلك والى اين يذهب.

١٥ ـ (ومن اقتصر على قدره كان أبقى له)؛ فإنّ المقدر لنفسه لا يتجاوز حده ولا يتدخل في شؤون غيره، فيكون الناس مقدرين له حيث ما قدر نفسه، فيمضي القدر له على حيث ما قدر هو نفسه بالعمل لا بالقول، وباستحقاق لا بادعاء كاذب.

١٦ ـ (وأوثق بسبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه) والسبب: ما يتوصل به إلى غيره كالحبل والقرابة والصداقة والعلاقات الاجتماعية والسياسية؛ فإنّ هذه العلاقات كلها تزول ويزول اثارها تدريجيا، واما السبب المتصل بالله من العمل بالمسؤوليات بصدق وامانة فإنّه لا يختلف فيها الصداقات والعلاقات الاجتماعية والسياسية، بل تكون حاكماً عليها كلها وموثرا على جميعها وفارضا تاثيره عليها.

١٧ ـ (ومن لم يبالك فهو عدوك) البال: الفكر، ومعنى ذلك: من لم يفكر فيك قط فهو عدو؛ لأنّ الصديق يفكر فيك فيقوم بواجب الصداقة من النصح والانذار وما يقتضيه موقف الصداقة، فمن لا يقوم بواجبه يكون عدواً لا محالة.

١٨ ـ (قد يكون اليأس إدراكا إذا كان الطمع هلاكا) اليأس: الحرمان، والادراك: الوجدان؛ فإنّ الطمع في الشئ الذي يبدوا حسنا قد يكون سببا للهلاك لو وصل اليه، ويكون اليأس والحرمان منه سببا لوجدان الحياة، فمن يطمع في وظائف حكام الجور يهلك من هذه الناحية.

وعلل ذلك بقوله:

١٩ ـ (ليس كلّ عورة تظهر)؛ فإنّ حقائق الاشياء مستورة كالعورة، لا تظهر إلى لمن تعمق في النظر، فيكون الطمع في الشئ المغري هلاكا.

٢٠ ـ (ولا كلّ فرصة تصاب)؛ فإنّ فرص الحياة كثيرة، ولكن ليس هناك من ينتهزها، ومنها: فرصة العمر، من الشباب والصحة والسلامة، فلا يعرف قدرها إلّا من فقدها.

٢١ ـ (وربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده) العصمة لله وحده؛ فإنّ المتوقع للبصير أن يرى مقصده، وعلى العكس الاعمى، ولكن هذه سنة الحياة، فقد لايرى البصير اوضح الواضحات من الاخطار في الحياة وهو يرى اعقد الامور في تصرفات غيره، ولو راجع نفسه لضحك من مواقفه الخاطئة الصبيانية، وعلى العكس الاعمى فانه وان كان لا يرى بالباصرة فقد يصل إلى مقصوده بالبصيرة ويهتدي الى طريقه بحواس يعجز عنها الإنسان ذو العين الباصرة.

٢٢ ـ (أخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته) لاخير في الشر، فالخير الاقلاع عنه، واذا لم يقلع عنه فلا يفوته، لان طرق الشر ميسورة بشتى الانواع في مختلف الحالات، فلا داعي للاستعجال فيه؛، فإنّ في تاخيره امل في تصحيح الاخطاء التي تدعوا إلى القيام بالشر، فتنتفي الحاجة اليه رأسا.

٢٣ ـ (وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل)؛ فإنّ الجاهل يتصرف ارتجالياً من دون اعتبار بالعواق، بل على النقيض تماما من العاقل الذي يزن الامور بعواقبها؛ فإنّ قطيعة الجاهل في الاثر يعادل صلة العاقل ،وكذلك العكس؛ فإنّ صلة الجاهل تعادل قطيعة العاقل، فمن صحب الجاهل ابتعد عن العقلاء ومن اقترب من العقلاء ابتعد عن الجاهلين.

٢٤ ـ (من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه أهانه)؛ فإنّ الزمان في تغير مستمر بحسب الاحوال والظروف والافراد، فمن امن الزمان لابدّ وان يصاب بالخيبة، فالخيانة منه ومن اعظمه بأن اكبره وكان عنده امر الزمان ابدي لا يتغير، اهانه الزمان بعد فترة؛ حيث تتبخر كلّ مظاهر العظمة المدعاة من العناوين الخيالية للملوك والرؤساء أو العظماء؛ فإنّ حالهم حين جوع بطونهم حال وجع بطون الفقراء سواءً، وان علت بهم السرر والكراسي.

٢٥ ـ (ليس كلّ من رمى أصاب)؛ فإنّ الإنسان مجبول على الخطأ والنسيان، ولا عاصم له من ذلك الا الله، فعليه الطلب والاكتساب وعلى الله الحسابّ.

٢٦ ـ (إذا تغير السلطان تغير الزمان)؛ فإنّ الزمان باعتباره زماناً لا يتغير، بل طبيعة الزمن من الوقت المستمر المتلاحق وتغييره انما يكون بتغير الحكم الذي يطبق فيه الحاكم اما عدلا أو جوراً، فيكون الآثار التي تتحقق في الزمان متغيرة بذلك.

٢٧ ـ (سل عن الرفيق قبل الطريق)؛ فإنّ السفر في نفسه قطعه من السقر، واذا كانت الصحبة لمن لا يتحمل كان عذابا على عذاب، فلابد من معرفة الصاحب في السفر قبل الطريق؛ فإنّ طالب السلامة بذلك حقيق.

٢٨ ـ (وعن الجار قبل الدار)؛ فإنّ الجوار له من الاثر المباشر على الجار من الخير أو الشر؛ فإنّ من يعيش في الدار يعيش تحت رحمة جاره خيراً أو شرا.

٢٩ ـ (إياك أن تذكر في الكلام ما يكون مضحكا وإن حكيت ذلك عن غيرك)؛ فإنّ الضحك في نفسه مضيعة للوقت وعمر الإنسان لا يكفي في تحقيق كلّ امانية في الحياة، فلابد وان يقضي العمر فيما ينفع نفسه أو غيره، وليس الضحك من ذلك، وحيث أن الكلام المضحك يسئ بالمتكلم عادة، فيذكر من الامور المضحكة ما هي حكاية عن الآخرين، فنهى عليه السلام عن ذلك وان كان حكاية.

وختم الإمام بهذه النقطة لما له من اثر نفسي على الحاكي حيث يقضي وقتا عن الاخرين وعلى السامعين الذين ضيعوا وقتا لسماعها، وعلى الجميع حيث يفقدون وقتا كان الافضل استغلاله لعمل أو علم صالح للمجتمع.

وهذه النقاط كلها وصايا عامة فيها ما هي شخصية وماهي اجتماعية وما هي اقتصادية لا يستغنى عن الاخذ بها في حياة الإنسان، والله المستعان.

(٣٠/ك ٣١) ختام الوصية:

وَإِيَّاكَ وَمُشاوَرَةِ ٱلنِّساءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلى أَفْنٍ[١]، وَعَزْمَهُنَّ إِلى وَهْنٍ[٢]، وَٱكْفُفْ[٣] عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصارِهِنَّ بِحِجابِكَ إِيّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ ٱلْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، ولَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بأَشَدَّ مِنْ إِدْخالِكَ مَن لا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَل.

وَلا تُمَلِّكْ ٱلْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِها ما جاوَزَ نَفْسَها، فَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ رَيْحانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمانَةٍ[٤]، ولا تَعْدُ بِكَرَامَتِها نَفْسَها[٥]، وَلا تُطْمِعْها فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِها[٦].

وَإِيَّاكَ وَٱلتَّغايُرَ[٧] فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غيرَةٍ[٨]، فَإِنّ ذلِكَ يَدْعُو ٱلصَّحِيحَةَ إِلَى ٱلسّقْمِ، وَٱلْبَرِيئَةَ[٩] إِلَى ٱلرِّيْبِ[١٠].

وَٱجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرى[١١] أَنْ لا يَتَوَاكَلُوا[١٢] فِي خِدْمَتِكَ[١٣].

وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ؛ فَإِنَّهُمْ جَناحُكَ ٱلَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ ٱلَّتِي

---

(١) في هـ. ب: ضعف، وفي هـ. ص: با لسكون النقص، وبالتحريك الضعف.
(٢) في هـ. ص: أي فتور.
(٣) في هـ. ب: أدفع.
(٤) القهرمان: الذي يتحكّم في الأُمور ويتصرّف فيها، وفي هـ. ص: هي مدبّرة البيت والقائمة بمصالحه.
(٥) في هـ. ص: أي لا تكرمها إلّا بما يرجع إلىٰ نفسها من الإحسان والمودّة، ولا تكرمها بأمر يرجع إلىٰ غيرها، كأن تجعلها آمرة مطاعة ضرّارة نفّاعة ذات وجاهة وشفاعة. وفي هـ. د: العبارة من «فإنّ المرأة» إلىٰ هنا ساقطة من م و ب.
(٦) في هـ. د: بغيرها ـ ب.
(٧) في هـ. ب: الحمية.
(٨) في أ: الغيرة، وفي هـ. ص: في نسخة: الغيرة بفتح الغين.
(٩) في أ و ب: البرية، وفي هـ. ب، وفي النسخة: البريئة.
(١٠) في هـ. ص: قال في الشرح: قد قيل في هذا المعنىٰ قول كثير، وما أحسن قول مسكين الداري في ذمّ إفراط الغيرة ووضعها في غير موضعها:

ما أحسن الغيرة في وقتها — وأقبح الغيرة في كلّ حين
من لم يزل متّهما عرسه — مناصبا فيها لرجم الظنون
يوشك أن يغري بها بالذي — يخاف أو يبرزها للعيون
حسبك من تحصينها ضمّها — منك إلىٰ خير كريم ودين
لا تظهرن منك على عورة — فيتبع المقرون حمل القرين

(١١) في هـ. ب: أحدر.
(١٢) يتواكلوا: يتكل بعضهم على بعض.
(١٣) في ب: حديثك، وفي هـ. ب: في نسخة: خدمتك.

بِها تَصُولُ[١].

أَسْتَوْدِعُ ٱللّٰهَ دِينَكَ وَدُنْياكَ. وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ ٱلْقَضَاءِ لَكَ فِي ٱلْعاجِلَةِ وَٱلْآجِلَةِ، وَٱلدُّنْيا وَٱلْآخِرَةِ[٢].

ويتضمّن نقاطا عن الاسرة والمعارف والموظفين والدعاء.

أوّلاً: الاسرة:

فى هذا المقطع أشار إلى اسلوب التعامل مع النساء، ومن الطبيعي أن يكون التركيز على نساء العصر اللواتي عاصرهن الإمامعليه السلام من ناحية، وصفات المرأة الذاتية من ناحية اخرى، فقال:

١ ـ (وإياك ومشاورة النساء؛ فإنّ رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن) الافن: النقص، والوهن: الضعف، وهذه ليست من الخصائص الذاتية للمرأة، بل بحسب الحالة العامة الغالبة في عصره وفي كل عصر تكون المرأة محرومة من الوعي الاسلامي في المجتمع، وطبيعيّ استثناء النساء المثقفات اسلاميا كخديجة الكبرى وغيرها، ومع الاسف هذه هي الحالة الغالبة في عصرنا في العراق.

٢ ـ (واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن)؛ فإنّ الفساد بين النساء والرجال لا يكون الا بالاختلاط الجنسي المتعمد، والحجاب يعني تهيئة الجو الصالح لكل من الجنسين ، وعلل ذلك بقوله: (فإن شدة الحجاب أبقى عليهن) من ابصارهن حيث تتمتع المرأة بحريتها من دون أن تكون عرضة للاعتداء.

ورحم الله للشيخ عبد الحسين الازرى القائل:

حصروا علاجك بالسفور وما دروا   أن الذي حصروه عين الداء
او ما دروا أن الفتاة بطبعها   كالماء لم لحفظ بغير اناء

٣ ـ (وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن)؛ فإنّ الغرض من الحجاب ليس إلّا أن تكون المرأة المسلمة بحريتها التي تشعر بها بعيدا عن اعين السفهاء.

ولا يكون إلّا بتهيئة الجو المناسب لهن بحيث لا يدخل الغريب عليهن.

---

(١) في هـ . ب: تحمل.

(٢) في ب زيادة: إن شاء اللّه، وفي ط و د زيادة: والسلام، وفي هـ . د: سقطت هنا أوراق من نسخة «م».

٤ ـ (وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل) حفظا لها؛ حتّى تسلم ممّن لا يعرف حاله.

٥ ـ (ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها)؛ فإنّ لكل من الرجل والمرأة مسؤوليات تخص كلّ واحد منهما، فلابد من تهيئة ما تفتقر اليه المرأة في ادارة نفسها كامرأة وما يتعلق بها من امورها دون شؤون غيرها، وعلل ذلك بقوله:

(فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة) والقهرمان: الذي يقهر الجميع؛ فإنّ المسؤوليات التي تتحملها المرأة كبيرة في نفسها، فلا تتحمل اكثر من ذلك.

٦ ـ (ولا تعد بكرامتها نفسها)؛ فإنّ التعدي عن طبيعة المرأة ومسؤولياتها تعدٍ على كرامة المرأة كامراة وتحميل لها لمسؤوليات فوق طاقتها.

٤٧ ـ (ولا تطمعها في أن تشفع بغيرها)؛ فإنّ ذلك تدخل منها في شؤون غيرها؛ فإنّ حدود مسؤولياتها هي التي تخص شخصيتها كامرأة ذات كرامة، والشفاعة للغير ليس من مسؤولياتها.

٨ ـ (وإياك والتغاير في غير موضع غيرة) وهي شعور بالثورة على من يبدي وداً واعجابا للمرأة، فان للغيرة مواضع، فيما اذا كان الاعجاب عن ريبة، دون ما اذا كان الاعجاب لمواهب علمية تتمتع بها المرأة، وعلل ذلك بقوله:

(فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب) كرد فعل للغيرة في غير موقعها وطبيعيّ أن ذلك يختلف باختلاف الاعراف والحالات والمواقع.

ثالثاً: المعارف الموظفين:

(واجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به) فلكل انسان مسؤولية يجب عليه اداءها، ويحاسبون عليها، وعلل ذلك بقوله:

(فإنه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك)؛ فإنّ المنهاج المقرر لكل انسان والمحدد بمسؤولية كل واحد ينفي حالة الكسل والتواكل بين الموظفين، وبدون منهاج خاص يعيشون متواكلين بعضهم على بعض.

(وأكرم عشيرتك)؛ فإنّ للاقرباء والأرحام من العشيرة كرامة يجب أن يحافظ عليها، وقد شرح ذلك بقوله:

(فإنهم جناحك الذي به تطير) فهم المساعدون عند الحاجة عن حقيقة وليس بسبب

سوى القرابة.

(وأصلك الذي إليه تصير) حيث أن كلّ انسان يرجع إلى اصله الذي منه ينمو ويترعرع.

(ويدك التي بها تصول) في القضاء للحوائج التي يفتقر اليها الإنسان في الحياة.

رابعاً: الدعاء:

فان الوصية في نفسها واجب اسلامي، ولكن الله وحده هو الموفق للعمل بها، ومن هذا المنطلق قال عليه السلام:

١ ـ (أستودع الله دينك ودنياك)؛ فإنّ علاقة الدين بالدنيا علاقة وثيقة الارتباط، لا يمكن التفكيك بينهما فاستودعها الامام وديعة عند الله تعالى.

٢ ـ (وأساله خير القضاء لك) فإنّه لا شئ الا بقضاء الله تعالى وقدره الحاكم في كلّ مراحل حياة الانسان.

أوّلاً: (في العاجلة) حيث الوصية.

ثانياً: (والآجلة) فيما بعد الوصية إلى الموت.

ثالثاً: (والدنيا) قبل الموت.

رابعها: (والآخرة) بعد الموت.

وختمها بقوله:(والسلام) وهو خير ختام.

[٣٢]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى مُعاوِيَةَ:

وَأَرْدَيْتَ[١] جِيلاً[٢] مِنَ ٱلنَّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ[٣]، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ[٤]، تَغْشَاهُمُ ٱلظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ ٱلشُّبُهَاتُ، فَجَارُوا[٥] عَنْ وِجْهَتِهِمْ[٦]، وَنَكَصُوا عَلَى

---

(١) في هـ. ص: أهلكت.
(٢) في هـ. ص: أي صنفا.
(٣) في هـ. ب: بجهلك.
(٤) في هـ. ب: بحر جهلك.
(٥) في هـ. ب: في نسخة: فحادوا: وفي نسخة: فحاروا، وفي هـ. د: فجازوا ـ ب.
(٦) في هـ. ص : بكسر الواو : ما يتوجّه إليه.

أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا[١] عَلَى أَحْسَابِهِمْ[٢]، إِلَّا مَنْ فَاءَ[٣] مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى ٱللَّهِ مَنْ مُوَازَرَتِكَ[٤]، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى ٱلصَّعْبِ[٥]، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ ٱلْقَصْدِ[٦].

فَاتَّقِ ٱللَّهَ يَا مَعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ ٱلشَّيْطَانَ قِيَادَكَ[٧]. فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَٱلْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَٱلسَّلامُ.

(ك ١/٣٢) كتاب إلى معاوية:

استفتح المقطع بنقد معاوية بقوله عليه السلام.

(وأرديت جيلا من الناس كثيرا) أي اهلكتهم بادخالهم إلى الردى، وهو الهلاك، والجيل: الصنف من الناس، والظاهر ان المراد الهلاك المعنوي بالانحراف عن الثوابت الاسلاميّة وتظليلهم قبل البدأ بالحرب.

ثم سرد انواع الدعايات المستخدمة للتضليل بقوله:

١ ـ (خدعتهم بغيك) وهو الضلال، وكانوا منخدعين بالدعايات الباطلة.

٢ ـ (وألقيتهم في موج بحرك) بأن انضم هذا الصنف من الناس إلى جانب العدو.

٣ ـ(تغشاهم الظلمات) حيث اصحبوا مغسولي الدماغ من الحقائق التي تحكم الساحة ودوافع الحرب من الجانبين، كما هو الشأن في كلّ حرب دعائية.

٤ ـ (وتتلاطم بهم الشبهات) التي تتقدم اليهم على انها حقائق ، مع انه ليس من الثوابت الاسلامية استخدام الروح القبلية والنخوة الجاهلية دون الرجوع إلى القرآن والسنة.

٥ ـ (فجازوا عن وجهتهم) وهي الجهة التي يقصدها كلّ مسلم محارب عن عقيدة فتعدوها إلى جهة لا يقصدها إلّا المشرك بالله.

---

(١) في هـ. ب: اعتمدوا.
(٢) في هـ. ب: جمع حسب ما بعد في النسب.
(٣) في هـ. ص: أي رجع.
(٤) في هـ. ب: معاونتك.
(٥) في هـ. ب: الأشد.
(٦) في هـ. ب: عن طريق الحق والله.
(٧) في هـ. ب: انقيادك.

٦ ـ (ونكصوا على أعقابهم) أي رجعوا إلى الوراء من الدعوات الجاهلية، مع أن المفروض في الجيش الاسلامي أن يتقدم إلى الإمام نحو الثوابت والاهداف الاسلاميّة .

٧ ـ (وتولوا على أدبارهم) اقتباس من قوله تعالى:﴿إن الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الشيطان سوّل لهم واملى لهم﴾.[١]

٨ ـ (وعولوا على أحسابهم) ببعث روح القومية والقبلية بدلا عن الثوابت الاسلامية التي فقضت على النخوة الجاهلية، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ):«انهم لم يعتمدوا على الدين وانما اردتهم الحمية ونخوة الجاهلية فاخلدوا اليها وتركوا الدين».[٢]

وهكذا كان الصنف الغالب في جيش العدو.

ثم استثنى عليه السلام جمعا فقال:

أوّلاً: (إلا من فاء من أهل البصائر) والفيئ: الرجوع إلى الحق، لما لهم من رؤية واضحة عن الثوابت الاسلاميّة.

ثانياً: (فإنهم فارقوك بعد معرفتك) لما تبين لهم أن رفع قميص عثمان ليس إلّا شعاراً لتغيير نظام الحكم الاسلامي من الشورى إلى الملوكية.

ثالثاً: (وهربوا إلى الله من موازرتك) حيث وجدوا ان مساندة جيش معاوية يخالف امر الله فيما يدعوا اليه من الحكم بالشورى.

رابعاً: (إذ حملتهم على الصعب) وهو رفض الحكم الاسلامي بالشورى.

خامساً: (وعدلت بهم عن القصد) وهو الطريق الواضح في نظام الحكم الاسلامي وحرفتهم إلى البديل وهو الحكم بالوراثة والملوكية.

وختم المقطع بالنصيحة الاسلامية فقال:

١ ـ (فاتق الله يا معاوية في نفسك)؛ فإنّ هذه الحرب المعلنة ضد الحكم القائم بالشورى ليست إلّا من هوى النفس للحكم.

٢ ـ (وجاذب الشيطان قيادك) حيث أنك وقعت في قيادة الشيطان، فهو الذي يقودك إلى هذه الحرب، فلا خلاص إلّا بالامتناع عن هوى النفس.

واشار إلى السبب الرئيسي لهوى النفس هذه فقال:

---

(١) محمّد : ٢٥.

(٢) شرح النهج ١٦ :٣٢.

٣ ـ(فإن الدنيا منقطعة عنك) فلا يخلد فيها احد مهما عاش فيها، والتاريخ لكل الناس بالمرصاد.

٤ ـ (والآخرة قريبة منك . والسلام)؛ فإنّ الحساب على من يؤمن بالحساب شديد، وقد اتم الامام الحجة على الجميع في هذه النقاط التي بينت المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة ومسانداتها ومعارضاتها.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« ذكر بعض ما دار بين عليّ ومعاوية من الكتب (وأول هذا الكتاب : من عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان ، اما بعد ، فإن الدنيا دار تجاره ، وربحها أو خسرها الآخرة ، فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة ، ومن رأى الدنيا بعينها ، وقدرها بقدرها ! وإني لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ، ولكن الله تعالى أخذ على العلماء إن يؤدوا الأمانة ، وأن ينصحوا الغوي والرشيد ، فاتق الله ، ولا تكن ممن لا يرجو لله وقارا ، ومن حقت عليه كلمة العذاب ، فإن الله بالمرصاد . وإن دنياك ستدبر عنك ، وستعود حسرة عليك ، فاقلع عما أنت عليه من الغي والضلال ، على كبر سنك ، وفناء عمرك ، فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر ، وقد أرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك . . . إلى آخر الكتاب . قال أبو الحسن علي بن محمّد المدائني : فكتب إليه معاوية ، من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب ، أما بعد ، فقد وقفت على كتابك ، وقد أبيت على الفتن إلّا تماديا ، وإني لعالم أن الذي يدعوك إلى ذلك مصرعك الذي لا بد لك منه ، وإن كنت موائلا ، فازدد غيا إلى غيك ، فطالما خف عقلك ، ومنيت نفسك ما ليس لك ، والتويت على من هو خير منك ، ثم كانت العاقبة لغيرك ، واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك والسلام».[1]

وقال ابن أبي الحديد أيضا:« قلت : وأعجب أطرب ما جاء به الدهر – وإن كانت عجائبه وبدائعه جمة – أن يفضي أمر علي عليه السلام إلى أن يصير معاوية ندا له ونظيرا مماثلا ، يتعارضان الكتاب ، والجواب ويتساويا فيما يواجه به أحدهما صاحبه ، ولا يقول له علي عليه السلام كلمة إلا قال مثلها ، وأخشن مسا منها ، فليت محمّدا صلى الله عليه وآله كان شاهد ذلك : ليرى عيانا

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٣٣ ـ ١٣٤.

لا خبرا أن الدعوة التي قام بها ، وقاسى أعظم المشاق في تحملها ، وكابد الأهوال في الذب عنها ، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها ، وشيد أركانها ، وملأ الآفاق بها ، خلصت صفوا عفوا لأعدائه الذين كذبوه ، لما دعا إليها ، وأخرجوه عن أوطانه لما حض عليها ، وأدموا وجهه ، وقتلوا عمه وأهله ، فكأنه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم ، كما قال أبو سفيان في أيام عثمان ، وقد مر بقبر حمزه ، وضربه برجله ، وقال ، يا أبا عمارة ! إن الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به ! ثم آل الامر إلى أن يفاخر معاوية عليا ، كما يتفاخر الأكفاء والنظراء:

إذا عير الطائي بالبخل مادر ... وقرع قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس : أنت خفية ... وقال الدجى : يا صبح لونك حائل
وفاخرت الأرض السماء سفاهة ... وكاثرت الشهب الحصا والجنادل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة ... ويا نفس جدي إن دهرك هازل !

ثم أقول ثانيا لأمير المؤمنين عليه السلام : ليت شعري ، لما ذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معاوية ! وإذا كانت الضرورة قد قادت إلى ذلك فهلا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرض للمفاخرة والمنافرة ! وإذا كان لا بد منهما فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله ، وبأشد منه :) ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)[1] وهلا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفيه الأحمق ، هذا مع أنه القائل : من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون ! أي افتروا عليه وقالوا فيه الباطل:

أيها الشاتمي لتحسب مثلي ... أنما أنت في الضلال تهيم [2]
لا تسبنني فلست بسبي ... إن سبي من الرجال الكريم[3]

وهكذا جرى في القنوت واللعن ، قنت بالكوفة عليّ معاوية ، ولعنه في الصلاة وخطبة الجمعة ، وأضاف إليه عمرو بن العاص وأبا موسى وأبا الأعور السلمي وحبيب بن ، مسلمة فبلغ ذلك معاوية بالشام ، فقنت عليه ، ولعنه بالصلاة وخطبه الجمعة ، وأضاف إليه الحسن

(١) سورة الأنعام : ١٠٨؟؟.
(٢) لعبد الرحمان بن حسان بن ثابت يهجو مسكينا الدارمي .
(٣) السب : بالكسر : الذي يسابك .

والحسين وابن عباس والأشتر النخعي، ولعله عليه السلام قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما يغيب عنا الان، ولله أمر هو بالغه!».[١]

قال الجلالي: وغريب ما قاله الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) فان من ابتدأ باللعن كان معاوية، وليس ذلك باعظم من بغيه وخروجه عن الطاعة للخلافة الشرعية واعلانه الحرب القبلية.

فهو البادئ في نصب العداء واستخدام كل ما تيسر له من وسائل الدعاية والاعلان المتعارفة في ذلك العصر ومنها: الرسائل والدعاوى الباطلة، فكانت الاجابة عليها مقابلة بالمثل؛ فإنّ الغرض من الجانبين من كتابه الرسائل لم يكن اقناع الطرف الآخر بالذات؛ فإنّ كلّ واحد منهما كان يعرف الآخر معرفة كاملة في المبادئ والوسائل والاهدف التي هم يسيرون لتحقيقها، بل كان الهدف لكل واحد منهما قراءة الكتاب لمن يحملها ومن يستخدمها في المجتمع المرسل اليه.

فلو كان الإمام ساكتا عن هذه الرسائل لاعتبرها معاوية واصحابه حجة على العجز، وبما أن كلام الإمام كان حقيقة فكان لابدّ من اعلانها لمن يقف عليها، والله العالم.

[٣٣]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى قُثَمِ بْنِ ٱلْعَبّاسِ[٢] وَهُوَ عامِلُهُ عَلى مَكَّةَ، ويتضمّن الدعايات والموقف المطلوب في مواجهتها.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي[٣] بِالْمَغْرِبِ[٤] كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى[٥] ٱلْمَوْسِمِ أُناسٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشّامِ، ٱلْعُمْيِ ٱلْقُلُوبِ، ٱلصُّمِّ ٱلْأَسْماعِ، ٱلْكُمْهِ ٱلْأَبْصارِ، ٱلَّذِينَ يَلْبِسُونَ[٦] ٱلْحَقَّ بِالْباطِلِ[٧]، وَيُطِيعُونَ ٱلْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ[٨] ٱلدُّنْيا دَرَّها بِالدِّينِ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٣٦ ـ ١٣٧.
(٢) في هـ. ب: ابن العباس بن عبد المطلب.
(٣) في هـ. ص: أي صاحب أخباره.
(٤) في هـ. ب: ناحية المغرب.
(٥) في هـ. د: على ـ ب.
(٦) في أ و ب و ص و د: يلتمسون، وفي هـ. ب: في نسخة: يلبسون، وفي هـ. د: ويلتبسون ـ ك، يلبسون ـ ح وحاشية ش.
(٧) في هـ. ص: أي يطلبون الحق بإعمال الباطل، ويزعمون أنهم يطلبون به الحق ـ وهو الدين ـ وارضاء الباري سبحانه؛ لفرط جهلهم وعدم تمييزهم بين الحق والباطل.

وَيَشْتَرُونَ عاجِلَها[١] بِآجِلِ ٱلْأَبرَارِ[٢] ٱلْمُتَّقِينَ؛ وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلّا عامِلُهُ، وَلا يُجْزَى جَزَاءَ ٱلشَّرِّ إِلّا فاعِلُهُ.

فَأَقِمْ عَلَى ما فِي يَدَيْكَ قِيامَ ٱلْحَازِمِ[٣] ٱلصَّلِيبِ[٤]، وَٱلنَّاصِحِ ٱللبِيبِ، ٱلتَّابِعِ لِسُلْطانِهِ، ٱلْمُطِيعِ لِإمامِهِ.

وَإِيّاكَ وَما يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلا تَكُنْ عِنْدَ ٱلنَّعْماءِ بَطِراً، وَلا عِنْدَ ٱلْبَأْساءِ[٥] فَشِلاً[٦]. وَٱلسَّلامُ.

(ك ١/٣٣) الدعايات والموقف المطلوب في مواجهتها:

يستفتح الكتاب ببيان واقع الحال فقال: (أما بعد؛ فإنّ عيني بالمغرب) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «وسمى الشام مغربا؛ لأنّه من الاقاليم المغربية».

(كتب إلي يعلمني انّه وجه على الموسم أناس من أهل الشام)؛ فإنّ معاوية ارسل جماعة إلى موسم الحج في ذي الحجة تحت غطاء الحج لأداء دور الدعاية لمعاوية.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«كان معاوية قد بعث إلى مكة دعاة في السر يدعون إلى طاعته، ويثبطون العرب عن نصره أمير المؤمنين ويوقعون في أنفسهم أنه إما قاتل لعثمان أو خاذل، وأن الخلافة لا تصلح فيمن قتل أو خذل، وينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم وأخلاقه وسيرته، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكتاب إلى عامله بمكة، ينبهه على ذلك ليعتمد فيه بما تقتضيه السياسة، ولم يصرح في هذا الكتاب بماذا يأمره أن يفعل إذا ظفر بهم».[٧]

وعن الجماعة الموجهة للدعاية الاموية قال:

---

(٨) من الاحتلاب، وفي هـ. ب: في نسخة: يجلبون، أي يجمعون.
(١) في هـ. ا: في نسخة: السوء.
(٢) هـ. ب: مضاف إلىٰ الأبرار، الآجل: وهو الجنة.
(٣) في هـ. ب: العاقل.
(٤) في ط: الطبيب، وفي هـ. ب: الصليب: الشديد على الأمر. وفي هـ. د: الطبيب ـ ح.
(٥) البأساء: الشدة.
(٦) في هـ. ص: هذا معنى مستعمل، قال الشاعر:

ولست بمفراحٍ إذا الدهر سرّني ... ولا جزعاً من صرفه المتقلّب
ولا أتمنىٰ الشّر والشر تاركي ... ولكن متى أُحمل على الشر أركب

(٧) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٦: ١٣٨ ـ ١٣٩.

١ ـ (العمي القلوب) لانهم يفقدون الوعي الاسلامي ويتحركون على المبادي الجاهلية.

٢ ـ(الصم الاسماع) حيث لا يسمعون كلام الجانبين للحق، بل يكتفون بجانب واحد.

٣ ـ(الكمه الأبصار) لكونم لا يدرسون الحقائق التاريخية من القران والسنة في مواصفات الحكم الاسلامي القائم بالشورى.

٤ ـ(الذين يلتمسون الحق بالباطل) كما هو شأن اصحاب الدعايات الباطلة.

٥ ـ (ويطيعون المخلوق في معصية الخالق) وليس دورهم إلّا تنفيذ ماتاتيهم من الاوامر من دون دراسة لها في انها في خدمة الخالق واعزار دينه، أو في خدمة المخلوق الذي يستخدم الدين كغطاء.

٦ ـ(ويحتلبون الدنيا درها بالدين) حيث أن تحركهم انما هو على أساس ما يتقاضونه من المعاش الذي يؤمن دنياهم، والدر: اللبن، فهم يحلبون من الدنيا لبنها من دون اعتبار للثوابت الاسلامية بل يستخدمون الدين لذلك.

٧ ـ (ويشترون عاجلها بآجل الأبرار والمتقين)؛ فإنّ الله وعد المتقين الجنة في الآخرة، وهم يشترون ما في عاجل الدنيا بدل ذلك.

٨ ـ (ولن يفوز بالخير إلّا عامله)؛ فإنّ هذا الموقف الأموي بشراء الدين لن بنجح؛ لأنّ الخير ليس إلّا لعامله لا لمن يشتري الدين.

٩ ـ (ولا يجزى جزاء الشر إلّا فاعله) والحساب يوم القيامة للاشرار بما يستحقونه لاعمالهم.

وعن الواجب في ازاء الدعايات الباطلة قال مخاطباً المسؤول في ادارة الموسم:

أوّلاً: (فأقم على ما في يديك) وهو المسؤولية في الحد من هذه الدعايات بما يقتضيه الموقف.

ثانياً: (قيام الحازم الصليب) وهو الحزم الصلب في القرار الشديد بالنسبة إلى من يخالف القرار.

ثالثاً: (والناصح اللبيب) باداء واجب النصيحة والتوعية لهؤلاء اصحاب الدعايات بالاسلوب الاليق لتوعيتهم بالحقائق.

وحذره من أساليب الخداع المتبعة من اصحاب الدعايات لكسب المواقف بقوله:

(واياك وما يعتذر منه) في جانب العدو المغفل.

وختم الكتاب بأن التهاون بالمسؤولية يستلزم امرين يوجبان الاهمال بالمسؤولية:

الأوّل: (ولا تكن عند النعماء بطرا) وهو اشد الفرح من النعمة، فيلتهي المسؤول بالمظاهر عن اداء الواجب.

الثاني:(ولا عند البأساء فشلا) والباساء: الشدة، فعند شدة المعارضة يتهاون المسؤول عن اداء واجبه؛ لكونه ضعيفا.

والمسؤولية هي الاستعداد للامرين في مواجهة خطط العدو؛ لئلا يمنع بالحرية في دعاياته.

وقد ترك الإمام تفصيل ذلك إلى المسؤول نفسه، باعتبار انّه يرى الحاضر ما يرى الغائب، فيؤدي الدور المطلوب، فهو لا يفتقر في اداء المسؤولية سوى هذا الاعلان.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«

[قثم بن عباس وبعض أخباره]

فأما قثم بن العباس ، فأمه أم أخوته ، وروى عبد البر في كتاب ، الاستيعاب ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : كنت أنا وعبيد الله وقثم ابنا العباس نلعب ، فمر بنا رسول الله ﷺ راكبا ، فقال : ارفعوا إليّ هذا الفتى. يعنى قثم – فرفع إليه ! فأردفه خلفه ، ثم جعلني بين يديه ، ودعا لنا ، فاستشهد قثم بسمرقند . قال أبن عبد البر وروى عبد الله بن عباس قال ، كان قثم آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ أي آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه . قال : وكان المغيرة ابن شعبة يدعى ذلك لنفسه ، فأنكر علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك ، وقال : بل آخر من خرج من القبر قثم بن العباس . قال ابن عبد البر : وكان قثم واليا لعلى عليه السلام على مكة : عزل علي عليه السلام خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي – وكان واليها لعثمان – وولاها أبا قتادة الأنصاري ، ثم عزله عنها وولى مكانه قثم بن العباس ، فلم يزل واليه عليها حتى قتل علي عليه السلام . قال هذا قول خليفة ، وقال الزبير بن بكار : استعمل علي عليه السلام قثم ابن العباس على المدينة . قال ابن عبد البر : واستشهد قثم بسمرقند كان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية فقتل هناك ، قال : وكان قثم يشبه رسول الله ﷺ ، وفيه يقول داود بن مسلم :

عتقت من يا خلاق إنومن أدنيتنيحلة من قثم

إنك إن حالفني أدنيت اليسر منه وغلت العدم
في كفه بدر بحر وفي وفي العرنين وجهه منه شمم
أصم عن وما قيل على الفخلير بسمعه من صمم
لم يدر ما) لا (وبد) لا (قد درى ، فعافها واعتاض منها نعم».[(١)]

[٣٤]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لَمّا بَلَغَهُ تَوَجُّدُهُ مِنْ عَزْلِهِ بِالْأَشتَرِ عَنْ مِصَر، ثُمَّ تُوُفِّي ٱلْأَشْتَرُ فِي تَوَجُّهِهِ إلى مِصْرَ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْها:

أَمّا بَعْدُ[(٢)] فَقَدْ بَلَغَنِي[(٣)] مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ ٱلْأَشْتَرِ إلى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ ٱسْتِبْطاءً[(٤)] لَكَ فِي ٱلْجَهْدِ، وَلَا ٱزْدِياداً[(٥)] فِي ٱلْجِدِّ، وَلَوْ نَزَعْتُ[(٦)] ما تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطانِكَ لَوَلَّيْتُكَ[(٧)] ما هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلايَةً.

إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي كُنتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كانَ لَنا رَجُلاً ناصِحاً وَعَلى عَدُوِّنا شَدِيداً ناقِماً[(٨)]، فَرَحِمَهُ ٱللّهُ[(٩)]، فَلَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ أَيّامَهُ، وَلاقَى حِمامَهُ[(١٠)]، وَنَحْنُ عَنْهُ راضُونَ، أَوْلاهُ[(١١)] ٱللّهُ رِضْوانَهُ وَضاعَفَ ٱلثَّوابَ لَهُ.

فَأَصْحِرْ[(١٢)] لِعَدُوِّكَ، وَٱمْضِ عَلى بَصِيرَتِكَ[(١٣)]، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حارَبَكَ، وَٱدْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ ٱلِاسْتِعانَةَ بِاللّهِ يَكْفِكَ ما أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلى ما نَزَلَ بِكَ، إِنْ شاءَ ٱللّهُ.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٤٠ ـ ١٤١.
(٢) لم ترد «أما بعد» في أ ب ص.
(٣) في ص: بلغتني.
(٤) في هـ. ب: أي لاستبطاء لك، بل أنت مجدّ في الأمر.
(٥) في هـ. ب: طلبا للزيادة.
(٦) في هـ. ب: أخذت.
(٧) في هـ. د: وليتك ـ ب.
(٨) في هـ. ب: عائباً منكراً، وفي هـ. ص: من نقمت عليه فعْله: إذا كرهته وعبته.
(٩) في هـ. ص: قوله: «فرحمه اللّه ... إلىٰ آخر الدعاء»، قال ابن أبي الحديد: ولست أشك أنّ الأشتر بهذه الدعوة يغفر اللّه له ويكفّر عنه ذنوبه ويدخله الجنة، فلا فرق عندي بينها وبين دعوة رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ويا طوبىٰ لمن حصل له من علي عليه السلام بعض هذا.
(١٠) الحمام: الموت.
(١١) في هـ. ب: أعطاه.
(١٢) في هـ. ب: أي إذهب إلىٰ الصحراء، أي قاتل.
(١٣) في ب: سيرتك، وفي هـ. ص: في نسخة: بصيرتك.

(ك ١/٣٤) ومن كتاب له عليه السلام:

كانت مصر ولاتزال مواليه لاهل البيت، ومنها انطلقت الشرارة الاولى من معراضة العملاء الامويين المنصوبين من قبل الخليفة عثمان عام ٣٥، وكانت الامويون في تخطيط مستمر لاخضاعها للادارة الاموية في الشام لقربها الجغرافي ولخيراتها، وكان قد ارسل الإمام محمّد بن أبي بكر واليا عليها، ولشدة النشاط الأموي ضده بدا للإمام عزله فارسل مالك الاشتر النخعي (ت /٣٨) بعد حرب صفين مباشرة، وكان معاوية قد عقد عقدا سرياً بينه وبين بعض العرب للقضاء على مالك قبل وصوله إلى مصر، فدس اليه السم بالعسل، فمات بالفلج قرب الفسطاط، ولا يزال قبره هناك يعرف بقبر النخعي زرته وذكرته في مزارات اهل البيت، وهذا الكتاب موجه الى محمّد بن أبي بكر الذي بلغه قرار العزل، ولكنّه التزم بالانضباط العسكري فقبل العزل وابدى ـ كما هو الشأن في كلّ من يتلقى العزل ـ توجدا وحزنا على قرار العزل، حيث انّه عادة يكون عن قصور أو تقصير فيمن يعزل، فقال:

١ ـ (أما بعد، فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك) والموجدة: من الوجد والمشقة الموجبة للحزن، والتسريح: الارسال؛ فإنّ العزل لابدّ وان يكون بسبب مبرر لذلك، وهي عادة اما قصورا أوتقصيرا من الشخص المعزول، وهذا لم يكن متوقعا بالنسبة الى محمّد بن أبي بكر الذي تربى في مدرسة الإمام عليه السلام، ولذلك أشار الإمام إلى انّ اسباب العزل المتعارفة ليست هي السبب بقوله:

٢ ـ (وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد) والجهد ـ بالفتح ـ: الطاقة، بأنّه ليس السبب في العزل هو البطؤ في اداء الواجب والمسؤولية الملقاة على عاتقك؛ لانك قد بذلت طاقتك ووسعك، فليس العزل من جهة التقصير من المسؤولية من جانب.

٣ ـ (ولا ازديادا في الجد) بأن العزل ليس بسبب القصور في الجد في العمل، فانك تقوم بالواجب عن جد، فلا قصور في شخصية المعزول في اداء الواجب.

ثم اكد الإمام على الثقة بمحمد بن أبي بكر بقوله:

٤ ـ (ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة وأعجب إليك ولاية) الثقة الشخصية لا تزال على حالها؛ فإنّ العزل بديل لما يرتضيه المعزول بما يتناسب مع مؤهلات الوالي الشخصية، فان القرار بالولاية البديلة تاكيد على الثقة

بالمعزول.

ثم عقب ذلك بالسبب الحقيقي للعزل وهو ما يقتضيه الموقف من الشدة على العدو، فقال:

٥ ـ (إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا رجلا ناصحا وعلى عدونا شديدا ناقما)؛ فإنّ المعزول ليست له هذه الحالة المطلوبة في مواجهة العدو بحكم التجربة، والفرق بين العمر بينهما، فقد كان مالك شديدا على العدو ناقما، والنقمة: العقوبة؛ فإنّ مواقفه في صفّين لهي خير دليل على هذه الشدة التي كان يخاف منها العدو، ولم يكن محمّد بن أبي بكر بهذه الخصوصية، فلم يكن يخافه معاوية كما كان يخاف من الاشتر، ومن اولى مقوّمات النصر في أية حرب خوف العدو من القائد المجرب، وهذا هو السبب في العزل لا غير. ولاجل هذه الشدة في النقمة كان تخطيط معاوية للقضاء على الاشتر بالسم؛ حيث لم يتمكن من المواجهة معه في ساحة الحرب.

ثم ابّن الامام الاشتر بقوله:

(فرحمه الله فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون ، أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له) حيث عاش وهو على رؤية واضحة لمسيرته واهدافه حتّى لاقى الحمام وهو الموت في ساحة اداء الرسالة، وطبيعيّ أن يكون مرضيا باداء مسؤولياته وكفاه فخرا دعاء الإمام بأن يولي الله رضوانه ويضاعف له الثواب.

ثم وجه إلى محمّد بن أبي بكر التوجيه المطلوب بقوله:

أوّلاً: (فأصحر لعدوك) والصحر: الظهور إلى ساحة الحرب في العراء.

ثانياً: (وامض على بصيرتك) من الرؤية الواضحة للمبادئ والوسائل والاهداف الاسلاميّة .

ثالثاً: (وشمر لحرب من حاربك) والتشمير: الاستعداد للحرب.

رابعاً: (وادع إلى سبيل ربك)؛ فإنّ الحرب العقائدية ليست إلّا لهذا الهدف .

خامساً: (وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك) فلا يكون الاستعانة بالناس فانهم انما يتحركون حسب مصالحهم، دون الله سبحانه.

وعن نتيجة ذلك قال:

(ويعنك على ما نزل بك إن شاء الله).

فقد ختم الإمام كتابة بالمشيئة (ان شاء الله) اشارة إلى أن النصر أو الخسران في الحرب العقائدية ليستا إلّا بما يراه الله سبحانه، فان ساحة الحرب هي ساحة الامتحان بأداء المسؤولية، وليس الهدف سوى احدى الحسنيين النصر أو الشهادة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«

[محمّد بن أبي بكر وبعض أخباره]

أم محمّدرضي الله عنه أسماء بنت عميس الخثعمية : وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله ، أخت لبابة أم الفضل وعبد الله زوج العباس بن عبد المطلب ، وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة ، وهي إذ ذاك تحت جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فولدت له هناك محمّد بن جعفر وعبد الله وعونا ، ثم هاجرت معه إلى المدينة ، فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها أبو بكر ، فولدت له محمّد بن أبي بكر هذا ، ثم مات عنها فتزوجها علي عليه السلام وولدت له يحيى بن علي ، لا خلاف في ذلك . وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ، ، : ذكر ابن الكلبي أن عون بن علي اسم أمه أسماء بنت عميس ، ولم يقل ذلك أحد غيره . وقد روى أن أسماء كانت تحت حمزه بن عبد المطلب ، فولدت له بنتا تسمى أمه الله – وقيل أمامه – ومحمّد بن أبي بكر ممن ولد في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله . قال ابن عبد البر في كتاب ، ، الاستيعاب ، ، : ولد عام حجه الوداع في عقب ذي القعدة بذي الحليفة ، حين توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحج ، فسمته عائشة محمّدا ، كنته أبا القاسم بعد ذلك لما ولد له ولد سماه القاسم ، ولم تكن الصحابة ترى بذلك بأسا ، ثم كان في حجر علي عليه السلام ، وقتل بمصر ، وكان علي عليه السلام يثنى عليه ويقرظه ويفضله ، وكان لمحمدرضي الله عنه عبادة واجتهاد ، وكان ممن حضر عثمان ودخل عليه ، فقال له ، لو رآك أبوك لم يسره هذا المقام منك ، فخرج وتركه ، ودخل عليه بعده من قتله . ويقال إنه أشار إلى من كان معه فقتلوه ».(١)

[٣٥]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى عَبْدِ ٱللّهِ بْنِ ٱلْعَبّاسِ بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ بِمِصْرَ(٢):

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٤٣.

(٢) لم ترد «بمصر» في ط، وفي هـ. ص: أم محمّد رحمه اللّه أسماء بنت عُميس الخثعميّة: وهي أخت ميمونة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله، وأخت لبابة أم الفضل وعبد اللّه زوج العباس بن عبد المطلب؛ وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة؛ وهي إذ ذاك تحت جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له هناك محمّد بن جعفر وعبد اللّه وعونا، ثم هاجرت معه إلى المدينة، فلمّا قتِل جعفر يوم مؤتة

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ قَدِ ٱسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ[١] اللّٰهِ نَحْتَسِبُهُ[٢] وَلَدًا ناصِحاً[٣]، وَعامِلاً كادِحاً[٤]، وَسَيْفاً قاطِعاً، وَرُكْناً دافِعاً.

وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ ٱلنَّاسَ عَلى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِياثِهِ قَبْلَ ٱلْوَقْعَةِ[٥]، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً، فَمِنْهُمُ ٱلآتِي كارِهاً، وَمِنْهُمُ ٱلْمُعْتَلُّ[٦] كاذِباً، وَمِنْهُمُ ٱلْقاعِدُ[٧] خاذِلاً.

أَسْأَلُ ٱللّٰهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عاجِلاً، فَوَٱللّٰهِ لَوْلا طَمَعِي عِندَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي ٱلشَّهادَةِ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى ٱلْمَنِيَّةِ، لَأَحْبَبْتُ أَنْ لا أَبْقَى[٨] مَعَ هَؤُلاءِ[٩] يَوْماً واحِداً، وَلا أَلْتَقِيَ[١٠] بِهِمْ أَبَداً.

والاعلان يتضمّن امرين:

الأوّل: (أما بعد؛ فإنّ مصر قد افتتحت) من قبل العدو حيث ارسل معاوية جيشا مكونا من اربعة الاف مقاتل بقيادة عمرو بن العاص، وانهزم الجيش المصرىب امام جيش الشام.

الثاني:(ومحمّد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد) فلم يستسلم للعدو لما انهزم اصحابه وقاتل العدو حتى قتل، وجعله عمرو بن العاص في جلد حمار واحرقه بالنار، وقبره اليوم مزار عام في القاهرة.

محمّد بن أبي بكر.

تزوّجها أبوبكر، فولدت له محمّد بن أبي بكر هذا، ثم مات عنها فتزوّجها علـيّ عليه السلام، وولدت له يحيى بن عليّ، لا خلاف في ذلك. وقال ابن عبد البرّ في «الاستيعاب»: ذكر ابن الكلبي أنّ عون بن عليّ إسم أمّه أسماء بنت عميس، ولم يقل ذلك أحدٌ غيره.

(١) في ب: في نسخة: وعند اللّٰه.
(٢) في هـ. ب: حسبة للّه.
(٣) في هـ. د: صالحا ـ م، فاصحاً ـ هامش م.
(٤) في هـ. ب: كاسبا.
(٥) في هـ. ب: رقعة الحرب.
(٦) في هـ. ب: جاء بعلّة، من التعليل.
(٧) في هـ. د: الكاذب ـ ب.
(٨) في هـ ب : القى، وفي هـ. ب: في نسخة: أبقىٰ.
(٩) في هـ. د: معهم ـ ك.
(١٠) في هـ. ب: من الالتقاء للحرب.

ثم ترضى الإمام على محمّد بن ابى بكر قائلا:

(فعند الله نحتسبه) والاحتساب: الاجر من الله سبحانه، حيث لا يعادله اجر.

وسرد من اوصافه في نقاط:

١ ـ (ولدا ناصحا) فقد تخرج من مدرسة الإمام ثقافياً وكان ربيبه في البيت، وله نصح الولد للوالد .

٢ ـ (وعاملا كادحا) حيث قام بما عليه من المسؤوليات كادحاً أي مبالغا في اداء المسؤولية من دون قصور أو تقصير.

٣ ـ(وسيفا قاطعا) حيث جاهد حتّى اخر لحظة من حياته العدو برؤية واضحة.

٤ ـ (وركنا دافعا) فكان المعتمد الذي يركن اليه من الصلابة في العقيدة للدفاع عن الدين وعدم التأثر بالمواقف المتخاذلة امام العدو.

وعن اسباب السقوط قال:

(وقد كنت حثثت الناس على لحاقه) لنصره في مواجهة العدو المتوقعة.

(وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة) في ساحة الحرب حيث انها كانت متوقعة.

(ودعوتهم) لعلم القائد بالخطط التي يفكر فيها العدو للقضاء على خصومه .

وكانت هذه الدعوة بالطرق المتيسرة:

(سرا) للقيادات في الجيش.

(وجهرا) لعامة الجيش.

(وعودا) بالتكرار على هذه الموقف.

(وبدءا) بالتاكيد على ضرورتها في البداية.

وهذا كلما يجب على القائد في مسؤولياته في الدعاية للمصلحة العليا للدين واللامة والوطن، وكان موقف الجيش على الاهمال بمسؤولياته العسكرية فوصفهم باوصاف ثلاثة:

الأوّل: (فمنهم الآتي كارها) والحرب بالاكراه مرفوض اسلاميا وفاشل عمليا.

الثاني:(ومنهم المعتل كاذبا) فيظهر المرض والعلة وهو كاذب في دعواه.

الثالث (ومنهم القاعد خاذلا) ممّن لا يؤمن بحرب العدو من المنافقين والمذبذبين.

وطبيعيّ أن الجيش اذا كان خليطا من الاصناف الثلاثة يكون مصيره الفشل، وانما ينحج

الجيش في ايّة حرب اذا كانت الاصناف الثلاثة اقلية.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« يقال : احتسب ولده ، إذا مات كبيرا ، وافترط ولده ، إذا مات صغيرا . قوله : فمنهم الآتي . . . ، قسم جنده أقساما ، فمنهم من أجابه وخرج كارها للخروج ، كما قال تعالى :﴿ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ ، ومنهم من قعد واعتل بعلة كاذبة ، كما قال تعالى :﴿يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ ، ومنهم من تأخر وصرح بالقعود والخذلان ، كما قال تعالى : ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ . والمعنى أن حاله كانت مناسبة لحال النبي ﷺ ، ومن تذكر أحوالهما وسيرتهما ، وما جرى لهما إلى أن قبضا ، علم تحقيق ذلك ».(١)

وعن موقف الإمام نفسه في مثل الحالة لا يكون على الاكراه في الخروج إلى ساحة الحرب؛ لأنّ مبدأ الاكراه في الحرب مرفوض اسلاميا حيثت أن الحرب العقائدية لا يمكن فيها استخدام الاكراه قط، مع ان الاكراه لهذه الاصناف لا يكون نتيجته إلّا الفشل، وهو ما لا يمكن أن يستخدم في ساحة الحرب، فليس من مصير سوى الشكوى إلى الله، ولذلك قال:

١ ـ (أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجا عاجلا)؛ لأنّ جيش العراق جيش كثير في العدد ظاهرا، ولكنه لا اثر له في العمل والكيفية، فلا يكون الفرج إلا من الله سبحانه .

وعن رغبته الشخصية قال مؤكداً:

٢ ـ (فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنيّة لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا، ولا التقي بهم أبدا)؛ فإنّ الرؤية الواضحة للقيادة توجب الاستمرار بالمسؤولية حتى النهاية، واهمالهم يعني التخلي عن المسؤولية، وليس ذلك من الاسلام فسى شيئ؛ فإنّ الرغبة الشخصية في مفارقة هؤلاء، ولكن الواجب الاسلامي يفرض على من تحمل المسؤولية الاستمرار فيها حتّى الشهادة أو النصر.

[٣٦]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى عَقِيلِ بْن أَبِي طالِبٍ فِي ذِكْرِ جَيْشٍ أَنفَذَهُ(٢) إلى بَعْضِ ٱلْأَعْداءِ، وَ

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٤٧.
(٢) في هـ . ص: أي جعله نافذاً سائراً.

هُوَ جَوابُ كِتابٍ كَتَبَهُ إِلَيْهِ أخوة عَقِيلٌ بن أبي طالب [(١)]:

نص رسالة عقيل.

قال إبراهيم بن محمّد الثقفي في الغارات ما نصه:«عن زيد بن وهب [(٢)] قال : كتب عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه إلى علي أمير المؤمنين حين بلغه خذلان أهل الكوفة وعصيانهم إياه : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله علي أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب : سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حارسك [(٣)] من

---

(١) العنوان في « أ» هكذا: «ومن كتاب له إلىٰ عقيل بن أبي طالب رضي اللّه عنه». وفي ط و د زيادة: «جواب كتبه إليه عقيل».

(٢) > هامش ص ٤٢٨< ١ – قد مرت ترجمته في ص ٣٤ ، أما الحديث فنقله ابن أبي الحديد في شرح – النهج، ج ١ ، ص ١٥٥ ، س ٤ ، قائلا : قال [أي الثقفي] وكتب في أثر هذه الوقعة عقيل بن أبي طالب إلى أخيه أمير المؤمنين عليه السلام الحديث وقال المجلسي رحمه الله في ثامن البحار في باب ما جرى من الفتن ، ص ٦٧٣ ، س ١، وقال ابن أبي الحديد : كتب عقيل بن أبي طالب) الحديث . وقال ابن قتيبة الدينوري في كتاب الإمامة والسياسة تحت عنوان : خروج علي من المدينة، ج ١ ، ص ٥٥ ، من الطبعة الأولى بمصر في مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، سنة ١٣٥٦، قال : وذكروا أن عليا تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب إليه كتابا بعد كتاب يمنيه ويعده أولا ثم كتابا يخوفه ويتواعده ، فحبس معاوية جواب كتابه ثلاثة أشهر ثم أتاه جوابه على غير ما يحب ، فلما أتاه ذلك شخص من المدينة في تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والأنصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومعهم بشر كثير من أخلاط الناس ، واستخلف على المدينة قثم بن عباس وكان له فضل وعقل ، وأمره أن يشخص إليه من أحب الشخوص ولا يحمل أحدا على ما يكره ، فخف الناس إلى علي بعده ، ومضى معه من ولده الحسن والحسين ومحمّد . فلما كان في بعض الطريق أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبي طالب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد يا أخي – كلاك الله...فذكر المكتوب وجوابه إلى آخر البيتين ، أنظر ص ٥٧ – ٥٥ ، وقال أبو الفرج الإصبهاني في الأغاني ، ج ١٥ من طبعة الساسي ، ص ٤٤ – ٤٣ ، ما نصه : حدثنا محمّد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عبد الله بن محمّد قال : حدثني جعفر بن بشير قال : حدثني صالح بن يزيد الخراساني عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد ، قال : كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام : أما بعد، فإن الله جارك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه...فنقل المكتوب إلى آخر البيتين ، وأشار إلى هذا الكتاب أيضا فيما سبق بعد أن نقل البيت الأول من البيتين المذكورين في آخر الكتاب في المجلد الثاني ضمن قصة تحت عنوان: أخبار ابن ميادة ونسبه ، ص ٩١ ، بهذه العبارة : والبيت الثالث [وهو البيت الأول من البيتين الواردين في المكتوب] لشاعر من شعراء الجاهلية وتمثل به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب فنقله ابن ميادة نقلا . وذكره أيضا أحمد زكي صفوت وجوابه عن علي عليه السلام في جمهرة رسائل العرب نقلا عن الكتب المشار إليها غير البحار ، أنظر ج ١ ، ص ٦٠٠ – ٥٩٥) .

(٣) في الأصل والأغاني والبحار :) جارك وفي الإمامة والسياسة :) جائرك .

كل سوء ، وعاصمك من كل مكروه وعلى كل حال ، إني خرجت إلى مكة معتمرا فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح[١] في نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء فعرفت المنكر في وجوههم فقلت لهم : إلى أين يا أبناء الشانئين ؟ أبمعاوية تلحقون ؟ عداوة والله منكم قديما غير مستنكرة تريدون بها إطفاء نور الله وتبديل أمره ؟ فأسمعني القوم وأسمعتهم . فلما قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالهم[٢] ما شاء ثم انكفأ راجعا سالما فأف لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك ، وما الضحاك ؟ ! فقع بقرقر [٣] وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك فاكتب إلي يا بن أمي برأيك ، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت ، فوالله ما أحب أن أبقي في الدنيا بعدك فواقا[٤] ، و واقسم بالأعز الأجل [٥] إن عيشا نعيشه بعدك في الحياة لغير هنئ ولامرئ ولا نجيع والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ».[٦]

واهم النقاط التي خاف عليها الإمام هي:

---

(١) يستفاد من جواب أمير المؤمنين الآتي أن عبارة) مقبلا من قديد (قد سقطت هنا من النسخ .

(٢) في شرح النهج والبحار :) من أموالها (وفي الأغاني :) من أموال أهلها (وفي الإمامة والسياسة :) أغار على الحيرة واليمامة فأصاب ما شاء من أموالهما .

(٣) كذا في الأصل وشرح النهج والبحار لكن في الأغاني :) وهل هو إلا فقع قرقرة (أقول : هو مثل من أمثال العرب يتمثل به للذليل ويقال له : هو أذل من فقع بقرقرة لأنه لا يمتنع على من اجتناه أو لأنه يوطأ بالأرجل وسيأتي شرحه وتحقيقه في تعليقات آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .) أنظر التعليقة رقم ٥٣.

(٤) في المصباح المنير :) الفواق بضم الميم وفتحها الزمان الذي بين الحلبتين وقال ابن فارس : فواق الناقة رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب (وفي الصحاح :) الفواق ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب يقال : ما أقام عنده إلا فواقا ، وفي الحديث : العيادة قدر فواق ناقة (وفي مجمع البحرين :) الفواق كغراب ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب وتترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع ومنه الحديث : من كتبه الله سعيدا وإن لم يبق من الدنيا إلا كفواق ناقة ختم له بالسعادة . ومثله في حديث الأشتر لعلي عليه السلام وقد قال له يوم صفين : أنظرني فواق ناقة أي أخرني هذا المقدار (وقريب منه في النهاية والقاموس وسائر كتب اللغة .

(٥) كذا في الأصل وشرح النهج والبحار لكن في الأغاني :) فاقسم بالله الأعز – الأجل (وفي الإمامة والسياسة :) فوالله الأعز الأجل .

(٦) الغارات ؛ لإبراهيم بن محمّد الثقفي ٢ : ٤٢٨ ـ ٤٣٠.

أوّلاً: لقاء عبدالله بن أبي سرح في اربعين شابا من الامويين في مكة والحديث المنكر بين الطرفين.

ثانياً: غارة الضحاك بن قيس على الحيرة.

ثالثاً: استعداد عقيل بامداد الإمام في ارسال اولاده للحوق بالإمام.

وقد علق الامام على كلّ واحدة من هذه الامور الثلاثة فقال:

(ك ١/٣٦) غارات الامويين:

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً[١] مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ نادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ ٱلطَّرِيقِ[٢] وَقَدْ طَفَّلَتِ[٣] ٱلشَّمْسُ لِلْإِيَابِ[٤]، فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلَا وَلَا[٥]، فَما كانَ إِلّا كَمَوْقِفِ ساعَةٍ حَتّى نَجَا جَرِيضاً[٦] بَعْدَ ما أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ[٧] وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ ٱلرَّمَقِ[٨]، فَلَأْياً بِلَأْيٍ ما نَجَا[٩].

استخدم العدو سياسة الاغارة على اطراف الدولة الاسلامية لاشغال الإمام بالمناوشات الجانبية، وأراد بذلك أن يحيده عن التركيز على الحرب ضد العدو، ولم يصرح باسم المغير.

اشار الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) إلى انّه بسر بن أرطاة في غاراته على

(١) في هـ. ب: كثيراً.
(٢) في هـ. ب: في نسخة: الطرق.
(٣) في هـ. ب: أي مالت الشمس، وفي هـ. ص: بالتشديد: إذا دنت منه وتغيّر لونها.
(٤) في هـ. ب: للرجوع، وفي هـ. ص: أي للرجوع إلىٰ مغيبها.
(٥) في هـ. ا: «كلا ولا» كلمة يقولها العرب عند استقلال الشيء وربما لم يكرروها فقالوا: كلا. في هـ. ب: «كلا ولا» الكاف للتشبيه، «ولا ولا» يعني مدّة مّا، يقال: لا ولا، وفي هـ. ص: كناية عن القلّة.
(٦) في هـ. ب: نجا جريضاً، أي فلت خائفاً من الموت، وفي هـ. ص: أي غصّ بالريق من شدة الجهد والكرب.
(٧) المخنق: الحلق، وفي هـ. ص: موضع الخنق، ومثله: الخناق ـ بالضم ـ.
(٨) الرمق: بقيّة النفس، وفي هـ. ص: هو بقية الروح.
(٩) في هـ. أ: يقال: فعل كذا بعد لأي، أي بعد شدة وإبطاء، وفي هـ. ب: لأيا بلأي، أي حينا بحين نجا، وفي هـ. ص: قوله: عليه السلام: «فلأيا بلأي ما نجا»، أي بعد بطء وشدة، و«ما» زائدة أو مصدرية، وانتصب «لأيا» على المصدر القائم مقام الحال، أي نجا مبطئا، والعامل في المصدر محذوف، أي أبطأ بطئاً؛ والفائدة في تكرير اللفظة المبالغة في وصف البطء الّذي نـجا مـوصوفه بـه، أي لأياً مقروناً بلأى، انتهىٰ من الشرح. والأولىٰ أن يقال: انتصب علىٰ الحال، وأصله لاي مع لأيٍ مبتدأ وخبر، فوقعت الجملة حالاً، فنصب جزائها الأوّل، والله أعلم.

اليمن.[١]

ونقل عن الراوندي (ت /٥٧٣) انه قال:«هو معاوية، وقد نقل أن معاوية نصب امويا فهد بن علي هذه الحال، والأوّل اصح)، ثمّ علق على ذلك الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) بقوله:«وهذا عجيب مضحك، وددت إلّا يكون شرح هذا الكتاب» بل زاد فقال:«وهذا الرجل قد كان يحب أن يحجر عليه، ولا يمكن من تفسير هذا الكتاب، ويؤخذ ايمان التبعة ألّا يتعرض له».[٢]

قال الجلالي: وهذه مؤاخذة عجيبة على ما يخالف الرأي، فهل حجر الله العقول والاراء؟ وفرضها لله على طائفه خاصة أن يكتبوا ونهى غيرهم من ذلك؟ وقد ابدى الرجل رأيه، وليس من منطق العلم سوى مقارعة الحجة بالحجة، وليس بالتهريج، والله العاصم، وليس من السنّة أن تتكرر الغارات وان يشترك معاوية بنفسه في بعضها للاستطلاع عن قرب للمواقف ظاهرا أو متنكرا، والله العالم.

وحيث أن عقيلا كان يستوطن الحجاز وان بسر بن ارطاة ابتدأ غاراته على مكة والمدينة بالحجاز، وقتل من الشيعة قتلا فضيعا، ثمّ عرج على اليمن فذبح ابني عبيد الله بن عباس عامل الإمام على اليمن، فارسل الإمام حارثهب بن قدامة السعدي في ألفي رجل، فهرب راجعا إلى الشام.

والظاهر أن كلا منهما قد اخطأ الصواب، وان كان قول الراوندي اقرب إلى الصواب من قول الشارح رحمهما الله، وذلك؛ لأنّ رواية ابن اسحاق بن ابراهيم بن محمّد الثقفي (ت /٢٨٣) في الغازات صريحة في انها حصلت في غارة الضحاك بن قيس على اهل العراق، وهي اول غارة للامويين عام ٣٩ بعد وقعة صفّين وقبل النهروان[٣] ومما قال عنها: «لم يذل معاوية معسكراً في مكانّه منتظراً لما يكون من علي واصحابه ـ إلى أن قال: ـ دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدت من الاعراب في طاعة علي فاغر عليه، وان وجدت له مسلحة أو خيلا فاغر عليهما، واذا أصحبت في بلدة فأمس في اخرى، ولا تقيمن بخيل يلغك انها قد

(١) شرح النهج ١٦ :١٤٩.
(٢) شرح النهج ١٦: ١٥٢.
(٣) راجع: الغارات ٢: ٤١٦ ـ ٤٤٦، ط /١٣٩٥.

سرحت اليك، لئيلا تلقاها فتقاتلها.

فوجهه في ثلاثة الآلاف إلى اربعه الآلاف جريدة خيل».[١]، ثمّ اورد نص كتاب عقيل وجواب الإمام.

ويتبين أن كلامى العلمين قد اخطأ الصواب، وان كان كلام االراوندي اقرب، وسأذكر الرواية بطولها في اخر هذا الفصل.

فيكون من الطبيعي أن عقيل ارسل بهذا المضمون رسالة فيها اخبار واستطلاع للقرار القيادي في هذه الحالة، فراجع الخطبة ٢٥ (نبئت ان بسراً قد اطلع اليمن).

وقد أشار الإمام إلى الموقف من جيش العدو في الحادثة التي أشار اليها عقيل بقوله:

١ ـ (فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين) لمقابلة الضحاك بن قيس الذي ارسله معاوية.

٢ ـ (فلما بلغه ذلك شمر هاربا ونكص نادما) حيث لم يستقر في أي مكان؛ فإنّ هذه الحركة كانت لايجاد الرعب في المجتمع المسلم فقط، حتّى لا يوالي اهل البيت.

٣ ـ(فلحقوه ببعض الطريق)؛ فإنّ الجيش الاسلامي لاحق العدو في طريقه هارباً حتّى لحقه.

٤ ـ (وقد طفلت الشمس للإياب) بالتشديد، أي مالت للغروب، والطفل ـ بالتحريك ـ بعد العصر حين تطفل الشمس للغروب، والايّاب: الرجوع إلى ما كانت عليه الليلة التي قبلها.

٥ ـ (فاقتتلوا شيئا كلا ولا) أي وقتا قليلا، كأنّه ليس شيئا لسرعة مضي الوقت.

٦ ـ (فما كان إلّا كموقف ساعة حتّى نجا جريضا) والجريض: الغصة؛ فإنّ العدو المهاجم قد غص بريقه من شدة الجهد من المواجهة.

٧ ـ (بعد ما أخذ منه بالمخنق) وهو موضع الخناق، حيث اصبح مطارداً من الجيش الاسلامي.

٨ ـ (ولم يبق منه غير الرمق) وهو بقية الروح.

٩ ـ (فلأيا بلأي ما نجا) واللأي: البطؤ مع الشدة، كناية عن الشدة في النجاة اي نجا

---

(١) الغارات ٢: ٤٢٢، ط /١٣٩٥.

مبطئا عسراً بعسر وشدة بشدة، وهذه هي طبيعة الحرب.

وسواء كان الناجى هو معاوية في مركزه القيادي حيث أرسل جماعة للإغارة على المسلمين أو الضحاك الذي قام بالاغارة، أو غارة بسر بن أرطاة كما في كتب التاريخ؛ فإنّ الغارة من جانب العدو لاقت مقاومة ادت إلى الهزيمة ونجاته بعد شدة وبطؤ، وبذلك اجاب على مصدر القلق الذي احزن عقيل شخصيا.

(٢/ك ٣٦) **تحالف قريش:**

فَدَعْ(١) عَنكَ قُرَيْشاً وَتَرْكاضَهُمْ(٢) فِي ٱلضَّلالِ، وَتَجْوَالَهُمْ(٣) فِي ٱلشِّقاقِ(٤) وَجِمَاحَهُمْ(٥) فِي ٱلتِّيهِ(٦)، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلى حَرْبِي كَإِجْماعِهِمْ عَلى حَرْبِ رَسُولِ ٱللّهِ ﷺ قَبْلي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنّي ٱلْجَوَازِي(٧)، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطانَ ٱبْنَ أُمِّي(٨).

وعن قيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري الذي ارتد مشركا فأمر رسول الله بقتله قال:

١ ـ (فدع عنك قريشا وتركاضهم في الضلال) والتركاض: شدة الركض، فان تاريخ قريش قبل الاسلام وبعده سواء، والضلال: الانحراف عن المبادي والوسائل والاهداف

(١) في هـ. ب: اترك.
(٢) في هـ. ب: جولانهم، وفي هـ. ص: مصدر ركّض ـ مشدّد ـ للمبالغة والتكثير، ولم ترد: «تركاضهم» في ط.
(٣) في هـ. ب: من الجولان، وفي هـ. ص: مصدر جوّل مشدّداً كذلك.
(٤) الشقاق: الخلاف.
(٥) جماحهم: استعصاؤهم على الحق.
(٦) في هـ. ب: التحيّر، وفي هـ. ص: هو السير لغير قصد.
(٧) في هـ. أ: جزتك الجوازي: أي الأرحام، وقيل: أفعالك المحمودة أو المذمومة، وفي هـ. ب: أي وقعة جازية والجوازي: جمع جازيه من الجزاء وفي هـ. ص: قوله: «فجزت قريشا عنّي الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمّي»، هذه كلمة تجري مجرى المثل، [تقول لمن يسيء إليك وتدعوا عليه: جزتك عني الجوازي! يقال: جزاه اللّه بما صنع، وجازاه اللّه بما صنع! ومصدر الأول جزاء، والثاني مجازاة، وأصل الكلمة: أن] الجوازي جمع جازية كالجواري جمع جارية، فكأنه يقول: جَزَتْ قريشا عنّي بما صنعت لي كلّ خصلة من نكبة أو شدة و مصيبة أو جائحة، أي جعل اللّه هذه الدواهي كلّها جزاء قريش بما صنعت بي.
(٨) في هـ. ب: أي المصطفىٰ رسول اللّه ﷺ، وفي هـ. ص: «وسلطان ابن أمّي»، يعني به الخلافة، وابن امّه هو رسول اللّه ﷺ، لأنهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم، وهذا القرب يختص به آل أبي طالب، انتهىٰ من الشرح.

الاسلاميّة.

٢ ـ (وتجوالهم في الشقاق) وهو الخلاف على دعوة الحق بالسير فيه جولانا وليس مشيا.

٣ ـ(وجماحهم في التيه) وهو الحيرة عن طريق الحق، والجماح: العصيان من قبوله.

٤ ـ (فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي) والاجماع: العزم على المعارضة بكلّ الطرق المتيسرة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قوله : فدع عنك قريشا... إلى قوله:«على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله »، هذا الكلام حق ، فإن قريشا اجتمعت على حربه منذ يوم بويع بغضا له وحسدا وحقدا عليه ، فأصفقوا كلهم يدا واحدة على شقاقه وحربه ، كما كانت حالهم في ابتداء الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، لم تخرم حاله من حاله أبدا إلا أن ذاك عصمه الله من القتل ، فمات موتا طبيعيا ، هذا اغتاله إنسان فقتله».(١)

ثم دعي الإمام على قريش بقوله:

٥ ـ (فجزت قريشا عني الجوازي)؛ قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «هذه كلمة تجري مجرى المثل، تقول لمن يسئ اليك وتدعوا عليه، حزاك عني الجوازي».(٢)

وعن السبب في هذا الدعاء عليهم ذكر أمرين:

أوّلاً: (فقد قطعوا رحمي)؛ فإنّ رابطة الرحم تجمعه مع قريش، وهي رابطة تحترم بين الامم.

ثانياً: (وسلبوني سلطان ابن أمي) وهو النبيّ صلى الله عليه وآله محمّد بن عبدالله، وام عبدالله فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم.

والإمام علي بن أبي طالب، وام أبي طالب هي فاطمة المذكورة، فكل من النبيّ والإمام عليه السلام بجتمعان في النسب فيها.

وبهذه النقاط الخمس يشير الإمام إلى أن العداء ضده من قبل قريش ليس الا العداء للاسلام الذي بشر به النبي محمّد صلى الله عليه وآله، لاتحاد كل من النبي والإمام في القرابة بالنسب

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٥١.
(٢) شرح النهج ١٦ :١٠١.

والسير على المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة من تطبيق حكم الله على الارض.

(٣/ك ٣٦) **الراى في القتال:**

وَأَمّا ما سأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي ٱلْقِتالِ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالِ[١] ٱلْمحِلِّينَ[٢] حَتّى أَلْقَى اللّهَ، لا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ ٱلنَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلا تَحْسَبَنَّ ٱبْنَ أَبِيكَ[٣] ـ وَلَوْ أَسْلَمَهُ ٱلنّاسُ ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ[٤] واهِناً[٥]، وَلا سَلِسَ[٦] ٱلزِّمامِ لِلْقائِدِ، وَلا وَطِيءَ[٧] الظَّهْرِ لِلرّاكِبِ[٨] ٱلْمُقْتَعِدِ[٩]، وَلكِنَّهُ كَما قالَ أخُو بَنِي سُلَيْمٍ[١٠]:

فَإِنْ تَسْأَلِيني كَيْفَ أَنْتَ[١١] فَإِنَّنِي ... صَبُورٌ عَلى رَيْبِ ٱلزَّمانِ[١٢] صَلِيبُ[١٣]
يَعِزُّ[١٤] عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ[١٥] ... فَيَشْمَتَ عادٍ[١٦] أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

وعن رأيه في القتال قال:

ـ (وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال) في الظروف المذكورة من تحالف قريش ولهم الكثرة في العدد، والبدء بالغارات، وهذا السؤال مهما كانت دوافعه، اجاب الإمام عنه بما هو معروف من القرآن الكريم والسنة النبوية فقال:

١ ـ (فإن رأيي في قتال المحلين حتّى ألقى الله)؛ فإنّ المحلين لما حرم الله سبحانه وهو

(١) في ب : قتل، وفي هـ. ب: في نسخة: قتال، وفي هـ. د: في قتال ـ ب، قتال المحلين ـ م، قتال المحلين ـ هامش م.
(٢) في هـ. ب: المحلين للحرام، وفي هـ. ص: بالحاء المهمله، أي المستجلين لمحارم اللّه الخارجين من ربقة الإسلام.
(٣) في هـ. ب: يعني نفسه.
(٤) في هـ. ب: للظلم، وفي هـ. ص: أي راضياً به صابراً عليه.
(٥) في هـ. ب: ضعيفاً، وفي هـ. ص: أي ضعيفاً.
(٦) في هـ. ب: سهل.
(٧) في هـ. ب: أي ليّن.
(٨) هـ. د: للراكب ـ ف.
(٩) في هـ. ا: المقتعد: الّذي يعقل على الظهر.
(١٠) في هـ. ص: هو عباس بن مرداس.
(١١) في ص: كيف حالك وفي هـ. ص: في نسخة: كيف أنت.
(١٢) في هـ. ب: حوادث الزمان.
(١٣) أي شديد، وفي هـ. ب: صعب.
(١٤) في هـ ز ب: بصعب.
(١٥) في هـ. ب: حزن.
(١٦) في هـ. ب: إسم فاعل من المعاداة.

الاغارة على الشعب المسلم الآمن بالغارات على اطراف البلاد الاسلاميّة، والخروج على الحكم القائم بالشورى، فإنّه من البغي، وقد قال في البغاة:﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.[1]

وهذا هو الواجب الاسلامي الذي طبقه القائد حتّى موته.

٢ ـ (لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم عني وحشة)؛ فإنّ الحرب العقائدية تسير على تحقيق الواجب في ساحة المعركة، وليس من مسؤوليتها النصر العسكري، ولا الخسران، بل اداء الواجب فقط وفقط، فيكون لنيل احدى الحسنيين الشهادة أو النصر، ففي الحالتين يكون النصر للمبادئ.

٣ ـ(ولا تحسبن ابن أبيك ولو أسلمه الناس) ومن هذا يظهر ان رسالة عقيل قد يكون تضمنت نوع تهديد من أن الناس قد يسلموه إلى العدو، لكثرة المندسين حوله من جواسيس العدو، قال انه يسير على خطى ثابتة من السير على خطى النبيﷺ فلا يكون:

أوّلاً: (متضرعا) الى احد من المخلوقين، فلا تضرع إلّا إلى الله سبحانه.

ثانياً: (متخشعا) حيث لا تخشى من احد سوى الله سبحانه.

ثالثاً: (ولا مقرا للضيم) وهو الظلم، فانه يحارب الظلم بكل اشكاله.

رابعاً: (واهنا) والوهن: الضعف، فلا يقبل الظلم عن ضعف؛ فإن قبل الظلم فلا يكون إلّا لمصلحة الاسلام والمسلمين.

خامساً: (ولا سلس الزمام للقائد) والسلس: السهل، والزمام: ما يأخذ به القائد لتوجيه الابل وتحكيم السير؛ فإنّ الرؤية الواضحة التي يتمتّع بها القائد لا يجعله سهلاً لتوجيه غيره.

سادساً: (ولا وطئ الظهر للراكب المتقعد) وهو من يركب ظهر الدابة مستخدما اياها للحاجات الخاصة، والوطيء: قبول ذلك؛ وهو كناية عن ان مواقف الإمام ليست عن لين وضعف حتّى يستخدمه من يريد في حاجاته الشخصية، بل هو صاحب مبدأ يسير عليه برؤيته الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة.

---

(١) الحجرات: ٩.

وهذه النقاط الست هي التي تميّز القيادة الاسلاميّة الواعية عن غيرها.

ثمّ ختم الكتاب بما قاله اخو بنو سليم وهو العباس بن مرداس السلمي من المؤلفة (مات في خلافة عثمان، سنة ٣٥).

فإن تسأليني كيف أنت فإنني   صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن ترى بي كآبة   فيشمت عاد أو يساء حبيب

قال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:« ب دع ، عقيل ابن أبي طالب واسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وأخو على وجعفر لأبويهما وهو أكبرهما وكان أكبر من جعفر بعشر سنين وجعفر أكبر من على بعشر سنين قاله محمّد بن سعد وغيره يكنى أبا يزيد أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم قال له النبيﷺ انى أحبك حبين حبا لقرابتك وحبا لما كنت أعلم من حب عمى إياك وكان عقيل ممن خرج مع المشركين إلى بدر مكرها فأسر يومئذ وكان لا مال له ففداه عمه العباس ثم أتى مسلما قبل الحديبية وهاجر إلى النبيﷺ سنة ثمان وشهد غزوة مؤتة ثم رجع فعرض له مرض فلم يسمع له بذكر في غزوة الفتح ولا حنين ولا الطائف وقد أعطاه رسول الله ﷺ من خيبر مائة وأربعين وسقا كل سنة وقد قيل إنه ممن ثبت يوم حنين مع رسول الله ﷺ وكان سريع الجواب المسكت للخصم وله فيه أشياء حسنة لا نطول بذكرها وكان أعلم قريش بالنسب وأعلمهم بأيامها ولكنه كان مبغضا إليهم لأنه كان يعد مساويهم وكانت له طنفسة تطرح له في مسجد رسول الله ويجتمع الناس إليه في علم النسب وأيام العرب وكان يكثر ذكر مثالب قريش فعادوه لذلك وقالوا فيه بالباطل ونسبوه فيه إلى الحمق واختلقوا عليه أحاديث مزورة وكان مما أعانهم عليه مفارقته أخاه عليا رضي الله عنه ومسيره إلى معاوية بالشأم فقيل ان معاوية قال له يوما هذا أبو يزيد لولا علمه بأني خير له من أخيه لما أقام عندنا فقال عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي وأسأل الله خاتمة خير بمنه وانما سار إلى معاوية لأنه كان زوج خالته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ولما أخبرنا أبو محمّد بن أبي القاسم الدمشقي كتابة أخبرنا أبى قال قرأت على أبى محمّد عبد الله بن أسد بن عمار عن عبد العزيز بن أحمد أخبرنا عبد الوهاب بن جعفر بن علي ونقلته من خطه حدثني أحمد بن علي بن عبد الله حدثني محمّد بن سعيد العوصي حدثنا محمود بن محمّد الحافظ حدثنا عبيد الله بن محمّد حدثني محمّد

بن حسان الضبي حدثنا الهيثم بن عدي حدثني عبد الله بن عياش المرهبي وإسحاق ابن سعد عن أبيه ان عقيل بن أبي طالب لزمه دين فقدم على علي بن أبي طالب الكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه فلما أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل فقال عقيل ما هو إلّا ما أرى قال لا قال فتقضى ديني قال وكم دينك قال أربعون ألفا قال ما هي عندي ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فإنه أربعة ألف فأدفعه إليك فقال له عقيل بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك فقال أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها قال فإني آت معاوية فأذن له فأتى معاوية فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليها وأصحابه قال كأنهم أصحاب محمّد إلّا أني لم أر رسول الله ﷺ فيهم وكأنك وأصحابك أبو سفيان وأصحابه إلّا أني لم أر أبا سفيان فيكم فلما كان الغد قعد معاوية على سريره وأمر بكرسي إلى جنب السرير ثم أذن للناس فدخلوا وأجلس الضحاك بن قيس معه على سريره ثم أذن لعقيل فدخل عليه فقال يا معاوية من هذا معك قال الضحاك بن قيس فقال الحمد لله الذي رفع الخسيسة وتمم النقيصة هذا الذي كان أبوه يخصي بهمنا بالأبطح لقد كان بخصائها رفيقا فقال الضحاك انى لعالم بمحاسن قريش وان عقيلا عالم بمساويها وأمر له معاوية بخمسين ألف درهم فأخذها ورجع روى هشام بن محمّد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان في قريش أربعة يتنافر الناس إليهم ويتحاكمون عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل الزهري وأبو جهم بن حذيفة العدوي وحويطب بن عبد العزى العامري وكان الثلاثة يعدون محاسن الرجل إذا أتاهم فإذا كان أكثر محاسن نفروه على صاحبه وكان عقيل يعد المساوي فأيما كان أكثر مساوي تركه فيقول الرجل وددت أنى لم آته أظهر من مساوي ما لم يكن الناس يعلمون روى عنه ابنه محمّد والحسن البصري وغيرهما وهو قليل الحديث أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بن أبي حية باسناده عن عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن محمّد بن عقيل قال تزوج عقيل بن أبي طالب فخرج علينا فقلنا له بالرفاء والبنين فقال مه لا تقولوا ذلك فان النبي ﷺ نهى عن ذلك وقال قولوا بارك الله لك وبارك عليك وبارك لك فيها وتوفى عقيل في خلافة معاوية أخرجه

الثلاثة».[١]

[٣٧]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى مُعاوِيَةَ:

فَسُبْحانَ ٱللّٰهِ! ما أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ[٢] ٱلْمُبْتَدَعَةِ، وَٱلْحَيْرَةِ ٱلْمُتَّبَعَةِ[٣]، مَعَ تَضْيِيعِ ٱلْحَقَائِقِ وَٱطِّرَاحِ ٱلْوَثَائِقِ[٤]، ٱلَّتِي هِيَ لِلّٰهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ.

فأَمّا إِكْثَارُكَ ٱلْحِجَاجَ[٥] فِي عُثْمانَ وَقَتَلَتِهِ[٦]، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ كانَ ٱلنَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ ٱلنَّصْرُ لَهُ. وَالسَّلامُ.

(١/ك ٣٧) معاوية:

يشير المقطع الى المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، وما يناقضها في مواقف اعداء الاسلام.

ففي مبادي الاسلام: الحقائق والوثاق، ويناقضها هوى النفس.

وفي الوسائل: الوثائق التي هي حجة شرعية، وينافقها الدعايات الباطلة.

وفي الاهداف رضى الله بما يطلبه من الإنسان، ويناقضه الحيرة.

فكل من علي ومعاوية على طرفي النقيض في هذه المبادي والوسائل والاهداف، والانحراف فيها وان كان غريبا عند من عاش فترة السنة النبوية إلّا انّه في خصوص معاوية أشدّ غرابة؛ لانها مواقف انتهازية للوصول إلى الحكم بالدعايات والشعارات من دون أي اعتبار لأيّ شئ سوى تحقيق هذا الهدف الشخصي، وتاريخ حياته في الحرب يكشف عن ذلك.

فقال الإمام.

أوّلاً: (فسبحان الله ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة) المناقضة للمبادي الاسلاميّة، واهمها رفض نظام الحكم بالشورى وفرض الحكم الملوكي بالوراثة كبديل.

---

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٣: ٤٢٢ – ٤٢٤.

(٢) في هـ. ص: في نسخة: الأهواء.

(٣) في هـ. د: المتعنتة ـ ب.

(٤) في هـ. ب: جمع وثيقة.

(٥) في هـ. ب، الحجاج: المحاجة والمخاصمة.

(٦) في ص: وقتله، وفي هـ. ب: جمع قاتل ككفلة وكافل.

ثانياً: عن الاهداف (والحيرة المتعبة) كهدف في الحكم، في تحميل الشعب المسلم ويلات الحروب، وتضعيف الوعي الاسلامي فيه، فيصبح محتاراً يتبع كلّ ناعق للحكم؛ لفقدان الرؤية الواضحة له، وايد هذه الدعوى بقوله:

(مع تضييع الحقائق) الاسلامية حول نظام الحكم بالشورى ومحاربتها ومحاربة المنتخب على أساسه (واطراح الوثائق)؛ فإنّ الكتاب والسنة من الوثائق (التي هي لله طلبة) حيث يطالب بها الله سبحانه (وعلى عبادة حجة) يحتج بها على الناس .

وثالثاً: ـ عن الوسائل أشار إلى استخدام الدعايات حيث المواقف المبتدعة، فقال:

(فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته) برفع الشعارات لقميص عثمان، فقد اثبت الإمام أن هذا الشعار مزيب لسببين:

الأوّل: (فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك) فلم يكن النصر في الحقيقة لعثمان، بل كان شعارا مزيفا لما يرجع في دعوى النصر تمهيداً للحكم إلى نفسك.

الثاني:(وخذلته حيث كان النصر له . والسلام) حيث كان قد طلب عثمان النصر منك فارسلت جيشا امرته بان لا يتدخل إلّا باوامرك الشخصية، ولم تأمره قط بنصر عثمان، فقلت مالفظه: «اذا بلغت ذا خسف فأقم بها ولا تتجاوزها لا تقل الشاهد يرى مالا يرى الغائب، فاني انا الشاهد وانت الغائب».[1]

فهذا النص صريح بأن الجيش الذي ارسله كان لغرض اخر غير نصر عثمان ، فلو كان للنصر لامره باداء دوره المطلوب في النصر وهو الشاهد، وليس معاوية الغائب.

فهذه المواقف المنافقة تظهر بوضوح أن الإمام عليه السلام كان يسير على ضوء القرآن والسنة النبوية في المبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية، وكان معاوية على النقيض من ذلك كله.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«أول هذا الكتاب قوله : أما بعد فإن الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة ، لم يصب إليها أحد إلا وشغلته بزينتها عما هو أنفع له منها . وبالآخرة أمرنا ، وعليها حثثنا ، فدع يا معاوية ما يفنى ، واعمل لما يبقى ، واحذر الموت الذي إليه مصيرك ، والحساب الذي إليه عاقبتك . واعلم

---

(١) شرح النهج ١٦ : ١٥٤.

أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيرا حال بينه وبين ما يكره ، ووفقه لطاعته ، وإذا أراد الله بعبد سوءا أغراه بالدنيا . وأنساه الآخرة ، وبسط له أمله ، وعاقه عما فيه صلاحه ، وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمى غير غرضك ، وتنشد غير ضالتك ، وتخبط في عماية وتتيه في ضلالة وتعتصم بغير حجه ، وتلوذ بأضعف شبهة فأما سؤالك المتاركة والاقرار لك على الشام ، فلو كنت فاعلا ذلك اليوم لفعلته أمس وأما قولك : إن عمر ولاكه فقد عزل من كان ولاه صاحبه ، وعزل عثمان من كان عمر ولاه ولم ينصب للناس إمام إلا ليرى من صلاح آلامه إماما قد كان ظهر لمن قبله ، أو أخفى عنهم عيبه ، والامر يحدث بعده الامر ، ولكل وال رأى واجتهاد . فسبحان الله ! ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتبعة . . . إلى آخر الفصل . وأما قوله عليه السلام :) إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك . . . (إلى آخره ، فقد روى البلاذري قال : لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده ، بعث يزيد بن أسد القسري جد خالد بن عبد الله بن يزيد أمير العراق وقال له : إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ، ولا تتجاوزها . ولا تقل : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فإنني أنا الشاهد ، وأنت الغائب . قال : فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان . فاستقدمه حينئذ معاوية ، فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه ، وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه .

وكتب معاوية إلى ابن عباس عند صلح الحسن عليه السلام له كتابا يدعوه فيه إلى بيعته ، ويقول له فيه : ولعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا ، وأن يكون رأيا صوابا ، فإنك من الساعين عليه ، والخاذلين له والسافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منى ، ولا بيدك أمان . فكتب إليه أبن عباس جوابا طويلا يقول فيه : وأما قولك إني من الساعين على عثمان ، والخاذلين له ، والسافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منى فأقسم بالله لأنت المتربص بقتله ، والمحب لهلاكه ، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ ، فما حفلت به ، حتى بعثت إليه معذرا بأجرة ، أنت تعلم أنهم لن يتركوه حتى يقتل ، فقتل كما كنت أردت ، ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا وبينك ، فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه ، وتقول : قتل مظلوما ، فإن يك قتل مظلوما فأنت أظلم الظالمين ، ثم لم تزل مصوبا ومصعدا وجاثما ورابضا ، تستغوي الجهال ، وتنازعنا حقنا بالسفهاء ، حتى أدركت

ما طلبت) وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)[١]».[٢]

٣٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولي عليهم الأشتر رحمه الله.

يتضمّن خصائص الشعب المصري وخصائص مالك الاشتر.

[٣٨]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى أَهْلِ مِصْرَ لَمّا وَلّي عَلَيْهِمُ ٱلْأَشْتَرَ رحمه الله[٣]:

مِنْ عَبْدِ ٱللّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ غَضِبُوا لِلّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ[٤]، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ[٥]، فَضَرَبَ ٱلْجَوْرُ سُرَادِقَهُ[٦] عَلَى ٱلْبَرِّ وَٱلْفَاجِرِ، وَٱلْمُقِيمِ وَٱلظَّاعِنِ، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى[٧] عَنْهُ.

(ك ١/٣٨) خصائص الشعب المصري:

اشار إلى المقطع الأوّل: إلى خصائص الشعب المصري بقوله:

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم) الذين لهم الخصائص الاتية:

١ ـ (الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه) حيث قام الامراء الامويون بالظلم على الشعب باسم الاسلام.

٢ ـ (وذهب بحقه)؛ فإنّ الحقوق الله المفترضة في المجتمع اهملت.

٣ ـ(فضرب الجور سرادقه) وهي الخيام المعدة فسطاطاً يحتمى بها؛ فإنّ الامراء الامويون ضربوا هذه المظاهر أساساً للحكم الظالم القائم على الجور.

وعن اثار الحكم اشار الى انّه عمّ كافة طبقات الشعب المسلم.

أوّلاً: (على البر) الذي سكت عن الدعوة إلى الحق بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: (والفاجر)؛ لأنّ الظلم لا يرحم إلّا من يخدمه.

(١) الانبياء: ١١١.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٥٣ ـ ١٥٥.
(٣) لم ترد «رحمه اللّه» في ط .
(٤) في هـ. ب: أي عصي اللّه في أرضه.
(٥) في هـ. ب: أي حق اللّه.
(٦) السرادق: الغطاء الّذي يمد فوق صحن الدار.
(٧) في هـ. ب: أي يمسك عنه.

ثالثاً: (والمقيم) في الوطن بالضرائب الفاحشة.

رابعاً: (والظاعن) وهو المسافر عن الوطن، حيث لا امان له .

ولحض هذه الآثار بقوله:

(فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه).

وكان السبب في هذا الظلم العام لاهل مصر ادارة عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري، وكان اخو الخليفة عثمان بن عفان من الرضاعة وكان من اوائل المسلمين وهاجر إلى المدينة وكتب القرآن، وكان يحرّف ما يمليه النبيﷺ عليه، مما يظهر انّه كان مندسا في صفوف المسلمين من قبل المشركين، حيث انه هو اول من حرف القرآن. (راجع دراسة حول القرآن الكريم في تحريفاته).[١]

ثمّ ارتد مشركاً ورجع إلى مكة وعاش مع المشركين، وفي عام الفتح الثامن من الهجرة امر النبيّ بقتل جماعة وان وجدوا تحت أستار الكعبة، ومنهم: عبدالله بن أبي سرح هذا، فغيبه عثمان؛ لأنّه اخوه من الرضاعة ثم استأمن له فلم يجب النبي عليه الا فى المرة الثالثة فاجابه رسول الرحمه بنعم، ثمّ قال الرسولﷺ:«ما صمت إلّا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه» فقال رجل من الانصار: فهلا أومأت إلي يارسول الله؟ فقال:«ان النبيّ لا ينبغي له أن يكون له خائنة الأعين».[٢]

واسلم مرّة ثانية في عام الفتح، وبعد خلافة عثمان ولّاه عثمان مصر، وكانت ادارته سببا مباشراً لثورة الشعب المصري عليه، وخرج منهم من خرج إلى المدينة شاكيا، ثمّ انقلبوا ناقمين.

وقد عاش عبد الله بن أبي سرح في كنف معاوية حتى توفي بعسقلان الشام عام ٥٩.

(٢/ ك ٣٨) صفات مالك الاشتر:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عبداً مِنْ عِبادِ ٱللهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ ٱلْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ ٱلْأَعْداءِ سَاعَاتِ ٱلرَّوْعِ[٣]؛ أَشَدَّ عَلَى ٱلْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ ٱلنَّارِ، وَهُوَ[٤] مَالِكُ بْنُ ٱلْحارِثِ أَخُو

(١) دراسة حول القرآن الكريم: ١٧٦ـ ١٧٨.
(٢) اسد الغابة ٢ : ٢٥٩.
(٣) في هـ. ب: الخوف.
(٤) في هـ. د: لم ترد «وهو» في ف.

مَذْحِجٍ[١]، فَاسْمَعُوا لَهُ[٢] وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيما طَابَقَ[٣] ٱلْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللّٰهِ، لَا كَلِيلُ ٱلظُّبَةِ[٤]، وَلَا نَابِي ٱلضَّرِيبَةِ[٥]. فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ[٦] وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ[٧] عَلى عَدُوِّكُمْ.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« هذا الفصل يشكل على تأويله ، لان أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان ، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنهم غضبوا لله حين عصى في الأرض ، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان ، وإتيان المنكر ، ويمكن أن يقال وأن كان متعسفا : إن الله تعالى عصى في الأرض لا من عثمان ، بل من ولاته وأمرائه وأهله ، وذهب بينهم بحق الله وضرب الجور سرادقه بولايتهم ، وأمرهم على البر والفاجر ، والمقيم والظاعن ، فشاع المنكر ، وفقد المعروف . يبقى أن يقال : هب أن الامر كما تأولت فهؤلاء الذين غضبوا لله إلى ماذا آل أمرهم ؟ أليس الامر آل إلى أنهم قطعوا المسافة من مصر إلى المدينة فقتلوا عثمان ! فلا تعدو حالهم أمرين ، إلا أن يكونوا أطاعوا الله بقتله فيكون عثمان عاصيا مستحقا للقتل أو يكونوا أسخطوا الله تعالى بقتله فعثمان إذا على حق ، وهم الفساق العصاة فكيف يجوز أن يبجلهم أو يخاطبهم خطاب الصالحين ! يمكن أن يجاب عن ذلك بأنهم غضبوا لله ، وجاءوا من مصر وأنكروا على عثمان تأميره الامراء الفساق ، وحصروه في داره طلبا أن يدفع إليهم مروان ليحبسوه ، أو يؤدبوه على ما كتبه في أمرهم فلما حصر طمع فيه مبغضوه وأعداؤه من أهل المدينة وغيرها ، وصار معظم الناس إلبا عليه ، وقل عدد المصريين بالنسبة إلى ما اجتمع من الناس على حصره ومطالبته بخلع نفسه ، وتسليم مروان وغيره من بني أُميّة إليهم ، وعزل عماله ، والاستبدال بهم ، ولم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه ، ولكن قوما منهم ومن غيرهم

(١) في هـ. ب: مذحج قبيلة.
(٢) في هـ. ب: اسمعوا ما يقول.
(٣) في هـ. ب: وافق.
(٤) الضبة: حدّ السيف أو السنان.
(٥) في هـ. ب: الضريبة: موضع الضرب.
(٦) في هـ. ب: لا يتأخّر ولا يؤخر.
(٧) شدة الشكيمة: كناية عن الاباء وقوّة النفس، والأصل في الشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس، وفي هـ. ب: حقد.

تسوروا داره ، فرماهم بعض عبيده بالسهام فجرح بعضهم ، فقادت الضرورة إلى النزول والإحاطة به ، وتسرع إليه واحد منهم فقتله . ثم إن ذلك القاتل فقتل . في الوقت ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ، وشرحناه ، فلا يلزم من فسق ذلك القاتل وعصيانه أن يفسق الباقون ، لأنهم ما أنكروا إلا المنكر ، وأما القتل فلم يقع منهم ، لا راموه ولا أرادوه ، فجاز أن يقال : إنهم غضبوا لله ، وأن يثني عليهم ويمدحهم».(١)

قال الجلالي: وما استشكله الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) امر عجيب، وقوله امر مريب، وذلك لان الإمام يصف الشعب المصري بصفة عامة، وليس الذين جاءوا الى المدينة الا طائفة خاصة منهم، ولا يؤاخذ عامة الشعب المسلم بارتكاب جماعة خاصة من الشعب ببعض الجرائم، فلا يكون المجرم إلّا من يلتبس بالجريمة، وليس عامة الشعب.

وما حصل في عصر عثمان يشبه إلى حد ما أكثر ما يحصل في الثورات في عصرنا؛ فإنّ النقمة العامة والمعارضة الفكرية للحكم القائم من عامة الشعب شيئ، وارتكاب بعض افراد الشعب الجرائم واضرارهم بالمصالح العامة شيئ آخر، وكم فرق بين الامرين؟

ولا يسمح دين أو قانون بالعقاب العام لجميع الشعب لارتكاب جماعة خاصة منهم ما يعتبره القانون خلافا من وجهه نظره، مع انّه ليس بخلاف من وجهة نظر المحاربين، بل للحاكم أن ينظر في كلّ حادثة ويحللها ويعاقب من تلبس بالجريمة فقط.

والإمام في هذا الكتاب يخاطب الشعب المصري بصورة عامة بهذه الصفات الخاصة بهم، بالمطالبة بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله في الحكم، وهذا ليس فيه أي اجرام، بل دعوة إلى تطبيق الاسلام في كلّ مراحل الحياة، فما قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) من التلازم بيّن الخطأ، فلا يمكن معاقبة الشعب كلّه لاجرام طائفة خاصة، والله العاصم.

وأشار الإمام إلى صفات مالك بقوله:

١ ـ (فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله) فهو يشترك مع الناس في هذه الصفة، حيث يعبد الله وحده وليس غيره، فاختاره ممثلا له.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٥٦ ـ ١٥٧.

٢ ـ (لا ينام أيام الخوف) بل يقوم بواجبه حتّى تزول اثار الخوف.

٣ ـ (ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع) والنكول: الجبن عن الحرب، والروع: الخوف في ساحة الحرب.

٤ ـ (أشد على الفجار من حريق النار)؛ فإنّ حريق النار يمكن اطفاءه بالماء، والصلابة في تحقيق الحق لا يمكن أن يلين ممن له الوعي الكامل للمبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية.

٥ ـ (وهو مالك بن الحارث، أخو مذحج) وهو مالك بن الحارث بن عبد يعقوب بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع، المعروف بالاشتر (ت / ٣٧) وكان النخع تلقب بمذحج، واصبح لقبا لنسلة من مالك وطي.

٦ ـ (فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق) فلا يطاع الإنسان فيما خالف الحق.

٧ ـ (فإنه سيف من سيوف الله) لصلابته في مواقف الدفاع عن الحق.

(لا كليل الظبة) وهي حد السيف الذي به يقطع.

(ولا نابي الضريبة) والنبو: عدم الاصابة للهدف المضروب.

٨ ـ (فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا) كما هو المطلوب في الانضباط العسكري؛ لأنّه المسؤول في هذه القرارات العسكرية.

ثمّ أشار إلى الصفات التي توجب هذه الطاعة بقوله:

(فإنه لا يقدم) بالتقدم في الحرب.

(ولا يحجم) بالامتناع عن الحرب.

(ولا يؤخر) في ترتيب الجيش حيث المواهب التي يراها.

(ولا يقدم) بتقديم البعض على الآخر.

(إلا عن أمري) باعتباره ممثلا شخصيا وواليا منصوبا من قبل القائد الاسلامي الاعلى.

[٣٩]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ ﷺ إِلى عَمْرِو بْنِ ٱلْعاصِ:

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا ٱمْرِىءٍ[١] ظَاهِرٍ غَيُّهُ[٢]، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ ٱلْكَرِيمَ

---

(١) في هـ. ب: يعني معاوية.

(٢) في هـ. ب: جهله.

بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ ٱلْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ؛ ٱتِّبَاعَ ٱلْكَلْبِ لِلْضِّرْغَامِ[١] يَلُوذُ إِلىٰ مَخَالِبِهِ[٢]، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِن فَضَلِ فَرِيسَتِهِ. فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ[٣].

فَإِنْ يُمَكِّنِ ٱللّٰهُ مِنكَ وَمِنَ ٱبْنِ أَبِي سُفْيانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُما، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا[٤] أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، وَالسَّلَامُ[٥].

(١/ك ٣٩) عمرو بن العاص:

لقد اكرم الله الإنسان بالحرية وجاء نبيّ الاسلام لتعميم هذه الحرية لجميع الناس في الحياة في تشريعاته الداعية إلى حرية العبيد والاباء من الرقية والحرية الفكرية.

والاستقلال في الحياة امر ينشده أي انسان حر الضمير، فلا يتبع الآخرين إلّا لمصالح؛ فإنّ كانت المصلحة دينيّة أو مبدئية كانت هذه البيعة للدين والمبدأ، وليس للانسان، واذا كانت المصلحة مادية في مقابل اجرة عادلة كان هذا استخدام عن استحقاق بعقد بين الطرفين.

واما اذا كانت المصلحة المادية تنافي المبادي والثوابت، فهذا لا يكون الا خروجا عن تلك الثوابت، وهذا ما ينتقده الإمام؛ فإنّ عمرو بن العاص دخل في تحالف مع معاوية ليس على أساس ديني ولا أساس مادي في استحقاق، بل على أساس مادي من غير استحقاق؛ متنكرا للمبادئ الاسلامية والثوابت الشرعية، فقال:

١ ـ (فإنك قد جعلت دينك تبعا لدنيا) فهذا هو تنكر للثوابت التي يعول عليه الدين في المبادي والوسائل والاهداف.

٢ ـ (لدنيا امرئ) وليس بعقد بين الطرفين عن استحقاق، بل تبعية مطلقة بسبب حب الدنيا.

وعن صفات هذا المرء وهو معاوية قال:

---

(١) في هـ. ب: للأسد.
(٢) في ط: بمخالبه، وفي هـ. د: بمخالبه ـ ح.
(٣) في هـ. ص: يعني ما يحتاجه الإنسان من الدنيا، وهو قوته وملبسه وما يدعوا إليه ضرورته، فهذا هو المطلوب من الدنيا حقيقة، وما عداه فضول.
(٤) في هـ. ب: فالّذي.
(٥) في هـ. د: والسلام لأهله ـ م.

أوّلاً: (ظاهر غيه) وهو الخروج على الحكم بالشورى.

ثانياً: (مهتوك ستره) بتاريخ حياته في الماضي والحال.

ثالثاً: (يشين الكريم بمجلسه)؛ لأنّه مجلس لهو قبل أن يتزعم الحكم.

رابعاً: (ويسفه الحليم بخلطته)؛ فإنّ صفات الغدر كانت من خصائصه.

٣ ـ(فاتبعت أثره) بالمسير على خطاه في كلّ هذه الصفات الاربع .

٤ ـ(وطلبت فضله) بالعق المادي لملك مصر من دون استحقاق على حساب المبادي الاسلاميّة بالشورى.

٥ ـ(اتباع الكلب للضرغام) وهو الاسد، وشرح ذلك بقوله:

ـ(يلوذ إلى مخالبه وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته)، حيث يكون الحكم القائم حكم شريعة الغاب فللاسد فيه الحصة الغالبة، ولا يكون لغيره من الحيوانات الا الفضلات من الفريسة، وهي مال الشعب المستضعف.

ثم قام الإمام بالنصح الاسلامي الواجب بقوله:

أوّلاً: ـ (فأذهبت دنياك وآخرتك) اما الآخرة فلان ذلك تنكر للواجبات الاسلاميّة، واما الدنيا؛ فإنّ الحرية التي منحها الله للانسان تقتضي الكرامة، ومتابعة الظالم للحصول على الفضلات ليس فيها اية كرامة.

ثانياً: (ولو بالحق أخذت أدركت ما طلبت)؛ فإنّ الشيئ نفسه يمكن الحصول عليه عن طريق الحرية والكرامة من دون تبعية مطلقة للاخرين على حساب المبادي.

وطبيعيّ أن الإمام كان عالماً بالموقف المتعنت من عمر بن العاص، ولا ادري ما السبب في هذه المحاولات التي يعلم بعدم تاثيرها سوى اعلان المبادي للاخرين من حملة الرسالة، والله اعلم.

ثمّ ختم المقطع بالموقف الصارم بقوله:

١ ـ(فإن يمكني الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدمتما) بما تقدم من اعمال تقتضي الجزاء الاسلامي العادل من دون محاباة كما تقضيه العدالة الاسلامية.

٢ ـ (وإن تعجزا وتبقيا فما أمامكما شرّ لكما. والسلام) وهو عذاب الآخرة كما هو مقتضى العدالة الالهية في الدنيا ايضا؛ فإنّ ما قاما به من سن الحكم بالغلبة يجعل مبرراً لمن سيأتي بعدهما باستخدام الغلبة والدسائس والسم كوسائل للمسك بزمام الحكم كما

قام به العباسيون ضد الامويين.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« كل ما قاله فيهما هو الحق الصريح بعينه، لم يحمله بغضه لهما، وغيظه منهما، إلى أن بالغ في ذمهما به، كما يبالغ الفصحاء عند سوره الغضب، وتدفق الألفاظ على الألسنة ولا ريب عند أحد من العقلاء ذوي الانصاف أن عمرا جعل دينه تبعا لدنيا معاوية، وأنه ما بايعه وتابعه إلا على جعالة جعلها له، وضمان تكفل له بإيصاله، وهي ولاية مصر مؤجلة، وقطعة وافرة من المال معجلة ولولديه وغلمانه ما ملا أعينهم. فأما قوله ﷺ في معاوية) ظاهر غيه (، فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه، وكل باغ غاو. أما مهتوك ستره، فإنه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسمار ومعاوية لم يتوقر، ولم يلزم قانون الرياسة إلا منذ خرج على أمير المؤمنين، واحتاج إلى الناموس والسكينة وإلا فقد كان في أيام عثمان شديد التهتك، موسوما بكل قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسه قليلا خوفا منه، إلا أنه كان يلبس الحرير والديباج، ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها، وعليها جلال الديباج والوشي، وكان حينئذ شابا، وعنده نزق الصبا ، وأثر الشبيبة وسكر السلطان والإمرة، ونقل الناس عنه في كتب السيرة أنه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام، وأما بعد وفاة أمير المؤمنين واستقرار الامر له فقد اختلف فيه، فقيل: أنه شرب الخمر في ستر، وقيل: إنه لم يشربه ولا خلاف في أنه سمع الغناء وطرب عليه، وأعطى ووصل عليه أيضا. وروى أبو الفرج الأصفهاني قال: قال عمرو بن العاص لمعاوية في قدمة قدمها إلى المدينة أيام خلافته: قم بنا إلى هذا الذي قد هدم شرفه ، وهتك ستره، عبد الله بن جعفر، نقف على بابه، فنسمع غناء جواريه، فقاما ليلا ومعهما وردان غلام عمرو، ووقفا بباب عبد الله بن جعفر، فاستمعا الغناء وأحس عبد الله بوقوفهما ، ففتح الباب، وعزم على معاوية أن يدخل، فدخل، فجلس على سرير عبد الله، فدعا عبد الله له وقدم إليه يسيرا من طعام، فأكل، فلما أنس قال: يا أمير المؤمنين، ألا تأذن لجواريك أن يتممن أصواتهن، فإنك قطعتها عليهن؟ قال: فليقلن، فرفعن أصواتهن، وجعل معاوية يتحرك قليلا قليلا حتى ضرب برجله السرير ضربا شديدا، فقال عمرو: قم أيها الرجل فإن الرجل الذي جئت لتلحاه أو لتعجب من أمرء أحسن حالا منك. فقال:

مهلا . فإن الكريم طروب».[(١)]

قال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:« ب د ع ، عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي السهمي يكنى أبا عبد الله وقيل أبو محمّد وأمه النابغة بنت حرملة سبية من بني جلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عترة وأخوه لامه عمرو بن أثاثه العدوي وعقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري وسأل رجل عمرو بن العاص عن أمه فقال سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بني عترة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت له فأنجبت فان كان جعل لك شئ فخذه وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلم إليهم من عنده من المسلمين جعفر بن أبي طالب ومن معه فلم يفعل وقال له يا عمرو كيف يعزب عنك أمر ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقا قال أنت تقول ذلك قال اي والله فأطعني فخرج من عنده مهاجرا إلى النبيﷺ فأسلم عام خيبر وقيل أسلم عند النجاشي وهاجر إلى النبيﷺ وقيل كان اسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر وكان قد هم بالانصراف إلى النبيﷺ من عند النجاشي ثم توقف إلى هذا الوقت وقدم على النبيﷺ هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدري فتقدم خالد وأسلم وبايع ثم تقدم عمرو فأسلم وبايع على أن يغفر له ما كان قبله فقال له رسول اللهﷺ الاسلام والهجرة يجب ما قبله ثم بعثه رسول اللهﷺ أميرا على سرية إلى ذات السلاسل إلى أخوال أبيه العاصي بن وائل وكانت أمه من بلى بن عمرو بن لحاف بن قضاعة يدعوهم إلى الاسلام ويستنفرهم إلى الجهاد فسار في ذلك الجيش وهم ثلثمائة فلما دخل بلادهم استمد رسول اللهﷺ فأمده أنبأنا أبو جعفر بن أحمد بن علي باسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال حدثني محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي عن غزوة ذات السلاسل من أرض بلى وعذرة قال بعث رسول الله عمرو بن العاص يستنفر الاعراب إلى الاسلام وذلك أن أم العاص بن وائل امرأة من بلى فبعثه رسول اللهﷺ يستألفهم بذلك حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل وبذلك سميت تلك الغزاة ذات السلاسل فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٦٠ ـ ١٦١.

الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر وقال لأبي عبيدة لا تختلفا فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو انما جئت مدد إلى فقال أبو عبيدة لا ولكني أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا سهلا لينا هينا عليه أمر الدنيا فقال له عمرو بل أنت مدد لي فقال أبو عبيدة يا عمرو ان رسول الله ﷺ قال لي لا تختلفا وانك ان عصيتني أطعتك فقال له عمرو فاني أمير عليك قال فدونك فصلى عمرو بالناس واستعمله رسول الله ﷺ على عمان فلم يزل عليها إلى أن توفي رسول الله ﷺ أنبأنا إبراهيم وإسماعيل وغيرهما باسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة حدثنا مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص قال وحدثنا أبو عيسى حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا أبو أسامة عن نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة قال قال طلحة بن عبيد الله سمعت رسول الله ﷺ يقول إن عمرو بن العاص من صالحي قريش ثم إن عمرا سيره أبو بكر أميرا إلى الشأم فشهد فتوحه وولى فلسطين لعمر بن الخطاب ثم سيره عمر في جيش إلى مصر فافتتحها ولم يزل واليا عليها إلى أن مات عمر فأمره عليها عثمان أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاعتزل عمر وبفلسطين وكان يأتي المدينة أحيانا وكان يطعن على عثمان فلما قتل عثمان سار إلى معاوية وعاضده وشهد معه صفين ومقامه فيها مشهور وهو أحد الحكمين والقصة مشهورة ثم سيره معاوية إلى مصر فاستنقذها من يد محمّد بن أبي بكر وهو عامل لعلى عليها واستعمله معاوية عليها إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وقيل سنة سبع وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة إحدى وخمسين والأول أصح وكان يخضب بالسواد وكان من شجعان العرب وأبطالهم ودهاتهم وكان موته بمصر ليلة عيد الفطر فصلى عليه ابنه عبد الله ودفن بالمقطم ثم صلى العيد وولى بعد ابنه ثم عزله معاوية واستعمل بعده أخاه عتبة بن أبي سفيان ولعمرو شعر حسن فمنه ما يخاطب به عمارة بن الوليد عند النجاشي وكان بينهما شر قد ذكرناه في الكامل في التاريخ:

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ... ولم ينسه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولما حضرته الوفاة قال اللهم انك أمرتني فلم أأتمر وزجرتني فلم أنزجر ووضع يده

على موضع ؟ وقال اللهم لا قوي فأنتصر ولا بري فأعتذر ولا مستكبر بل مستغفر لا اله إلّا أنت فلم يزل يرددها حتى مات وروى يزيد بن أبي حبيب ان عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال ابنه عبد الله لم تبكي أجزعا من الموت قال لا والله ولكن لما بعد الموت فقال له كنت على خير وجعل يذكر صحبته لرسول الله ﷺ وفتوحه الشأم ومصر فقال عمرو تركت أفضل من ذلك شهادة ان لا إله إلا الله اني كنت على أطباق ثلاث كنت أول شئ كافرا فكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلو مت حينئذ وجبت لي النار فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشذ الناس حياء منه فلو مت لقال الناس هنيئا لعمرو أسلم وكان على خير ومات فترجى له الجنة ثم تلبست بالسلطان وأشياء فلا أدري أعلي أم لي فإذا مت فلا تبكين علي باكية ولا تتبعني نائحة ولا نار وشدوا علي إزاري فاني مخاصم وشنوا علي التراب فان جنبي الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبي الأيسر ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجرا وإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعه أستأنس بكم وأنظر ماذا أوامر رسل ربي روى عنه ابنه عبد الله وأبو عثمان النهدي وقبيصة بن ذؤيب وغيرهم أنبأنا أبو الفضل بن أحمد الخطيب أنبأنا أبو محمّد السراج أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين أنبأنا أبو محمّد عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي البزار حدثنا محمّد بن عثمان هو ابن أبي شيبة حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري حدثنا عبد العزيز بن محمّد حدثنا يزيد بن الهاد عن محمّد بن إبراهيم التميمي عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ إذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد قال فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم فقال هكذا حدثني أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثله .

وكان عمرو قصيرا».[1]

[٤٠]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى بَعْضِ عُمّالِهِ[2]:

أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ،

(١) أسد الغابة ؛ لابن الأثير ٤ : ١١٥ – ١١٨.

(٢) في هـ. د: بعض عماله وهو عبد اللّه بن العباس ـ م ن ل.

وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ[١].

بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ[٢] ٱلْأَرْضَ فَأَخَذْتَ ما تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَٱعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ ٱللّٰهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ ٱلنَّاسِ، وَٱلسَّلامُ[٣].

(١/ك ٤٠) مسؤولية الإمامة:

يشير المقطع إلى مسؤولية الإمانة في الاسلام، وقد طالب الإمام من يحمل مسؤولية بيت المال بالمحاسبة من دون اي اتهام موجه اليه من قبله، وان أشار إلى تقرير مرفوع شانه إلى الإمام باعتباره المسؤول الاول في القيادة، ولامام من جانبه لا يؤيد التقرير ولا ينفيه، بل يذكر واقع الحال الذي من جانبه يتطلب بيان الحال من جانب المسؤول فقال:

١ ـ (أما بعد، فقد بلغني عنك أمر) وليس لهذا التقرير المرفوع باعتباري مسؤولاً اي التزام ولا حقيقة حتى يتبين موقفك وتدافع عن نفسك بحرية.

٢ ـ (إن كنت فعلته) وكان الخبر المرفوع صادقا؛ فإنّ ذلك يستلزم اموراً ثلاثة:

أوّلاً: (فقد أسخطت ربك)؛ فإنّ اموال بيت المال امانة، والله أكّد على رعاية الامانة بقوله:(لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم﴾.[٤]

ثانياً: (وعصيت إمامك)؛ فإنّ المسؤول يمثل الإمام في تطبيق حكم الله في المجتمع، وخيانة الإمامة كما انّه هو خيانة لحكم الله، فهو خيانة للإمام ايضا:

ثالثاً: (وأخزيت أمانتك) والخزي: الرزية؛ فإنّ الإمانة في ذاتها مسؤولية، والمحافظة عليها براءة من العيوب، والخيانة زرية واردة عليها كالمرض في الشئ الصحيح .

ثم أشار إلى مضمون التقرير المرفوع من دون بيان المصدر له حتّى يكون المتهم حراً في القرار بالعمل بالواجب لتكذيب التقرير بالعمل الصريح، وهو كشف الحساب، فقال:

١ ـ (بلغني أنك جردت الأرض) والجرد: جعلها خالية مما فيه، ويعني بالارض بيت المال؛ فإنّ استهلاك ما فيه يجعله ارضا مجردة من المال.

٢ ـ(وأكلت ما تحت يديك) بمالك التصرف فيه من مال الناس باستخدامه في منافعك

---

(١) في هـ. ص: أي أهنتها وأذللتها، تمت من الشرح.
(٢) في هـ. ب: جرّدت، أي اخليت من النعمة واخذت، وفي هـ. ص: أي قشرتها، نسبه إلىٰ الخيانة في المال وإلىٰ خراب الأرض، انتهىٰ من الشرح.
(٣) لم ترد «والسلام» في أ و ب، وفي هـ. د: لم ترد «والسلام» في ش.
(٤) الانفال : ٢٧ .

الشخصية.

٣ ـ(فارفع إلي حسابك) فلا حاجة إلى المناقشة في سرد الاعذار وتكذيب الاخبار ومعرفة اسباب الاتهام؛ فإنّ كلّ ذلك ينتفي عند كشف الحساب ومعرفة مصارف المال.

وختم ذلك مهدداً بأن كشف الحساب المقروء لا يكون مقنعاً بل لابدّ من الصدق في اثبات الحقيقة، فقال:

٤ ـ (واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس. والسلام)؛ فإنّ التقرير الكاذب سينكشف بالحساب الدقيق ومهما زور المجيب بكشف حسابات مفتعلة فإنّ هذه ستنكشف على الناس؛ فإنّ الحقائق تظهر مهما طال الزمن، كما أن الله لهم بالمرصاد، فيصبح الخائن لعنة التاريخ.

وعن واقع الحال والمحاسبة وواجب الموقف روى الكشي ما لفظه:«روى علي بن يزداد الصائغ الجرجاني ، عن عبد العزيز بن محمّد بن عبد الاعلى الجزري ، عن خلف المحرومي البغدادي عن سفيان بن سعيد ، عن الزهري ، قال : سمعت الحارث يقول : استعمل علي عليه السلام على البصرة عبد الله بن عباس ، فحمل كل مال في بيت المال بالبصرة ولحق بمكة وترك عليا عليه السلام ، وكان مبلغه ألفي ألف درهم . فصعد علي عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فبكي ، فقال : هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله في علمه وقدره يفعل مثل هذا ، فكيف يؤمن من كان دونه ، اللهم إني قد مللتهم فأرحني منهم ، واقبضني إليك غير عاجز ولا ملول .
١١٠ – قال الكشي : قال شيخ من أهل اليمامة ، يذكر عن معلى بن هلال ، عن الشعبي ، قال : لما احتمل عبد الله بن عباس بيت مال البصرة وذهب به إلى الحجاز . كتب إليه علي بن أبي طالب : من عبد الله علي بن أبي طالب إلى عبد الله بن عباس أما بعد : فاني قد كنت أشركتك في أمانتي...».[1]

[٤١]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلى بَعْضِ عُمّالِهِ[2]:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ فِي

(١) اختيار معرفة الرجال ؛ للشيخ الطوسي ١ : ٢٧٩.
(٢) في ب زيادة: وهو عبد اللّه بن عباس، وفي هـ . ب: أحد الأخوين، إمّا عبد اللّه بن العباس وإما عبيداللّه بن العباس.

أَهْلِي[١] رَجُلٌ أَوْثَقَ[٢] مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي[٣]، وَأَدَاءِ ٱلْأَمَانَةِ إِلَيَّ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَ ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱبْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ[٤]، وَٱلْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ[٥]، وَأَمَانَةَ ٱلنَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ[٦]، وَهَذِهِ ٱلْأُمَّةَ قَدْ فَتِكَتْ[٧] وَشَغَرَتْ[٨]، قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ ٱلْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ ٱلْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ ٱلْخَائِنِينَ، فَلَا ٱبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ[٩]، وَلَا ٱلْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ.

وَكَأَنَّكَ[١٠] لَمْ تَكُنِ اللّٰهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ ٱلْأُمَّةَ عَن دُنْيَاهُمْ، وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ[١١] عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ ٱلشِّدَّةُ[١٢] فِي خِيَانَةِ ٱلْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ ٱلْكَرَّةَ[١٣]، وَعَاجَلْتَ ٱلْوَثْبَةَ، وَٱخْتَطَفْتَ[١٤] مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ ٱلْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِم، ٱخْتِطَافَ ٱلذِّئْبِ ٱلْأَزَلِّ[١٥] دَامِيَةَ ٱلْمِعْزَى ٱلْكَسِيرَةَ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى ٱلْحِجَازِ رَحِيبَ[١٦] ٱلصَّدْرِ بِحَمْلِهِ[١٧]، غَيرَ مُتَأَثِّمٍ[١٨] مِنْ أَخْذِهِ، كَأَنَّكَ ـ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ ـ حَدَرْتَ[١٩] إِلَى[٢٠] أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ.

(ك ١/٤١) واقع الحال:

---

(١) في هـ. د: من أهلي ـ ب.
(٢) في هـ. ب: حالٌ.
(٣) في هـ. ب: معاونتي.
(٤) أي اشتد وخشن.
(٥) أي اشتد غضبه.
(٦) في هـ. ب: أي ذلت وهانت.
(٧) في ب: فتلت، وفي ص: فنيت، وفي أ د: فتنت، وفي هـ. ب و ص: في نسخة: فتكت، وفي هـ. د: فتكت ـ ض ح م ب ل.
(٨) في هـ. ص: أي خلت من الخير أو تفرقت.
(٩) في هـ. ب: من المواساة.
(١٠) في ب: فكأنك، وفي هـ. ب: في نسخة: وكأنّك.
(١١) في هـ. ب: غفلتهم.
(١٢) في هـ. ص: أي الحملة.
(١٣) في هـ. ب: الرجعة.
(١٤) في هـ. ب: استلبت.
(١٥) في هـ. ب: الذئب الأزِل: الّذي لا شعر على ظهره.
(١٦) في هـ. ب: واسع.
(١٧) في أ و ص و د: تحمله، وفي هـ. د: يحمله ـ ض ح ب ل.
(١٨) في هـ. ص: التأثّم: تجنّب الأثم، والتحرّج: تجنّب الحرج.
(١٩) في هـ. ب: رجعت.
(٢٠) في أ: في نسخة: على.

فقال الإمام عليه السلام عن توقعاته الشخصية:

١ ـ (أما بعد، فإني كنت أشركتك في أمانتي) وهي امانة القيادة حيث جعله واليا على البصرة.

٢ ـ (وجعلتك شعاري وبطانتي) والشعار: ما يظهر على البدن من اللباس، والبطانة: داخلها، فكان لابن عباس دوراً وفي المجالس الخاصة والعامة في تمثيل الإمام.

٣ ـ(ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي) في المجالات الثلاث الاتية:

أوّلاً: (لمواساتي) والمواساة: المشاركة في الآحزان كما يحس بها الانسان.

ثانياً: (وموازرتي) والازر: النصر عند الحاجة.

ثالثاً: (وأداء الأمانة إلي) كما هو المطلوب من القريب نسبا، فإنّه اوثق من غيره عادة.

وبهذه النقاط يتوقع الاستقامة في المسؤولية من دون انزلاق لمن تجتمع فيه هذه الصفات التي لا تتوقع ممّن لا يتصف بها.

وعن واقع الحال قال:

أوّلاً: ـ (فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب) والكلب: الشدة

(والعدو قد حرب) أي اصبح قويا في الحرب بالغلبة، مشيراً إلى سقوط مصر.

ثانياً: (وأمانة الناس قد خزيت) والخزي: الرزى، حيث أن التصرف فيها من دون امر قيادي خزي للامانة.

ثالثاً: (وهذه الأمة قد فنكت وشغرت) والفنك: الهزال، والشغر: الفراغ، حيث لم تسقم امر الأمّة بالسير على السيرة النبوية في نظام الحكم بالشورى.

رابعاً: (قلبت لابن عمك ظهر المجن) وهو الترس؛ فإنّ قلبها علامة للاستلام.

ـ وذكر مظاهر ذلك وان لم يعلن الخروج عن الطاعة ولكن الاعمال كانت متشابهة من جهات:

١ ـ (ففارقته مع المفارقين) حيث لم تستمر في المقاومة.

٢ ـ (وخذلته مع الخاذلين) من الناكثين والقاسطين والمارقين.

٣ ـ(وخنته مع الخائنين) ممّن عاث بالاموال معلنا الخروج وان لم يعلن الخروج فلا فرق في النتيجة، فان ابن عباس لم يعلن المفارقة أو لم يسع في الخذلان ولم يعلن الخروج كما فعل المفارقون والخاذلون والخائنون غيره.

حيث أن ابن عباس من ناحية عملية متهم بهذه التهم التالية:

أوّلاً: (فلا ابن عمك آسيت)؛ فإنّ الصمود امام العدو مواساة وأنت لم تصمد.

ثانياً: (ولا الأمانة أديت) حيث اخذت الاموال معك.

ثالثاً: (وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك) بل كان للتغلب على السلطة كغيرك من اصحاب السياسات، مع انّك اعرف من غيرك بجهاد النبي وسيرته.

رابعاً: (وكأنك لم تكن على بينة من ربك) ممّن لم يكن له رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهدف الاسلامية، مع انّك في مرتبة عالية في العلم.

خامساً: (وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة) والكيد: الخدعة.

والى مظاهر الخدعة أشار بقوله:

١ ـ (عن دنياهم) بالاستيلاء على مصالح الدنيا للناس وابتزاز اموالهم.

٢ ـ (وتنوي غرتهم عن فيئهم) والغرة: الغفلة، والفيء: مال المسلمين.

٣ ـ (فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة) عند اضطراب الحالة السياسية والامنيّة قمت بما يلي:

أوّلاً: (أسرعت الكرة) أي الرجوع إلى ما تقتضيه المكيدة والخديعة.

ثانياً: (وعاجلت الوثبة) وهي الاستيلاء على المال بالعجلة.

ثالثاً: (واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم) فإنّها ليس سوى مال الشعب، ولابد أن تصرف في المصارف التي يفتقر اليها الشعب، وعد منها:

١ ـ (المصونة لأراملهم) من النساء اللاتي فقدن ازواجهن.

٢ ـ (وأيتامهم) ممّن فقد الابوين من المجتمع الاسلامي.

رابعاً: (اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة) والازل: السريع الجري؛ فإنّ الذئب عندما يختطف المعزى الدامية المكسورة يسرع في الجري كالسارق حتّى لا يؤخذ متلبسا بالجريمة.

وعن مصير مال المسلمين المتخطف قال:

١ ـ (فحملته إلى الحجاز) وهو موطن ابن عباس بالطائف ولا زال قبره هناك.

٢ ـ (رحيب الصدر بحمله) من دون شعور بالخيانة للامانة.

٣ ـ (غير متأثم من أخذه) من دون شعور بالذنب.

٤ ـ (كأنك لا أبا لغيرك) توبيخ يقال لمن يستحق التأديب.

٥ ـ (حدرت إلى أهلك تراثا من أبيك وأمك) والحدر: السرعة، والتراث: الارث، فكان هذا المال الذي هو المسلمين اصبح مالا موروثا لك.

(٢/ك ٤١) المحاسبة:

فَسُبْحانَ ٱللهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعادِ! أَوَ ما تَخافُ نِقاشَ[1] ٱلْحِسابِ! أَيُّهَا ٱلْمَعْدُودُ كانَ عِنْدَنا مِنْ أُولِي ٱلْأَلْبابِ[2]، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعاماً، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تأْكُلُ حَراماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتاعُ ٱلْإِماءَ وَتَنْكِحُ ٱلنِّساءَ مِنْ مالِ[3] ٱلْيَتامى وَٱلْمَساكِينِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمُجاهِدِينَ، ٱلَّذِينَ أَفاءَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ ٱلْأَمْوَالَ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ ٱلْبِلَادَ!

وسرد نقاط المحاسبة في هذا التصرف غير الاسلامي بقوله:

١ ـ (فسبحان الله ! أما تؤمن بالمعاد ؟)؛ فإنّ الايمان بالمعاد الذي هو يوم الحساب يناقض التصرف في مال المسلمين بهذه الصورة غير الشرعية.

٢ ـ (أو ما تخاف نقاش الحساب) يوم القيامة الذي حذّر منه القرآن الكريم والنبى الكريم في اكثر من موقع.

٣ ـ(أيها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب)؛ فإنّ هذه المواقف تناقض الصفات التي عرفناها عنك من الحكمة والمعرفة بالدين، فليس من اولي الالباب الذين يتمتعون بهذه الصفات.

٤ ـ (كيف تسيغ شرابا وطعاما) مع العلم الذي لك بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة، كيف سهل عليك الاكل والشرب في حياتك اليوميّة.

والحال لك كما ياتي:

أوّلاً: (وأنت تعلم أنك تأكل حراما) من مال المسلمين الذي اخذته من بيت المال.

ثانياً: (وتشرب حراما ؟)؛ لأنّه ليس المال لك.

ثالثاً: (وتبتاع الإماء).

رابعاً: (وتنكح النساء) بالاموال التي ليست لك، بل هي كالاتي:

---

(١) في أ و د: من نقاش، ولم ترد «من» في ح ص ب ش.
(٢) في هـ. د: أولي الالباب ـ ح.
(٣) في ط: أموال، وفي هـ. د: أموال ـ ح.

١ ـ (من مال اليتامى) الذي فقدوا الابوين.

٢ ـ (والمساكين) الذين ليس لهم طعام يومهم وليلتهم.

٣ ـ(والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد) وانت لست منهم، وان كنت مؤمنا بالله ولكن لست ممّن يستحق مال المسلمين المخصص لمن قام بواجب الجهاد واستحق الفيء جزاءً لما قدم من واجب تجاه الوطن الاسلامي.

(٣/ ك ٤١) **واجب الموقف:**

فَاتَّقِ ٱللهَ وَٱرْدُدْ إِلَى هَؤلاءِ ٱلْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي ٱللهُ مِنْكَ، لَأُعْذِرَنَّ إِلَى ٱللهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي ٱلَّذِي ما ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ ٱلنَّارَ.

وَٱللهِ[١] لَوْ أَنَّ ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ ٱلَّذِي فَعَلْتَ، ما كانَتْ لَهُما عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُما، وَأُزِيحَ[٢] ٱلْباطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِما.

وَأُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ ٱلْعالَمِينَ[٣] ما يَسُرُّنِي أَنَّ ما أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوالِهِمْ حَلَالٌ لِي، أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحِّ رُوَيْداً[٤] فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ ٱلْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ ٱلثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمالُكَ بِالْمَحَلِّ ٱلَّذِي يُنادِي ٱلظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى ٱلْمُضَيِّعُ فِيهِ ٱلرَّجْعَةَ، وَلاتَ حِينَ مَناصٍ! والسلام[٥].

وإلى واجب الموقف أشار بالتوبة والرجوع إلى الله بقوله:

١ ـ (فاتق الله، واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم)؛ لأنّ المال ليس لك، فانت غاصب لاموال غيرك، فيجب أن ترد المال إلى اصحابه.

٢ ـ (فإنك إن لم تفعل، ثمّ أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك) بتطبيق العقوبات الاسلامية حتّى يكون العذر عند الله بعدم التفضيل بين الاقرباء وغيرهم.

(١) في أ و ب: واللّه، وفي هـ . ب: في نسخة: وواللّه، وفي ص: واللّه، وفي هـ . ص: في نسخة: وواللّه.

(٢) في هـ . د: أزيل ـ ض ب.

(٣) قوله: «وأقسم باللّه» هذا زهد واستهانة بالدنيا، والكلام الأوّل ورع وتقوى. وقوله: «أتركه ميراثاً»، يريد: بل يسرني أن انفقه في سبيل اللّه ان كان لي.

(٤) في هـ . ب: فضحّ، أي أظهر، وفي هـ . ص: قوله: «فضحّ رويدا» قال في الشرح: كلمةٌ تقال لمن يؤمر بالتؤدة والأناة والسكينة، وأصلها: الرجل يطعم إبله ضحىً ويسيرها مرعى لتسير فلا يشبعها فيقال له: ضحّ رويداً، انتهىٰ.

(٥) لم ترد «والسلام» في أ و ط و د، وفي هـ . د: في ش زيادة: والسلام.

٣ ـ(ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلّا دخل النار)؛ لأنّه سيف لم يسل إلّا في سبيل الله وتطبيق حكم الله.

ثم اكد على هذا الموقف الاسلامي العادل بقوله:

٤ ـ (ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت) بالرغم من انهما في النسب اقرب من ابن عباس واعز على الإمام لمكان قربهما من الرسول ﷺ نسبا.

٥ ـ (ما كانت لهما عندي هوادة) وهي الصبر على العقوبة، بل كنت أطبق في حقهما حكم الله كما أطبقه في حق أي انسان اخر من المسلمين.

٦ ـ (ولا ظفرا مني بإرادة) شئ مخالف لحكم الله سبحانه.

٧ ـ (حتى آخذ الحق منهما وأزيح الباطل من مظلمتهما) فليست رابطة القربى بين ابن عباس وبين الإمام بأعز من رابطة الحسنين.

واكد للمرة الثانية مقسما بقوله:

١ ـ (وأقسم بالله رب العالمين ما يسرني أن ما أخذت من أموالهم حلال لي أتركه ميراثا لمن بعدي) فليست هذه المطالبة لمال المسلمين مطالبة لمصلحة شخصية، بل لابدّ وان يرجع إلى اصحابها من الذين سردهم من الذين يكون مال المسلمين لهم.

موعظة اخيرة:

وختم الكتاب بموعظة اخيرة مذكرة بالآخرة بقوله:

١ ـ (فضح رويدا) الضح: الرعي في الضحى، حيث يسود الدنيا الضياء للرؤية، ورويداً: بمعنى التأني، فان الرؤية الواضحة لدفعة واحدة في الحياة تكفي لتغيير الموقف واعطاء حقوق الفقراء إلى اصحابهم.

٢ ـ (فكأنك قد بلغت المدى) وهو الغاية من الحياة، اشارة إلى الموت.

٣ ـ(ودفنت تحت الثرى) في القبر.

٤ ـ (وعرضت عليك أعمالك) ومنها الاستيلاء على اموال المسلمين والفقراء والمحتاجين وغيرهم.

٥ ـ (بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ، ويتمنى المضيع الرجعة) وهو عدم القيامة، اشارة الى قوله تعالى:﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) وقوله

تعالى:﴿حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها﴾.[1]

وقوله تعالى:﴿حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ○ لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾.[2]

وختم بقوله: (ولات حين مناص) أي لا مفر من ذلك في ذلك الحين، والله المعين.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«

[اختلاف الرأي فيمن كتب له هذا الكتاب]

وقد اختلف الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب ، فقال الأكثرون : إنه عبد الله بن العباس رضي الله عنه ، ورووا في ذلك روايات ، واستدلوا عليه بألفاظ من ألفاظ الكتاب كقوله : أشركتك في أمانتي ، وجعلتك بطانتي وشعاري ، وأنه لم يكن في أهلي رجل أوثق منك ، وقوله : على ابن عمك قد كلب ، ثم قال ثانيا : قلبت لابن عمك ظهر المجن ،ثم قال ثالثا : ولابن عمك آسيت ، وقوله : لا أبا لغيرك ، وهذه كلمة لا تقال إلا لمثله ، فأما غيره من أفناء الناس ، فإن عليا عليه السلام كان يقول : لا أبا لك . وقوله : أيها المعدود كان عندنا من أولى الألباب . وقوله : لو أن الحسن والحسين عليهما السلام ، وهذا يدل على أن المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجرى مجراهما عنده . وقد روى أرباب هذا القول أن عبد الله بن عباس كتب إلى علي عليه السلام جوابا من هذا الكتاب ، قالوا : وكان جوابه : أما بعد ، فقد أتاني كتابك تعظم على ما أصبت من بيت مال البصرة ولعمري إن حقي في بيت المال أكثر مما أخذت ، والسلام : قالوا : فكتب إليه علي عليه السلام : أما بعد ، فإن من العجب ان تزين لك نفسك أن لك في بيت مال المسلمين من الحق أكثر مما لرجل واحد من المسلمين ، فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل ، وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المأثم ، ويحل لك المحرم ، إنك لأنت المهتدي السعيد إذا ! وقد بلغني أنك أتخذت مكة وطنا ، وضربت بها عطنا . تشترى بها مولدات مكة والمدينة والطائف ، تختارهن على عينك ، وتعطى فيهن مال غيرك ، فارجع هداك الله إلى رشدك وتب إلى الله ، ربك واخرج إلى المسلمين من أموالهم ، فعما قليل تفارق من ألفت وتترك ما جمعت ، وتغيب في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد فارقت الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، غنيا عما خلفت ،

---

(١) الانعام : ٣١.

(٢) المؤمنون : ٩٩.

فقيرا إلى ما قدمت ، والسلام .

قالوا : فكتب إليه أبن عباس : أما بعد ، فإنك قد أكثرت على ، ووالله لان ألقى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلها ، وذهبها وعقيانها ولجينها ، أحب إلى من أن ألقاه بدم امرئ مسلم والسلام .

وقال آخرون وهم الأقلون : هذا لم يكن ، ولا فارق عبد الله بن عباس عليا عليه السلام ولا باينه ولا خالفه ، ولم يزل أميرا على البصرة إلى أن قتل علي عليه السلام . قالوا : ويدل على ذلك ما رواه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني من كتابه الذي كتبه إلى معاوية من البصرة لما قتل علي عليه السلام ، وقد ذكرناه من قبل ، قالوا : وكيف يكون ذلك ولم يخدعه معاوية ويجره إلى جهته ، فقد علمتم كيف اختدع كثيرا من عمال أمير المؤمنين عليه السلام واستمالهم إليه بالأموال ، فمالوا وتركوا أمير المؤمنين عليه السلام ، فما باله وقد علم النبوة التي حدثت بينهما ، لم يستمل أبن عباس ، ولا اجتذبه إلى نفسه ، وكل من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقة أبن عباس لمعاوية بعد وفاة علي ع ، وما كان يلقاه به من قوارع الكلام ، وشديد الخصام ، وما كان يثنى به على أمير المؤمنين عليه السلام ، ويذكر خصائصه وفضائله ، ويصدع به من مناقبه ومآثره ، فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الامر كذلك ، بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر من أمرهما . وهذا عندي هو الأمثل والأصوب . وقد قال الراوندي : المكتوب إليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن العباس لا عبد الله ، وليس ذلك بصحيح ، فإن عبيد الله كان عامل علي عليه السلام على اليمن ، وقد ذكرت قصته مع بسر بن أرطاة فيما تقدم ، ولم ينقل عنه أنه أخذ مالا ، ولا فارق طاعة . وقد أشكل على أمر هذا الكتاب ، فإن أنا كذبت النقل وقلت : هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام ، خالفت الرواة ، فأنهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه ، وقد ذكر في أكثر كتب السير . وإن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته . وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام ، والكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله وبني عمه ، فأنا في هذا الموضع من المتوقفين !».[(١)]

قال الجلالي: ولا حاجة إلى التوقف من الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) فانه

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٦٩ ـ ١٧٢.

ايضا يقول بعصمته، وهو كسائر الناس قد يستدربهم هذه الحالات الشاذة، وقد رايت في عمري القصير حالات مشابهة من الناس يعرفون بالورع والعلم ويعترفون لمعاصريهم كذلك، ومع ذلك يخونون في نقل الاقوال وادلتهم الباطلة لاجل المال، فكيف بالمبلغ المذكور وهو ٢/٠٠٠/٠٠٠ البالغ مليوني دينار نقداً، والاعتبار يساعد على ذلك؛ فإنّ عليا كان اول من اخبره بسقوط مصر في الكتاب ٣٦، فيكون ابن عباس وهو عامله على البصرة قد احس بالخطر على نفسه، وراى أن الافضل أن يهرب بالمال إلى مامن من فلول العدو في المدينة.

وهو على علم بهم من عهد طلحة والزبير.

وليس ذلك خيانة بالإمام؛ اذ لو اراد الخيانة لالتحق بمعاوية في اكثر من مناسبة، بل خطأ في القرار، حيث اختار القرار على الاستقرار والجهاد ضد العدو، وهذا هو شأن السياسيين في المواقف المشابهة.

وما اعظم الإمام القائد الذي لم يحد عن مواقفه في اعلان الحقائق على الشعب المسلم من دون تحريف أو تزوير، فيزداد المؤمنين بمبادي الصراحة والتلاحم مع الشعب ايمانا بصدق القائد، ويتخلف المراوغ فيتخلص الإمام من مراوغته.

[٤٢]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ٱلْمَخْزُومِيِّ، وَكانَ عامِلَهُ عَلَى ٱلْبَحْرَيْنِ[١]، فَعَزَلَهُ وَٱسْتَعْمَلَ ٱلنُّعْمانَ بْنَ عَجْلانَ ٱلزُّرَقِيَّ مَكانَهُ:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ ٱلنُّعْمانَ بْنَ عَجْلَانَ ٱلزُّرَقِيَّ عَلَى ٱلْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ[٢]، وَلَا تَثْرِيبٍ[٣] عَلَيْكَ؛ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ ٱلْوِلَايَةَ، وَأَدَّيْتَ ٱلْأَمانَةَ. فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ[٤] وَلَا مَلُومٍ، وَلا مُتَّهَمٍ وَلا مَأْثُومٍ، فَقَدْ أَرَدْتُ ٱلْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ[٥] أَهْلِ ٱلشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ[٦] عَلى جِهادِ ٱلْعَدُوِّ، وَإِقامَةِ عَمُودِ ٱلدِّينِ، إِنْ شاءَ ٱللّٰهُ.

---

(١) إلى هنا ورد في أ، ولم يرد فيه «وكان».
(٢) في هـ. د: لم ترد «لك» في ب.
(٣) في هـ. ص: هو الاستقصاء في اللوم.
(٤) الظنين: المتّهم.
(٥) جمع ظالم.
(٦) أي استعين به.

(ك ٤٢/١) **ومن كتاب له**عليه السلام:

إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي، وكان عامله على البحرين، فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه.

ان موقف المسلمين عن اية شخصية وعزلهم لابدّ وان يستند إلى سبب موجب لذلك، فلا تكون النصب الا عند تواجد المؤهلات المطلوبة في جهة التمثيل، كما لا يكون العزل إلّا لسبب موجب لذلك من قصور غير متعمد أو تقصير متعمد أو سبب اخر، والإمام على عادته في السياسة المفتوحة يعرفها الشعب المسلم، ويستجيب من يستجيب بحرية وارادة اعلن السبب في هذا الكتاب الذي عزل به عمر بن أبي مسلمة المخزومي من تمثيله في ولاية البحرين التاريخية التي تضم دولة البحرين والمنطقة الشرقية من السعودية اليوم، فقال:

١ ـ (أما بعد، فإني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين) وربما كان اختاره لعدم وجود بديل اخر.

٢ ـ (ونزعت يدك) من ولاية البحرين.

وعن السبب قال:

أوّلاً: (بلا ذم لك) من اداء المسؤولية الملقاة على عاتقك.

ثانياً: (ولا تثريب) وهو اللوم على عمل غير مرغوب فيه صدر منك قصورا أو تقصيرا.

ثمّ أكّد على ذلك بقوله:

(فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة) كما يجب عليك.

(فأقبل غير ظنين) والظنة: التهمة.

(ولا ملوم) على عمل غير مرضي.

(ولا متهم) بامر غير مرغوب فيه.

(ولا مأثوم) بأمر غير مشروع.

ثالثاً: (فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام) في حرب صفين في مواجهة الظالمين (وأحببت أن تشهد معي) وتشترك في الحرب بسبب المؤهلات التي يراها الإمام فيه، (فإنك ممّن استظهر به) والاستظهار: طلب العون وشد الظهر.

وعن الهدف في هذا الطلب أشار إلى امرين:

الأوّل: (على جهاد العدو) بما يظهر فيه تواجد مؤهلات شخصية وخبرة سابقة يفتقر اليها ساحة الحرب بما لا يوجد في البديل وهو النعمان بن عجلان الرزقي، فقد جاء في تاريخ اليعقوبي (٢: ٢٠١) أن النعمان اخذ يعطي كلّ من جاء من رزيق من بيت المال، ولما ذكره الإمام بالانضباط في حقوق المسلمين حمل ما بقي لديه من المال ولحق بمعاوية مما يكشف عن عدم رؤية واضحة له في المسؤوليات في التصرف في ما لا ينبغي في بيت المال أساساً، ثمّ زاده انحرافا باللحاق بعدو الإمام، مما يكشف ايضا عن تغلغل الدعايات الاموية بالتأثير على النصوص الضعيفة من الهروب من مواقع المسؤولية لضعف جبهة الإمام عليه السلام.

الثاني:(وإقامة عمود الدين) وهو تطبيق حكم الله سبحانه في المجتمع الاسلامي؛ استنادا إلى الى القرآن الكريم والسنة النبوية، بما يكشف عن رؤية واضحة للمخزومي.

وكان من مواقفه الثابتة انه لم يختر اي مكان للحياة سوى المدينة المنورة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[عمر بن أبي سلمة ونسبه وبعض أخباره]

أما عمر بن أبي سلمة فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأبوه أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ، يكنى أبا حفص ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة ، وقيل : إنه كان يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ابن تسع سنين ، وتوفى في المدينة في خلافة عبد الملك سنه ثلاث وثمانين ، وقد حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وآله الحديث ، وروى عنه سعيد بن المسيب وغيره ، ذكر ذلك كله ابن عبد البر في كتاب ، الاستيعاب ،

) النعمان بن عجلان ونسبه وبعض أخباره (وأما النعمان بن عجلان الزرقي فمن الأنصار ، ثم من بني زريق ، وهو الذي خلف على خولة زوجة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بعد قتله ، قال) ابن (عبد البر في كتاب ، ، الاستيعاب ، ، :كان النعمان هذا لسان الأنصار وشاعرهم ، ويقال إنه كان رجلا أحمر قصيرا تزدريه ، العين ، إلا أنه كان سيدا ، وهو القائل يوم السقيفة :

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبو بكر لها خير قائم وإن عليا كان أخلق بالامر

وإن هوانا في علي وإنه لأهل لها من حيث يدرى ولا يدري

قوله :) ولا تثريب عليك (، فالتثريب الاستقصاء في اللوم ، ويقال : ثربت عليه وعربت عليه ، إذا قبحت عليه فعله . والظنين : المتهم ، والظنة التهمة والجمع الظنن ، يقول : قد أظن زيد عمرا ، والألف ألف وصل ، والظاء مشددة ، والنون مشددة أيضا ، وجاء بالطاء المهملة أيضا ، أي اتهمه . وفى حديث أبن سيرين : لم يكن علي عليه السلام يظن في قتل عثمان ، الحرفان مشددان وهو يفتعل من) يظنن (وأدغم قال الشاعر :

وما كل من يظنني أنا معتب وما كل ما يروى على أقول ».[1]

وقال ابن الأثير في أسد الغابة:« ب د ع ، عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله لان أمه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله تقدم ذكره قبل هذه الترجمة عند ذكر أبيه عبد الله بن عبد الأسد يكنى أبا حفص ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة وقيل إنه كان له يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله تسع سنين وكان يوم الخندق هو وابن الزبير في أطم حسان بن ثابت الأنصاري وشهد مع علي الجمل واستعمله على البحرين وعلى فارس وتوفي بالمدينة أيام عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وثمانين روى عن النبيأحاديث روى عنه سعيد بن المسيب وأبو امامة بن سهل ابن حنيف وعروة بن الزبير أخبرنا إسماعيل بن علي وغيره قالوا باسنادهم عن أبي عيسى الترمذي أخبرنا عبد الله بن الصباح الهاشمي حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده طعام فقال يا بني ادن فسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك أخرجه الثلاثة».[2]

وقال ابن الأثير في أسد الغابة:« ب د ع، النعمان بن العجلان بن النعمان بن عامر بن زريق الانصاري الزرقي وكان شاعرا فصيحا سيدا في قومه أتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقال كيف تجدک يا نعمان قال أجدني أوعك فقال اللهم شفاء عاجلا ان كان عرض مرض أو صبرا على بلية ان أطلت أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك ان قضيت أجله وتزوج النعمان خولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهم بعد قتله ومن شعره يذكر أيام الانصار في الاسلام ويذكر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٧٣ ـ ١٧٤.
(٢) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٤ : ٧٩.

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ويوم حنين والفوارس في بدر
وأصحاب أحد والنضير وخيبر ونحن رجعنا من قريظة بالذكر
ويوم بأرض الشأم إذ قتل جعفر وزيد وعبد الله في علق يجري
نصرنا وآوينا النبي ولم نخف صروف الليالى والعظيم من الامر
وقلنا لقوم هاجروا مرحبا بكم وأهلا وسهلا قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا كقسمة ايسار الجزور على الشطر

وهى طويلة واستعمله على بن أبى طالب على البحرين فجعل يعطى كل من جاءه من بني زريق، فقال فيه الشاعر:

أرى فتية قد ألهت الناس عنكم فندلا زريق المال من كل جانب
فان ابن عجلان الذى قد علمتم يبدد مال الله فعل المناهب
يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ويخرجن من دارين بجرا الحقائب

أخرجه الثلاثة».[1]

[٤٣]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى مصقلة بن هُبيرة الشّيباني وهو عامله على أردشير خُرّة[2]:

اردشير خورة منطقة في فارس ايران، تعرف اليوم بفيروزاباد، وتقع على خط الطول ٥٢ درجة و ٣٤ ثانية، وخط العرض ٢٨ درجة و ٥٠ ثانية، وتقدمت اخباره في الخطبة ٤.

(ك ١/٤٣) **ومن كتاب له عليه السلام:**

بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلٰهكَ، وَأَغْضَبْتَ[3] إِمَامَكَ؛ أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ ٱلْمُسْلِمِينَ ـ ٱلَّذِي حازَتْهُ رِماحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِماؤُهُمْ ـ فِيمَنِ ٱعْتَامَكَ[4] مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ. فَوَ ٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ، لَئِنْ كانَ ذلِكَ حَقّاً، لَتَجِدَنَّ بِكَ[5] عَلَيَّ

---

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٥ : ٢٦.
(٢) في هـ. ب: أردشير خرة: إسم بلد.
(٣) في ط: وعصيت.
(٤) في ب: أعماك، وفي هـ. ب: في نسخة: إعتماك، وفي هـ ا و ب : أي اختارك، وفي هـ. ب: أي أحببت، وفي هـ. د: اعتامك ـ ض ح ب، أعماك ـ ش.
(٥) في ط: لك.

هَوَاناً[١]، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً. فَلَا تَسْتَهِنْ[٢] بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلا تُصْلِحْ دُنْياكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ ٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً.

أَلا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنا[٣] مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا ٱلْفَيْء سَوَاءٌ، يَرِدُونَ عِنْدِي[٤] عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ[٥].

استهل الإمام خلافته بسياسة واضحة من السير على كتاب الله وسنة النبي في كافة مجالاب الحياة ومنها: الحياة الاقتصادية، واعلن أن سياسته الادارية تبتني على التسوية في العطاء بين المسلمين جميعاً ممن له الاستحقاق، من دون أي تفضيل للطبقات بعضها على بعض من دون استحقاق، فكان الاقبال الجماهيري لبيعة الإمام.

ويظهر أن كثيراً من اصحاب الطبقات ظنوا أن ذلك شعارا سياسيا يمكن تحريفها وتلينها على مرور الزمن، وعلى هذا الاساس دخلوا في بيعته ولما وجدوا صلابة الإمام في مبادئه خرج هؤلاء في مناسبات مختلفة، وكان اولهم طلحة والزبير، ومنهم وليس اخرهم: مصقلة الشيباني هذا.

ويلاحظ في كتاب الإمامعليه السلام الامل في نشر الوعي الاسلامي بين هؤلاء باعتبارهم اصحاب نفوذ، ويكون انعزالهم عن صف الإمام أو خروجهم ضربة روحية على معنويات المسؤولية التي تحملها، فخاطب مصقلة ـ كما خاطب غيره ـ بأسلوب فيه التركيز على المبادي والدعوة إلى الالتزام بالمسؤولية فقال:

١ ـ (بلغني عنك أمر) فلا اتهام من جانب القيادة، بل هو مجرد اعلام لاستعلام الحقيقة من كل الاطراف التي لها علاقة بهذا الموضوع، حتّى يقول كلّ كلمته، ويتخذ الإمام القرار المناسب من حيث مسؤوليته القيادية.

٢ ـ (إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك)؛ فإنّ التخلف عن المسؤولية يوجب سخطه تعالى، والحكم في ذلك يرجع الى الله سبحانه في يوم القيامة.

٣ ـ(وأغضبت إمامك) باعتبارك ممثلا للدولة التي ترأسها، وهذا العصيان مخالفة

---

(١) في هـ. ب: أي أنت عندي ذليل.
(٢) في هـ. ب: من الاستهانة.
(٣) «قِبَل» ـ بكسر ففتح ـ: ظرف بمعني «عند».
(٤) لم ترد «عندي» في ب، وكتب عليها في ص:« نسخة».
(٥) في هـ. ب: يردون ويأخذون ويرجعون.

قانونية لها جزاؤها العادل من العقوبة في الدنيا.

وعن موضوع الاتهام قال:

٤ ـ (أنك تقسم في المسلمين) وهو بيت مال المسلمين الذي له مسؤوليات محددة في القانون الاسلامي .

وهو حق للمسلمين جميعا ممّن يتواجد فيه الصفات التالية:

أوّلاً: (الذي حازته رماحهم وخيولهم) في المسلمين المحاربين الذين استحقوها بقيامهم بالواجب العسكري بالوسائل الحربية المستخدمة انذاك من الرماح والخيول.

ثانياً: (وأريقت عليه دماؤهم) من شهداء المسلمين الذي سقطوا في المعركة، وخلفوا الارامل والايتام.

فان مال المسلمين يجب أن تصرف على هؤلاء من المسلمين؛ لاستحقاقهم ذلك، دون من لم يستحق ذلك.

والتقرير يفيد عكس ذلك، وانك صرفتها في المصالح الشخصيّة:

٥ ـ (فيمن اعتامك من أعراب قومك) والاعتام: المختار، أي المفضلين عندك من عشيرتك الذين لم يستحقوا من بيت مال المسلمين؛ لعدم مشاركتهم الحرب، وانهم ليسوا يتامى أو ارامل.

وهذا التصرف من المسؤول الاداري في مال المسلمين خيانة تستحق العقاب القانوني.

وعن العقوبة الاسلاميّة قال مؤكداً:

أوّلاً: (فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة) وهو الله سبحانه خالق الزرع والانسان.

(لئن كان ذلك حقا) فهذا التقرير لا يؤخذ به الا بعد التحقيق الكامل، فاذا ظهر كونه حقا يستحق العقوبة والا فلا.

ثانياً: (لتجدن بك علي هوانا) فإنّه على اقل الفروض اهمال للمسؤولية، وذلك هون لازم في حق من يهمل مسؤولية في الحياة وبعد الحياة.

ثالثاً: (ولتخفن عندي ميزانا) حيث أن الثقة تقتضي ـ ان لم ينعدم ـ فلا يكون له الاحترام الذي يكون للرجل الموثوق به، فيكون ميتا بين الاحياء.

ثم وعظه بما يقتضيه الموقف فقال:

١ ـ (فلا تستهن بحق ربك) ظنا بان موقع المسؤولية يبرر ما يتخذه المسؤول من قرار لا لشئ سوى موقع الوظيفة؛ فإنّ استخدام الوظيفة لغرض الارادة الشخصية خيانة، وليس للموظف أن يتعدى وظيفته مهما كانت الظروف.

٢ ـ (ولا تصلح دنياك بمحق دينك) بالتفضيل للعشيرة والاقرباء والاصدقاء على ما تتطلب الوظيفة والتعدي على حدود الوظيفة.

٣ ـ(فتكون من الأخسرين أعمالا) اما في الآخرة فحسابه على الله، واما في الدنيا فلا تخفى الحقائق على الناس ومن يدرس التاريخ، فيكون والى الابد نقطة سوداء في تاريخ حياته.

التسوية في العطاء.

ثم ختم المقطع بالسياسة الواضحة المعلنة من الامام وهي التسوية في العطاء، فقال:

(ألا وإن حق من قبلك [اي عندك] وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفئ سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه) فان القيادة المركزية لها مسؤولياتها ومنها النظر في حاجة المسلمين في كلّ انحاء الدولة وليست منطقة خاصة مفضلة لاسباب شخصية أو عوامل قبلية وما شابه، فلابد وان يكون للقيادة المركزية الحق في هذا القرار، فيكون امر مال المسلمين بينها فترد عنده الحقوق المالية، ومنها تصدر القرارت بشأنها.

ومقارنة هذا الكتاب الموجه إلى مصقلة بالخطبه ٤٤ في حادثة بني ناجية يظهر أن مصقلة ـ وربما غيره من المتخلفين عن الإمام ـ كان يخطط للصلاحيات الخاصة لنفسه باعتباره المسؤول عن المنطقة، فله أن يكون صاحب استقلال في المنطقة من دون مراجعة للقيادة المركزية المتمثلة بالإمام عليه السلام.

وطبيعيّ أن دعوى الاستقلالية تنافي تمثيل الإمام فيها، فانهما لا يجتمعان، وحينما وجد مصقلة أن هذا لا ينطلي على الإمام فر إلى معاوية، فكان من الآخسرين اعمالا في الدنيا والآخرة، اما في الدنيا؛ فإنّ بقاءه ممثلا للإمام والقيادة الشرعية كان عملاً بالوظيفة المطلوبة من أي موظف حكومي، وفرارة إلى العدو ـ مهما كانت مبرراته ـ يعتبر خيانة بالوظيفة التي تقبلها طوعا، والخيانة افضع لانها نقطة سوداء في تاريخ الإنسان والله العاصم.

[٤٤]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى زِيادِ بْنِ أَبِيهِ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ مُعاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ يُرِيدُ خَدِيعَتَهُ بِاسْتِلْحاقِهِ:

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ(١) لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ(٢) غَرْبَكَ(٣)، فَاحْذَرْهُ فَإِنَّما هُوَ ٱلشَّيْطانُ يَأْتِي ٱلْمُؤْمِنَ(٤) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ؛ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ(٥)، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ(٦).

وَقَدْ كانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ فَلْتَةٌ(٧) مِنْ حَدِيثِ ٱلنَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغاتِ ٱلشَّيْطانِ، لا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَٱلْمُتَعَلِّقُ بِها كَالْوَاغِلِ ٱلْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ ٱلْمُذَبْذَبِ.

فَلَمَّا قَرَأَ زِيادُ ٱلْكِتابَ(٨) قَال: شَهِدَ بِهَا وَرَبِّ ٱلْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ٱدَّعاهُ(٩) مُعاوِيَةُ.

قال الرضي رحمه اللّه تعالى(١٠):

قَوْلُهُ عليه السلام: «ٱلْواغِلُ»: هُوَ ٱلَّذِي يَهْجُمُ عَلَى ٱلشُّرَّبِ(١١) لِيَشْرَبَ مَعَهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَلَا يَزَالُ مُدَفَّعاً(١٢) مُحاجَزاً.

(١) في ط: يستنزل، وفي هـ ب:في نسخة:يستزلّك، وفي هـ ص:أي يطلب زلله، واللب :العقل.
(٢) في هـ . ب: يستكلّ، وفي هـ . ص: أي يجعله مفلولاً.
(٣) في هـ . ب: جدك، وفي هـ . ص: الغرَب: الجدّ.
(٤) في ط: المرء.
(٥) في هـ . ب: ليقتحم، أي ليدخل في غفلته.
(٦) في هـ . ب: يحتلب غفلته.
(٧) في هـ . ب: أي ادّعى ابوسفيان زياداً ولده في زمان عمر، وفي هـ . ص: الفلتة هي الأمر تقع عن غير تبيّن ولا رويّة، روىٰ أحمد بن يحيىٰ البلاذري قال: تكلّم زياد وهو غلام حدث بحضرة عمر كلاماً أعجب الحاضرين، فقال عمرو بن العاص: للّه أبوه لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه، فقال أبوسفيان: أما واللّه انّه لقرشي، ولو عرّفته لعرفت أنّه من خير أهلك، فقال: ومن أبوه؟ فقال: أنا واللّه وضعته في رحم اُمّه، فقال: فهلا استلحقته، قال: أخاف هذا العَيْر الجالس أن يخرق عليّ إهابي، انتهىٰ من شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٨١.
(٨) في ب: كتابه، وفي هـ . ص: في نسخة: كتابه.
(٩) في هـ . ب: إدعاه معاوية بأخويته.
(١٠) لم ترد «قال الرضي رحمه اللّه تعالى» في أ و ب و ص و د.
(١١) في هـ . ص: هم جماعة الشراب.
(١٢) هـ . ص: مدفوعاً.

وَ«ٱلنَّوْطُ ٱلْمُذَبْذَبُ»: هُوَ ما يُنَاطُ[1] بِرَحْلِ ٱلرَّاكِبِ مِنْ قُعْبٍ أَوْ قَدَحٍ، أَوْ ما أَشْبَهَ ذلِكَ، فَهُوَ أَبَداً يَتَقَلْقَلُ إِذا حَثَّ ظَهْرَهُ، وَٱسْتَعْجَلَ سَيْرَهُ.

(١ / ك ٤٤) ومن كتاب له عليه السلام:

إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه .

الاسلام باعتباره القانون الالهي الذي اختاره رب العالمين للناس اجمعين، وبشر به الأنبياء من قبل، وطبقه سيد المرسلين، وهو يتضمّن كلّ مايحتاجه الإنسان في الحياة العباديّة والاجتماعية والاقتصاديّة والسياسية على ما هو مشروح في الفقه الاسلامي المقارن، ومنها قانون النسب، وقد اعلن الرسول القائد بقوله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر». (راجع المادّة في المعجم) فلا يثبت النسب بالزنا من وجهة نظر الاسلام، ولا يختلف في ذلك احد من المسلمين وان كانت العادات الجاهلية تعتمد في الانساب على القافة، وكان للقافة والعرافين في ذلك سوق هدمه الاسلام .

وفي عصرنا يحاول الخبراء تحديد النسب بالجينات المستنسخة، والاسلام ابطل كلّ ذلك بأن لسبب الزوجية حرمة شرعية يجب رعايتها، واذا خالفت هذه الحرمة والعياذ بالله، لما استقر بيت، واختلطت الانساب، ومن هذه الجهة قام العلماء بحفظ الانساب وخاصة انساب البيت النبوي (راجع جريدة النسب).

واستلحاق معاوية لابي زياد كان تنفيذا للاعراف الجاهلية التي تناقض القوانين الاسلاميّة في النسب، فان ابن زياد كان من سمية التي زنا بها ابو سفيان.

وكان معاوية في موقفه معارضا لاحكام الاسلام عمليا في التطبيق، ومنها هذا الموقف الذي حذر منه الإمام وقال:

١ ـ (وقد عرفت أن معاوية كتب إليك) بما يظهر المعرفة الكاملة لتحركات العدو وخططه.

٢ ـ (يستزل لبك) الزلة: الوقوع في الخطأ، واللب: العقل، فالمقايضة على امور توجب رضى النفس وان كانت منافية للمنطق الاسلامي في الحياة.

٣ ـ(ويستفل غربك) الفل: ثلم العزيمة بنقضها، والغرب: حد السيف، كناية عن العزيمة

---

(١) في هـ. ص: أي يعلّق.

في الراي.

٤ ـ (فاحذره فإنما هو الشيطان)؛ فإنّ عدم الالتزام بالقوانين الاسلاميّة في النسب والرجوع إلى الاعراف الجاهلية من الشيطان الذي يهاجم الإنسان بكل الوسائل المحببة إلى نفسه.

٥ ـ (يأتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله) ومابينهما من الدرجات التي تبلغ ٣٦٠ درجة في الجوانب الاربع، وهو كناية عن كافة الطرق المحيطة به وهي على اقل الفروض (٣٦٠) طريق حيث درجات الدائرة المحيطة به.

وعن الهدف في ذلك كلّه قال:

(ليقتحم غفلته ويستلب غرته) والاقتحام: الدخول غفلة، والغفلة، البغتة من دون سابق اعلام أو انذار، والغرة: الغرور والسذاجة، فينتهز الفرصة للاستيلاء على عقل الإنسان ولبّه.

وعن القانون الاسلامي في النسب قال:

أوّلاً: (وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر فلتة) وهي ما يصدر من الإنسان خطأً حيث قال ابو سفيان: «واني أعرف الذي وضعه في رحم امه» يعنى بذلك نفسه، ولما قيل له: «فهلا استلحقته؟ قال: اخاف هذا العير الجالس أن يخرق اهابي» مشيرا إلى عمر بن الخطاب لشدته، لما هو ثابت اسلاميا بأن الزنا لا يثبت النسب، وكذلك وصفه الإمام بقوله:

ثانياً: (من حديث النفس ونزغة من نزغات الشيطان) والنزعة: الاغراء؛ لأنّ الزنا ليس من الاسلام في شيئ.

ثالثاً: (لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها إرث)؛ فإنّ السبب والارث متلازمان في حكم الاسلام، وولد الزنا لا يستحقّ الارث؛ لأنّه لا ينسب له النسب في الاسلام.

رابعاً: (والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب) والوغل: التطفل، والدفع: المنع، والنوط: الحزام الذي يربط به الدابة لاستحكامه في السير، وقد فسره الشريف احسن تفسير.

وأشار الإمام إلى أن ما استخدم حجة لابدّ وان يكون صادقا، وما لم يكن صادقا لا يكون حجة، وما ليس بحجة لا يثبت له أي اثر قانوني.

والفلتة هي الزنا التي لا شرعية لها في الاسلام، فلا يثبت بالزنا أي حق شرعي أو

قانوني.

ومن أجل ذلك يوجب المتعلق بهذه الصلة التي ليست لها حجة قانونية انّه (كانوا غل المدفع) أي كالذى يتطفل ويدخل نفسه في صحابة هو ممنوع من الدخول فيهم؛ لأنّ اهلها لا يرغبون فيه لانه ليس منهم حقيقة؛ فإنّ اللصيق ليس كالصريح في النسب، وتكون (والنوط المذبب)؛ فإنّ الحزام الذي يربط به الرحل للركوب انما الغرض منه أن يركب عليه براحة في السفر، فاذا لم يكن الحزام مربوطا ربطا كاملا يكون مذبذبا ويتحرك يمنة ويسرة، فلا يتحقق فيه الراحة في السفر قط. وهكذا يكون شأن المدعي النسب؛ حيث يستخدمه البعض مدعيا النسبة لمصلحة خاصة، وينكر الآخرون لعلمهم بكونه دعياً، فلا يكون إلّا آلة للاستخدام بين الانام.

وذكر الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) ترجمة احوال زياد بتفصيل في شرح الخطبة ٤٤ نقتطف منه قوله: «فأما زياد فهو زياد بن عبيد، فمن الناس من يقول: عبيد بن فلان وينسبه إلى ثقيف.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«

[نسب زياد بن أبيه وذكر بعض أخباره وكتبه وخطبه]

فأما زياد فهو زياد بن عبيد ، ومن الناس من يقول : عبيد بن فلان ، وينسبه إلى ثقيف ، والأكثرون يقولون : إن عبيدا كان عبدا ، وإنه بقي إلى أيام زياد ، فابتاعه وأعتقه ، وسنذكر ما ورد في ذلك ونسبة زياد لغير أبيه لخمول أبيه ، والدعوة التي استلحق بها ، فقيل تارة زياد بن سميه وهي أمه ، وكانت أمة للحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي ، طبيب العرب ، وكانت تحت عبيد . وقيل تارة زياد بن أبيه ، وقيل تارة ، زياد بن أمه ، ولما استلحق قال له أكثر الناس : زياد بن أبي سفيان ، لان الناس مع الملوك الذين هم مظنة الرهبة والرغبة ، وليس اتباع الدين بالنسبة إلى اتباع الملوك إلا كالقطرة في البحر المحيط فأما ما كان يدعى به قبل الاستلحاق فزياد بن عبيد ، ولا يشك في ذلك أحد . وروى أبو عمر بن عبد البر في كتاب ، ، الاستيعاب ، ، عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبي عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أبن عباس ، أن عمر بعث زيادا في إصلاح فساد واقع باليمن ، فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يسمع مثلها – وأبو سفيان حاضر وعلي عليه السلام وعمرو بن العاص – فقال عمرو بن العاص : لله أبو هذا الغلام ! لو كان قرشيا لساق العرب

بعصاه ، فقال أبو سفيان : إنه لقرشي ، وإني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه ، فقال علي عليه السلام : ومن هو ؟ قال أنا فقال : مهلا يا أبا سفيان ، فقال أبو سفيان :

أما والله لولا خوف شخص ... يراني يا علي من الأعادي
لأظهر أمره صخر بن حرب ... ولم يخف المقالة في زياد
وقد طالت مجاملتي ثقيفا ... وتركي فيهم ثمر الفؤاد

عنى بقوله :) لولا خوف شخص (: عمر بن الخطاب.[١]

وروى أحمد بن يحيى البلاذري قال : تكلم زياد – وهو غلام حدث – بحضرة عمر كلاما أعجب الحاضرين ، فقال عمرو بن العاص : لله أبوه ! لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان : أما والله إنه لقرشي ، ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك ، فقال : ومن أبوه ؟ قال : أنا والله وضعته في رحم أمه ، فقال : فهلا تستلحقه ؟ قال : أخاف هذا العير الجالس أن يخرق على إهابي . وروى محمّد بن عمر الواقدي قال : قال أبو سفيان وهو جالس عند عمر وعلى هناك وقد تكلم زياد فأحسن : أبت المناقب إلا أن تظهر في شمائل زياد ، فقال علي عليه السلام من أي بني عبد مناف هو ؟ قال : ابني ، قال : كيف ؟ قال أتيت أمه في الجاهلية سفاحا ! فقال علي عليه السلام : مه يا أبا سفيان فإن عمر إلى المساءة سريع : قال : فعرف زياد ما دار بينهما . فكانت في نفسه . وروى علي بن محمّد المدائني قال : لما كان زمن على ولى زيادا فارس أو بعض أعمال فارس ، فضبطها ضبطا صالحا ، وجبى خراجها وحماها ، وعرف ذلك معاوية ، فكتب إليه : أما بعد ، فإنه غرتك قلاع تأوى إليها ليلا ، كما تأوي الطير إلى وكرها ، وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك مني ما قاله العبد الصالح :) فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذله وهم صاغرون)[٢] . وكتب في أسفل الكتاب شعرا من جملته :

تنسى أباك وقد شالت نعامته ... إذ يخطب الناس والوالي لهم عمر

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس ، وقال : العجب من ابن آكلة الأكباد ، ورأس النفاق ! يهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج سيدة نساء العالمين وأبو السبطين ، وصاحب الولاية والمنزلة والإخاء في مائة الف من المهاجرين والأنصار

(١) الاستيعاب ٢ : ١ وما بعدها .
(٢) الاستيعاب ٢ . ١ وما بعدها .

والتابعين لهم بإحسان ! أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إلى لوجدني أحمر مخشا[١] ضرابا بالسيف ، ثم كتب إلى علي عليه السلام ، وبعث بكتاب معاوية في كتابه . فكتب إليه علي عليه السلام ، وبعث بكتابه : أما بعد فإني قد وليتك ما وليتك وأن أراك لذلك أهلا ، وإنه قد كانت من أبي سفيان فلتة في أيام عمر من أماني التيه وكذب النفس ، لم تستوجب بها ميراثا ، ولم تستحق بها نسبا ، وإن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فاحذره ، ثم احذره ، ثم احذره ، والسلام . وروى أبو جعفر محمّد بن حبيب قال : كان علي عليه السلام قد ولى زيادا قطعة من أعمال فارس واصطنعه لنفسه ، فلما قتل علي عليه السلام بقي زياد في عمله ، وخاف معاوية جانبه ، وعلم صعوبة ناحيته ، وأشفق من ممالاته الحسن بن علي عليه السلام . فكتب إليه : من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبيد ، أما بعد ، فإنك عبد قد كفرت النعمة ، واستدعيت النقمة ، ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر وإن الشجرة لتضرب بعرقها ، وتتفرع من أصلها ، إنك – لا أم لك بل لا أب لك – قد هلكت وأهلكت ، وظننت أنك تخرج من قبضتي ، ولا ينالك سلطاني ، هيهات ! ما كل ذي لب يصيب رأيه ، ولا كل ذي رأي ينصح في مشورته . أمس عبد واليوم أمير ! خطة ما ارتقاها مثلك يا بن سمية ، وإذا أتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة ، وأسرع الإجابة فإنك أن تفعل فدمك حقنت ، ونفسك تداركت ، وإلا اختطفتك بأضعف ريش [٢] ونلتك بأهون سعي . وأقسم قسما مبرورا إلا أوتى بك إلا في زمارة [٣]، تمشى حافيا من أرض فارس إلى الشام حتى أقيمك في السوق ، وأبيعك عبدا ، وأردك إلى حيث كنت فيه وخرجت منه . والسلام . فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضبا شديدا ، وجمع الناس وصعد المنبر . فحمد الله ثم قال : ابن آكله الأكباد وقاتلة أسد الله ، ومظهر الخلاف ومسر النفاق ، ورئيس الأحزاب ، ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله كتب إلى يرعد ويبرق عن سحابه جفل لا ماء فيها ، وعما قليل تصيرها الرياح قزعا ، والذي يدلني على ضعفه تهدده قبل القدرة ، أفمن إشفاق على تنذر وتعذر ! كلا ، ولكن ذهب إلى غير مذهب

---

(١) المخش الماضي الجريئ.
(٢) بأضعف ريش ، يريد بأضعف قوة ، وكانوا يلزقون على السهم ليقووه ويستردوه .
(٣) أي في جماعة زمارة تزمر حولك لتشهيرك والتشنيع عليك .

، وقعقع لمن ربى [١] بين صواعق تهامة ، كيف أرهبه وبيني وبينه أبن بنت رسول الله ﷺ وأبن أبن عمه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار ، والله لو أذن لي فيه ، أو ندبني إليه ، لأريته الكواكب نهارا ، ولأسعطته ماء الخردل . دونه الكلام اليوم ، والجمع غدا ، والمشورة بعد ذلك إن شاء الله . ثم نزل . وكتب إلى معاوية : أما بعد ، فقد وصل إلى كتابك يا معاوية وفهمت ما فيه ، فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب ، ويتعلق بأرجل الضفادع ، طمعا في الحياة . إنما يكفر النعم ، ويستدعى النقم من حاد الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا . فأما سبك لي فلو لا حلم ينهاني عنك ، وخوفي أن أدعى سفيها ، لأثرت لك مخازي لا يغسلها الماء . وأما تعييرك لي بسمية فإن كنت أبن سمية فأنت أبن جماعة ، وأما زعمك أنك تختطفني بأضعف ريش ، وتتناولني بأهون سعى ، فهل رأيت بازيا يفزعه صغير القنابر ، أم هل سمعت بذئب أكله خروف ! فامض الان لطيتك ، وأجتهد جهدك فلست أنزل إلا بحيث تكره ، ولا أجتهد إلا فيما يسوءك ، وستعلم أينا الخاضع لصاحبه ، الطالع إليه . والسلام . فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه وأحزنه ، وبعث إلى المغيرة بن شعبة ، فخلا به وقال : يا مغيرة إني أريد مشاورتك في أمر أهمنى ، فانصحني فيه ، وأشر على برأي المجتهد ، وكن لي أكن لك ، فقد خصصتك بسري ، وآثرتك على ولدى . قال المغيرة : فما ذاك ؟ والله لتجدني في طاعتك ة مضى من الماء إلى الحدور ، ومن ذي الرونق في كف البطل الشجاع . قال : يا مغيرة إن زيادا قد أقام بفارس يكش لنا كشيش الأفاعي ، وهو رجل ثاقب الرأي ، ماضي العزيمة ، جوال الفكر ، مصيب إذا رمى ، وقد خفت منه الان ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حيا ، وأخشى ممالاته حسنا ، فكيف السبيل إليه وما الحيلة في إصلاح راية ؟ قال المغيرة : أنا له إن لم أمت ، إن زيادا رجل يحب الشرف والذكر وصعود المنابر ، فلو لاطفته المسألة ، وألنت له الكتاب ، لكان لك أميل وبك أوثق فأكتب إليه وأنا الرسول . فكتب معاوية إليه : من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان ، أما بعد فأن المرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب ، وأنك للمرء المضروب به المثل ، قاطع الرحم ، وواصل العدو . وحملك سوء ظنك بي ، وبغضك لي ، على أن عققت قرابتي ، وقطعت رحمي وبتت [٢] نسبي وحرمتي ، حتى كأنك

---

(١) في بعض النسخ:« رئي » .
(٢) بتت : قطعت .

لست أخي ، وليس صخر بن حرب أباك وأبى وشتان ما بيني وبينك ، أطلب بدم ابن أبي العاص [١] وأنت تقاتلني ! ولكن أدركك عرق الرخاوة من قبل النساء ، فكنت :

كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض أخرى جناحا

قد رأيت أن أعطف عليك ، ولا أؤاخذك بسوء سعيك ، وأن أصل رحمك ، وأبتغي الثواب في أمرك ، فاعلم أبا المغيرة ، أنك لو خضت البحر في طاعة القوم فتضرب بالسيف حتى انقطع متنه لما ازددت منهم إلا بعدا ، فإن بني عبد شمس أبغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع وقد أوثق للذبح ، فارجع – رحمك الله – إلى أصلك ، واتصل بقومك ، ولا تكن كالموصول بريش[٢] غيره ، فقد أصبحت ضال النسب . ولعمري ما فعل بك ذلك إلا اللجاج ، فدعه عنك ، فقد أصبحت على بينة من أمرك ، ووضوح من حجتك ، فإن أحببت جانبي ، ووثقت بي ، فإمرة بإمرة ، وإن كرهت جانبي ، ولم تثق بقولي ففعل جميل لا على ولا لي . والسلام . فرحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس ، فلما رآه زياد قربه وأدناه ولطف به فدفع إليه الكتاب ، فجعل يتأمله ويضحك ، فلما فرغ من قراءته وضعه تحت قدمه ثم قال : حسبك يا مغيرة ! فإني أطلع على ما في ضميرك ، وقد قدمت من سفرة بعيدة ، فقم وأرح ركابك . قال : أجل فدع عنك اللجاج يرحمك الله ، وأرجع إلى قومك ، وصل أخاك ، وأنظر لنفسك ، ولا تقطع رحمك ! قال زياد ، إني رجل صاحب أناة ولى في أمري روية ، فلا تعجل على ، ولا تبدأني بشئ حتى أبدأك . ثم جمع الناس بعد يومين أو ثلاثة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إيها الناس : ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم ، فقد نظرت في أمور الناس منذ قتل عثمان ، وفكرت فيهم فوجدتهم كالأضاحي ، في كل عيد يذبحون ، ولقد أفنى ».[٣]

الى ان قال ابن أبي الحديد:« هذان اليومان – يوم الجمل وصفين – ما ينيف على مائه ألف ، كلهم يزعم أنه طالب حق ، وتابع أمام ، وعلى بصيرة من أمره ، فإن كان الامر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة ، كلا ليس كذلك ، ولكن أشكل الامر ، والتبس على القوم ، وإني لخائف أن يرجع الامر كما بدا ، فكيف لامرئ بسلامة دينه ! وقد نظرت في أمر الناس

(١) أي عثمان ، وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة .
(٢) كالموصول يطير بريش غيره .
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٧٩ ـ ١٨٥.

فوجدت أحد العاقبتين العافية وسأعمل في أموركم ما تحمدون عاقبته ومغبته ، فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله ثم نزل . وكتب جواب الكتاب : أما بعد ، فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه ، فالحمد لله الذي عرفك الحق ، وردك إلى الصلة ولست ممن يجهل معروفا ، ولا يغفل حسبا ، ولو أردت أن أجيبك بما أوجبته الحجة ، واحتمله الجواب ، لطال الكتاب ، وكثر الخطاب ولكنك إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ، ونية حسنة ، وأردت بذلك برا ، فستزرع في قلبي مودة وقبولا ، وإن كنت إنما أردت مكيدة ومكرا وفساد نية فإن النفس تأبى ما فيه العطب ، ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاما يعبأ به الخطيب المدرة ، فتركت من حضر ، لا أهل ورد ولا صدر ، كالمتحيرين بمهمه ضل بهم الدليل ، وأنا على أمثال ذلك قدير ، وكتب في أسفل الكتاب :

إذا معشري لم ينصفوني وجدتني ... أدافع عنى الضيم ما دمت باقيا
وكم معشر أعيت قناتي عليهم ... فلاموا وألفوني لدى العزم ماضيا
وهم به ضاقت صدور فرجته ... وكنت بطبي للرجال مداويا
أدافع بالحلم الجهول مكيدة ... وأخفى له تحت العضاه الدواهيا
فإن تدن منى أدن منك وإن تبن ... تجدني إذا لم تدن منى نائيا

فأعطاه معاوية جميع ما سأله ، وكتب إليه بخط يده ما وثق به ، فدخل إليه الشام ، فقربه وأدناه ، وأقره على ولايته ، ثم استعمله على العراق .

وروى علي بن محمّد المدائني قال : لما أراد معاوية استلحاق زياد وقد قدم عليه الشام جمع الناس وصعد المنبر ، وأصعد زيادا معه فأجلسه بين يديه على المرقاة التي تحت مرقاته ، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إني قد عرفت نسبنا أهل البيت في زياد ، فمن كان عنده شهادة فليقم بها . فقام ناس فشهدوا أنه أبن أبي سفيان ، وأنهم سمعوا ما أقر به قبل موته ، فقام أبو مريم السلولي – وكان خمارا في الجاهلية – فقال : أشهد يا أمير المؤمنين أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف ، فأتاني فاشتريت له لحما وخمرا وطعاما ، فلما أكل قال : يا أبا مريم ، أصب لي بغيا ، فخرجت فأتيت بسمية ، فقلت لها : أن أبا سفيان ممن قد عرفت شرفه وجوده ، وقد أمرني أن أصيب له بغيا ، فهل لك ؟ فقالت : نعم ، يجئ الان عبيد بغنمه – وكان راعيا – فإذا تعشى ، ووضع رأسه أتيته . فرجعت إلى أبي سفيان فأعلمته ، فلم نلبث أن جاءت تجر ذيلها ، فدخلت معه ، فلم تزل عنده حتى

أصبحت ، فقلت له لما انصرفت : كيف رأيت صاحبتك ؟ قال : خير صاحبة ، لولا ذفر في إبطيها . فقال زياد من فوق المنبر : يا أبا مريم ، لا تشتم أمهات الرجال ، فتشتم أمك . فلما انقضى كلام معاوية ومناشدته قام زياد ، وأنصت الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أن معاوية والشهود قد قالوا ما سمعتم ، ولست أدرى حق هذا من باطله ! وهو والشهود أعلم بما قالوا ، وأنما عبيد أب مبرور ، ووال مشكور ثم نزل».[1]

الى ان قال ابن أبي الحديد :«فأما أبو عمر بن عبد البر في كتاب ، ، الاستيعاب ، ، فإنه قال : لما ادعى معاوية زيادا في سنة أربع وأربعين وألحقه به أخا زوج أبنته من ابنه محمّد بن زياد ليؤكد بذلك صحة الاستلحاق ، وكان أبو بكرة أخا زياد لامه ، أمهما جميعا سمية ، فحلف ألا يكلم زيادا أبدا وقال : هذا زنى أمه ، وانتفى من أبيه ، ولا والله ما علمت سمية رأت أبا سفيان قبل ، ويله ما يصنع بأم حبيبة ! أيريد أن يراها ؟ فإن حجبته فضحته ، وأن رآها فيا لها مصيبة ! يهتك من رسول الله ﷺ حرمة عظيمة!».[2]

[٤٥]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى عُثْمانَ[3] بْنِ حُنَيْفٍ[4] ٱلْأَنصارِيِّ وَهُوَ عامِلُهُ عَلَى ٱلْبَصْرةِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ دُعِيَ إِلى وَلِيمَةِ قَومٍ مِنْ أَهْلِها فَمَضى إِلَيْها[5]، ويتضمّن التأنيب على الاسراع إلى المأدبة ـ واجبات التمثيل ـ وصف الإمام نفسه ـ فدك ـ واجبات الإمامة ـ مغريات الدنيا ـ رياضة النفس ـ حزب الله.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«

[عثمان بن حنيف ونسبه]

هو عثمان بن حنيف – بضم الحاء – بن واهب بن العكم بن ثعلبة بن الحارث

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٨٥ ـ ١٨٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ١٨٩.

(٣) في ب: سهل، وفي هـ. ب: عثمان.

(٤) في هـ. ص: بضم الحاء، ابن وهب بن الحكيم بن ثعلبة بن الحرث الاوسي، وهو أخ سهل بن حنيف، وكانا جميعاً من شيعة أمير المؤمنين وخلصانه، ولّاه علي عليه السلام على البصرة، فأخرجه طلحة والزبير عنها حين قدماها، وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة علي عليه السلام ومات بها في زمن معاوية.

(٥) في ب: إليهم، والعبارة في أ هكذا «وقد بلغه أنه ذهب الى وليمة».

الأنصاري ثم الأوسي أخو سهل بن حنيف ، يكنى أبا عمرو – وقيل : أبا عبد الله – عمل لعمر ثم لعلي ع ، وولاه عمر مساحة الأرض وجبايتها بالعراق ، وضرب الخراج والجزية على أهلها وولاه علي عليه السلام على البصرة ، فأخرجه طلحة والزبير منها حين قدماها ، وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة علي عليه السلام ، ومات بها في زمن معاوية».[(١)]

الاسراع الى المأدبة:

أَمّا بَعْدُ يَا بْنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ دَعاكَ إِلى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْها، تُسْتَطَابُ[(٢)] لَكَ ٱلأَلْوَانُ[(٣)]، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ[(٤)] ٱلْجِفانُ[(٥)]، وَما ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعامِ قَوْمٍ عائِلُهُم مَجْفُوٌّ[(٦)]، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ[(٧)]، فَانْظُرْ إِلى ما تَقْضِمُهُ[(٨)] مِنْ هذَا ٱلْمَقْضَمِ[(٩)]، فَمَا ٱشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ[(١٠)]، وَما أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وَجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

الضيافة من اداب الاسلام وكذلك قبولها، وفرق بين فقول الضيافة والاسراع اليها وخاصة لمن يمثل القيادة الاسلامية، ومن هذا المنطلق عاتب الإمام ممثله عفان بن حنيف الانصاري ،واقل ما يقال عن الاسراع إلى المادبة انها تكشف عن ضعف الشخصية، فقال الإمام:

١ ـ (اما بعد، يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة)

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦.
(٢) في هـ . ب: من تطييب الطعام.
(٣) في هـ . ب: ألوان الطعام.
(٤) في ب و ص و د: عليك، وفي هـ . ا: في نسخة: عليك ، وفي هـ . د: إليك ـ ض ح م ف.
(٥) الجفان جمع جفنة: القصعة، وفي هـ . ص: في نسخة: «وكرّت عليك الجفان بثريدها، فأكرعت ثم عطفت على اللحم فأكلته أكل ذئب قرم، ونهشت عظمه نهش ضبع هرم».
وفي شرح ابن أبي الحديد: ويروىٰ «وقد كثرت عليك الجفان فأكثرت، وأكلت أكل ذئب نهم أو ضبع قرم».
(٦) في هـ . ب: فقيرهم يجفى عليه، من الجفاء، وفي هـ . ص: أي فقيرهم كالعيّل.
(٧) في هـ . ب: يدعى إلىٰ المأدبة.
(٨) في هـ . ب: في نسخة: تخضمه، والقضم: أكل الحمار، يشبّهه عليه السلام به ، وفي هـ . ص: القضم يقال على أحد معنيين، أحدهما: أكل الشيء اليابس، والثاني: على الأكل ببعض الفم، فهو يدل على عدم الرغبة في المأكول، فعبّر به ليفهم أن هذا الطعام مما لا ينبغي أن يرغب فيه وليحقره عند السامع.
(٩) في هـ . ب: المأكل.
(١٠) ألفظة: اطرحه من فمك.

وهي الطعام الذي يصنع لاجتماع الناس. ولا شئ في قبول الدعوة ان كانت متعارفة في السياسيات كالعرس والعزاء وما شابه، واما قبول الدعوة من غير مناسبة تبررها يوجب للداعي يداً يخفي من ورائها قصداً، والاسراع اليها يدل ان في نفسية المدعو ضعفا وهو ما لا يليق بممثل القيادة الاسلامية.

٢ ـ (فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان) والجفان: القصعة الكبيرة؛ فإنّ التركيز على هذه الدعوة لخصوص الممثل باعتباره ممثلا للإمام.

٣ ـ(وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنيهم مدعوّ) والجفاء: الاعراض، والعائل: الفقير، فان الدعوة والضيافة ان كانت تكريما لممثل الإمام فلابد أن يؤخذ باعتبار اهداف الإمام، فلا تقام المادبة على امور يستكرهها، ومنها: التفضيل في الطبقات؛ فإنّ هذه الدعوة ـ كما في النص ـ كانت مقصورة على الطبقة الغنيّة فقط، ولم تكن دعوة عامة تشترك فيها الطبقات المؤمنة بالقيادة، ودعوة كهذه تناقض المبادئ التي يدعو اليها الإمام.

وعن الواجب في الممثل قال:

٤ ـ (فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم) والقضم: الاكل باطراف الاسنان كالحيوانات؛ فإنّ من يأكل للأكل من دون شعور بالمسؤولية للفقراء يكون كالحيوانات التي لاهم لها سوى بطنها، ومعنى ذلك محاسبة النفس عند الاكل.

٥ ـ(فما اشتبه عليك علمه فالفظه) واللفظ: الطرح بعدم اكله؛ لكونه مشتبها، والاكل المشبوه يوثر على الجسم والتفكير.

٦ ـ (وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه) فقد قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَٱشْكُرُوا لله إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.[1]

فان االإيمان بالله يسلتزم أكل الطيبات خاصة دون ما لا يطيب.

(ك ١/٤٥) **واجبات التمثيل:**

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إمامَكُمْ قَدِ ٱكْتَفى مِنْ دُنياهُ[2] بِطِمْرَيْهِ[3]، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلَا وَإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلى ذلِكَ، وَلكِنْ

---

(١) البقرة: ١٧٢.

(٢) في ص: دنياكم، وفي هـ. ص: في نسخة: دنياه، وفي هـ. د: من الدنيا ـ م وحاشية ن.

أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَٱجْتِهادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ[٤].

وأشار إلى واجبات التمثيل للإمام بقوله:

أوّلاً: (ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدي به ويستضئ بنور علمه)؛ فإنّ العامل عن الإمام لابد وان يمثل الإمام ويقتدي به، وسائر الناس يقتدون به من دون تمثيل، والاقتداء يستلزم المشي على ضوء ما يريد الله في الحياة والاهتداء بعلمه.

ثانياً: (ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه) الطمر: الستر الذي يغطي شيئا آخر، وهنا اشارة إلى الرداء الذي يستر اعلى البدن، والازار: الذي يستر الاسفل، وهذا في اللبس، مكتفيا بما فيه الحاجة من الكساء.

(ومن طعمه بقرصيه) فالقرص: رغيف الخبز، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «اي قرصان يفطر عليهما لا ثالث لهما»[٥]، قال الجلالي: ولعله يعني قرصا للسحور وآخر للفطور، والله اعلم، وهذا في الطعم، وذلك يستلزم دوام الصيام إلّا في أيام العيد السعيد.

ثالثا: (ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك) اما جسميا أو نفسيا بأن الإنسان بطبيعته يحب الراحة والطيبات التي أحلها الله سبحانه للعباد، ووفرها في البلاد في اداء دور الاقتداء والتمثيل للإمام كما يتطلبه الاقتداء حقيقة.

(ولكن أعينوني)؛ فإنّ الاقتداء به اعانة له على اداء دور القيادة الاسلامية بالوسائل التالية:

الأوّل: (بورع) عن محارم الله تعالى في الحياة بما فيه الملبس والمطعم.

الثاني:(واجتهاد) في تطبيق المسؤوليات في النفس والمجتمع.

الثالث (وعفّة) وهي الامتناع وحفظ النفس عما لا يحل و لا يحسن من القول والفعل.

الرابع: (وسداد) أي الموقف الرشيد في الحياة بالأخذ بالثوابت الاسلاميّة.

فإنّ بهذه الوسائل تتحقق مسؤوليات الإمام في قيادة الأمّة، وبدونها تكون الاوامر في القيادة حبراً على ورق.

---

(٣) في هـ. ب: ثويين خلقين، وفي هـ. ص: الطمر: ثوب بال خلق.

(٤) لم ترد «وعفة وسداد» في ب، وفي هـ. د: «وعفة وسداد» ساقطة من ف ن ل ش.

(٥) شرح النهج ١٦ :٢٠٧.

(ك ٤٥/٢) الإمام يصف نفسه:

فَوَ ٱللّٰهِ ما كَنَزْتُ مِنْ دُنْياكُمْ تِبْراً[١]، وَلَا ٱدَّخَرْتُ مِنْ غَنائِمِها وَفْراً[٢]، وَلا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي[٣] طِمْراً[٤]. ولا حزت من أرضها شبرا، ولا اخذت منه إلّا كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة.

وكنموذج لما أشار إليه من الورع والاجتهاد في النفس والسداد، ذكر اوصاف نفسه، فإنّه لا يأمر إلّا بما يعمل به شخصيا فقال مؤكدا:

١ ـ (فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا) وهو الذهب كما هي عادة الملوك والامراء من تخزين ذلك لمستقبلهم ومستقبل حكمهم.

٢ ـ (ولا ادخرت من غنائمها وفرا) وهو المال الذي يوفر عادةً من دون حاجة إليه.

٣ ـ(ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا) وهو الكساء، فلم يكن له كساءٌ بديل عن اللباس الذي يلبسه.

٤ ـ (ولا حزت من أرضها شبرا) الحيازة: التملك لما لاحاجة له فيها.

٥ ـ (ولا اخذت منه إلّا كقوت أتان دبرة) وهي الابل التي عقر ظهرها فقل اكلها، بالاقتصار على ما يفتقر إليه الإنسان في الحياة من المادّة والماديات.

٦ ـ (ولهي في عينى أوهى وأهون من عفصة مقرة) والعفص: الطعام الذي يصعب معه الابتلاع لمرارة فيه، والمقر: طعم المرارة؛ فإنّ الدنيا التي يستولي عليها القائد ـ في نظر الإمام ـ هي تتصف بامور:

أوّلاً: (الوهى) وهو الضعف المادي كالعماد الضعيف، وان كان الناس يتصورونها قوة مالية، فإنّها في حقيقتها ليست الا ضعفا؛ لافتقار الإنسان إلى حفظهما وهو عين الضعف .

ثانياً: (الوهى) الضعف عامة في الفكر والامر والعمل؛ فإنّ الاغترار بالدنيا يكشف عن ضعف في التفكير؛ ظنا أن الدنيا تنفعه مع انّها ان انقلبت عليه لا تنفعه في شئ مما يملكه.

---

(١) أي ذهباً.

(٢) أي مالاً.

(٣) في هـ. ب: في نسخة: ثوبي وثوبيّ ـ معاً ـ، وفي هـ. ص: أي لم اعدّ بدلاً من ثوبي البالي ثوباً بالياً سملاً، فضلاً عن أن اعدّ جديداً كما يعدّه الناس، انتهىٰ من الشرح.

(٤) لم ترد «ولا حزت من أرضها شبراً» في أ و ب، وفي ط زيادة: ولا أخذت منها إلّا كـقوت أتان دبرة، ولهي عندي أوهي وأهون من عفصة مقرة.

ثالث: (العفص)؛ فإنّ ما يؤكل في الدنيا من غير استحقاق ليس إلّا مطعماً مرّاً ممتزجا بدماء الشهداء وعرق الكادحين، والحق المسلوب من المستضعفين، وهو الم روحي لا يشعر به من لم يحس بآلامهم.

رابعاً: (المقر) وهو المرارة؛ فإنّ الدنيا تصحب مرارة استعباد الناس وتضليلهم وتخديرهم واستحمارهم للوصول إلى المقاصد التي ينظر اليها، وهذه المرارة تولد عقد نفسية يتعذب بها الظالم روحيا وان لم يعترف بها، ولعل كلما يبرزه الولاة الجائرون الظالمون من مظاهر القوّة والقدرة انما هو لتغطية هذا الضعف الروحي والنفسي.

(٣/ك ٤٥) فدك:

بَلى كانَتْ فِي أَيْدينا فَدَكٌ[١] مِنْ كُلِّ ما أَظَلَّتْهُ[٢] ٱلسَّماءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْها نُفُوسُ قَوْمٍ[٣]، وَسَخَتْ عَنْها نُفُوسُ آخَرِينَ[٤]، وَنِعْمَ ٱلْحَكَمُ ٱللّهُ[٥].

ثمّ استدرك على حيازة المال بقوله:

١ ـ (بلى، كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلته السماء) من ارض الله الواسعة، فكانت الحيازة هبة من رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة الزهراء نحلة.

٢ ـ (فشحت عليها نفوس قوم) حيث صودرت من السيدة فاطمة عليها السلام وضمّت إلى اموال الدولة (راجع المادة في المعجم).

٣ ـ (وسخت عنها نفوس آخرين) يعني بهم اهل البيت عليهم السلام حيث انهم لم يجدوا حلا سوى قبول الأمر الواقع، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «أي سامحت واغضيت، وليس يعني هاهنا بالسخاء إلّا هذا لا السخاء الحقيقي؛ لأنّه عليه السلام واهله لم

---

(١) «فدك» قرية كانت ممّا أفاء اللّه على نبيّه صلى الله عليه وآله، حيث صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد فتح خيبر، وأعطاها النبيّ صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة الزهراء نحلة، إلّا أنّ أبابكر غصَبها بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وتداولها الظلمة إلىٰ زمان عمر بن عبد العزيز.

(٢) في هـ. أ: في نسخة: أظلّه السماء.

(٣) في هـ. ب: أي أخذها.

(٤) في هـ. د: نفوس قوم، وفي ف: نفوس قوم، وفي هـ. ب: أي تركوها، وفي هـ. ص: «وسخت» أي سامحت وأغضت، وليس يعني بالسخاء ـ هاهنا ـ إلّا هذا، لا السخاء الحقيقي؛ لأنّه ٧ وأهله لم يسخوا بفدك إلّا غصبا وقسراً، وقد قال هذه الألفاظ في موضع آخر ممّا تقدم، وهو يعني الخلافة بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله، انتهىٰ من الشرح.

(٥) في ب زيادة: رب العالمين، وفي هـ. د: اللّه رب العالمين ـ ش.

يسمحوا بفدك الا غصبا وقسراً».[١]

٤ ـ (ونعم الحكم الله) فان الحكم في الحقيقة يرجع إلى الله سبحانه، وليس للحكام في الاسلام سوى تطبيق حكم الله سبحانه.

(٤ / ك ٤٥) موقف الإمام:

وَما أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ وٱلنَّفْسُ مَظانُّها[٢] فِي غَدٍ جَدَثٌ[٣]، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثارُها[٤]، وَتَغِيبُ أَخْبارُها، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِها وَأَوْسَعَتْ يَدَا حافِرِها لَأَضْغَطَهَا[٥] ٱلْحَجَرُ وَٱلْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا ٱلتُّرَابُ ٱلْمُتَرَاكِمُ.

ثم أشار عن موقفه الشخصي و إلى الاعتبار بالموت والتقوى.

اما الموت فقال:

(وما أصنع بفدك وغير فدك) من اموال الدنيا التي لا حاجة للانسان اليها في حياته الشخصية، وسرد سلسلة من الاسباب التي توجب الاعراض عن اموال الدنيا معقبة بالواو الحالية، فقال:

١ ـ (والنفس مظانّها في غد جدث) وهو القبر، الذي في الغد القريب يطرح فيه الإنسان هامدا، وليس هناك مكان اخر يظن أن يطرح النفس فيه.

٢ ـ (تنقطع في ظلمته آثارها) فتكون اثار النفس التي في الدنيا مظلمة في القبر بلا عناوين.

٣ ـ (وتغيب أخبارها) اليوميّة التي يسمعها كلّ انسان في الحياة.

٤ ـ (وحفرة)؛ فإنّ القبر تنشق فيه حفرة لوضع الميت فيها.

وذكرها صفة هذه الحفرة بقوله:

---

(١) شرح النهج ١٦ :٢٠٨.

(٢) في هـ. ب: والنفس مضانها، أي مضان النفس، أي يظن بهذا النفس، وفي هـ. ص: جمع مظنة، حيث يظن الشيء ويقدّر.

(٣) في هـ. ب: قبر.

(٤) في هـ. ب: أي آثار النفس.

(٥) في ب: لضغطها، وفي هـ. د: لضغطها ـ حاشية ف، وفي هـ. أ: في نسخة: لضغطها، وفي هـ. ب: في نسخة: لأضغطها أي ضيّقها الحجر، وفي هـ. ص: أي جعلها ضاغطة زاحمة، وكانت العبارة في ب هكذا: «حافرها، لا الحجر ولا المدر» وكتب في الهامش: أي انّ الحجر طمّها، واللام للتحقيق، فصححها الناسخ في الهامش كما في المتن.

(لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها) بأن يكون الجسد في مسافة واسعة مخصصة للميت كما يصنع للملوك، فيصنع لهم من المقابر ذات الابهة، ولا يدفن فيها سوى الميت الخاص في مكان وسيع احتراما للميت.

ويعلق الإمام على هذا التفكير بأن هذه الوسعة لا تكون إلى الابد مهما اتقن المهندسون؛ فإنّ ما اوسعته يد حافرها لا يمنع من العوامل الطبيعية الداعية إلى هدمها.

وعن تلك الحالة قال:

٥ ـ (لاضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم) حيث ـ على اثر الزلزال مثلا ـ يصبح الميت بسبب الضغط الحادث تحت الحجر والمدر وهو الطين والتراب، فيكون مستوعبا لكل الخلل والفرج التي خطط لها المهندسون وقاية لجسد الميت؛ فإنّ التوقي من الحوادث بعد الموت لا ينفع الميت شيئا.

(٥/ك ٤٥) التقوى:

وَإِنَّما هِيَ نَفْسِي أَرُوضُها[١] بِالتَّقْوى، لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ ٱلْخَوْفِ ٱلْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلى جَوَانِبِ ٱلْمَزْلَقِ[٢].

وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ ٱلطَّرِيقَ إِلى مُصَفّى هَذَا ٱلْعَسَلِ، وَلُبابِ[٣] هذَا ٱلْقَمْحِ[٤]، وَنَسَائِجِ هَذَا ٱلْقَزِّ[٥]، وَلكِنْ هَيْهاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي[٦] إِلى تَخَيُّرِ ٱلْأَطْعِمَةِ ـ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أو بِالْيَمَامَةِ[٧] مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي ٱلْقُرْصِ وَلا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ـ أَوْ أَبِيتَ مِبْطاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وَأَكْبَادٌ حَرَّى[٨]، أَوْ أَكُونَ كَما قالَ ٱلْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً[٩] أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ[١٠] ... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ[١١] إِلَى ٱلْقِدِّ[١٢]

---

(١) أي أذلّلها، وفي هـ. ب: من الرياضة.
(٢) في هـ. ص: موضع الزلق، والمراد به موقف العرض والسؤال يوم القيامة.
(٣) في هـ. ص: خالصة.
(٤) في هـ. ب: الحنطة، وفي هـ. ص: هو البرّ.
(٥) في هـ. ص: الحرير.
(٦) في هـ. ب: حرصي، وفي هـ. ص: شدة الرغبة في الأكل.
(٧) في ص: واليمامة، وفي ط: وباليمامة، وفي هـ. ب: في نسخة: أو اليمامة، وفي هـ. د: أو اليمامة ـ ض ن ب.
(٨) غرثىٰ، أي جائعة، و«اكباداً حرى» مؤنث حرّان، أي عطشان.
(٩) في هـ. ب: في نسخة: ذلاً.
(١٠) البطنة: البطر والأشر والكظة.

اما عن التقوى فقال:

١ ـ(وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى)؛ فإنّ النفس أمارة بالسوء الا ما رحم ربي، ومما امر الرب سبحانه التقوى بالوقاية مما يستلزم الانزلاق إلى المهالك.

٢ ـ (لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر)؛ فإنّ من اثار التقوى امن النفس الانسانية يوم الحساب الذي هو يوم الخوف، فلا اكبر خوفا من ذلك اليوم.

٣ ـ(وتثبت على جوانب المزلق) وهو الزلة على الصراط في يوم القيامة، لالتزامها بالثوابت الاسلامية في الدنيا.

والى لوازم التقوى من الرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة أشار بقوله:

٤ ـ (ولو شئت لاهتديت الطريق)؛ فإنّ من لوازم التقوى الاختيار بحرية وارادة للصراط المستقيم واجتناب الطريق العادلة عن الحق، كما يفعله الملوك والامراء باستخدام المبررات للتلاعب بالقانون الاسلامي للوصول الى:

أوّلاً: (مصفى هذا العسل) الذي هو مطلوب لكل انسان.

ثانياً: (ولباب هذا القمح) الذي يتهافت عليه اصحاب الدنيا.

ثالثاً: (ونسائج هذا القز) وهو الحرير الذي يتباهى به الاعيان.

فان طريق الوصول اليها كثيرة من الحلال والحرام، ولا يمنع من استخدام الطريق المحرمة سوى التقوى.

٥ ـ(ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة) ارضاءً لهوى النفس الامارة بالسوء.

والى سبب ذلك أشار إلى مسؤوليات الإمام بقوله:

---

(١١) في هـ. ب: أي تتمنىٰ.

(١٢) في هـ. أ: الجلد، كانوا يحرقونه ويسفون رماده من القحط، وفي هـ. ب: «القد» جلد يجعل في النار حتىٰ ينضج ويأكلونه من الجوع، وفي هـ. ص: «القد» ـ بفتح القاف ـ: جلد السخلة والماعز، ذكره في إصلاح المنطق وفي صحاح الجوهري، قالا: وفي المثل: «ما يجعل قدك إلىٰ أديمك» معناه أي شيء حملك على أن تجعل أمرك الصغير عظيماً، قالا: والقدّ بالكسر: السير يقدّ من جلد غير مدبوغ، انتهىٰ. أقول: انّهم كانوا يعمدون الى جلد السخلة والماعز لرطوبته وفتاوته، واللّه أعلم.

أوّلاً: (ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص) وهو رغيف الخبز، ومسؤولية الإمام الاهتمام بافراد الشعب المسلم في كلّ انحاء الدولة الاسلاميّة التي يحكمها؛ لأنّه لا يمكنه الحصول عليها بسبب الفقر.

ثانياً: (ولا عهد له بالشبع) ممّن لا يشبعه الحياة المادية من طبقات المجتمع الكادحة.

ثالثاً: (أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى ؟) والمبطان: كثير الاكل، والغرث: شدة الجوع، والحر: العطش، فعلى القيادة تيسير كلّ ذلك، والذي يقود قيادة اسلاميّة لابدّ وان يتحسس بآلام المجتمع الذي يقوده اسلاميا، وهذه المسؤولية تقتضي أن لا يكون في المجتمع الاسلامي :

١ ـ البطانة في القائد، وبهذا تفترق القيادة الاسلاميّة عن غيرها.

٢ ـ الجوع في المجتمع الاسلامي، فيجب مكافحته ورفع مستوى المعيشة للطبقات الفقيرة.

٣ ـ العطش، باشاعة الماء الذي به حياة كلّ شئ في المجتمع .

ولا يمكن للإمام أن يتصف بالصفات التي تنافص المبادئ الاسلاميّة لتحقيق العدالة في المجتمع.

ثم استشهد ببيت حاتم بن عبدالله الطائي، فقال:

٤ ـ (أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة   وحولك أكباد تحن إلى القد

والبطنة: التخمة لكثرة الاكل، والقد: اللحم القديد المجفف للاكل.

فان تصور الحالة التي فيها فقراء يحتاجون الى القد، وليس لهم ذلك، مع كثرة الطعام لمن حولهم، هو حالة التنافض الفاحش بين طبقات المجتمع، والذي جاء الاسلام لمحاربته عين التناقض، ولتحقيق العدالة الاجتماعية لجميع افراد المجتمع محاربا لكل المبادي التي يدعوا اليها الحكام غير المسلمين من تجويع البشر اجمعين حتّى يتبعوهم كلابا جائعين، وليس لهم من ناصر ولا معين إلّا رب العالمين، وسيرة من سار على خطى سيد المرسلين واقتبس من هدى امير المؤمنين، اللهم اجعلنا منهم امين.

(٦/ك ٤٥) اميرالمؤمنين:

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقالَ[١] هذا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ؛ وَلا أُشَارِكهُمْ فِي مَكارِهِ ٱلدَّهْرِ، أَوْ أَكُون أُسْوَةً[٢] لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ[٣] ٱلْعَيْشِ، فَما خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ ٱلطَّيِّباتِ، كَالْبَهِيمَةِ ٱلْمَرْبُوطَةِ، هَمُّها[٤] عَلَفُها، أَوِ ٱلْمُرْسَلَةِ شُغْلُها تَقَمُّمُها[٥]، تَكْتَرِشُ[٦] مِنْ أَعْلافِها، وَتَلْهُو عَمّا يُرادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدىً، أَوْ أُهْمَلَ عابِثاً، أَوْ أُجَرَّ حَبْلَ ٱلضَّلالَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ[٧] طَرِيقَ ٱلْمَتاهَةِ[٨].

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كانَ هَذَا قُوتُ ٱبْنِ أَبِي طالب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ ٱلضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ ٱلْأَقْرَانِ، وَمُنازَلَةِ[٩] ٱلشُّجْعانِ. أَلا وَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱلْبَرِّيَّةَ[١٠] أَصْلَبُ عُوداً، وَٱلرَّوَائِعُ[١١] ٱلْخَضِرَةُ أَرَقُّ جُلُوداً، وَٱلنَّباتَاتْ العِذْيَةِ[١٢] أَقْوَى وُقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً[١٣]، وأَنَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ كَالصِّنْوِ مِنَ ٱلصِّنْوِ[١٤]، وَٱلذِّرَاعِ مِنَ ٱلْعَضُدِ[١٥]، وَٱللّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ ٱلْعَرَبُ عَلى قِتَالِي

---

(١) في ط زيادة: هذا.

(٢) هـ. ب: مقتدىٰ.

(٣) في ص: خشونة، وفي ب: خشونة وجشوبة، وفي هـ. أ: الجشوبة: الغلظ والخشونة، يقال: عيش جشب.

(٤) في هـ. ب: قصدها، وفي هـ. أ: التقمم تتبع القمامات، ومنه: تقمة الثوب، وأكل ذات ضلف بشفتيه.

(٥) في هـ. ب: أي صحبها، وفي هـ. ص: هو أكل نحو الشاة ما بين يديها بمقمتها، أي شفتها.

(٦) في هـ. ب : أي تجعل في الكرش، وفي هـ. ص: أي تملأ أكراشها من العلف، وفي هـ. ب: تغفل.

(٧) الاعتساف: ركوب الطريق علىٰ غير قصد، وفي هـ. ب: أضل.

(٨) في هـ. ب: الحيرة.

(٩) في هـ. ب: من النزال في الحرب.

(١٠) في هـ. ص: هي التي تنبت في البرية حيث لا ماء، وفي هـ. ب: البدوية.

(١١) في ص: الروائع، وفي هـ. ب : جمع رائعة رائضة، وهي بضّ وغضّ، وفي هـ. ص: هي التي تنبت في مواضع الماء الدائم.

(١٢) وفي هـ. أ: العذي: الّذي يسقيه ماء المطر فقط، وفي هـ. ب: ما يربىٰ بالماء، وفي هـ. ص: العذيّ من النبت الّذي لا يسقيه إلّا المطر.

(١٣) في هـ. ص: يقال: خمدت النار؛ إذا طفئت وذهبت، وصليب الحطب تبقىٰ ناره.

(١٤) في ط: كالضوء من الضوء، وفي هـ. د: كالضوء من الضوء ـ ح، وفي هـ. ب: كالغصن وفي هـ. ص: الصنوان: نخلتان تنبتان من أصل واحد، واحدهما صنو، وفي شرح ابن أبي الحديد: كالضوء ـ بالضاد المعجمة والواو الساكنة والهمزة ـ، وفسّره كذلك، ولم يذكر غير هذه الرواية، وحاصل تفسيره: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ضوء بدأ من جهة الله سبحانه، فنشأ منه ضوء آخر هو أمير المؤمنين ٧، فالمعنىٰ علىٰ هذا: أنّ هداهما ودلالتهما على الحق واحدة.

(١٥) في هـ. ص: قال في الشرح: وذلك لأنّ الذراع فرع العضد، انتهىٰ. قلت: مع ملاحمة أن الانتفاع بالعضد إنّما يكون بواسطة الذراع، إشارة إلىٰ قوله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وقوله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام: «وبابي الّذي أؤتى منه»، والله أعلم.

لَمَا وَلَّيْتُ عَنْها، وَلَوْ أَمْكَنَتِ[١] ٱلْفُرَصُ مِنْ رِقابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْها، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ ٱلْأَرْضَ مِنْ هَذَا ٱلشَّخْصِ ٱلْمَعْكُوسِ[٢]، وَٱلْجِسْمِ ٱلْمَرْكُوسِ[٣]، حَتّى تَخْرُجَ الْمِدْرَةُ[٤] مِنْ بَيْنِ حَبِّ ٱلْحَصِيدِ.

وأشار إلى واجبات الإمامة فقال:

(أأقنع من نفسي بأن يقال: أمير المؤمنين) متلبسا بالعناوين الخياليّة من دون مصداقية؟

وسرد من واجبات الإمامة:

الأوّل: (ولا أشاركهم في مكاره الدهر) ولا تكون المشاركة والتضامن مع الشعب المسلم إلّا بان تكون مشاركة حقيقية في المكاره، وليس التحصن في القصور واصدار الاوامر فقط من دون مشاركة فعلية.

الثاني: الاسوة (أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش) والجشوبة: الخشونة؛ فإنّ القائد المسلم يجب أن يكون اسوة لغيره.

والقائد الذي يتحسس بآلام مجتمعه يكون اسوة له دون غيره.

الثالث: ضبط النفس باداء الدور الإنساني، وليس الانقياد للملاذ في الحياة .

(فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات)؛ فإنّ الله سبحانه اكرم الإنسان بالعقل ليستخدمه لما ينفع في الحياة، ويفرق به عن سائر الحيوانات، واشار إلى صفات الحيوانات:

١ ـ (كالبهيمة المربوطة) حيث انها منقادة برباط عادي، والله حرر الإنسان من كلّ عبودية.

٢ ـ (همها علفها) فلا يهم الحيوان إلّا ما ينفعها ماديا، ولا مجال للعقل فيها.

٣ ـ (أو المرسلة) أي البهيمة التي لا رباط لها، بل هي مرسلة في العراء.

---

(١) في ب: تمكنت، وفي هـ. ب: في نسخة: امكنت.
(٢) في هـ. ب: المغلوب، وفي هـ. ص: هو معاوية لعنة اللّه عليه ، وسماه معكوساً ومركوساً؛ لأنّه خالف الفطرة، فكان ملحداً، وخالف ما علمه يقيناً من لزوم حق أمير المؤمنين عليه السلام لجميع من أقر بالإسلام، فردّ في الضلالة بعد ان عرف الهدىٰ، فكان ممّن انقلب على عقبيه.
(٣) الركس: ردّ الشيء مقلوباً، وقلب آخره على اوّله، والمراد المقلوب فكرهُ، وفي هـ. ب: المنكوس.
(٤) قطعة الطين اليابس.

٤ ـ (شغلها تقممها) المقمة الشفة؛ فإنّ كلّ ذي طلف يأكل بشفته.

٥ ـ (تكترش من أعلافها) والكرش: معدة الحيوان، والعلف: ما تاكله الدواب.

٦ ـ (وتلهو عما يراد بها) حينما تستغني عن الاكل.

وحال الإنسان الذي لا يستخدم عقله في المطعم انما هو حال هذه الحيوانات المربوطة أو المرسلة، اعاذنا الله من ذلك .

الرابع: الرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، وقد أشار اليها على سبيل الاستفهام الانكاري بقوله:

١ ـ (أو أترك سدى) السدى: الفائدة، فان لكل انسان فائدة لنفسه ومجتعه بالمواهب التي خلق الله فيه.

٢ ـ (أو أهمل عابثا) فلم يخلق الله الإنسان عبثا، بل مسؤولا في الحياة.

٣ ـ(أو أجر حبل الضلالة)؛ فإنّ المسؤولية الاسلاميّة تفرض الوعي عن طريق العدالة ومجاريها.

٤ ـ (أو أعتسف طريق المتاهة) الاعتساف: السلوك في غير طريق واضح، والمتاهة: الارض التي يشتبه فيها السالك.

وكلّ هذه النقاط الاربع تناقض الرؤية الواضحة التي يتحصن بها الانسان المسلم في الحياة، فكتف بالقائد؟!.

الخامس: الجهاد، وقد دفع شبهة تطرأ في مثل هذا الموضع بقوله:

(وكأني بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان)؛ فإنّ مما يفتقر إليه المجاهد القوةالجسدية للنزول الى ساحة الحرب.

فاجاب عن ذلك، بأن المجاهد يفتقر إلى الوعي الاسلامي الدافع للجهاد، فعندئذٍ يقوم بواجبه الاسلامي في ساحة المعركة حسب التربية الفكرية والثقافة الاسلامية التي تربى عليها .

أوّلاً: فذكر امثلة على التربية الطبيعيّة في الحياة بقوله:

١ ـ (ألا، وإن الشجرة البرية أصلب عودا)؛ لأنّ تربية الشجرة في الصحراء يجعلها في حصانة لمواجهة العواصف التي تعودت عليها لصلابة عودها.

٢ ـ (والرواتع الخضرة أرق جلودا) والرواتع: الاعشاب التي تنبت في الاراضي الخصبة، فانها تحمل قشراً رقيقا بحكم طبيعتها، حيث لا تواجه الحياة البرية السابقة؛ لكثرة المياه التي ترفق قشورها.

٣ ـ (والنابتات البدوية أقوى وقودا وأبطأ خمودا) والنابتات: النباتات من الخضروات والعذي: الزرع الذي لا يسقيه الا ماء المطر، فإنّها بحكم تربيتها من المياة الطبيعة تكون اصلب مما تسقى في الحدائق والبيوت بالمياه الجارية، وكذلك يكون فيها صلابة يوجب قوة الوقود واستدامته لفترة أطول.

وليست هذه الحالات الثلاث الطبيعية للنباتات والشجر إلّا بسبب التربية الضعيفة التي تربت عليها في الصحراء أو البيوت.

ثانياً: أن التربية الشخصية التي تربى الإمام من تخرجه من مدرسة النبوة جعلته على رؤية واضحة بتحرك على ضوئها حسب الظروف والاحوال في تطبيق الاهداف الاسلامية، والمجاهد يفتقر في حركته إلى هذه الروح المعنوية بالدرجة الاولى، ولا يهمه الامور المادية، بل يتحرك في حدود طاقاته الشخصيّة كما تفرضها الظروف والاحوال، وهذا هو المطلوب في الجهاد بالتحرك حسب القدرة والطاقة فقال:

١ ـ (وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو)؛ لأنّ صنو الإمام مشتق من صنو الرسول، ويهتدي بهدى الرسول، فيطبق في الحكم سنة الرسول.

٢ ـ (والذراع من العضد) العضد: الساعد من المرفق إلى الكتف في الجسم، والذراع: للانسان من طرف المرفق إلى طرف الاصابع، فكأن الرسول هو العضد والإمام هو الذراع المتفرع منه في المواقف والرؤية الواضحة للاسلام نظريا وعمليا.

وعن نتيجة هذه التربية الاسلاميّة التي امتاز الإمام بها في حياة قال مؤكدا:

٣ ـ(والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها) للرؤية الواضحة بأن الهدف في الجهاد هو احدى الجسنيين (النصر أو الشهادة) ومن يتمتع بهذه الرؤية في الحرب لا يكون إلّا ظافرا.

٤ ـ (ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها)؛ فإنّ الفرصة هي المسؤولية الاسلامية التي لا يمكن أن يتعداها أي مسلم، فكيف بالإمام؟ والتاريخ يشهد على ذلك في مواقف الإمام في غزوات الرسول.

٥ ـ (وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس) والعكس: قلب الشئ، والركس: رد الشيئ مقلوبا، اشارة إلى معاوية الذي عاكس الحق من السنة النبويّة في الحكم القائم بالشورى وانقلب من مسلم يتصف بالاسلام إلى من يناقضه في الاحكام باتباع احكام الجاهلية، واطهرها: الحكم بالوراثة.

٦ ـ (حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد) المدرة: وهي الطين اليابس الذي يمنع من نمو الحب في الارض، اشارة إلى معرفته الاحكام الاسلامية كما بشّر به النبيصلى الله عليه وآله.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« وذلك لان الضوء الأول يكون علة في الضوء الثاني ألا ترى أن الهواء المقابل للشمس يصير مضيئا من الشمس ! فهذا الضوء هو الضوء الأول . ثم إنه يقابل وجه الأرض فيضئ وجه الأرض منه فالضوء الذي على وجه الأرض هو الضوء الثاني وما دام الضوء الأول ضعيفا فالضوء الثاني ضعيف . فإذا ازداد الجو إضاءة ازداد وجه الأرض إضاءة لان المعلول يتبع العلة فشبه عليه السلام نفسه بالضوء الثاني وشبه رسول اللهصلى الله عليه وآله بالضوء الأول وشبه منبع الأضواء والأنوار سبحانه وجلت أسماؤه بالشمس التي توجب الضوء الأول ثم الضوء الأول يوجب الضوء الثاني . وها هنا نكتة وهي أن الضوء الثاني يكون أيضا علة لضوء ثالث وذلك أن الضوء الحاصل على وجه الأرض – وهو الضوء الثاني – إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريبا منه مكان مظلم فإن ذلك المكان يصير مضيئا بعد أن كان مظلما وإن كان لذلك المكان المظلم باب وكان داخل البيت مقابل ذلك الباب جدار كان ذلك الجدار أشد إضاءة من باقي البيت ثم ذلك الجدار إن كان فيه ثقب إلى موضع آخر كان ما يحاذي ذلك البيت أشد إضاءة مما حواليه وهكذا لا تزال الأضواء(١) يوجب بعضها بعضا على وجه الانعكاس بطريق العلية وبشرط المقابلة ولا تزال تضعف درجة درجة إلى أن تضمحل ويعود الامر إلى الظلمة . وهكذا عالم العلوم . والحكم المأخوذة من أمير المؤمنين عليه السلام لا تزال تضعف كما انتقلت من قوم إلى قوم إلى أن يعود الاسلام غريبا كما بدأ بموجب الخبر النبوي الوارد في الصحاح . وأما قوله :) والذراع من العضد (فلان الذراع فرع على العضد والعضد أصل ألا ترى أنه لا يمكن أن يكون ذراع إلا إذا كان عضد

(١) في بعض النسح:« لا يزال الضوء» .

ويمكن أن يكون عضد لا ذراع له ولهذا قال الراجز لولده :

يا بكر بكرين ويا خلب الكبد   أصبحت منى كذراع من عضد

فشبه عليه السلام بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالذراع الذي العضد أصله وأسه والمراد من هذا التشبيه الإبانة عن شدة الامتزاج والاتحاد والقرب بينهما . فإن الضوء الثاني شبيه بالضوء الأول والذراع متصل بالعضد اتصالا بينا . وهذه المنزلة قد أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وآله في مقامات كثيرة نحو قوله في قصة براءة :) قد أمرت أن لا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى (وقوله :) لتنتهن يا بني وليعة أو لأبعثن إليكم رجلا منى (أو قال :) عديل نفسي (وقد سماه الكتاب العزيز) نفسه (فقال :) ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم)[1] وقد قال له :) لحمك مختلط بلحمي ودمك مسوط بدمي وشبرك وشبري واحد (. فإن قلت : أما قوله :) لو تظاهرت العرب على لما وليت عنها (فمعلوم فما الفائدة في قوله :) ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها (؟ وهل هذا مما يفخر به الرؤساء ويعدونه منقبة وإنما المنقبة أن لو أمكنته الفرصة تجاوز وعفا ! قلت : غرضه أن يقرر في نفوس أصحابه وغيرهم من العرب أنه يحارب على حق وأن حربه لأهل الشام كالجهاد أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وأن من يجاهد الكفار يجب عليه أن يغلظ عليهم ويستأصل شأفتهم ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما جاهد بني قريظة وظفر لم يبق ولم يعف وحصد في يوم واحد رقاب ألف انسان صبرا في مقام واحد لما علم في ذلك من إعزاز الدين وإذلال المشركين فالعفو له مقام والانتقام له مقام . قوله :) وسأجهد في أن أطهر الأرض (الإشارة في هذا إلى معاوية سماه شخصا معكوسا وجسما مركوسا والمراد انعكاس عقيدته وأنها ليست عقيدة هدى بل هي معاكسة للحق والصواب وسماه مركوسا من قولهم : ارتكس في الضلال والركس: رد الشئ مقلوبا قال تعالى :) والله أركسهم بما كسبوا)[2] أي قلبهم وردهم إلى كفرهم فلما كان تاركا للفطرة التي كل مولود يولد عليها كان مرتكسا في ضلاله وأصحاب التناسخ يفسرون هذا بتفسير آخر قالوا : الحيوان على ضربين منتصب ومنحن فالمنتصب الانسان والمنحني ما كان رأسه منكوسا إلى جهة الأرض كالبهائم والسباع . قالوا : وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله :) أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) سورة النساء : ٨٨.

مستقيم)[١] . قالوا : فأصحاب الشقاوة تنتقل أنفسهم عند الموت إلى الحيوان المكبوب وأصحاب السعادة تنتقل أنفسهم إلى الحيوان المنتصب ولما كان معاوية عنده ع من أهل الشقاوة سماه معكوسا ومركوسا رمزا إلى هذا المعنى . قوله :) حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد (أي حتى يتطهر الدين وأهله منه وذلك لان الزراع يجتهدون في إخراج المدر والحجر والشوك والعوسج ونحو ذلك من بين الزرع كي تفسد منابته . فيفسد الحب الذي يخرج منه فشبه معاوية بالمدر ونحوه من مفسدات الحب وشبه الدين بالحب الذي هو ثمرة الزرع».[٢]

(٧/ك ٤٥) مغريات الدنيا:

إِلَيْكِ عَنِّي يا دُنْيا[٣]، فَحَبْلُكِ عَلى غارِبِكِ[٤]، قَدِ ٱنسَلَلْتُ[٥] مِنْ مَخَالِبِكِ[٦]، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبائِلِكِ[٧]، وَٱجْتَنَبْتُ ٱلذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ[٨].

أَيْنَ ٱلْقُرُونُ[٩] ٱلَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكَ[١٠]! أَيْنَ ٱلْأُمَمُ ٱلَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ[١١] بِزَخارِفِكِ! هَا هُمْ[١٢] رَهائِنُ ٱلْقُبُورِ، وَمَضامِينُ[١٣] ٱللُّحُودِ.

وَٱللّٰهِ لَوْ كُنْتِ شخْصاً مَرْئِيّاً، وَقالَباً حِسِّيّاً[١٤]، لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ ٱللّٰهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمانِيِّ، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي ٱلْمَهاوِي، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ[١٥] إِلَى ٱلتَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ[١٦] مَوَارِدَ

---

(١) سورة الملك: ٢٢ .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٩٠ ـ ٢٩٢.
(٣) في هـ . ص: قال في شرح ابن أبي الحديد؛ ومن هذا الكتاب وهو آخره، وقوله: «إليكِ عنّي» أي أبعدي.
(٤) في هـ . ص: وقوله:«حبلك على غاربك» كناية عن التطليق، وأصله من الناقة يلقىٰ حبلها على غاربها، وهو ما بين السنام والعنق فتذهب أين شاءت.
(٥) في هـ . ص: انسلّ: ذهب في خفية وتلطف.
(٦) في هـ . ب: جمع مخلب.
(٧) في هـ . ص: جمع حبالة: ما يصاد به.
(٨) في هـ . ب: جمع المدخص، وهو المزلق، وفي هـ . ص: المدحض: المزلق.
(٩) في أ: القوم.
(١٠) في هـ . ص: جمع مدعبة، من الدعابة، وفي هـ . د: بمداعيك ـ ن ع.
(١١) في ب: فتنتيهم.
(١٢) في ط: فهاهم.
(١٣) في هـ . ب: جمع مضمون، كأُضلول وأضاليل.
(١٤) في ب: جنسياً، وفي هـ . ب: في نسخة: حسياً.
(١٥) في ب: أسلمتيهم.

الْبَلَاءِ؛ إِذْ لا وِرْدَ وَلا صَدرَ[١٧].

هَيْهاتَ مَنْ وَطِءَ دَحْضَكِ[١٨] زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجِك غَرِقَ، وَمَنِ ٱزْوَرَّ[١٩] عَنْ حِبَالِكَ[٢٠] وُفِّقَ[٢١]، وَٱلسَّالِمُ مِنْكَ لا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ[٢٢]، وَٱلدُّنْيا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حانَ منه[٢٣] ٱنْسِلَاخُهُ[٢٤].

وعن مغريات الدنيا قال مخاطبا اياها مشيرا إلى آثارها:

(اليك عني يا دنيا!) أي ابعدي عني؛ فانه لاصلة بين القائد المسلم ومغريات الدنيا، لصفات الدنيا الحقيقية، وهي:

١ ـ (فحبلك على غاربك) وذلك أن من يريد الناقة ممسك بحبلها احتفاظا بها، واذا جعل الحبل على غاربها وهو ما بين السنام والعنق فان الناقة تصبح طليقة لا صلة بينها وبين مالكها.

٢ ـ (قد انسللت من مخالبك) الانسلال: التخلص، فلا سلطان لك علي.

٣ ـ (وأفلت من حبائلك) والحبالة: شبكة الصيد، والانفلات: التحرز منها.

٤ ـ (واجتنبت الذهاب في مداحضك) والمداحض: المزالق؛ للرؤية الواضحة في طريق الحياة الاسلامية الواقية من المزالق.

٥ ـ (أين القرون الذين غررتهم بمداعبك) والقرون: الاكفاء، والمداعبة: المزاح؛ فإنّ من انخدع بمغريات الدنيا من الاقران والاكفاء كثيرون، واصبحوا جميعا كافراد صرعي للدنيا.

٦ ـ (أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟) وكذلك الامم السابقة التي لم تحدد

---

(١٦) في ب: أوردتيهم.
(١٧) الورد: ورود الماء، والصَّدَرَ: الصدور عنه بعد الشرب.
(١٨) الدحِض: المكان الّذي لا تثبت فيه الأرجل.
(١٩) ازورّ: مالَ وتنكّب، وفي هـ. ب: ولّىٰ.
(٢٠) في ص: حبائلك.
(٢١) في هـ. ب : من التوفيق.
(٢٢) في هـ . ص: مناخه: مقامه في الدنيا لما تعرض له فيها من المجن؛ لا يقانه بزوالها وسلامته من فتنتها.
(٢٣) لم ترد «منه» في أ و ط .
(٢٤) انسلاخه: انقضاؤه وزواله.

مسؤولياتها وانخدعت بزخارف الدنيا وزينتها فاصبحت مفتونة للمضاهر وتنافست فيها، ولم تأخذ منها شيئا إلى الآخرة.

٧ ـ (هاهم رهائن القبور) اصبح الاقران في القبور رهائن اعمالهم.

٨ ـ (ومضامين اللحود) وضمتهم اللحود، وهو الشق المحفور في أحد جانبي القبر، وضمهم جميعا صرعى لمغريات الدنيا.

وعن الحكم العادل في الدنيا قال مؤكدا:

١ ـ (والله لو كنت شخصا مرئيا) كسائر الناس ممن له شخص خارجي ويرى بالحس وهو مرتكب لهذه الجرائم.

٢ ـ (وقالبا حسيا) والقالب: ما يفرغ فيه الشيئ ليكون مثالا خارجيا، ولا يكون القالب إلّا محسوسا بالحواس الخمس.

٢ ـ (لأقمت عليك حدود الله) التي يجب أن تنزل في كلّ من يرتكب من الجرائم التي ارتكبتها الدنيا، كما هو شان اصحابها، واشار منها الى:

٤ ـ (في عباد غررتهم بالأماني) والوعود الخيالية التي لا حقيقة لها.

٥ ـ (وأمم ألقيتهم في المهاوي) بسقوطهم في مسالك الضلال.

٦ ـ (وملوك أسلمتهم إلى التلف) بعد أن اعطيتيهم كلّ قوة، فاصحبوا مغروين بالملك.

٧ ـ (وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر)؛ فإنّ البلاء الذي ابتلي العباد والامم والملوك جميعا انما هو بلاء لا ورود فيه ولا خروج؛ لأنّ البلاء في تلك الموارد بلاء خالد ابدي، بخلاف موارد الشرب التي لها ورد وهو الماء، و صدر وهو الخروج من الماء.

٨ ـ (هيهات! من وطئ دحضك زلق) الدحض: محل الزلق؛ فإنّ من يمشي على هذا المكان ينزلق.

٩ ـ (ومن ركب لججك غرق) ولجة الماء: معظمه، فلا أمن في الدنيا.

١٠ ـ (ومن أزور عن حبائلك وفق) والزور: التنكب، والحبالة: شبكة الصيد؛ فإنّ المتنكب عنها يوفق للنجاة منها.

١١ ـ (والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه) والمناخ: المكان المعد لاستراحة الابل؛ فإنّ السكنى حتى في مثل مناخ الابل افضل من السقوط في مغريات الحياة، فيرضى دونها بكل ما لا يلائم الإنسان حفاظا على كرامته فيكون:

١٢ ـ (والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه) أي اليوم الذي هو فناء الدنيا، فيكون نظره السالم من مغريات الدنيا: ان الدنيا قد فنيت وحياة الإنسان قد ابتدأت بكرامة وعزة وسلامة؛ لانها حياة عقلية، ومتابعة مغريات الدنيا حياة حيوانية.

(٨/ك ٤٥) رياضة النفس:

أَعْزُبِي[١] عَنِّي[٢]! فَوَٱللّٰهِ لا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلا أَسْلَسُ[٣] لَكِ فَتَقُودِينِي، وَأَيْمُ ٱللّٰهِ يَميناً[٤] أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ ٱللّٰهِ[٥]، لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ[٦] مَعَها إِلَى ٱلْقُرْصِ إِذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً؛ وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ ماءٍ نَضَبَ مَعِينُها[٧]، مُسْتَفْرِغَةٍ[٨] دُمُوعُها[٩].

أشار إلى ما يفتقره الإنسان في حياته من الرؤية الواضحة وهي ضرورة رياضة النفس الانسانية حتّى يكون العقل حاكما عليها، فتكون الدنيا محكومة بارادته، فقال مخاطبا الدنيا:

١ ـ (اعزبي عني) أي ابعدي؛ فإنّ القرب من الشئ من المغريات للوقوع في الدنيا، وكلما كان الإنسان ابعد من الدنيا كان ابعد من الشر.

٢ ـ (فوالله لا أذل لك فتستذليني)؛ فإنّ التوجه إلى الدنيا ذلة فتستولي الدنيا على الإنسان فتذله.

٣ ـ(ولا أسلس لك فتقوديني) والسلسل: هو يهولة الانقياد، حيث أن الدنيا لا يمكن من أن يقود أحدا إلّا بعد أن يلبس الإنسان بمغرياتها.

٤ ـ (وأيم الله يمينا أستثني فيها بمشيئة الله)؛ فإنّ ارادة الله ومشيئته حاكمة على ارادة الإنسان مهما كان.

---

(١) في أ و ب و ص: اعْزِبي، وفي هـ. ب: في نسخة: اعزبي.
(٢) في هـ. ص: أي أبعدي، غرب الرجل ـ بالفتح ـ: أي بعد، من الشرح.
(٣) في هـ. ب: من اسلس للفرس اللجام، وفي هـ. ص: يقال: سلس ـ بالكسر ـ سلسا، أي سهل.
(٤) هـ. ب: حلفا.
(٥) في هـ. ب: في نسخة: مشيّة اللّه.
(٦) في هـ. ب: تتمنى.
(٧) المعين.
(٨) في هـ. ب: مصبوبة.
(٩) في هـ. ب: عيونها.

٥ ـ (لأروضن نفسي رياضة) خاصة الزم نفس بها باعتبار تحمل مسؤولية القيادة قوامها:

أوّلاً: (تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما) والهش: الفرح، فيمنع النفس من القرص مع القدرة حتّى تفرح حينما تجد القرص باعتباره امرا جديدا في الحياة.

ثانياً: (وتقنع بالملح مأدوما) والادام: الطعام الذي يؤكل مع الغذاء؛ فإنّ ترويض النفس عن الادام لفترة حتى تقنع النفس بالملح اداماً .

ثالثاً: (ولأدعن مقلتي كعين ماء) بان تؤثر الرياضة التي أخذها على نفسه باعتباره اماما بحيث تترك عين الإنسان التي هي افضل عضو في الجسم كعين الماء ذات الصفات التالية:

(نضب معينها) والنضب: عوز الماء، والمعين: الماء الجاري، فتكون:

(مستفرغة دموعها) بأن لا يكون فيها ماء على اثر هذه الرياضة الشاقة ـ اذا قدر عليه وشاء الله ذلك ، ومن يتمكن من ذلك يا اميرالمؤمنين؟، فان الرياضة المطلوبة في القائد الاسلامي للنفس الانسانية يجب أن يكون بهذه المثابة.

وعن نتيجة هذه الرياضة اشار الى:

(٩ / ك ٤٥) مسؤوليات القائد:

أَتَمْتَلِئُ[١] ٱلسّائِمَةُ مِنْ رَعْيِها فَتَبْرُكَ، وَتَشْبَعُ ٱلرَّبِيضَةُ[٢] مِنْ عُشْبِها[٣] فَتَرْبِضَ[٤]، وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ[٥]، قَرَّتْ إذا عَيْنُهُ إِذَا ٱقْتَدَى بَعْدَ ٱلسِّنِينَ ٱلْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ ٱلْهَامِلَةِ[٦]، وَالسَّائِمَةِ ٱلْمَرْعِيَّةِ!

ان المسؤولية القيادة في الاسلام من وجهة نظر الإمام انما تحقق فيها اذا تحققت العدالة على جميع خلق الله في الدولة الاسلاميّة، ولا يكون ذلك إلّا فيما اذا كان الجواب عن الاسئلة التالية بالاثبات:

---

(١) هـ. ب: تشبع.
(٢) في هـ. ب: المربوطة، وفي هـ. ص: جماعة البقر أو الغنم.
(٣) في هـ. ب: علفها.
(٤) مربض الغنم.
(٥) في هـ. ب: ينام.
(٦) في هـ. ب: المهملة.

١ ـ (أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك؟) والسائمة: الحيوانات الطليقة للرعي، بأن يكون لها ما تفتقر إليه من الكلأ الى حد الامتلاء فوق حد الحاجة، وتترك في بقاعها براحتها من دون الم بالجوع.

٢ ـ (وتشبع الربيضة من عشبها فتربض؟) والربيضة: الغنم، التي في اماكن ربضها، وهي كالسكن للانسان المعطن للابل، بأن يكون للغنم ما تفتقر إليه من العشب وتأكل منها إلى حد الشبع، فتسكن في مرابضها من دون الم بالجوع من العشب.

٣ ـ(ويأكل علي من زاده فيهجع) الهجعة: النوم الحفيف في اول الليل، فيكون القائد الاسلامي كعلي يأكل ما يفتقر إليه من الزاد فينام نومه خفيفة في اول الليل ويقوم بواجباته من العبادات في الليل والمسؤوليات في النهار؟

فاذا كانت الاجابة على هذه الاسئلة الثلاثة بالاثبات فقد ادى القائد مسؤولياته القيادية في المجتمع الذي يقوده، ولخّص ذلك بقوله:

(قرّت إذا عينه) حيث ادى ما عليه من المسؤوليات تجاه الثروة النباتية والثروة الحيوانية في الدولة الاسلاميّة، وحاله حال سائر الخلق في الدولة من الحيوانات.

(إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية) فكانت الاولوية تأمين الثروة الحيوانية بتأمين حاجاتها من الثروة الزراعية لكل ممتلكات الدولة من البهيمة الطليقة والسائمة، فكيف بحقوق الانسان؟ ومن غيرك يا اميرالمؤمنين ينظر الى القيادة الاسلاميّة مثلك؟!!

(١٠/ك ٤٥) **حزب الله:**

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلى رَبِّها فَرْضَها، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِها بُؤْسَها[1]، وَهَجَرَتْ فِي ٱللَّيْلِ غُمْضَها[2]، حَتّى إِذَا غَلَبَ ٱلْكَرَى عَلَيْهَا ٱفْتَرَشَتْ أَرْضَها[3]، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّها، فِي[4] مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعادِهِمْ، وَتَجافَتْ[5] عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ[6] بِذِكْرِ رَبِّهِمْ

(١) في هـ. ب: شقوتها، وفي هـ. ص: أي صبرت على بؤسها، والمشقة التي تنالها، يقال: عرك فلان بجنبه الأذى: أي أغضى عنه وصبر عليه، انتهىٰ من الشرح.
(٢) في هـ. ب و ص: أي نومها.
(٣) في هـ. ص: أي ليس لها فراش إلّا الأرض؛ لأنّها لم تتهيأ للنوم، بل غلبها الكرىٰ.
(٤) في هـ. ب: أي هو في معشر.
(٥) في هـ. ص: أي ارتفعت ونبت.

شِفاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ[٧] بِطُولِ ٱسْتِغْفارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ[٨] ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٩].

ثم أشار إلى مسؤوليات المسلمين الذي هم حزب الله فقال:

١ ـ (طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها) باداء الفرائض الاسلاميّة الواجبة في الحياة الشخصية والاسرية والاجتماعية مؤمنا بها وبشرائطها.

٢ ـ (وعركت بجنبها بؤسها) والعرك بالجنب: الصبر، والبؤس: المشقة، فانه لا يخلو ايّ مسؤولية من مشقة في سبيل تحقيقها في الحياة.

٣ ـ(وهجرت في الليل غمضها) والغمض: النوم المستلزم لغمض العين في الليل عادة، واما صاحب المسؤولية فيهجر هذا النوم في سبيل اداء الواجب الاسلامي.

٤ ـ (حتى إذا غلب الكرى عليها) والكرى: النعاس بسبب هجران النوم وغلبة النعاس، فينام بمقدار الحاجة الجسدية؛ فإنّ الإنسان لم يخلق للنوم، بل للعمل.

٥ ـ (افترشت أرضها) فنام على الارض فراشا، وليس على الظنافس التي أعدت للراحة الموجبة للخمول.

٦ ـ (وتوسدت كفها) بأن اتخذت الكف بديلا عن الوسادة.

٧ ـ (في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم) ولا يكون السهر لهم إلّا لأداء واجب روحي، وهو العبادة خوفا من المعاد.

٨ ـ (وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم) الجفاء: البعد، والمضجع: مكان النوم، والجنب: الجانب، اقتباساً من قوله تعالى:﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾.[١٠]

٩ ـ (وهمهمت بذكر ربهم شفاههم) والهمهمة: الصوت الذي يكون خفيا كالمناجي نفسه، يذكر ربّه تاكيدا على الصلة المباسرة بين العبد والرب.

١٠ ـ (وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم) والتقشع: التفرق، وذلك بغفران الله سبحانه لذنوبهم بسبب طول الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثمّ يَسْتَغْفِرِ

(٦) في هـ . ص: الهمهمة: كلام خفيّ.
(٧) في هـ . ب: انكشفت، وفي هـ . ص: ذلت وذهبت كما تتقشع السحاب شيئاً فشيئاً.
(٨) لم ترد الآية في أ و ب و ص، وفي هـ . د: الآية لم ترد في ف ن ش.
(٩) المجادلة: ٥٨ / ٢٢.
(١٠) السجدة :١٦.

ٱلله يَجِدِ ٱلله غَفُوراً رَحِيماً).[١]

وهذه النقاط العشر هي المسؤوليّات الاسلاميّة لحزب الله، وختمها مقتبسا من قوله تعالى:﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾.[٢]

(١١/ك ٤٥) **نصيحة اخيرة:**

فَاتَّقِ ٱللّه يَابْنَ حُنَيْفٍ، وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ ٱلنَّارِ خَلاصُكَ[٣].

وختم المقطع مخاطبا ابن حنيف بقوله:

(فاتق الله يا ابن حنيف) من الاسراع إلى قبول المأدبة المخصصة للاعيان والاشراف .

(ولتكفك أقراصك) بأن يكف الاقراص وهي الارغفة من الطعام من ابن حنيف؛ لأنّ هذه الاقراص هي مغريات الدنيا بالنسبة إلى ابن حنيف، وطبيعيّ أن لا تكفي هذه الاقراص عنه إلّا أن يبتعد هو عنها بعدم الاسراع إلى قبول المآدب المعدة للاعيان.

وعن السبب في هذا الكف قال:

(ليكون من النار خلاصك)؛ فإنّ الاغترار بحضور المجالس الخاصة بالاعيان والتي لا يشترك فيها فقراء العصر والزمان من بين الإنسان، من مزالق الركون إلى الدنيا، فيجب الاجتناب عنها، وخاصة لمن هو في مستوى المسؤولية ويمثل القياديّة الاسلاميّة، والله العاصم.

[٤٦]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى بَعْضِ عُمّالِهِ، في مسؤولية الوظيفة واهدافها ووسائلها ومبادئها:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ[٤] بِهِ عَلى إِقامَةِ ٱلدِّينِ، وَأَقْمَعُ[٥] بِهِ نَخْوَةَ[٦] ٱلْأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ[٧] ٱلثَّغْرِ ٱلْمَخُوفِ.

---

(١) النساء: ١١٠.

(٢) المجادلة : ٢٢.

(٣) عبارة:« فاتق اللّه يابن حنيف، ولتكفك اقراصك؛ ليكون من النار خلاصك» لم ترد في أ ب ص، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ف م ن ش..

(٤) في هـ. ب: استعين.

(٥) في هـ. ب: واقلع.

(٦) في هـ. ب: تكبره.

(٧) في أ: أفواه، وفي هـ. ص: اللهاة: جانب الفم، وأراد بها ـ هنا ـ الفم نفسه.

فَاسْتَعِنْ بِاللّٰهِ عَلى ما أَهَمَّكَ، وَٱخْلِطِ ٱلشِّدَّةَ بِضِغْثٍ(١) مِنَ ٱللِّينِ؛ وَٱرْفُقْ مَا كانَ ٱلرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَٱعْتَزِمْ(٢) بِالشِّدَّةِ حِينَ لا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا ٱلشِّدَّةُ.

وَٱخْفِضْ(٣) لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ(٤) وَأَلِنْ لَهُمْ جانِبَكَ، وَآسِ(٥) بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَٱلنَّظْرَةِ، وَٱلْإِشَارَةِ وَٱلتَّحِيَّةِ، حَتّى لا يَطْمَعَ الْعُظَماءُ فِي حَيْفِكَ، وَلا يَيْأَسَ ٱلضُّعَفاءُ مِنْ عَدْلِكَ، وَٱلسَّلامُ.

(ك ٤٦/١) من كتاب له ﷺ إلى بعض عماله:

اشار الإمام في هذا المقطع إلى الاهداف من الوظيفة للعمال الذين يمثلون الدولة الاسلامية، ثمّ الوسائل التي ينبغي أن تتخذ في سبيل تحقيقها مع الاشارة إلى المبدأ الاسلامي من المساواة في المجتمع بين كافة طبقاته.

وعن الاهداف قال:

(أما بعد، فإنك ممّن أستظهر به)؛ بأن تكون ظهرا، يعني تحقق الاهداف التالية:

أوّلاً: (على إقامة الدين) فاقامة الحكم الاسلامي من العبادات والمعاملات والعلاقات الاجتماعية والسياسية في الحياة استناداً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ثانياً: (وأقمع به نخوة الأثيم) بتطبيق العقوبات الاسلاميّة على من يرتكب الاثم ويتصف بالنخوة، وهي الكبر، فلابد من تاديبه بالقمع، وهو الكسر حتّى يرضخ للحكم الاسلامي العادل.

ثالثاً: (وأسد به لهاة الثغر المخوف) والثغر: حدود الدولة الاسلامية التي يخاف من النفوذ للهجوم على المسلمين منها، فيكون ذلك المنفذ كاللهاة التي في فم الإنسان، وبسد ذلك يزول الخوف من هجوم الاعداء.

وعن الوسائل اللازمة في تنفيذ الوظيفة والمسؤولية قال:

١ ـ(فاستعن بالله على ما أهمك) حيث أن الهدف في الوظيفة ليس الارتزاق، بل العمل

---

(١) في هـ. ب: الضغث ما يحصد من الحشيش، وفي هـ ص: الضَغث الخلط وأصله ملء الكف من الشجر.

(٢) في هـ. ب: في نسخة: واغترم: من الغرامة، وفي هـ. ص: من العزم، وهو المضيّ والنفاذ.

(٣) في هـ. ب: سهل.

(٤) « وابسط لهم وجهك » لم ترد فيأ ب ص،وفي هـ د:العبارة ساقطة من ف م ن ح ل ش.

(٥) في هـ. ب : من المواساة، وفي هـ. ص: أي اجعلهم سواء.

لوجه الله تعالى، فلابد أن تكون الوسيلة الأوّل الاستعانة به تعالى.

٢ ـ (واخلط الشدة بضغث من اللين) والضغث: الخلط بأن لا يكون الاستعلاء على الناس وسيلة، وحيث أن طبيعة الناس الاهمال فلابد من الشدة من دون استعلاء، بل المصحوبة باللين.

٣ ـ(وارفق ما كان الرفق أرفق) فيكون الرفق انما هو المفضل عند الخيار بينه وبين الشدة.

٤ ـ (واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلّا الشدة) فتكون الشدة اخر وسيلة تستخدم في سبيل تحقيق الاهداف الاسلامية.

وعن المبدأ الاساس في الحكم الاسلام قال:

أوّلاً: (واخفض للرعية جناحك) فإنّه ليس الحكم إلّا لخدمة الشعب المسلم وليس للاستعلاء عليهم، فلابد من خفض الجناح أي التواضع في التعامل مع الشعب.

ثانياً: (وابسط لهم وجهك) فلا يكون المواجهة مع الشعب من الوجه العابس، بل بطلاقة وجه يوجب التلاحم بين القاعدة والقيادة.

ثانياً: (وألن لهم جانبك) بالتسامح في التعامل من جانب الموظف، فلا يكون عن فرض ما لا يطيقه الشعب.

رابعاً: (وآس بينهم) والمواساة: العدالة في التعامل معهم على حد سواء في جميع الطبقات.

واشار الى المواساة في اربع نقاط، يختلف التعامل في الحياة الاجتماعية في الطبقات على أساسها، وهي:

١ ـ (في اللحظة) وهي النظرة الخاطفة، فلا يكون اللحظ إلى احد اكثر من الآخر.

٢ ـ (والنظرة) وهي النظرة العميقة؛ اعجابا أو استعلاءً.

٣ ـ(والإشارة) الدالة على طلب، كالجلوس أو القيام وما شابه.

٤ ـ (والتحية) والخطاب مسلما أو مودعا.

فان العادات الاجتماعية تختلف بالنسبة إلى الطبقات المختلفة، والموظف المسؤول اسلاميا يجب عليه التسوية في ذلك بين كافة الطبقات.

وعن سبب ذلك قال:

خامساً: (حتى لا يطمع العظماء في حيفك) والحيف: الظلم لغيرهم، فى مصلحة من يتصف بالعظمة في المجتمع، لا لشئ سوى هذه العظمة الخيالية.

(ولا ييأس الضعفاء من عدلك . والسلام)؛ فإنّ عدم المساواة في النقاط الاربع من اللحظة والنظرة والاشارة والتحية يوجب فقدان الثقة بالحكم العادل، وبالنتيجة ييأس الضعفاء من المجتمع، وهذا ينافي المبدأ الاسلامي في الحكم وهو العدالة.

٤٧ ـ ومن وصية له عليه السلام.

[٤٧]

وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عليه السلام لِلْحَسَنِ وَٱلْحُسَيْنِ عليهما السلام لَمّا ضَرَبَهُ ٱبْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ ٱللّهُ[١]:

للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، ويتضمّن وصية خاصة للحسنين وعامة للمسلمين واخر للبشر عامة.

(١/ك ٤٧) الوصية للحسنين عليهما السلام:

أُوصِيكُما بِتَقْوَى ٱللّهِ، وَأَنْ لا تَبْغِيَا[٢] ٱلدُّنْيا وَإِنْ بَغَتْكُما[٣]، وَلا تَأْسَفا[٤] عَلى شَيْءٍ مِنْها زُوِيَ[٥] عَنْكُما، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَٱعْمَلَا لِلْأَجْرِ[٦]، وَكُونا لِلظّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

تتضمّن الوصيّة الخاصة للحسين من ستة بنود.

أوّلاً: (أوصيكما بتقوى الله)؛ فإنّ التقوى أساس إي عمل اسلامي.

ثانياً: (وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما)؛ فإنّ طلب الدنيا يستلزم حبها، وحتى في حالة ما اذا كان اقبال الدنيا من دون طلب .

والحادثة التي أوجبت كتابة الوصية تقتضي أن يكون ذلك اشارة إلى امر الخلافة للتجربة الحية التي عاشها الإمام في العراق.

---

(١) في أ زيادة: وأخزاه.
(٢) في ص: ولا تبغيا، وفي هـ. ص: في نسخة: وألّا تبغيا، وفي هـ. ب: لا تطلبا، وفي هـ. ص: أي لا تطلبا ولا تريدا.
(٣) في هـ. ب: طلبتكما.
(٤) في هـ. ب: لا تحزنا.
(٥) هـ. ب: قبض.
(٦) في هـ. ص: في نسخة: للآخرة، وفي هـ. د: للآخرة ـ حاشية ف.

ثالثاً: (ولا تأسفا على شئ منها زوي عنكما) والزوي: البعد؛ فإنّ بدرجة الابتعاد من الدنيا يكون السلامة من مغرياتها وافاتها.

رابعاً: (وقولا بالحق) في كلّ الحالات؛ لأنّ الحق يعلو ولا يعلى عليه، وبعد ظهور الحقائق يكون القائل به مظفرا في الدنيا، كما هو مظفر في الآخرة.

خامساً: (واعملا للأجر) من الله سبحانه وحده، وليس للناس الذين ينكرون الجميل.

سادساً: (وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا)؛ فإنّ الظلم مهما كان نوعه ومن أيّ مصدر حصل لابدّ وان يصطلي المتعاون معه بآثاره في الدنيا والآخرة؛ فإنّ مساعدة الظالم واعانته يوجب ان تسلط الظالم على هذا المعين، ويخشى منه لمكان المساعدة أن يجزيه جزاء سنمار، والظلوم اذا أعين لا ينسى من اعانة من دون حاجة إليه، فيجزي ذلك بالاحسان، واذا لم يكن حيا؛ فإنّ من يدرس تاريخ المظلومين يجد ذلك حقيقة.

(٢/ك ٤٧) وصية للمسلمين:

أُوصِيكُما وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى ٱللّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ؛ فَإِنّي سَمِعْتُ جَدَّكُما ﷺ يَقُولُ[1]: «صَلَاحُ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عامَّةِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيام».

ٱللّهَ ٱللّهَ فِي ٱلْأَيْتام؛ فَلَا تُغِبُّواْ[2] أَفْواهَهُمْ وَلا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ[3].

وَٱللّهَ ٱللّهَ فِي جِيرانِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مازالَ يُوصِي بِهِمْ حَتّى ظَنَنّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ[4].

وَٱللّهَ ٱللّهَ فِي ٱلْقُرْآنِ؛ لايَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ.

وَٱللّهَ ٱللّهَ فِي ٱلصَّلاةِ؛ فَإِنَّها عَمُودُ دِينِكُمْ[5].

وَٱللّهَ ٱللّهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ؛ لاتُخَلُّوهُ[6] ما بَقِيتُمْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُناظَرُوا[7].

---

(١) في ب: سمعت من رسول اللّه ﷺ يقول.

(٢) في هـ. ب: لا تغيّروا، ولا تغبّوا، من الغبّ، أي لا تغبوا في اطعامهم، وفي هـ. ص: أي لاتجيعوهم بأن تطعموهم غباً، وروي: «لا تغيروا أفواههم»؛ وذلك لأنّ الجائع يتغيّر فوه.

(٣) في هـ. ب: في نسخة: ولا أن تضيعوهم بحضرتكم، وفي هـ. ص: أي لا يلحقهم الضياع وأنتم حاضرون.

(٤) في هـ. ص: قد جاء في الحديث: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورّثه».

(٥) في هـ. أ: أي أصل دينكم.

(٦) في هـ. ب: لا نخلوه ولا تخلّوه بمعنى واحد.

وَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي ٱلْجِهادِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ.

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّواصُلِ[٨] وَٱلتَّباذُلِ[٩]، وَإِيّاكُمْ وَٱلتَّدابر وَٱلتَّقاطُعَ، لا تَتْرُكُوا ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ؛ فَيُوَلّى عَلَيْكُم أَشْرارُكُمْ[١٠]، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلا يُسْتَجابُ لَكُمْ.

ثم وجه الوصيّة للمسلمين باعتباره القائد لهم في الخلافة.

الوصيّة للمسلمين عامة.

ويستدعي دراسة خاصة لاثارها في المجتمع الاسلامي .

(أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي) من المسلمين؛ حيث أن غير المسلمين لا يؤمنون بهذه المواد البالغة ١٢ بندا، وقد سردها بقوله:

١ ـ (بتقوى الله)؛ فإنّ التقوى أساس لكل تحرك في حياة المسلمين اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

٢ ـ (ونظم أمركم) والنظام أساس في المجتمع؛ فإنّ المجتمع الذي لا يسوده نظام لابدّ وان يعم فيه الفوضى، والنظام الاسلامي مشروح بحدوده في القران والسنة.

٣ ـ(وصلاح ذات بينكم)؛ فإنّ صلاح المجتمع انما هو بصلاح الافراد، والاصلاح بين الناس من الاهداف الاسلاميّة التي أكّد عليها القرآن الكريم قال تعالى:﴿ان اريد إلّا الاصلاح ما استطعت﴾.[١١] وقال:(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون﴾.[١٢] ، ثمّ استشهد بالسنة النبويّة قائلا:

(فإني سمعت جدكما ﷺ يقول : «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»)؛ فإنّ العبادات منها: الصلاة والصوم إنّما توثر في حياة الفرد وتنقذه من مزالق الانحراف والاصلاح في المجتمع له اثر عام على المسلمين عامة في حاضرهم ومستقبلهم ، وطبيعيّ أن يكون ما نفعه اوسع افضل من ما يكون نفعه بالبعض خاصة.

٤ ـ (والله الله في الأيتام) أي اتقوا الله على سبيل الاغراء، واليتيم: من فقد الوالد في

(٧) في هـ. ب: أي لا تناظروا بالرحمة، وفي هـ. ص: أي يُعجل الانتقام منكم.
(٨) في هـ. ب: في الأرحام.
(٩) في هـ. ب: في الأموال.
(١٠) في هـ د : شراركم ـ ب.
(١١) هود : ٨٨.
(١٢) هود : ١١٧.

الحياة، ورعاية الايتام بالاهتمام بشؤونهم في الحياة، كما يراعي الوالد ولده لو كان حياً، سواءً في الناحية الصحية أو الاقتصادية أو الثقافية وغيرها.

وقد أشار اليها في تسلسلها الطبيعي بقوله:

(فلا تغبوا أفواههم) والغبوة: الغفلة عما يفتقره الإنسان في صحته الجسمية من الطعام الذي يفتقر اليه كلّ انسان في الحياة.

فيجب أن يكون ذلك على رأس قائمة الاولويات في رعاية الايتام، ويتبعها سائر الاولويات، واليها أشار بقوله:

(ولا يضيعوا بحضرتكم)؛ فإنّ ضياع اليتيم في المجتمع يسلتزم زيادة عدد واحد على من لا يتمكن من المساهمة في خير المجتمع، وانقاذه من الضياع يستلزم زيادة عدد واحد عضواً صالحاً في المجتمع يقوم بدوره المسؤول في الحياة، ومادام المسلمون حضوراً في الساحة يجب عليهم اداء هذه المسؤولية لكي لا يضيع اليتيم وبضياعه يضيع مستقبل الامة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« قال : " ولا يضيعوا بحضرتكم " أي لا تضيعوهم ، فالنهي في الظاهر للأيتام وفي المعنى للأوصياء والأولياء ، والظاهر أنه لا يعنى الأيتام الذين لهم مال تحت أيدي أوصيائهم ، لان أولئك الأوصياء محرم عليهم ان يصيبوا من أموال اليتامى إلا القدر النزر جدا عند الضرورة ثم يقضونه مع التمكن ، ومن هذه حاله لا يحسن أن يقال له لا تغيروا أفواه أيتامكم ، وإنما الأظهر انه يعنى الذين مات آباؤهم وهم فقراء يتعين مواساتهم ويقبح القعود عنهم ، كما قال تعالى :) ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)[١] ، واليتم في الناس من قبل الأب ، وفي البهائم من قبل الام لان الاباء من البهائم لا عناية لهم بالأولاد بل العناية للام لأنها المرضعة المشفقة وأما الناس فإن الأب هو الكافل القيم بنفقة الولد ، فإذا مات وصل الضرر إليه لفقد كافله والام بمعزل عن ذلك . وجمع يتيم على أيتام كما قالوا : شريف وأشراف ».[٢]

٥ ـ (والله الله في جيرانكم)؛ فإنّ للجوار حقوقا اسلامية يجب رعايتها، وقد حددت

(١) الانسان: ٨.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٧.

الروايات الجوار بأربعين دارا. واستشهد بذذ على السنّة النبويّة فقال:

(فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتّى ظننا انّه سيورثهم) وكأنهم بحكم الجوار اصبحوا يستحقون ارثا، فان حسن الجوار يعمر الديار كما في الاخبار، راجع المادّة في المعجم.

٦ ـ (والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم)؛ فإنّ القرآن هو القانون الاسلامي الالهي الذي ختم الله به كلّ الشرائع والقوانين لكماله في تشريعاته التي يفتقر اليها المجتمع من التوازن بين القيادة والقاعدة في كافة مجالات الحياة العباديّة والاجتماعية والاقتصاديّة والسياسية وغيرها، بالنسبة إلى الفرد والاسرة، والمجتمع العالمي في علاقاته الاقلميّة والعالمية.

٧ ـ (والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم) فإنّه الصلة بين العبد وربّه ينصرف به المسلم إلى الله سبحانه في كل يوم وليلة، يعاهد ربّه على المضي في واجباته الاسلامية بالنسبة إلى النفس والاسرة والمجتمع.

٨ ـ (والله الله في بيت ربكم)؛ فإنّ الكعبة المكرمة رمز الاسلام الذي يتوجه إليه المسلمون في كل انحاء العالم، فيجب المحافظة على هذا الرمز الالهي للتوحيد.

واشار إلى ضرورة المحافظة على الاثر قائلا:

(لا تخلوه ما بقيتم) بالحج إلى البيت ما استطاع الإنسان أو العمرة في الحياة.

(فإنه إن ترك لم تناظروا) والنظر ـ هنا ـ: الامهال؛ فإنّ الرمز اذا قضي عليه لا يكون كرامة لاصحابة، فيستولي عليهم اعداؤهم كما استولوا على رمزهم بلا فرق سوى فترة الزمن.

٩ ـ (والله الله في الجهاد)؛ فإنّ الجهاد من الفرائض الاسلامية التي لا يمكن الاستغناء عنها في حياة الامة، فان أية امة لا تتمتع بقوة تدافع عن مبادئها لابدّ وان تكون غرضا للاعداء بالاستيلاء عليهم فكريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسياً عاجلا أو اجلا.

وأشار إلى انواع الجهاد حيث الظروف والاحوال منها:

أوّلاً: (بأموالكم) بالمساعدة فقط لتحقيق الدفاع عن الاسلام اقتصاديا.

ثانياً: (وأنفسكم) بالمشاركة في ساحة الحرب ضد العدو.

ثالثاً: (وألسنتكم) بالنصر للمجاهدين اعلاميا بالطرق المتيسّرة في كلّ عصر ومصر.

وهذه الانواع من الجهاد لاتثمر الثمر المطلوب إلّا وان يكون:

(في سبيل الله) بتحقيق المبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية، وبدون هذا الشرط يكون النصر المادي ـ ان حصل ـ نصراً ناقصاً.

١٠ ـ (وعليكم بالتواصل والتباذل) وهما من آثار الوحدة الاسلامية في المواقف؛ فإنّ الصلة بين طبقات المجتمع لتحقيق الاهداف وتوحيد الاراء والبذل لما يفتقره الموقف مادياً لنجاح تلك الاهداف؛ فإنّ التركيز يجب أن يكون على ما يوحد المسلمين.

١١ ـ (وإياكم والتدابر والتقاطع) وهما من آثار الشقاق الذي به الخسران؛ فإنّ التدابر يستلزم عدم الصلة والاستبداد بالراي والقطيعة من سائر الطبقات، وبذلك يكون خسران التلاحم الفكري من ناحية والخسران الاقتصادي من ناحية اخرى، وقد نهى الله سبحانه عن التفرق بقوله:(ولا تفرقوا) فلابد من التركيز على النقاط الايجابية والابتعاد عن النقاط التي توجب الخلاف مهما كانت نوعها.

١٢ ـ (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فإنّهما من الواجبات الاسلاميّة على كل فرد مسلم في كل مراحل الحياة بالطرق المتيسّرة المؤثرة والمشروحة في كتب الفقه.

واشار إلى نتيجة اهمال هذا الواجب بنتائج متسلسلة:

أوّلاً: (فيولى عليكم شراركم) حيث لم يواجهوا رادعاً لولايتهم؛ لعدم قيام اصحاب الحق بالدفاع عن حقوقهم.

ثانياً: (ثم تدعون) الله سبحانه لحق ضيعتموه بانفسكم لاهمالكم واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: (فلا يستجاب لكم)؛ لأنّه عمل ارتكبتموه بانفسكم باهمال واجباتكم، فلا يكون هناك مجال للاستجابة بعد الاستطابة.

وهذه القيود الاثنى عشر هي الخطوط العريضة لنصر المسلمين كافة، ذات سيادة واستقلال واهمال أي بند منها يضعضع الكيان الاسلامي كما يشهد به التاريخ.

($\frac{٣}{ك ٤٧}$) وصيّة العشيرة:

ثُمَّ قالَ(١): يا بَنِي عَبْدِٱلْمُطَّلِبِ لا أُلْفِيَنَّكُمْ(٢) تَخُوضُونَ(٣) دِماءَ ٱلْمُسْلِمِينَ خَوْضاً(٤)، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ قُتِلَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ(٥)، أَلا لا يُقْتَلُنَّ(٦) بِي إلّا قاتِلي. ٱنظُرُوا إذا أَنَا مُتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، ولا يُمَثَّلُ(٧) بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِيّاكُمْ وَٱلْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ ٱلْعَقُورِ».

وجه الإمام هذه الوصية إلى عشيرته، وهو يشير إلى تجربة مقتل عثمان (سنة ٣٥) محذراً من الانحراف عن القانون الاسلامي في العقوبات، فلا تقع العشيرة مستدرجةً بالاساليب الجاهلية التي رفعها معاوية في اعلان الحرب على أساس دعاوى قبلية عرقية، بل لابدّ من اليقظة على أساليب استدراج الاعداء والتجنب عنها، فقال:

١ ـ (يا بني عبد المطلب) وهو الجد الاعلى الذي تجتمع فيه كلّ الاسرة، ويعم اهل البيت النبوي وغيرهم، وهذا الخطاب العام إلى العشيرة تلميح بانه عليه السلام واثتق من الرؤية الواضحة التي يتمتع به اهل البيت النبوي خاصة دون غيرهم من بني العباس وبني عقيل وسائر اولاد عبد المطلب.

٢ ـ (لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون: قتل أمير المؤمنين) فلا يسبم لاحد من العشيرة اعلان حرب ضد المسلمين وسفك دمائهم على دعاوى عرقية جاهلية تحف شعار (قتل اميرالمؤمنين) والقصاص من الاعداء المحاربين للإمام، وفيه تلميح بان القاتل لم يكن سوى عميل من قبل العدو، بل يجب أن يكون المرجع العقوبات الاسلاميّة لا غير.

٣ ـ(ألا، لا تقتلن بي إلّا قاتلي) كما هو قانون القصاص الاسلامي في العقوبات، من دون تعد أو تفريط لهذا القانون حيث قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ في ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَٱلْأُنْثَى بِٱلْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ

---

(١) لم ترد «ثم قال» في أ ب ص .
(٢) في هـ. ص: أي لا أجدكم.
(٣) في أ زيادة: خوضاً، وفي هـ. ب: من الخوض.
(٤) لم ترد «خوضاً» في أ.
(٥) لم ترد «قتل أمير المؤمنين» مكرّرة في ب.
(٦) في أ و ب: لا يقتلن.
(٧) في ط: تمثلوا.

فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذٰلِك تَخْفِيفٌ مِن رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذٰلِك فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[١]

٤ ـ (انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة) تنفيذا لحكم الله في قانون العقوبات بالقتل في القتل من دون تعدٍ عن هذا القانون.

٥ ـ (ولا يمثل بالرجل) والتمثيل: قطع اطراف المقتول تشفيا، فقد كان التمثيل من العادات الجاهلية، وقد نفذها اعداء الاسلام في أكثر من واقعة، وابطله الاسلام في سنة الرسول الشريفة، واستشهد بها الإمام بقوله:

(فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور». وبهذا النص حرم المثلة في الاسلام.

وبهذه الوصية للعشيرة قلع الإمام مادة الشر التي كان العدو يتوقع ايقادها بضرب المسلمين بعضهم بالبعض، وتحكيم العادات الجاهلية من جديد، فأكد عليه السلام على الوعي الاسلامي في مواجهة ذلك حتّى في هذه اللحظات الاخيرة من حياته.

[٤٨]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلى مُعاوِيَةَ:

فَإِنَّ[٢] ٱلْبَغْيَ وَٱلزُّورَ يُوتِغانِ[٣] بالْمَرْءَ[٤] فِي دِينِهِ ودُنْياهُ، وَيُبْدِيانِ[٥] خَلَلَهُ[٦] عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ ماقُضِيَ فَواتُهُ[٧]، وَقَدْ رامَ أَقْوامٌ أَمْراً[٨] بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا[٩] عَلَى ٱللّٰهِ فَأَكْذَبَهُمْ، فَاحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ[١٠] فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ[١١] عاقِبَةَ عَمَلِهِ[١٢]،

---

(١) البقرة: ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٢) في أ و ص: فإنّ.
(٣) في هـ. د: يذيعان ـ ن ب ل، وفي حاشية ل: يوتغان. في هـ. أي يهلكان، وفي هـ. ب: يفسدان، وفي هـ. ص: أي يهلكان، والوتغ ـ بالتحريك: الهلاك، وقد وتغ يوتغ وتغا: أي أثم وهلك، وأوتغه الله: أهلكه، وأوتغ فلان دينه: أهلكه بالإثم.
(٤) في أ و ص و ط و د: المرء.
(٥) في هـ. ب: يظهران.
(٦) في هـ. ب: خلل أمره.
(٧) في هـ. ب: الفائت لا يستدرك.
(٨) لم ترد «أمراً» في د، وفي هـ. د: أقوام أمراً ـ ب ص ح ل ش.
(٩) في هـ. ص: في نسخة: فتألوا، وفي هـ. أ: فتأوّلوا على الله، أظنّه تصحيف، وصوابه: «فتألّوا على الله من قول النبي ﷺ: «ومن يتألّ على الله يكذبه» في حديث طويل باسناد صحيح، وفي هـ

وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ ٱلشَّيْطانَ مِنْ قِيادِهِ(١٣) فَلَمْ يُجاذِبْهُ.

(١/ك ٤٨) **ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:**

وفي هذا الكتاب اشارة إلى مسألة التحكيم، فتكون بعد حرب صفين عام (٣٧).

والكتاب يشير إلى المبادي الذي يسير عليها العدوّ في الحرب ضد الإمام، والوسائل التي يستخدمها، وما لهذه المبادي والوسائل من عواقب في الدين والدنيا.

فعن المبادي أشار إلى امرين، هما: البغي بالخروج على الحكم الاسلامي بالشورى، والزور وهو الكذب بدعوى الولاية لدم الخليفة عثمان.

وقد فند الإمام هذين المبدأين من منطلق اسلامي فقال:

أوّلاً: ـ (وإن البغي والزور يوتغان بالمرء في دينه ودنياه) والبغي: الخروج، والزور: الكذب، والوتغ: الهلاك، فان كلا من المبدأين لسيا من الاسلام في شئ، فيكون التحرك على أساسهما هلاك الدين، وقد اقدم معاوية على البغي بالخروج على الحكم القائم بالشورى، فاصبح محكوما بحكم البغاة، والكذب في ادعائه انّه ولي دم عثمان، مع أن وليه انما هو اقرب الناس إليه، وهو ابنه، وليس لولي الدم إلّا الحضور والتحاكم عند من له الحكم بالشورى، وعرض الشكوى، وليس بفرض الرأي بالقوة والحرب، فيكون البغي والكذب سببين لهلاك الدين.

وكلّ من البغي والكذب يسبب هلاك الدنيا ايضا؛ فإنّ ذلك تبرير لأي باغ وكاذب

.ب: تأولوا على الامامة، وفي هـ. ص: قوله: «فتأولوا على الله» أي: حرّفوا الكلم عن مواضعه وتعلّقوا بشبهة في تأويل القرآن؛ انتصاراً لمذهبهم، فأكذبهم الله بأن أظهر للعقلاء فساد تأويلاتهم. وروي :«تألّوا على الله» أي: حلفوا، من الإلية، وهي اليمين، وفي الحديث: «من تألى على الله أكذبه الله، ولم يبلغه أمله»، انتهى من الشرح. واعلم أنّ كثيراً من أهل العلم يتسارعون في التأويل، وهو خطر ولا ينبغي العدول عن الظاهر، إلّا لدليل قاهر لا لسبق عقيدة، ولا يذكر خصوصية معنى خلاف الظاهر إلّا بدليل معيّن للمعنى قطعاً، وإلّا كفى الفطن اعتقاداً أنّه لم يرد باللّفظ ظاهره.

(١٠) في هـ. ب : من الاغتباط، وهو مثل الحسد، إلّا أنّه حسن، والحسد قبيح، وفي هـ. ص: وقوله: «يغتبط» أي: يفرح ويسرّ، وهي الغبطة والسرور، ويروى «يغبط فيه» أي: يتمنّى مثل حاله، انتهى من الشرح.

(١١) في هـ. ب: يوجد محموداً عمله، وفي هـ. ص: أي: وجدها محمودة .

(١٢) في هـ. ب: في نسخة: أمره.

(١٣) هـ. ب: من القود.

مطالبه الحكم بالبغي والكذب للاطاحة بالحكم القائم، كما فعل العباسيون بالامويين.

ثانياً: ـ (ويبديان خلله عند من يعيبه)؛ فإنّ بالاعمال تظهر النوايا، وكل من البغي والكذب والتزوير يبدي نفسية الباغي والمزور، وبذلك يظهر البغي في ذات المرء لمن يرى ذلك عيبا فلا يثق به قط؛ لاحتمال أن يقوم بالبغي والتزوير في حقه.

واما من لا يعيبه فيرى ذلك امراً طبيعيا لاشتراكه في الاعتقاد بمبدأ البغي والزور؛ فإنّه انما يؤيد الباغي والمزور ما كان ذلك في مصلحته، واية لحظة وجد الضعف في الباغي والمزور استخدم هو نفس المبدأ وقضى عليه؛ لمكان ضعفه، فلا يكون الباغي والمزور في امن حتّى ممّن يكون معه شريكا، وهذا هلاك في الدنيا كما هو هلاك في الآخرة.

وعن وسيلة العدو في حرب صفّين وهي شعار المطالبة بدم عثمان قال:

١ ـ (وقد علمت أنك غير مدرك ما قضي فواته) فان دم عثمان بأي سبب كان قد قضى فواته، وبعد القتل لا يمكن ادراك الحياة، وينحصر الطريق بالتحاكم إلى الحاكم الشرعي لاحقاق الحق بالقضاء الشرعي.

٢ ـ (وقد رام أقوام أمرا بغير الحق فتألوا على الله فأكذبهم) والألية: الحلف بالكذب، فانهم تحركوا على مبدأ البغي والزور بالحلف كاذبا بغير الحق والخروج على الحكم الاسلامي القائم بالشورى، فانزل فيهم حكم البغاة، وانكشفت الحقائق، مشيراً بذلك إلى خروج طلحة والزبير في البصرة عام (٣٦).

ثم حذر الإمام من عاقبة السير على مبدأ البغي والزور بقوله:

(فاحذر يوما يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه)؛ لأنّ عاقبة من يسير على مبدأ البغي والزور استلام للشيطان الذي يقوده إلى الندم في الدنيا والآخرة، وعدم الاستسلام للشيطان كما يجب احمد عاقبة في الدنيا والآخرة.

(٢/ك ٤٨) حكم القرآن:

وَقَدْ دَعَوْتَنا إلى حُكْمِ ٱلْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنا إيّاكَ أَجَبْنا، وَلكِنّا أَجَبْنَا ٱلْقُرْآنَ إلى حُكْمِهِ، وَٱلسَّلامُ[1].

---

(١) لم ترد «والسلام» في أ و ص.

واجاب الإمام عن الدعوة إلى حكم القرآن بقوله:

(وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله . ولسنا إياك أجبنا ، ولكنا أجبنا القرآن في حكمة . والسلام)؛ فإنّ دعوة معاوية إلى حكم القرآن لا يستحق الاجابة؛ لأنّه ليس من اهل القرآن؛ فإنّ اهل القرآن من يطبق القرآن في حياته الشخصية والاجتماعية والسياسية، ومعاوية كان يعارض الحكم الاسلامي بالشورى القائم على القرآن، والمعارضة تعني عدم الالتزام بالقرآن، فلا يكون الباغي من اهل القرآن .

فالاجابة ليست له لفقدانه الصلاحية للدعوة إليه، بل هي اجابة لحكم القرآن وحده لا غيره.

[٤٩]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلى غيره[١]:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِها، وَلَمْ يُصِبْ صاحِبُها مِنْها شَيْئاً إِلّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْها، وَلَهَجاً[٢] بِها، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صاحِبُها بِما نالَ فِيها عَمّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْها، وَمِنْ وَراءِ ذٰلِكَ فِراقُ ما جَمَعَ، وَنَقْضُ ما أَبْرَمَ، وَلَوِ ٱعْتَبَرْتَ بِما مَضى، حَفِظْتَ ما بَقِيَ، وَٱلسَّلامُ.

(١/ك ٤٩) من خصائص الدنيا:

اشار الإمام في هذا المقطع إلى خصائص الدنيا التي يعيشها كلّ انسان، ولا يعتبر بها في كلّ زمان ومكان، وهى كما سردها بقوله:

١ ـ (أما بعد؛ فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها) فمن ابتلى بالدنيا يكون مشغولا بها عن غيرها من المسؤوليات الروحية والثقافية، فينهمك في متطلبات الحياة اليومية التي يرتبط بها ، وكم من اصحاب الفضيلة الذين سلكوا التجارة في الحياة وهم متأسفون على انقطاعهم عن العلم والفكر واشتغالهم بالمادة والماديات!!.

٢ ـ (ولم يصب صاحبها منها شيئا إلّا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها) واللهج: شدة الحرص، فاذا اقتنى شيئا يحاول جهده في المحافظة عليها من الضرر المحتمل عن عمد

---

(١) في ب : اليه، وفي هـ. ص: في نسخة: الى غيره وفي ط و د: الى معاوية أيضاً. في هـ. ص: قال في شرح ابن أبي الحديد: وقد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب، وقال: إنّ أمير المؤمنين كتبه الى عمرو بن العاص، وزاد فيه زيادة لم يذكرها الرضي، والله أعلم.

(٢) اللهج: الولع وشدّة الحرص، وفي هـ. ب: حرصاً.

أو غير عمد، ويسلب ذلك من راحته النفسية والفكرية، فاذا كنت في شك من ذلك فلاحظ من يشتري شيئا جديداً يضيفه إلى حياته كسيارة جديدة كيف يستهلك منه الوقت والفكر للمحافظة عليها حتّى وكأنّه اصبح عبداً لها.

٣ ـ(ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها) فلا يكتفي بما حصل عليه قبل، بل يتطلع إلى تثنية ذلك وتثليثه إلى ما شاء الله من الوقت الذي يرجع إلى رشده أو يموت.

٤ ـ (ومن وراء ذلك فراق ما جمع) بالموت الذي لا يبقي احداً على وجه الارض .

٥ ـ (ونقض ما أبرم) والابرام : الاحكام؛ فإنّ واجد الشيئ المحبوب يسعى في احكام مالديه صنعاً حتّى لا يبقى فيه نقص يؤخذ عليه من الصفات والشرائط، ولكن هذا الاستحكام لا يكون إلى الابد، ولابد وان ينقص يوما فيوما؛ لما يستخدم من الحياة ما هو احكم مما احكم، وينهي بالنقص إلى العدم، والله اعلم.

وهذه الخصائص الخمس للدنيا التي تشاهد في كلّ يوم فيها تدعوا إلى العبرة بالدنيا.

وعن العبرة قال:

(ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي . والسلام)؛ فإنّ العمر يسير بالإنسان لحظة فلحظة الى الفراق والنقصان، فالعبرة بما مضى من العمر يستوجب حفظ ما بقي منه في ما ينفع للاخرة، والله المستعان.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« وقد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب وقال : إن أمير المؤمنين عليه السلام كتبه إلى عمرو بن العاص ، وزاد فيه زيادة لم يذكرها الرضى : أما بعد ، فإن الدنيا مشغلة عن الآخرة ، وصاحبها منهوم [1] عليها ، لم يصب شيئا منها قط إلا فتحت عليه حرصا ، وأدخلت عليه مؤنة [2] تزيده رغبة فيها ، ولن يستغنى صاحبها بما نال عما لم يدرك ، ومن وراء ذلك فراق ما جمع ، والسعيد من وعظ بغيره ، فلا تحبط أجرك أبا عبد الله ولا تشرك معاوية في باطله [3] ، فإن معاوية غمص

(١) في صفين : « مقهور فيها» .

(٢) في صفين : « مئونة».

(٣) في صفين:« ولا تجارين معاوية في باطله».

الناس ، وسفه الحق [(١)]. والسلام .[(٢)]

قال نصر : وهذا أول كتاب كتبه علىعليه السلام إلى عمرو بن العاص ، فكتب إليه عمرو جوابه : أما بعد ، فإن الذي فيه صلاحنا ، وألفة ذات بيننا ، أن تنيب إلى الحق [(٣)] وأن تجيب إلى ما ندعوكم إليه من الشورى [(٤)] ، فصبر الرجل منا نفسه على الحق ، وعذره الناس بالمحاجزة والسلام .[(٥)]

قال نصر : فكتب علىعليه السلام إلى عمرو بن العاص بعد ذلك كتابا غليظا . وهو الذي ضرب مثله فيه بالكلب يتبع الرجل ، وهو مذكور في " " نهج البلاغة " " واللهج : الحرص . ومعنى قولهعليه السلام : " لو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي " أي لو اعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقية أن تنفقه في الضلال وطلب الدنيا وتضيعه».[(٦)]

[٥٠]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام اِلى أُمَرائِهِ عَلَى الْجُيُوشِ :

(ك ٥٠/١) المسؤوليات العسكرية:

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ[(٧)] أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنينَ[(٨)] إلى أصْحابِ ٱلْمَسالِحِ[(٩)].

استعرض الكتاب المسؤوليات العسكرية التي يتحملها القائد الاعلى في الدولة الاسلامية، ومسؤوليات الشعب المسلم بما فيه الجيش الاسلاميّ، وعقوبة المتخلفين من المسؤوليات استناداً إلى العقد الاجتماعي بين القائد والقاعدة على أساس البيعة في الحكم الاسلامي بالشورى.

(من عبد الله على أمير المؤمنين) بصفة القائد الاعلى في الدولة الاسلاميّة .

---

(١) غمص الناس : احتقرهم ، وسفه الحق ، أي جهله .
(٢) راجع: وقعة صفين: ١٢٤.
(٣) تنيب إلى ألحق : ترجع .
(٤) في صفين:«أن نجيب إلى ما تدعون إليه من شورى» .
(٥) راجع: وقعة صفين: ١٢٣.
(٦) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ١٤ ـ ١٥.
(٧) لم ترد «ابن أبي طالب» في أ و ب و ص، وفي هـ. د: علي أمير المؤمنين ـ ش.
(٨) في ط زيادة: رفعه.
(٩) في هـ. ب: المسلحة: موضع السلاح، والمسالح جمع، وفي هـ. ص: جمع مسلحة، وهي الثغر كالمرقب، وأصحابها: جماعات تكون بها يجمعون البيضة، انتهى من الشرح.

(إلى أصحاب المسالح) وهي الحسن الاسلامي المسلّح في الثعور حدود الدولة باعتبارهم محلوان السلاح دفاعا عن الدين والوطن أو نواجدهم في العسكر الذي نظم السلاح والعناد.

(٢/ ك ٥٠) **مسؤوليات القائد الاعلى:**

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ حقّاً عَلَى ٱلْوالِي أَنْ لا يُغَيِّرَهُ عَلى[١] رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ[٢] نالَهُ، وَلا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ[٣]، وَأَنْ يَزِيدَهُ ما قَسَمَ ٱللّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبادِهِ، وَعَطْفاً[٤] عَلى إِخْوانِهِ.

أَلا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لا أَحْتَجِزَ[٥] دُونَكُمْ سِرّاً إِلّا فِي حَرْبٍ[٦]، وَلا أَطْوِيَ دُونَكُمْ[٧] أَمْراً إِلّا فِي حُكْمٍ[٨]، وَلا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً[٩] عَنْ محَلِّهِ[١٠]، وَلا أَقِفَ بِهِ[١١] دُونَ مَقْطَعِهِ[١٢]، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي ٱلْحَقِّ سَواءً.

وأشار إلى مسؤوليات القائد في نفسه وبالنسبة الى المجتمع عامة بما فيهم الجيش الاسلامي، وعن مسؤوليات القائد الاعلى في نفسه أشار إلى ثلاث بقوله:

(أما بعد؛ فإنّ حقا على الوالي) وهو القائد الاعلى للدولة.

أوّلاً: (أن لا يغيره على رعيته)؛ فإن يكون القائد على مبادي الاسلام والثوابت الاصيلة ولا يتغير باي سبب كان عن التزاماته بالمبادي الاسلامية المؤكد عليها في القرآن والسنّة النبوية وان كان للقائد بصفته قائداً اعلى امتيازات خاصة، لاتأثير لها في التزاماته المدنية.

---

(١) في ب: عن، وفي هـ. ب: في نسخة: علىٰ.
(٢) في هـ. ب: فضل.
(٣) في هـ. ص: هو الشرف والرئاسة.
(٤) في هـ. ب: رحمة.
(٥) في هـ. ب: امتنع.
(٦) لأن الحرب خدعة، وكان النبيّ ﷺ إذا أراد حرباً ورّى بغيرها.
(٧) في أ: عنكم، وفي هـ. أ: في نسخة: دونكم، وفي هـ. ب: في نسخة: عنكم.
(٨) أي حكم شرعي من حدّ أو غيره؛ فإنّه لا مجال فيه للمشورة.
(٩) في هـ. ص: أي عطاءً.
(١٠) في هـ. ص: أي وقت حلوله.
(١١) في هـ. ص: ولا أقف به، أي: الحق، والمراد به هنا الحكم، أي: متى تعيّن عليَّ الحكم حكمت به وقطعت، ولم أقف ولا أتحبس، انتهى من الشرح. ولعلّه يشير الى أنّ ذلك من الاستخدام.
(١٢) أي: دون الحد الذي قطع به أن يكون لكم.

واشار من هذه الامتيازات الخاصة الى:

١ ـ (فضل ناله) فضل الشورى والبيعة على اغلبية الآراء؛ فإنّ ذلك فضل يخص القائد ويسحق أن يكون قائداً على أساسه، ولكن هذه الفضيلة لابدّ وان لاتغير من مواقفه في السير على المبادي الاسلامية الداعية إلى الحكم العادل.

٢ ـ (ولا طول خص به) والطول: القدرة؛ فإنّ لموقع القيادة العليا قدرة تفوق كلّ المسؤوليات الاخرى، وانما خصه قانون الشورى بهذه القدرة، فلا يتعدى القائد بسبب هذه القدرة على ما يطلبه القانون منه.

ثانياً: (وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده)؛ فإنّ نعمة الولاية الاسلاميّة عن استحقاق انما يقسمه الله سبحانه لواحد من كلّ افراد الأمّة، ليكون القائد الاسلامي الاعلى، وهذه النعمة يجب أن تكون مقربة إلى الشعب بالتلاحم مع الامة في آمالها وآلامها، فانهم هم الذين أوصلوه إلى هذه المسؤولية فيجب أن يزداد الى الشعب قربا.

ثالثاً: ـ (وعطفا على إخوانه) في الاسلام بالنظر اليهم بعين العطف والرحمة، فلا يتعالي ولا يتنكر لهم، بل يقوم بما هو المطلوب من الاخ بالنسبة الى اخيه.

واما عن علاقة القائد بالشعب فقال:

(ألا وإن لكم عندي) من الحقوق التي يجب أن يقوم بها القائد المسلم:

١ ـ (أن لا أحتجز دونكم سرا إلّا في حرب) والحجز: المنع، فلابد على القائد المسلم أن يستخدم سياسة مفتوحة في كلّ ما يقوم به ادارته من دون استثناء سوى الحرب؛ لما يقتضيه الحرب من الخطط في مواجهة العدو التي لا يمكن نجاحها الا بالسرية بعيدة عن اعين من قد يستفيد منهم العدو من جواسيس أو غيرهم من المغفلين.

٢ ـ (ولا أطوي دونكم أمرا إلّا في حكم) والطي: اللف، ضد النشر، وهو كناية عن الاخفاء من دون الاعلان، واستثنى الحكم في الخصومة، حيث أن الحاكم لا يجوز أن يعلن عن رايه في الخصومة إلّا بعد السماع من المتخاصمين وان كان يعلم؛ فإنّ الحكومة تقتضي السماع من الطرفين المتخاصمين، ثمّ الاعلان عن راي الحاكم.

٢ ـ (ولا أؤخر لكم حقا عن محله) فيجب اداء الحقوق لاصحابها فور استحقاقهم لها من دون تاخير.

٤ ـ (ولا أقف به دون مقطعه) ومقطع الحكم: ما يقطع بين الحق والباطل، فيقيم الحق

ويترك الباطل. فيفصل بينهما ، فالواجب على الحاكم أن لا يقف بالحكم بالظنون والشبهات، بل بالدليل القاطع عن الكتاب والسنة الذي يقطع بين الحق والباطل فيتبع الحق ويبطل الباطل.

٥ ـ (وأن تكونوا عندي في الحق سواء)؛ فإنّ المساواة في الحق والقانون يعم جميع افراد الشعب على اختلاف طبقاتهم، من دون أيّ تفضيل أو محاباة.

وهذه المسؤوليات تحدد صلاحيات القائد، وتعم الشعب المسلم بما فيهم الجيش المحارب.

(٣/ك ٥٠) **ومسؤوليات الجيش والشعب:**

فَإِذا فَعَلْتُ ذلِكَ وَجَبَتْ لِلّهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ، وَلِي عَلَيْكُمُ الطّاعَةُ، وَأَنْ لا تَنْكُصُوا[(١)] عَنْ دَعْوَةٍ[(٢)]، وَلاتُفَرِّطُواْ[(٣)] فِي صَلاحٍ[(٤)]، وَأَنْ تَخُوضُوا ٱلْغَمَراتِ[(٥)] إِلَى ٱلْحَقِّ.

وسرد من مسؤوليات الجيش الاسلامي الذي يتكون من الشعب باعتباره جيشا عقائديا شعبيا فقال:

(فإذا فعلت ذلك) من اداء المسؤوليات المفروضة على القائد الاسلامي .

(وجبت لله عليكم النعمة) وهي نعمة الولاية والقيادة في الدولة الاسلاميّة التي تمثل جميع طبقات الشعب المسلم، وتمثل الشعب بما فيهم الجيش المسؤوليات التالية:

١ ـ (ولي عليكم الطاعة) بتنفيذ الاوامر الصادرة من القيادة العليا.

٢ ـ (وأن لا تنكصوا عن دعوة) والنكص: التأخر والتنصل عن الاستجابة لما يدعون إليه من الجهاد وغيره.

٣ ـ(ولا تفرطوا في صلاح) والفرط: الفوت، فيجب أن لا يضيّع الشعب الصلاح الذي يدعوا اليه القائد.

٤ ـ (وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق) والغمرة: الشدة؛ فإنّ طلب الحق يستلزم الشدة،

---

(١) في هـ. ب: لا ترجعوا.
(٢) في هـ. ص: أي تتقاعسوا عن الجهاد إذا دعوتكم إليه، انتهى من الشرح.
(٣) في هـ. ب: تقصروا.
(٤) في هـ. ص: أي في أمر يعود بالصلاح.
(٥) في هـ. ب: الشدائد، وفي هـ. ص: قوله: «وأن تخوضوا الغمرات» أي: تكابدوا الأُمور الشاقّة والمشاق العظيمة حتى تنالوا العظمة.

والخوض في الشدائد عادة امر غير مرغوب فيه، ولكن حينما تعلن القيادة الصالحة ذلك يجب على الشعب بما فيه الجيش الاسلامي أن يخوض في ذلك، كما تقتضيه مسؤولية العقد الاجتماعي بين القائد والقاعدة في البيعة بالشورى، التي تشكل أساس الحكم الاسلامي.

(٤/ك ٥٠) **عقوبة التخلف:**

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا[١] لِي عَلى ذلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ ٱعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ ٱلْعُقُوبَةَ، وَلا يَجِدُ عِنْدِي فِيها رُخْصَةً[٢].

فَخُذُواْ هذا مِنْ أُمَرائِكُمْ[٣]، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُم ما يُصْلِحُ ٱللّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ، وَٱلسَّلامُ[٤].

وعن العقوبة المستحقة لمن يتخلف من الجيش الاسلامي في المسؤوليات قال:

١ ـ (فإن أنتم لم تستقيموا على ذلك) كما هو المطلوب في العقد الاجتماعي بين القائد والقاعدة على أساس الحكم الاسلامي بالشورى.

٢ ـ (لم يكن أحد أهون علي ممّن اعوج منكم)؛ فإنّ اهمال المسؤوليات جريمة وبموجها يكون مرتكبها ضعيفا امام القانون الاسلامي؛ لانحرافه وعدم العمل بمسؤولياته.

٣ ـ (ثم أعظم له العقوبة) بحسب درجة الجريمة التي ارتكبها المتخلف.

٤ ـ (ولا يجد فيها عندي رخصة) وهي التعلل في الامر؛ فإنّ القانون يجب أن يطبق في حق حق المتخلف مهما كانت المبررات الموجبة لمخالفة القانون.

وختم هذا الكتاب باعلانه قانونا عسكرياً اعلن عنه قبل وقوع التخلف، وان هدفه لين إلّا الاصلاح في المجتمع الاسلامي.

(فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم، والسلام).

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه: «ثم توعدهم إن لم يفعلوا ذلك، ثم قال فخذوا هذا من أمرائكم ليس يعنى به أن على هؤلاء أصحاب المسالح

---

(١) لم ترد «لي» في ص، وفي هـ. د: لم ترد «لي» في ب.

(٢) في هـ. ب: سهولة.

(٣) في هـ. ص: قوله: «فخذوا هذا من امرائكم»، قال في الشرح: أي: من يقوم بعدي في مقامي، انتهىٰ، وكأنّ مرادهعليه السلام بيان ما يلزم الوالي للرعية والرعية للوالي، ويحتمل أن يكون وجّه الخطاب بآخره الى المولّى، فوجّه الخطاب أوّلاً إلى الأمراء، وآخراً الى السوقة، والله أعلم.

(٤) لم ترد «والسلام» في أ و ب و ص.

أمراء من قبله كالواسطة بينهم وبينه بل من أمرائكم ، يعنى منى وممن يقوم في الخلافة مقامي بعدي لأنه لو كان الغرض هو الأول لما كان محلهم عنده أن يقول : " ألا أحتجز دونكم بسر ولا أطوى دونكم أمرا " لان محل من كان بتلك الصفة دون هذا».(١)

[٥١]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام اِلى عُمّالِهِ عَلَى ٱلْخَراجِ:

مِنْ عَبْدِ ٱللّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنينَ إلى أَصْحابِ ٱلْخَراجِ.

خراج الدولة الاسلامية:

تعتبر الظرائب الحكومية العمود الفقري لأيّة دولة اقتصاديا، حيث لا يمكن للدولة ادارة نفسها إلّا من هذه القنوات، والخراج في الاسلام يمثل هذا المنبع الاقتصادي من واردات الدولة الاسلامية التي كانت منهن الزكوات للانعام الثلاثة: الابل والبقر والغنم، والنقدين من الذهب والفضة، والجزية على غير المسلمين.

وقد جاء في سيرة النبى صلى الله عليه وآله انّه بعث إلى اهل خيبر عبدالله بن رواحة خارصا بين المسلمين واليهود، فخرص عليهم، فقال اليهود: «تعديت علينا، فقال: ان شئتم فلكم وان شئتم فلنا، فقال اليهود: بهذا قامت السماوات والارض».(٢)

وهذا الكتاب يتضمّن توجيهات ادارية لاصحاب الخراج، وهم الجباة للضرائب المذكورة، ويبتدئ بالصفات الاخلاقية للجباة، ثمّ مسؤولية الجباة في الزكوات من المسلمين، الجزية من غير المسلمين من المعاهدين، ثمّ التاكيد على الاهداف الاسلامية للجباة.

(١/ ك ٥١) **صفات الجابي:**

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ ما هُوَ صائِرٌ(٣) إِلَيْهِ(٤) لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ ما يُحْرِزُها.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ ما كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوابَهُ كَثِيرٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيما نَهَى ٱللّهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْبَغْيِ

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ١٨.

(٢) السيرة النبوية؛ لابن هشام ٢ : ٢٣٩.

(٣) في ط: سائر.

(٤) أي من لم يحذر العاقبة لم يحفظ نفسه من سوء المصير.

وَٱلْعُدْوانِ عِقابٌ يُخافُ، لَكانَ فِي ثَوابِ ٱجْتِنابِهِ مالا عُذْرَ فِي تَرْك طَلَبِهِ.

فعن الصفات الاخلاقية للجباة قال:

أوّلاً: (أما بعد؛ فإنّ من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها)؛ فإنّ الجباة يجب عليهم الحذر من المصير المحتوم لكل انسان وهو الموت، كى يحرز بالعمل لصالح النجاة بعدها؛ فإنّ من لم يحذر هذا المصير الذي يقدم لا يقوم بواجبه لكي يحرز النجاة بعده.

ثانياً: (وأعلموا أن ما كلفتم يسير وأن ثوابه كثير)؛ فإنّ مسؤولية الجباية شاقة، ولها مخاطرها، والحق الهي للجابي من الزكاة شئ يسير لو قيس بالنسبة إلى الاعمال الحرة في التجارة، ولكن الهدف من هذه الجباية ليس التجارة، بل خدمة العقيدة أو الدولة الاسلامية التي تدافع عنها، وتفتقر إلى ما يؤمن نقصانها فيها، ولهذا عند الله ثواب كثير يرتجى للجابي.

ثالثاً: أن اهمال هذه المسؤولية لمكان مشقتها اهمال للمسؤولية، ويستحق العقاب مشيراً إلى ذلك بقوله:

(ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب) واهمال المسؤولية في الجباية لمكان المشقة يعد عدوانا يستحق العقوبة للتعدي على أمر الله تعالى باخذ الصدقة الواجبة تطهيرا للشعب المسلم.

والجملة الشرطية تفيد أن الجباية مع المشقّة التي فيها واجبه لامرين:

الأوّل: نهى الله عن البغي والعدوان، وما يترتب عليه من الصفات.

الثاني: الثواب على اجتنات المنهي عنه الا في حالات الضرورات التي تبيح المحظورات؛ فلا يكون حينئذ ثواب على اجتناب المنهي عنه لمكان الضرورة.

والامران يوجبان الجباية حتّى في صورة المشقة التي تلازمها، فقد قال تعالى:﴿خذ من اموالهم صدقة تطهرهم ونزكيهم بها﴾.(١)، فقال عليه السلام:

(ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف) كما هو الحال فيما اذا لم يمتثل الجباة امر الله باخذ الصدقة، فإنّه تعد لامره تعالى ويستحق به العقاب.

---

(١) التوبة : ١٠٢ .

ومع قطع النظر عن هذا العقاب الذي يخاف (لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه) فانه ثواب في اجتناب الجابي ترك طلب الخراج مع عدم عذر من الضرورة التي توجب ترك الطلب بسبب عارض.

وهذا الثواب كاف للجابي أن يقوم بواجبه مع المشقة التي تلازم اداء هذا الواجب.

وبالجملة، فهذه النقاط الثلاث صفات اخلاقية دينيّة للجباة يوجب عليهم تحتمل مسؤولية الجباية للخراج، وهي: الحذر من الموت، والثواب، وخوف العقاب.

(٢ / ك ٥١) واجبات الجباة:

فَأَنْصِفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَٱصْبِرواْ لِحَوائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزّانُ[١] ٱلرَّعِيَّةِ، وَوُكَلاءُ ٱلأُمَّةِ، وَسُفَراءُ[٢] ٱلأئِمَّةِ، وَلاتَحْسِمُوا[٣] أَحَداً عَنْ حاجَتِهِ، وَلاتَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِه، وَلا تَبيعُنَّ لِلنّاسِ فِي ٱلْخَراجِ كِسْوَةَ شِتاءٍ وَلاصَيْفٍ وَلادابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْها[٤]، وَلا عَبْداً، وَلا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكانِ دِرْهَمٍ، وَلا تَمَسُّنَّ[٥] مالَ أَحَدٍ مِنَ النّاسِ مُصَلٍّ[٦] وَلا مُعاهِدٍ.

وعن واجبات الجابي ومسؤولياته في أخذ الخراج قال:

١ ـ (فأنصفوا الناس من أنفسكم)؛ فإنّ الانصاف يقتضي أن يقوم الجباة للخراج عن رضى وطيب نفس.

٢ ـ (واصبروا لحوائجهم) بعد المطالبة لما يحتاجون إليه في حياتهم الخاصة.

وعلل ذلك بالاسباب التالية:

أوّلاً: (فإنكم خزان الرعية) وكانكم مأمورن من قبل الرعية بحفظ ما تاخذونه جباية وخزنها في بيت المال لمصلحة الرعية نفسها.

---

(١) الخزّان: جمع خازن، وهم الولاة الذين يخزنون أموال الرعية في بيت المال لتنفق في مصالح الناس.

(٢) في هـ. ب: جمع سفير، وهو الرسول، وفي هـ. ص: أي الذين يتوسطون بينهم وبين الناس.

(٣) في ص و ط: لاتحشموا، وفي ب: لا تجشموا، وفي هـ. ب: أي لا تكلفوا، وفي هـ. ب: في نسخة: لا تحسموا، أي: لا تقطعوا، وفي هـ. د: لا تحشموا ـ ض ح ب، لا تجشموا ـ ل. وفي هـ ص: وقوله: «لا تحشموه» أي: لاتغضبوه فتقطعوه بالغضب عن حاجته. يُقال: حشمته: أخجلته، وأحشمته: أغضبته، والاسم الحشمة، انتهى من الشرح.

(٤) أي: لا تضطروا الناس لأن يبيعوا لأجل أداء الخراج كسوتهم أو دوابّهم اللازمة لأعمالهم.

(٥) في ب: لا تمس، وفي هـ. ب: في نسخة: لا تمسنّ.

(٦) في هـ. ب: أي من يصلّي ويصوم.

ثانياً: (ووكلاء الأمة) تمثلون الطبقات الفقيرة الى الخراج من الشعب المسلم.

ثالثاً: (وسفراء الأئمة) حيث أن الإمام هو الذي يرسلكم للجباية، وانتم تمثلونه.

وهذه الاسباب الثلاثة تستلزم رعاية حقوق من تأخذون منه الخراج بعدل وادب اسلامي.

وعن الوسائل الاسلاميّة ومنها:

٣ ـ(ولا تحشموا أحدا عن حاجته) والحشمة: الغضب، بأن يؤخذ منه ما لا يرضى، فيغضب لاخذ ماله اليه حاجة.

٤ ـ (ولا تحبسوه عن طلبته) وهو المطلوب الذي يسعي في تحصيله، فلا يؤخذ ذلك؛ فإنّه منع له عما يطلب.

٥ ـ (ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف)؛ فإنّ الكساء ما يفتقر إليه الناس، وبيع ذلك لتأمين الخراج يعني عدم مقدرتهم على دفع الخراج إلّا ببيع الحاجات الضرورية، فلا يجوز ذلك اسلاميا.

٦ ـ (ولا دابة يعتملون عليها) لانها من المركوب الذي يفتقرون إليه في الزرع والعمل، دون ما لا يستخدمونه.

٧ ـ (ولا عبدا) فإنّ حسب الحالة الاجتماعية آنذك هو مما يرتبط بهم في عقد اجتماعي، فحاله حالهم.

٨ ـ (ولا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم) وذلك باستخدام القوّة في الحصول على مال الخراج، فان الخراج لابدّ أن يكون بالرضى.

٩ ـ (ولا تمسن مال أحد من الناس) من دون رضاه، بل يأخذ الجابي ما يدفعه المالك اليه.

١٠ ـ (مصل ولا معاهد) والمصلى اي من المسلمين، والمعاهد من اهل الذمة؛ فإنّ الناس مسلطون على أموالهم، ولا يجوز لاحد التصرف في اموالهم بالقوة سواء الجابي أو غيره.

وهذه النقاط العشر تطابق السيرة النبوية في جعل الخيار التام في مال الخراج بيد من عليه الخراج، وبذلك يتحقق التلاحم بين الشعب والحكومة التي يجب أن تكون في خدمة الشعب، واذا انعكس الأمر لانقلب الشعب عدواً للحكم، وفي حالة كهذه يكون

الحكم بالجور والظلم الذي حاربة الاسلام، فلا يكون فرق بين الحكم الاسلامي وغيره.

(٣/ك ٥١) **المعاهد المحارب:**

إِلّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاحاً يُعْدى بِهِ[1] عَلى أَهْلِ ٱلْإِسْلامِ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذٰلِكَ فِي أَيْدِي أَعْداءِ ٱلْإِسْلامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً[2] عَلَيْهِ.

وعن جزية اهل الذمة قال استثناء:

(إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الاسلام) فإنّه يجب استخدام القوة ومصادرتها، وعلل ذلك بقوله:

(فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الاسلام) حيث انه قد يستخدمه العدو ضد المسلمين .

(فيكون شوكة عليه) يستخدمه العدو شوكة على المسلم لضربه في الحرب.

وهذا الاستثناء ليس إلّا بسبب الخوف من الثورة ضد نظام الحكم لا غير، واذا زال هذا الاحتمال لم يكن داع للاستيلاء عليه ايضا.

(٤/ك ٥١) **اهداف الجباة:**

وَلا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً[3]، وَلَا ٱلْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، وَلَا ٱلرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلا دِينَ اللّٰهِ قُوَّةً.

وَأَبْلُوا[4] فِي سَبِيلِ ٱللهِ[5] مَا ٱسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ[6] عِنْدَنا وَعِنْدَكُمْ أَن نَشْكُرَهُ[7] بِجُهْدِنا، وَأَن نَنْصُرَهُ بِما بَلَغَتْ قُوَّتُنا، وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللّٰهِ[8].

وعن اهداف الجباة قال:

١ ـ (ولا تدخروا أنفسكم نصيحة) فيجب عليهم النصيحة فيما بينهم، بأن لا يتركوا به

---

(١) في هـ. ب: من العدوان.
(٢) في هـ. د: ذلك شوكة ـ ف. في هـ. ب: قوّة ونصرة.
(٣) في هـ. ب: أي لا تدخروا نصيحة عن أنفسكم لغير أنفسكم.
(٤) في ط: وابلوه، وفي هـ. ب: أي أدّوا وأظهروا.
(٥) في أ ب ص د: سبيله، وفي ط: سبيل، وفي هـ. د: سبيل الله ـ ض ب م، سبيل ـ ح.
(٦) في هـ. ب: قصد خيراً، وفي هـ. ص: قد اصطنع أي: أنعم علينا.
(٧) في هـ. ص: قوله: «ان نشكره» أي: لأن نشكره، فحذف لام التعليل وحذفها كثير سيما مع إنّ وأنّ، وفي الكلام دليل على أنّ الطاعات ذكر، والله أعلم.
(٨) في أ زيادة:العلي، وفي ط و د زيادة:العليّ العظيم؛وفي هـ د: «العلي العظيم» ساقطة من ش.

نصيحة فيما بينهم للالتزام بالبنود العشر المتقدمة في واجباتهم الادارية.

٢ ـ(ولا الجند حسن سيرة)؛ بأن يبذل لهم ما يفتقرون إليه، بالسيرة الجسنة من العدالة فيهم بالتسوية .

٣ ـ(ولا الرعية معونة) باعانة الشعب في كافة طبقاته ليبقى متلاحما مع الحكم.

٤ ـ (ولا دين الله قوة) في خدمة الاهداف الاسلامية التي تقوي الاسلام.

٥ ـ (وأبلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم) أي ادوا ما عليكم من الواجبات بنيّة خالصة يكون في سبيل الله، وليس لاعتبارات شخصية أو عائلية وغيرها.

وقد علل الإمام ذلك بقوله:

(فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا وأن ننصره بما بلغت قوتنا ، ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم)، فانه سبحانه امر بالشكر حيث قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لله وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ؛ فإنّ ٱلله غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.[1](لقمان : ١٢).

[٥٢]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى أُمَراءِ ٱلبِلادِ فِي مَعْنَى ٱلصَّلاةِ:

أَمّا بَعْدُ، فَصَلُّواْ بِالنّاسِ ٱلظُّهْرَ حَتّى تَفِيءَ[2] ٱلشَّمْسُ مِثْلَ[3] مَرْبِضِ ٱلْعَنْزِ[4]، وَصَلُّواْ بِهِمُ ٱلْعَصْرَ وَٱلشَّمْسُ بَيْضاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ[5] مِنَ ٱلنَّهارِ حِينَ يُسارُ فِيها فَرْسَخانِ[6]، وَصَلُّوا بِهِمُ ٱلْمَغْرِبَ حِينَ يفْطِرُ ٱلصّائِمُ[7]، وَيَدْفَعُ ٱلْحاجُ إلى مِنىٰ[8] وَصَلُّوابِهِمُ ٱلْعِشاءَ حِينَ يَتَوارَى ٱلشَّفَقُ إلى ثُلْثِ ٱللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ ٱلْغَداةَ وَٱلرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صاحِبِهِ[9]،

---

(١) .

(٢) في ص: يفيء.

(٣) في هـ. ب: في نسخة: قبل، وفي هـ. د: من ـ ب.

(٤) في هـ. ص: أي: مثل موضع ربضها، وهو نحو ذراع.

(٥) أي: مدة.

(٦) في هـ. ص: وقدر الفرسخين: نصف بريد، نهاهم عن تأخيرها حتى تحمر الشمس، ووسّع لهم في أوّله.

(٧) في هـ. ص: أي أوّل الليل.

(٨) لم ترد «الى منى» في أ ب ص، وفي هـ. د: لم ترد «الى منى» في ف م ن ل ش. في هـ. ب: أي يفيض الحاجّ من عرفات الى المشعر.

(٩) في هـ. ص: أي بنور الفجر، وهو الإسفار.

وَصَلُّوا بِهِمْ صَلاةَ أَضْعَفِهِمْ[١]، وَلاتَكُونُوا فَتّانِينَ[٢].

(ك ٥٢/١) اوقات الصلوات:

الكتاب موجه إلى امراء البلاد الاسلامية الذين يقيمون الصلوات جماعة كاحدى مسؤوليات الحاكم في المنطقة الذي يمثل فيها حكم الاسلام.

ويتضمّن الكتاب اوقات الصلوات الخمس اليومية بالمقاييس التقريبسة التي كانت معهودة في ذلك العصر، واصبحت موضع جدل في فقه الصلاة وكثرت الروايات فيها (راجع المادة في المعجم).

ثم ختم المقطع بارشاد لأئمة الجماعة بكفية الصلاة وواجب المصلي اماماً.

فعن اوقات الصلاة اليوميّة الخمس قال:

أوّلاً ـ صلاة الظهر:

(أما بعد، فصلوا بالناس الظهر حتّى تفئ الشمس من مربض العنز) والفيْ ـ لغةً ـ: الرجوع، والميل هنا: ميل الشمس من جهة الشرق إلى الغرب، ومربض العنز: المساحة التي تمتد فيها العنز

للنوم بما يقرب من ذراعين طولا، وذراع عرضا.

وطبيعيّ أن يكون هذا مختلقا باختلاف طول العنز والذراع، فيكون التوقيت تقريبيا، ولم يذكر ابتداء الوقت وهو الزوال، بل اكتفى بالنهاية، بقوله (حتى تفئ) لوضوح الابتداء بالزوال دون النهاية، والوقت المختص بالظهر لا يتجاوز الذراعين في كافة البلاد .

ثانياً ـ وقت العصر، قال:

(وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان) والبياض: الشمس، يعني قوة الضياء، وكأنّه حية، فإنّها تتدرج إلى لون الصفرة التي هي فناء للون البياض ، والعضو: الجرء من الشمس، والفرسخ: وحدة زمنيّة تقارب الساعة، وفي عصرنا تعتبر وحدة لقياس المسافة المكانية، وتعادل ثمانية كيلومترات تقريبا.

فيكون اول وقت العصر بعد أن يصبح ظل الشيئ مثليه بعد الزوال بما يقرب من الساعتين، ولم يشر إلى نهاية وقت العصر، وربما لوضوح ذلك ببتحيد ابتداء وقت

(١) في هـ. ب: مدّة مقدار قوّة أضعفهم، أي: خففّوا.
(٢) الفتان هنا: هو من يطيل الصلاة فيوجب تفرّق المأمومين عن الصلاة جماعة.

المغرب.

ثالثاً ـ وقت المغرب، قال:

(وصلوا بهم المغرب) وذكر مبتدأ وقت المغرب بالاشارة إلى اثرين متلازمين لغروب الشمس لذى المسلمين عامة:

أوّلاً: في شهر رمضان (حين يفطر الصائم) فلا يمكن لاحد أن في يتأول هذا الوقت.

ثانياً: في شهر ذي الحجة (ويدفع الحاج إلى منى) والدفع: الافاضة إلى عرفات عند غروب الشمس في المشعر الحرام، حينما يتوجهون إلى منى لمشاعر الحج، فيبيتون في منى ليلة التاسع ويذهبون الى عرفات صباح اليوم التاسع، وبعد نهار عرفة إلى المشعر الحرام، ولم يذكر نهاية وقت المغرب ربما لوضوحه ببيان وقت العشاء.

رابعاً ـ وقت العشاء، قال:

(وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل) والشفق: الحمرة المغربية الممتدة بعد غروب الشمس إلى ما يقارب الساعة والنصف، فيكون مبتدأ صلاة العشاء، وذكر منتهى وقت صلاة العشاء بثلث الليل.

خامساً ـ وقت صلاة الغداة، فقال:

(وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه) ولعله اشارة إلى قوله تعالى:﴿كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر﴾ [(١)].

فان العين الباصرة في هذا الوقت يتبين له الخيطان ووجه الانسان.

ولم يذكر نهاية وقت صلاة الفجر وربما لوضوحه بشروق الشمس.

وهذه الاوقات التي أشار اليها الإمامعليه السلام تقريبية؛ لاختلافها بحسب اختلاف الفصول الاربعة في كلّ زمان ومكان.

كما اهمل مبتدأ الوقت ونهاية الاخر؛ اعتماداً على وضوحه بالتعقيب ما يليه من الفرائض، وكل ما في الأمر أن تحديد هذه الاوقات بالضبط أن يكون حسب ما يقدره اهل البلد الخاص بحسب الفصول التي يعيشون فيها، وربما لاجل ذلك حددها القانون الاسلامي ألاساسي بالتقريب، فقال تعالى:﴿أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِدُلُوك ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱللَّيْلِ

---

(١) البقرة: ١٨٧.

وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾.(١)

صلاة الجماعة.

وختم المقطع بأمرين لهما ضرورة في اية صلاة جماعية يجب على المصلي اماماً أن يراعيها في الصلاة.

الأوّل: (وصلوا بهم صلاة أضعفهم) بالاقتصار على الواجبات المفروضة في الصلاة والمستحبات التي لا ثقل على احد من المأمومين في الصلاة من الشيوخ والعجزة؛ فإنّ الحكمة في صلاة الجماعة انما هي الاجتماع للمعاهدة مع الله سبحانه على الثوابت الاسلامية التي يدعوا اليها الصلاة من الهداية إلى الصراط المستقيم في كلّ يوم عدة مرات على الاقل، وهذا العهد يتحقق بالصلاة واداء واجباتها من دون مستحباتها.

الثاني:(ولا تكونوا فتانين)؛ فإنّ اطالة الصلاة بتكثير المستحبات والادعية فيها تكون فتنة لمن لا يتمكن من مواصلتها ويوجب التعب والمشقّة على الضعفة والعجزة، فيتخلفون عن حضور الجماعة بسبب ذلك، فتفوتهم فضيلة الجماعة كما تفوتهم ما يدعوا إليه صلاة الجماعة من اجتماع المسلمين وتعاهد شعائر الدين.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«واعلم أن أمير المؤمنينعليه السلام إنما بدأ بصلاة الظهر ، لأنها أول فريضة افترضت على المكلفين من الصلاة على ما كان يذهب إليهعليه السلام ، وإلى ذلك تذهب الامامية ، وينصر قولهم تسميتها بالأولى ، ولهذا بدأ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان بذكرها قبل غيرها ، فأما من عدا هؤلاء فأول الصلاة المفروضة عندهم الصبح وهي أول النهار .

وأيضا يتفرع على هذا البحث القول في الصلاة الوسطى ، ما هي ؟ فذهب جمهور الناس إلى أنها العصر ، لأنها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل ، وقد رووا أيضا في ذلك روايات بعضها في الصحاح وقياس مذهب الإمامية أنها المغرب ، لان الظهر إذا كانت الأولى كانت المغرب الوسطى ، إلا أنهم يروون عن أئمتهم) عليهم السلام (أنها الظهر ، ويفسرون الوسطى بمعنى الفضلى ، لان الوسط في اللغة هو خيار كل شئ ، ومنه قوله تعالى :) جعلناكم أمه وسطا)(٢) ، وقد ذهب إلى أنها المغرب قوم من الفقهاء أيضا . وقال

(١) الاسراء : ٧٨.

(٢) سورة البقرة :١٤٣.

كثير من الناس : إنها الصبح ، لأنها أيضا بين صلاتي ليل وصلاتي نهار ، ورووا أيضا فيها روايات وهو مذهب الشافعي ، ومن الناس من قال : إنها الظهر كقول الامامية ولم يسمع عن أحد معتبرا أنها العشاء إلا قولا شاذا ذكره بعضهم . وقال : لأنها بين صلاتين لا تقصران».[١]

[٥٣]

وَمِنْ عَهْدٍ لَهُ عليه السلام كَتَبَهُ لِلْأَشْتَرِ ٱلنَّخَعِيِّ ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ ـ لَمّا وَلّاهُ عَلى مِصْرَ وَأَعْمالِها حِينَ ٱضْطَرَبَ أَمْرُ أَمِيره عليها[٢] مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ أَطْوَلُ عَهْدٍ كَتَبَهُ وَأَجْمَعُهُ لِلْمَحاسِنِ:

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمة بن سعد بن مالك ابن النخع بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد . وكان فارسا شجاعا رئيسا من أكابر الشيعة وعظمائها ، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره ، وقال فيه بعد موته : رحم الله مالكا ، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله !».[٣]

الى ان قال :«ومات الأشتر في سنة تسع وثلاثين متوجها إلى مصر واليا عليها لعلي عليه السلام . قيل : سقي سما ، وقيل : إنه لم يصح ذلك ، وإنما مات حتف أنفه .

فأما ثناء أمير المؤمنين عليه السلام عليه في هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل ، ولعمري لقد كان الأشتر أهلا لذلك ، كان شديد البأس ، جوادا رئيسا حليما فصيحا شاعرا ، وكان يجمع بين اللين والعنف ، فيسطو في موضع السطوة ، ويرفق في موضع الرفق ».[٤]

(ك ٥٣ / ١) اهداف العهد:

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا ما أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللّٰهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنينَ مالِكَ بْنَ ٱلْحارِثِ ٱلْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلّاهُ مِصْرَ: جِبوَةَ[٥] خَراجِها، وَجِهادَ عَدُوِّها، وَٱسْتِصْلاحَ أَهْلِها، وَعِمارَةَ بِلادِها.

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٢٨ ـ ٢٩.
(٢) لم ترد «أميره عليها» في أ.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ٢٨.
(٤) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٥ : ١٠١ ـ ١٠٢.
(٥) في ط :جباية، وفي هـ. ص: في نسخة: جباية، وفي هـ. د: جباية ـ ض ح ب .

حدد العهد شخصية الإمام بأنّه (عبدالله) و (اميرالمؤمنين) والجمع بينهما تاكيد على شخصية الإمام بأنّه كسائر المواطنين من المسلمين عبد من عبيد الله، له ما لهم وعليه ما عليهم، وان لقب (اميرالمؤمنين) ليس إلّا لتحقيق ما حكم به الله سبحانه على الارض من العدالة، ولم يذكر ممن إليه العهد سوى اسمه واسم ابيه واللقب الذي اشتهر به، ويظهر من قوله: (هذا ما أمر به) أنّ العهد كان انشاءً على كاتب العهد، ولعله ابن رافع القبطي.

وقد حدد الإمام اهداف هذا العهد في اربعة امور تفتقر اليها أية ادارة صالحة في المجتمع.

أوّلاً: (جباية خراجها)، ويمثل ذلك الجانب الاقتصادي للدولة والشعب.

ثانياً: (وجهاد عدوها) ، ويمثل ذلك الجانب الدفاعي عن العقيدة والشعب والوطن.

ثالثاً: (واستصلاح أهلها) ويمثل ذلك الجانب الاجتماعي لمصالح الشعب المسلم.

رابعاً: (وعمارة بلادها) ويمثل ذلك الجانب الحضاري للدولة.

وقد أشار إلى هذه الجوانب في مقاطع.

(٢/ ك ٥٣) النقاط الاساسية:

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللّهِ، وَإِيثارِ طاعَتِهِ، وَاتِّباعِ ما أَمَرَ بِهِ فِي كِتابِهِ، مِن فَرائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لايُسْعَدُ أَحَدٌ إلّا بِاتِّباعِها، وَلا يَشْقى إلّا مَعَ جُحُودِها وَإِضاعَتِها، وَأَنْ يَنصُرَ اللّهَ سُبحانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ[١] وَلِسانِهِ؛ فَإِنَّهُ ـ جَلَّ اسْمُهُ ـ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ[٢] نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَواتِ[٣]، وَيَزَعَها[٤] عِنْدَ الْجَمَحاتِ[٥]؛ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمّارَةٌ بِالسُّوءِ إلّا ما رَحِمَ اللّهُ.

وافتتح العهد بالثوابت الاسلامية وآثارها في ادارة الحكم الاسلامي بقوله:

١ ـ (أمره بتقوى الله)؛ فإنّ الحاكم الذي لا يتمتع بهذه الصفة لا يليق بادارة الحكم الاسلامي.

---

(١) في د: بقلبه ويده ، وفي هـ. د: بيده وقلبه ـ ف م ن ل ش.
(٢) في هـ. ب زيادة: من، وفي هـ. ص: في نسخة زيادة: من.
(٣) في هـ. د: من الشهوات ـ ب.
(٤) في ط: ينزعها، أي: يكفّها، وفي هـ. ب: يدفعها. وفي هـ. د: وينزعها ـ م، وفي حاشية م: ويدعها.
(٥) من جمحت الدابّة: إذا لم تنقد لقائدها، وفي هـ. د: جمع جمحة.

٢ ـ (وإيثار طاعته) والاثرة: اختصاص المرء نفسه باجود الاشياء، فالمطلوب من الحاكم الذي يمثل الاسلام أن يؤثر طاعة الله سبحانه على أي شئ آخر.

٣ ـ(واتباع ما أمر به في كتابه) باعتبار القرآن الكريم القانون الاسلامي للدولة.

٤ ـ (من فرائضه) وهي الثوابت الاسلامية التي لا تتغير، لتحقيق العدل ومنع الظلم.

٥ ـ (وسننه) التي سنها الله سبحانه من دون التزام كالعقد من الحقوق .

واشار إلى مضاعفات الاخلال بها بقوله:

(التي لا يسعد أحد إلّا باتباعها) سواء في ذلك المسلم أو غيره؛ فإنّ العدالة فريضة اسلامية بالنسبة الى جميع المواطنين.

(ولا يشقى إلّا مع جحودها وإضاعتها) فإنّ جحودها يلازم عدم الايمان بها واضاعاتها، فقد يكون مؤمنا بالفرائض ولا يقوم بها تكاسلا، وفي كلي الحالتين تكون النتيجة المضاعفة: الشقاء في الدنيا والآخرة.

٦ ـ (وأن ينصر الله سبحانه) بنصر الاهداف الاسلامية التي بشر بها الأنبياء في رسالاتهم والتي انتهت بالرسول ﷺ، وهي تستوعب حياة الإنسان.

واشار إلى ثلاث منها هي:

أوّلاً: (بقلبه)؛ فإنّ النصر الذي لا ينبع من القلب لا يتنتج الاثر المطلوب.

ثانياً: (ويده) بالعمل على طبق ما يدعوا إليه باللسان.

ثالثاً: (ولسانه) وهو الدعوة إلى الاسلام، فهذا اضعف مراتب النصر لمن لا يتمكن من غيره.

وعن السبب في التاكيد على نصر الله سبحانه قال:

(فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه) اشارة إلى قوله تعالى:﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾.[1] وقوله تعالى:﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾.[2]

٧ ـ(وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات) الكسر: القهر، والوزع: الكف، والجمح: التمرد.

ثمّ أشار إلى السبب في مغالبة هوى النفس بقوله:

---

(١) محمّد : ٧.

(٢) الفتح : ٣ .

(فإن النفس أمارة بالسوء إلّا ما رحم الله) اقتباساً من قوله تعالى:﴿ان النفس لأمّارة بالسوء الا ما رحم ربي﴾[١]؛ فإنّ الانحراف عن الصراط المستقيم دائما ينتهي إلى هوى النفس فيجب على الحاكم الذي يمثل الاسلام قهر هوى النفس وكفها عن تمردها على العقل، ولا يخلو منها انسان في الحياة إلّا برحمة منه تعالى في الالتزام بالثوابت الاسلامية، والله الغويق.

(٣/ك ٥٣) دولة مصر:

ثُمَّ ٱعْلَمْ يا مالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إلى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْها دُوَلٌ[٢] قَبْلَكَ[٣] مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ ٱلنّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ ماكُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ ٱلْوُلاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ ما كُنْتَ تَقُولُ[٤] فِيهِمْ، وَإِنَّما يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلصّالِحِينَ بِما يُجْرِي ٱللّهُ لَهُمْ عَلى أَلْسُنِ عِبادِهِ.

فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخائِرِ إلَيْكَ ذَخِيرَةُٱلْعَمَلِ ٱلصّالِح، فَامْلِكْ هَواكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ[٥] عَمّا لايَحِلُّ لَكَ، فَإنَّ ٱلشُّحَّ بِالنَّفْسِ ٱلْإنصافُ مِنْها فِيما أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ[٦].

وَأَشْعِرْ[٧] قَلْبَكَ[٨] ٱلرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَٱلْمحَبَّةَ لَهُمْ، وَٱللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاتَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضارِياً، تَغْتَنِمُ[٩] أَكْلَهُمْ.

ثم أشار إلى حضارة مصر القائمة على التقدم الحضاري وضرورة الاعتبار بالحضارة الاسلامية البديلة في المبادي والوسائل والاهداف، فقال:

١ ـ (ثم اعلم يا مالك، أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور)؛ فإنّ الحضارات مهما تعددت ـ لها من المحسنات التي أهمها: الحكم العادل فيها، وعليها مؤخذات التي تعتبر أساس اضمحلالها، وهي تنتهي إلى الحكم بالجور.

(١) يوسف : ٥٣ .
(٢) في هـ ب: جمع دولة.
(٣) لم ترد «قبلك» في ص.
(٤) في ط: تقوله.
(٥) أي: إبخل بها عن الوقوع في غير الحلال.
(٦) في ط: أحبّت أو كرهت.
(٧) في هـ. ب: من الشعار.
(٨) في هـ. د: نفسك ـ م، وفي هامش م: قلبك.
(٩) في ب: يغتنم.

٢ ـ (وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك)؛ فإنّ الحضارات البائدة لها ذكريات حلوة أو مرة في التاريخ، ولكل من قرأ عنها أو سمع بها وجهة نظر خاص تجاهها.

٣ ـ(ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم)؛ فإنّ الشعب لا يفرق بين أي وال غابر أو حاضر بالفرق الزمني في التاريخ؛ فإنّ الولاة مسؤولون امام شعوبهم سواءً في ذلك من حضر أو غبر من صالح أو طالح، ولا تفريق بينهم إلّا بالعمل.

٤ ـ (وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده)؛ فإنّ ما ذكره التاريخ الصحيح عن الامم الغابرة هو الدليل على عدالة حكمهم، دون ما يصدر من مرتزقة الحاكم في عصره ووسائل اعلامه الخاصة به.

وملاحظة هذه الخصائص عن الولاة الذين انتهى دورهم يوجب على الحاكم المسلم اموراً:

(فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح)؛ فإنّ العمل الصالح وحده يكون المقياس في التفاضل، سواءً في الحال أو الماضي، فكما أن الصالحين لا يهتمون بما مضى من التاريخ إلّا بصالح الاعمال، فكذلك يجب أن يكون الحاضر.

الثاني: (فأملك هواك)؛ فإنّ هوى النفس هو منبع كلّ رذيلة في الحياة، وتملكها يوجب اتباع الحكمة والعقل في الحياة، دون الثمرات المادية الزائلة.

الثالث: (وشح بنفسك عما لا يحل لك) والشح: البخل؛ فإنّ ضبط النفس عن الشهوات التي لا تحل للحاكم الاسلامي واجب اداري يجب أن يتحلى به ؛ لما يستلزم ذلك من الواجبات الادارية الاخرى، وقد أشار اليها بقوله:

الرابع: (فإن الشح بالنفس: الانصاف منها فيما أحبت أو كرهت) والنصف: العدل؛ فإنّ العدل في هوى النفس يوجب نهيها عن ما لا يحل للمسؤول الاسلامي اداريا، وعدم تمكينها من الوقوع في الشهوات.

الخامس: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية)؛ فإنّ الحاكم الاسلامي يمثل الاسلام كحكم، ومن جانب اخر يمثل الشعب في عقد اجتماعي بالشورى، فلا يكون الحاكم الا خادما لما يفتقر اليه الشعب، ولا يتحقق ذلك الا بالرحمة النابعة من اللطف للشعب .

وقد أشار إلى مظاهر هذه الرحمة بقوله:

أوّلاً: (والمحبة لهم)؛ فإنّ الحب له مظاهر مختلفة في العادات والتقاليد منها: المشاركة في افراحهم في الاعياد واحزانهم في الوفيات.

ثانياً: (واللطف بهم) واللطف: الرفق في التعامل مع الشعب في اداء الواجب الاداري مهما كان نوعه، فان الرفق يكشف عن روح الحكم الاسلامي.

ثالثاً: (ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم) كما هي طبيعية الحكم المادي الذي لا يرى في الحكم إلّا وسيلة للارتزاق، ولا يرضخ لهم الشعب الا خوفا من العقوبات التي يفرضها الحكم الظالم عليهم، ولولا ذلك لما رضخ؛ لأي حكم من الدول.

وهذه النقاط الخمس من الواجبات الادارية للحاكم المسلم توجب ثقة الشعب له، وتعاونه مع القائد في اداء مسؤولياته.

اصناف الشعب.

وأشار إلى ضرورة كسب ثقة الشعب بقوله:

فَإِنَّهُمْ[١] صِنْفانِ: إمّا أَخٌ لَكَ فِي ٱلدِّينِ، أوْ[٢] نَظِيرٌ لَكَ فِي ٱلْخَلْق، يَفْرُطُ[٣] مِنْهُمُ ٱلزَّلَلُ[٤]، وَتَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْعِلَلُ، وَتُؤْتى عَلى أَيْدِيهِمْ فِي ٱلْعَمْدِ وَٱلْخَطأ.

(فإنهم صنفان) حيث لا يتحقق حكم بكسب ثقة الاغلبية الساحقة مئة بالمئة، وهو القاسم المشرك الاعظم بين الشعب طائفتان:

الأوّل: (إما أخ لك في الدين) له يؤمن بنفس المبادي والوسائل والاهداف التي تؤمن بها كحاكم اسلامي، فمن الطبيعي أن تتحقق الثقة بين الطرفين.

الثاني:(او نظير لك في الخلق) ممّن ليس بالصفة المطلوبة، ولكنّه من المواطنين، وهو بحكم كونه احد افراد الشعب مثل الحاكم في المواطنة، ونظيره في البشرية، ولكل البشر ـ حاكما أو محكوما ـ طابع البشر ومنها:

أوّلاً: (يفرط منهم الزلل) الفرط: السبق، والزلل: الخطأ؛ فإنّ البشر محل الانزلاق بالزلل، وليس ملائكة في تصرفاته.

---

(١) في هـ. ب: أهل مصر.
(٢) في ب و ص و ط و د: وإمّا، وفي هـ. د: أو نظير ـ ب.
(٣) في هـ. ب: يسبق.
(٤) الزلل: الخطأ، وفي هـ. د: منهم في الزلل ـ ب.

ثانياً: (وتعرض لهم العلل) والعلة: المرض، فليس هناك أيّ انسان على وجه الارض لا تعترضه الامراض في فترة من حياته.

ثالثاً: (ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ) حيت يتعمدون في تجاوز القانون احتماء بوسائل شيطانيّة أو يخطأون في تطبيق القانون احيانا اخر؛ فإنّ الإنسان محل السهو والخطأ والنسيان.

والشعب بكافة طبقاته لا يخلو من هذين الصنفين، وواجبات الحاكم المسلم يجب أن يعمهم جميعا بدون استثناء.

(ك ٥٣/٤) من واجبات الوالي:

وأشار من واجبات الحاكم الاسلامي تجاه الشعب بقوله:

فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ ٱلَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضى أَن يُعْطِيَكَ ٱللّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوالِي ٱلْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَٱللّهُ فَوْقَ مَنْ وَلّاكَ، وَقَدِ ٱسْتَكْفاكَ أَمْرَهُمْ[١]، وَٱبْتَلاكَ[٢] بِهِمْ.

وَلا تَنْصِبَنَّ[٣] نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللّهِ؛ فَإنَّهُ لايَدَيْ[٤] لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلا غِنى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَلا تَنْدَمَنَّ عَلى عَفْوٍ، وَلا تَبْجَحَنَّ[٥] بِعُقُوبَةٍ، وَلا تُسْرِعَنَّ إلى بادِرَةٍ[٦] وَجَدْتَ مِنْها[٧] مَنْدُوحَةً[٨].

وَلا تَقُولَنَّ: إنّي مُؤَمَّرٌ[٩] آمرٌ[١٠] فَأُطاعُ؛ فَإنَّ ذلِكَ إدْغالٌ[١١] فِي ٱلْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ[١٢]

---

(١) في هـ. ب: طلب منك كفاية أمرهم.
(٢) في هـ. ب: ابتلاك: كلّفك.
(٣) في أ و ص: لا تنصبّن (بدون واو).
(٤) في هـ. أ: لا يدي لك: أي لا قوّة.
(٥) في هـ. ب: التبجح: السرور.
(٦) أي ما يبدر من الحدّة عند الغضب، وفي هـ. ب: سابقة من الحدة والخطأ.
(٧) في أ و ص و ط: عنها.
(٨) المندوحة: المخلص.
(٩) في هـ. ب: من جعل أميراً.
(١٠) في أ: مؤمر آمن آمر، ويحتمل: مؤمّر آمر أمرٍ، وفي هـ. ب: في نسخة: آمر.
(١١) الادغال: إدخال الفساد.
(١٢) في هـ. أ: منهكة، من نهكته الحمى: إذا أجهدته وأفنتنه ونقصت لحمه، وفي هـ. ب: مضعف.

لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ ٱلْغِيَرِ.

١ ـ (فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه)؛ فإنّ الحاكم المسلم الذي يؤمن بالاسلام عقيدة وشريعة يجب أن يتحرك في معاملته مع الشعب على أساس هذه العقيدة فكما يأمل الإنسان العفو من الله، فلابد عليه أن يعفو عمن يستحق ذلك من افراد الشعب.

وعلل ذلك بقوله:

(فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولّاك)؛ فإنّ المسؤولية الادارية في الحكم الاسلامي سلسلة مترابطة من الله سبحانه الذي يحاسب من الولاة على أداء المسؤولية الادارية والشعب، فكل مسؤول عن واجبه، وحيث لا يخلوا الإنسان من الخطأ والنسيان فلابد من العفو ممّن يستحق ذلك في كلّ المراتب الادارية.

(وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم) حيث جعل الله مسؤولية اداراة الشعب على عاتق الوالي لكفاية امرهم في الحياة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، والمسؤولية بطبعها ابتلاء أي امتحان لكل من الحاكم والشعب على حد سواء، كلّ حسبب مسؤوليته.

٢ ـ (ولا تنصبن نفسك لحرب الله) بالمعصية لاوامر الشريعة؛ فإنّ ذلك الحرب عمليا وان لم يكن معلناً، وذلك باهمال الواجبات الملقاة على عاتق الحاكم المسلم.

واشار إلى سببين لذلك بقوله:

(فإنه لا يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته)؛ فإنّ الله سبحانه يجازي أيّ عمل صدر من الإنسان خيراً أو شراً، قال تعالى:﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.(١) وليس هناك ما يمنع الإنسان من عقابه تعالى سوى عفوه ورحمة التي لا غنى لاحد عنها.

٣ ـ(ولا تندمن على عفو)؛ فإنّ العفو من الاخلاق الاسلامية، والقيام به من صميم الاسلام، فمن قام به ادى واجبه، واداء الواجب لا ندم فيه، قال تعالى:﴿خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾.(٢)

٤ ـ (ولا تبجحن بعقوبة) التبجيح: الفرح؛ فإنّ العقوبات الاسلامية انما هي فرائض

(١) الزلزلة: ٥.
(٢) الاعراف: ١٩٩.

وحدود شرعية يجب تطبيقها بروح التطبيق للقانون، والقرع بالعقوبة فيه روح الانتقام الذي ينهى عنه الاسلام، فان العقوبات انما شرعت للنظام لا للانتقام.

٥ ـ (ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة) مدروسة وحكيمة، وهي ما يصدر من الإنسان في حالة الغضب، فلابد في القرارات أن تكون لاجل تطبيق الاسلام من دون دخل للعواطف الشخصية أو القبلية فيها.

وذكر المقياس في كون الباردة هي مسؤولية أم لا، بالنظر إلى أن فيها مندوحة عنها أم لا؛ فإنّ كان هناك مندوحة فلا تكون البادرة شرعية، وهذا النظر يستغرق وقتا عادة تمنع من البادرة .

٦ ـ (ولا تقولن: إني مؤمر آمر فأطاع) أي اني مأمور من قبل السلطة التي أتقيد بتنفيذ أوامرها؛ فإنّ هذا هو عذر كلّ الظالمين والمتلاعبين بالقانون.

وقد وصف الإمام الاوامر الدكتاتورية بقوله:(امر فاطاع) وهذا غير مستند إلى الكتاب والسنة باوصاف ثلاث:

فان الاوامر الارتجالية تلازم فساداً من المبدأ؛ لعدم الرؤية الواضحة للاسباب الداعية التي ألب الارتجال، واذا فسد القلب فسدت القرارات، بل لابدّ من الرؤية الواضحة في القرارات.

الثاني:(ومنهكة للدين)؛ لأنّ الاسلام يطلب العمل استناداً إلى حجة شرعية قانونية، فلا يجوز طاعة ما لا يستند الى حجة شرعية ؛ فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

الثالث: (وتقرب من الغير) وهي بفتح الغين بمعنى الاحوال المتغيرة؛ لأنّ الاحكام التي تستند الى حبّ الذات والانانية والارتجالية لابدّ وان تولد نفس الروح في المعارضة، فترى شرعية استخدامها في سبيل الوصول إلى مقاصدها، فيكون سببا مباشراً في قرب الثورة من جانب المعارضة.

ولو كانت كلمة (الغير) بسكون الغين لكان بمعنى التقرب إلى غير الله سبحانه، وهو شرك بالله، فالحكم الاسلامي لايرى كذلك ايّة شرعية.

($\frac{٥}{ك ٥٣}$) السلطنة:

وَإذا أَحْدَثَ لَكَ ما أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطانِكَ أُبَّهَةً[١] أَوْ مَخِيلَةً[٢]، فَانْظُرْ إلى عِظَمِ مُلْك ٱللّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلى مالا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإنَّ ذلِكَ يُطامِنُ[٣] إلَيْكَ مِنْ طِماحِكَ[٤]، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ[٥]، وَيَفِيءُ[٦] إلَيْكَ بِما عَزَبَ[٧] عَنكَ مِنْ عَقْلِكَ.

إيّاكَ وَمُساماةَ[٨] ٱللّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَٱلتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإنَّ ٱللّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتالٍ[٩].

وحيث أن من مستلزمات القدرة السياسية ما يتخيله الانسان من العظمة الخيالية اشار عليه السلام إلى موعظة يجب تدبرها لمن يتولى مسؤولية الحكم الاسلامي، فقال:

(وإذا أحدث لك ما أنت فيه) من القدرة السياسية التي تحدث عادة نوعاً من الترفع على من يفقد الرياسة من:

(ابّهة) وهي العظمة و (المخيلة) وهي العجب، وهما الحالتان الغالبتان على من يتولى الرئاسة لاي منصب مادي، غافلاً عن أن هذه الوظيفة المادية لا تغير من حقيقة الإنسان شيئا، فهو في نفسه حاملا همومه وامراضه وصفاته الشخصية التي لا يشاركه فيها غيره.

ولمعالجة هذه الحالة النفسية قال:

(فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك)؛ فإنّ مجرد التفكر في عظم ملكوته تعالى الذي هو اعلى من كلّ عال، وقدرته المطلقة، يكفي في أن يجعل الإنسان معتبراً بأن المناصب المادية والوظائف لا يغير من حقيقة الإنسان شيئا، فالذي وهبها للانسان ـ بأساسبابه الطبيعية ـ قادر على أن ينتزعها بلحظة عين كالموت، قال تعالى:﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن

(١) الابهة: الكبرياء والعظمة.
(٢) المخيلة: الخيلاء والعجب، وفي هـ. ب: كبراً أو خيلاء.
(٣) في هـ. ب: يجعلك مطمئناً.
(٤) في هـ. ب: جموحك.
(٥) في هـ. ب: حدتك.
(٦) يفيء: يرجع إليك.
(٧) في هـ. ب: ما بعد.
(٨) المساماة: المباراة في السمو والعلو، وفي هـ. ب: مرافقة.
(٩) المختال: المتعجّب بنفسه.

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[١]

وإلى اثار هذه الموعظة والذكرى اشار:

أوّلاً: (فإن ذلك يطامن إليك من طماحك) يطامن: أي يخفف، والطماح: التكبر، حيث يتذكر القدرة العليا التي بامكانها سلب القدرة من البشر.

ثانياً: (ويكف عنك من غربك) والغرب بالسكون: الجدة، حيث يرجع الإنسان إلى التفكير بأن لا يغتر بهذه العناوين الخياليّة الباطلة الزائلة.

ثالثاً: (ويفئ إليك بما عزب عنك من عقلك) الفيء: الرجوع، والغرب: الغياب؛ فإنّ التأمّل في القدرة التي يتمتع بها الإنسان من الوظيفة ليست ابدية، ويكفى في الرجوع إلى العقل والتصرف حيث ما يتطلبه من اداء الواجب الاداري المسؤول كما يجب.

ثم ختم هذه الموعظة بالتحذير بما يقوم به الظالمون الذين يحكمون بالديكتاتورية بقوله:

(إياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته) والمساماة: التسابق في السمو، والترفع باوصاف خاصة بالله تعالى.

(فان الله يذل كلّ جبار ويهين كلّ مختال) كما شهد بذلك تاريخ الطغاة في الحكم في التاريخ.

(٦ / ك ٥٣) الانصاف والظلم:

أَنْصِفِ ٱللّهَ وَأَنْصِفِ ٱلنّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً[٢] مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبادَ ٱللّهِ كانَ ٱللّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبادِهِ، وَمَنْ خاصَمَهُ ٱللّهُ[٣] أَدْحَضَ[٤] حُجَّتَهُ، وَكانَ لِلّهِ حَرْباً[٥] حَتّى يَنزِعَ[٦] وَيَتُوبَ.

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعى إلى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ ٱللّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إقامَةٍ عَلى ظُلْمٍ، فَإِنَّ ٱللّهَ

---

(١) آل عمران : ٢٦.
(٢) أي لك فيه ميل خاص.
(٣) في هـ. ب: خاصم الله.
(٤) أدحض : أي أبطل.
(٥) أي محارباً.
(٦) ينزع، أي: يقلع عن ظلمه.

سَميَعٌ[١] دَعْوَةَ ٱلْمُضْطَهَدِينَ[٢]، وَهُوَ لِلظّالِمِينَ بِالْمِرْصادِ[٣].

الانصاف: التعامل مع الآخرين بالعدل، وضده الظلم، وقد أشار إلى طوائف ثلاث يجب على الحاكم المسلم الانصاف تجاههم:

أوّلاً: (انصف الله)؛ فإنّ لله تعالى حقوقا على الحاكم المسلم، بتطبيق حكم الله تعالى على الناس بالعدل، قال تعالى:﴿واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾.[٤]

ثانياً: (وأنصف الناس من نفسك) وانصاف نفس الحاكم: الانفتاح على الشعب، وانفتاح طرق الوصول إليه لحل مشاكلهم المستعصية.

(ومن خاصة أهلك) وانصاف الناس من الخاصة أن لا يكون للخاصة امتياز خاص على غيرهم بسبب قربهم إلى الحاكم بالنسب أو السبب وما شابه .

رابعاً: (ومن لك فيه هوى من رعيتك) والهوى: الرغبة؛ للعلاقات الاجتماعية بين الحاكم وبعض الناس، فان الانصاف أن لا يتعدى الحاكم واجباته الادارية على حساب هذه العلاقات الاجتماعية.

وقد عادل بين عدم الانصاف والعلم بقوله: (فإنك إلّا تفعل تظلم) حيث أن البديل للانصاف هو الظلم، فاذا وجد الانصاف وجد العدل، واذا انعدم كان الظلم، فهما متناقضان يقتضي وجود احدهما عدم الاخر، وليس لهما حد وسط.

وعن آثار الظلم قال:

١ ـ (ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده) فليس المظلوم هو الطرف المقابل للظلم، بل الخصيم هو الله سبحانه الذي يدافع عن المظلوم.

٢ ـ (ومن خاصمه الله أدحض حجته) والدحض: الابطال؛ فإنّ الله سبحانه لا يخاصم من له حجة، بل من لا يستند إلى حجة شرعية.

٣ ـ (وكان لله حربا حتّى ينزع ويتوب) والنزع: القلع، بمعنى الاقلاع عن الظلم والرجوع إلى التوبة.

---

(١) في ط و د: يسمع، وفي هـ. د: سميع ـ م ش.
(٢) في ص: المظلومين.
(٣) لم ترد «فان الله... الى بالمرصاد» في أ، وفي هـ. د العبارة ساقطة من ن ف ل.
(٤) النساء : ٥٨ .

٤ ـ(وليس شئ أدعي إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم)؛ فإنّ الظلم من الذنوب التي تغير النعم؛ حيث لا يجد المظلوم طريقا للخلاص سوى المعارضة المسلحة، وبذلك يعجل النقمة المفروضة على الظالم في الدنيا قبل الاخرة.

وعن السبب في شدة العقاب للظلم أشار إلى امرين:

(فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد) حيث ليس للمضطهد من يسمع دعواه، والله هو السميع العليم، وهو على كل شئ قدير.

(٧ / ك ٥٣) الخاصة والعامة:

وَلْيَكُنْ أَحَبُ ٱلْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُها[١] فِي ٱلْحَقِّ، وَأَعَمُّها فِي ٱلْعَدْلِ، وَأَجْمَعُها لِرِضَا ٱلرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُخْطَ ٱلْعامَّةِ يُجْحِفُ[٢] بِرِضَا ٱلْخاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ ٱلْخاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى ٱلْعامَّةِ.

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى ٱلْوالِي مَؤُونَةً فِي ٱلرَّخاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي ٱلْبَلاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإنصافِ، وَأَسْأَلَ[٣] بِالْإِلْحافِ[٤]، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ ٱلْإعْطاءِ[٥]، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ ٱلْمَنْعِ[٦]، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمّاتِ[٧] ٱلدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ ٱلْخاصَّةِ[٨]، وَإِنَّما عَمُودُ[٩] ٱلدِّينِ وَجِماعُ ٱلْمُسْلِمِينَ[١٠]، وَٱلْعُدَّةُ لِلْأَعْداءِ ٱلْعامَّةُ[١١] مِنَ ٱلْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِفْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

لكل حاكم جماعة خاصة يستعين بهم على تنفيذ قراراته في المجتمع عامة، ومن الطبيعي انّه لا يمكن غالبا الجمع بين رضى الخاصة والعامة معاً، ومن طبيعة الحكومات

(١) في هـ. ب: في نسخة: أوسعها.
(٢) أي يذهب، أي لا ينفع مع رضى الخاصة، أما لو سخط الخاصة فلا أثر لسخطهم مع رضى العامّة، وفي هـ. ب: يهلك.
(٣) في هـ. ب: أسأل مبالغة في سائل.
(٤) في هـ. ب: بالالحاح.
(٥) في ص: العطاء، وفي هـ. ص: في نسخة: الاعطاء.
(٦) في هـ. ب: الا يجعل عذراً للوالي إذا كان لا يعطيه.
(٧) في هـ. ب: حوادث.
(٨) «من أهل الخاصة» متعلق بـ«أثقل» وما بعده.
(٩) في هـ. د: عماد ـ ب.
(١٠) جماع المسلمين: جماعة الاسلام.
(١١) في ط : والعامة.

غير الاسلامية تفضيل مصالح الخاصة ورضاها على مصالح العامة ورضاهم، وفي هذا المقطع يؤكد الإمام على رعاية العدل، وان من ذلك رضا العامة دون الخاصة فقط، فقال:

١ ـ (وليكن أحب الأمور إليك) ما يتصف بنقاط ثلاثة، هي:

أوّلاً: (أوسطها في الحق)؛ فإنّ خير الامور اوسطها، من دون انحراف الى يمين أو يسار متطرف.

ثانياً: (وأعمها في العدل)؛ فإنّه كلما عم العدل كان اقرب إلى الرضا في المجتمع.

ثالثاً: (وأجمعها لرضى الرعية)؛ فإنّ رضى الشعب طرف العقد الاجتماعي في الحكم الاسلامي بين الحاكم والشعب.

وحيث أن المصالح تتضارب بين الخاصة والعامة أشار الإمام إلى أن رضى الشعب اولى من رضى الخاصة بقوله:

(فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة)؛ فإنّ الذي يفرض رايه هو الموقف العام، باعتباره الاكثرية، ولها قوتها في القرار، دون الاقلية؛ فإنّها وان تكن اقوى سلاحاً لفترة من الزمن ولكنها لابدّ وان تنتهي بالفشل مع سخط العامة عاجلاً أم آجلا.

ثم أشار إلى أن اهل الخاصة لهم نقاط الضعف التالية:

١ ـ (وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء) وهم في السلم يتنعمون بنعم الوالي وينتفعون منه مادياً اكثر من غيرهم من افراد الشعب؛ لقربهم منه، في حين انهم:

٢ ـ (وأقل معونة له في البلاء) فانهم يمنعون العون للوالي في البلاء، بل يخشون على انفسهم واموالهم من أن تسلب، فلا يساعدون الوالي الذي ساعدهم بالامس إلّا بمقدار ما تفرض عليهم الضرورة.

٣ ـ (وأكره للإنصاف)؛ فإنّ الخاصة لا يريدون الانصاف، بل يريدون الاستئثار بحصة الاسد في كل حادثة، لا لشيئ إلّا لقربهم من الوالي.

٤ ـ (وأسأل بالإلحاف) والالحاف: السؤال بشدة، حيث لا يتجرأ العامة من شدة السؤال، دون من هو من الخاصة، فيكرر السؤال في مناسبات متعددة حتّى يحصل على مطلوبه، دون الجماعة الذين يكتفون بالسؤال لمرات.

٥ ـ (وأقل شكرا عند الاعطاء)؛ فإنّ اهل الخاصة ليس لهم الشكر العادل كما يشكره

العامة، حيث لا يرى من ليس من الخاصة لنفسه فضلا على الوالي، دون اهل الخاصة فانهم يعتبرون انفسهم اصحاب الفضل، فلا يشكرون كما يجب، بل يرون ما حصلوا عليه فرضا.

٦ ـ (وأبطأ عذرا عند المنع) فاهل الخاصة لا يسارعون إلى احتمال العذر عندما يمتنع الوالي من العطاء، بل يؤخرون ذلك إلى اخر موعد متصوّر.

٧ ـ (وأضعف صبرا عند ملمات الدهر) فليس لهم الصبر في مقاومة الاحداث، بل ينهارون فور ما تحدث مشاكل تهدد الوالي، ويخفون انفسهم خوفا من سخط الشعب أو الانتقام.

ونقاط الضعف هذه وان كانت في مختلف الطبقات بحسب اختلافاتها، ولكنها في (أهل الخاصة) اكثر من غيرهم.

ثم سرد الصفات التي توجب التلاحم مع الشعب المسلم دون الخاصة، بقوله:

أوّلاً: (وإنما عماد الدين)؛ فإنّ حضارة ايّة امة انما تتقوم بعامة الشعب.

ثانياً: (وجماع المسلمين) أي وحدتهم؛ فإنّ جمع المسلمين بشكل وحدة اكثر عدداً من الجماعة الخاصة، وبهم يقوى المسلمون كجماعة ذات حضارة اسلاميّة مستقلة قد تتفق مع اهل الخاصة وقد لا تتفق.

ثالثاً: (والعدة للأعداء) ففي ساحة الحرب لا يتقدم اهل الخاصة، بل يقوم عامة الشعب بالدفاع عن الدين والوطن.

وهذه هي الصفات الثلاث تتواجد في (العامة من الأمة) وليس في الخاصة، وان كانوا لايعدموها.

ونتيجة للمقارنة بين صفات الخاصة والعامة توجب ما أشار اليه بقوله:

(فليكن صغوك لهم وميلك معهم) والصغو: الميل بالتحالف مع عامة الشعب وليس اهل الخاصة فقط، فان التاريخ يشهد بأن اية حكومة تساندها الاغلبية من الشعب لابدّ وان تنجح في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصاديّة والسياسية والعسكرية، دون العكس؛ فإنّ الحكومات التي تدار من قبل مصالح جماعات خاصة لابدّ وان تفشل في سياستها.

(٨٠/ك ٥٣) السعاة والمعائب:

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ[١] عِنْدَكَ: أَطْلَبُهُمْ لِمَعايِبِ[٢] ٱلنّاسِ؛ فَإِنَّ فِي ٱلنّاسِ عُيُوباً ٱلْوالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَها[٣]، فَلا تَكْشِفَنَّ عَمّا غابَ عَنْكَ مِنْها، فَإِنَّما عَلَيْكَ تَطْهِيرُ ما ظَهَرَ لَكَ، وَٱللّهُ يَحْكُمُ عَلى ما غابَ عَنْكَ، فاسْتُرِ ٱلْعَوْرَةَ مَا ٱسْتَطَعْتَ، يَسْتُرِ ٱللّهُ مِنكَ ما تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ[٤].

أَطْلِقْ عَنِ[٥] ٱلنّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ[٦]، وَٱقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ[٧]، وَتَغابَ[٨] عَنْ كُلِّ مالا يَضِحُّ[٩] لَكَ، وَلا تَعْجَلَنَّ إلى تَصْدِيقِ ساعٍ[١٠]؛ فَإِنَّ ٱلسّاعِيَ[١١] غاشٌّ[١٢] وَإِنْ تَشَبَّهَ[١٣] بِالنّاصِحِينَ.

الساعي هنا: من ينقل العيوب للتقرب إلى الحاكم بالوقيعة في الآخرين حقا أو باطلا. وهي التجسس الذي نهى الله عنه بقوله تعالى:﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾.[١٤]

يقوم بذلك بعض ضعاف النفوس الذين لا هدف صالح لهم في حياتهم ليعملوا في تحقيقه؛ ظنا منهم أن ذلك يقربهم إلى من منبع القوّة، وحيث أن الحاكم الاسلامي رمز هذه القوة، فمن الطبيعي أن تجتمع حوله من هذه الطبقة طائفة، قال عنهم الإمام محذراً:

(وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعائب الناس) فالمقياس امران:

الأوّل: البعد، فيجب أن تكون هذه الطبقة أبعد الناس طبقة ووصلة.

---

(١) أَشْنَأَهُمْ: أعداهم.
(٢) في هـ. ب: جمع عيب.
(٣) في ب: يسترها.
(٤) في ص: من عيبتك، وفي هـ ص: في نسخة: عن رعيتك.
(٥) في ب: علي.
(٦) في هـ. ب: أي اطرح الحقد.
(٧) في هـ. ب: الحقد.
(٨) في هـ. ب: التغابي عن أمر للمتغابي من الغباوة، وهي الجهل.
(٩) في أ و ب و د: ما لا يصح، وفي هـ. ب: في نسخة: ما لا يضح، وفي هـ. ص: أي يظهر، والماضي «وضح» بالفتح. في هـ. د: ما لا يضح ـ ح
(١٠) من الغش.
(١١) في هـ. ب: غماز.
(١٢) في هـ. ب: من الغش.
(١٣) في هـ. ب: وان تشبّه الساعي.
(١٤) الحجرات: ١٢.

الثاني:الشنآن، وهو البغض، فلا ينظر الحاكم المسلم اليهم إلّا نظرة البغضاء كما تقتضيه طبيعة هذه الطبقة التي تريد الوقيعة بين المسلمين.

والسند في هذا الحكم القاسي قال:

(فإن في الناس عيوبا، الوالي أحق من سترها) لكونه بمنزلة الاب بالنسبة إلى شعبه.

(فلا تكشفن عما غاب عنك منها)؛ فإنّ كشف العيب يزيده عيبا.

(فإنما عليك تطهير ما ظهر لك) كما هو واجب الاب بعلاج العيب لا كشفه.

(والله يحكم على ما غاب عنك) من العيوب المستورة التي لا تعلم بها؛ لأنّ الله سبحانه هو ستار العيوب وعلام الغيوب، وكلنا الى الله نؤوب.

وفي هذا الصدد أشار إلى النتائج التالية:

أوّلاً: (فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك) والعورة: كلّ ما يستحيا منه، فيستر حياءً؛ فإنّ الستر عمل خير، والله سبحانه يجازي على ذلك بعشر من امثالها.

ثانياً: (أطلق عن الناس عقدة كلّ حقد)؛ فإنّ الساعي بالمعايب انما يقوم بما يقوم به بسبب الحقد على الافراد أو المجتمع، بسبب ضعف نفسه، فهو يعقد للحقد عقداً في الناس، والوالي يجب عليه مكافحة ذلك باطلاق هذه العقد، فيعيش الشعب في امان من السعاة.

ثالثاً: (واقطع عنك سبب كلّ وتر) وهو العداوة؛ فإنّ الساعي سبب من اسباب اشاعة العداوة فيب المجتمع، وابعاده وعدم الصلة به قطع لسبب العداوة.

رابعاً: (وتغاب عن كلّ ما لا يضح لك) والتغاب: التجاهل، والوضوح: الظهور؛ فإنّ ما لم يظهر ظهورا بينا لا يمكن انكاره يجب أن يتغافل عنه، عسى أن يرجع الجاهل إلى رشده.

خامساً: (ولا تعجلن إلى تصديق ساع) وهو الجاسوس المخبر عن عيوب الناس؛ فإنّ الجاسوس انما دخل في هذه الطبقة لحاجة مادية أو لضعف في النفس، ومن يتحرك على هذا الاساس لا يمكن الاعتماد عليه من الكذب والتهمة والخيانة لمن يجده اقوى منه من هذه الطبقة، ومن له المغريات المادية، واشار إلى ذلك عليه السلام بقوله:

(فإن الساعي غاشّ وإن تشبه بالناصحين) اذ أن طبيعة السعي الخيانة بمن يخبر عنه إلى من يخبر إليه، والغش والصلاح متضادان لا يجمتعان، بل لا نسبة للصلاح الى أي نوع

من الغش الحقيقيّ الذي هو فيه.

والتاريخ يتضمن ضحايا هؤلاء السعاة والحكام الذين تعجلوا في تصديقهم باحرف من دم.

(٩/ ك ٥٣) المشورة:

وَلا تُدْخِلَنَّ فِي مَشْوَرَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ ٱلْفَضْلِ[١]، وَيَعِدُكَ ٱلْفَقْرَ، وَلا جَباناً يُضْعِفُكَ[٢] عَنِ ٱلْأُمُورِ، وَلا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ ٱلشَّرَهَ بِالْجَوْرِ؛ فَإِنَّ ٱلْبُخْلَ وَٱلْجُبْنَ وَٱلْحِرْصَ غَرائِزُ[٣] شَتّى يَجْمَعُها سُوءُ ٱلظَّنِّ بِاللّهِ.

وطبيعيّ لكل ادارة حاكمة من لجنة المشورة في ادارة امورها، كما أن من الطبيعي المشورة ممّن له صلاحية الشورى في المواد التي يستشار فيها، وقد أشار إلى الصفات السلبية التي يجب ان تؤخذ بالاعتبار في اصحاب الشورى بقوله مؤكدا:

أوّلاً: (ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلا)؛ فإنّ البخيل لا ينظر إلى الامور إلّا من ناحية ماديّة بحتة.

واشار الى طبيعتين من مواقفه:

(يعدل بك عن الفضل) فلا ينصح فيما فيه الفضل والاحسان على الآخرين؛ لمكان بخله، ويميل الرأي الى ما لا فضل فيه.

(ويعدك الفقر)؛ فإنّه يعبر عن نفسه، حيث انّه يخاف من الفقر دائما ويعد الآخرين كذلك ويحذرهم من الفضل والاحسان خوفاً من الفقر.

وفي كلي الحالتين لا ينظر إلى المواقف برأي يفتقر إلى التضحية المالية.

ثانياً: (ولا جبانا يضعفك عن الأمور)؛ فإنّ صاحب هذه النفسية الضعيفة يعيش في قلق دائم، ولا يسمح للاخرين من التقدم في حياتهم، بل يعدي جبنه اليهم.

ثالثاً: (ولا حريصا يزين لك الشره بالجور)؛ فإنّ الحرص هو المبدأ الاساسي للجور، والشره: شدة الحرص، وبسبب هذه النفسيّة الضعيفة يحبذ الجور على الآخرين للمحافظة على ما لديه أو لدى غيره من القوة.

---

(١) أي: الاحسان والبذل.

(٢) في ب: يضعّفك، وفي هـ. ص: أي: يجعلك ضعيفاً ممّا يهوّل لك من الأُمور ويخبّث فؤادك.

(٣) أي: طبائع.

ويختتم هذه الطباع الثلاث من ضعف النفس بقوله ﷺ:

(فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله)؛ لأنّها لا تصدر إلّا من نفوس ضعيفة ليس اها ايمان بالله، ولا رؤية واضحة فسى الحياة، فانّ أيا من هذه الغرائز لا تؤخر ولا تقدم شيئا مما قدر الله في الحياة من المحاسن في المشورة .

(١٠/ك٥٣) **الوزارة والوزراء:**

إن[1] شَرُّ وُزَرائِكَ مَنْ كانَ لِلْأَشْرارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثام، فَلا يَكُونَنَّ لَكَ بِطانَةً[2]؛ فَإِنَّهُمْ أَعْوانُ الْأَثَمَةِ[3]، وَإِخْوانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ واجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ[4] مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرائِهِمْ وَنَفاذِهِمْ[5]، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصارِهِمْ[6] وَأَوْزارِهِمْ[7] مِمَّنْ لَمْ يُعاوِنْ ظالِماً عَلى ظُلْمِهِ وَلا آثِماً عَلى إِثْمِهِ؛ أُوْلئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً[8].

فَاتَّخِذْ أُوْلئِكَ خاصَّةً لخَلَواتِكَ وَحَفَلاتِكَ[9].

ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ[10] بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ[11]، وَأَقَلَّهُم مُساعَدَةً فِيما يَكُونُ مِنْكَ مِمّا كَرِهَ اللّهُ لِأَوْلِيائِهِ، واقِعاً ذلِكَ[12] مِنْ هَواكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وَالْصَقْ[13] بِأَهْلِ الْوَرَع وَالصدِّقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ[14] عَلى أَنْ لّا يُطْرُوكَ[15]،

---

(١) لم ترد «ان» في أ ب ص د، وفي هـ. د: ان شر ـ ض ب.
(٢) بطانة الرجل: خاصّته، وفي هـ. ب: وليجة.
(٣) في هـ. ب: جمع آثم، كما يقال: كافر وكفرة.
(٤) في هـ. ب: ما يلي السلف.
(٥) في هـ. ب: نفاذ أمرهم.
(٦) في هـ. أ: الآصار جمع إصر، وهو الوزر والثقل، والقرآن نطق به.
(٧) جمع وزر: الذنب والإثم، وفي ب و ط زيادة:وآثامهم، وفي هـ. د: أوزارهم وآثامهم ـ ح ش.
(٨) أي الإلفة والمحبّة.
(٩) في هـ. ب: محافلك، وفي هـ. ص: أي اجتماع الناس عنده.
(١٠) في هـ. ب: مبالغة قائل.
(١١) مرارة الحق: صوبته على القائل.
(١٢) لم ترد «ذلك» في ط.
(١٣) في هـ. ص: كلمة فصيحة، أي: اقرب منهم وخالطهم.
(١٤) في هـ. ب: من راض رياضة، أي: عوّدهم.
(١٥) في هـ. ب: يمدحوك، وفي هـ. ص: يمدحوك في وجهك.

وَلا يُبَجِّحُوكَ[١] بِباطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلْإِطْراءِ تُحْدِثُ ٱلزَّهْوَ[٢]، وَتُدْنِي[٣] مِنَ ٱلْعِزَّةِ[٤].

الوزير لغة: المعاون، ويعهد إليه الاشراف على بعض شؤون الدولة الاسلامية، وقد أشار الإمام إلى صنفين من الوزراء الاشرار والاخيار.

وعن الوزراء الاشرار قال:

١ ـ (إن شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا)؛ فإنّ مجرد الاشتراك في دولة ظالمة يستلزم التعاون في تحقيق اهداف الدولة الظالمة، ومن تلبس بالظلم اصالة أو بالتعاون لا يمكن ان يتحمل مسؤولية في الدولة الاسلامية، قال تعالى:﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ [٥] فكيف يمكن الوثوق بمن تلبس بالظلم؟ فانه لا امان من عدم ظلمه من جديد.

٢ ـ (ومن شركهم في الآثام)؛ فإنّ كلّ من اشترك مع الظالمين يكون في صفهم وسائراً على خطاهم، ولا امان منهم في تحريف ما يتلقونه من الاوامر إلى مصالحهم، حيث خبرتهم السابقة.

٣ ـ (فلا يكونن لك بطانة) وهي اهل الخاصة الذين يشكلون حلقة داخلية في الادارة الحاكمة.

وعن السبب في هذا الحكم قال:

(فإنهم أعوان الأثمة) ان كانوا من الوزراء فيشتركون معم في الاثم، معرضين عن قوله تعالى:﴿ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾.[٦]

(وإخوان الظلمة) ان لم يكونوا متعاونين، بل كانوا يساندونهم في مواقفهم.

(ففى الحالين) لا يوثق بهذه الطبقة في تشكيل الوزارة في الدولة الاسلاميّة؛ لما لهم من ماضي في التاريخ الاسود ضد العدل.

وعن الوزراء الاخيار قال:

---

(١) في هـ. ب: يسرّونك، وفي هـ. ص: أي يجعلونك ممّن يبجّح، أي يفتخر.
(٢) في هـ. ب: الكبر.
(٣) في هـ. ب: يقرب.
(٤) في هـ. د: الغرة ـ م ل.
(٥) البقرة: ١٢٤.
(٦) المائدة: ٢.

(وأنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم واثارهم) الاصر: الذنب، والوزر: الاثم. ثم عدّ من صفاتهم:

١ ـ (ممّن لم يعاون ظالما على ظلمه) والظلم: الميل عن الحق إلى الجور.

(ولا آثما على إثمه) وهو الذنب بالتعاون عليه مع الظالم.

٢ ـ (أولئك أخف عليك مؤونة) لانهم يعملون بواجباتهم في سبيل الله ايمانا واعتقاداً من دون مقايضة كما هو شان وزراء الظلمة.

٣ ـ (وأحسن لك معونة) لاخلاصهم في العون في تحقيق الاهداف الاسلامية.

٤ ـ (وأحنى عليك عطفا) لانهم يعدون الحاكم الاسلامي رموزاً لنصرة الحق.

٥ ـ (وأقل لغيرك إلفا) والالف: الحب؛ فإنّ اعوان الظلمة بحكم تجربتهم مع الاشرار اكتسبوا منهم صفات المراوغة والكذب والدجل والضرب من الخلف، فيستخدمونها اينما كانوا وفي اية ادارة جديدة.

وعن نتيجة هذه الصفات قال:

(فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك) فلا تشرك في هذه الحلقات سوى طبقة مسلمة لها رؤية واضحة في خدمة الله والشعب والوطن.

افضل الوزراء.

وسرد من صفات افضل الوزراء في الدولة للاسلامية بقوله:

أوّلاً: (ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك)؛ فإنّ الادارة التي تخلوا من الانتقاد لا توجد على وجه الارض، والحق مرّ لا يرتضيه اصحاب اية ادارة ماعدا الادارة الاسلامية، فمن كان اقوى في رفع صوت المعارضة بادائها في وجه من يميل عن الصراط المستقيم يجب ان يكون اقرب إلى الوالي لتظهر الحقائق ويستقم المسير تجنبا عن الاخطاء المستقبلية.

ثانياً: (وأقلهم مساعدة فيما يكون منك بما كره الله لأوليائه) حيث لا يوجد من له العصمة من البشر في الادارة، فلابد من تفضيل من لم يتلبس بالمعاصي الكبيرة المخلة بالشرف، وكلما كانت مساعدته في غير ما يكره الله تعالى كان افضل.

(واقعا ذلك من هواك حيث وقع) سواءً كان مر الحق واقعا من نفسك بالرضا أو بعدم الرضا، فتكون الحرية المتاحة لمن له صوت معارض في ابداء رايه، سواء الموافق لراي

الحاكم الاسلامي أو المخالف.

ثالثاً: (والصق بأهل الورع والصدق) بأن تكون الحاشية المحتفة بالحاكم الاسلامي جماعة من اهل الورع الذين يتورعون عن محارم الله، واهل الصدق الذين لا يتكلمون إلّا بالصدق.

رابعاً: (ثم رضهم على أن لا يطروك) والرياضة: التعويد بالاخذ عليهم بهذه المادة اخذاً شديداً، وهي عدم الاطراء، وهو المبالغة في المدح.

خامساً: (ولا يبجحوك بباطل لم تفعله) والبجح: الفخر؛ فإنّ من عادة الناس أن يقابلوا من يتوقعون منه خيراً بالففخ به على امر يوجب الفرح في نفسه صدقا أو كذبا.

ثم أشار إلى مساوئ الاطراء بقوله:

(فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة) والزهو: العجب، والعزة: الكبرياء، وهو رداء الله سبحانه وحده، قال تعالى: ﴿السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتبكر﴾.[1]

(١١/ك ٥٣) المحسن والمسيئ:

وَلا يَكُونَنَّ[2] ٱلْمُحْسِنُ وَٱلْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَواءٍ[3]، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ تَزْهِيداً[4] لِأَهْلِ ٱلْإحْسانِ فِي ٱلْإِحْسانِ، وَتَدْرِيباً[5] لِأَهْلِ ٱلْإساءَةِ عَلَى ٱلْإساءَةِ.

وَأَلْزِمْ كُلّاً مِنْهُم ما أَلْزَمَ نَفْسَهُ[6].

العدالة الاسلامية تستلزم التفريق بين المحسن والمسيئ، قال تعالى:﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره﴾[7] فلا يمكن التسوية بين الطائفتين

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) في هـ. د: ولا يكون ـ ب.

(٣) في هـ. ص: وفي كتاب «الصناعتين : الكتابة والشعر» لأبي هلال الحسن العسكري قال علي عليه السلام: يجب على الوالي أن يتعهد أموره ويتفقّد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان المحسن ولا إساءة المُسيء، ولا يترك واحداً منهما بغير جزاء؛ فإن ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء، وفسد الأمر، وضاع العمل، انتهىٰ نقلاً من خط الثقة.

(٤) في هـ. ب: رغبة، أي رغبة في الإحسان.

(٥) في هـ. ب: تعويداً، من العادة، وفي هـ. ص: أي تجربة وتمريناً، درّب الحدّ أي سنّه.

(٦) أي ان المحسن يلزم نفسه استحقاق الاحسان، والمسيء يلزم نفسه استحقاق العقوبة.

(٧) الزلزلة : ٢.

عن عدل، ومن هذا المنطلق قال عليه السلام:

(ولا يكون المحسن والمسيئ عندك بمنزلة سواء) بل لابدّ من جزاء المحسن بالاحسان عشراً، والمسيئ بالاساء مرة. والتسوية بينهما يستلزم اموراً فاسدة، هي:

١ ـ (فإن في ذلك تزهيدا لأهل الاحسان في الاحسان) مع أن الاحسان يجب الترغيب فيه لا التزهيد، والتسوية تستلزم التزهيد.

٢ ـ (وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة) التدريب: التعويد، حيث لا يجدون عقوبة على الاساءة، فيكون التسوية تشجيعا عمليا لهم على ذلك.

٣ ـ (وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه)؛ فإنّ لكل العمل له اثره الخاص به خيرا وشراً، فلابد من جزاء الاحسان بالاحسان والاساءة بالاساءة، حيث أقدم كلّ واحد منهما على العمل بعلم وارادة وقصد، وبذلك ألزم كلّ واحد منهما نفسه بذلك.

(١٢/ك ٥٣) حسن الظن:

وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعى إلى حُسْنِ ظَنِّ والٍ[١] بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إحْسانِهِ إلَيْهِمْ[٢]، وَتَخْفِيفِه ٱلْمَؤُوناتِ عَنْهُمْ[٣]، وَتَرْك ٱسْتِكْراهِهِ إيّاهُمْ عَلى ما لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ[٤]، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ ٱلظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ ٱلظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً[٥] طَوِيلاً، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاؤُكَ[٦] عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ ساءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ ساءَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ[٧].

وحسن الظن درجة من الثقة ان لم تكن نفسها، ولا يحصل ذلك الا باسباب ثلاثة توجب ذلك، فقال:

١ ـ (واعلم انّه ليس شئ بأدعي إلى حسن ظن راع برعيته) الذي به قوام التلاحم بين القائد والشعب، وذكر الاسباب الثلاثة التالية:

---

(١) في هـ. د: راع ـ ب.
(٢) أي انّ الاحسان من الوالي يوجب محبّة الرعية، فيحسن ظن الوالي بهم.
(٣) في ط: عليهم، وفي هـ. د: عليهم ـ ض ف ح.
(٤) أي: عندهم.
(٥) في هـ. ب: تعباً.
(٦) البلاء ـ هنا ـ: الصنع مطلقاً حسناً كان أو قبيحاً.
(٧) لم ترد «وان أحق... الى عندك» في أ.

أوّلاً: (من إحسانه إليهم)؛ فإنّ الاحسان كلما تكرر زاد حسن الظن بالانسان.

ثانياً: (وتخفيفه المؤونات عليهم)؛ فإنّ الضرائب مثلا كلما خفت كان الشعب اكثر ثقة بادارة الدولة، وعلى العكس كلما زادت الضرائب قلت الثقة بالادارة.

ثالثاً: (وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم) وذلك باعطاء الحرية في حياتهم القانونية فيما ليس للدولة دخل فيه؛ فإنّ حقوق الدولة يجب أن تتحدد بالدفاع والضرائب العادلة والعقوبات وما شابه من العلاقات الخاصة بالحاكم الاسلامي، فلا يجبر الحاكم الشعب على ما عندهم مما ليس من حقوق الحاكم بعناوين توجب استكراه الشعب له.

ثم أكّد على تلازم هذه النقاط الثلاث في تكوين حسن الظن بين الشعب والدولة فقال:

(فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك)؛ فإنّ اخلال الحاكم بهذه النقاط الثلاث يوجب ضعف الثقة بين القيادة والشعب، وعن النتيجة لهذه الحالة قال:

(فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا) ويكون على العكس النتيجة سلبية؛ فإنّ فقدان حسن الظن يوجب تعبا طويلاً للحاكم حتّى تتولد الثقة بين القاعدة والقمة، والثقة لا تتولد بالحديد والنار وان استولى ذلك لفترة على المجتمع المغلوب على امره.

وختم المقطع بدرجات حسن الظن بقوله:

(وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده) والبلاء: الامتحان.

(وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده)؛ فإنّ من ظهر حسن ظنه بالامتحان يكون احق من غيره ممّن لم يظهر ذلك منه، وكذا الحال في الاساءة، فلا يمكن التنسوية بين من عرف حاله بالامتحان ومن لم يعرف بعد، والله هو الموفق، وعليه الاتكال على كلّ حال.

(١٣/ك ٥٣) السنة الصالحة:

وَلا تَنْقُضْ سُنَّةً صالِحَةً عَمِلَ بِها صُدُورُ هذِهِ ٱلْأُمَّةِ، وَٱجْتَمَعَتْ بِهَا ٱلْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا ٱلرَّعِيَّةُ.

وَلا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيءٍ مِنْ ماضِي تِلْكَ ٱلسُّنَنِ، فَيَكُونَ ٱلْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّها، وَٱلْوِزْرُ عَلَيْكَ بِما نَقَضْتَ[١] مِنْها.

---

(١) في هـ. د: نقصت ـ ف.

السنة: الطريقة الصالحة الممهدة للسير عليها، ولكل امة سنتها التي تسير عليها، وفي الاسلام السنة النبوية التي سار عليها اوائل المسلمين هي السنة الاسلامية، فأكّد عليها الإمام بقوله:

(ولا تنقض سنة صالحة) أي قابلة للتطبيق، ثمّ أشار إلى مقومات الصلاح في السنّة الاسلامية بقوله:

أوّلاً: (عمل بها صدور هذه الأمة) من اوائل المسلمين من الصحابة والتابعين؛ فإنّ العمل المستمر المستند الى السنة النبوية ﷺ يكون اجماعاً منهم.

ثانياً: (واجتمعت بها الألفة) فلا تكون السنة صالحة اذا فرقت بين المسلمين، واستبدلت الالفة بالعداوة.

ثالثاً: (وصلحت عليها الرعية) بأن تكون السنّة في مصلحة الشعب عامة، وليس في مصلحة طبقة خاصة.

وهذه النقاط الثلاث الاساسية تقوم السنة، وتفرق بين الصالحة منها وغير الصالحة.

ثم حذّر من احداث السنن التي لا تتلاءم مع السنة الصالحة فقال :

(ولا تحدثن سنة تضر بشيئ من ماضي تلك السنن)؛ فإنّ في هذه السنة الجديدة التي تؤثر على السنن الصالحة ضياع لتاريخ فكري موروث، وإنّما قوام الامم بتراثها الحضاري، وبقدر الاهتمام بهذا التراث يكون التقييم فقال:

(فيكون الأجر لمن سنها) في دور هذه الائمة (والوزر عليك بما نقضت منها) حيث ادت أو تؤدي في المستقبل الى ضياع تاريخ فكري موروث .

(١٤/ ك ٥٣) العلماء والحكماء:

وَأَكْثِرْ مُدارَسَةَ ٱلْعُلَماءِ، وَمُثافَثَةَ[١] ٱلْحُكَماءِ، فِي تَثْبِيتِ ما صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلادِكَ، وَإقامَةِ مَا ٱسْتَقامَ بِهِ ٱلنّاسُ قَبْلَكَ.

وأشار إلى دور الفكر الاسلامي والفكري في ادارة الدولة الاسلاميّة بالعلم، وهو ـ لغةً ـ ادراك الشيئ على حقيقته، والحكمة: الكلام عن تجربة وخبرة، وادارة ايّة دولة تفتقر إلى من يتصف بالعلم والحكمة.

---

(١) في ط: مناقشة، وفي هـ . أ: يقال: نافثت الرجل: إذا جالسته، كأنّك تنفثه بركبتك وينفثك بركبته.

١ ـ (وأكثر مدارسة العلماء)؛ فإنّ الدرس وهو البحث معهم في الامور التي تهم الدولة والشعب في الحاضر والمستقبل يفتقر إلى كثرة بحث وتحقيق مع مختلف الاطراف للوصول الى النتيجة الاصوب.

٢ ـ (ومناقشة الحكماء) الذي لهم تجربة في الحياة، وخبرة في الصناعات؛ فإنّ المناقشه في آرائهم رداً وايجابا لابدّ وان يتمخض عن نتائج تعود بالخير على الشعب .

٣ ـ (في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك)؛ فإنّ الصلاح الحاضر لابدّ وان يستند إلى سبب يستمر من الماضي الى الحال.

(وإقامة ما استقام به الناس قبلك)؛ فإنّ الناس اذا استقاموا على عادة أو عرف من الماضي فلابد وان يكون صالحاً لاستقامتهم في الحال ايضا، فلابد من اقامة هذا السبب حتّى تستمر الاستقامة في المستقبل.

وهذه النقاط الثلاث متلازمة، فلوا استبد العلماء أو الحكماء بالرأي من دون مناقشة أو مدارسة لأدّى الى استبداد الحاكم، وبالنتيجة يؤثر ذلك على الشعب باستخدام ما لا يصلح به امر البلاد، وما لم يستقم عليه امر العباد، نعوذ بالله من ذلك.

(١٥/ك ٥٣) طبقات الشعب:

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّعِيَّةَ طَبَقاتٌ، لايَصْلُحُ بَعْضُها إلّا بِبَعْضٍ، وَلا غِنى بِبَعْضِها عَنْ بَعْضٍ؛ فَمِنْها[١]: جُنُودُ ٱللّٰهِ، وَمِنْها: كُتّابُ[٢] ٱلْعامَّةِ وَٱلْخاصَّةِ، وَمِنْها: قُضاةُ ٱلْعَدْلِ، وَمِنْها: عُمّالُ ٱلْإِنْصافِ وَٱلرِّفْقِ، وَمِنْها: أَهْلُ ٱلْجِزْيَةِ وَٱلْخَراجِ مِنْ أَهْلِ ٱلذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ ٱلنّاسِ، وَمِنْهَا: ٱلتُّجّارُ[٣] وَأَهْلُ ٱلصِّناعاتِ، وَمِنْهَا: ٱلطَّبَقَةُ ٱلسُّفْلى مِنْ ذَوِي ٱلْحاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ[٤] قَدْ سَمَّى ٱللّٰهُ[٥] سَهْمَهُ[٦]، وَوَضَعَ عَلى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنا مَحْفُوظاً.

كل امة من الامم لها طبقات متفاضلة بمعانيها المادية البحتة، والإمام يصف طبقات

(١) في هـ. د: ومنها ـ ف.
(٢) في هـ. ب: جمع كاتب.
(٣) في هـ. ب: في نسخة: من التجار بدون الواو ـ معاً.
(٤) في ص: وكلا.
(٥) في ط زيادة : له.
(٦) أي نصيبه من الحق.

الشعب المسلم في هذا المقطع على أساس ادوار مسؤولياتهم في الحياة، فقال:

(واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلّا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض)؛ فإنّ الشعب كافة لها وحدتها القائمة على المبادي التي تؤمن بها والوسائل التي تستخدمها والاهداف التي تتحرك نحوها، ولا يمكن لطبقة منها أن تحكم بمفردها في المجتمع من دون الاستعانة بسائر الطبقات، فلا يمكن أن يستغني بعضها عن البعض الآخر شاءت أم ابت ـ كما لا يكون المجتمع صالحا إلّا بعد صلاح الاعضاء كاملة، فلو اختل منها طبقة اثرت على جميع الطبقات.

وقد عدد الإمام الطبقات في المجتمع الاسلامي بقوله:

الاولى: (فمنها: جنود الله) وهو جيش الدفاع الاسلامي عن العقيدة والشعب والوطن، وهو كجيش عقائدي انما يحارب لله سبحانه وحده لا شريك له، وليس للمصالح المادية.

الثانية: (ومنها: كتاب العامة والخاصة) وكتاب العامة هم اصحاب المسؤولية للامور الخارجية، من كتابة العهود بين الدولة الاسلاميّة وغيرها من الدول ضمن العلاقات الخارجية، وكتاب الخاصة هم كتاب القرارات الادارية التي تهم الدولة الاسلاميّة في نظم الامور الداخلية، وقد جمع بينهما، لانهما معاً تحت سلطة الحاكم الاسلامي للولاية.

الثالثة: (ومنها: قضاة العدل) وهم الطبقة المسؤولة عن السلطة القضائية من المرافعات والخصومات بين افراد الشعب، وليس لهم التشريع حيث أن الله هو المشرع، بل عليهم اصدار الحكم الشرعي اعتماداً على الكتاب والسنة.

الرابعة: (ومنها عمال الانصاف والرفق) وهم الطبقة المسؤولة عن السلطة التنفيذية من اشاعة الانصاف والرفق في المجتمع الاسلامي، وعليها تنفيذ الحكم الصادر من القضاء الاسلامي، ويعرف اصحاب هذا الطبقة بالمحتسب في التاريخ، وفي عصرنا الحاضر بالشرطة.

الخامسة: (ومنها: أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس)؛ فإنّ هذه الطبقة هي المسؤولة عن الضرائب للدولة، اما خراجاً للمواطنين المسلمين، واما جزيةً للمواطنين غير المسلمين، على تفصيل مشروح في الفقه.

السادسة: (ومنها: التجار وأهل الصناعات) والتجار واصحاب الصناعات يكونون طبقة واحدة في عمران الدولة الاسلامية اقتصاديا، ولولا قيام هؤلاء بمسؤولياتهم

الاقتصادية لواجه المجتمع الاسلامي عجزاً في المواد التي يفتقر اليها في الحياة وجهوداً حضاريا في حياتها العمرانية.

السابعة: (ومنها: الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة) التي لا تتمكن من تأمين حاجاتها المادية، وليست لها مؤهلات غيرها من الطبقات التي تفتقر عادة إلى الخبرة والتجربة.

وهذه الطبقات السبع اقل ما يتصور في تركيبة أيّ مجتمع، فلا يخلو منها أيّ مجتمع انسانيّ في التاريخ، والا لساد الفوضى واختل فيها النظام.

ثم اشار عليه السلام إلى أن لكل واحدة من هذه الطبقات مسؤوليات محدودة في الاسلام، فقال:

(وكلا قد سمى الله سهمه، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا) فقد تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مسؤوليات كلّ طبقة منها بما هو مشروح في الفقه، وارجع المواد في المعجم.

(١٦/ ك ٥٣) **نظام الدولة:**

فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ ٱللّٰهِ حُصُونُ ٱلرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ ٱلْوُلاةِ، وَعِزُّ ٱلدِّينِ، وَسُبُلُ ٱلْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلّا بِهِمْ.

ثُمَّ لا قِوامَ لِلْجُنُودِ إِلّا بِما يُخْرِجُ ٱللّٰهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَراجِ ٱلَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي[(١)] جِهادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيما يُصْلِحُهُمْ[(٢)]، وَيَكُونُ مِنْ وَراءِ حاجَتِهِم[(٣)].

ثُمَّ لاقِوامَ لِهذَيْنِ ٱلصِّنفَيْنِ إِلّا بِالصِّنفِ ٱلثّالِثِ، مِنَ ٱلْقُضاةِ وَٱلْعُمّالِ وَٱلْكُتّابِ، لِما يُحْكِمُونَ مِنَ ٱلْمَعاقِدِ[(٤)]، وَيَجْمَعُونَ مِنَ ٱلْمَنافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَواصِّ ٱلْأُمُورِ وَعَوامِّها.

وَلا قِوامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلّا بِالتُّجّارِ وَذَوِي ٱلصِّناعاتِ، فِيما يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرافِقِهِمْ[(٥)]،

---

(١) في هـ. د: علي ـ ض ح.
(٢) في أ ب ص: أصلحهم.
(٣) أي يكون محيطاً بحاجاتهم.
(٤) أي العقود وغيرها.
(٥) في هـ. ب: منافعهم.

وَيُقِيمُونَهُ[١] مِنْ أَسْواقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ[٢] مِنَ ٱلتَّرَفُّقِ[٣] بِأَيْدِيهِم مِمّا لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ ٱلطَّبَقَةُ ٱلسُّفْلى مِنْ أَهْلِ ٱلْحاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ، ٱلَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ[٤] وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي ٱللّٰهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى ٱلْوالِي حَقٌّ بِقَدَرِ ما يُصْلِحُهُ،

يتضمّن هذا المقطع أنّ نظام الدولة الاسلامية انما يقوم بالتعاون بين هذه الطبقات اذا قامت كل طبقة بمسؤولياتها الملقاة على عاتقها على أساس من الكتاب والسنة، مشيراً إلى تلك المسؤوليات لكل طبقة منها، فقال:

عن الجنود.

(فالجنود بإذن الله) حيث انهم جنود الله ويقومون بواجبهم في الدفاع عن العقيدة والشعب والوطن يتصفون بالصفات التالية:

١ ـ (حصون الرعية) يردعون العدو الذي يهاجم الشعب من الاعتداء.

٢ ـ (وزين الولاة) حيث أن والي الدولة الاسلامية يعتمد على الجيش الذي يدافع عن المبادي والوسائل والاهداف التي يعمل الوالي في سبيل تحقيقها.

٣ ـ (وعز الدين)؛ لأنّ بهم تقوم الحرب العقائدية العادلة لاعزاز الدين.

٤ ـ (وسبل الأمن)؛ فإنّ الشعب لا يعيش بسلام وامن الا بسبب خوف العدو من الجيش.

٥ ـ (وليس تقوم الرعية إلّا بهم) فلو كان الشعب بدون جيش يدافع عنه كان هدفا للعدو والغارات.

وعن الخراج.

١ ـ (ثم لا قوام للجنود إلّا بما يخرج الله لهم من الخراج) فان الضرائب التي تستوفيها الدولة من اصحاب الخراج انما تؤمن حاجات الجيش الاسلامي لاداء مسؤولياتهم.

٢ ـ (الذي يقوون به في جهاد عدوهم) وبدون العصب الاقتصادي لا يتمكن الجيش من اداء دوره المسؤول.

---

(١) في ص: ويقيمون.
(٢) في هـ. ب: في نسخة: ويكفونه.
(٣) في هـ. ب: التعمّل.
(٤) رفدهم: أي مساعدتهم وصلتهم.

٣ ـ(ويعتمدون عليه فيما يصلحهم) حيث انّه لا مصدر مالي غير الخراج في سد حاجات الجيش المادية.

٤ ـ (ويكون من وراء حاجتهم) الشخصية التي تسبب لهم النصر على عدوهم.

وعن القضاة والعمال والكتاب:

١ ـ (ثم لا قوام لهذين الصنفين) وهما: الجنود واصحاب الخراج .

٢ ـ (إلا بالصنف الثالث) وادخل في هذا الصنف الطبقات الثانية والثالثة والرابعة لتشابه مسؤولياتهم في أن لها جميعاً سلطة محلية في داخل الدولة الاسلاميّة، وليس كالجنود المرابطين على حدود الدولة، ولها مسؤوليات تختلف تماماً عن المسؤوليات الداخلية، ثمّ ذكرهم بالعناوين التالية:

٣ ـ(من القضاة) فلهم مسؤولية القضاء داخل الدولة.

(والعمال) فلهم مسؤولية الحسبة والشرطة لحفظ الأمن في داخل الدولة.

(والكتاب) فلهم مسؤولية المراسلات في ادارة الحكم داخل الدولة.

وعن مسؤوليتها المشتركة قال:

٤ ـ (لما يحكمون من المعاقد) ككتاب العهود والعقود الصادرة من ادارة الحكم الاسلامي .

٥ ـ (ويجمعون من المنافع) والجمع: الضبط؛ فإنّ لكل منهم آثار في المجتمع يضبطون تلك المنافع العائدة على المجتمع.

٦ ـ (ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها) بما في ذلك من امور خاصة تحملها الجهة مسؤولية خاصة لشخص خاص، كالاحوال الشخصيّة أو مسؤولية عامة يعود نفعها على المجتمع كلّ تحملها الجهة كالامور الحسبية، فانهم جميعا من القضاة والعمال بالحسبة والكتاب كلهم مؤتمنون على هذه المسؤوليات، ومسؤولون عنها امام الله والحكم القائم.

وعن التجار واصحاب الصناعات:

١ ـ (ولا قوام لهم جميعا) أي الصنف الثالث الذي في الطبقة الثانية من القضاة والعمال أو الكتاب.

٢ ـ (إلا بالتجار) الذين يقومون بالتجارة الحرة من البيع والشراء وسائر المعاملات.

٣ ـ(وذوي الصناعات) الذين يقومون بالاعمال الحرة من الصياغة والتجارة وما شابه.

٤ ـ (فيما يجتمعون عليه من مرافقهم) وهي المنافع التي تجمعهم مع البعض لتحقيقها.

٥ ـ (ويقيمونه من أسواقهم) التي يحكم فيها قانون العرض والطلب.

٦ ـ (ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم)؛ فإنّ هؤلاء التجار والصناع يكفون غيرهم من القيام بما لا يمكنهم القيام به من الكسب أو الصناعة، ولو لا قيام هؤلاء بالتجارة والصناعة لما حصل من يريده على شئ منها بسهولة، فلا تستغني عنهم الطبقات الاخرى من المجتمع.

وعن اهل الحاجة والمسكنة:

١ ـ (ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة)؛ فإنّ لهم حق انساني قدره الله تعالى بقوله تعالى: ﴿وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.(١)

٢ ـ (الذين يحق رفدهم ومعونتهم) والرفد: الصلة؛ لأنّه واجب انساني أوّلاً، واسلامي ثانيا.

٣ ـ(وفي الله لكل سعة) حيث جعل الله سبحانه لكل واحد من افراد الطبقات السعة في المال بحيث يمكنه مساعدة اهل الحاجة والمسكنة من افراد المجتمع، كلّ حسب وسعه قليلا أو كثيراً.

وعن الوالي، قال:

١ ـ (ولكل) من الطبقات السبع من الجيش والكتاب والقضاة وعمال الحسبة والتجار واهل الصناعات واهل الحاجة والمسكنة.

ـ (حق بقدر ما يصلحه)؛ فإنّ مسؤولية الوالي رعاية النظام القائم على العدل بين هذه الطبقات التي بها قوام المجتمع الاسلامي.

وَلَيْسَ يَخْرُجُ ٱلْوالِي مِنْ حَقِيقَةِ ما أَلْزَمَهُ ٱللّٰهُ مِنْ ذٰلِكَ إلّا بِالْإهْتِمامِ وَٱلْإسْتِعانَةِ بِاللّٰهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلى لُزُومِ ٱلْحَقِّ، وَٱلصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيما خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ](٢).

و أشار إلى المسؤولية السياسية للوالي باعتباره الحاكم الاسلامي، والتي تتلخّص في

(١) الذاريات: ١٩.
(٢) مابين المعقوفتين لم يرد في أ ب ص، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من م ف ن ل ش.

اربع نقاط متلازمة، فقال:

(وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك) إلّا بامور اربعة متلازمة، على:

أوّلاً: (الاهتمام)؛ فإنّ بالمسؤولية يستلزم الاهتمام بهذا النظام.

ثانياً: (والاستعانة بالله) حيث لا يمكن القيام بأيّة مسؤولية من دون عونه تعالى.

ثالثاً: (وتوطين نفسه على لزوم الحق) ولا يكفي مجرد الاستعانة من دون الالتزام العملي والارادة على الالتزام بهذه المسؤوليات.

رابعاً: (والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل)؛ فإنّ هذه المسؤوليات تختلف سهولة وصعوبة، وعلى الوالي باعتباره الحاكم الاسلامي أن يستمر في مسؤولياته صغيرة وكبيرة، ثمّ خص بالتاكيد مسؤوليات خاصه مع صفات خاصة، هي:

من واجبات الوالي:

(١٨/ك٥٣) مع الجند:

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإمامِكَ، وَأَطْهَرَهُمْ جَيْباً[١]، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ ٱلْغَضَبِ[٢]، وَيَسْتَرِيحُ[٣] إلَى ٱلْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفاءِ، وَيَنْبُو[٤] عَلَى ٱلْأَقْوِياءِ[٥]، وَمِمَّنْ لا يُثِيرُهُ[٦] ٱلْعُنْفُ، وَلايَقْعُدُ بِهِ ٱلضَّعْفُ.

فعن مسؤوليات الوالي تجاه الجند والعسكر قال:

١ ـ (فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك)؛ فإنّ الجيش يحتاج الى قائد يقتدي به في تحركاته، ويؤمن بقيادته الرشيدة.

---

(١) في ب: ولإمامك جيباً، وفي أ: ولامامك وأطهرهم جيباً، وفي ص: وأطهرهم جيباً، وفي ط و د: وأنقاهم جيباً، وفي هـ. د: وأطهرهم جيباً ـ ف ح، ولامامك جيباً ـ ل ش. وفي هـ. ب: يعني عفيفاً صالحاً، وفي هـ. ص: أطهرهم جيباً، أي هو عفيف أمين، ويكنى عن العفة والأمانة بطهارة الجيب؛ لأنّ الذي يسرق بجعل المسروق في جيبه، انتهى من الشرح. وأقول: الذي يظهر أنّهم يكنّون بطهارة الجيب عن طهارة القلب من السرائر الفاسدة؛ وذلك لأنّ الجيب ـ وهو شق القميص الذي يخرج منه الرأس ـ يكون فوق الصدر المشتمل على القلب، والله أعلم.

(٢) في هـ. ص: أي لا يسرع إليه إجابة الداعي سببه.

(٣) في هـ. ب: في نسخة: ويسرع.

(٤) في هـ. ب: يأبى.

(٥) في هـ. ص: أي يتجافى عنهم ويبعد، أي لا يمكنهم من الظلم والتعدي على الضعفاء، وفي بعض النسخ: على الأقوياء، ومعناه يرتفع عليهم.

(٦) في هـ. ب: أي لا يزعجه.

وعلى راس الصفات المطلوبة في من يتولى قيادة الجيش، أن يكون ذا رؤية واضحة في المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، بأن يكون انصح الجند لله وللرسول وللإمام بحكم الجيش العقائدي الذي يقوده.

٢ ـ (وأنقاهم جيبا) الجيب: طوق القميص، ونقاؤه علامة لنقاء القميص، وهو كناية عن طهر الرؤية الواضحة للثوابت الاسلامية.

٣ ـ (وأفضلهم حلما)؛ فإنّ من لم يتمكن من ضبط غضبه لا يتمكن من قيادة الجيش.

٤ ـ (ممّن يبطئ عن الغضب) ففي حالة تدعوا إلى الغضب لا يسرع إليه، بل يرجئه حتّى تظهر الحقائق.

٥ ـ (ويستريح إلى العذر) فيقبل العذر الصادر عن حقيقة ولا يضمر الحقد.

٦ ـ (ويرأف بالضعفاء)؛ فإنّ افراد الجيش كلهم بمنزلة ابناءه، وهم يفتقرون إلى الرأفة والعطف على الضعفاء منهم.

٧ ـ (وينبو على الأقوياء) والنبوة: الابتعاد، فلا يجعل الاقوياء يفصلون بينه وبين الضعفاء، كما هو الشان في كل الجيوش المادية.

٨ ـ (وممّن لا يثيره العنف) فلا يفقد رؤيته للامور بسبب الاثارة المتعمدة كالعنف.

٩ ـ (ولا يقعد به الضعف)؛ فإنّ القعود له ليس عن ضعف، بل عن حكمة تدعوه إلى ذلك التقاعد.

وهذه النقاط تميز قيادة الجيش الاسلامي الذي يتلاحم مع افراد الجند شخصيا، ولا يسمح للفصل بين قائد الجيش وافراد الجند اية فواصل طبقية أو مراتب عسكرية؛ لأنّ الجيش العقائدي لا يقوم على التفاصيل إلّا بقدر العمل لتحقق الهدف.

(١٩ / ك ٥٣) مع المقربين:

ثُمَّ ٱلْصَقْ[١] بِذَوِي ٱلْأَحْسابِ[٢]، وَأَهْلِ ٱلبُيُوتاتِ ٱلصّالِحَةِ[٣]، وَٱلسَّوابِقِ ٱلْحَسَنَةِ،

---

(١) في هـ. ص: أي ألزمهم، واجعل معوّلك في ذلك عليهم.

(٢) في هـ. د: بذوي المروءات والأحساب ـ ح، وفي هـ. ص: قوله: «بذوي الأحساب... الخ» أرادعليه السلام ان الجامع لهذه الصفات منهم أولى من الجامع لها من غيرهم، لأنّها تكون فيهم أمكن وأرسخ؛ لأنّه أمر بتولية من هو أهل البيوتات وهو غير صالح للولاية، والله أعلم.

(٣) في هـ. ب: يعني المعروفة.

ثُمَّ أَهْلِ ٱلنَّجْدَةِ(١) وَٱلشَّجاعَةِ، وَٱلسَّخاءِ(٢) وَٱلسَّماحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ(٣) جِماعٌ(٤) مِنَ ٱلْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ ٱلْعُرْفِ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ(٥) مِنْ أُمُورِهِم ما يَتَفَقَّدُهُ(٦) ٱلْوالِدانِ مِنْ وَلَدِهِما، وَلا يَتَفاقَمَنَّ(٧) فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ داعِيَةٌ لَهُمْ إِلى بَذْلِ ٱلنَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ بِكَ.

وَلا تَدَعْ تَفَقُّدَ(٨) لَطِيفِ أُمُورِهِم ٱتِّكالاً عَلى جَسِيمِها، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وعن مسؤوليات الوالي أن ينتخب الحاشية المقربة إليه من طبقات المجتمع اصحاب الطبقات التالية التي شرحها بقوله:

١ ـ (ثم ألصق بذوي الأحساب) المروة: النخوة، والحسب: الشرف الثابت في الآباء؛ فإنّ الاخلاق عادة متوارثة كالجينات في الاجيال المتعاقبة.

٢ ـ (أهل البيوتات الصالحة)؛ فإنّ التربة الصالحة في البيوتات لها اثرها في شخصية الانسان.

٣ ـ(والسوابق الحسنة)؛ فإنّ التاريخ الماضي في حياة الإنسان له اثره في اخذ القرارات العادلة في المواقف.

٤ ـ (ثم أهل النجدة) وهي العون لمن يطلبه.

٥ ـ (والشجاعة) وهي الاقدام والجرأة.

٦ ـ (والسخاء) وهو الجود والكرام.

٧ ـ (والسماحة) وهي السهولة في التعامل.

---

(١) هـ. ب: الشجاعة.
(٢) في هـ. د: والسخاوة ـ م.
(٣) في هـ. ص: في نسخة: فانّها.
(٤) في هـ. ص: جماع، أي هذه الخلال جماع من الكرم، أي جملة مجتمعة من الكرم وشعب من المعروف، انتهى من الشرح.
(٥) في هـ. ب: تفحص.
(٦) في ط: يتفقد.
(٧) في هـ. ب: يتعاظمنّ.
(٨) في هـ. ص: في نسخة: تفقدك.

وعلل انتخاب هؤلاء للادارة عند الحاكم الاسلامي بقوله:

(فإنهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف) والجماع: محل اجتماع الشئ، والعرف: المعروف؛ فإنّ كلّ جماعة من اصحاب هذه الاوصاف شعبة من شعب المعروف الذي به قوام ايّة ملة.

و حدد اسلوب التعامل مع المقربين بقوله:

أوّلاً: (ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما)؛ فإنّ التفقد لهم لابدّ وان يكون عطفاً ابويا وليس شيئا مفروضا بالقوة.

ثانياً: (ولا يتفاقمن في نفسك شئ قويتهم به) والتفاقم: العظمة، فلا يرى الوالي ما يقوم به سوى واجباً اسلاميا عليه من دون أن ينظر إلى ذلك بأنّه امر عظيم.

ثالثاً: (ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وإن قل)؛ فإنّ اللطف مع الناس ولو كان قليلا لابدّ وان يستمر من دون انقطاع.

(فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك) بسبب استمرار اللطف معهم في التعامل وعدم القطيعة للصلة القائمة.

(وحسن الظن بك) فانهم بسبب موقع الولاية والحكومة قد يتوهمون أن القطيعة متعمدة.

رابعاً: (ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها)؛ فإنّ الوالي بحكم كثرة مسؤولياته قد يتصور أن الاهتمام بالامور الكبيرة التي هي في صالح المقربين تكفي عن الاهتمام بالامور الصغيرة كالسلام مثلاً.

(فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به) وان كان يسيراً .

(وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه) لحاجتهم إليه؛ فإنّ لكل من اليسير والجسيم اثره المطلوب، فلابد من استمرار الصلة كما هي العادة .

(ك ٢٠/٥٣) مع الرؤساء:

وَلْيَكُنْ آثَرُ[1] رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ واساهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ[2]، بِما يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَراءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِم، حَتّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً

(١) أي أفضل.
(٢) في هـ. ب: غناه.

فِي جِهادِ ٱلْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

وعن مسؤوليات الوالي مع رؤساء الجند قال:

(وليكن آثر رؤوس جندك عندك)؛ فإنّ افضل الرؤساء من يتصف بالصفات التالية:

(من وأساهم في معونته) بأن يقوم بمساعدة الجندي واعانته شخصيا.

(وأفضل عليهم من جدته) والجدة: الغنى؛ فإنّ نفقة الرئيس من ماله الخاص الذي لا يفتقر إليه.

(بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم) والخلوف: من يخلفه الجند في اهله والوطن.

وعن اثر هذه المسؤولية قال:

(حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو) وهذا الهدف المقدس لا يمكن أن يتحقق مع تشتت بال الجندى في ساحة المعركة.

(فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك)؛ فإنّ لكلّ فعل رد فعل، واثر البر بالعطف من الوالي القائد لا يكون إلّا مولداً لرد فعل مماثل منهم.

(٢١/ك٥٣) مع الشعب:

وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ ٱلْوُلاةِ ٱسْتِقامَةُ ٱلْعَدْلِ فِي ٱلْبِلادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ ٱلرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلّا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ»[١] وَلا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلّا بِحِيطَتِهِمْ عَلى وُلاةِ أُمُورِهِمْ[٢]، وَقِلَّةِ ٱسْتِثْقالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْك ٱسْتِبْطاءِ ٱنْقِطاعِ مُدَّتِهِمْ.

فَافْسَحْ فِي آمالِهِمْ، وَواصِلْ من حُسْنِ[٣] ٱلثَّناءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ ما أَبْلى ذَوُو ٱلْبَلاءِ[٤] مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلذِّكْرِ لِحُسْنِ فِعالِهِمْ[٥] تَهُزُّ[٦] ٱلشُّجاعَ، وَتُحَرِّضُ[٧] ٱلنّاكِلَ إِنْ شاءَٱللّٰهُ.

ثُمَّ ٱعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ ما أَبْلى[٨]، وَلا تُضفَنَّ[٩] بَلاءَ ٱمْرِئٍ إِلى غَيْرِهِ،

---

(١) مابين القوسين لم يرد في أ ب ص و ط، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من م ف ن ح ل ش.
(٢) في هـ. د: الأمور ـ ب.
(٣) وفي هـ. أ: في نسخة: وواصل ذكرهم بحسن.
(٤) في هـ. ب: أي النعمة.
(٥) في ط: أفعالهم.
(٦) في ب و ص: يهز.
(٧) في ب و ص: يحرّض.
(٨) في هـ. ب: ما فعلوه.

وَلاتُقَصِّرَنَّ[١٠] بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلائِهِ.

وَلا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ ٱمْرِئٍ إلى أَنْ تُعَظِّمَ مِنْ بَلائِهِ ما كانَ صَغِيراً، وَلا ضَعَةُ[١١] ٱمْرِئٍ إلى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلائِهِ ما كانَ عَظِيماً.

وَٱرْدُدْ إِلَى ٱللّهِ وَرَسُولِهِ ما يُضْلِعُكَ[١٢] مِنَ ٱلْخُطُوبِ[١٣]، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ، فَقَدْ قالَ ٱللّهُ تَعالى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشادَهُمْ: ﴿يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[١٤] فَالرَّادُّ[١٥] إِلَى ٱللّهِ: ٱلآخِذُ[١٦] بِمُحْكَمِ كِتابِهِ[١٧]، وَٱلرَّادُّ[١٨] إِلَى ٱلرَّسُولِ: ٱلآخِذُ[١٩] بِسُنَّتِهِ[٢٠] ٱلْجامِعَةِ غَيْرِ ٱلْمُفَرِّقَةِ[٢١].

وأشار إلى أن العلاقة الودية من الوالي للشعب امر ضروري في المجتمع في أيّة حكومة؛ فإنّ هدف أي حاكم هو امران: الاستقرار والامن في البلاد، وحب الشعب، وأشار إلى متطلبات ذلك بقوله:

(وإن أفضل قرة عين الولاة) امران اساسيان في أيّ حكم، هما:

أوّلاً: (استقامة العدل في البلاد) وهو استتباب الامن في المجتمع الذي يحكمه.

ثانياً: (وظهور مودة الرعية) بحب الشعب للحكم القائم، ثمّ أشار إلى الاسباب الداعية

(٩) في أ و ط: ولا تضيفنّ، وفي هـ. أ: في نسخة: تضمّن.
(١٠) في هـ. ب: لنقص.
(١١) في هـ. ب: رذالة.
(١٢) في هـ. د: يظلعك ـ ف م، وروي بالظاء ـ ك. وفي هـ. ص: أي ما يؤذيك ويضعفك حتى تصير كالمضالع ان يهبط به.
(١٣) في هـ. ب: الأمور العظام.
(١٤) النساء: ٤ / ٥٩.
(١٥) في ط: فالرد، وفي هـ. ص: في نسخة: فالرد.
(١٦) في ط: الاخذ، وفي هـ. ص: في نسخة: الأخذ.
(١٧) أي نصّه الصريح.
(١٨) في ط، فالرد، وفي هـ. ص: في نسخة: فالرد، وفي هـ. د: فالراد ـ ش.
(١٩) في ط: الاخذ، وفي هـ. ص: في نسخة: الأخذ.
(٢٠) في هـ. ب: في نسخة: بسنن الرسول.
(٢١) سنن الرسول كلّها جامعة، ولكن تروى عنه بعض الأحاديث يتأوّلها بعض الناقلين بآرائهم ممّا يؤدي الى التفرقة، فالمراد: لا تأخذ بسنن الرسول التي افترقت فيها الآراء.

إلى ذلك فقال:

(وإنه لا تظهر مودتهم إلّا بسلامة صدورهم)؛ فإنّ الحب والمودة للحكم القائم لا يمكن بالقوة، ولا يتحقق إلّا عن طواعية نفس.

التلاحم الشعبي:

ثم أشار إلى أن التلاحم بين الدولة والشعب انما يتحقق بالنصيحة القلبية المعبّرة عن سلامة الصدر في الشعب، ولهذا التلاحم ثلاث علامات بارزة:

الاولى :حفظ النظام، فقال:

ـ (ولا تصح نصيحتهم إلّا بحيطتهم على ولاة أمورهم) الحيطة: الحفظ؛ فإنّ النصح للحكم القائم يستلزم حفظها من السقوط من جانب الاعداء.

الثانية: (وقلة استثقال دولهم) بأن لا يرى الشعب الدولة ثقيلة عليه بسبب المظالم من قوانيتها أو من عمالها الممثلين لها.

الثالثة: (وترك استبطاء انقطاع مدتهم)؛ فإنّ الشعب اذا شعر بالظلم تمنى انقطاع مدة الحكم القائم وظهور حكم جديد عادل، فيستبطئ هذا الانقطاع ويراه بطيئا ويرجوا السرعة في ذلك، ومع النصح يترك هذا الاستبطاء.

و على العكس يكون مواقف الشعب الساخط على الحكم القائم، فإنّه يحاول الاخلال بالنظام ويكثر من المؤاخذات على الحكم ويعلن المعارضة التي قد تستمر حتّى تنجح المعارضة المسلحة.

موجبات التلاحم.

وعن موجبات تلاحم الشعب مع الحكم القائم قال:

أوّلاً: الحرية للشعب، (فافسح في آمالهم)؛ فإنّ اعطاء الحرية للشعب في تحقيق امالهم المشروعة يوجب تلاحم الشعب مع الحكم القائم.

ثانياً: التقدير للشعب، (وواصل في حسن الثناء عليهم)؛ فإنّ للشعب مواقف يجب أن يقدرها الحاكم، ولا يعتبر طاعة الشعب مفروضة لشخص الحاكم باعتبار شخصه، بل يقدر ما يقوم به الشعب بالثناء الجميل.

ثالثا: تقدير الجيش وذوي البلاء، والبلاء هو الامتحان، ففي كلّ مجتمع جماعة مرت بامتحانات صعبة في الحرب وغيرها.

والتزكيز على هذه المواقف من الشعب يوجب التلاحم مع الحكم، فقال: (وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم) من الجيش الذي قام بالخدمة العسكرية أو غيرها من انواع الخدمات التي تعود لصالح الحكم الاسلامي، وذكر في تعليل ذلك:

(فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله) والنكول: القعود عن اداء الواجب.

رابعا: اعطاء الحقوق العسكرية؛ فإنّ من عادة اصحاب التزوير التلاعب بالوثائق وسلب صاحب الحق الحقيقي حقوقه، فيستولي من لا حق له على الرتب والجوائز، وخاصة في الجيش الذي لا يلتزم بالاخلاقيات الاسلاميّة، فأكّد الإمام على ثلاث نقاط في هذه الناحية:

١ ـ (ثم أعرف لكل امرئ منهم ما أبلى)؛ فإنّ انواع الاحتيالات في حقوق الجيش كثيرة، فلابد من معرفة المتضررين وانواع الاضرار بتفصيل دقيق.

٢ ـ (ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره) فلا يحصل التزوير في تقرير المحاربين مثلا.

٣ ـ(ولا تقصرن به دون غاية بلائه) فلابد من اداء حقوقه من دون تقصير بالمستوى المطلوب في ما أبلى به.

٤ ـ(ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما)؛ فإنّ هذه من انواع التزوير الذي يحصل من كبار الجيش، وبذلك يوجب السخط من جانب من يشعر باهتضام حقوقه العسكرية، وكذا غير الجيش من افراد الشعب.

خامساً: الاعتصام بالسنّة النبوية في المشتبهات فقال:

١ ـ (واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب) والضلع: الثقل .

(ويشتبه عليك من الأمور) في القرار الصائب في الحكم.

فقد قال الله تعالى لقوم احب ارشادهم: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.[١]

(فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه) والحكم: النص الصريح الذي لاخلاف فيه.

---

(١) النساء : ٥٩ .

(والرد إلى الرسول الأخذ بسنة الجامعة غير المفرقة) فان من خصائص السنة النبوية الجمع بين الأمّة وعدم التفريق، وسننه الشريفة هي التي تضبطها السيرة النبوية في حياته الكريمة قبل البعثة حتّى الهجرة والوفاة في المدينة المنورة، فقد اكمل الله سبحانه به دينه واحكم رسالته.

و هذه النقاط الخمس توجب تلاحم الشعب مع الحكم؛ فإنّ الاسلام لم ينجح على الشرك إلّا بهذا التلاحم التام الواضح نن السيرة النبوية بين الرسول القائد والمسلمين.

(٢٢/ك ٥٣) مؤهلات القاضي:

ثُمَّ[١] ٱخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ ٱلنّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، ممَّنْ لا تَضِيقُ بِهِ ٱلْأُمُورُ[٢]، وَلا تَمْحَكُهُ[٣] ٱلْخُصُومُ، وَلا يَتَمادى[٤] فِي ٱلزَّلَّةِ، وَلايَحْصَرُ[٥] مِنَ ٱلْفَيْءِ إِلَى ٱلْحَقِّ إِذا عَرَفَهُ، وَلا تُشْرِفُ[٦] نَفْسُهُ عَلى طَمَعٍ[٧]، وَلا يَكْتَفِي[٨] بِأَدْنى فَهْمٍ دُونَ أَقْصاهُ[٩]،

أَوْقَفَهُمْ[١٠] فِي ٱلشُّبُهاتِ، وَآخَذَهُمْ[١١] بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً[١٢] بِمُراجَعَةِ ٱلْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلى تَكَشُّفِ[١٣] ٱلْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ[١٤] عِنْدَ إِيضاحِ[١٥] ٱلْحُكْمِ، مِمَّنْ لايَزْدَهِيهِ[١٦] إِطْراءٌ[١٧]، وَلا يَسْتَمِيلُهُ[١٨] إِغْراءٌ[١٩]، وَأُولئِكَ قَلِيلٌ.

---

(١) من هنا الكلام في القضاة.
(٢) في هـ. ب: أي لا يعجز عن إمضائها.
(٣) هـ. ب: من الانمحاك، وهو المحق، هـ. ص: أي لا تجعله ماحكاً أي لجوجاً، محك الرجل: أي لجّ، انتهى من الشرح.
(٤) في هـ. ب: أي لا يستمر عليها، بل يرجع، انتهى من الشرح.
(٥) في هـ. ب: أي لا يعجز عن النطق، وفي هـ. ص: أي لا يضيق عليه أمره من الرجوع الى الحق عن الخطأ.
(٦) في هـ. ب: تطّلع نفسه.
(٧) في هـ. ب: طلب الغاية في الذلّة.
(٨) في هـ. ب: من الكفاية.
(٩) أي لا يحكم بأول ما يبدو له، بل يأتي على أقصى الفهم.
(١٠) في ط: وأوقفهم، وفي هـ. ب: مبالغة الواقف، أي الثابت.
(١١) في هـ. ب: مبالغة آخذ.
(١٢) في هـ. ب: أي تضجراً.
(١٣) في هـ. ب: في نسخة: تكشف.
(١٤) في هـ. ب: أكثرهم صرماً، وهو القاطع، وفي هـ. ص: أي أقطعهم وأمضاهم، من الشرح.
(١٥) في أ: إيضاح، وفي ب: ظهور وفي د: ايضاح، وفي هـ. د: اتضاح ح ض ب.
(١٦) في هـ. ص: أي يستخفه أو يجعله مزهواً.

اشار الإمام إلى مؤهلات القاضي باعتباره شخصية قانونية مستقلة عن السلطة التشريعية المتمثلة بالنبي في القانون الاسلامي الذي هو القرآن الكريم، ومستقلة أيضا عن السلطة التنفيذية التي هي الجند للدفاع عن الوطن والعمال من المحتسبين في داخل الوطن الاسلامي.

فيكون لصاحب القضاء الاسلامي بيان احكام الاسلام في الحوادث الواقعة المستجدة في المجتمع من دون اية سلطة تشريعية له ولا سلطة تنفيذية.

وعن الموهلات لمن يتولى القضاء الاسلامي سرد صفاتا بقوله:

١ ـ (ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك) والافضلية باعتبار الوعي للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية ممّن يراه الوالي الحاكم، فيكون تعيينه اولى من صناديق الاقتراح.

٢ ـ (ممّن لا تضيق به الأمور) فيتصرف عن كفاءة علمية باستنباط الاحكام الشرعية عن ادلتها التفصيلية من دون حاجة إلى غيره في هذا الاستنباط؛ فإنّ الحاجة إلى غيره دليل على ضيق الامور لمعرفة الحكم الشرعي به.

٣ ـ(ولا تمحكه الخصوم) المحك: النجاح في الخصومة، فلابد أن يكون الحاكم غير متأثر بالضغط والامتناع من جهة الخصوم، فيؤدي واجبه القضائي مجرداً عن التاثيرات الخارجية على الموازين القضائية الشرعية.

٤ ـ (ولا يتمادي في الزلة) وهي الخطأ؛ فإنّ عرفها اعترف بها، وصحح خطأه، وعدم الاعتراف بالخطأ عدم تصحيح للموقف من التمادي اي الاستمرار في الخطأ، وهو ينافي الكفاءة للقضاء.

٥ ـ (ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا عرفه) الحصر: هو العي، والفيء: الرجوع، بأن يؤدّي واجبه مع طلاقة في البيان عنهما في ضميره باللسان، فلا يمتنع من الرجوع إلى الحق اذ ظهرت منه زلة غير متعمدة فيعلنها معترفا بالخطأ.

٦ ـ(ولا تشرف نفسه على طمع) والاشراف: الاطلاع على الشيئ، فلا يكون الهدف في

(١٧) في هـ. ب: أي لا يطيش بمدح، وفي هـ. ص: الاطراء: المدح والثناء.
(١٨) في هـ. ب: طلب الأموال.
(١٩) في هـ. ب: تحريض.

القاضي النظر إلى ما فيه موارد الطمع، كالرشوة، بل يكون هدفه الحكم القائم على الكتاب والسنّة فقط.

٧ ـ (ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه) فلا يستعمل بالحكم إلّا بعد تتبع كل ما يتعلق بالوضوع من الملابسات، فيعرف مبدأ القضية في كلّ مراحلها وحتى نهايتها.

٨ ـ (وأوقفهم في الشبهات) التي لم تقم فيها الادلة الكافية للحكم كعدم حضور الشهود والوثائق المطلوبة للحكم، فلابد للحاكم أن يتوقف عن الحكم حتّى يقتنع بالادلة الكافية.

٩ ـ (وآخذهم بالحجج) الشرعية التي فصلها الفقه الاسلامي واصوله من القواعد الفقهية ثم القواعد العامة كاليد واصالة الصحة، وثمّ الاصول العمليه من الاستصحاب والبراءة.

فان لم يوجد شيئ منها فبالاشباه والنظائر في المرافعات التي سبقت من المحاكم الشرعية، واذا لم يوجد شيئ منها فبقاعدة الحسن والقبح العقليين، وقد يعبر عنه بالاستحسان تارة وبقانون الطبيعة في كتب الحقوق.

فان مهمة القاضي هو فصل الخصومات والبت في المرافعات، ولا يخلو شيئ منهما من الحكم الواقعي أو الحكم الظاهري الذي هو حجة على العباد، وعصمة في يوم المعاد.

١٠ ـ (وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم) التبرم: التضجر؛ فإنّ من واجبات القاضي أن يستمع لكل الاطراف من المتخاصمين على حد سواء من دون أيّ تأثر عاطفي كالضجر.

١١ ـ (وأصبرهم على تكشف الأمور) وتحري الحقائق المرتبطة بالدعوى من كلّ جوانبها بالصبر الذي يقتضيه الموقف حتّى تنكشف الامور على حقيقتها؛ فإنّ عدم الصبر حتّى تاخذ الامور دورها يؤدي الى الاستعجال في الحكم، وهو امر مرفوض اسلاميا.

١٢ ـ (وأصرمهم عند اتضاح الحكم) الشرعي بعد الفحص الكامل، والصرامة في اعلان الموقف بقوة وحزم من دون تاخير لاعتبارات شخصية أو سياسية؛ فإنّ ذلك ينافي استقلالية القضاء الاسلامي من السلطتين التشريعية والتنفيذية.

١٣ ـ (ممّن لا يزدهيه إطراء) وهو المبالغة في المدح؛ فإنّ شخصية كهذه شخصية ضعيفة لاتليق بصنف القضاء العادل.

١٤ ـ (ولا يستميله إغراء) مادي كالرشوة أو خيالي كالعناوين الخياليّة والمناصب التي تزول بزوال مسانيدها.

وختم الإمام هذه النقاط الاربع عشر من مؤهلات القاضي الاسلامي بقوله:

(وأولئك قليل) مشيراً أن بنفس الدرجة من القلة تزداد مسؤولية الوالي في السعي للحصول على من تتواجد فيه هذه الصفات، والتاريخ مشحون بضحايا القضاء الجائر في حقوق المستضعفين والفقراء والذين لم يملكوا شيئا من وسائل الاغراء، ومن تسرع القاضي في اصدار الحكم تحت تاثير العواطف الدينيّة والسياسية أو غيرها من دون تحرٍ لجميع جوانب الموضوع ومن دون استقصاء، ولاحول ولا قوة إلّا بالله.

(٢٣/ ك ٥٣) رقابة القضاء:

ثُمَّ أَكْثِرْ تَعاهُدَ قَضائِهِ[١]، وَٱفْسَحْ[٢] لَهُ فِي ٱلْبَذْلِ[٣] مايَزِيحُ[٤] عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ[٥] مَعَهُ حاجَتُهُ إِلَى ٱلنّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ ما لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلِكَ ٱغْتِيالَ[٦] ٱلرِّجالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَليغاً؛ فَإِنَّ هذَا ٱلدِّينَ قَدْ كانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي ٱلْأَشْرارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوى، وَيَطْلَبُ[٧] بِهِ ٱلدُّنْيا.

وحيث أن القاضي المسلم ـ بحكم وظيفته التشريعية ـ قد يقع تحت تاثير العواطف ووسائل الاغراء، أكّد الإمام على ضرورة الرقابة على القضاة وتعاهد سير القضاء الاسلامي للتاكد من عدم انحرافها عن المبادي الاسلاميّة فقال:

١ ـ (ثم أكثر تعاهد قضائه) بالرقابة المباشرة على سير القضاء في ادارته.

٢ ـ (وافسح له في البذل ما يزيل علته)؛ فإنّ الراتب المخصص للقاصي يجب أن يكون كافيا له، ويزيل العلة التي تدفعه إلى قبول الرشوة مثلا، وهي الحاجة، فانّ أيّ ضعف في هذه الصلة يوثر في قيام القاضي بواجبه كما هو المطلوب، فيؤدي واجبه من دون أيّ تاثير خارجي.

ـ (وتقل معه حاجته إلى الناس) وبذلك يكون للقاضي استقلاله في الحياة المادية

---

(١) في هـ . ب: حكمه.
(٢) في هـ . ب: أوسع.
(٣) في هـ . ب: في العطاء.
(٤) في ط: يزيل، وفي هـ. د: يزيل ـ ض ب.
(٥) في هـ . ب: من القلّة.
(٦) في هـ . ب: في نسخة: اغتياب، وفي هـ . ب: من الغيلة وهي الفتك، وفي هـ . د: اغتياب ـ ع. وهامش ش.
(٧) في أ: وتطلب.

منهم.

٢ ـ (وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك)؛ فإنّ المعاش المقرر للقاضي امر مادي صرف، فيجب على الوالي أن يقوم بالتقدير للقاضي لمرتبته الخاصة التي لا يليق بها غيره، وهذا التقدير المعنوي يجعله مستقلا في القضاء.

(ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك)، ومع هذا التقدير في استقلالية القضاء، فيكون القاضي في امن من الاغتيال والاغراء بالمال وغيره. والعكس بالعكس؛ فإنّ عدم التقدير لاستقلال القاضي يوجب استمالة القاضي بهذه الوسائل غير الشرعية للضغط على القاضي في اصدار الاحكام الجائرة.

وختم هذا المقطع مشيرا إلى اهمية استقلالية القضاء بقوله:

(فانظر في ذلك نظرا بليغا ،؛ فإنّ هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا) وهذه الحقيقة تدعوا إلى تحرير الدين من الاسر الذي وقع فيه عند الاشرار الذين استخدموا القضاء آلة للمصالح الشخصية الدنيوية سائرين على الهوى.

(٢٤/ك ٥٣) العمال والموظفون:

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ ٱخْتِباراً[١]، وَلا تُوَلِّهِم مُحاباةً[٢] وَأَثَرَةً[٣]، فَإِنَّهُم[٤] جِماعٌ مِنْ شُعَبِ[٥] ٱلْجَوْرِ وَٱلْخِيانَةِ، وَتَوَخَّ[٦] مِنْهُمْ أَهْلَ[٧] ٱلتَّجْرِبَةِ وَٱلْحَياءِ مِنْ أَهْلِ ٱلْبُيُوتاتِ ٱلصّالِحَةِ[٨]، وَٱلْقَدَمِ فِي ٱلْإِسْلامِ ٱلْمُتَقَدِّمَةِ؛ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاقاً، وَأَصَحُّ

---

(١) أي امتحاناً وفي ص: اختياراً.
(٢) أي: اختصاصاً وسلامتك، وفي هـ. ب: محاباة، أصله واشتقاقه من الحبوة وهو العطاء.
(٣) أي استبداداً بلا مشورة، وفي هـ. ب: أي اختياراً غير على غير بغير اختيار.
(٤) في هـ. ب: فانهما، وفي هـ. د: فان المحاباة والاثرة ـ م، وفي هـ. ص: نسخة ابن أبي الحديد «فانّهما اجماع»، قال في الشرح: يعني استعمالهم للمحاباة والأثرة إجماع من شعب الجور والخيانة، والمعنى ذلك ضروب من الجور والخيانة، أمّا الجور فلأنّه قد عدل عن المستحق الى غير المستحق، وأمّا الخيانة فلأنّ الأمانة يقتضي تقليد الأعمال الكفاة، فمن لم يعتمد ذلك فقد خان من ولّاه، انتهىٰ.
ولعل معنى «فانّهم جماع» كما في بعض النسخ، أي: ان العمّال أهل جماع أي: خصال مجتمعة من الجور والخيانة، فتخبّرهم حتى تعرف البريء من ذلك والمتخلّق به، فتعتمد البريء وتدع غيره، والله أعلم.
(٥) في هـ. ب: أغصان.
(٦) في هـ. ب: أي اقصد.
(٧) في هـ. ب زيادة: النصيحة، ولعلها نسخة بدل عن «التجربة».
(٨) في هـ. ب: المعروفين.

أَعْراضاً[١]، وَأَقَلُّ فِي ٱلْمَطامِعِ إِشْرافاً[٢]، وَأَبْلَغُ فِي عَواقِبِ ٱلْأُمُورِ نَظَراً.

ثُمَّ أَسْبِغْ[٣] عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْزاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى ٱسْتِصْلاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَناوُلِ ما تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خالَفُوا أَمْرَكَ، أَوْ ثَلَمُوا[٤] أَمانَتَكَ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ[٥] أَعْمالَهُمْ، وَٱبْعَثِ ٱلْعُيُونَ[٦] مِنْ أَهْلِ ٱلصِّدْقِ وَٱلْوَفاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعاهُدَكَ فِي السِّرِّ[٧] لِأُمُورِهِمْ[٨] حَدْوَةٌ[٩] لَهُمْ عَلَى ٱسْتِعْمالِ ٱلْأَمانَةِ، وَٱلرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلْأَعْوانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلى خِيانَةٍ، ٱجْتَمَعَتْ بِها عَلَيْهِ[١٠] عِنْدَكَ أَخْبارُ عُيُونِكَ[١١]، ٱكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِما أَصابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقامِ ٱلْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ[١٢] بِالْخِيانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عارَ ٱلتُّهْمَةِ.

يتضمّن المقطع امور العمال ومؤهلاتهم وحقوقهم ورقابتهم في ظل الدولة الاسلاميّة، فقال:

ـ (ثم انظر في أمور عمالك) فيكون الاهتمام من الاوليات في المرتبة المتاخرة عن القضاء الاسلامي، حيث أن المرافعات بين الموظفين تفتقر إلى مرجع قانوني فيجب بسبب ذلك،.

ثمّ عن النظر في امر الموظفين فقال:

عن الموهلات:

١ ـ (فاستعملهم اختبارا)؛ فإنّ الامتحان هو الطريق الوحيد لمعرفة اصحاب الكفاءة

---

(١) في هـ. ب: شخصاً ونفساً.

(٢) في هـ. ص: في نسخة: إسرافاً، وفي هـ. د: اسرافاً ـ ف ن، وفي هـ. ب: اطلاعاً، وفي هـ. ص: الاشراف بالشين: شدّة الحرص على الشيء والخوف من فواته، انتهى من الشرح.

(٣) أي اكمل وأوسع.

(٤) نقصوا في أدائها أو خانوها.

(٥) في هـ. ب: تفحّص.

(٦) في هـ. ب: الجواسيس.

(٧) في أ: في السير.

(٨) في ص: أي أمورهم.

(٩) في ص: جدوة، وفي هـ. ب: دعوة ـ صح، سوقة.

(١٠) في ب بها عليك، وفي هـ. ب: في نسخة: بها عليه، وفي ص: عليه بها، وفي هـ. د: عـليك عندك ـ ش.

(١١) في هـ. ب: أي اجتمعت أخبار عيونك.

(١٢) في هـ. ب: وسمته: فعلت به علامة.

من غيرهم.

٢ ـ (ولا تولهم محاباة) وهي الاختصاص بالعوض لرغبة شخصية من صداقة وقرابة وغيرهما من دون اعتبار للمؤهلات .

٣ ـ(وأثرة) وهي الاستبداد من دون مشورة لمعرفة المؤهلات من مختلف وجهات النظر الموافقة والمعارضة.

و أشار إلى السبب في هذا النهي قائلا:

(فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة) والجماع: المجمع، حيث أن كلا من المحاباة والاثرة مجمع شعب مختلفة من انواع الجور والخيانة.

اما المحاباة فهي: الجور، وهو الظلم، فإنّ اختصاص الوظيفة بمن لا يستحقها بكفاءة انحراف عن الصراط المستقيم باعطاء من لا يستحق ما لا يستحق، وفي نفس الوقت خيانة للمسلمين معنويا باسناد الوظيفة لغير اهلها، وماديا باضاعة الحقوق الشرعية من بيت مال المسلمين.

واما الاثرة والاستبداد، فإنّه ظلم وانحراف عن المسؤولية التي يجب أن يكون لصاحب الكفاءة، وفي نفس الوقت خيانة للاسلام معنويا باهمال العدالة في المجتمع العمالي، وماديا بحرمان اصحاب الكفاءة.

٤ ـ (وتوخ منهم أهل التجربة)؛ فإنّ الخبرة في الحياة الوظيفية لها اثرها في التقدم، دون من لم يحصل له التجربة ويفتقر إلى تدريب.

٥ ـ (والحياء)؛ فإنّ الاخلاقيات الاسلامية لها اثرها في المواظبة على سلامة الوظيفة التي يؤمّن عليها الموظف.

٦ ـ (من أهل البيوتات الصالحة)؛ فإنّ صلاح الفرد ينبع غالباً من صلاح المجتمع الذي يتربى فيه؛ فإنّ التربية الصالحة تؤكد على الامانة والصدق، وهما مطلوبان من أي موظف .

٧ ـ (والقدم في الاسلام)؛ فإنّ اصحاب القدم في أية نظرية أو مبدأ غالبا ما يكون اكثر معرفة واصدق موقفا واشد التزاماً من الذين ليس لهم تاريخ سابق، وهذا هو في الحقيقة مجربة عمليا، فمند الولادة يعيش الإنسان في جو المسؤولية الدينيّة امام الله والاسرة والمجتمع، وهذه غالبا هي صفة اهل البيونات (المتقدمة) في الاسلام.

ثم ذكر عللا لهذا التاكيد بقوله:

أوّلاً: (فإنهم أكرم أخلاقا) لانهم ـ غالبا ـ تربوا على الخلق الاسلامي من التثبت في الامور.

ثانياً: (وأصح أعراضا) لانهم تربوا في احضان اسلاميّة طاهرة.

ثالثاً: (وأقل في المطامع إشرافا) فانهم بحكم تربيتهم الاسلاميّة لا يتلطعون الى المطامع المادية بالسيطرة على منابع الثروة وادخارها.

رابعاً: (وأبلغ في عواقب الأمور نظرا) فانهم بحكم تربيتهم الاسلامية ينظرون إلى الامور نظرة مستقبلية كما امر الاسلام، ولا ينظرون إلى الامور نظرة شخصية، وطبيعيّ أن هذه الامور لا تكون كلية، بل غالبية، ولها استثناءات في كلّ عصر ومصر.

وعن الحقوق:

(ثم أسبغ عليهم الأرزاق) الاسباغ: التوسعة، والرزق: الراتب المقرر للموظف؛ فإنّه حق للموظف ويجب على الوالي تهيئة ذلك بالتوسعه من دون تقتير أو تاخير، وذكر لذلك اسبابا:

أوّلاً: (فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم)؛ فإنّ العمال والموظفين انما يطلبون العمل والوظيفة لحاجة مادية يفتقرون اليها في اصلاح امورهم المعاشية، وسواءً قصدوا ذلك أم لا فإنّ على الوالي أن يؤمن هذه الناحية المادية لهم، كي يقوموا بواجبهم الاداري المطلوب.

ثانياً: (وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم) فيكون الموظف المكفى مادياً لا حاجة له في الخيانة بالنسبة الى ما تحت يده من امانات الدولة، دون ما اذا لم يحصل على راتبه المقدر فيكون في معرض الخيانة.

ثالثاً: (وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك)؛ فإنّ اداء حقوق العمال والموظفين العادلة تكون حجة على من لم يؤد واجبه في العمل والوظيفة، كما لو خالف الاوامر الادارية وخان الامانة، حيث لا يكون هناك أيّ مبرر للاعتداء المذكور.

وطبيعيّ أن هذه الحقوق للعمال والموظفين في الدولة الاسلامية لا تنحصر في عدد خاص، بل هي خاضعة للعقد الاجتماعي بين الدولة والعمال في شروط مشروعة تفصيلا وانما أشار الإمام عليه السلام إلى الحقوق العامة التي كانت في عصره؛ فإنّ الرزق أي الراتب هو الحق العام للعمال والموظفين في كلّ عصر ومصر، وان كانت الحقوق لا تنحصر بها بل

تخضع لما تتفق عليه الاطراف المتعاقدة.

وعن الرقابة:

١ ـ (ثم تفقد أعمالهم) والتفقد: التفتيش العلني بين فترة واخرى، حيث ما يراه الحاكم الاسلامي مصلحة.

٢ ـ (وابعث العيون) وهذا هو التفتيش المستور غير العلني .

وقد ذكر للنوعين معا أن يقوم بذلك طائفة خاصة بصفات ثلاثة:

(من أهل الصدق والوفاء عليهم) وكم من ضحايا من يفتقر الى صفة الصدق والوفاء في المجتمع العمالي!!!.

وعن سبب هذا الموقف قال:

أوّلاً: (فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة) والحدوة: الحث، حيث يجد الموظف المخلص ما يحثه على حفظ الامانة؛ لما يرى من التعاهد من جانب الادارة.

ثانياً: (والرفق بالرعية)؛ فإنّ الشعب كلّه يكون خاسراً باية خسارة مادية تحصل من اية وظيفة، فان الخيانة لاموال الدولة خيانة للشعب كلّه، حيث أن ذلك يوجب زيادة الضرائب من دون تفريق.

٢ ـ (وتحفظ من الأعوان) والتحفظ: عدم الاعتماد؛ فإنّ الرقابة العادلة تستلزم الرقابة على الجميع بما فيهم اعوان الوالي نفسه، فيجب عدم الاعتماد عليهم، فلا يستثنى من ذلك أحد بما فيهم اعوانه.

وعن عقوبة الخيانة من الموظفين قال:

(فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك) من دون فرق بين الاعوان والعمال والموظفين؛ فإنّ خيانة الامانة جريمة تستحق العقوبة .

واشار إلى ذلك من نقاط:

١ ـ (اكتفيت بذلك شاهدا)؛ فإنّ العيون الامينة الصادقة شاهد صدق يؤخذ به، ويكفي حجة قانونية لادانة المجرم.

٢ ـ (فبسطت عليه العقوبة في بدنه) كما هو المقرر في قانون العقوبات الاسلامية.

٣ ـ (وأخذته بما أصاب من عمله)؛ فإنّ العقوبة جزاء عادل للخيانة التي ارتكبها.

٤ ـ (ثم نصبته بمقام المذلة)؛ فإنّ الخيانة مذلة في الدنيا.

٥ ـ (ووسمته بالخيانة) اعلانا عاماً علامة ثابتة كالوسم الذي هو الكي بالنار علامة يعرف به.

٦ ـ (وقلدته عار التهمة) وهي ما يتهم عليه المجرم المتلبس بالجريمة.

وهذا التاكيد على اعلان الجريمة انما هو ليكون عبرة لغيره من افراد المجتمع بأن قانون العقوبات الاسلاميّة لاستثناء فيه لمن يتلبس بالجريمة.

(١/ك ٥٣) الخراج ولضرائب:

وَتَفَقَّدْ[1] أَمْرَ ٱلْخَراجِ بِما يُصْلِحُ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِواهُمْ[2]، وَلا صَلاحَ لِمَنْ سِواهُمْ إِلّا بِهِمْ؛ لِأَنَّ ٱلنّاسَ كُلَّهُمْ عِيالٌ عَلَى ٱلْخَراجِ وَأَهْلِهِ.

وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمارَةِ ٱلْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱسْتِجْلابِ[3] ٱلْخَراجِ، لِأَنَّ ذلِكَ لا يُدْرَكُ إِلّا بِالْعِمارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ ٱلْخَراجَ بِغَيْرِ عِمارَةٍ أَخْرَبَ ٱلْبِلادَ، وَأَهْلَكَ ٱلْعِبادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلّا قَلِيلاً.

يتضمّن هذا المقطع مسؤولية الوالي في امر الخراج والضرائب وما يترتب على ذلك من عمارة البلاد وخرابها وشكاوى اهلها، فقال:

١ ـ (وتفقد أمر الخراج) التفتيش العلني في فترات يراها الوالي من المصلحة العامة، واشار إلى قاعدة رئيسية في امر الضرائب في كلّ مجتمع انسانيّ بقوله:

٢ ـ (بما يصلح أهله)؛ فإنّ الهدف في الضرائب يجب أن ينحصر في اصلاح الشعب؛ فإنّ للضرائب اثر عام على المجتمع ككل.

٣ ـ(فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلّا بهم) من افراد لشعب ؛ لان الضريبة التي يدفعها من تجب عليه انما تصرف فيما يفتقر إليه عامة الشعب من تعبيد الطرق والمشاريع العامة، فلو انعدمت الضرائب انعدمت تلك المشاريع، ويتضرر من ذلك الجميع بلا استثناء.

٤ ـ (لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله) لانهم ينتفعون بالخراج الذي يصرف

---

(١) في هـ. ب: تفحص.

(٢) في ب: سواه، وفي هـ. د: سواه ـ ش.

(٣) في ص: استحلاب، وفي هـ. ب: بالجيم والحاء والخاء.

في المشاريع العامة ويتضررون بانعدامها كذلك جميعاً.

وهذه الحقيقة تعبر عن سقوط حضارات ونمو حضارت في التاريخ إرتبطت مصيرها جميعا بمصير قانون الضرائب.

عمارة الارض.

وعن هدف الخراج والضرائب في الدولة الاسلامية أشار بقوله:

١ ـ (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج)؛ فإنّ التاريخ يشهد بان الحكومات المادية التي أثقلت الضرائب على المجتمع انتهت إلى توقف العمران فيها وكثرة اليد العاطلة عن العمل، أو الهجرة من الارض التي ولدوا وعاشوا فيها.

٢ ـ (لأن ذلك لا يدرك إلّا بالعمارة)؛ فإنّ الخراج لا يكون إلّا فيما وجد العمران، واذا لا يوجد عمارة فلا يكون موضوع للخراج.

٣ ـ(ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد) حيث يؤدي ذلك إلى أن يترك اصحاب البلاد مشاريع العمران تحاشيا من الضرائب الحكومية، فتتوقف عجلة الحضارة أو تسير ببطؤ، وفي ذلك خسارة ماديّة للامة.

٤ ـ (وأهلك العباد)؛ فإنّ الشعب المستثقل بالضرائب يمتنع عن الاستثمار، فيحافظ على راس ماله خشية ضياعه، وبذلك يتوقف عجلة التقدم الحضاري أو يبطؤ ، وفي ذلك خسارة انسانية.

٥ ـ (ولم يستقم أمره إلّا قليلا) من الزمن حيث تعلوا الاصوات للتخفيف من الضرائب وتشعر الحكومة القائمة بظلم الضرائب فتغير قوانينها رغما على انفها.

(٢٦/ك ٥٣) الشكاوى:

فَإِنْ شَكَوْا ثِقْلاً[١]، أَوْ عِلَّةً[٢]، أَوِ انْقِطاعَ شِرْبٍ[٣]، أَوْ بالَّةٍ[٤]، أَوْ إِحالَةَ[٥] أَرْضٍ

(١) في هـ. ص: أي ممّا حمّلوا.
(٢) في هـ. ص: من الحوائج.
(٣) في هـ. ب: أي نصب الماء، وفي هـ. ص: شرب، أي نهر.
(٤) في أ: بالّةٍ، وفي ص بآلّة، وفي هـ. أ: في الديوان: لاينلك عندي بالّة، أي لا يصيبك منّي خير، وفي هـ. ص: بالّة: مطر.
(٥) في هـ. ب: أي فقر، وفي هـ. ص: أي منعت ثمرتها.

ٱغْتَمَرَها[١] غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ[٢] بِها عَطَشٌ؛ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِما[٣] تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ.

وَلا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ ٱلْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ[٤] يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ[٥] فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلايَتِكَ، مَعَ ٱسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنائِهِمْ[٦]، وَتَبَجُّحِكَ[٧] باسْتِفَاضَةِ[٨] ٱلْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً[٩] فَضْلَ[١٠] قُوَّتِهِمْ، بِما ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ[١١] لَهُمْ، وَٱلثِّقَةِ مِنْهُمْ بِما عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ[١٢] بِهِمْ، فَرُبَّما حَدَثَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ما إِذَا عَوَّلْتَ[١٣] فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ، احْتَمَلُوهُ؛ طَيِبَةً أَنْفُسِهِمْ بِهِ، فَإِنَّ ٱلْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ ما حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّما يُؤْتَى خَرَابُ ٱلْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِها[١٤]، وَإِنَّما يُعْوِزُ[١٥] أَهْلُها لإِشْرَافِ أَنْفُسِ ٱلْوُلَاةِ عَلَى ٱلْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقاءِ، وَقِلَّةِ ٱنْتِفاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

ولابد للدولة الاسلامية أن تجعل عمارة البلاد على رأس قائمة الاولويات، وتقوم بتفقد شكاوى الشعب بالنسبة إلى الضرائب، وقد أشار اليها بقوله:

١ ـ (فإن شكوا ثقلا) من كثرة الضرائب فلابد من التلاحم مع الشعب بتخفيف الضرائب إلى الدرجة العادلة.

٢ ـ (أو علة) من مرض عارض على الثروة الحيوانية أو الزراعية.

٣ ـ(أو انقطاع شرب) يفتقر إليه في نمو الزراعة بسبب السقي من الانهار.

---

(١) في هـ. د: وروي اعتمرها ـ ك. وفي هـ. أ: أظنّه من قولهم : «غامر»، وهو خلاف العامر، وانّما قيل: غامر؛ لأنّ الماء يبلغه فيغمره، وهو فاعل بمعنى مفعوله؛ وإنّما قيل غامر؛ ليقابل به «عامر». وفي هـ. ب: خرّبها.
(٢) في هـ. ب: أهلكها.
(٣) في ب: ما.
(٤) في هـ. ب: ذخيرَة.
(٥) في هـ. ب: أي على سبيل سلف.
(٦) في ب: ثباتهم.
(٧) في هـ. ب: وسرورك، وفي هـ. ص: أي ترفعك.
(٨) في هـ. ب: بإيصال.
(٩) هـ. ص: حال من فاعل «خففت».
(١٠) في ب: أفضل.
(١١) في ط: إجماعك، وفي هـ ص: إجمامك: هو الترفيه. وفي هـ د: إجماعك ـ ح،احجامك ـ ب.
(١٢) في ص و ط: ورفقك.
(١٣) في هـ. ب: اعتمدت.
(١٤) في هـ. ب: من افتقاد أهل البنيان والمال.
(١٥) في هـ. ب: يفقد المال أهلها، يفقد أهلها اليسار.

٤ ـ (أو بالة) وهي الوسائل التي تجعل الارض الزراعية معدة للزراعة.

٥ ـ (أو إحالة أرض) والاحالة: تحويل الارض للبذور بافسادها، بأي سبب، ومنها: (اغتمرها غرق) والغمرة: تغطيتها بالماء المفسد للزراعة والانتاج.

(أو أجحف بها عطش) والاجحاف: الاتلاف بسبب قلة الماء أو الجدب؛ فإنّ هذه العلل كلها يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار، فلا يصدر أي اجبار بالضريبة مع هذه الحالات، بل الواجب على الوالي اتباع السياسة التي ترضي الشعب، واشار اليهابقوله:

(خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم) فيكون الوالي راضخا للشعب من دون فرض اية ضريبة غير عادلة.

(ولا يثقلن عليك شئ خففت به المؤونة عنهم) حيث أن الخراج هو العصب الاقتصادي للدولة، والتخفيف في الخراج قد يوجب نقصان هذا المورد، فيكون ثقيلا على الوالي ذلك، بل يكون من الطبيعي اجبار الشعب على دفع الضرائب بالرغم من الحالات الموجبة لتخفيفها كما عليه الحكومات المادية.

ولكن الإمام أكّد على ضرورة الرضوخ لارادة الشعب في امر الضرائب للاسباب التالية:

أوّلاً: (فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك)؛ لأنّ الهدف من الضريبة في الاسلام هي عمارة البلاد، وامتناع اصحاب الخراج من ذلك يستلزم استخدام المال في عمارة البلاد حيث الظروف والاحوال محيطة بهم، وبذلك يتحقق نفس الهدف من ناحية اخرى.

ثالثاً: (وتزيين ولايتك)؛ فإنّ الولاية في الاسلام تختلف عن الحكومات الماديّة التي تفرض على الشعوب الضرائب، ولا ينتظر من الحكم إلّا المال، وهذا هو الفارق الاساسي بين الحكم الاسلامي القائم على التلاحم مع الشعوب والحكم المادي القائم على استخدام القوة.

رابعاً: (مع استجلابك حسن ثنائهم)؛ فإنّ الشعب لا يغفل عن المواقف العادلة للحكم القائم، فيكون كلّ من يخفف عنه أمرا باهظا مشكورا عنده، وهذا داعية للتلاحم مع الحكم القائم لما يشاهده بنفسه من الحكم العادل المتمثل فيه.

خامساً: (وتبجحك باستفاضة العدل فيهم) والتبجح: الفرح، والاستفاضة: التعميم؛ فإنّ

من حسن سعادة الوالي أن يعم العدل في المجتمع الذي يحكمه.

سادساً: (معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم) القوّة: هي القدرة المادية هنا، والذخيرة: التوفير، والاجمام: الترفيه؛ فإنّ هذه القدرة المادية للشعب تكون ذخيرة عندهم تعمد عليها الوالي بسبب ترفيهه عن الشعب في حالة الضيق الاقتصادي.

سابعاً: (والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم) كما هو المطلوب والمتوقع الوالي المسلم، فكل ما يرى الشعب العدل والرفق منه يزداد ثقة به.

ثامناً: (فربما حدث من الأمور) الطارئة في الحياة كالهجوم الخارجي من الاعداء.

(ما إذا عولت فيه عليهم من بعد) فيساندون الحاكم الذي رأف بهم على عدوه.

(احتملوه طيبة أنفسهم به) فالشعب يتلاحم مع الحاكم بطبيعة نفسه وحريته؛ لما قد شاهد من الحكم العادل بالنسبة إلى الخراج في وقت المحنة.

تاسعاً: (فإن العمران محتمل ما حملته) اي فإنّ عمران البلاد تحتمل المشاكل الاجتماعية والسياسية الواردة على الشعب بنفس الدرجة التي يحتمل الوالي العمران من الاهتمام، فاذاكان هدف الوالي الخراج دون العمران لم يتحقق له شئ من النقاط التسع، بل يجد الشعب الحكم العدو الغازي فرصة للتخلص من الحكم القائم الذي استخدم الظلم ضده.

ولو يتأمل الانسان كثرة العقول المهاجرة إلى الغرب في عصرنا ـ بالرغم مما يقاسونه من مشاكل الغربة فيها ـ يجد أن السبب الحقيقي يعود إلى التخلص من الظلم القائم في بلادهم.

(ك ٥٣/٢٧) خراب الارض:

وعن خراب البلاد اقتصاديا واجتماعيا أشار إلى سلسلة مترابطة من الاسباب بقوله:

١ ـ (وإنما يؤتى خراب الأرض) اقتصاديا واجتماعيا.

٢ ـ (من إعواز أهلها) والعوز: الحاجة إلى ما يفتقر إليه في الحياة اليوميّة ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا.

٣ ـ (وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع) للمال لانفسهم واهمال مصلحة الشعب عامة.

(وسوء ظنهم بالبقاء) هو السبب في جمع المال.

(وقلة انتفاعهم بالعبر) التاريخية بأن جمع المال للمال ليس سببا للسعادة، بل السبب في السعادة: القناعة وكفاية الحال.

فان هذه النقاط الثلاث متسلسلة مترابطة في خراب البلاد، حيث أن جمع المال يسبب فقر الشعب، وفقر الشعب يسبب خراب الارض، حيث أن الشعب الذي يفتقر الى أي شئ ثقافيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا اذا لم يتوفر له ذلك يقوم بالهجرة إلى الارض التي يمكنه تحصيل ذلك فيها، فيصبح بلده خرابا، وعلى العكس لو كانت سياسة الوالي العمران لأكّد على توفير ما يفتقر إليه الشعب من متطلبات الحياة، فيستغني الشعب عن الهجرة، ويقوم بدعم عجلة الحضارة والعمران في البلاد، والرفاه للعباد، والله ولي الرشاد.

(٢٨ / ك ٥٣) الكتاب الوزراء:

ويتضمّن مؤهلات الكتاب واسباب الاختبار ومسؤولية الاختيار.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«واعلم أن الكاتب الذي يشير أمير المؤمنين عليه السلام إليه هو الذي يسمى الان في الاصطلاح العرفي وزيرا، لأنه صاحب تدبير حضره الأمير، والنائب عنه في أموره، وإليه تصل مكتوبات العمال وعنه تصدر الأجوبة، وإليه العرض على الأمير، وهو المستدرك على العمال، والمهيمن عليهم، وهو على الحقيقة كاتب الكتاب ولهذا يسمونه: الكاتب المطلق. وكان يقال: للكاتب على الملك ثلاث: رفع الحجاب عنه، واتهام الوشاة عليه، وإفشاء السر إليه».[١]

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي حالِ كُتَّابِكَ[٢]، فَوَلِّ عَلى اُمُورِكَ خَيْرَهُمْ[٣]، وَٱخْصُصْ رَسَائِلَكَ[٤] ٱلَّتِي تُدْخِلُ فِيها مَكائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ؛ لِوُجُودِ صَالِحِ ٱلْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ[٥] ٱلْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِها عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلأٍ، وَلا تَقْصُرُ بِهِ ٱلْغَفْلَةُ[٦] عَنْ إِيرَادِ مُكاتَباتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ[٧]، وَإِصْدَارِ جَوَاباتِها عَلَى ٱلصَّوابِ عَنْكَ، وَفِيما يَأْخُذُ لَكَ، وَيُعْطِي مِنْكَ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٧٩.
(٢) جمع كاتب.
(٣) في هـ. د: من خيارهم ـ م.
(٤) في هـ. ب: كتبك.
(٥) أي لا تطغيه.
(٦) أي لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في إطلاعك ما يرد عليك.
(٧) في ب: عليه.

وَلا يُضْعِفُ[١] عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ ما عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ[٢] فِي الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ الْجاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.

ثُمَّ لا يَكُنِ[٣] اخْتِيارُكَ[٤] إِيَّاهُمْ عَلى فِراسَتِكَ[٥]، وَاسْتِنامَتِكَ[٦]، وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجالَ يَتَعَرَّفُونَ[٧] لِفِراسَاتِ[٨] الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ، وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ[٩]، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمانَةِ شَيْءٌ، وَلكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِما وُلُّوا[١٠] لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ[١١] لِأَحْسَنِهِمْ كانَ فِي الْعامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمانَةِ وَجْهاً؛ فَإِنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلى نَصِيحَتِكَ لِلّهِ وَلِمَنْ وُليتَ أَمْرَهُ.

وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ[١٢]، لا يَقْهَرُهُ كَبِيرُها، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُها، وَمَهْما كانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغابَيْتَ[١٣] عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ[١٤].

قال عليه السلام (ثم انظر في حال كتابك) وسرد من المؤهلات المطلوبة فيهم بقوله:

(فول على أمورك خيرهم)؛ فإنّ تولية الامور الهامة لابدّ وان يناط بمن له الاهلية التامة، فلا يكون ذلك الا خير الكتاب والوزراء اجمعين.

٢ ـ (واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق)؛ فإنّ وجوه المجتمع الاسلامي المتصفين بصلاح الاخلاق الاسلاميّة هم الاهل

---

(١) في هـ. ب: أي العامل يضعف من باب التفعيل، وفي هـ. د: بضعف من باب التفعيل ـ ش.
(٢) في هـ. ب: أي يعرف قدر نفسه.
(٣) في ب: لا يكون، وفي هـ. ب: في نسخة: لا يكن.
(٤) في ب: اختبارك.
(٥) الفراسة: قوة الظن وحسن النظر في الأُمور.
(٦) في هـ. ا: استنامتك: سكونك واعتمادك، وفي هـ. ب: تغافلك، وفي هـ. ص: أي غفلتك.
(٧) أي يتوسلون إليها لتعرفهم، وفي هـ. د: يتعرضون ـ ح، وفي ص وط: يتعرضون، وفي هـ. ص: في نسخة: يتعرفون.
(٨) في هـ. ص: في نسخة: «يتعرفون فراسات».
(٩) في ط: حديثهم.
(١٠) في ب: بها ولوا، وفي هـ. ب: من الولاية.
(١١) في ب: فاعمل، وفي هـ. ب: عملاً صالحاً.
(١٢) أي أجعل لكل دائرة رئيساً منهم.
(١٣) في هـ. ب: تغافلت.
(١٤) أي كان ذلك العيب لا حتفاً بك، وفي هـ. ص: كان يقال: إذا لم يشرف الملك على فموره صار أغش الناس له وزيره، انتهى من الشرح.

لأنّ يقفوا على الرسائل الخاصة للقيادة الاسلامية، والتي تتضمّن خطط الكيد للعدو والاسرار؛ لأنّ الاخلاق الاسلامية تحكم في تصرفاته المطلوبة من المحافظة على الاسرار والخطط في محاربة الاشرار.

٣ ـ(ممّن لا تبطرة الكرامة) والبطر: الطغيان؛ فإنّ من الصالحين من يبطر بالكرامة.

(فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ) اذ يقوم هذا المغتر بالكرامة باعلان الاسرار في الاجتماع العام حيث لا يغتر بالكرامة ويستهين بها؛ لأنّه ليس من اهلها.

٤ ـ (ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك، وفيما يأخذ لك ويعطي منك)؛ فإنّ من واجب الكتاب أن يقوم بما تقتضيه وظيفته حسبما خططت له من دون غفلة في هذه الوظيفة، ومن يقصر في ذلك ليست له اهلية الوظيفة.

٥ ـ (ولا يضعف عقدا اعتقده لك) فاذا قام بمسؤولية مخولة فيها كالعقد مع أيّ جانب نيابة عن الوالي يجب أن يكون مسانداً لهذه المسؤولية متوافقا معه في الراي، فلا يقوم بالوظيفة التي لا يؤمن بها .

٦ ـ (ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك)؛ فإنّ حدود المسؤولية للكاتب محددة بالصلاحية المنوطة، فان كان له حل العقد واطلاقه فلابد أن لا يكون عاجزا عن ذلك، فمن يعجز في شئ لا يصلح لتحمل مسؤوليته.

٧ ـ (ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور)؛ فإنّ تمثيل الوالي له تقدير ومقام خاص يجب أن يحترم ولا يبتذل بهذا المقام، فلا يتصرف بما يسئ بهذه الوظيفة .

(فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل) لان الإنسان على نفسه بصيرة، فمن لا يبصر اموره الشخصية من الطبيعي أن لا يبصر ما في امور غيره من الناس من خير أو شر.

وهذه النقاط السبع محدد لمؤهلات من يتحمل مسؤولية الوزارة من قبل الوالي، فإنّه باعتباره ممثلا للدولة الاسلامية يجب أن يكون على بصيرة ورؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي يمثلها قولا وعملاً.

وعن اسباب الاختيار:

(ثم لا يكن اختيارك إياهم) اختياراً اعتباطيا نابعاً من الرغبة الشخصية، واشار ثلاث

منها:

أوّلاً: (على فراستك) والفراسة: وهي الحدس الشخصي؛ فإنّ الانطباع الشخصي امر شخص لاتناط به امور الدولة.

ثانياً: (استنامتك) وهي سكون النفس في أي قرار؛ لأنّ سكون النفس امر شخصي، والامور العامة التي تناط بادارة الدولة تفتقر إلى التحقيق الدقيق .

ثالثاً: (وحسن الظن منك)؛ لأنّ حسن الظن الشخصي انما ينفع في الامور الشخصيّة، لا الامور العامّة التي تناط بها مستقبل الشعب كله.

وقد علل ذلك بقوله:

(فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شئ)؛ فإنّ منابع الامور الثلاثة المتقدمة قد يكون بتصنع اصحابها للوصول إلى مآربهم فيحاولون كسب الثقة أوّلاً بحسن الخدمة لفترة طويلة كذبا وزورا، كما عليه خطط الاعداء باستخدام جواسيسهم للاغراض المادية، فلا يمكن تعريض مستقبل الشعب الاسلامي لمجرد مواقف يمكن فيها الصدق والكذب معاً، بل لابدّ من التثبت لأعلى غاية ممكنة، ولذلك قال:

رابعا: (ولكن اختبرهم)؛ فإنّ الطريق الوحيد الامين الذي لا يقبل النقاش هو الاختبار والامتحان، ومن طرق الاختبار المتيسرة دراسة حياة الرجل:

(بما ولوا للصالحين قبلك)؛ فإنّ الولاية والتوظيف من قبل الصالحين امارة واحدة على صلاحية الوزير.

(فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا) وان الاثار التي خلفها الوزير ايام وزارته في الحكومة تدل على مدى حسن عمله، فهي امارة على صلاحيته، وكلما زادت الاثار زادت الثقة بامارته.

(وأعرفهم بالأمانة وجها) بأن يعرف بالصلاح في المجتمع عامة.

وهذه النقاط الثلاث من الماضي وكثرة الآثار وعموم المعرفة تجعل الوزير يزداد صلاحية؛ لأن يتحمل مسؤولية الوزارة.

(فإن ذلك) الاختيار اعتماداً على النقاط الثلاث المشار اليها.

(دليل على نصيحتك لله) حيث انه فيه رضى الله وليس هوى النفس .

(ولمن وليت أمره) من الشعب المسلم.

ومن اجتمعت فيه هذه الصفات يكون ذا صلاحية لتحمل مسؤولية الوزارة في الدولة الاسلامية.

(٢٩/ك ٥٣) وعن مسؤولية الاختيار:

وحيث أن المسؤول في هذا الاختيار للوزير هو الوالي نفسه، فقد ختم المقطع بمسؤوليتين أساسيين لعملية الاختيار:

الاولى: توزيع المسؤوليات (واجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ، ولا يتشتت عليه كثيرها)؛ فإنّ مسؤوليات الوالي كبيرة وكثيرة ومعقدة، ولا يمكن لأية دولة ان يباشرها الوالي بنفسه جميعا، وان كان عليه أن يتفقدها بين حين واخر، ولذلك يجب عليه توزيع المسؤوليات بين لجان خاصة يرأسها شخص مسؤول مباشرة من قبل الوالي.

الثانية: تحمل المسؤوليات (ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته)؛ فإنّ من يتحمل المسؤولية في ظل الدولة الاسلامية يجب اداء واجباته المفروضة عليه، ومن واجبات الوالي تفقد الموظفين في ادارته من الوزراء والكتاب وغيرهم، فما يصدر من الامور المخالفة للقوانين الاسلامية من الموظفتين هي من مسؤولياتهم بالدرجة الأولى؛ للمباشرة، وايضا بالدرجة الثانية للوالي الذي نصبهم، فيما اذا كان عن تغابي، بأن اعتراه امراً غائبا فيكون ايضا ملزما بها لاهماله بواجبه من التفقد.

(٣٠/ك ٥٣) التجار والصناع:

ثُمَّ[١] اسْتَوْصِ بِالتُّجّارِ وَذَوِي الصِّناعاتِ[٢] وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً، الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَٱلْمُضْطَرِبِ[٣] بِمَالِهِ[٤]، وَٱلْمُتَرَفِّقِ[٥] بِبَدَنِهِ[٦]؛ فَإِنَّهُم مَوَادُّ ٱلْمَنَافِعِ، وَأَسْبابُ[٧]

---

(١) انتقل إلى الكلام في التجار والصنّاع.
(٢) في هـ. ص: أي اطلب مني أن أوصيك بهم، والمعنى: أنّ حقّهم عظيم ينبغي أن تسأل الوصية به، وهذا حثّ على قبول الوصية بهم واعتنائه بها، نحو قولهﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً» والله أعلم.
(٣) هـ. أ: المفتعل من الضرب، يقال: ضرب فلان في الأرض ضرباً وضروباً: إذا سار في ابتغاء الرزق، ومنه: «المضاربة».
(٤) أي المتردد بأمواله بين البلدان.
(٥) في هـ. ب: المكتسب.

ٱلْمَرَافِقِ[٨]، وَجُلّابُها مِنَ ٱلْمَباعِدِ وَٱلْمَطارِحِ[٩] فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لا يَلْتَئِمُ[١٠] ٱلنَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْها؛ فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ[١١] لا تُخَافُ[١٢] بائِقَتُهُ[١٣]، وَصُلْحٌ لا تُخْشَى غائِلَتُهُ[١٤].

وَتَفَقَّدْ[١٥] أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ، وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ، وَٱعْلَمْ ـ مَعَ ذلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً[١٦] فاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَٱحْتِكَاراً[١٧] لِلْمَنافِعِ، وَتَحَكُّماً[١٨] فِي ٱلْبِيَاعاتِ[١٩]، وَذلِكَ بابُ مَضَرَّةٍ لِلْعامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى ٱلْوُلاةِ؛ فَامْنَعْ مِنَ ٱلْإِحْتِكارِ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللّهِ ﷺ مَنَعَ مِنْهُ، وَلْيَكُنِ ٱلْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً[٢٠]، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ[٢١]، وَأَسْعارٍ لا تُجْحِفُ[٢٢] بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْبَائِعِ وَٱلْمُبْتاعِ، فَمَنْ قارَفَ[٢٣] حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ[٢٤]، وَعاقِب[٢٥] فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ[٢٦].

التاجر هو حلقة الوصل بين المنتج من الزراع والصناع وبين المستهلك من طبقات

---

(٦) في هـ. ص: هم أصل الصناعات، ويروى: «بيديه» بتثنية يد، من الشرح.
(٧) في ب: ومن أسباب.
(٨) المرافق: الآتية والأدوات وأشباهها.
(٩) في هـ. ب: جمع مطرح، وهو موضع الطرح، وفي هـ. ص: يعني الأماكن المنقطعة.
(١٠) في هـ. ب: لا يجتمع، وفي هـ. ص: أي لا يجتمعون.
(١١) في هـ. ب: صلح.
(١٢) في ب: لا يخاف.
(١٣) البائقة: الداهية، وفي هـ. ب: مهلكته، وفي هـ. ص: أي شرّه وضرّه، لا في مال ولا ولاية.
(١٤) في ص: عائلته ـ ظاهراً ـ، وفي هـ. ب: تخلّفه.
(١٥) في هـ. ب: تفحّص.
(١٦) الضيق: عسر المعاملة، وفي هـ. ب وص: أي بخلاً.
(١٧) في هـ. ص: هو ابتياع المنافع في أيام رخصها وادّخارها في المخازن إلى أيّام الغلاء والقحط، انتهى من الشرح.
(١٨) في هـ. ص: أي زيادة في السعر، انتهى من الشرح.
(١٩) في هـ. ب: فعالة من البيع.
(٢٠) في هـ. ب: سهلاً وسخاوة.
(٢١) في هـ. ص: في هذا دليل على مشروعية التسعير عند فساد الأخلاق، كما روي عن الهادي في سيرته.
(٢٢) في هـ. ب: أي لا تهلك.
(٢٣) في هـ. ب: اكتسب.
(٢٤) لم ترد «به» في ب، وفي هـ. ب: من التكال.
(٢٥) في ص وط: وعاقبه، وفي هـ. د: وعاقبه، ض ح، فنكل وعاقب ـ ش ف م ن.
(٢٦) في هـ. ص: قوله: «في غير اسراف»؛ لأنّ ذلك من باب التأديب والتعزير، فهذا حدّه.

الشعب، وخص الإمام الصناع هنا لتقدم ذكر الزراع في الخراج، ويمكن لاهمية دور التجار في المجتمع باعتبارهم حلقة الوصل بين المنتج والمستهلك، ولولا هذا الدور لما انتفع الشعب من الانتاج والصناعة شيئا، ومن هذا المنطلق اكد الإمام على الوصية بهم بقوله:

(ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا) وذلك بوصية الوالي نفسه وبوصية الآخرين بالمحافظة على نظام عادل للتجارة والصناعة في الدولة الاسلامية، واشار إلى ان التجار على طبقات ثلاث:

الاولى: (المقيم منهم) في الوطن اما بأمر التجارة أو الصناعة.

الثانية: (والمضطرب بماله) ممّن يستخدم راس ماله في خارج وطن الاقامة، بتردده من البلاذ والتجار.

الثالث: (والمترفق ببدنه) والمترفق: المكتسب بالاعمال التي يقوم بها من الصناع الذين يستخدمون مواهبهم الذاتية في الصناعات المطلوبة في المجتمع.

و هؤلاء جميعاً على طائفتين رئيسيتين: اصحاب منفعة، واصحاب ضرر.

الطائفة الأولى: اصحاب المنفعة:

و هم الذين يقومون بدور ايجابي في المجتمع، وينتفع من ادوارهم الشعب حسب حاجاته، وقد وصفهم الإمام بقوله:

١ ـ (فإنهم مواد المنافع) العائدة للشعب، فهي نستند اليهم، فلولا التجار لما تمكن الشعب من الانتقاع بما ينتجه اصحاب الزراعة والصناعة.

٢ ـ (وأسباب المرافق) وهم الوسائل لحصول الرفق في الحياة العامة بتأمين حاجاتهم.

(وجلابها من المباعد) وهي الاماكن البعيدة.

(والمطارح) وهي الاماكن التي تطرح فيها الطبيعة نتاجها.

(في برك) من الاراضي الله الواسعة باستخراج المعادن الطبيعة.

(وبحرك) على التجار المخاطرون بانفسم لاستخراج المعادن بالغوص.

(وسهلك) من الاراضي الرملية من انواع الصيد والزرع والمعادن.

(وجبلك) من الجبال الشاهقة كذلك.

(وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها) لانها ليست محلاً للسكنى والتوطن، بل للعمل والتجارة فقط.

(ولا يجترئون عليها) للمخاطر فيها من السباع والسهول والجبال والغوص في البحار.

وعن السبب في هذه التوصيّة بالتجار والصناع قال:

٣ ـ(فإنهم سلم لا تخاف بائقته) والبائقة: الشر، حيث أن اصحاب التجارة أو الصناعة انما يهمهم تقدم مصالحهم، وليس لهم أيّ طمع في تسلم الحكم، وانهم يساندون ايّة حكومة تحافظ على مصالحهم.

٤ ـ (وصلح لا تخشى غائلته) والغائلة: المصيبة، فلا هدف للتجار والصناع سوى تسويق بصناعتهم الى المجتمع من دون أيّ اهتمام بنوعية الحكم الذي يطبق في البلاد.

٥ ـ (وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك) بالقيام باستخدام حرية التجارة والصناعة فيما يخدم المجتمع المسلم، دون ما يضره في عقيدته، وصيانة حياته الثقافية والاجتماعية والسياسية.

الطائفة الثانية: اصحاب المضرة:

و هم اصحاب التجارة والصناعة التي توجب الضرر على المجتمع الاسلامي فقال عنهم:

١ ـ (واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا)؛ لأنّ الهدف في التجارة هو الربح، فلا تمتنع هذه الطائفة من استغلال حالة المحتاجين بسبب ضيق النظر الفاحش بالاثمان الباهضة.

٢ ـ (وشحا قبيحا) والشح: البخل؛ فإنّ من الطبيعي أن يبخل التاجر براس ماله وزيادة يقتضيها جهده في الحمل والنقل، ولكن اذا تجاوز الحد المعقول في ذلك يكون قبيحا.

٣ ـ(واحتكارا للمنافع) والاحتكار: الحبس للجنس لكي يرتفع سعر المتاع فيبيعه بأغلى الثمن واكثر من الثمن المعتاد للشئ.

٤ ـ (وتحكما في البياعات) والتحكم: فرض الارادة في البيع من دون ضابطة في السعر للمبيع، بل طلب ما لا يكون من سعر المثل عادة.

وعن هذه المواقف قال:

٥ ـ(وذلك باب مضرة للعامة) حيث يعود الضرر على المجتمع المسلم عامةً، وخاصة

على المواد الغذائية الاساسية في الحياة.

(وعيب على الولاة)؛ لأنّ واجب الوالي رعاية المصلحة العامة للشعب، ووجود هذا النوع من الظلم التجاري في المجتمع يفرض على الوالي باعتباره المسؤول عن المصلحة العامة الوقوف أمامه.

(٣١/ ك ٥٣) من واجبات الوالي:

أوّلاً: (فامنع من الاحتكار) منعاً قانونيا قبل حصول الاسباب الداعية له، فيكون قانونا معلنا يعاقب المختلف عنه.

وقد استدل لهذا المنع إلى السنة النبوية، قائلا:

(فإن رسول الله ﷺ منع منه) حيث قال ﷺ:«المحتكر ملعون»، وقال:«من جمع طعاما يتربص به الغلاء اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه».

ثانياً: (وليكن البيع بيعا سمحا) وقد فصل معنى السماح بقوله:

١ ـ (بموازين عدل) بما تقدره المقاييس السوقية العادلة المظبوطة.

٢ ـ (وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع) أي المشتري، ولم يحدده بنسبة معينة ؛ لاختلاف الاسعار في مختلف الاعصار، وقد سمعت من شيوخ بلدي: أن العادة كانت على تغطية رأس المال والاجرة ثم زيادة اثنين ونصف في المائة ربحاً خالص،اً وهذا ما لم يكن يطبق، فكان كبار السن يشكون من ذلك إلى الله.

ثالثاً: (فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكّل به وعاقب في غير إسراف)؛ فإنّ العقوبة على الاحتكار ليس من الحدود الشرعية المنصوصة في قانون الحدود والعقوبات، بل هي من التغزيرات المفوض امره الى الحاكم الشرعي، فيجب أن تكون بدرجة توجب الاقلاع من الاحتكار.

(٣٢/ ك ٥٣) الطبقة السفلى:

ثُمَّ ٱللّهَ ٱللّهَ فِي ٱلطَّبَقَةِ ٱلسُّفْلى، مِنَ ٱلَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُم، مِنَ ٱلْمَساكِينِ وَٱلْمُحْتاجِينَ، وَأَهْلِ[(١)] ٱلْبُؤْسى[(٢)] وَٱلزَّمَنى[(٣)]؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ ٱلطَّبَقَةِ قانِعاً وَمُعْتَرّاً[(٤)].

---

(١) لم ترد «أهل» في أ.

(٢) في هـ. ب: من البؤسى: من أهل الشدّة.

(٣) في هـ. ب: جمع زَمِن، وفي هـ. ص: جمع زَمِن، وهو ذوالعاهة والمرض.

وَٱحْفَظْ[٥] لِلّٰهِ[٦] مَا اسْتَحْفَظَكَ[٧] مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَٱجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ[٨] صَوَافِي[٩] ٱلإِسْلامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهمْ مِثْلَ ٱلَّذِي لِلْأَدْنى، وَكُلٌّ قَدِ ٱسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ[١٠] عَنْهُمْ بَطَرٌ[١١]؛ فَإِنَّكَ لاتُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ[١٢] التَّافِهِ[١٣] لإِحْكامِكَ[١٤] ٱلْكَثِيرَ ٱلْمُهِمَّ. فَلَا تُشْخِصْ[١٥] هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلا تُصَعِّرْ[١٦] خَدَّكَ[١٧] لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ[١٨] أُمُورَ مَنْ لايَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُم، مِمَّن تَقْتَحِمُهُ[١٩] ٱلْعُيُونُ[٢٠]، وَتَحْقِرُهُ ٱلرِّجالُ فَفَرِّغْ[٢١] لِأُولئِكَ ثِقَتَكَ[٢٢] مِنْ أَهْلِ ٱلْخَشْيَةِ وَٱلتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ ٱعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذارِ[٢٣] إِلَى ٱللّٰهِ[٢٤] يَوْمَ تَلْقاهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ ٱلرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى ٱلْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى ٱللّٰهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

وَتَعَهَّدْ أَهْلَ ٱلْيُتْمِ وَذَوِي ٱلرِّقَّةِ فِي ٱلسِّنِّ، مِمَّنْ لا حِيلَةَ لَهُ، وَلا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ،

---

(٤) في هـ. ص: القانع هو السائل، من «قنع» إذا سأل، والمتر: المعترض من غير سؤال، وفي هـ. ب: ويأل القائع من: التنوع، وهو السؤال، والمعتر: المتغيّر اللون.

(٥) في ص: فأحفظ اللّه، وفي هـ. ب: في نسخة: فأحفظ اللّه، وفي نسخة: وَاحفظ للّه.

(٦) في هـ. ب: فيما.

(٧) أي طلب منك حفظه.

(٨) في ص: غلات.

(٩) في هـ. ب: خالص، وفي هـ. ص: الصوافي، هي ما كان من الأعيان لعامة المسلمين، والمراد به بيت المال الّذي هو ضياع وعقار.

(١٠) في ط: ولا يشغلنك.

(١١) البطر: الطغيان بالنعمة وفي ص: نظرٌ.

(١٢) في هـ. د: بتضييع ك ـ ب.

(١٣) في هـ. ب: القليل، وفي هـ. ص: هو ما حقر.

(١٤) أي اتقانك.

(١٥) في هـ. ب: تذهب، وفي هـ. ص: أي لا تبعده، أي لا تنسهم.

(١٦) في هـ. ب: تعرض، وفي هـ. ص: أي لا تتكبّر وترفّع عليهم.

(١٧) في هـ. د: خدك من الكبر لهم ـ ع.

(١٨) في هـ. ب: تفحّص.

(١٩) في هـ. ب: من الاقتحام، وهو الدخول في الشيء بشدة.

(٢٠) في هـ. ص: أي تزدريه النفوس، فلا تقع عليه الأبصار.

(٢١) في هـ. ب: صر فارغاً.

(٢٢) أي من تثق به.

(٢٣) في هـ. ص: أي إقامة العذر عند اللّه سبحانه.

(٢٤) في أ وص زيادة: سبحانه.

وَذلِكَ عَلَى ٱلْوُلَاةِ ثَقِيلٌ. وَٱلْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ[١]، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ ٱللّهُ عَلى أَقْوَامٍ طَلَبُوا ٱلْعَاقِبَةَ، فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ ٱللّهِ لَهُمْ[٢].

فى كلّ مجتمع طبقات مختلفة اعلاها طبقة الحكام الاقوياء واسفلها طبقة الكادحين الضعفاء، ولكل منها درجات في القوّة والضعف، وحيث أن الوصية موجهة إلى والي مصر باعتباره المسؤول الأوّل في الحكم الاسلامي، أشار إلى واجباته تجاه الطبقة الكادحة من الشعب، وأوكد عاى نحو الاغراء بقوله:

(ثم الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم) فيجب تقوى الله فيهم واداء حقوقهم، وقد صنفهم في درجات ثلاث:

الدرجة الاولى: طبقة المستضعفين.

و هم عامة الشعب والكادحين في سبيل الحياة اليومية فقال:

١ ـ (والمساكين) وهم الذين لا يملكون قوت اليوم.

٢ ـ (والمحتاجين) الى العون المادي وان ملكوا قوت اليوم.

٣ ـ (وأهل البؤس) والبؤس: شدة الفقر.

٤ ـ (والزمنى) والزمنى: منله العاهة والمرض المعوق عن العمل.

و هؤلاء لا يخلون من قسمين:

٥ ـ (فإن في هذه الطبقة قانعا) وهو الذي لا يعلن عن فقره رضا بما قدره الله له، وربما يحسبه الجاهل غنيا لعفته، كما قال تعالى: (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف).

٦ ـ (ومعترا) وهو الذي يبادر الى السؤال وطلب المعونة.

وعن واجبات الوالي في حقوقهم قال:

أوّلاً: (واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم) حيث قال تعالى:﴿وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.[٣]

ثانياً: (واجعل لهم قسما من بيت مالك)؛ فإنّ الخزانة العامة للمسلمين عامة وهؤلاء من المحتاجين اليها.

---

(١) في هـ. د: عبارة «والحق كله ثقيل» ساقطة من ب.

(٢) في هـ. ب: هو الموت والقيامة والثواب والعقاب.

(٣) المعارج: ٢٥.

(وقسما من غلات صوافي الاسلام في كلّ بلد) الغلة: الثمرة، والصافية: الارض الخالصة لله، وهي المنابع الطبيعية للدولة الاسلامية.

فيكون لهذه الطبقة حقوق مادية مشروعة قانونيا كغيرهم من الموظفين في الدولة.

ثانياً: (فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى)؛ فإنّ منابع الثروة الطبيعة في الدولة الاسلامية لا تختص بجزء منهم بل هي للمسلمين عامة في تلك الدولة من دون استثناء، فيتساوى فيها افراد الشعب الادنى والاقصى.

(وكل قد استرعيت حقه) كان الوالي مسؤول عن رعاية حقوق المسلمين جميعاً اينما كانوا في الدولة، وعلى اية حالة كانوا، سواءً من طبقة الجند أو طبقة الفقراء فيحفظ لكل حقوقه المشروعة التي تؤمن له حياته.

رابعاً: (فلا يشغلنك عنهم بطر) وهو الطغيان الذي يصاحب الوالي الحاكم عادة.

ثمّ أشار إلى السبب الذي يدعوا إلى طغيان الحكام، وهو الاشتغال بالاولويات، وان امر الفقراء ليس بالدرجة المساوقة لامر الجنود، فالاولوية تقضي الاهتمام بالجنود على حساب الفقراء، فقال:

(فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم)؛ فإنّ المسؤولية واحدة، ويجب تطبيقها في الحالتين معاً حيث الظروف والاحوال، وليس حيث الاولويات في المسؤولية.

خامساً: (فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم) والاشخاص: صرف النظر عنهم والاهتمام بغيرهم، والتصعير للخد: التوجه إلى جهة اخرى؛ فإنّ مسؤولية الوالي باعتباره الممثل للدولة الاسلامية توجب التساوي بين جميع افراد الشعب بما فيهم طبقة الكادحين.

الدرجة الثانية: طبقة البائسين.

فقال: (وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم) بسبب البؤس والفقر، حيث لا يتمكن الفقير من الوصول إلى مقر الرئاسة لعرض حاجاته الشخصية على الحاكم بسبب القيود المشددة من الحراسة وغيرها، وقد وصفهم بقوله:

١ ـ (ممّن تقتحمه العيون) أي تحتقره وتزدريه بسبب فقره فقط.

٢ ـ (وتحقره الرجال) من اصحاب الحاشية من دون أيّ سبب سوى الفقر.

وعن المسؤولية تجاه هذه الطبقة قال:

أوّلاً: (ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع) باعطاء المسؤولية بالنيابة للجنة من الثقات الذين يتصفون بصفة الخشوع والتواضع، ليقوموا بالمهمة نيابة عنك.

ثانياً: (فليرفع إليك أمورهم) فلا تكون لهذه اللجنة ـ بالرغم من كونها ثقة ـ الصلاحية المطلقة، بل عليها تحري الحقائق ورفعها إلى الحاكم، فيكون الحاكم عالما بمجريات الاحداث.

ثالثاً: (ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه) بأداء الواجب تجاه هذه الدرجة الثانية من طبقة البائسين بالذي يكون عذرا عند الله يوم الحساب.

وقد خص الإمام هذه الدرجة الثانية من هذه الطبقة بقوله:

(فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم) بسبب انهم لا يتمكنون من الوصول إلى الحاكم بسبب تحقير الرجال من الحاشية لهم وعدم السماح لهم بالوصول إلى الحاكم، فلا طريق لهم سوى قيام الحاكم بمسؤولية من طريق النيابة.

(وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقة إليه) لكي يكون الوالي متمكنا من اداء واجبه تجاه هؤلاء.

الدرجة الثالثة: طبقة الايتام والعجزة:

١ ـ (وتعهد أهل اليتم) وهم الاطفال الذين مات عنهم والدهم.

٢ ـ (وذوي الرقة في السن) والرقة: الضعف بسبب تقدم العمر، كما قال تعالى:﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾.(١)

(ممّن لا حيلة له) حيث لا يتمكن من استخدام ايّة وسيلة للحياة.

(ولا ينصب للمسألة نفسه) بسبب الضعف الجسمي، وربما الفكري.

وعن الواجب تجاه هذه الطبقة قال:

أوّلاً: (وذلك) أي التعهد الواجب (على الولاة ثقيل)؛ لأنّ هذه الطبقة بحكم ضعفهم لا دور لهم في ادارة الحكم ولا عائدة فيهم، فيثقل على الحاكم الاهتمام بهم بالمستوى الذي يهتم بغيره من طبقات المجتمع كالجيش والتجار والصناع وغيرهم.

---

(١) يس :٦٨.

(والحق كلّه ثقيل)؛ لأنّ المسؤولية واحدة، لا يفرق بين الجيش واليتيم فعلى الوالي القيام بالمسؤولية في الحالتين.

(وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم)؛ فإنّ هذا الفضل يصبح حقيقيّاً فيما اذا نظر الإنسان إلى المسؤولية من زاوية الواجب، فلا يفرق في الوجوب بين واجب واخر، فيكون العمل بالواجب خفيفاً لمن يؤمن به، وثقيلا على من لا يؤمن به، ومن الاسباب التي تخفف هذا الثقل الروحي الايمان بأن العاقبة في الآخرة انما يتحقق بالصبر والوثوق بوعد الله تعالى.

(٣٣/ك ٥٣) ذوو الحاجات:

وَٱجْعَلْ لِذَوِي ٱلْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُم مَجْلِساً عامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلّٰهِ ٱلَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ، مِنْ أَحْرَاسِكَ(١) وَشُرَطِكَ(٢)، حَتّى يُكَلِّمَكَ مُكَلِّمُهُمْ(٣) غَيْرَ مُتَعْتِعٍ(٤)، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللّٰهِ ﷺ يَقُولُ ـفِي غَيْرِ مَوْطِنٍ ـ(٥): «لَنْ تُقَدَّسَ(٦) أُمَّةٌ لا يُؤَخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ؛ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ»(٧).

ثُمَّ ٱحْتَمِلِ ٱلْخُرْقَ(٨) مِنْهُمْ وَٱلْعِيَّ(٩)، وَنَحِّ عَنْهُمُ ٱلضِّيقَ(١٠) وَٱلْأَنَفَ(١١)، يَبْسُطِ ٱللّٰهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنافَ(١٢) رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طاعَتِهِ، وَأَعْطِ ما أَعْطَيْتَ هَنِيئاً(١٣)، وَٱمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ(١٤) وَإِعْذارٍ(١٥).

---

(١) الأحراس: جمع حرس، وهو من يحبس الحاكم من وصول المكروه إليه.
(٢) الشرط: طائفة من أعوان الحاكم، واحدهم: شرطي.
(٣) في أ وط: متكلّمهم.
(٤) التتعتع في الكلام: التردد فيه من عجز وعيّ، وفي هـ. ص: أي غير منزعج ولا مقلق.
(٥) في هـ. ب: موضع، وفي هـ. ص: أي، بل في مواطن كثيرة.
(٦) التقديس: التطهير.
(٧) في ط: متتعتع، وفي هـ. د: متتعتع ـ ص ب ح، وفي هـ. ب: أي لا يسمى ضعيفٌ متعتعاً، وفي هـ. ص: أي غير متردد في كلامه، يتلجلج لأجل الخوف.
(٨) في هـ. ب: الحمق.
(٩) في هـ. د: والغي ـع، وفي هـ. ب: العجز.
(١٠) الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق.
(١١) الأنف: الاستنكاف والاستكبار.
(١٢) أي أطراف، وفي هـ. ب: جمع كنف.
(١٣) أي ليكن إعطاؤك سهلاً غير مشوب بالمنّ والاذى.
(١٤) هـ. ب: جميل حسن.

ومن واجبات الوالي الاهتمام بذوي الحاجات من مختلف الطبقات؛ فإنّ للناس من الحاجات مالا يرغبون لان يعرفها غير الوالي من الحاشية؛ لانها امور شخصية أو عائلية، ووصولها إلى الحاشية يستلزم الاعلان عنها وتفقد اثر الاصلاح المطلوب من الوالي نفسه، فقال:

(واجعل لذوي الحاجات) مهما كانت طبيعة الحاجة من التظلم أو غيره.

(منك قسما) من المنهاج المحدد لهذا الغرض خاصة، كما هو المعروف عن ديوان المظالم.

(تفرّغ لهم فيه شخصك) بالاشراف المباشر.

وعن طبيعة المجلس قال:

١ ـ (وتجلس لهم مجلسا عاما) تفتح لعامة ذوي الحاجات.

٢ ـ (فتتواضع فيه لله الذي خلقك) فلايكون في هذا المجلس سوى الصلة المباشرة بين ذوى الحاجات والوالي.

٣ ـ (وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك)؛ فإنّ بوجود هؤلاء قد يمتنع ذو الحاجة من الانفتاح أو الشكوى أو الطلب.

٤ ـ (حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع) والتتعتع: التردد في الكلام خوفا من الحاضرين من ارباب الحكم.

وعن الهدف من هذا المجلس قال:

٥ ـ (فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: «لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقة من القوي غير متتعتع»).

وهذا المجلس يختلف عن ديوان المظالم بأنّه مجلس تحت اشراف الحاكم شخصيا من دون وساطة وتلاعب من المسؤولين.

وعن واجبات الوالي في هذا المجلس قال:

أوّلاً: (ثم احتمل الخرق منهم والعي) والخرق: العنف، والعي: العجز عن البيان؛ فإنّ الاستماع إلى اصحاب الحوائج بانفسهم يلقيهم في حرج ؛ لان الرابطة بين القائد والقاعدة

---

(١٥) أي أمنع بتقديم عذر.

مباشرة .

ثانياً: (ونح عنك الضيق) الذي هم فيه معنويا بالتلاطف.

ثالثاً: (والأنف) وهو الاستكبار من جانب الوالي بالنزول إلى مستوى الضعيف.

(يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته) والاكناف: الاطراف؛ جزاءً بهذا الموقف الاسلامي.

(ويوجب لك ثواب طاعته) بالمواساة مع الشعب .

رابعاً: (وأعط ما أعطيت هنيئا)؛ فإنّ العطاء لذوي الحاجات الماديّة يجب أن يكون بأدب ولطف، لكي يتهنأ المحتاج به، ولا يكون عن استعلاء وكبرياء.

خامساً: (وامنع في إجمال وإعذار) اذا لم ير الحاكم ما يوجب العطاء، بل يوجب المنع فليكن ايضا عن ادب ولطف مع العذر الجميل.

وهذه النقاط الخمس من واجبات الحاكم المسلم توجب التقارب بين القيادة والقاعدة بالصلة المباشرة القائمة على المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

(٣٤/ك ٥٣) **المسؤولية المباشرة:**

ثُمَّ أُمُورٌ منْ أُمُورِكَ، لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُباشَرَتِها، مِنْها: إجابَةُ عُمَّالِكَ بِما يَعْيِي[1] عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْها: إِصْدَارُ حاجاتِ ٱلنَّاسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرُجُ[2] بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ ما فِيهِ.

وأشار إلى المنهاج اليومي الذي يجب على الحاكم المسلم اتباعه من المسؤولية المباشرة لها، فقال: (ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها) وسردها بقوله:

١ ـ (منها: إجابة عمالك بما يعيي عنه كتابك) لما تفتقر الاجابة من موافقة شخصية للحاكم، فلا يمكن احالة القرار فيه للجنة المفوضة للاجابة على الرسائل.

٢ ـ (ومنها: إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك)؛ فإنّ الحرج من جانب الاعوان قد يكون بسبب مظنة التهمة من التقرب اليهم، وما اكثر التنافس بين الحراس للمؤاخذة على الآخرين فيما هو حضر من الامور.

٣ ـ(وأمض لكل يوم عمله)؛ فإنّ لكل عمل يوم، ولكل يوم عمل؛ فاذا ادى الإنسان

---

(١) في هـ . ب: يعجز.
(٢) في هـ . ب: تضيق.

واجبه حيث المنهاج اليومي المقرر لا يكون في حيزه قط، وانما تبدأ المشاكل بتاخر الواجبات من اليوم إلى الغد حتّى تتراكم فلا يمكن المباشرة لها جميعا في آن واحد، والمسؤولية المباشرة لعمل كل يوم في يومه لا تستتبع مشكلة لهذه، والسبب في ذلك:

(فإن لكل يوم ما فيه) فما لم يسعه اليوم ليس من اعمال ذلك اليوم.

(٣٥/ك ٥٣) **المسؤولية الشخصية:**

وَٱجْعَلْ لِنَفْسِكَ[١] فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّٰهِ أَفْضَلَ تِلْكَ ٱلْمَواقِيتِ، وَأَجْزَلَ[٢] تِلْكَ ٱلْأَقْسامِ، وَإِنْ كانَتْ كُلُّها لِلّٰهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا ٱلنِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا ٱلرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خاصَّةِ ما تُخْلِصُ لِلّٰهِ بِهِ دِينَكَ: إِقامَةُ فَرَائِضِهِ ٱلَّتِي هِيَ[٣] لَهُ[٤] خاصَّةً، فَأَعْطِ ٱللّٰهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ[٥] بِهِ إِلَى ٱللّٰهِ مِنْ ذَلِكَ كامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ[٦] وَلا مَنْقُوصٍ، بالِغاً مِنْ بَدَنِكَ ما بَلَغَ.

وَإِذا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَكُونَنَّ[٧] مُنَفِّراً وَلا مُضَيِّعاً[٨]، فَإِنَّ فِي ٱلنَّاسِ مَنْ بِهِ ٱلْعِلَّةُ، وَلَهُ ٱلْحَاجَةُ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللّٰهِ ﷺ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى ٱلْيَمَنِ، كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنينَ رَحِيماً».

وأشار إلى المسؤوليات الشخصية التي يتحملها الحاكم الاسلامي في نفسه من اوقاته وان كانت كلها بيد تعالى، وفي خدمة المجتمع الاسلامي التي هي طاعة لله، وفي مقدمتها: الصلاة جماعة، التي هي شعار المسلمين، فيجب أن يقوم بها الحاكم الاسلامي بالنظام، فقال:

١ ـ (واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام) من المنهاج اليومي؛ لأنّه صلة بين العبد وربه مباشرة، وبها يتقوى العبد من الروح المعنوية في

(١) في هـ. ص: أمره في هذا الفصل بالعبادة وما يتعلّق بها.
(٢) في هـ. ب: أكثر.
(٣) في ب: التي بها، وفي هـ. د: التي فيها ـ ش.
(٤) في ب: التي فيها له.
(٥) في هـ. د: قرّبت ـ ب.
(٦) أي غير مخدوش.
(٧) في ص: فلا تكن.
(٨) التنفير بالتطويل والتضييع بالنقص في الأركان، وفي هـ. ب: أي لا تضيّع الصلاة، ولا تطوّل في الصلاة فينفر القوم.

اداء واجباته الاسلامية الادارية، فهذه المواقيت افضلها جميعا؛ لانها روح الوظيفة.

٢ ـ (وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النيّة وسلمت منها الرعية) كما هو مفروض بالنسبة إلى الحاكم الاسلامي أن ينذر نفسه في خدمة الشعب المسلم طاعة لله تعالى وحده، وايمانا بالمسؤولية الملقاة على عاتقه. وبهذه الخصيصة يفترق الحاكم المسلم عن غيره من افراد الشعب.

٣ ـ(وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة ، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك) في الفرائض اليومية الخمس ليلا ونهاراً.

(ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ)، والثلمة: الثقب الموجب للعيب: والنقص: فقدان بعض الاجزاء؛ فإنّ الفرائض اليومية لا تترك بحال ولا يمكن فيها الامهال أو الاهمال في مختلف الاحوال.

٤ ـ (وإذا أقمت في صلاتك للناس) في الصلاة الجماعة.

(فلا تكونن منفرا ولا مضيعا) والنفرة: ما يوجب الكراهية، وذلك بسبب التطويل في اداء الصلاة بزيادة السنن والمستحبات، والتضييع: بالاخلال بالاجزاء ونقصها.

وعن سبب ذلك قال:

(فإن في الناس من به العلة) كالمرض والعاهة والزمانة .

(وله الحاجة) التي يجب ادراكها في حياته اليومية.

ثمّ ذكر الدليل من السنة على ذلك فقال:

(وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال : «صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيما»).

فان المسؤولية الشخصية باداء الفرائض اليومية فرادى يختلف عن ادائها جماعة؛ فإنّ الصلاة جماعة تستلزم رعاية حقوق المأمومين وفيهم المريض والشيخ الكبير وغيرهما ممن يفتقر إلى الصلاة بالاقتصار على فرائضها ما امكن.

(٣٦ / ك ٥٣) **الاحتجاب عن الشعب:**

وَأَمّا بَعْدَ[١]**، فَلا يُطَوِّلَنَّ ٱحْتِجابَكَ عَنْ**[٢] **رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ ٱحْتِجَابُ ٱلْوُلاةِ عَنِ ٱلرَّعِيَّةِ**

(١) في ط زيادة: هذا، وفي هـ. د: أما بعد هذا ـ ب.

(٢) في أ: من.

شُعْبَةٌ[١] مِنَ ٱلضِّيقِ[٢]، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَٱلْاحْتِجَابُ مِنْهُمْ[٣] يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا ٱحْتَجَبُوا دُونَهُ، فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ ٱلْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ ٱلصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ ٱلْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ ٱلْقَبِيحُ، وَيُشابُ[٤] ٱلْحَقُّ بِالْباطِلِ، وَإِنَّمَا ٱلْوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ ما تَوَارَى عَنْهُ ٱلنَّاسُ بِهِ مِنَ ٱلْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى ٱلْحَقِّ سِمَاتٌ[٥] تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ ٱلصِّدْقِ مِنَ ٱلْكَذِبِ، وَإِنَّما أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا ٱمْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ[٦] فِي ٱلْحَقِّ، فَفِيمَ ٱحْتِجابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ[٧]؟ أَوْ مُبْتَلىً بِالْمَنْعِ، فَما أَسْرَعَ كَفَّ ٱلنّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا[٨] مِنْ بَذْلِكَ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حاجاتِ ٱلنّاسِ إِلَيْكَ مَا[٩] لا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكاةِ[١٠] مَظْلِمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

وبدأ هذا المقطع بعبارة: (وأما بعد) مما يشير الى أنه مقطع من كتاب آخر .

ويتضمّن المقطع موضوع الصلة بين القاعدة والقيادة؛ فإنّ من الطبيعي أن ينشغل الحاكم الاسلامي بمسؤوليات خاصة تمنعه من اللقاء مع افراد الشعب ، وللضرورات احكامها. ويؤكد للإمام على أن نظام الحكم في الاسلام مبتن على التلاحم مع الشعب المسلم ما امكن، والحكومات المادية على النقيض من هذا تماما، فيتبرأ اصحاب القيادة من القاعدة الا في الحالات الضرورية.

وقد أشار الإمام إلى المبادي والنتائج لهذا التباعد بين القيادة والقاعدة فقال:

ـ (واما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك)؛ فإنّ الاحتجاب لاسباب شخصية أو اجتماعية حادثة امر طبيعيّ متوقع لكل انسان عادي في الحياة، فكيف بالحاكم الاسلامي ؟ وعن المبدأ الذي يدعوا الى الاحتجاب في الحكومات المادية أشار إلى امرين بقوله:

(١) في هـ . ب: غصن.
(٢) في هـ . ب: البخل.
(٣) في ب: عنهم، وفي هـ . ب: في نسخة: منهم، وفي هـ . ص، أي من الولاة بمعنى: واحتجابهم، وفي هـ . د: عنهم يقطع ـ ش.
(٤) في هـ . ب: يختلط.
(٥) في هـ . ب: أعلام.
(٦) في هـ . ب: بالاعطاء.
(٧) في هـ . ب: تعطيه.
(٨) في ص: يئسوا.
(٩) في د: ممّا، وفي هـ . د: ما ـ ش.
(١٠) أي: شكاية.

الأوّل:(فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق) في التفكير الذي يقوم عليه مبدأ الحكم المادي؛ لأنّ الاحتجاب يعمق الهوة بين الشعب والقيادة، وكلما زاد البعد بينهما لا يكون تعاونا بينهما الا في الحالات الضرورية التي تفتقر إلى العون كحالات الجهاد ضد العدو، وعلى العكس فالحاكم الذي ينفتح على الشعب يكون الشعب معه في كل الحالات.

ثانياً: (وقلة علم بالأمور)؛ فإنّ العلم بالتاريخ يوقفنا على أن الاحتجاب له آثارا سلبية من وجهة نظر الشعب، وقد أشار اليها بقوله:

١ ـ (والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه) فهم يعلمون بالاحتجاب من حانب الرئاسة ولايعلمون الاسباب التي أدت إليه، فليلجأون إلى الاشاعات والتخرصات.

٢ ـ (فيصغر عندهم الكبير) من الامور فيعتبرونها صغيرة تخرصاً منهم، فلو غاب لمعالجة ضرورية مشكلة مستعصية اعتبروها امرا عاديا.

٣ ـ(ويعظم الصغير) من الامور فيتصورنه كبيراً، فلوا منع لمرض عادي اعتبره مرض الموت.

٤ ـ (ويقبح الحسن) الذي يراه الحاكم ضروريا ويعتقده الشعب قبيحا منه.

٥ ـ (ويحسن القبيح) الذي يقبحة الحاكم عن تجربة، وتعانده الدعاية والاشاعة.

٦ ـ (ويشاب الحق الحق بالباطل) فيتخلطان، ولا يتمايزان، مع أن المفروض للحاكم المسلم أن يكون منفتحا على الشعب ليحصل على تلاحمه معه في المواقف.

و أشار إلى أن المنتفع من هذا الاحتجاب ليس سوى الحاشية بقوله:

٧ ـ (وإنما الوالي بشر، لا يعرف ما تواري عنه الناس به من الأمور)؛ فإنّ الحاشية هم يتولون الامور دون الوالي، ويا تون بالاخبار التي يحب أن تسمع ويخفون عنه ما يجب أن يعلم من واقع الحال، فيقع الوالي كالاسير في يد هؤلاء، يخسر معرفة الحقائق بالمباشرة من الشعب.

٨ ـ (وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب) فليس لهما علامة خاصة، فلا يتمكن الوالي من تمييز اخبار الحاشية الصادقة والكاذبة إلّا بكسر الطوق والمباشرة مع الناس.

وهذه النقاط الثمان تدل على أن الاحتجاب عن الناس انما هو نابع من قلة علم بالامور ومبادئها ونتائجها.

(٣٧ / ك ٥٣) تحليل الموقف:

ثم حلل الإمام الموقف بروح موضوعية من ناحية اقتصاديّة؛ لانها الحالة الغالبة في ذلك العصر في الاحتجاب عن الشعب فقال:

أوّلاً: (وإنما أنت أحد رجلين : إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق) بالعطاء لمن يطلب معونة اقتصادية لحاجة مادية له.

(ففيم احتجابك) من المحتاجين وانت سخي بالعطاء الذي هو:

(من واجب حق تعطيه) لاصحابه المحتاجين.

(أو فعل كريم تسديه) بما يقتضيه الكرم.

ثانياً: (أو مبتلى بالمنع) عن البذل والعطاء؛ لمكان البخل أو أيّ سبب آخر.

(فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من ذلك)؛ فإنّ طبيعة الوالي لا يخفى على المراجعين اليه عدة مرات، فيعرف بالبخل أو المنع لأيّ سبب كان، فلا يسأله الآخرون.

ففي الحالتين لا يكون الاحتجاب إلّا كالفرار من الأمر الواقع، بل لابدّ من المواجهة لتظهر الحقائق للطرفين عاجلا أو اجلاً.

ثالثاً: (مع أن أكثر حاجات الناس إليك بما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة) حيث استعصى حلها على المتظلم فرفع الأمر إلى اعلى سلطة يعرفها في الدنيا وهو لا يكلف شيئا مادياً للحاكم.

هذا ما كان في العصور المتقدمة، وأما ما هو في عصرنا فالاحتجاب يكون خوفاً من الاغتيال، وهو ايضاً نابع من قلة علم بالامور؛ فإنّ الموت المقدر لا يمنع منه شئ من التحفظات بالاحتجاب أو الحراسة أو غيرها، فكم من الحراس ثاروا على ملوكهم، والموت في حالة القيام بالمسؤولية الاسلامية افضل.

(٣٨ / ك ٥٣) البطانة والحاشية:

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ[١]، فَاحْسِمْ مادَّةَ[٢]

---

(١) في ط و د زيادة: في معاملة، وفي هـ. د: لم ترد «في معاملة» في ف ش م.
(٢) في ا و ب و ص: مؤونة، وفي هـ. ب: في نسخة: مادة، وفي هـ. أ: في الأصل «مادة اولئك»

أُوْلئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ ٱلْأَحْوالِ، وَلا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حاشِيَتِكَ وَحامَّتِكَ[1] قَطِيعَةً[2]، وَلا يَطْمَعَنَّ[3] مِنْكَ فِي ٱعْتِقادٍ[4] عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيها مِنَ ٱلنّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ[5] ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي ٱلدُّنْيا وَٱلْآخِرَةِ.

البطانة: اهل السر للرجل الملفين حوله في تنفيذ مآربه، ولا يستغني عنهم احد من الحكام، واشار الإمام الى ثلاث صفات رئيسية لهؤلاء بقوله:

(ثم إن للوالي خاصة وبطانة) وعن صفاتهم قال:

أوّلاً: (فيهم استئثار) وهو الاستبداد في الرأي، فهم يحاولون فرض رأيهم على الآخرين بما فيهم الوالي بطريقهم الملتوية حتّى يتحقق الفصل بين القيادة والقاعدة.

ثانياً: (وتطاول) وهو الترفع والاستكبار على الآخرين، واستصغار نقاط الضعف في حياتهم.

ثالثاً: (وقلة إنصاف في معاملة)؛ لأنّ الدافع لهم في الاخلاط بجماعة الحاشية انما هو المصلحة الشخصية والمنافع المادية، ومعها يقل روح الانصاف فيهم ان لم تنعدم.

(٣٩ / ك ٥٣) **والحل: الغاء الانقطاع.**

وهذه الصفات الرئيسية لا يمكن قلعها من الحاشية إلّا بقلع الاسباب الداعية اليها، فقال عليه السلام:

١ ـ (فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال) وقد حدد المادة الرئيسية لهذه الاحوال بالقطائع الاميرية، والقطيعة: المنحة من الارض التي يهبها الوالي محاباة ومن دون استحقاق، فقال عليه السلام:

٢ ـ (ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة) الحاشية: البطانة، والحامة: القرابة، والقطيعة: الارض الممنوحة محاباةً؛ فإنّ الحاشية والحامة اذا كانوا موظفين فلهم

وفي هـ. د: مؤونة ـ في م.

(١) في هـ. ب: خاصتك.

(٢) الاقطاع: المنحة من الأرض، والقطيعة: الممنوح منها.

(٣) في ب: يطمعن.

(٤) أي عقد.

(٥) المهنأ: المنفعة الهنيئة.

عطاءهم حيث استحقاقهم باداء الوظيفة التي تحملوا مسؤوليتها. وان الغاء قانون الاقطاع في الاسلام يضع الموظفين امام مسؤولياتهم، وبالنتيجة:

٣ ـ(ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة) بأن يربط عقدة بين الإنسان وقطعة الارض.

(تضر بمن يليها من الناس) فتكون هذه العقدة باطلة من أساسها؛ لانها عقدة ضرر على الناس، سواء كان الضرر:

(في شرب) وهو المياه المعدة للشرب .

(أو عمل مشترك) وهو احداث شئ يوجب الضرر على ما هو مشترك بين المسلمين عامة كالطريق العام للمارة، فلا يصح العقدة على مياه الشرب أو المصالح العامة ولا الشوارع العامة؛ لأيّة جهة اخرى شخصية أو حكومية.

و إلى النتيجة العسكية للاقطاع أشار بقوله:

٤ ـ(يحملون مؤونته على غيرهم)؛ فإنّ البطانة التي تستملك الارض أو الماء يحمّلون المؤنة والتكاليف على غيرهم، وهم المواطنين في تلك المنطقة.

(فيكون مهنأ ذلك لهم دونك) حيث يستولي الاقطاعي على الارض ويستخدم الوالي في تحقيق ذلك لهم، فلا يكون له الا دور العمل.

(وعيبه عليك في الدنيا والآخرة) اما في الدنيا؛ فإنّ الشعب الذي صودرت الارض منه لا يرى ذلك إلّا من قبل الحاكم، بل الاقطاعي نفسه يستند إلى الملكية الى حكم الحاكم، فهو المسؤول في الدنيا، وله في الآخرة العذاب الاليم بالظلم في حق الشعب بمصادرة أمواله واعطائها لغيره من دون استحقاق.

فان الاقطاع هو المادة الرئيسية التي يستخدمها الحاشية لمصالحهم، وبذلك يفصلون بين القيادة والقاعدة، وبالغاء هذا القانون يصبح اصحاب الحاشية كغيرهم من الموظفين فيستحقون من الوظيفة ما يعادل دورهم في العمل. وفي ذلك صلاح الحاكم في الحكومة الاسلامية في الدنيا والآخرة.

(٤٠ / ك ٥٣) سياسة الحق:

وَأَلْزِمِ ٱلْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ ٱلْقَرِيبِ وَٱلْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذٰلِكَ صابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ

قَرابَتِكَ وَخاصَّتِكَ[١] حَيْثُ وَقَعَ، وَٱبْتَغِ عاقِبَتَهُ[٢] بِما يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذٰلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وَإِنْ ظَنَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَاصْحِرْ[٣] لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَٱعْدِلْ[٤] عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحارِكَ[٥]، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ رِياضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ[٦]، وَإِعْذاراً تَبْلُغُ بِهِ حاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى ٱلْحَقِّ.

يتضمن المقطع السياسة المفتوحة التي أمر بها الإمام الوالي، وقام بها شخصيا في حياته؛ لأنّ السياسة المغلقة لا تخفى على العدو، وتوجب الشك من الشعب، وعلى العكس السياسة الواضحة المفتوحة توجب ثقة الشعب بالقيادة، وهي لا تخفى على العدو من حيث المبدأ، فقال:

١ ـ (وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد) فيجب الالتزام بالحق بالنسبة إلى جميع افراد الشعب قريبا كان في النسب والصحبة أو بعيداً من البطانة أو غيرها.

٢ ـ (وكن في ذلك صابرا محتسبا)؛ فإنّ الحق مر وثقيل، لا يحتمله سوى من له رؤية واضحة للمبادئ والوسائل والاهداف الاسلاميّة.

٣ ـ(واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع)؛ فإنّ الهدف ليس رضى هؤلاء، بل العمل بالحق والقانون الالهي.

٤ ـ (وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه؛ فإنّ مغبة ذلك محمودة) والمغبة: العاقبة؛ فإنّ العاقبة هي زيادة الوعي في المجتمع، والثقة بالمبادي التي التزم بها القائد في حياته الشخصيّة.

٥ ـ (وإن ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك) والحيف: الظلم، والاصحار: الاعلان، كما يقتضيه السياسة المفتوحة؛ فإنّ المصارحة هي الطريقة الاسلاميّة .

---

(١) في ب و ص: وخواصّك.
(٢) في هـ. ب: عاقبة.
(٣) في هـ. ب: أي أظهر، وفي هـ. ص: فأصحر لهم: أي إكشف لهم عذرك، مأخوذ من الإصحار، وهو البروز إلى الصحراء.
(٤) في ص: وأعزل.
(٥) في هـ. ب: بإظهارك.
(٦) ما بين القوسين لم يرد في أ ب ص، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ف م ن ح ل ش.

٦ ـ (واعدل عنك ظنونهم بإصحارك)؛ فإنّ الصراحة في الكلام حقيقة تميل الظنون والتهم عن الإنسان، دون ما اذا حاول الاخفاء؛ فإنّه يزيد الظنون ضراوة.

ثمّ أشار إلى ثلاثة نتائج للسياسة المفتوحة:

أوّلاً: (فإن في ذلك رياضة منك لنفسك) حيث يعوّد الحاكم نفسه على الحكم بالعدل في كل الحالات، حتى في الحالات التي تقام حوله الشبهة والظن.

ثانياً: (ورفقا برعيتك)؛ فإنّ من حق الشعب أن يعرف المواقف التي يتخذها القائد، والاصول التي يعتمد عليها في سياسته فيتبعه عن عقيدة وايمان.

ثالثاً: (وإعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق)؛ فإنّ الاعلان عن المبادي حق والسياسة المفتوحة بذكر والحجة التي دعت اى اتحاذ تلك الموقف عذر لمن حصلت له الشبهة وهذه النقاط الثلاث تؤكد على ضرورة السياسة المفتوحة مع الشعب المسلم، وان هذا الانفتاح يزيد الشعب التحاماً بقائده ويزيده ايمانا بالمبادي التي يسعى من أجلها.

(٤١ / ك ٥٣) الصلح مع العدو:

وَلا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لِلّهِ فِيهِ[١] رِضىً، فَإِنَّ فِي ٱلصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَ[٢] راحَةً[٣] مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْناً لِبِلادِكَ، وَلكِن الْحَذَرَ كُلَّ ٱلْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ ٱلْعَدُوَّ رُبَّما قارَبَ لِيَتَغَفَّلَ[٤]، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَٱتَّهِمْ[٥] فِي ذلِكَ حُسْنَ ٱلظَّنِ.

يتضمن هذا المقطع السياسة الخارجية للدولة الاسلامية التي يخيم عليها روح السلم في كل مرافقها، واشار إلى الخلاف الجذري بين المسلمين والاعداء في المبادي والوسائل والاهداف وهو الايمان بالله ورفض الايمان بالمادّة والماديات، واستخدام الوسائل اللا انسانية، ورفض المقولة القائلة بان الغية تبرر الواسطة، والهدف تحقيق عدالة السماء في الارض، ورفض العبودية للانسان والمادة والماديات.

و مع هذا الخلاف الجذري لا ترفض الدولة الاسلامية الصلح الذي فيه رضى الله

---

(١) في ب: فيه.
(٢) لم ترد «و» في أ و ص.
(٣) هـ. ب: راحة.
(٤) في هـ. د: ليغفّل ـ م، وفي هامش م: ليتغفل، وفي هـ. ص: أي يتطلب الغفلة.
(٥) في هـ. د: عدوك ـ ب.

فقال عليه السلام:

(ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى)؛ فإنّ الدعوة اذا لم يكن لله فيها رضى تكون دعوة الى الباطل، فتكون مرفوضة اصلاً. قال تعالى:﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فإنّ ٱلله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.(١)

وعن آثار الصلح في المجتمع الاسلامي قال:

١ ـ (فإن في الصلح دعة لجنودك) والدعة: الراحة؛ فإنّ للحرب آثارها الشريرة التي لا تخفى على من درسها.

٢ ـ (وراحة من همومك)؛ فإنّ الاستعداد ضد العدو فى الجبهة هم حاضر، والتقليل منها امر مطلوب.

٣ ـ(وأمنا لبلادك)؛ فإنّ الحرب انما يبتدئ لتحصيل اهداف، منها: الامن في البلاد من العدو، فاذا تحقق ذلك بالصلح من دون حرب لكان اولى.

والى اليقظة الواجبة حين الصلح قال:

(ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوك بعد صلحه)؛ لأنّ دواعي الصلح مختلفة من ضعف حاضر لكي يستعد لكسب الوقت، أو رغبة حقيقية في السلام، فلابد من اليقظة.

والى واجبات اليقظة اشار بقوله:

أوّلاً: (فإن العدو ربما قارب ليتغفل) حيث أن العدو لا يمكنه انزال الضربة القاضية إلّا من قريب، وكلى كان اقرب إلى الهدف كان اقرب إلى الاصابة، فلا يكون دعوته الى الصلح حقيقية إلّا لدراسة الموقف والوقت المناسب الذي تحصل فيه الغفلة وينزل ضربته القاضية.

ثانياً: (فخذ بالحزم)؛ فإنّ لكل موقع اسباب داعية الى قررات حازمة حيث الظروف والاحوال، وفي فترة الدعوة للصلح من العدو لابدّ من القرار الحازم المناسب لهذه الدعوة بعد الدراسة الموضوعية لها.

ثالثاً: (واتهم في ذلك حسن الظن)؛ فإنّ الدعوة إلى الصلح في ظاهرها دعوة صالحة وحسن الظن بها تفضي الى قبولها، ولكن حيث انها قد تكون لكسب الوقت فلابد من اتهام

---

(١) النساء: ١٢٨.

حسن الظن، والتحصن بكل ما يقتضيه الموقف من الشروط التي تحقق صحة النوايا لدعوة الصلح.

(٤٢/ك ٥٣) الوفاء بالعهد:

وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوٍّ لَكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ[(١)] ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفاءِ[(٢)]، وَٱرْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمانَةِ، وَٱجْعَلْ[(٣)] نَفْسَكَ جُنَّةً[(٤)] دُونَ ما أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرائِضِ ٱللّٰهِ شَيءٌ ٱلنّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ ٱجْتِماعاً مَعَ تَفْرِيقِ[(٥)] أَهْوائِهِمْ وَتَشْتِيتِ[(٦)] آرائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ ٱلْوَفاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذٰلِكَ ٱلْمُشْرِكُونَ فِيما بَيْنَهُمْ دُونَ ٱلْمُسْلِمِينَ لِمَا ٱسْتَوْبَلُوا[(٧)] مِنْ عَواقِبِ ٱلْغَدْرِ، فَلا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلا تَخِيسَنَّ[(٨)] بِعَهْدِكَ، وَلا تَخْتِلَنَّ[(٩)] عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لا يَجْتَرِئُ عَلَى ٱللّٰهِ إِلّا جاهِلٌ شَقِيٌّ.

واكد على ضرورة الالتزام بالعهد مع العدو بعد أن تحقق حسن النيّة منه، كما تقضيه المبادي الاسلامية، فلا يجوز اسلاميا نقض العهد ـ بأي سبب كان ـ قال تعالى:﴿واوفوا بعهد الله اذا عاهدتهم﴾.[(١٠)] وقال: (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا﴾.[(١١)]

فقال عليه السلام: (وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة) والعقدة: العقد الذي يعقد بين الطرفين، والذمة: الامان، فعند انعقاد العهد يكون المتعاقدان ملزمين بذلك، كما يلتصق اللباس بالإنسان، ولا يتخلى عنه إلّا من خرج من الاخلاق الانسانية، وهو استعارة بديعة.

والى واجبات العهد الاسلامي أشار بقوله:

---

(١) في هـ. ب: أماناً.
(٢) في هـ. ب: من الاحتياط.
(٣) في هـ. ب: واحفظ.
(٤) الجنة: الوقاية، أي حافظ على عهدك بنفسك وروحك.
(٥) في ط: تفرق، وفي هـ. د: تفرق ـ ض ح ب وحاشية ن.
(٦) في ط: تشتت.
(٧) في هـ. ب: من الوبال، وفي هـ. ص: استوبلوا، أي وجدوه وبيلاً ثقيلاً، استوبلت البلد: أي استوخمته ولم يوافق مزاجك، انتهى من الشرح.
(٨) في هـ. أ: خاس فلان بعهده: إذا نكث، وفي هـ. ب: تنقضنّ، وفي هـ. ص :خاس: غدر وخان.
(٩) في هـ. ص: أي لا تمكرنّ به.
(١٠) النمل : ٩١.
(١١) الاسراء : ٣٤.

١ ـ (فحط عهدك بالوفاء) والحوط: الحفظ والرعاية من الخرق من الجانب الاسلامي.

٢ ـ (وارع ذمتك بالأمانة)؛ لأنّ العهد امانة اسلاميّة يجب اداؤها كاملة.

٣ ـ (واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت) والجنة: الوقاية كالدرع؛ لأنّ العهد فريضة اسلامية وبعد تحقيقها لا يمكن التخلف عنها.

وذكر السبب في ذلك بقوله:

(فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشدّ عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود) حيث وردت المادّة في القران الكريم ٤٦ مرة، منها قوله تعالى: ﴿واوفوا بعهد الله اذا عاهدتهم﴾[١] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِك لاَ خَلاَقَ لَهُمْ ٱلآخِرَةِ﴾.[٢]

وقوله: (ان العهد كان مسؤولا﴾.[٣]

وقوله تعالى: ﴿والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون﴾.[٤]

(وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر) اشارة إلى ان الوبال هو الهلاك نتيجة الغدر؛ لأنّ الغدر لا يولد إلّا الغدر، ومن اجل ذلك تحالف المشركون فيما بينهم في وقعة الاحزاب عامة لضرب المسلمين، ولا يزال اعداء الاسلام يتحالفون فيما بينهم لعلمهم بأن الغدر لا يولد الا الغدر.

٤ ـ (فلا تغدرن بذمتك) والغدر: الخيانة بنقض العهد.

٥ ـ (ولا تخيسن بعهدك) والخيس: عدم الوفاء بالعهد.

٦ ـ (ولا تختلن عدوك) والختل: الخداع في تنفيذ بنود العهد المتفق عليها.

وعن السبب في هذه النواهي الثلاث قال:

(فإنه لا يجترئ على الله إلّا جاهل شقي) مشيراً إلى الاسباب الداعية إلى الغدر والخيس والختل انما هو الجرأة على الله والجهل والشقاوة، حيث أن الله أمر بالوفاء، وعقلاء الامم حافظوا على الذمم، واهمال امر الله سبحانه وسيرة العقلاء لايكون إلّا عن

---

(١) النحل: ٩١.
(٢) آل عمران: ٧٧.
(٣) الاسراء: ٣٤.
(٤) المؤمنون: ٨.

جهل بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

(٤٣/ك ٥٣) لوازم العهد:

وقد شرح فريضة العهد في الاسلام بقوله:

وَقَدْ جَعَلَ ٱللّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ(١) بَيْنَ ٱلْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً(٢) يَسْكُنُونَ إِلى مَنَعَتِهِ، وَيَسْتَفِيضُونَ(٣) إِلى جِوَارِهِ؛ فَلاَ إِدْغالَ(٤)، وَلا مُدَالَسَةَ(٥) وَلا خِدَاعَ فِيهِ.

وَلا تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ ٱلْعِلَلَ(٦)، وَلا تُعَوِّلَنَّ عَلى لَحْنِ قَوْلٍ(٧) بَعْدَ ٱلتَأْكِيدِ وَٱلتَّوْثِقَةِ، وَلا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ ٱللّهِ إِلى طَلَبِ ٱنْفِسَاخِهِ(٨) بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلى ضِيقِ أَمْرٍ(٩) تَرْجُو ٱنْفِرَاجَهُ، وَفَضْلَ عاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ(١٠) تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ(١١) بِكَ مِنَ ٱللّهِ فِيهِ(١٢) طِلْبَةٌ(١٣)، فَلَا(١٤) تَسْتَقِيلَ فِيها دُنْيَاكَ وَلا آخِرَتَكَ.

أوّلاً: (وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته) حيث قال تعالى:﴿ومن اوفى بما عاهد الله فسنؤتيه اجرا عظيما﴾.(١٥) وقال:﴿بلى من اوفى بعهده واتقى فإنّ الله يحب المتقين﴾(١٦)

---

(١) في هـ ب: أوصله، وفي هـ ص: أي جعلهم شركاء، لايختص به بعضهم من بعض،من الشرح.
(٢) في هـ. ب: حرمة.
(٣) في هـ. ص: أي ينتشرون في طلب حاجاتهم ومآربهم، ساكنين إلى جواره، من الشرح.
(٤) الإدغال: الإفساد، وفي هـ. ب: من الدغل.
(٥) في هـ. أ: المدالسة كالمخادعة، واظن نّ أصله من الدلس، وهو الظلمة في هـ. ب: المدالسة من الدلس، وفي هـ. ص: أي لا خديعة، من الشرح. والأولى أن يقال: أي لا يحل إظهار أمر وفي الباطن خلافه.
(٦) جمع علّة، وهي مايصرف الأمر والعقد عن وجهه، وفي هـ. ص: أي التأويلات المسوّغة لنقضه في الظاهر، فيكون ذلك داعياً إلى ارتكاب الشبهة.
(٧) في أ: القول، وفي هـ. ص: لحن القول: إمالته إلى غير الظاهر، أي لا تعولنّ عن العناية في نقض العهد وأنّك لم ترد الظاهر؛ فإنّ العقود تبنى على الظاهر.
(٨) في ص: انفساخه، وفي هـ. ب: سعة.
(٩) لم ترد «أمر» في أ ب ص، وفي هـ. د: لم ترد «أمر» في ش.
(١٠) في ب: عذر، وفي هـ. ب: في نسخة: غدر.
(١١) «وان تحيط» عطف على «تبعة» أي وتخاف أن يتوجّه عليك من اللّه.
(١٢) في ب: فيه من اللّه، ولم ترد «فيه» في ط، وفي هـ. د: فيه من اللّه ـ ش.
(١٣) العبارة في ص هكذا: «تحيط بك فيه من اللّه طلبة».
(١٤) في أ وص: لا.
(١٥) الفتح : ١٠.
(١٦) آل عمران : ٧٦.

ثانياً: (وحريما يسكنون إلى منعته) والحريم: ما يحرم انتهاكه ويجب الدفاع عنه كالدار والعرض، والمنعة: القوّة المانعة من العدو؛ فإنّ العهد قوة يجب الدفاع عنه.

ثالثاً: (ويستفيضون إلى جواره) لقوة العهد الذي يلجأ إليه في حل الخلافات بسرعة كالجوار، وهي الفزع بسرعة؛ لأنّ المرجع المتفق عليه بين الطرفين في حل المشاكل.

وعن لوازم فريضة العهد قال:

١ ـ (فلا إدغال) الدغل: الفساد بعدم تطبيق بنود العهد.

٢ ـ (ولا مدالسة) والتدليس: التزوير في المواد.

٣ ـ(ولا خداع فيه) والخداع: المكر والحيلة بتغيير الحال إلى حال.

٤ ـ (ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل) والعلة: العيب، فلابد من العهد أن يكون صريحا في المواد والبنود من دون ابهام؛ فإنّ المواد المبهمة في العهود هي التي توجب الحرب من جديد.

٥ ـ (ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة) اللحن ـ هنا ـ: استعمال لفظ في معنى ظاهر وارادة معنى اخر غير ظاهر منه بقرنية حالية أو مقالية، بل لابدّ في العهد من الوضوح في كل المحتملات.

٦ ـ (ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق)؛ فإنّ من الطبيعي تغير الظروف والاحوال الداعية إلى عقد العهود، وهي على الاغلب تقبل من الطرفين لاسباب ترجع الى الضعف، وعند حصول القوّة تظهر الرغبة إلى فسخ العهد واستعمال القوّة باعتبار العهد مانعاً عن تحقيق الهدف. وفى هذا يكمن أساس الجهل بقيمة العهد؛ فإنّ نقض العهد يدعوا إلى فقدان الثقة ودوام الخوف من الحرب.

وعن السبب لهذه الحقيقة قال:

(فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته)؛ فإنّ الغدر بالعهد يولد الغدر من جانب العدو بأيّة طريقة ممكنة له، فلا يكون خيرا، بل الخير الصبر على تطبيق بنود العهد حتّى تنحل المشاكل من دون غدر بالعهد، بل بالطرق السلمية القائمة على احترام العهد المعقود بين الطرفين.

تحذيرات عامة.

وفي هذا المقطع حذر الإمام تحذيرات سياسية عامة في أهم الحالات التي تحصل

عادة في الحكومات لفرض همنتها على الشعب باستخدامها السياسة الداخلية القائمة على نقاط خمس، هي: الارعاب، والاعجاب، والمن، والعجلة، والاستبداد.

(وأن تحيط بك من الله فيه طلبة) وهي مطالبة الله سبحانه بالوفاء بالعهد حيث امر به في القرآن الكريم، وعذابه سبحانه في الآخرة أشدّ نكالا.

وبالنتيجة (فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك) اما الدنيا لفقدان الثقة المطلقة بسبب الغدر بالعهد، واما الآخرة فبسبب التنكر للثوابت الاسلامية التي منها الوفاء بالعهد، والله العاصم.

(٤٤/ك ٥٣) أوّلاً: ـ الارعاب:

إِيَّاكَ وَٱلدِّماءَ وَسَفْكَها بِغَيْرِ حِلِّها؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى[١] لِنِقْمَةٍ، ولا أَعْظَمَ لِتَبْعَةٍ، وَلا أَحْرَى[٢] بِزَوالِ نِعْمَةٍ وَٱنْقِطَاعِ[٣] مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ ٱلدِّماءِ بِغَيْرِ حَقِّها. وَٱللَّهُ سُبْحانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ[٤] فِيما تَسَافَكُوا مِنَ ٱلدِّماءِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ؛ فَلَا تُقَوِّيَنَّ[٥] سُلْطانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ؛ فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ.

نرى الحكومات القائمة قد اعتادت استخدام سياسة الارعاب لاذلال الشعوب، معتقدة بأن ذلك يدل على سيطرتها على الحكم، وان اهمال سياسة الارعاب يدل على الضعف، والإمام يحذر من استخدام هذه السياسة قائلا:

(إياك والدماء وسفكها بغير حلها)؛ فإنّ من العقوبات الاسلامية القتل حينما تجمتع الشرائط لذلك، فيكون حينئذ عقوبة قانونية (من حلها)، واما استخدام القتل كوسيلة لارعاب الشعب فهو مرفوض مبدئيا.

ثم أشار إلى اربع آثار سلبية لهذه السياسة بقوله:

(فإنه ليس شئ أدعي لنقمة) من سفك الدماء بغير حلها؛ فإنّ الظلم يولد الظلم، والشعب لا يخفى عليه هذه السياسة، فيخطط من له القدرة والاستطاعة منهم على المقابلة بالمثل، وهذه السياسة تدني النقمة من الشعب على الحكم القائم عاجلا أو اجلا

---

(١) في ب و ص و ط: ادعى، وفي هـ. ب مبالغة: داعي.
(٢) هـ. ب: أجدر.
(٣) في هـ. د: وانقضاء ـ م.
(٤) في أ: بين عباده، وفي هـ. د: بين عباده ـ ف.
(٥) في ص: تقومنّ.

كما يشهد به تاريخ الثورات.

٢ ـ (ولا أعظم لتبعة) عندالله؛ فإنّ قال تعالى:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ ٱلله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾.[١]

٣ ـ(ولا أحرى بزوال نعمة)؛ فإنّ الشعب وفي مقدمتهم الطليعة الواعية ترى ان اتباع سياسة الارعاب بالقتل ظلما فاضحا، فلا يجد في نفسه ما يحرضه على مساندة الحكم ما امكن له ذلك، فتتوانى عن مساندة الحكم القائم ما استطاع باهمال الاوامر القيادية، حيث يراها صادرة عن سياسة الارعاب المرفوضة وان كانت الاوامر صالحة.

٤ ـ (وانقطاع مدة)؛ فإنّ مدة الحكم القائم لابد وان ينقطع تحت هذه السياسة القائمة على الارعاب بفقدانها مساندة الشعب، واي حكم لا يقوم على مساندة الشعب لابدّ وان ينقطع مدته عاجلا أم اجلا.

وهذه هي الآثار السلبية بالنسبة الى الحكم القائم على الارعاب، وعلى رأسها (من سفك الدماء بغير حقها) هذا في الدنيا. واما عن العقاب في الآخرة فقال:

(والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة)؛ فإنّ مسألة الدماء هي على رأس قائمة الاولويات أيضا في يوم الحساب.

ونتيجة الملاحظة لآثار سياسية الارعاب في الدنيا والآخرة قال:

(فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام)؛ لأنّ هذه السياسية ليس فيها تقوية للحكم .

(فإن ذلك مما يضعفه)؛ فإنّ بالارعاب كشف عن ضعف الحكم القائم.

(ويوهنه)؛ لأنّ هذا الحكم يكشف عن استخدام سياسة الظلم وبذلك يفقد الثقة.

(بل يزيله) لعدم تعاطف الشعب مع الحكم الظالم القائم على الارعاب.

(وينقله) حينما تشتد النقمة من الشعب بالثورة المسلحة، وتاريخ الثورات دليل حي على ذلك.

(٤٥/ ك ٥٣) عقوبة القتل:

وَلا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ ٱللّهِ وَلا عِنْدِي فِي قَتْلِ ٱلْعَمْدِ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ ٱلْبَدَنِ[٢]، وَإِنِ ابْتُلِيتَ

---

(١) النساء : ٩٣.

(٢) القود: القصاص، وإضافته للبدن؛ لأنه يقع عليه.

بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ[١] عَلَيْكَ سَوْطُكَ[٢]، أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ[٣]؛ ـ فَإِنَّ فِي ٱلْوَكْزَةِ[٤] فَما فَوْقَها[٥] مَقْتَلَةً ـ، فَلَاتَطْمَحَنَّ[٦] بِكَ نَخْوَةُ[٧] سُلْطانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلى أَوْلِياءِ ٱلْامُورِ[٨] حَقَّهُمْ.

ثم أشار إلى قانون العقوبات الاسلامية في القتل، وقد تكفلته كتب الفقه، وهي بالاجمال حسب التعبير القراني حالتان:

الأوّل: القتل العمد في القصد والفعل، بأن يقصد القتل ويقتل انساناً باستخدام الة قاتلة، والحكم فيه القصاص، وهو القود من القاتل، قال سبحانه: (ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب لعلكم تتقون﴾ [٩].

الثانية: القتل من دون قصد القتل، كأن يضرب انساناً من دون استخدام الة قاتلة فيموت بسببها، وهذا اثم عند الله ولاقصاص عليه، بل يجب عليه الكفارة والدية على العاقلة، قال تعالى:﴿ومن قتل مؤمنا خطئاً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله﴾.[١٠]

وقد توسع الفقهاء في الاقسام والاحكام، واختلفت تعبيرات الاعلام عن هذه الاقسام، فقال المحقق الحلي (ت / ٦٨٠) انها ثلاث:

الاولى: القتل العمد، العامد في القصد والفعل، فهو آثم وعليه القصاص .

الثانية: شبه العمد، والعامد في القتل دون القصد، فهذا آثم، وعليه الكفارة والديه.

الثالثة: الخطأ المحض، والذي لا قصد ولا فعل له، فهو لا اثم عليه، ولكن عليه الكفارة والدية، وللتفصيل يراجع كتب الفقه والمادّة في المعجم.

وقال الإمام عليه السلام:

١ ـ (ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد) بغير حل موجب لذلك من

---

(١) هـ. ب: عجل.
(٢) في ط زيادة: أو سيفك، وفي هـ. د: سوطك أو سيفك ـ ض ب.
(٣) في ط و د: بالعقوبة.
(٤) الوكزة: الضربة بجمع الكف.
(٥) في هـ. ب: أقلّ منها.
(٦) في هـ. ب: ترمَينّ.
(٧) هـ. ب: كبر.
(٨) في أ و ب و ص و ط: المقتول.
(٩) البقرة: ١٧٩.
(١٠) النساء : ٩١.

العقوبات الاسلامية.

٢ ـ (لأن فيه قود البدن) القود: القصاص العادل، كما قال سبحانه:(ولكم في القصاص حياة﴾[١] فلا عذر سوى انزال هذه العقوبة بالقاتل ايا ما كان موقعه السياسي والاجتماعي؛ لأنّه قتل العمد الثابت حكمه في العقوبات الاسلامية.

٣ ـ(وإن ابتليت بخطأ) بأن كان القتل قتل خطأ، وقد شرع الله فيه حكم الدية، وعن اسباب الخطأ اشار بقوله:

أوّلاً: (وأفرط عليك سوطك) فكان القصد الضرب لا القتل.

ثانياً: (أو سيفك) من دون قصد القتل.

ثالثاً: (أو يدك) بالضرب المبرّح من دون قصد للقتل، وإنّما القصد في هذه الثلاثة (بعقوبة) رادعة، وحيث لا قصد فيها للقتل، فاذا حصل الموت كان القتل خطأ ـ حسب تعبير الفقهاء فيجري فيه حكم الدية والكفارة فقال:

(فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة) الوكزة: الضربة بالكف، والمقتلة: الوسيلة للقتل.

وان كان قتل خطأ فيجري عليه الحكم الشرعي من قانون العقوبات.

٤ ـ (فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم)؛ فإنّ قانون العقوبات الاسلاميّة تشمل الجميع بما فيهم الحاكم الذي صدر منه القتل الخطأ، حيث افرط في الضرب بالسوط أو السيف أو اليد وكزة وهو لا يقصد القتل فحصل الموت بسبب ذلك، فيكون من القتل الخطأ ويجب عليه الكفارة والدية التي هي حق من حقوق اولياء المقتول، ولا يستثنى الحاكم من ذلك بحال، وحاله حال جميع المسلمين امام القانون.

(٤٦ / ك ٥٣) ثانياً: ـ الاعجاب:

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةِ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْها، وَحُبُّ الْإِطْرَاءِ[٢]؛ فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ[٣] الشَّيْطانِ فِي نَفْسِهِ؛ لِيَمْحَقَ ما يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنينَ[٤].

ثم حذر ثانيا عن الاعجاب بالوظيفة الجديدة التي هي اعلى وظيفة في الدولة؛ فإنّ

---

(١) البقرة: ١٧٩.
(٢) في هـ. ب: المدح، وفي هـ. ص: هو المدح في الوجه.
(٣) هـ. ب: جمع فرصة.
(٤) في ب: المحسن.

عظمة الوظيفة تستلزم عظمة المسؤولية المستلزمة معها، ولا يمكن التفريق بينهما، ولا يكون الحاكم ـ باعتباره حاكما ـ صاحب امتيازات تفضله على سائر افراد الشعب؛ فإنّ نظام الحكم في الاسلام يختلف عن سائر الانظمة المادية من هذه الناحية، فلا تضمن الرئاسة اي استثناء للرئيس سوى اداء دوره الرسالي في تطبيق القانون الاسلامي بحذافيره في القوانين القضائية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على جميع افراد الشعب بما هو منهم فقال:

١ ـ (وإياك والإعجاب بنفسك) باعتبار رئاسة الدولة التي توليتها.

٢ ـ (والثقة بما يعجبك منها) من تسلم القدرة، وهي عادة تدعوا إلى الثقة بأنّها سوف نستمر كما هي عليه الان.

٣ ـ(وحب الاطراء) وهو المبالغة في الثناء، حيث اعتاد اصحاب الدنيا والاطماع على ذلك نثراً وشعراً، واصبحت من العادات عندهم.

وهذه النقاط الثلاث لا يخلو منها اية دولة مادية، ولها في تطبيق هذه النقاط شرائط وتفاصيل وألقاب ومستخدمين وموظفين ومنتفعين تفصلهم كتب التاريخ والسير، وقد فصل إلى ما كان في عصره ومصره ابو العباس العسقلاني (ت /٨٢٥) في صبح الاعشى، ولا يخلو منه عصر ومصر منها عصر سلطان صار في خبر كان، وما هو الآن إلى اخر الزمان، وكل ذلك يرجع إلى موقف الحاكم نفسه، ولو تجرد من هذه النقاط الثلاث: العجب والثقة وحب الاطراء لعلت هذه الالقاب حتّى تصل الى نقطة الصفر، ولم يستخدم الإمام لنفسه شيئا من ذلك سوى قوله: (عبدالله اميرالمؤمنين علي) مشيراً إلى عقيدة ومسؤولية وشخصية دون سواه.

ثم ختم المقطع بالسبب في التحذير من هذه النقاط الثلاث: الاعجاب والثقة وحب الاطراء قائلا:

(فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين)؛ لأنّ الاحسان انما هو بالعمل وليس بجمل الاطراء والثناء، ولا الاعجاب بالنفس والثقة بالناس، فالعمل وحده هو القياس العادل في تقويم أيّ انسان واي حاكم واية دولة في خدمة المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

($\frac{٤٧}{٥٣}$ ك) ثالثاً: ـ المن على الرعية:

وَإِيّاكَ وَٱلْمَنَّ عَلى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ ٱلتَّزَيُّدَ[١] فِيما كانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ[٢] فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ؛ فَإِنَّ ٱلْمَنَّ يُبْطِلُ ٱلْإِحْسَانَ، وَٱلتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ ٱلْحَقِّ، وَٱلْخُلْفَ يُوجِبُ ٱلْمَقْتَ[٣] عِنْدَ ٱللّهِ وَٱلنَّاسِ؛ قالَ ٱللّهُ سبحانه[٤]: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لَا تَفْعَلُونَ﴾[٥].

وحذر الإمام ثالثا من المن على الرعية في اداء الواجب المفروض على الحاكم المسلم؛ فإنّ الوظيفة العليا التي تسلمها بالشورى انما هي امانة، وهي وان كانت مسؤولية كبيرة لكنها لا تختلف عن غيرها من المسؤوليات في انها واجب اسلامي يقوم به الحاكم، وليس القائم بالواجب منّة على احد، فكيف يجوز للحاكم أن يمنّ على الرعية بشئ؟؛ لأنّ كلّ ما يقوم به هو واجب لا غير، فقال عليه السلام :

١ ـ (وإياك والمنّ على رعيتك بإحسانك)؛ فإنّ الاحسان فريضة اسلامية، قال تعالى:﴿واحسن كما احسن الله اليك)[٦] وقال: (واحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾ [٧].

٢ ـ (أو التزيد فيما كان من فعلك) والتزيد: دعوى الزيادة على ما حصل من الاعمال مع انها في واقعها اقل من ذلك، بزيادة العدد مبالغة.

٣ ـ(أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك) كما هو شأن السياسيين الماديين من كثرة الوعود الكاذبة في حياتهم معتقدين اسكات الاصوات المعارضة بالوعود.

وهذه النقاط الثلاث هي العامة في كلّ دولة مادية لا تتحرك على المبادي الاسلامية، ومن اجل ذلك أشار الإمام إلى عيوبه بقوله:

أوّلاً: (فإن المن يبطل الاحسان) فلا يبقى للاحسان اثر الاحسان، فلا يكون موضوع للمن، قال تعالى:﴿يا أيهاالذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى﴾ [٨].

ثانياً: (والتزيد يذهب بنور الحق)؛ فإنّ القليل كان حقا، ودعوى الزيادة كذب باطل،

---

(١) في هـ. ب: طلب الزيادة، وفي هـ. ص: أي ادعاء فوق القدر.
(٢) في هـ. ب: من الوعد.
(٣) المقت: البغض.
(٤) في ب: عزّ وجل.
(٥) الصف: ٦١/٣.
(٦) القصص :٧٧.
(٧) البقرة: ١٩٥.
(٨) البقرة: ٢٦٤.

وخلف الحق بالباطل يمحي نور الحق الصافي فيكون خافتاً، وعلى العكس الصدق الذي يجعل نور الحق مشتعلا.

ثالثاً: (والخلف يوجب المقت عند الله والناس) وهو السخط؛ فإنّ الوعد يوجب الامل، وعندما يتبين خلاف ذلك بالخلف بتولد السخط في قلوب الناس، واذا ازداد السخط قوة اصبح نقمة، هذا بالنسبة إلى الناس، واما عند الله فهذا أشدّ مقتا، واستشهد بقوله تعالى:﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.[1] فليس خلف الوعد مقتا صغيرا بل هو مقت كبير عند الله، والله العاصم.

(٤٨/ك ٥٣) **رابعاً: ـ العجلة:**

إيّاكَ[2] وَٱلْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوانِها، أَوِ ٱلتَّساقُطَ[3] فِيها عِنْدَ إِمْكانِها، أَوِ ٱللَّجَاجَةَ[4] فِيها إِذا تَنَكَّرَتْ[5]، أَوِ ٱلْوَهْنَ عَنْها إِذَا ٱسْتَوْضَحَتْ[6]، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ أمْرٍ[7] مَوْقِعَهُ.

ورابع ما حذر الإمام منه: العجلة في القرارات السياسية؛ فإنّ الحاكم المسلم بحكم وظيفته العالية في الدولة يترتب على قراراته آثار عامة في الشعب المسلم عاجلا ومستقبلا، والقرار المبني على العجلة لا يخلوا من نقاط ضعف سلبية قد لا يمكن تداركها، فلابد في القرارات من ان تكون مدروسة بالتأني والصبر اللائق بالمقام حيث الظروف والاحوال، فقال:

١ ـ (وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ؛ فإنّ لكل مقال حال كما أن لكل حال مقال، ولا ينتهي الاستعجال الا الى الوبال في الحال والاستقبال.

٢ ـ (أو التسقط فيها عند إمكانها) التسقط: التهاون بالواجب عند امكانها أو اجتماع

---

(١) الصف : ٣.
(٢) في أ ب و ص: إياك، بدون «واو» في هـ. د: اياك ـ ض ح ب.
(٣) في هـ. د: أو التسقّط، وفي هـ. ب: في نسخة: والتثبّط، وفي هـ. ب: أي لا تسقط في الأُمور حتى تعلم ما فيها. قلت: ومعنى الكلمة بالألف المجيىء مسترخيا، يقال: ساقط الفرس عدوه: إذا جاء مسترخيا، وبدون الألف، من تسقّط الخبر: إذا اخذه قليلاً، والمراد: التهاون.
(٤) اللجاجة: الإصرار على منازعة الأمر ليتمّ على عُسر فيه.
(٥) في هـ. ب: أي لا تدخل في الأُمور لجاجة إذا تنكرت ولا يُعلم ما فيها.
(٦) في هـ. ب: وإذا أوضحت وظهرت فلاتهن.
(٧) في أ و ص: عمل.

شرائطها، فكما أن العجلة محظورة فكذلك اسقاط المسؤولية ايضا محظور.

٣ ـ(أو اللجاجة فيها إذا تنكرت) اللجاجة: العناد بالمخاصمة عند التنكر، وهو خفاء الامور على حقيقتها، فلابد من التأنيّ والدراسة حتّى تظهر حقائق الامور.

٤ ـ (والوهن عنها إذا استوضحت) والوهن: الضعف، فعند وضوح الامور وظهور الحقائق لابد من العمل من دون ضعف.

ثم لخّص لوازم هذا التحذير بقوله:

(فضع كلّ أمر موضعه ، وأوقع كلّ عمل موقعه) والمتأمّل في تاريخ سياسيات الحكم والدول يجد ان المشاكل التي توجد في الدولة خارجا وداخلا انما تكون من القرارات المستعجلة التي لا تدبّر فيها لعواقب الامور، فتقع الامور في غير مواقعها ويتخذ قرار الحرب في الخارج مثلا مع عدم الدراسة التامة لآثارها وردود الفعل لها، وكفرض الضرائب الباهظة على الشعب في الداخل فتتولد النقمة التي تزعزع اركان الدولة من الداخل، والله العاصم.

(٤٩ / ك ٥٣) خامساً: ـ الاستبداد:

وَإِيّاكَ وَٱلاسْتِئْثارَ بِمَا ٱلنّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ[١]، وَٱلتَّغابِيَ[٢] عَمَّا تُعْنى بِهِ[٣] مِمّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ؛ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ ٱلْأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ.

إمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ[٤]، وَسَوْرَةَ[٥] حَدِّكَ[٦]، وَسَطْوَةَ[٧] يَدِكَ، وَغَرْبَ[٨] لِسانِكَ، وَٱحْتَرِسْ[٩] مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ[١٠] ٱلْبادِرَةِ[١١]، وَتَأْخِيرِ ٱلسَّطْوَةِ[١٢] حَتّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ،

---

(١) في هـ. ب: سواء، أي لا تستأثر ما كان الناس وأنت فيه متساوون.

(٢) في هـ. ب: التغافل.

(٣) في هـ. د: تغنى ـ ع ل، وفي هـ. ب: من العناية، وفي هـ. ص: أي عما هو من بشأنك وبلزمك النظر فيه.

(٤) في هـ. ب: يقال حميّ الأنف لرجل [أبيّ النفس يأنف الضيم].

(٥) في هـ. ب: شدة.

(٦) في ص: جدك.

(٧) في هـ. ب: جملة، يعني كف الشدة عن الناس.

(٨) في هـ. ب: حد.

(٩) في هـ. ب: الاحتراس والاحتراز بمعنى واحد.

(١٠) في هـ. ب: بمنع.

فَتَمْلِكَ ٱلْاخْتِيارَ.

وَلَنْ تُحْكِمَ ذلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ(١٣) بِذِكْرِ ٱلْمَعادِ إلى رَبِّكَ.

وختم الإمام التحذيرات العامة بخامس، وهو الاستبداد في الحكم من دون متابعة الشورى الذي امر الله سبحانه بها بقوله: (وامرهم شورى بينهم﴾(١٤)، فقال عليه السلام:

١ ـ (وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة) الاستئثار: الاستبداد، والاسوة: المساوة؛ فإنّ المساواة بينهم يستلزم عدم الاستبداد عليهم.

٢ ـ (والتغابي عما تعني به بما قد وضح للعيون) والتغابي: الغفلة عن الواجبات التي هي من صميم الوظيفة المعينة، وهي واضحة لكل افراد الشعب ممّن له بصيرة، والسياق يقتضي أن تكون الكلمة (التعامي) من العمى؛ فإنّ من عادة الحكام أن لا يبصروا الحقائق وهم في قوة الحكم، مع انها واضحة لكل الناس كالشمس.

وعن السبب في هذا التحذير قال:

أوّلاً: ـ(فإنه مأخوذ منك لغيرك) والضمير للشأن، فإنّ الحكم الذي يتولاه سوف يؤخذ منه ويصبح غيره حاكما.

ثانياً: (وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور)؛ فإنّ التاريخ لا يرحم احداً، وسوف تظهر الحقائق مهما حاول الإنسان اخفاءها بالدعايات والاكاذيب في الدنيا، والامر في الآخرة أشد.

ثالثاً: (وينتصف منك للمظلوم) في الدنيا بالثورة وفي الآخرة بالحساب العادل.

وعن الواجب في قلع فكرة الاستبداد من الحاكم قال:

١ ـ (أملك حمية أنفك) وهي كناية عن الاباء، وتملكها: ضبطها في ارادة الإنسان وترويضها للاخلاق والاداب الاسلامية.

٢ ـ (وسورة حدك) والسورة: الشدة، والحد: البأس، فتكون محكومة بالمبادي الاسلامية.

---

(١١) البادرة: ما يبدر من الانسان عند الغضب، يريد التزم بالسكون عند الغضب، ولا تبادر برد الفعل.

(١٢) في هـ. ب: الحملة.

(١٣) في هـ. ب : الهم : الغم.

(١٤) الشورى : ٣٨.

٣ ـ(وسطوة يدك) فلا تستخدمه إلّا في سبيل الله وتحقيق العدالة.

٤ ـ (وغرب لسانك) والغرب: الجانب الحاد من السيف، استعير للسان لما له من أثر كالسيف، وكم من صريع للسان؟

٥ ـ (واحترس من كلّ ذلك بكف البادرة) وهي ما يتبادر من اللسان من اوامر ارتجالية غير مدروسة.

٦ ـ (وتأخير السطوة) فلا ينفذ أي قرار إلّا بعد تأخير مناسب زمنا لمعرفة اثارها العكسية.

وعن الظروف والاحوال المناسبة لتنفيذ القرار قال:

(حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار) فيكون القرار السياسي قراراً مدروساً.

(ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك)؛ فإنّ كثرة ذكر المعاد توجب محاسبة النفس والتركيز على المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية التي هي من صميم واجبات الحاكم القائم على رئاسة اعلى وظيفة في الدولة الاسلامية.

(٥٠ ك ٥٣) **الحكومة العادلة:**

وَٱلْواجِبُ عَلَيْكَ: أَنْ تَتَذَكَّرَ ما مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ[١] مِنْ حُكُومَةٍ عادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنا ﷺ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتابِ ٱللّٰهِ فَتَقْتَدِيَ بِما شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنا بِهِ فِيها[٢]، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي ٱتِّباعِ ما عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هذا، وَٱسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ ٱلْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلى هَوَاهَا.

فَلَنْ يَعْصِمَ مِنَ ٱلسُّوءِ وَلا يُوَفِّقُ لِلْخَيْرِ إِلَّا ٱللّٰهُ تَعالى، وَقَدْ كانَ فِيما عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُه ﷺ فِي وَصاياهُ تَحْضِيضاً[٣] عَلَى ٱلصَّلاةِ وَٱلزَّكاةِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ، فَبِذلِكَ خَتِمُ ذلَكَ ما عَهِد، وَلا قُوَّةَ إِلّا اللّٰهِ ٱلْعَظِيمِ[٤].

---

(١) في هـ. ص: يريد بهم ولاة أمير المؤمنين قبله على مصر، مثل قيس بن سعد بن عبادة ومحمّد بن أبي بكر، أمره أن ينظر فيما عملا به عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ دليله آخر الكلام، وكذلك أمره أن يعمل بما شاهده هو من عمل أمير المؤمنين وقضائه فهو أمر له في الوجهين بإتباعه عليه السلام، وقد مرّ ما يشبه هذا في أوّل العهد.

(٢) ضمير «فيها» يعود إلى جميع ما تقدم.

(٣) في هـ. ب: من الحضّ، وهوالحثّ.

(٤) ما بين القوسين من ب و د، ولم يرد في أ و ص و ط.

وبعد هذه السلسلة من النتائج والتحذيرات أشار الإمام عليه السلام إلى أهم واجبات الحاكم المسلم في طريق تحقيق الحكومة العادلة بالاعتماد على المنابع الاسلاميّة حيث تسلسلها التاريخي فقال:

(والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك)؛ فإنّ فيما تقدم من التاريخ الاسلامي دروس وعبر في ادارة الحكومة الاسلامية وسرد المنابع التي سلسلها من عصره حتّى عصر الرسالة قال:

أوّلاً: (من حكومة عادلة) اقامها الإمام علي في عاصمته الكوفة وعاصرها مالك بنفسه، ووجد الاسلوب الذي استخدمه الإمام في تطبيق حكم الله المستند إلى الكتاب والسنة في حياته الشخصية، وادارته الحكومية وعلاقاته مع الشعب والوفود التي زارته من غير الشعب في المسلم وفي الحرب.

ثانياً: (أو سنة فاضلة) بما سنه الرسول صلى الله عليه وآله بعمله فاصبحت سنة قائمة بين المسلمين من دون نكير كما فعل في حجة الوداع، ولم يختلف في ذلك فقهاء الاسلام؛ لانها سنة فعلها نفسه صلى الله عليه وآله ليكون متبعا لمن بعده، وفضيلتها ظاهرة؛ لانها السنة النبوية الطاهرة.

ثالثاً: (أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله) مما لا تكن سنة فعلية بل قولية من الاحاديث النبوية .

فهي شارحة للمبادي الاسلامية ومفسرة لها؛ لتطبيقها على الحياة.

رابعاً: (أو فريضة في كتاب الله) باعتباره القانون الاساسي الاسلامي الذي يعتبر اول المنابع الاسلاميّة تأريخياً.

وهذه المنابع الاسلاميّة حيث تسلسلها التاريخي تعتبر من المنابع الاصيلة التي تبتني عليها الحكومة العادلة، وقد امر الله سبحانه باقامتها في القرآن الكريم فقال:

﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ ٱلله فَأُولَٰئِك هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾.(١)

﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ ٱلله فَأُولَٰئِك هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾.(٢)

﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ ٱلله فَأُولَٰئِك هُمُ ٱلفاسِقُونَ ﴾.(٣)

وهذا الحكم الاجمالي في القرآن الكريم باعتباره قانونا أساسيا قد فسره الرسول

---

(١) المائدة : ٤٤ .

(٢) المائدة : ٤٥ .

(٣) المائدة : ٤٧ .

الاعظمﷺ في حياته بالاثار القولية، فيكون منبعا ثانياً.

وبالاقتداء بالسنة العملية، فيكون منبعا ثالثاً:

وقد طبقها الإمام في عصره ودولته فيكون منبعا رابعاً.

فان في هذه المنابع الدروس والعبر التي عليها تقام الحكومة العادلة، فامر بها بقوله:

١ ـ (فتقتدي بما شاهدته بما عملنا به فيها) تطبيقا لنصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية.

٢ ـ (وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا) باعتباره حصيلة تجربة شخصية مستقاة من المنابع الاصيلة من الكتاب والسنة النبوية.

٣ ـ (واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك) اداءاً لواجب الخلافة الاسلامية في نصب الولاة وتحديد مسؤولياتهم الاسلامية في ادارة الحكم الاسلامي.

٤ ـ (لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها) فقد ادى المسؤول الأوّل واجبه تجاه الوالي، فلا يكون من عذر للوالي في تطبيق حكم الله مجرداً عن هوى النفس لتحقيق المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

(ك ٥١/٥٣) ختم الوصية:

وَمِنْ هذَا الْعَهْدِ، وَهُوَ آخِرُهُ:

وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللّهَ بِسِعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ[١]، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضاهُ؛ مِنَ ٱلْإِقامَةِ عَلَى ٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ[٢] إِلَيْهِ وَإِلى خَلْقِهِ، مَعَ[٣] حُسْنِ ٱلثَّناءِ فِي ٱلْعِبَادِ، وَجَمِيلِ ٱلْأَثَرِ[٤] فِي ٱلْبِلَادِ، وَتَمامِ ٱلنِّعْمَةِ[٥]، وَتَضْعِيفِ ٱلْكَرَامَةِ[٦]، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي

---

(١) في هـ. ص: هي في الأصل مصدر رغب في كذا، كأنّه قال: القادر على إعطاء كلّ سؤال، أي إعطاء كلّ سائل ما سأله وروي: «رغيبة» والرغيبة: ما يرغب فيه، انتهى من الشرح.

(٢) في هـ. ص: أي الاجتهاد وبذل الوسع في الطاعة؛ وذلك لأنّه إذا بذل جهده فقد أعذر. ثُم فسّر اجتهاده في رضا الخلق ولم يفسر اجتهاده في رضا الخالق؛ لأنّه معلوم، فقال: «هو حسن الثناء». انتهى من الشرح. قلت: وجعله تفسيراً مع رواية «من»، أما مع رواية «مع»، فليس بتفسير؛ بل مصاحبة.

(٣) في أ و ط مع، وفي هـ. ص: في نسخة: من، وفي هـ. د: مع ـ ص ب م ل ش.

(٤) في هـ. ب: الفعل.

(٥) في هـ. ص: «وتمام النعمة» قال في الشرح: إنّه عطف على ما في قوله: «لما فيه رضاه»، أي ويوفقنا لتمام النعمة أي للأعمال التي توجب ذلك، انتهى.

قلت: وهذا مع رواية «من»، ويحتمل مع رواية «مع» أن يكون عطفاً على حسن الظاهر، بل هو

وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَٱلشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ(٧) رَاغِبُونَ(٨).

وَٱلسَّلَامُ عَلى رَسُولِ ٱللّٰهِ صلى الله عليه واله ٱلطَّيِّبِينَ ٱلطَّاهِرِينَ، وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثيراً، والسَّلَامُ(٩).

وختم الوصية بالدعاء إلى الله سبحانه مؤكدا على الاسباب الداعية إلى هذه الوصية، وهي العمل في سبيل الله بأداء المسؤولية الاسلامية في نقاط خمس مع الاشارة إلى اثارها في التاريخ فقال عليه السلام:

(وأنا أسأل الله) خمس نقاط أساسية تعتبر خلاصة الوصية كلها، وهو السؤال منه تعالى:

(بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبة)؛ لأنّه على كلّ شئ قدير، وان رحمته وسعت كل شئ، ومنها الرغبة في هذه النقاط:

أوّلاً: (أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه)؛ فإنّ كلا من خليفة المسلمين ووالي المسلمين عليهما مسؤولية اسلامية في تحقيق المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة في المجتمع، ولا يتحقق ذلك إلّا بتوفيق من الله بتحقيق ما فيه رضاه.

ثانياً: (من الإقامة على العذر الواضح إليه) للتحرك على أساس الثوابت الاسلامية القائمة على كتاب الله وسنة نبيه، فهي حجة للانسان يوم الحساب بالقيام بالمسؤولية الاسلامية تجاه الله سبحانه.

ثالثاً: (وإلى خلقه) باداء المسؤولية الملقاة على عاتق الخليفة والوالي بالنسبة الى الشعب في تحقيق العدالة في المجتمع وعلى كافة المستويات.

و أشار إلى آثار هذه المسؤولية بقوله:

١ ـ (مع حسن الثناء في العباد) حيث أن الشعب لا تفوته الحقائق التي يشاهد اثارها

الظاهر، واللّه أعلم.

(٦) أي مضاعفة الثواب.

(٧) في ط: إلى اللّه.

(٨) في ط: راجعون، وفي هـ. د: راجعون ـ ض ب.

(٩) في أ: والسلام على رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وفي ب: والسلام على رسول اللّـه كـثيراً، وفـي ص: والسلام على رسول اللّه صلى الله عليه وآله: عليه وعلى اله كثيراً، وفي هـ. ص: نسخة ابن أبي الحديد: الطيبين الطاهرين، ولم ترد «وسلّم تسليماً كثيراً، والسلام» في د، وفي هـ. د: عبارة :« صلى الله عليه واله الطيبين الطاهرين» ساقطة من م ف ن ش، وفيها: والسلام على رسول اللّه كثيراً.

العادلة في العباد والبلاد.

٢ ـ (وجميل الأثر في البلاد) حيث أن التاريخ يذكر آثارها العادلة في البلاد.

٣ ـ (وتمام النعمة) بمعرفة المبادي والتحرك عليها برؤية واضحة .

٤ ـ (وتضعيف الكرامة) بالرؤية الواضحة بالعمل على تطبيق المبادي الاسلامية .

رابعاً: (وأن يختم لي ولك بالسعادة) وهي السعادة باداء المسؤولية الاسلامية كما هو المطلوب من الإنسان المسلم في اية وظيفة يشغلها واية حالة يكون عليها حيث الظروف والاحوال.

خامساً: (والشهادة) في سبيل الله، باعتبارها اعلى درجة يمكن للانسان المسلم أن يصل اليها، باعتباره اغلى شئ في الحياة يقدمها في سبيل الله، وليس ذلك في ذلك مقايضة، بل هو حق الهي، وبذلك ختم الوصية بقوله:

(وإنا إليه راغبون)؛ فإلى الله سبحانه يرجع كلّ ما كان وما يكون.

(والسلام على رسول الله ﷺ الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا . والسلام) .

[٥٤]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى طَلْحَةَ وَٱلزُّبَيْرِ مَعَ عِمْرانَ بْنِ ٱلْحُصَيْنِ ٱلْخُزاعِيِّ، ذَكَرَ هذا الكتاب[١] أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْإِسْكافِيُّ[٢] فِي كِتابِ ٱلْمَقاماتِ:

أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُما ـ وَإِن كَتَمْتُما ـ أَنِّي لَمْ أُرِدِ ٱلنَّاسَ[٣] حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي[٤]؛ وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ[٥] أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ ٱلْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَاصِبٍ[٦]، وَلَا لِعَرَضٍ[٧] حَاضِرٍ[٨]. فَإِنْ كُنْتُما بَايَعْتُمانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا[٩] وَتُوبَا إِلَى اللّهِ

---

(١) في أ: وقد ذكره.

(٢) في هـ . ب: الاسكاف قرية.

(٣) في هـ . ب: لم أرد أن أكون خليفة عليهم.

(٤) في هـ . ص: أي لم أمدد يدي إليهم يد الطلب والحرص على الأمر ولم أمددها إلّا بعد إن خاطبوني بالإمرة والخلافة، وقالوا بالسنتهم: قد بايعناك، انتهى من الشرح.
قلت: والغرض إقامة مثل هذه الحجة ونفي ظن حرصه عليها حرص أهل الدنيا وإزالة التهمة، فإنّه تمنّع ورادّهم حتى علم أنّه قد لزمته الحجة كما قال، واللّه أعلم.

(٥) في هـ . د: مما ـ ب.

(٦) في ا ب ص د: غاصب، وفي هـ . ص: أي غصبهم أمرهم وقهرهم مكرهين، وفي هـ . د: غالب ـ ض ح ب م. وفي هـ . ب: يعني به نفسه، أي ليس لي غصب وإكراه ولا حرص وعرض بل يقوى بمرادهم.

مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُما بَايَعْتُمانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُما لِي عَلَيْكُمَا ٱلسَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا ٱلطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا ٱلْمَعْصِيَةَ(١٠).

وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُما بِأَحَقِّ ٱلْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَٱلْكِتْمانِ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا ٱلْأَمْرَ قَبْلَ(١١) أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ.

وَقَدْ زَعَمْتُما أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمانَ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنكُمَا(١٢) مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِقَدْرِ مَا ٱحْتَمَلَ(١٣).

فَارْجِعَا أَيُّهَا ٱلشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا؛ فَإِنَّ ٱلْآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا ٱلْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ ٱلْعَارُ وَٱلنَّارُ، وَٱلسَّلامُ.

يوجه الامام الخطاب إلى كلّ من طلحة والزبير باعتبارهما قادة المعارضة لحكم الإمام بعد البيعة له، ويشير الإمام الى الخصائص التي سادت الموقف والتي بينها التاريخ الاسلامي وان كلا من طلحة والزبير كان لهما خيارات، واختاروا البيعة له خاصة، ثمّ اتهامه بقتل عثمان، وما يقتضيه الواجب الاسلامي بعد بيان الحقيقة.

وافتح الكتاب بالخصائص التالية:

أوّلاً: (أما بعد، فقد علمتما وإن كتمتما) ومن هذا الكلام يظهر ان هذا الكتاب رسالة جوابية وان الرسالة الاولى منهما قد تضمنت هذه الحقائق التي علمها كلّ منهما كسائر المسلمين في ذلك العصر، كما بينه التاريخ الاسلامي .

(أني لم أرد الناس حتّى أرادوني) فكان التوجه إلى بيعة الإمام من المسلمين في المدينة عامة، ولم يكن بطلب من الإمام، بل قد رفض في البداية قائلا: (دعوني والتمسوا

---

(٧) في ب و ط: لحرص، وفي هـ. ب: في نسخة: لعرض، وفي هـ. د: لحرص ـح م وهامش ن م ع ش، لحريص ـل.
(٨) في ب: حاصر ـظاهراً ـ، وفي هـ. ب: مانع، وفي هـ. ص: أي مال موجود فرقته عليهم، انتهى من الشرح.
(٩) في هـ. ب: نقضا بيعته، فقال عليه السلام: فارجعا.
(١٠) في هـ. ب: أي لي حجة وسبيلاً إلى أن أقول: لم بايعتماني ثم نقضتما بيعتي؟.
(١١) في هـ. د: من قبل ـض ب ن.
(١٢) في هـ. ب: أي نسأل ممن ليس معكم ولا معي، وإنّما تخلّف عنا حتى يقول التبعة عليّ أو عليكما.
(١٣) في هـ. ب: أي فعل.

غيري).[١]

(ولم أبايعهم حتّى بايعوني) فلم تكن المبادرة منه، بل من المسلمين عامة بالبيعة الجماهيرية تختلف من حيث الكمية عن غيرها، فكان قبول البيعة تحت الالحاح الجماهيري.

(وإنكما ممّن أرادني وبايعني) وكان في جمهور الصحابة كلّ من طلحة والزبير نفسيهما حيث بادرا الى بيعة الإمام وبايعاه فيمن بايع من الصحابة.

(وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب) حيث لم يكن للإمام سلطة قبل البيعة، وإنّما كانت البيعة قبل السلطة.

(ولا لعرض حاضر) العرض: المال، حيث لم يوزع الإمام مالا لاحد، ولم يعد احداً بذلك، لا قبل البيعة ولا بعدها.

وهذه الخصائص الاربع مشروحة في التاريخ الاسلامي، واشار اليها ابن أبي الحديد(ت / ٦٥٦ هـ) في شرح النهج ١٧ : ١٣٤، ط /١٣١٢هـ.

وعن الخيارات المتاحة لكافة المسلمين ومنهم طلحة والزبير حين البيعة قال عن الخيار الأوّل:

(فإن كنتما بايعتماني طائعين) فقد انعقدت البيعة ولابد من الالتزام باثارها.

(فارجعا وتوبا إلى الله من قريب) بسبب اعلان المعارضة بعد البيعة؛ فإنّ نقض البيعة بعد انعقادها بالاختيار ـ كما هو المفروض ـ محرم شرعاً.

الخيار الثاني:(وإن كنتما بايعتماني كارهين)، والكاره: من لم يرعب في البيعة ويقوم بها، ويفترق عن المكره، وهو المجبر على الشئ، وحيث انّه لم يكن في بيعة الإمام أيّ اكراه من ايّة جهة كما هو مثبت في التاريخ، فاحتمال انهما بايعا كارهين لا مكرهين، والعهود والعقود ـ ومنها البيعة ـ انما تعقد بظاهرها الذي هو امارة على القصد، ولا يعلم ما في النيات والقلوب سوى الله سبحانه.

وحيث تحققت البيعة منهما من دون اكراه انعقدت عليها كما ينعقد أي عقد شرعي بظاهر القبول.

---

(١) راجع الخطبة: ٩٠.

وأشار الى أن هذا الخيار الثاني مرفوض بقوله:

١ ـ (فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية) حيث أن اظهار الطاعة حصل، ودعوى اسرار المعصية هو النفاق ولم يظهر، فتكون البيعة معقودة باعلان الطاعة.

٢ ـ (ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان) فإنّه لم يكن سبب يدعوا إلى التقية والكتمان، فان جمعا من الصحابة امتنعوا من بيعة الإمام منهم عبدالله بن عمر، ولم يجبرهم الإمام على البيعة، فكان حالهما حاله.

الخيار الثالث :(وإن دفعكما هذا الأمر من قبل إن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به)؛ فإنّ الحرية كانت لكل من البيعة وغيرها، فكان لكل من طلحة والزبير عدم البيعة في البداية، وهذا الخيار كان اسهل من الدخول في البيعة ثمّ نكثها؛ فإنّ نكث البيعة محرمة شرعاً، دون عدم الدخول فيها.

وحيث أن كلا من طلحة والزبير قاما بالخيار الأوّل، وهو البيعة طوعاً، كما هو ظاهر البيعة، فتكون البيعة ملزمة لا يجوز نقضها.

وعن الاتهام بقتل عثمان قال:

(وقد زعمتما أني قتلت عثمان) فهذه تهمة تفتقر إلى حكم شرعي فيها، يكون المدعي فيها كل من طلحة والزبير، والمدعي عليه علياً.

و أشار الإمام إلى التحقيق في هذه التهمة من جهة مستقلة لا ترتبط بأي من المدعي والمدعى عليه فقال:

(فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة) وهي جماعة ذكرهم الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، بقوله: «الجماعة التي لم تنصر عليا ولا طلحة كمحمد بن مسلمة واسامة بن زيد وعبدالله بن عمر وغيرهم».[١]

(ثم يلزم كلّ امرئ بقدر ما احتمل) من المؤاخذات فيكون قرار الحكم بيد هذه الجهة المستقلة.

و سبحان الله، لا اعرف في التاريخ خليفة انعقدت عليه البيعة العامة الجماهيرية

(١) شرح النهج ١٧ : ١٣٤، ط /١٣٨٢.

يقترح الرضوخ إلى محكمة مستقلة في التحقيق كما قام به الإمام عليه السلام.

وعن الواجب الاسلامي في الموقف قال:

ـ (فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما) في المعارضة المسلحة التي لا تستند الى حجة قانونية اسلامية، فان الرجوع إلى الحق واجب اسلامي، وبعد شرح الحقائق لا مصير سواى احد احتمالين:

الأوّل: قبول الواجب الاسلامي واعتباره عاراً، وعلق عليه بقوله:

(فإن الآن أعظم أمركما العار) كما يعتقده من ليس له رؤية واضحة للثوابت الاسلامية.

الثاني: رفض الواجب الاسلامي، وعلق عليه بقوله:

(من قبل أن يجتمع العار والنار . والسلام).

فان رفض الواجب الاسلامي تنكر للمبادي والوسائل والاعراف الاسلامية التي تتعقب العار في التاريخ في الدنيا والعذاب النار في الآخرة نعوذ بالله منهما.

قال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:« ب د ع، عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن حذيفة بن جهمة بن غاضرة ابن حبشية بن كعب بن عمرو الخزاعي الكعبي قاله ابن منده وأبو نعيم وقال أبو عمر وعبد نهم بن سالم بن غاضرة وقال الكلبي عبد نهم بن جرمة بن جهيمة واتفقوا في الباقي يكنى أبا نجيد بابنه نجيد أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله غزوات بعثة عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فضلاء الصحابة واستقضاه عبد الله بن عامر على البصرة فأقام قاضيا يسيرا ثم استعفى فأعفاه قال محمّد بن سيرين لم نر في البصرة أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يفضل على عمران بن حصين وكان مجاب الدعوة ولم يشهد الفتنة روى عن النبي صلى الله عليه وآله وروى عنه الحسن وابن سيرين وغيرهما أنبأنا إسماعيل وإبراهيم وغيرهما باسنادهم إلى محمّد بن عيسى قال أنبأنا محمّد بن بشار حدثنا محمّد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن الكي قال عمران فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا وكان في مرضه تسلم عليه الملائكة فاكتوى ففقد التسليم ثم عادت إليه وكان به استسقاء فطال به سنين كثيرة وهو صابر عليه وشق بطنه وأخذ منه شحم وثقب له سرير فبقي عليه ثلاثين سنة ودخل عليه رجل فقال يا أبا نجيد والله انه ليمنعني من عيادتك ما أرى بك فقال يا ابن أخي فلا تجلس فوالله ان أحب ذلك إلي أحبه إلى الله عز وجل وتوفي بالبصرة

سنه اثنتين وخمسين وكان أبيض الرأس واللحية وبقي له عقب بالبصرة».[١]

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«

[عمران بن الحصين]

هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد بن نهم بن سالم بن غاضرة بن سلول ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي . يكنى أبا بجيد بابنه بجيد بن عمران . أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر ، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، يقول أهل البصرة عنه : إنه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتوى . وقال محمّد بن سيرين : أفضل من نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ عمران بن الحصين وأبو بكرة . واستقضاه عبد الله بن عامر بن كريز على البصرة فعمل له أياما ، ثم استعفاه فأعفاه ، ومات بالبصرة سنه اثنتين وخمسين في أيام معاوية».[٢]

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد:«١٠٠١ – محمّد بن عبد الله ، أبو جعفر المعروف بالإسكافي : أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين ، له تصانيف معروفة . وكان الحسين بن علي الكرابيسي يتكلم معه ويناظره ، وبلغني أنه مات في سنة أربعين ومائتين».[٣]

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«

[أبو جعفر الإسكافي]

وأما أبو جعفر الإسكافي – وهو شيخنا محمّد بن عبد الله الإسكافي – عده قاضي القضاة في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة مع عباد بن سليمان الصيمري ، ومع زرقان ، ومع عيسى بن الهيثم الصوفي ، وجعل أول الطبقة ثمامة بن أشرس أبا معن ، ثم أبا عثمان الجاحظ ، ثم أبا موسى عيسى بن صبيح المردار ، ثم أبا عمران يونس بن عمران ثم محمّد بن شبيب ، ثم محمّد بن إسماعيل بن العسكري ، ثم عبد الكريم بن روح العسكري ، ثم أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، ثم أبا الحسين الصالحي ، ثم الجعفران ، جعفر بن جرير وجعفر بن ميسر ثم أبا عمران بن النقاش ، ثم أبا سعيد أحمد ابن سعيد الأسدي ، ثم عباد

---

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٤: ١٣٧ – ١٣٨.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ١٣٢.
(٣) تاريخ بغداد ؛ للخطيب البغدادي ٣ : ٣٤ .

بن سليمان ثم أبا جعفر الإسكافي هذا . وقال : كان أبو جعفر فاضلا عالما ، وصنف سبعين كتابا في علم الكلام . وهو الذي نقض كتاب " العثمانية " على أبى عثمان الجاحظ في حياته ، ودخل الجاحظ الوراقين ببغداد ، فقال من هذا الغلام السوادي الذي بلغني أنه تعرض لنقض كتابي ! وأبو جعفر جالس ! فاختفى منه حتى لم يره . وكان أبو جعفر يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد ، ويبالغ في ذلك ، وكان علوي الرأي محققا منصفا ، قليل العصبية». (١)

وقال أيضا ما نصّه:« ثم نعود إلى شرح ألفاظ الفصل ومعانيه : قوله عليه السلام : " لم أرد الناس : أي لم أرد الولاية عليهم حتى أرادوا هم منى ذلك . قال : " ولم أبايعهم حتى بايعوني " ، أي لم أمدد يدي إليهم مد الطلب والحرص على الامر ، ولم أمددها إلا بعد أن خاطبوني بالإمرة والخلافة ، وقالوا بألسنتهم : قد بايعناك ، فحينئذ مددت يدي إليهم . قال : ولم يبايعني العامة والمسلمون لسلطان غصبهم وقهرهم على ذلك ، ولا لحرص حاضر ، أي مال موجود فرقته عليهم . ثم قسم عليهما الكلام ، فقال : إن كنتما بايعتماني طوعا عن رضا فقد وجب عليكما الرجوع ، لأنه لا وجه لانتقاض تلك البيعة ، وإن كنتما بايعتماني مكرهين عليها فالإكراه له صورة ، وهي أن يجرد السيف ويمد العنق ، ولم يكن قد وقع ذلك ، ولا يمكنكما أن تدعياه ، وإن كنتما بايعتماني لا عن رضا ولا مكرهين بل كارهين ، وبين المكره والكاره فرق بين ، فالأمور الشرعية إنما تبنى على الظاهر ، وقد جعلتما لي على أنفسكما السبيل بإظهاركما الطاعة ، والدخول فيما دخل فيه الناس ، ولا اعتبار بما أسررتما من كراهية ذلك . على أنه لو كان عندي ما يكرهه المسلمون لكان المهاجرون في كراهية ذلك سواء ، فما الذي جعلكما أحق المهاجرين كلهم بالكتمان والتقية ! . ثم قال : وقد كان امتناعكما عن البيعة في مبدأ الامر أجمل من دخولكما فيها ثم نكثها . قال : وقد زعمتما أن الشبهة التي دخلت عليكما في أمري أنى قتلت عثمان ، وقد جعلت الحكم بيني وبينكما من تخلف عنى وعنكما من أهل المدينة ، أي الجماعة التي لم تنصر عليا ولا طلحة كمحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم ، يعنى أنهم غير متهمين عليه ولا على طلحة والزبير ، فإذا حكموا لزم كل امرئ منا بقدر ما تقتضيه

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ١٣٢ ـ ١٣٣.

الشهادات . ولا شبهة أنهم لو حكموا وشهدوا بصوره الحال لحكموا ببراءة علي عليه السلام من دم عثمان وبأن طلحة كان هو الجملة والتفصيل في أمره وحصره ، وقتله ، وكان الزبير مساعدا له على ذلك ، وإن لم يكن مكاشفا مكاشفة طلحة . ثم نهاهما عن الاصرار على الخطيئة ، وقال لهما : إنكما إنما تخافان العار في رجوعكما وانصرا فكما عن الحرب ، فإن لم ترجعا اجتمع عليكما العار والنار ، أما العار فلأنكما تهزمان وتفران عند اللقاء فتعيران بذلك ، وأيضا سيكشف للناس أنكما كنتما على باطل فتعيران بذلك ، وأما النار فإليها مصير العصاة إذا ماتوا على غير توبة واحتمال العار ، وحده أهون من احتماله واحتمال النار معه». [١]

[٥٥]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى مُعاوِيَةَ، أشار فيه إلى بعض عن حقائق الدنيا بقوله:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللّهَ سُبْحانَهُ جَعَلَ[٢] ٱلدُّنْيا لِمَا بَعْدَها[٣]، وَٱبْتَلى[٤] فِيها أَهْلَها لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً[٥]، وَلَسْنا لِلدُّنْيا خُلِقْنا، وَلا بِالسَّعْيِ فِيها أُمِرْنا، وَإِنَّما وُضِعْنا فِيها لِنُبْتَلى بِها[٦]، وَقَدِ ٱبْتَلَانِي اللهُ[٧] بِكَ، وَٱبْتَلَاكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنا حُجَّةً عَلَى ٱلآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلَى ٱلدُّنْيا بِتَأْوِيلِ ٱلْقُرْآنِ[٨]، فَطَلَبْتَنِي بمَا لَمْ تَجْنِ يَدَيَّ وَلا لِسَانِي، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ ٱلشَّامِ بِي، وَأَلَّبَ[٩] عالِمُكُمْ جاهِلَكُمْ، وَقائِمُكُمْ قاعِدَكُمْ.

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ١٣٣ ـ ١٣٤.
(٢) في هـ . د: قد جعل ـ ض ب.
(٣) في هـ . ب: أي الآخرة.
(٤) في هـ . ب: امتحن.
(٥) في هـ . ص: أي أن حاله في ذلك حال من يريد أن يعلم أمر المختبر، وإن كان سبحانه عالماً بأمرهم وما يكون منه عند الاختبار، لكن ليظهر الأفعال التي بها الثواب والعقاب، وسيأتي مثل هذا التفسير في كلامه عليه السلام، وهذا من باب التمثيل، وفي كلامه عليه السلام هذا تأصيل وكشف لما قد قررناه سابقاً من أن أفعال الله عزّ وجلّ في العباد وتكليفهم للبلوى ليظهر الأثر المعلوم لله تعالى فيتعلق به الثواب والعقاب.
(٦) في هـ . ب: لنبتلي أي لتكلّف ونمتحن.
(٧) لم ترد لفظة الجلاله في أ ب ص، وفي هـ . ب: كلفني الله، وفي هـ . د: ابتلاني الله ـ ض ح ب.
(٨) في هـ . ص: قول: «فعدوت» من عدا السبع على الفريسة، أي وثب، أي أنّ طلب الدنيا كان ممنوعاً منك بالحجج الشرعية فوثبت عليه واصطدته بتأويل القرآن وإظهارك الطلب بدم عثمان وزعمك إنّك وليّه.
(٩) في هـ . ب: جمع.

فَاتَّقِ ٱللّٰهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ ٱلشَّيْطانَ قِيادَكَ، وَٱصْرِفْ إِلَى ٱلْآخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنا وَطَرِيقُكَ، وَٱحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ ٱللّٰهُ مِنْهُ بِعاجِلِ قارِعَةٍ[١] تَمَسُّ[٢] ٱلْأَصْلَ وَتَقْطَعُ ٱلدَّابِرَ[٣]، فَإِنِّي أُولِي[٤] لَكَ بِاللّٰهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فاجِرَةٍ[٥]، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيّاكَ جَوَامِعُ ٱلْأَقْدارِ[٦]، لا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ[٧] حتّى يَحْكُمَ ٱللّٰهُ بَيْنَنا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِين.

فعن خصائص الدنيا ، قال:

(أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحانَهُ جَعَلَ ٱلدُّنْيا لِمَا بَعْدَها) حيث لم يخاد فيها أحد من الانبياء والعظماء كماكانت أدوارهم في الحياة فيها، فكانت الدنيا مسيرة فقط للحياة حتى الوصول الى ما بعدها من الآخرة والخلود في التاريخ بالأعمال.

(وَٱبْتَلى فِيها أَهْلَها؛ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) والابتلاء: الامتحان بأداء الانسان مسؤولياته الانسانية فيها.

(وَلَسْنا لِلدُّنْيا خُلِقْنا) اذ لو كان كذلك لخاد اتلناس فيها، بل خلق الخلق فيها للامتحان.

(وَلا بِالسَّعْيِ فِيها أُمِرْنا) بل امرنا بالسعي فيها للآخرة وليس لاجل الدنيا .

(وَإِنَّما وُضِعْنا فِيها لِنُبْتَلى بِها) فان الانسان يعيش في الدنيا كما يعيش في مرحلة زمنيّة موقتة للابتلاء والامتحان فقط كما قال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[٨]

وعن الامتحان في الدنيا، قال:

أوّلاً: (وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي)؛ فإنّ الامتحان بالنسبة إلى الطرفين، كما أن كلا من يعيش على الارض ممتحن، فيكون العامل الناجح في الحياة حجة على من الكاسل الذي لا يعمل، وكل منهما يكشف عن طبيعته الذاتية التي يتحرك على أساسها في الحياة، العمل أو الكسل.

---

(١) في هـ. ب: داهية مهلكة.
(٢) في هـ. ب: تصيب.
(٣) في هـ. ب: أي الأصل، وفي هـ. ص: أي العقب.
(٤) في هـ. ب: احلف، وفي هـ. ص: أي اقسم.
(٥) في هـ. ب: أي زور.
(٦) في هـ. ب: جمع قدر، يعني نبقى في عصرنا.
(٧) في هـ. ب: ساحتك، وفي هـ. ص: هي العرصة، وروي بناحيتك وبساحتك.
(٨) الكهف : ١٨ / ٧.

ثانياً: (فجعل أحدنا حجة على الآخر)؛ فإنّ الحق حجة على الباطل، كما أن الباطل حجة على الحق، فلولا وجود الباطل لما عرف الحق كونه حقا، ولولا وجود الحق لما عرف الباطل كونه باطلا، ولا يخلوا الارض من حجة لله سبحانه على الخلق اجمعين.

ثالثاً: أشار إلى موقف معاوية باعتباره الخارج على الخلافة الاسلاميّة التي انعقدت بالشورى، فقال:

١ ـ (فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن) العدو: الوثبة، وذلك بتمييع المفاهيم الاسلاميّة التي تحذر من الدنيا وتاويل القرآن حسب تلك المفاهيم الغريبة عن الاسلام والبعيدة عن السنة النبوية.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «وتاويل القرآن ما كان معاوية يموّه به على اهل الشام فيقول: انا ولي عثمان، وقد قال الله تعالى:﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾.[1] (راجع: شرح النهج ١٧ :١٣٦، ط /١٣٨٢).

٣ ـ(فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني) من المطالبة بدم عثمان، حيث أن مواقف الإمام هي الدفاع عن عثمان وحمل الماء اليه حين الحصار معروفة في التاريخ.

وهذه المطالبة نقض للثوابت الاسلامية؛ فإنّ ولي المقتول هو ولده ابان، والمطالبة يجب أن يكون بالرجوع إلى من انعقدت الخلافة له، لا المعارضة المسلحة ضده.

٣ ـ(وعصبته أنت وأهل الشام بي) اي وجهت الاتهام إلي والصقته بي كما تلزم العصابة الرأس، تحت شعار قميص عثمان مع العلم بالبراءة من الاتهام؛ لغرض الدعاية السياسية.

٤ ـ (وألب عالمكم جاهلكم) التأليب: التحريض؛ فإنّ سياسة معاوية المعارضة استخدمت العلماء لتحريض على الجهال، كما هو الشان في كلّ الدول المادية.

٥ ـ(وقائمكم قاعدكم) وتحريض القائمين بالمعارضة المسلحة للقاعدين عنها.

وعن الموعظة قال:

١ ـ(فاتق الله في نفسك) ولم يترك الإمام واجب الوعظ في مثل هذه الحالة السافرة.

٢ ـ (ونازع الشيطان قيادك) وهو الزمام الذي بيد الشيطان ويجره إلى عبادة الدنيا والتنكر للمبادي الاسلامية.

---

(١) الاسراء :٣٣.

٣ ـ(واصرف إلى الآخرة وجهك) كما امر الله سحبانه بقوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.(١) (القصص : ٨٣).

٤ ـ (فهي طريقنا وطريقك)؛ فإنّ كلّ البشر يسير نحو هذه النهاية.

٥ ـ (واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل وتقطع الدابر) والقارعة: المصيبة؛ فإنّ الحرب ضد الخلافة القائمة بالشورى مصيبة على الاسلام والمسلمين، فيشمل المعتدى عاجلا أم اجلاً، ويمس الاصول الاسلامية كما يقطع الآخر وهو الدابر.

وهذه المواعظ واجب الاسلامي لم يتركها الإمام حتى في مثل هذا الموقف، لا لشئ سوى العمل بالمسؤولية.

وعن الانذار قال مؤكدا:

أوّلاً: ـ (فإني أولى لك بالله ألية غير فاجرة) والالية: القسم والحلف بالله حلفا صادقا.

ثانياً: (لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار) مشيرا إلى المواجهة في ساحة الحرب في صفين.

ثالثاً: (لا أزال بباحتك) والباحة: الساحة، مشيراً إلى الاستعداد للمواجة كما تتطلبه المسؤولية الاسلامية من جهاد البغاة الذين امر الله سبحانه بمحاربتهم في قوله تعالى:﴿فجاهدوا التي تبغي حتّى تفئ الى أمر الله﴾.(٢)

ثم أشار إلى أن ذلك ما يقتضيه الواجب الاسلامي محتجا بقوله تعالى:﴿حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾.(٣)

فان الحرب الاسلامية العقائدية انما هي لتحقيق المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة باحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

وهذه السياسة العدانية العلنه من جانب معاوية وهو المسيطر على منطقة الشام ضد قيادة الخلافة الاسلامية المتمثلة بالإمام تعتبر من اصعب مراحل الامتحان للإمام، من ناحية، حيث يجب أن تكون مواقفه سائرة على الثوابت الاسلامية، ولمعاوية من ناحية اخرى حيث تظهر مدى التزامه بتلك الثوابت الاسلامية.

---

(١) .

(٢) الحجرات : ٩ .

(٣) الاعراف : ٨٧ .

[٥٦]

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام وَصّى بِهِ شُرَيْحَ بْنَ هانِئٍ لَمّا جَعَلَهُ عَلى مُقَدِّمَتِهِ إِلَى ٱلشّامِ:

ٱتَّقِ ٱللّهَ فِي كُلِّ صَباحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ(١) عَلى نَفْسِكَ ٱلدُّنْيَا ٱلْغُرُورَ(٢)، وَلا تَأْمَنْها عَلى حَالٍ، وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ(٣) نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخافَةَ مَكْرُوهَةٍ(٤)، سَمَتْ(٥) بِكَ ٱلْأَهْوَاءُ إِلى كَثِيرٍ مِنَ ٱلضَّرَرِ، فَكُنْ لِنفْسِكَ مانِعاً رَادِعاً، وَلِنَزْوَتِكَ(٦) عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ(٧) وَاقِماً(٨) قامِعاً(٩).

(١/ك ٥٦) ضبط النفس:

أكد عليه السلام فى هذا المقطع من الوصية على ضرورة ضبط النفس من الانزلاق إلى الهوى وتخصيص الإمام عليه السلام شريح بن هاني في الوصية لسفارته عن الإمام إلى الشام يكشف عن مدى حذره من خطط معاوية من التغرير بالسفراء بانواع المغريات المادية والشبهات النفسية التي تقع في محالها عند ضعاف النفوس، فكان التأكيد على ضبط النفس ومخالفة هواها امراً ضروريا للسفراء في نقاط:

١ ـ (اتق الله)؛ فإنّ التقوى عماد الدين، وهدف القرآن الكريم الذي انزله الله هدى للمتقين، كما قال في كتابه المبين، وأي عمل بدون تقوى الله يكون فاقداً لروح الدين في كلّ الحالات من حيث الزمان والمكان.

٢ ـ (في كلّ صباح) باعتباره مبتدأ الحياة اليومية: فيكون بداية المنهاج اليومي لكل انسان.

٣ ـ(ومساء) باعتباره نهاية العمل اليومي وبداية رحلة النوم أي العمل من جديد في غيره.

---

(١) في هـ. ب: من الخوف.
(٢) في هـ. ب: الغارّة.
(٣) في هـ. ب: أي نزجر، وفي هـ. ص: أي تدفع وتكفّ.
(٤) في هـ. د: مكروه ـ ض ب.
(٥) في هـ. ب: ارتفعت.
(٦) في ص: ولنزواتك، وفي هـ. ب: وثبتك، وفي هـ. ص: أي وثباتك.
(٧) في هـ. ص: الحفيظة: الغضب، وفي هـ. ب: الحمية.
(٨) في هـ. ب: منكراً، وفي هـ. ص: الواقم فاعل، من وقمته: أي رددته أقبح الردّ.
(٩) في هـ. ب: قاهراً.

٤ ـ (وخف على نفسك الدنيا الغرور)؛ فإنّ الغرور صفة ملازمة مع الدنيا لا ينفكان، وهذا مرض نفسانيّ فاما يبتلي به الإنسان أو يكون منه في امان، وليس بين الصحة والمرض واسطة.

٥ ـ (ولا تأمنها على حال)؛ فإنّ المرض مرض والامن منه ليس إلّا بالقضاء عليه، ولو امن الإنسان منه في حالة ما اذا استقر في البدن وتوسع فلا يمكن القضاء عليه اذا استحفل، والوقاية افضل من العلاج.

٦ ـ (واعلم أنك إن لم تردع نفسك عن كثير بما تحب مخافة مكروهه) سواءً بالاهمال لواجب الوقاية، أو اعتقاد أن الضرر يمكن تداركه، أو الخوف من فوات الفرصة خوفاً من مكروه في الحاضر والمستقبل لكانت النتيجة:

١ ـ (سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر) والسمو: الارتفاع؛ فإنّ هوى النفس تزداد وترتفع وتتقوى كما يتقوى المرض بنمو جرثومته، ويزداد المرض سوءاً ويستفحل، ويفتقر الى دواء اقوى، والعاقل لا يمرّض نفسه اعتماداً على وجود دواء للمرض، بل يحاول المنع من حدوثه أوّلاً، والقضاء عليه في اولى مراحله، وكذلك الامراض النفسية التي منها حبّ الدنيا والاغترار بها، فلابد من ردع النفس وضبطها من البداية حتى لا توقع الإنسان في مشكلة مستعصية في النهاية.

٧ ـ (فكن لنفسك مانعا) من الوقوع في فخّ مغريات الدنيا في البداية.

٨ ـ (رادعا) عن التوجه اليها فيما اذا مالت النفس اليها بضبط عنها.

٩ ـ (ولنزوتك عند الحفيظة واقما) والنزوة: السرعة، والحفيظة: الغضب، والوقم: القهر، فيما اذا ازدادت الرغبة، واصبح النفس مسرعاً إلى تلك المغريات الطبيعية في الانسان.

١٠ ـ (قامعا) والقمع: استئصال الشئ من اصله والقضاء عليه قضاءً تاما، كأمراض الجسم، فلا يمكن التخلص منه إلّا بالقضاء على جرثومة المرض نهائيا، اذ لو بقي له اي مادّة لنمى واستفحل من جديد، فكذلك المرض النفسانيّ لابدّ من استئصاله من الاصل والقضاء عليه، وان جرثومة هذا المرض النفساني هو حبّ الدنيا الداعي إلى الوقوع في حبائل ومغريات الحياة والمادة والماديات.

وهذه النقاط العشر اصلية في أيّ انسان يسير نحو الكمال الإنساني في الحياة، وكلما اقترب إلى الكمال ابتعد عن المادة والماديات، والله الموفق.

أسد الغابة – ابن الأثير – ج ٢ – ص ٣٩٦ – ٣٩٥

) د ع ب، شريح بن هانئ بن يزيد بن الحارث ابن كعب وقيل شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب واسمه سلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الحارثي أدرك النبيﷺ ودعا له وبه كنى النبيﷺ أباه أبا شريح ولأبيه صحبة، وكان شريح يكنى أبا المقدام روى عن علي وسعد بن أبي وقاص وعائشة وسمع أباه هانئا روى عنه ابناه محمّد والمقدام والشعبي ويونس بن أبي إسحاق وكان من أعيان أصحاب علي وشهد معه حروبه وشهد الحكمين بدومة الجندل وبقى دهرا طويلا وسار إلى سجستان غازيا فقتل بها سنة ثمان وسبعين وكان قد أخذ الكفار على المسلمين الطريق وحفظوا عليهم الدروب التي في الجبال فقتل عامة ذلك الجيش وقال شريح ذلك اليوم:

أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا ... قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمت أدركت النبي المنذرا ... وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا ... والجمع في صفينهم والنهرا
وباخميراوات والمشقرا ... هيهات ما أطول هذا عمرا

قيل إنه عاش مائة وعشرين سنة. أخرجه الثلاثة»[١].

قال ابن أبي الحديد:«[شريح بن هانئ] الشرح : هو شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب ، وهو سلمه ابن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب المذحجي . كان هانئ يكنى في الجاهلية أبا الحكم ، لأنه كان يحكم بينهم ، فكناه رسول اللهبأبي شريح ، إذ وفد عليه ، وابنه شريح هذا من جلة أصحاب عليعليه السلام ، شهد معه المشاهد كلها ، وعاش حتى قتل بسجستان في زمن الحجاج ، وشريح جاهلي إسلامي ، يكنى أبا المقدام ، ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب ».[٢]

[٥٧]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلى أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هذا[٣] إِمّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا باغِياً وَإِمَّا مَبْغِيّاً

---

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٢ : ٣٩٥ – ٣٩٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٨ ـ ٣٩.

(٣) في أ ب و ط: عن حيي هذا، وفي ص: مخرجي هذا، وفي هـ. ص: في نسخة: عن حيّي هذا

عَلَيْهِ[١]، وَإِنِّي أُذَكِّرُ اللّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هذَا لَمّا[٢] نَفَرَ إِلَيَّ[٣]، فَإِن كُنْتُ مُحْسِناً أَعانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي[٤].

يجسد هذا المقطع القصير الدعوة الاسلامية العالمية، كما بشر بها الرسول القائدﷺ، وذلك برفض امرين، هما: الاقليمية والعنصرية، وذلك بالدعوة إلى الثوابت الاسلامية الموجهة إلى كلّ طبقات الشعب المسلم.

وقد وجه الكتاب إلى اهل الكوفة باعتبارها مركز قيادة الجيش، مستنهضا اياهم لمواكبة الدعوة الاسلامية العالمية فقال:

أوّلاً: ـ عن رفض الاقيلمية (أما بعد، فإني خرجت من حيي هذا) والحي: موطنه في المدينة المنورة، وذلك اعلان منه بأن الدعوة ليست اقليمية تنحصر بها، فكما هاجر النبيﷺ من مكه المكرمة التي هي أقدس أرض، الى المدينة من اجل تطبيق الدعوة الاسلامية، وكذلك خرج الإمام من المدينة لنفس الهدف الاسلامي، وهذا رفض للاقليمية كمبدأ غير اسلامي .

ثانياً: وعن رفض العنصرية افاد: أن الحالات المتصورة في هذا الخروج اربع ، هي:

١ ـ (إما ظالما) بالميل عن الصراط المستقيم في أن لا يكون مبرراً للخروج.

٢ ـ (وإما مظلوما) بالضرورة الداعية إلى الخروج فيكون اضطراريا.

٣ ـ (وإما باغيا) بالخروج على من انعقدت له البيعة بالخلافة بالشورى.

٤ ـ (وإما مبغيا عليه) بالدفاع عن الحق الشرعي لخروج البغاة عليه.

وهذه الحالات الاربع تفتقر إلى التثبّت حتّى تتضح حقائق الامور، فيتخذ الشعب المسلم قراره في ذلك، اما نفيا أو اثباتا بحرية تامة.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة مانصه:«ما أحسن هذا التقسيم وما أبلغه في

في هـ. د: عن حيي ـ ش.

(١) في هـ. ص: في نسخة: عليّ.

(٢) في هـ. ب: إلّا، وفي هـ. ص: بالتشديد، بمعنى إلّا، وقرأ قوله: تعالى: ﴿إن كل نفس لمّا عليها حافظ﴾ بالتشديد.

(٣) في هـ. ب: نهض إليّ.

(٤) في هـ. ب: طلب العتاب منّي حتى أهمل هذا الأمر، وفي هـ. ص: أي طلب مني إزالة العتب والإنابة.

عطف القلوب عليه ، واستماله النفوس إليه ! قال : لا يخلو حالى في خروجي من أحد أمرين : إما أن أكون ظالما أو مظلوما ، وبدأ بالظالم هضما لنفسه ، ولئلا يقول عدوه : بدأ بدعوى كونه مظلوما ، فأعطى عدوه من نفسه ما أراد . قال : فلينفر المسلمون إلى فإن وجدوني مظلوما أعانوني ، وإن وجدوني ظالما نهونى عن ظلمي لاعتب وأنيب إلى الحق . وهذا كلام حسن ، ومراده عليه السلام يحصل على كلا الوجهين ، لانه إنما أراد أن يستنفرهم ، وهذان الوجهان يقتضيان نفيرهم إليه على كل حال ، والحى : المنزل ، ولما هاهنا بمعنى إلا ، كقوله تعالى :) إن كل نفس لما عليها حافظ)[1] في قراءة من قرأها بالتشديد».[2]

وثالثاً: عن الثوابت الاسلامية في الدعوة قال:

١ ـ (وإني أذكر الله من بلغه كتابي هذا) من عامة طبقات المجتمع الاسلامي، فكل من يحقق على هذا الاعلان لابدّ وان يؤدّي مسؤولية الاسلامية برؤية واضحة.

٢ ـ (لما نفر إلي) والنفر: السرعة في المتابعة في سبيل الله تعالى عملاً بالواجب الاسلامي في الجيش الاسلامي الشعبي، حيث ذكر سبحانه بقوله:﴿يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعا﴾.[3]

كما هو المطلوب من الجيش العقائدي الذي قام عليه الاسلام منذ بداية الدعوة الاسلامية .

ورابعاً: عن الحرية الكاملة في المناقشة، قال:

١ ـ (فإن كنت محسنا أعانني) فيما اذا رأى أن الخروج انما هو على أساس الثوابت في الدعوة الاسلامية في الجيش العقائدي الجماهيري، كما هي مقترحة في القيادة الاسلاميّة.

٢ ـ (وإن كنت مسيئا استعتبني) بابداء رأيه الواضح والصريح في العتاب على الخروج وتخطئة الموقف.

وبالاجمال: أن المسؤولية الاسلامية على الشعب المسلم بما فيهم القيادات العسكرية أن يؤدّوا واجبهم الاسلامي في هذا الموقف الذي اتخذه الإمام، فاما هو موقف حق أو

(١) سورة الطارق : ٤.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١٧ : ١٤٠.
(٣) النساء : ٧١.

باطل، فلا بد في الحالتين من الحضور للنصر أو المناقشة حتّى تتضح الحقائق ، ومن لا يقوم بواجبه ويجلس ويبدي نظريات شخصية من دون دراسة الحقائق المبدئية لا يكون عاملا بواجبه الاسلامي .

[٥٨]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام كَتَبَهُ إِلى أَهْلِ ٱلْأَمْصارِ يَقْتَصُّ(١) فِيهِ ما جَرى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ صِفِّينَ:

وَكانَ بَدْءُ أَمْرِنا أَنَّا ٱلْتَقَيْنا وَٱلْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ ٱلشّامِ، وَٱلظّاهِرُ(٢) أَنَّ رَبَّنا واحِدٌ، وَنَبِيَّنا واحِدٌ، وَدَعْوَتَنا فِي ٱلْإِسْلامِ واحِدَةٌ، لَا نَسْتَزِيدُهُمْ(٣) فِي ٱلْإِيمَانِ بِاللّهِ وَٱلتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلا يَسْتَزِيدُونَنا، وَٱلْأَمْرُ واحِدٌ إِلّا مَا ٱخْتَلَفْنا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، فَقُلْنا: تَعالَوْا نُدَاوِي ما لَا يُدْرَكُ ٱلْيَوْمَ(٤) بِإِطْفاءِ ٱلنَّائِرَةِ(٥)، وَتَسْكِينِ ٱلْعَامَّةِ حَتّى يَشْتَدَّ ٱلْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلى وَضْعِ ٱلْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكابَرَةِ(٦)، فَأَبَوْا حَتّى جَنَحَتِ(٧) ٱلْحَرْبُ وَرَكَدَتْ(٨)، وَوَقَدَتْ(٩) نِيرَانُها وَحَمِشَتْ(١٠).

فَلَمَّا ضَرَّسَتْنا(١١) وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَها(١٢) فِينَا وَفِيهِمْ، أَجابُوا عِنْدَ ذلِكَ إِلَى ٱلَّذِي دَعَوْناهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْناهُمْ إِلى ما دَعَوْا، وَسارَعْناهُمْ(١٣) إِلى ما طَلَبُوا حَتَّى اسْتَبانَتْ(١٤) عَلَيْهِمُ

---

(١) في ص: يقصّ.
(٢) الواو للحال، أي كان التقاؤنا في حال يظهر فيها أنّنا متحدُون.
(٣) في هـ. ب: من الزيادة، أي لا تطلب منهم زيادة في الإيمان والإسلام.
(٤) في هـ. ص: الأقرب إلى استقامة المعنى تعليق «اليوم» بنداوي وهو المفهوم من تفسير ابن أبي الحديد.
(٥) في هـ. ب: مفعلة من النار.
(٦) في ب: بالمكاثرة، وفي هـ. ب: المفاخرة بكثرة المال.
(٧) في هـ. ب: مالت، وفي هـ. ص: اقبلت.
(٨) في هـ. ب: سكنت وقفت، وفي هـ. ص: دامت وثبتت.
(٩) في هـ. ب: اشتعلت.
(١٠) في ب: وحميت، وفي هـ. ب: في نسخة: حمشت، وفي هـ. ب: حرّت، وفي هـ. د: حمست ـ ض ش، وفي هـ. ب: اسمعت ووقدت، وروي استحمشت، وهو أصح ومن رواها «حمست» بالسين المهملة، أراد: امتدت وصليت، انتهى من الشرح.
(١١) أي عضّتنا بأضراسها.
(١٢) في هـ. ص: المخلب: ظفر السبع، وهذا كلّه من باب الاستعارة، انتهى من الشرح.
(١٣) في هـ. ب: من المسارعة، وفي هـ. ص: عدّاه وإن كان لازماً لتضمّنه يعني المسابقة والمبادرة.
(١٤) في ب: استأنت، وفي هـ. ب: من التباني، أي استقرت.

ٱلْحُجَّةُ وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمُ ٱلْمَعْذِرَةُ، فَمَنْ تَمَّ عَلى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ ٱلَّذِي أَنقَذَهُ[١] ٱللّهُ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ[٢] وَتَمادَى[٣] فَهُوَ ٱلرَّاكِسُ[٤] ٱلَّذِي رَانَ[٥] ٱللّهُ عَلى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ عَلى رَأْسِهِ.

(١ / ك ٥٧) اعلان وقائع صفين:

هذا المقطع اعلان عام عن وقائع صفين لتوعية الشعب المسلم بخصائص من وجهة نظر الإمام، والاعتبار يقتضي أن يكون بعد مسألة التحكيم مباشرة.

ويتضمّن المقطع الاشارة حقائق خمس، قال:

ـ(وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام والظاهر) وفي هذه الجملة اشارة إلى أن المراد بالقوم هم القيادة العسكرية من اهل الشام، وهم لا يمثلون الشعب المسلم في الشام، وكلمة الظاهر يشير إلى أن الواقع لا يوافق هذه الشعارات الظاهرية من القيادة العسكرية.

وعن الخصائص الخمس قال:

الحقيقة الاولى: النقاط المشتركة.

وقد سردها بقوله:

---

(١) في ب: انتقد اللّه، وفي هـ. أ: في الأصل انتقد اللّه، وفي هـ. ب: انقذه اللّه ـ صح.

(٢) في هـ. ب: من اللجاج، وفي هـ. ص: قوله: «ومن لج» اللجاجة في الأمر المغابرة لعيه وعدم الاقلاع عنه؛ حرصاً أو هوى أو عصبية.

(٣) في هـ. ب: من التمادي، وهو الجموح والعمد في الطغيان.

(٤) في هـ. ب: المنكوس، وفي هـ. ص: الراكس إمّا أن يكون فاعلاً كقولهم: الطاعم الكاسي، أي ذو الركس، وهو القلب والتردّد في الضلال، وإمّا أن تكون بمعنى الراكس لنفسه، أي قالبها ورادّها في ضلالها.

(٥) في هـ. ب: غلب، وفي هـ. ص: ران أي غلب وغطى، ونسخة ابن أبي الحديد: ران على قلبه من دون لفظة «اللّه»، قال: أي ران هو، قال: ويجوز إن يكون الفاعل الرين أي ران الرين، دل عليه الفعل، قال: وروي «رين على قلبه»، انتهى.

وأعلم أن نسبة الرين والطبع والإضلال إلى اللّه يذكر أصحابنا فيه تأويلات، وأقربها إلى الذهن ما ذكره القاسم بن إبراهيم: أنّ اللّه يبتدئ عبده بالهدى، فإن زاده هُدِيَ وإن أباه عاقبه بالإضلال والإملاء حتى يستحق أشد العذاب.

وتحقيقه: أنّ اللّه يعاقبه بإمراض قلبه بأن يضربه بالرجس، وهو مرض القلب، كما يعاقب بإمراض البدن فيزيع قلبه، ويقسو ويعمى ويصم.

فالإضلال والطبع موجب عن المرض اقتضاه، والمرض مسبب عن فعل العبد، فنسب ذلك إلى إليه وإلى العبد، واللّه أعلم.

١ ـ (أن ربنا واحد) فكل الاطراف المتحاربة تؤمن بالله الواحد الاحد.

٢ ـ (ونبينا واحد) وكلهم يؤمنون به كخاتم الانبياء.

٣ ـ(ودعوتنا في الاسلام واحدة) فالجميع يؤمن بالاسلام دينا ويعتبر نفسه مسلما.

٤ ـ (لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وآله ولا يستزيدوننا)؛ فإنّ هذه النقاط الثلاث حاصلة، وليس من أيّ جانب منهم دعوى زيادة الايمان عما هو حاصل في الجانبين، فلا خلاف من حيث المبدأ في هذه النقاط المشتركة.

الحقيقة الثانية: في نقطة الخلاف، فقال:

ـ (الأمر واحد إلّا ما اختلفنا فيه من دم عثمان) وفي ذلك اختلاف وجهات النظر بين الإمام ومعاوية .

وعن موقف الإمام نفسه قال:

اوضح الإمام موقفه بقوله:

أوّلاً: ـ (ونحن منه براء) اما الإمام نفسه فهو بلا خلاف، واما صحابه فليس احد منهم بالذات متهم بالقتل، والمتهم بريئ حتّى تثبت عليه الجريمة، كاصل من الثوابت الاسلامية.

ثانياً: ـ (فقلنا تعالوا نداو مالا يدرك اليوم) وذلك اقتراح لفهم المسألة، ومحاولة علاجها، وقد ذكر النقاط التالية في الحل:

١ ـ (بإطفاء النائرة) وهي النار المشتعلة؛ فإنّ العدو يذكيها، والحل لا يمكن في ظل الثورة والغوغاء.

٢ ـ (وتسكين العامة) والعدو يحرّض الغوغاء على الاخلال بالأمن، وفي ظل اختلال الامن لا يمكن الوصول إلى الحل، بل لابدّ من حصول الامن أوّلاً، ثمّ الحل المقبول.

٢ ـ (حتى يشتد الأمر ويستجمع) فتكون السلطة قانونية تحكم في القضية، ويحاكم القاتل على طبق قانون العقوبات الاسلامية.

٤ ـ(فنقوى على وضع الحق مواضعه) بانزال العقوبات الاسلامية على المعتدين حيث شروط الحكم والقضاء في الاسلام بالرجوع إلى حكم الله تعالى وحده.

وعن موقف العدوّ قال:

(فقالوا: بل نداويه بالمكابرة) وهي التكبر بفرض الرأي بالقوة وليس بالرجوع إلى حكم الاسلام في العقوبات؛ فإنّ الموقف الرافض للحكم القائم بالشورى يقتضي عدم

الاعتراف بالحكم الاسلامي أساساً، بل يفرض الرأي على الحكم القائم فرضاً وبالغلبة، وهذا يناقض الاصل الاسلامي في قوله تعالى:﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم﴾.[١]

الحقيقة الثالثة: اندلاع الحرب.

١ ـ (فأبوا حتّى جنحت الحرب) والجنح: الاقبال؛ فإنّ رفض الرضوخ إلى حكم الاسلام في قانون العقوبات والمعارضة المسلحة ضد الحكم القائم بالشورى هي البغي الذي امر الله سبحانه فهم قوله: (وقاتلوا التيّ تبغي حتّى تفيئ إلى امر الله﴾.[٢]

٢ ـ (وركدت) والركود: الدوام والثبات باستمرار الحرب الاهلية في صفّين عام ٣٨.

٣ ـ(ووقدت نيرانها) الوقود: الهاب النار، استعارة لضراوة الحرب.

٤ ـ (وحمست) والحمس: قوة النار بالحطب بشدة الملاحمة في ساحة الحرب، والناتج الطبيعيّ في كل حرب، ومنها هذه الحرب الاهلية الاضرار المتوقعة في الجانبين.

الحقيقة الثالثة: الدعوة الى التحكيم

١ ـ (فلما ضرستنا وإياهم) والضرس: العض، كناية عن اثر الحرب في الجانبين .

٢ ـ (ووضعت مخالبها فينا وفيهم) بالخسارة في نفوس الجانبين من المقتولين في ساحة الحرب.

٣ ـ(أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه) من قبل اندلاع الحرب من الرجوع إلى حكم الله وكان رفضهم السبب في اندلاع الحرب.

٤ ـ (فأجبناهم إلى ما دعوا) من التحكيم؛ لأنّ الواجب الاسلامي يفرض ذلك مهما كانت الظروف والاحوال.

٥ ـ (وسارعناهم إلى ما طلبوا) حيث أن الهدف من الحرب لم يكن الاستعلاء، بل الرضوخ إلى حكم الله تعالى، ومتى ما تحقق ذلك كان هدف الحرب متحققا.

الحقيقة الخامسة: وضوح المواقف.

١ ـ(حتى استبانت عليهم الحجة) لرضوخهم إلى قبول حكم الله.

٢ ـ (وانقطعت منهم المعذرة) فلم يبق لهم عذر في المعارضة المسلحة ضد الحكم

---

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) الحجرات : ٩.

القائم بالشورى.

وعن نتيجة وضوح المواقف قال:

٣ ـ(فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة) وهي القتل على ضلالة، بالالتزام بالحجة الشرعية.

٤ ـ (ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه) والتمادي: الاستمرار في الغي، والركس: النكث، والرين: الغطاء؛ اقتباساً من قوله تعالى:﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

٥ ـ (وصارت دائرة السوء على رأسه) السوء بالضم: الشر والفساد والقبيح، والمعنى الاخير أوفق بالسياق، فان في الموقف وهو الخروج على الحكم القائم بالشورى شرّ وفساد وقبيح يعود شره وفساده وقبحه على صاحبه، ويصبح دائراً على راسه كنقطة سوداء في تاريخ حياته، لا يمكن التخلي عنها؛ فإنّ عيون التاريخ الفاحصة تنظر إلى الحقائق وتكشفها، ونجاح المعارضة المسلحة القائمة على القوة انما هو نجاح موقت، ولا تيمتع بمساندة الشعوب اذا لم تكن بالطرق القانونية فإنّه، فانه فتح لباب كسر القانون، ويقوم به كلّ من يتمكن من ذلك كما حصل من العباسيين على الامويين، والله العاصم.

[٥٩]

ومن كِتابٍ لَهُ ﷺ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ بْنِ قُطْبَةَ(١) صاحِبِ جُند حُلْوانَ(٢):

قال الحميري (ت / ٩٠٠):«حلوان من كور الجبل، وبمقربة من شهرزور وخانقين، بناها قباد بن فيروز ملك الفرس، والد أنو شيروان، وهي بين فارس والاهواز.

وحلوان مدينة سهلية جبلية على سفح الجبل المطل على العراق، وسميت بذلك لأن معناها حافظ حد السهل؛ لأنّ حلوان اول العراق واخر حد الجبل، وقيل: سميت بحلوان بن عمران بن اسحاق بن قضاعة، وكان نزلها فنسبت إليه.

وبناء حلوان بالطين والحجارة، وهي نحو نصف الدينور، والجبل منها على فرسخين،

(١) في ص: قطنة، وفي ط: قطيبة.

(٢) في هـ. ص: قال في الشرح: لم أقف على نسب الأسود بن قطنة، وقرأت في كثير من النسخ أنّه حارثي، من بني الحارث بن كعب، ولم أتحقق ذلك، والّذي يغلب على ظني أنّه الأسود بن يزيد بن قطنة، أنصاري من بني عبيد بن عدي، ذكره أبو عمر ابن عبد البرّ في كتاب «الاستيعاب»، وقال: إنّ موسى بن عقبة ـ جدّه ـ ممّن شهد بدراً، انتهى.

والثلج يكثر بها، وهي حارة الهواء كثيرة النخيل والانهار، ومنها الى شهرزور اربع فراسخ، وليس بالعراق بعد الكوفة والبصرة وواسطا أعمر منها ولا أكثر ولا اخصب، وكل ثمارها شجر التين، وبها نخلتان يضرب بهما المثل، قال: اطول صحبة من نخلتي حلوان».[١]

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[الأسود بن قطبة]

لم أقف إلى الان على نسب الأسود بن قطبة ، وقرأت في كثير من النسخ أنه حارثي من بني الحار ث بن كعب ، ولم أتحقق ذلك ، والذي يغلب على ظني انه الأسود بن زيد ابن قطبة بن غنم الأنصاري من بني عبيد بن عدي . ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " وقال إنّ موسى بن عقبة عده فيمن شهد بدرا».[٢]

[٦٠]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلَى ٱلْأَسْوَدِ بْنِ قُطْبَةَ[٣] صاحِبِ جُند حُلْوانَ[٤]:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْوَالِيَ إِذَا ٱخْتَلَفَ هَوَاهُ[٥] مَنَعَهُ ذلِكَ كَثِيراً مِنَ ٱلْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ ٱلنَّاسِ عِنْدَكَ فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ ٱلْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ ما تُنْكِرُ أَمْثالَهُ[٦]، وَٱبْتَذِلْ[٧] نَفْسَكَ فِيما ٱفْتَرَضَ ٱللّهُ عَلَيْكَ، رَاجِياً ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلدُّنْيا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُها فِيها قَطُّ[٨] سَاعَةً إِلّا كانَتْ فَرْغَتُهُ[٩] عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ، وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ ٱلْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً، وَمِنَ ٱلْحَقِّ عَلَيْكَ: حِفْظُ نَفْسِكَ،

(١) الروض المعطار في خير الاقطار : ١٩٥، ط / بيروت ١٩٧٥م.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ١٤٥.
(٣) في ص: قطنة، وفي ط: قطيبة.
(٤) في هـ. ص: قال في الشرح: لم أقف على نسب الأسود بن قطنة، وقرأت في كثير من النسخ أنّه حارثي، من بني الحارث بن كعب، ولم أتحقق ذلك، والّذي يغلب على ظني أنّه الأسود بن يزيد بن قطنة، أنصاري من بني عبيد بن عدي، ذكره أبو عمر ابن عبد البرّ في كتاب «الاستيعاب»، وقال: إنّ موسى بن عقبة ـ جدّه ـ ممّن شهد بدراً، انتهى.
(٥) أي جرى هواه مع الاغراض الشخصية، ووحدة الهوى توجّهه إلى تنفيذ الشريعة.
(٦) أي مما لو صدر من غيرك لأنكرته. وفي هـ. د: ما تنكر أمثاله ـ ب.
(٧) في هـ. ب: سامح.
(٨) في ب: قط فيها، وفي هـ. د: قط فيها ـ ف م ل ش.
(٩) في هـ. ب: فرغته، وفي هـ. ص: الفرغة: المرة الواحدة من الفراغ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ اللّه يبغض الصحيح الفارغ، لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة»، ومراد أمير المؤمنين عليه السلام هاهنا: الفراغ من عمل الآخرة خاصة، انتهىٰ من الشرح.

وَٱلِاحْتِسَابُ[١] عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ ٱلَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلَّذِي يَصِلُ بِكَ[٢]، وَٱلسَّلامُ.

(١/ك ٥٩) من واجبات الولاة:

يتضمّن المقطع سلسلة من واجبات الوالي باعتباره الممثل للدولة الاسلامية، فيجب عليه تطبيق المبادي الاسلاميّة في حياته الشخصيّة والادرانه فقال:

أوّلاً: العدل (أما بعد؛ فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل)؛ فإنّ الواجب الأوّل بالنسبه الى الوالي هو العدل في المجتمع، واختلاف هوى نفس تغيير الاراء عن الحق بحسب المصالح الوقتية التي يراها الوالي بالعناوين الثانوية يوجب الابتعاد عن العدل روحاً وان برر عمله بالمصالح الوقتية.

ثانياً: المساواة (فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء) فيجب المساواة بين جميع طبقات الشعب على أساس الحق، ومنه يظهر أن الاختلاف المذكور انما كان على تفضيل الطبقات بين الجنود من دون استناد إلى قانون المساواة.

ثالثا: معارضة الجور (فإنه ليس في الجور عوض من العدل)؛ فإنّ كلا من الجور والعدل متناقضان، والعمل باحدهما يقتضي عدم الآخر، ولا يمكن التبرير بأن استخدام الجور وسيلة لتحقيق العدل، فإنّه لايطاع الله من حيث يعصى، والغاية لا تبرر الواسطة في الاسلام.

رابعاً: اصناف المنكر (فاجتنب ما تنكر أمثاله) وحيث يختلط على الإنسان المنكر بأنّه هل هو منكر لذاته أو لا، تارة ذكر الإمام قاعدة عامة في المقام فان ما ينكره الإنسان من الامثال هو منكر للانسان، فيجب اجتنابه كما قال:«احب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها».

خامساً: البذل (وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك) وذلك بالمباشرة وبالعمل بالواجبات الاسلامية من دون روح الاستعلاء بالقدرة والقوة والرآسة، فيكون الوالي كسائر المسلمين في الحقوق والواجبات.

سادساً: رجاء الثواب (راجيا ثوابه) تعالى، فليس الولاية على المسلمين متجراً، بل

---

(١) الاحتساب على الرعية: مراقبة أعمالها، واصلاح ما فسد منها. وفي هـ. ب: أي حسبة لله.
(٢) في هـ. ب: يصل بك، أي يصل بسببك إلى غيرك من المؤمنين.

هو فرض اسلامي يجب اداؤه لله تعالى.

سابعاً: خوف العقاب (ومتخوفا عقابه)؛ فإنّ القصور في الواجب الاسلامي عقوبة الله الذي لا يعاقب مثله احد، بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.

ثم استعرض طبيعة الدنيا التي توجب الاغترار بها وبمغرياتها للتساهل في الحقوق. فقال:

١ ـ (واعلم أن الدنيا دار بلية) والبلاء: الامتحان، والبلية: المصيبة التي هي نوع منه.

٢ ـ (لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة) ففي ايّة لحظة يتصور الإنسان انّه له فراغ وقت هي في الحقيقة ضياع وقت، حيث يفوته القيام بما يريد تحقيقه في الحياة من استثمار هذا الوقت الذي يسير بسرعة الى الفناء.

٣ ـ (إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة) حيث لم يؤدّ واجب هذه اللحظة من الحياة باستثمارها في عمل خير له في الدنيا وما له الثواب له في الآخرة، فيكون له حسرة في الدنيا اذا تأملها، والا فيكون بكل وضوح حسرة ابدية في الآخرة.

٤ ـ (وأنه لن يغنيك عن الحق شئ أبدا)؛ فإنّ الحق هو الشئ الخالد الذي يبقى ببقاء الدهر مخلداً في التاريخ، وفى الآخرة جزاء للعمل، وما سوى الحق لا يبقى له اثر دائم وان كان له اثر قصير في الدنيا.

وهذه النقاط الاربع تستوجب الخوف من عقابه تعالى في الدنيا والآخرة.

ثامناً: ضبط النفس (ومن الحق عليك حفظ نفسك) من الانزلاق في هواها.

تاسعا: خدمة الشعب (والاحتساب على الرعية بجهدك) والاحتساب: المحاسبة، فيكون الوالي محاسبا بسبب جهده الشخصي من الشعب كما أن الشعب محاسب بسبب جهده، فالمناط جهد الوالي في المحاسبة والخدمة.

عاشرا: فضل الولاية (فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك. والسلام)؛ فإنّ القدرة على الحكم بالعدل في الاسلام فضيلة ينعم الله بها لواحد من افراد الشعب اكثرهم وعياً للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، والذي يصل إلى الوالي من الذكر الخالد في التاريخ والثواب في الآخرة افضل بكثير من الجهد الذي يبذله الوالي في سبيل تحقيق الحكم العادل في المجتمع.

وهذا شأن كلّ من يدخل التاريخ من ابوابه. وليس للانسان إلّا ما سعى.

وهذه النقاط العشر في واجبات الولاية تجعل الوالي هو الشخصية الوحيدة في المجتمع الذي يقوده على العدل؛ لا يماثلها شخصية اخرى فيه.

[٦١]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى العُمّالِ ٱلذينَ يَطأُ عَمَلَهُمُ ٱلجَيْشُ(١):

مِنْ عَبْدِ ٱللّهِ: عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، إلى مَنْ مَرَّ بِهِ ٱلْجَيْشُ مِنْ جُباةِ(٢) ٱلْخَرَاجِ وَعُمَّالِ ٱلْبِلاَدِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ ماَرَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللّهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ(٣) بِما يَجِبُ لِلّهِ عَلَيْهِم مِنْ كَفِّ ٱلْأَذَى وَصَرْفِ ٱلشَّذَى(٤)، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلى ذِمَّتِكُمْ(٥) مِنْ مَعَرَّةِ(٦) ٱلْجَيْشِ، إِلّا مِنْ جَوْعَةِ(٧) ٱلْمُضْطَرِّ لا يَجِدُ عَنْها مَذْهَباً إِلى شبعِهِ، فَنَكِّلُوا(٨) مَنْ تَناوَلَ مِنْهُمْ(٩) ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ(١٠) وَٱلتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيما ٱسْتَثْنَيْناهُ مِنْهُم(١١)، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ ٱلْجَيْشِ(١٢)، فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظالِمَكُمْ وَما عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلّا بِاللّهِ وَبِي، أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ ٱللّهِ إِنْ شَاءَ ٱللّهُ.

(ك ١/٦٠) حفظ الامن العام:

يحدد هذا المقطع مسؤولية حفظ الامن العام في ثلاثة طوائف.

الطائفة الاولى: الجيش الاسلامي الشيعي الذي يتحرك لمهمة عسكرية، وبحكم طبيعتها الشعبية تكون خليطا من مختلف الطبقات وعلى مختلف المستويات من الوعي

---

(١) في ط: الجيوش، أي يمرّ الجيش بأراضيهم.
(٢) في هـ. ص: جمع جاب وهو الجامع.
(٣) في هـ. ب: أوصيت الجند.
(٤) في هـ. أ: السوء والاذى، وفي هـ. ب: الاذى، وفي هـ. ص: هو الضرّ والشرّ.
(٥) في هـ. ص: أي الى اليهود والنصارى والمجوس، وكانوا جمهور عمال أرض الخراج وحراثها، ويقال لهم: الدهاقين، جمع دهقان.
(٦) في هـ. ب: جناية.
(٧) هـ. ب: الجوع.
(٨) أي أوقعوا النكال والعقاب.
(٩) في هـ. د: منهم شيئاً ـ ب.
(١٠) في هـ. ب: من مضادّة الجيش.
(١١) في أ و ب و ط: منهم، والّذي استثناه عليه السلام لهم هو حاله الاضطرار.
(١٢) أي انني موجود في الجيش.

الاسلامي للاهداف والدوافع .

الطائفة الثانية: جباة الخراج، وهم الموظفون للحصول على الصدقات الواجبة التي هي العمود الفقري لاقتصاد الدولة الاسلامية، وهم بحكم طبيعة عملهم متجولون في المدن.

الطائفة الثالثة: العمال، وهم اصحاب الولايات الذين الصلاحية الخاصة بالمنطقة المفوضة ادارتها عاملاً وممثلا عن رئيس الدولة الاسلامية، وبحكم وظيفته لابد وأن يستقر في المنطقة.

ويؤكد الإمام في هذا الكتاب الذي هو اعلان عام بأنّ حفظ الامن العام في المجتمع مسؤولية جميع افراد الشعب من دون استثناء، بما فيهم الجيش المتطوع والجباة والموظفين والولاة، فلابد من التعاون وتجنب الحساسيات منهم جميعاً، ويتضمّن الاعلان النقاط التالية:

أوّلاً: ـ الاعلان المسبق (أما بعد، فإني قد سيرت جنودا هي مارة بكم إن شاء الله) فيجب على الموظفين المتجولين والعمال المستقرين العلم بمسيرة الجيش ومراقبة السلوك الاسلامي فيه، والاستعداد للمفاجأة التي تصطحب عادة هذه المسيرة.

ثانيا: وعن واجبات الجنود قال:

ـ (وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم) وقد عددها بقوله:

١ ـ (من كف الأذى)؛ فإنّ الجيش المكوّن من الرجال والخيالة في مسيره على الارض والمزارع لابد وان يوجب بعض الاذى للاخرين.

٢ ـ (وصرف الشذى) وهو الشر، اياً كان نوعه، فقد يكون بالقول أو التعدى على الاخرين، وخاصة عند حاجة الجيش إلى ما لايرغب الاهالي من التعاون فيه .

ثالثاً: عن المسؤولية للإمام قال:

١ ـ (وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرّة الجيش) والمعرّة: الاذى، كما هو الحاصل في التنافس بين الادارات المخلتفة للدولة، واستثنى من ذلك الحالة التالية:

٢ ـ (إلا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبا إلى شبعه)؛ فإنّ جوع الجيش حالة اضطرارية استثائية، يكون له الحق في تأمين شبعه من المحاصيل الزراعية من المسلمين

بقدر الضرورة، كما قال تعالى:﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه﴾ [(١)].

رابعا: عن مسؤولية الجباة والعمال قال:

١ ـ (فنكلوا من تناول منهم شيئا ظلما عن ظلمهم) والنكال: العقاب بحسب الحكم الشرعي؛ فإنّ المتجاوز على القانون حتى لو كان من افراد الجيش الاسلامي لا يستثني.

٢ ـ (وكفوا أيدي سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم)؛ فإنّ في كل مجتمع من السفهاء من لا ينظر إلى قرارات القيادة برؤية واضحة، فاذا وجد مالا يتوافق مع رأيه الشخصي يمعارضه بأية طريقة تعبيرا عن سخطه.

خامساً: المسؤولية الآخرة.

اعتبر الإمام نفسه ـ باعتباره القائد الاسلامي الاوّل ـ هو المسؤول عن أي انحراف عملي فيب المجتمع الاسلامي فيما يصدر من الجيش من غيره، أو من غير الجيش على الجيش؛ ظلما وعدوانا، فيجب أن يرفع امره إليه، فقال:

١ ـ (وأنا بين أظهر الجيش) فيكون مسؤولا عن الجيش الذي ارسله، والمفروض أن يأتمر بما أمره.

٢ ـ (فادفعوا إلي) التقرير عن الحوادث وذكرها:

أوّلاً: (مظالمكم) وهي الشكاوى في الحوادث الواقعة ظلما.

ثانياً: (وما عراكم بما يغلبكم من أمرهم) من الحوادث التي لا يكون ظلما كما في موارد الاستثناء بالاضطرار، ولكنها حدثت بسبب الجيش واثرت على المجتمع فلابد من رفعها إلى القيادة للنظر فيها.

ثالثاً: (ولا تطيقون دفعه إلّا بالله وبي) وهي الحوادث الطبيعية التي ليست في اختيار احد من الناس فان القائد الأوّل في الدولة الاسلامية هو المسؤول عن رفع ذلك بالطرق المتيسرة له.

وعن هذه المسؤولية العليا قال:

(فأنا أغيره بمعونة الله إن شاء الله) لا من صحيح مسؤولية القيادة العليا في الاسلام حفظ الامن العام بكل الوسائل المتيسّرة له، ولا يتحقق ذلك إلّا برفع التقرير عن تلك

---

(١) البقرة: ١٧٣.

الحوادث اليها.

[٦٢]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلى كُمَيْلِ بْنِ زِيادٍ[١] ٱلنَّخَعِيِّ، وَهُوَ عامِلُهُ عَلى هِيتٍ يُنْكِرُ عَلَيْهِ تَرْكَهُ دَفْعَ مَنْ يَجْتازُ بِهِ مِنْ جَيْشِ ٱلْعَدُوِّ طالِباً لِلْغارَةِ[٢]:

قال الحميدي (ت /٩٠٠): «هيئت مدينة بين الرحبة وبغداد، وهي على شاطىء الفرات، والهيت: الهوة، وسميت هيت لانها في هوة، وهي الارض المنخفظة، وقيل: سميت باسم بانيها هيت بن البلندي ملك من ولد مدين بن ابراهيم عليه السلام ، وهي في غري الفرات، وعليها حص، وهي من اعمر البلاد، وبارض هيئت عيون سنيل بالقار» .[٣]

وقال الحميدي (ت /٩٠٠):«قرقيسا كورة من كور ديار ربيعة بين الحيرة والشام، وفي الجانب الشرقى من الفرات فتحها عنوةً عمرو بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، أمر عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص أن يوجهه في جند، فخرج يعارض الطريق حتّى جاء قرقيسا في غرّة فاخذها عنوة فاجاب اهلها إلى الجزية.

وإلى قرقيسيا فرّ زفر بن الحارث العامري ثمّ الكلابى بعد وقيعة مرج واعظ وكان مع الضحاك بن قيس الفهري، فلما قتل الضحاك ولّى زفر ومعه رجلان من بني سليم فعقر فرسيهما فغشيهما اليمانية من خيل مروان فقال له صاحباه: انج بنفسك فانّا مقتولان ، فولى راكضاً وقتل الرجلان، وفي ذلك يقول زفر من ابيات... الى قوله: وانتهى زفر بن الحارث من هزيمة إلى قرقيسيا فغلب عليها واستقام الشام لمروان».[٤]

---

(١) في هـ . ص: بن نهيك، بن هيثم، بن سعد، بن مالك، بن الحارث، بن صهبان بن سعد، بن مالك، بن النخع، بن عمرو، بن علة، بن خالد، بن مالك، بن أدد.
كان من أصحاب عليّ عليه السلام وشيعته وخاصّته، وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتله من الشيعة، وكان كميل بن زياد عامل عليّ عليه السلام على هيت، وكان ضعيفاً تمرّ به سرايا معاوية تنتهب أطراف العراق فلا يردها، ويحاول ان يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على أطراف معاوية مثل قرقيسيا وما يجري مجراها من القرى التي على الفرات، فأنكر أمير المؤمنين عليه السلام ذلك من فعله، انتهى من الشرح.
(٢) في ص: دفعاً للغارة.
(٣) الروض المعطار : ٥٩٧، ط /١٩٧٥.
(٤) الروض المعطار في خبر الأقطار: ٤٥٦، ط / ١٩٧٥.

(ك ٦١/١) الانضباط العسكري:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ تَضْييعَ ٱلْمَرْءِ ما وُلِّيَ وَتَكَلُّفَهُ ما كُفِيَ لَعَجْزٌ حاضِرٌ وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ[١]، وَإِنَّ تَعاطِيَكَ ٱلْغارَةَ عَلى أَهْلِ قِرْقِيسياً[٢]، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ[٣] ٱلَّتِي وَلَّيْناكَ ـ لَيْسَ لَها[٤] مَنْ يَمْنَعُها وَلا يَرُدُّ ٱلْجَيْشَ عَنْها ـ لَرَأْيٌ شَعَاعٌ[٥]، فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً[٦] لِمَنْ أَرَادَ ٱلْغارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلى أَوْلِيائِكَ، غَيْرَ شَدِيدِ ٱلْمَنْكَبِ[٧]، وَلا مَهِيبِ ٱلْجَانِبِ، وَلا سَادٍّ ثُغْرَةً[٨]، وَلَا كاسِرٍ لِعَدُوٍّ[٩] شَوْكَةً، وَلا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلا مُجْزٍ[١٠] عَنْ أَمِيرِهِ[١١].

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[كميل بن زياد ونسبه]

هو كميل[١٢] بن زياد بن سهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان ابن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد، كان من أصحاب علي عليه السلام وشيعته وخاصته ، وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة ، وكان كميل بن زياد عامل علي عليه السلام على هيت ، وكان ضعيفا ، يمر عليه سرايا معاوية تنهب أطراف العراق ولا يردها ، ويحاول أن يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على أطراف أعمال معاوية مثل قرقيسيا وما يجرى مجراها من القرى التي على الفرات ، فأنكر عليه السلام ذلك من فعله ، وقال : إنّ من العجز الحاضر أن يهمل الوالي ما وليه ، ويتكلف ما ليس من تكليفه».[١٣]

---

(١) في هـ. ب: هلاك، وفي هـ. ص: أي هالك.
(٢) في هـ. ب: اسم بلد.
(٣) في هـ. ب: جمع مسلح، وهو موضع السلاح، وفي هـ. ص: جمع مسلحة، وهي المواضع التي تقيم فيها طائفة من الجند لحراستها.
(٤) في ص و ب: بها، وفي هـ. ب: لها، وفي هـ. د: بها ـ ض ب.
(٥) في هـ. ب: في رأيك رأي شعاع، أي متفرق، وفي هـ. ص: بالفتح، أي متفرق.
(٦) في هـ. ص: أي معبراً وممراً.
(٧) أي غير قوي.
(٨) في هـ. ص: أي ثلمة.
(٩) لم ترد: لعدو في ب و في هـ. د ولا كاسر شوكه ـ م ش.
(١٠) في هـ. ب: في نسخة: مجد، وفي هـ. ب: أي لا مغن، وفي هـ. ص: «مجز» أي كاف مغنٍ.
(١١) في هـ أ: في نسخة زيادة: والسلام.
(١٢) كميل بن زياد بمضمومة وفتح ميم وسكون ياء .
(١٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ١٤٩ ـ ١٥٠.

(ك ٦١/١) الانضباط العسكري:

ما ذكره الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) يلقى بعض الضوء على دلالة عن المقطع.

بيان ذلك: أن السياسة المادية تعتمد على الانتقام والتعامل بالمثل، وحيث أن سرايا معاوية كانت تنتهب اطراف العراق، حاول كميل المعاملة بالمثل بالاغارة على اطراف اعمال معاوية مثل قرقيسيا. والغارة مرفوضة اسلاميا لانّها وسيلة غير شرعية، والغاية لا تبرر الواسطة، والإمام ـ في هذا المقطع ـ يؤكد على ضرورة التلاحم مع الشعب والحصانة من الداخل في مواجهة العدو عوضاً عن السياسة الانتقاميّة فقال:

١ ـ (أما بعد؛ فإنّ تضييع المرء ما ولي) والعمل بالمسؤوليات في تقوية الجبهة الداخلية للتصدّي لأي اعتداء خارجي.

٢ ـ (وتكلفه ما كفي) والواو حالية؛ فإنّ التضييع في حال التكلف واتباع سياسة الانتقام بالاغارة على مكانٍ لم يكلّف به؛ لأنّه تجاوز عن صلاحيات الولاية.

٣ ـ (لعجز حاضر) بالنسبة الى حصانة الجبهة الداخلية.

٤ ـ (ورأي متبّر) والتبر: الهلاك؛ لأنّه رأي قائم على أساس الانتقام، وهو مرفوض اسلاميا. وعن الاغارة قال:

أوّلاً: (وإن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا) والتي ليست من مسؤوليات الولاية المفوضة لكميل، حيث انها مدينة مستقلة عن هيت، ومحل ولايته هي هيئت وحدها.

ثانياً: (وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها) الواو حالية، والمسلح: محل السلاح ومركز العسكر، من دون استخدامه لما هو معدّ له، من دون حصانة كافية من الجيش.

ثالثاً: (لرأي شعاع) وهو المتفرّق من غير تركيز كالاشعة المبثوثة في الهواء؛ فإنّ الواجب اولاً حصانة الجبهة الداخلية، ثمّ القيام بأيّه حركة هجومية، فليس فشل الدول في حروبها إلّا بسبب انعدام الجبهة الداخلية الموحدة لها.

وانتقد الإمام كميلاً باستخدام هذه السياسة الماديّة واشار إلى اثارها السلبية ، وهي:

١ ـ (فقد صرت جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك) حيث يستمسك العدو بالمعاملة بالمثل، فتكون الاغارة من الوسائل المشروعة في اعتقاده، مع انها

مرفوضة مبدئيا؛ لأنّ الاغارة لا تولد إلّا إغارة اخرى فيستخدم العدو الغارة وسيلة كالجسر للوصول اله الشيطانية.

٢ ـ (غير شديد المنكب) والمنكب :هو ما بين الكتف والعضد، وهو من اقوى اعضاء الجسم، فتكون المواقف التي يستخدمها غير مساندة من الشعب؛ لانه يستخدم وسائل مرفوضة اسلاميا.

٣ ـ(ولا مهيب الجانب) للضعف في الرؤية للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

٤ ـ (ولا ساد ثغرة) وهي المنفذ الذي يدخل منه العدو لتضعيف الجبهة الداخلية.

٥ ـ (ولا كاسر شوكة)؛ فإنّ الغارات الانتقامته محدودة كرد فعل وقتي، وليست كسياسة ثابتة، والعدو يستخدمها كسياسة ماديّة ثابتة وليس كرد فعل وقتي، وفرق شاسع بين الحالين.

٦ ـ (ولا مغن عن أهل مصره)؛ فإنّ الغارة على العدو في منطقة اخرى لا تغني عن المصر الذي يتولاه وهو هيت.

٧ ـ (ولا مجز عن أميره)؛ فإنّ الجزاء للامير هو الانقياد باوامره، وليست الغارة من السياسة الاسلامية فلا تكون جزاءً له.

وهذه النقاط السبع توجب الاقلاع عن اتباع سياسة العدوان بالمثل؛ فإنّ الاسلام في سياسة الادارية لايستخدم العدوان بالغارة، وانما بالحرب المعلنة اذا اقتضت ذلك، فان ما يفرقه عن غيره من السياسات المادية هو المبادي، والصراحة في المواجهة، والغارة بحكم طبيعتها تنال الشعوب والافراد، وليس المسلحين من قبل العدو الذي يخطط لايقاع الجيش الاسلامي في ورطات الانتقام والاعتداء بالمثل؛ لكي تضعف ثقة الشعب بالحكم الاسلامي .

ويبقى السؤال: كيف خفيت هذه الخطة عن مثل كميل؟

ولكن السياسيات العدائية قد تفقد ضبط النفس من الإنسان، وخاصة اذا كان الجيش مندفعا بروح لا يمكن ضبطها؛ فإنّ الانضباط العسكري في الجيش الشعبي امر صعب جداً، إلّا لمن كانت له رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، وهذه الرؤية تختلف في الطبقات المشاركة في الجيش الشعبي.

فتتحرك باتجاه الظروف على القيادة، الانقياد لها تحسباً لوثوبها عليه، والعصمة

لاهلها.

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب، ما نصه:«كميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم بن سعد بن مالك بن الحارث ابن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع وقيل كميل بن عبد الله وقيل ابن عبد الرحمن . روى عن عمر وعلي وعثمان وابن مسعود وأبي مسعود وأبي هريرة . روى عنه أبو إسحاق السبيعي والعباس بن ذريح وعبد الله بن يزيد الصهباني وعبد الرحمن بن عباس والأعمش وغيرهم قال ابن سعد شهد مع علي صفين وكان شريفا مطاعا في قومه قتله الحجاج وكان ثقة قليل الحديث وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين ثقة وقال العجلي كوفي تابعي ثقة وقال ابن عمار رافضي وهو ثقة من أصحاب علي وقال في موضع آخر كان من رؤساء الشيعة وذكره ابن حبان في الثقات وذكره المدائني في عباد أهل الكوفة وقال خليفة قتله الحجاج سنة (٨٢)».(١)

[٦٣]

٦٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام .

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام كتبه إلى(٢) أَهْلِ مِصْرَ مَعَ مالِكِ ٱلْأَشْتَرِ لَمّا وَلّاهُ إِمارَتَها:

الى الشعب المصرى؛ ويتضمّن نظرة على الماضي والحاضر والمستقبل للامة الاسلاميّة.

(١/ك ٦٢) نظرة إلى الماضي:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللّهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله(٣) نَذِيراً لِلْعالَمِينَ، وَمُهَيْمِناً(٤) عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ، فَلَمَّا مَضَى صلى الله عليه وآله تَنازَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَٱللّهِ ما كانَ يُلْقَى فِي رُوعِي(٥)، وَلا يَخْطُرُ بِبَالِي(٦) أَنَّ ٱلْعَرَبَ تُزْعِجُ هذَا ٱلْأَمْرَ(٧) مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلا

---

(١) تهذيب التهذيب ؛ لابن حجر ٨: ٤٠٢.
(٢) في أ و ط: ومن كتاب له الى.
(٣) لم ترد « صلى الله عليه وآله » في أ.
(٤) في هـ . ص: المهيمن: الشاهد، وأصل اللفظ من أمن غيره من الخوف؛ لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته، ثم تصرفوا فيها فأبدلوا إحدى همزتي أمن ياءً، فصار مؤيمن، ثم قلبوا الهمزة هاءً:، فصار مهيمن، كذا وجدته في نسخة شرح ابن أبي الحديد، ولعل فيها غلطاً؛ وكأنه بني على أنّه مضعّف الفاء، ولو قال: إن أصله مؤتمن مضعّف العين فأبدل الميم الأوّل ياءً، كما في دينار، ثم أُبدلت الهمزة هاءً، لكان وجها صحيحاً، واللّه أعلم.
(٥) في هـ . ب: قلبي.

أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ[٨] عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَما رَاعَنِي[٩] إِلَّا انْثِيالُ[١٠] ٱلنّاسِ عَلى فُلَانٍ[١١] يُبايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي[١٢] حَتّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ ٱلنَّاسِ[١٣] قَدْ رَجَعَتْ عَنِ ٱلْإِسْلامِ، يَدْعُونَ إِلى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ ٱلْإِسْلامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً[١٤] أَوْ هَدْماً، تَكُونُ ٱلْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ، ٱلَّتِي إِنَّما هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ[١٥]، يَزُولُ مِنْها ما كانَ كَما يَزُولُ ٱلسَّرَابُ، أَوْ كَما يَتَقَشَّعُ[١٦] ٱلسَّحَابُ، فَنَهَضْتُ[١٧] فِي تِلْكَ ٱلْأَحْدَاثِ حَتّى زَاحَ[١٨] ٱلْبَاطِلُ وَزَهَقَ[١٩]، وَٱطْمَأَنَّ ٱلدِّينُ وَتَنَهْنَهَ[٢٠].

افتتح المقطع بالبعثة النبوية والتنازع على الخلافة وموقف اهل البيت تجاه المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة فقال:

١ ـ (أما بعد؛ فإنّ الله سبحانه بعث محمّداﷺ نذيرا للعالمين) حيث قال ﴿وما ارسلناك إلّا كافة للناس بشيرا ونذيراً﴾.[٢١]

٢ ـ (ومهيمنا على المرسلين) والهيمنة: الحفظ والرقابة؛ فإنّ النبيﷺ بحكم كونه خاتم الانبياء كان حافظا لدين الله تعالى الذي حمل رسالته الانبياء من قبله، مصدّقا لما

---

(٦) في ص: على بالي، وفي هـ. ب: في نسخة: على بالي.
(٧) أي تنقل هذا الأمر، وهي الخلافة.
(٨) في هـ. ب: ولا أن العرب مبعّدُوه.
(٩) هـ. ص: أي أروعني.
(١٠) في هـ. ب: الاّ تتابع، وفي هـ. ص: انصبابهم كما ينثال التراب.
(١١) في هـ. ص: أبوبكر، كذا لفظ الكتاب، ولكن الناس يغيّرونه تذمّما، انتهى من الشرح.
(١٢) في ب: يديّ، وفي هـ. ص: أي امتنعت من بيعته، انتهى من الشرح.
(١٣) في هـ. ب: رجعه، وفي هـ. ص: راجعة الناس، يعني أهل الردة كمسيلمة وطليحة بن خويلد ومانعي الزكاة، وإن كان مانعوا الزكاة قد اختلف في أنهم أهل ردّة أم لا. انتهى من الشرح.
(١٤) أي خرقاً.
(١٥) في هـ. ب: قلائل جمع قليل.
(١٦) في هـ. ب: يذهب.
(١٧) في ص: فمضيت، وفي هـ. ص: في نسخة: فنهضت.
(١٨) في هـ. ص يقال: زاح وانزاح، أي مال وبعد.
(١٩) في هـ. ص: خرج وزال.
(٢٠) في هـ. ب: وقف، وفي هـ. ص: أي استكن، وأصله الكف؛ يقال: نهنهت السبع فتنهنه، أي كف عن حركته وإقدامه، فكأنّ الدين كان متحرّكاً مضطرباً فسكن وكف عن ذلك الاضطراب، انتهى من الشرح.
(٢١) سبأ: ٢٨.

بين يديه من الكتب السماوية.

وعن الاختلاف قال:

ـ (فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده) مشيراً إلى خلاف المهاجرين والانصار في السقيفة (راجع المادّة في المعجم).

وعن موقف العرب قال مؤكداً:

١ ـ (فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي) والروع: القلب.

٢ ـ (أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته)؛ فإنّ مسألة الاستخلاف كانت عادة طبيعية في المجتمع العربي؛ لأن تنتقل الى اهل بيت المتوفى كما يقومون بالتعزية لاهل البيت بالوفاة. هذا ان كانت العادات العربية هي المحكّمة.

٣ ـ(ولا أنهم منحوه عني من بعده) هذا ان كانت الثوابت الاسلامية هي المحكّمة باعتباره اول من تخرج من مدرسة النبوة واعرفهم تلك الثوابت.

٤ ـ (فما راعني إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه) والروعة: الفزع، الانثيال: الانصباب، وفلان كناية عن الخليفة الاول أبي بكر.

وعن موقفه في امر الخلافة قال:

٥ ـ (فأمسكت يدي) والامساك: الكف عن امر الخلافة.

٦ ـ (حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله) اشارة الى حروب الردة في عام وفاة النبي صلى الله عليه وآله عام ١١ هجرية، وعلى راسها حركة مسيلمة الكذاب.

٧ ـ (فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدما) والثلمة: المنفذ في الشيء، والهدم: باستئصال الاسلام بجر الاسلام الى الانحراف بالفكر أو القضاء عليه بالهدم.

٨ ـ (تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم) لان المصيبة هي في القضاء على المبادي الاسلامية التي بشر بها نبيّ الاسلام، والولاية على المسلمين وظيفة لتحقيق هذه المبادي، وبدون تحقيق هذه المبادي لاقيمة لها.

٩ ـ لانها أوّلاً: (هي متاع أيام قلائل) تزول بانتهاء المدة الزمنيّة لها.

وثانياً: (يزول منها ما كان كما يزول السراب).

وثالثاً: (أو كما يتقشع السحاب) في قصر المدة الزمنية، لأنها عناوين خيالية.

١٠ ـ (فنهضت في تلك الأحداث) بما يقتضيه الواجب الاسلامي في محاربة اهل الردة.

(حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهنه) والزهق: الخروج، والنهنهة: الكف.

وهذه النقاط العشر من رؤوس اقلام تاريخ صدر الاسلام الذي عاصره الإمام، وكان موقفه فيه النصر التام للاسلام.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً:«روى أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري في التاريخ الكبير أن رسول الله صلى الله عليه وآله مات اجتمعت أسد وغطفان وطيئ على طليحة بن خويلد إلا ما كان من خواص أقوام في الطوائف الثلاث فاجتمعت ، أسد بسميراء ، وغطفان بجنوب طيبة وطيئ في حدود أرضهم ، واجتمعت ثعلبه بن أسد ومن يليهم من قيس بالأبرق من الربذة ، وتأشب [١] إليهم ناس من بني كنانة ، ولم تحملهم البلاد ، فافترقوا فرقتين : أقامت إحداهما بالأبرق ، وسارت الأخرى إلى ذي القصة ، وبعثوا وفودا إلى أبى بكر يسألونه أن يقارهم على إقامة الصلاة ومنع الزكاة ، فعزم الله لأبي بكر على الحق ، فقال : لو منعوني عقالا [٢] لجاهدتهم عليه ، ورجع الوفود إلى قومهم فأخبروهم بقلة من أهل المدينة ، فأطمعوهم فيها وعلم أبو بكر والمسلمون بذلك ، وقال لهم أبو بكر : أيها المسلمون ، إنّ الأرض كافرة ، وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وإنكم لا تدرون أليلا تؤتون أم نهارا ، وأدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم ، وقد أبينا عليهم ، ونبذنا إليهم ، فأعدوا واستعدوا . فخرج علي عليه السلام بنفسه ، وكان على نقب من أنقاب المدينة ، وخرج الزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود وغيرهم فكانوا على الأنقاب الثلاثة ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى طرق القوم المدينة غاره مع الليل ، وخلفوا بعضهم بذي حسي ليكونوا ردءا لهم فوافوا الأنقاب وعليها المسلمون ، فأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أن الزموا مكانكم ففعلوا ، وخرج أبو بكر في جمع من أهل المدينة على النواضح ، فانتشر العدو بين أيديهم ، واتبعهم المسلمون على النواضح حتى بلغوا ذا حسي فخرج ، عليهم الكمين

---

(١) تأشبوا إليهم : انضموا .

(٢) أراد بالعقال: الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في إبل الصدقة ، وانظر نهاية ابن الأثير .

بأنحاء [١] قد نفخوها وجعلوا ، فيها الحبال ، ثم دهدهوها بأرجلهم في وجوه الإبل ، فتدهده[٢] كل نحى منها في طوله [٣] فنفرت إبل المسلمين ، وهم عليها – ولا تنفر الإبل من شئ نفارها من الأنحاء فعاجت بهم لا يملكونها حتى دخلت بهم المدينة ، ولم يصرع منهم أحد ولم يصب ، فبات المسلمون تلك الليلة يتهيئون ، ثم خرجوا على تعبية ، فما طلع الفجر إلا وهم والقوم على صعيد واحد ، فلم يسمعوا للمسلمين حسا ولا همسا حتى وضعوا فيهم السيف ، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم ، فما ذر قرن الشمس إلا وقد ولوا الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم ، ورجعوا إلى المدينة ظافرين [٤] . قلت : هذا هو الحديث الذي أشار عليه السلام إلى أنه نهض فيه أيام أبى بكر . وكأنه جواب عن قول قائل : إنه عمل لأبي بكر ، وجاهد بين يدي أبى بكر ، فبين عليه السلام عذره في ذلك ، وقال : إنه لم يكن كما ظنه القائل ، ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس والدين ، فإنه واجب سواء كان للناس إمام أو لم يكن». [٥]

(٢/ك ٦٢) نظرة إلى الحاضر:

وَمِنْ هَذا ٱلكِتابِ[٦]:

إِنِّي وَٱللّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً[٧] وَهُمْ طِلَاعُ[٨] ٱلْأَرْضِ كُلِّها ما بَالَيْتُ وَلَا ٱسْتَوْحَشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ وَٱلْهُدَى ٱلَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي، وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَإِنِّي إِلى لِقَاءِ ٱللّهِ وَلِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، وَلكِنَّنِي آسَى[٩] أَنْ يَلِيَ هَذِهِ[١٠] ٱلْأُمَّةِ سُفَهاؤُها وَفُجَّارُها، فَيَتَّخِذُواْ مالَ ٱللّهِ دُوَلاً[١١]، وَعِبَادَهُ خَوَلاً[١٢]، وَٱلصَّالِحِينَ حَرْباً[١٣]،

---

(١) الأنحاء : جمع نحى ، وهو الزق .
(٢) دهدهوها : دفعوها .
(٣) الطول : الحبل يشد به .
(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٤ ، طبعة المعارف ، مع تصرف واختصار.
(٥) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ١٥٣ ـ ١٥٤.
(٦) في أ: ومنه.
(٧) في أ: وحدي، وفي هـ. د: وحدي ـ ف وهامش ن.
(٨) في هـ. ب: كثيرون، وفي هـ. ص: أي ملؤها.
(٩) في هـ. ب: أحزن.
(١٠) في ط أمر هذه.
(١١) أي شيئاً يتداولونه بينهم يتصرّفون فيه كما شاءوا.
(١٢) في هـ. ب: أي خدماً.

وَٱلْفَاسِقِينَ حِزْباً، فَإِنَّ مِنْهُمُ[١٤] ٱلَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ ٱلْحَرَامَ[١٥]، وَجُلِدَ حَدّاً فِي ٱلْإِسْلامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى ٱلْإِسْلامِ ٱلرَّضَائِخُ[١٦].

وعن العصر الحاضر الذي عاشه الامام أشار إلى نقاط ثلاث:

أوّلاً: ـ وحدة الموقف: (إني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت) الطلاع: الكثرة في الملأ؛ فإنّ الموقف الحاضر مطابق تماما للموقف في الماضي من نظر الاسلام حتّى لا يحصل فيه انحراف بالعلم أو قضاء عليه بالهدم.

ثانيا: الرؤية الواضحة (وإني من ظلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي)؛ فإنّ الرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية في العصر الحاضر للإمام هى التي تقوده في التحرك تجاه الاعداء.

ثالثاً: الشهادة (وإني إلى لقاء الله وحسن ثوابه لمنتظر راج) والمواجهة من الإمام لاعدائه مواجهة المؤمن الذي لا يرى من الحرب إلّا احدى الحسنيين من النصر أو الاستشهاد، كما هي طبيعة الحرب العقائدية التي كانت في عصر الرسالة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وقال الراوندي عنى بقوله: " رضخت لهم الرضائخ عمرو بن العاص، وليس بصحيح، لان عمرا لم يسلم بعد الفتح، وأصحاب الرضائخ كلهم أسلموا بعد الفتح، صونعوا على الاسلام بغنائم حنين. ولعمري إنّ إسلام عمرو كان مدخولا أيضا إلا أنه لم يكن عن رضيخة، وإنما كان لمعنى آخر. فأمّا الذي شراب الحرام، وجلد في حد الاسلام، فقد قال الراوندي: هو المغيرة بن شعبة، وأخطأ فيما قال، لان المغيرة إنما اتهم بالزنا ولم يحد ولم يجر للمغيرة ذكر في شرب الخمر، وقد تقدم خبر المغيرة مستوفى، وأيضا فان المغيرة لم يشهد صفين مع معاوية ولا مع علي عليه السلام وما للراوندي ولهذا! إنما يعرف هذا الفن أربابه والذي عناه علي عليه السلام الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان أشد الناس عليه وأبلغهم تحريضا لمعاوية وأهل الشام على حربه.

---

(١٣) أي محاربين.

(١٤) في ص: فيهم.

(١٥) في هـ. ص: هو الوليد بن عقبة.

(١٦) الرضائخ: العطايا، ورضخت له: اعطيت له، وفي هـ. ب: عمرو [بن العاص]، وفي هـ. ص: هو معاوية؛ أنه الّف يوم هوازن.

أخبار الوليد بن عقبة

ونحن نذكر خبر الوليد وشربه الخمر منقولا من كتاب " الأغاني " لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، قال أبو الفرج : كان سبب إمارة الوليد بن عقبة الكوفة لعثمان ما حدثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد العزيز بن محمّد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد ، عن أبيه ، قال لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب ، والحكم ابن أبي ، العاص ، والوليد بن عقبة ، ولم يكن سريره يسع إلا عثمان وواحدا منهم ، فأقبل الوليد يوما فجلس ، فجاء الحكم بن أبي العاص فأومأ عثمان إلى الوليد ، فرحل له عن مجلسه ، فلما قام الحكم قال الوليد : والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت ابن عمك على ابن أمك – وكان الحكم عم عثمان ، والوليد أخاه لامه – فقال عثمان : إن الحكم شيخ قريش ، فما البيتان ؟ فقال :

رأيت لعم المرء زلفى قرابة ... دوين أخيه حادثا لم يكن قدما
فأملت عمرا أن يشب وخالدا ... لكي يدعواني يوم نائبة عما

. يعنى عمرا وخالدا ابني عثمان . قال : فرق له عثمان وقال : قد وليتك الكوفة ، فأخرجه إليها ».[١]

قال أبو الفرج : وحدثنا أحمد قال : حدثني عمر قال : حدثني هارون بن معروف ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب قال : صلى الوليد بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات ، ثم التفت إليهم فقال : أأزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم . قال أبو الفرج : وحدثني أحمد قال : حدثنا عمر قال حدثنا محمّد بن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأجلح عن الشعبي قال : قال الحطيئة يذكر الوليد :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالغدر
نادى وقد تمت صلاتهم ... أأزيدكم – سكرا – ولم يدر
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا ... لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك إذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزي ترجى

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

وقال الحطيئة أيضا:

تكلم في الصلاة وزاد فيها علانية وأعلن بالنفاق
ومج الخمر في سنن المصلى ونادى والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني فما لكم وما لي من خلاق

قال أبو الفرج : وأخبرنا محمّد بن خلف وكيع قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، قال : حدثني أبي قال : قال أبو عبيدة وهشام بن الكلبي والأصمعي : كان الوليد زانيا يشرب الخمر ، فشرب بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع ، فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟ وتقيأ في المحراب بعد أن قرأ بهم رافعا صوته في الصلاة:

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخبره ، وشهدوا عليه بشرب الخمر ، فأتى به ، فأمر رجلا من المسلمين أن يضربه الحد ، فلما دنا منه قال : نشدتك الله وقرابتي من أمير المؤمنين ! فتركه ، فخاف علي بن أبي طالب عليه السلام أن يعطل الحد ، فقام إليه فحده بيده ، فقال الوليد : نشدتك الله والقرابة ! فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أسكت أبا وهب ، فإنما هلك بنو إسرائيل لتعطيلهم الحدود ، فلما ضربه وفرغ منه قال : لتدعوني قريش بعدها جلادا ، قال إسحاق : وحدثني مصعب بن الزبير قال : قال الوليد بعد ما شهدوا عليه فجلد : اللهم إنهم قد شهدوا على بزور ، فلا ترضهم عن أمير ، ولا ترض عنهم أميرا».(١)

قال أبو الفرج وأخبرني أحمد ، عن عمر عن رجاله ، أن الشهادة لمّا تمت قال عثمان لعلي عليه السلام : دونك ابن عمك فأقم عليه الحد . فامر علي عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام ، فلم يفعل ، فقال : يكفيك غيرك ! فقال علي عليه السلام : بل ضعفت ووهنت وعجزت ، قم يا عبد الله بن جعفر فاجلده ، فقام فجلده ، وعلي عليه السلام يعد حتى بلغ أربعين ، فقال له علي عليه السلام : أمسك حسبك ، جلد رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وكملها عمر ثمانين ، وكل سنة . قال أبو الفرج : وحدثني أحمد عن عمر ، عن عبد الله بن محمّد بن حكيم ، عن خالد ابن سعيد ، قال : وأخبرني بذلك أيضا إبراهيم بن محمّد بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم ، قالوا جميعا

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

:ضرب عثمان الوليد الحد ، قال : إنك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاما قابلاً ».[١]

قال أبو الفرج : وحدثني أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن شبة عن محمّد ابن حاتم ، عن يونس بن عمر ، عن شيبان ، عن يونس ، عن قتادة في قوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا إنّ جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)[٢] . قال : هو الوليد بن عقبة بعثه النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله مصدقا إلى بني المصطلق ، فلما رأوه أقبلوا نحوه ، فهابهم ، فرجع إلى النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله فقال له : إنهم ارتدوا عن الاسلام ، فبعث النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله خالد بن الوليد ، فعلم عملهم ، وأمره أن يتثبت ، وقال له : انطلق ولا تعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلا ، وأنفذ عيونه نحوهم ، فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالاسلام وسمع أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبح أتاهم فرأى ما يعجبه ، فرجع إلى الرسولصلى‌الله‌عليه‌وآله فأخبره ، فنزلت هذه الآية (٥)».[٣]

وأمّا أبو عمر بن عبد البر فإنه ذكر في " الاستيعاب " في باب الوليد ، قال : إنّ له أخبارا فيها شناعة تقطع على سوء حاله ، وقبح أفعاله ، غفر الله لنا وله ، فلقد كان من رجال قريش ظرفا وحلما وشجاعة وجودا وأدبا ، وكان من الشعراء المطبوعين . قال : وكان الأصمعي وأبو عبيدة وابن الكلبي وغيرهم يقولون : إنه كان فاسقا شريب خمر ، وكان شاعرا كريما . قال : وأخباره في شربه الخمر ومنادمته أبا زبيد الطائي كثيرة مشهورة ، ويسمج بنا ذكرها ، ولكنا نذكر منها طرفا . ثم ذكر ما ذكره أبو الفرج في الأغاني ، وقال : إنّ خبر الصلاة وهو سكران ، وقوله : " أأزيدكم ؟ " خبر مشهور روته الثقات من نقلة الحديث . قال أبو عمر بن عبد البر : وقد ذكر الطبري في رواية أنه تغضب عليه قوم من أهل الكوفة حسدا وبغيا ، وشهدوا عليه بشرب الخمر ، وقال : إنّ عثمان قال له : يا أخي اصبر ، فإن الله يأجرك ويبوء القوم بإثمك . قال أبو عمر : هذا الحديث لا يصح عند أهل الأخبار ونقلة الحديث ، ولا له عند أهل العلم أصل ، والصحيح ثبوت الشهادة عليه عند عثمان ، وجلده الحد ، وأن عليا هو الذي جلده . قال : ولم يجلده بيده ، وإنما أمر بجلده ، فنسب الجلد إليه . قال أبو عمر : ولم يرو الوليد من السنة ما يحتاج فيها إليه ، ولكن حارثة بن مضرب روى عنه أنه قال : "

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٢٣٤.
(٢) سورة الحجرات : ٦ .
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٢٣٨.

ما كانت نبوة إلا كان بعدها ملك».[١]

وعن دور العدو قال:

(ولكني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها) والاسى: الحزن، والولاية: مسؤولية الحكم، والسفيه :الجاهل بالثوابت الاسلامية، والفجور: العدول عن الحق.

وعن آثار السفه والفجور اشار:

١ ـ (فيتخذوا مال الله دولا) الدولة: الدوران، فيتداولون المال بين انفسهم.

٢ ـ (وعباده خولا) والخولي ـ بالياء ـ: العبد والمملوك.

٣ ـ(والصالحين حربا) بأن يستهدفون الصالحين للقضاء عليهم بالحرب.

٤ ـ (والفاسقين حزبا) والحزب: الجماعة المتفقة في الرأي، وهو مبدأ الفسق.

واستشهد على هذه الآثار بتاريخ حياة الاعداء فقال:

أوّلاً: (فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام) ويعني به الخمر الحرام، اشارة الى الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي (ت /٦١) الذي كان أشدّ الناس تحريضا لمعاوية على محاربة الامام، وهو اخو الخليفه عثمان لأمّه.

ثانياً: (وجلد حدا في الاسلام، وإن منهم من لم يسلم حتّى رضخت له على الاسلام الرضائخ) والرضيخة: العطاء القليل، اشارة إلى المؤلفة قلوبهم، مشيراً إلى معاوية بن أبي سفيان (ت /٥٦) الذي دخل الاسلام فيمن دخل من بني أُميّة عام الفتح حينما أصبح الاسلام قوة لا تقهر، فلم يجدوا مفراً من قبول الاسلام إبقاءً على حياتهم، كما هو مشروح في كتب السيرة.

(٣/ك ٦٢) النظرة إلى المستقبل:

فَلَوْلاَ ذَلِكَ ما أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ[٢] وَتَأْنِيبَكُمْ[٣]، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ[٤] إذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ[٥].

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
(٢) في هـ. ب جمعكم، وفي هـ. ص: تخويفكم واغرائكم، وفي هـ. ا: تحريضكم.
(٣) في هـ. ب: عيبكم، وفي هـ. ص: هو أشد اللوم، وفي هـ. ا: تعنيفكم.
(٤) في أ: وتركتكم، وفي هـ. د: وتركتكم ـ ف ن.
(٥) ونيتم: أي أبطائتم عن اجابتي، وفي هـ. ص: أي ضعفتم وفترتم.

أَلا تَرَوْنَ إِلى أَطْرَافِكُمْ قَدِ ٱنْتَقَصَتْ(١)، وَإِلى أَمْصَارِكُمْ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى(٢)، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى؟!

إِنْفِرُوا(٣) رَحِمَكُمُ ٱللّهُ إِلَى قِتالِ عَدُوِّكُمْ، وَلا تَثَّاقَلُوا(٤) إِلَى ٱلْأَرْضِ فَتَقِرُّوا(٥) بِالْخَسْفِ(٦)، وَتَبُوؤُا(٧) بِالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ ٱلْأَخَسَّ(٨)، وَإِنَّ أَخَا ٱلْحَرْبِ ٱلْأَرِقُ(٩)، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ(١٠)، وَٱلسَّلامُ.

ثم ختم المقطع بالاشارة إلى ما يتطلبه الموقف الحاضر من المسؤولية الاسلامية في المستقبل، فقال:

(فلولا ذلك) من الخطر من العدو على مستقبل الاسلام والمسلمين.

١ ـ (ما أكثرت تأليبكم) وهو الحث على الحرب ضد العدو.

٢ ـ (وتأنيبكم) على الحضور في في الوقوف ضد العدو.

٣ ـ(وجمعكم) لحرب العدو بالوسائل المتيسرة.

٤ ـ (وتحريضكم) على تحقيق النصر الذي يعتبر نصراً للمبادي الاسلامية .

٥ ـ (ولتركتكم إذ أبيتم ونيتم) والونى: الضعف.

فان الحرب من وجهه نظر الامام حرب عقائدية لصيانة المبادي والوسائل والاهداف الاسلامية عن التحريف المتعمد، وان ذلك لا يمكن إلّا بالحرب بالمواجهة في ساحة الحرب.

ثم استشهد بحوادث هي شواهد حية على العدوان من جانب العدو فعددها بقوله:

---

(١) أطراف البلاد: جوانبها، وانتقاصها باستيلاء العدوّ عليها.
(٢) من زواه، إذا قبضه عنه.
(٣) في هـ. ب: إذهبوا.
(٤) في هـ. ص: تثّاقلوا بالتشديد، أصله: تتثاقلوا، فأُدغم، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إثّاقَلْتُم إلى الأرض﴾.
(٥) في هـ. ص فتقروا: أي تعترقوا بالضيم وتصبروا له؛ لعدم إمكان إزالته، وفي هـ. د: فتنفروا ـ ح وهامش ن.
(٦) في هـ. ب: الضيم.
(٧) هـ. ص: أي ترضوا به حظّاً ونصيباً.
(٨) في هـ. ب: مبالغة الخسيس.
(٩) في هـ. ب: السهر، وفي هـ. ص: الّذي لاينام الليل.
(١٠) في ب: لا ينام عنه.

أوّلاً: (ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت) وهي حدود الدولة الاسلامية، وقد حصل فيها النقص بانّها اصحبت محتلة من قبل العدو، اشارة الى التعاون بين العدو الخارجي للاستيلاء على جزء من البلاد الاسلامية.

ثانياً: (وإلى أمصاركم قد افتتحت) اما بالغارات الموجهة من العدو إلى البلاد التي يحكمها الإمام.

ثالثاً: (وإلى ممالككم تزوى) والزواء: التقلص بسبب تقدم العدو والاستيلاء عليها.

رابعاً: (وإلى بلادكم تغزى) بالغزو الخارجي، اشارة إلى العقود التي عقدها معاوية مع البيزنطيين، ودفعه الجزية اليهم ،للتفرغ إلى حرب الإمام.

فإنّ هذه الحوادث الاربع كافية لاثبات ان حرب العدو ليس حربا بين المسلمين الذين يؤمنون بالاسلام عقيدة وشريعة، بل بين المسلمين واعدائهم الذين أتخذوا الاسلام كواجهة لتمرير مخططاتهم .

وعن الواجب الاسلامي في الموقف قال:

١ ـ (انفروا ـ رحمكم الله ـ إلى قتال عدوكم)؛ فإنّ مستقبل الاسلام زهين بالحرب ضد العدو المتربص، فإنّه جهاد في سبيل الله.

٢ ـ (ولا تثاقلوا إلى الأرض) باهمال واجب الجهاد الاسلامي؛ فإنّ النتائج الحتمية لاهمال واجب الجهاد، هي:

أوّلاً: (فتقروا بالخسف)؛ فإنّ التثاقل هو استقرار في حالة الخسف والضيم كما هي في كلّ امة مغلوبٌ على امرها، ولا تحصل الحرية إلّا بثمن غال هو الجهاد.

ثانياً: (وتبوؤا بالذل) فان الاستسلام للراحة يعود إلى الذل تحت رحمة الحكم الظالم الذي لا يؤمن بمبدأ العدالة في المجتمع، كما ينبئ عن ذلك حوادث الاعتداءات المتتالية منه .

ثالثاً: (ويكون نصيبكم الأخس) من نصيب الامم المغلوبة على امرها؛ لأنّ تلك الامم فقدت قيادة توجهها في ساحة الحرب، فلا يكون لها مصير سوى الاستسلام، دون المرحلة التي يعيش فيها الإمام ويدعوا الى الجهاد.

ثمّ ختم الرسالة بقوله:

(وإن أخا الحرب الأرق ومن نام لم ينم عنه . والسلام) والارق: الساهر، مشيرا الى أن

الحرب اعلن من جانب العدو، والحرب يفتقر إلى السهر في النصر من أي جانب كان، فمن غلب عليه النوم في الحرب كان مغلوبا، ومن سهر وحذر كان منتصراً، وترك الجهاد استسلام ونوم عن العدو، فلا يمكن ايقاف العدو إلّا بالسهر والحذر.

وصدق الإمام عليه حيث شهد بذلك اعداء الاسلام، فقد نقل محمّد رشيد رضا (/ ١٣٥٤).

قال أحد كبار علماء الالمان في الاستانة لبعض المسلمين، وفيهم أحد شرفاء مكة: انّه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا (برلين)، قيل له: لماذا؟ قال: لأنّه هو الذي حوّل نظام الحكم الاسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب، ولولا ذلك لعم الاسلام العالم كله، واذن لكنا نحن الالمان، وسائر شعوب أوربة عرباً مسلمين.[١]

[٦٤]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ[٢] عليه السلام إلى أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ عامِلُهُ عَلَى ٱلْكُوفَةِ، وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْهُ[٣] تَثْبِيطُهُ[٤] ٱلنّاسَ عَنِ ٱلْخُرُوجِ إِلَيْهِ لَمّا نَدَبَهُمْ لِحَرْبِ أَصْحابِ ٱلْجَمَلِ:

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلى عَبْدِٱللّٰهِ بْنِ قَيْسٍ:

أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ[٥]، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُولِي فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، وَٱشْدُدْ مِئْزَرَكَ، وَٱخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَٱنْدُبْ[٦] مَنْ مَعَكَ، فَإِنْ حَقَّقْتَ[٧] فَانْفُذْ[٨]، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَأَبْعُدْ[٩]، وَٱيْمُ ٱللّٰهِ لَتُؤْتَيَنَّ حَيْثُ أَنْتَ[١٠].

---

(١) الوحي المحمدي: ٢٦٥، ط /١٣٥٣.
(٢) في ب «كتبه» بدل «له».
(٣) لم ترد «عنه» في ص.
(٤) هـ. ب: من ثبط، أي تحبيسه.
(٥) في هـ. ص: قال في الشرح: كان ابو موسى يقول لأهل الكوفة: إن علياً امام هدى وبيعته صحيحة، إلّا أنّه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة، وهذا القول بعضه حق وبعضه باطل: انتهى.
(٦) في هـ. ب: ادع.
(٧) في أ وص: خففت، وفي ط: تحققت، وفي هـ. د: خففت ـ ف ك، حففت ـ ع.
(٨) في هـ. ب: فاندب.
(٩) في هـ أ: فأبعِد، فأبعُد ـ معاً ـ، وفي هـ. ب: أي اهلك وابتعد.
(١٠) في هـ. ب: فإن تعلم حقيقة ما أقول نفّذه، أي يأتيك ما أرسله إليك، وفي هـ. ص: يريد عليه السلام

كان أبو موسى الاشعري والى الكوفة عن الإمام‌عليه السلام حين اعلن طلحة والزبير المعارضة المسلحة ضد الإمام، ولما اتخذ الإمام باعتباره المسؤول الأوّل بعقد البيعة بالخلافة، أن يخمد المعارضة المسلحة اعلن الاشعري موقفا متخاذلاً، فكان يقول لاهل الكوفة كما ذكر ابن أبي الحديد: «ان عليا امام هدى، وبيعته صحيحة إلّا أنه لا يجوز القتال معه لاهل القبلة» ـ وايضا ـ «لا يحل لكم سل سيف لا مع علي ولا مع طلحة، والزموا بيوتكم واكسروا سيوفكم».(١)

وهذا الموقف المتخاذل أقل ما يقال فيه: انّه اهمال لواجب الولاية؛ فإنّ الولاية تستلزم تنفيذ الاوامر القيادية الصادرة من الإمام والمساندة للسياسية التي يتبعها، وهذا الموقف يهمل ذلك تماماً، فان مسؤولية الولاية تقتضي مبايعة الإمام، كما قال الله تعالى:﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.(٢)

والخيارات الطبيعية للوالي هي:

أوّلاً: ـ تنفيذ أوامر الإمام باعتباره والياً عنه.

ثانياً: (رفض الولاية والانضمام إلى المعارضة ان كان يعتقد صحة المعارضة.

ثالثاً: الاستقالة من الوظيفة ان كان في شك من الأمر.

ولكنّه سلك مسلكا رابعاً، وهو ليس من الخيارات الطبيعية للوالى حيث اعترف بامامة الإمام الشرعية، وفي نفس الوقت لم ينفذ اوامر الإمام، وهذا الموقف المتخاذل الى الخيانة اقرب ان لم يكن نفسها.

وخيارات الإمام ككل قائد اعلى، هي:

اولا: العزل والاقالة بسبب رفض الاوامر القيادية.

ثانيا: الاتهام بالخيانة بمسؤولية الولاية.

ولكنّه لم يسلك اياً منها، بل سلك مسلكا وسطا، ولعله للامل برجوعه الى رشده

إنّ أبا موسى ستقوده أقدار الشقاء إلى الدخول في الفتنة التي زعم أنّه يتحرّز منها، وهذا من اسرار الوصيّة.

(١) شرح النهج ١٧ : ٢٤٦ ـ ٢٤٧، ط /١٣٨١.

(٢) الحجرات: ٩.

بالعمل بمسؤولية الولاية، وانه لا يكون العزل أو الاتهام بالخيانة موجباً لدفعه إلى التعاون مع المعارضة المسلحة فقال عن قول الاشعرى:

ـ (اما بعد، قعد بلغني عنك قول هو لك وعليك) واكتفى الإمام بهذا في تقييم قول الاشعري، فانه يتضمّن مقطعين هما:

(ان عليا امام هدى وبيعته حجة) و (الا أنه لا يجوز القتال معه لاهل القبلة)، وهو قول متناقض، فان القول بصحة البيعة يستلزم الرضوخ للاوامر القيادية ومحاربة اهل البغي من اوضح مواردها.

وقوله: (لا يجوز القتال معه لاهل القبلة) يعني الجهل بقوله تعالى:﴿فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيئ إلى امر الله﴾.[1]

فانه يأمر بالقتال ضد المؤمنين من البغاة، وهم من اهل القبلة، فكيف لا يجوز القتال تحت قيادة من هو حسب تعبيره (امام الهدى وبيعته صحيحة)؟

وهذا التناقض؛ لأنّه حق وباطل معاً من جهتين.

وحيث أنه اتخذه هذا الموقف المتناقض، خيّره الايام بين تنفيذ الاوامر أو الاعتزال، فقال عن تنفيذ الاوامر:

١ ـ (فاذا قدم رسولي عليه فارفع ذلك) كناية عن التحرك باللحوق بجيش الإمام في حرب البغاة.

٢ ـ (وأشدّ مئزرك) والشد: الإحكام، وذلك كناية استحكام الحال للحرب.

٣ ـ(واخرج من حجرك) أي الكوفة الذي اتخذه الاشعرى محلاً امنا، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«وهي كناية فيها غض من أبي موسى واستهانة؛ لانه لو أراد اعظامه لقال واخرج من حيسك أو من غلبك كما يقال للاسد، ولكنّه جعله ثعلباً وضباً».

٤ ـ (واندب من معك) بدعوة اهل الكوفة للخروج معه، فلا يخرج نفسه وحده.

٥ ـ (فإن حققت فانفذ) بأن تحققت من طاعة امام الهدى ـ كما هو ما عليه الاشعري ـ فلابد من تنفيذ اوامره والتحرك، وليس وحده بل باهل الكوفة.

---

(١) الحجرات : ٩.

وعن موقف الشك قال:

(وإن تفشلت فابعد) والفشل: الجبن وعدم الرؤية الواضحة، فلابد من العذل والاستقالة بالابتعاد عن وظيفة الولاية.

فلا خيار للوالي سوى تنفيذ الاوامر أو الاستقالة.

ثمّ حذر من التخاذل المعروف من الاشعري بقوله:

(وأيم الله لتؤتين حيث أنت) مشيرا إلى الموقف المتخاذل من الاشعري كما هو الثابت في تاريخ حياته في الماضي:

(١/ك ٦٣) تحذير من التخاذل:

وَلَا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ[١]، وَذَائِبُكَ[٢] بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ[٣]، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامَكَ[٤]، كَحَذَرِكَ مَنْ خَلْفَكَ[٥]، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَا[٦] ٱلَّتِي تَرْجُو[٧]، وَلكِنَّهَا ٱلدَّاهِيَةُ ٱلْكُبْرَى، يُرْكَبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلَّلُ صَعْبُهَا، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا. فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وَٱمْلِكْ أَمْرَكَ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلى غَيْرِ رَحْبٍ[٨]، وَلَا فِي نَجَاةٍ[٩]، فَبِالْحَرِيِّ[١٠] لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُقَالُ: أَيْنُ فُلَانٌ! وَٱللّهِ إِنَّهُ[١١] لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ مَا يُبَالِي[١٢] مَا صَنَعَ ٱلْمُلْحِدُونَ! وَٱلسَّلَامُ.

ثم حذر الإمام من موقف الاشعري المتخاذل بأنّه ليس بالموقف الشرعي وانه موقف خاسر، سواءً نجحب المعارضة أو لا، فقال:

(١) في هـ. ب: غير خالص وجيد، وفي هـ. ص: قوله:«بخاثرك» أي ليثورن ما تكتمه حتى يظهر فيختلط بما تظهره ويطلع على حقيقة ضميرك.
(٢) في هـ. ص: أي الفتنة.
(٣) في هـ. د: في قعدتك ـ ب، وفي هـ. ب: قعودك.
(٤) في هـ. د: لحامك ـ ع.
(٥) في هـ. ص: قوله: «وتحذر من امامك ... الخ» أشار عليه السلام إلى أنّ مثال أمر أبي موسى إلى أن يخاف من علي ومعاوية.
(٦) في هـ. ب: الفترة.
(٧) في هـ. ص: أي توحل التائب فيها على بصيرة وعلى غير بصيرة واعتماداً وسوقاً.
(٨) في : في غير رحب.
(٩) في أ: ولا نجاة.
(١٠) في هـ. ب: أي فبالجدير.
(١١) في هـ. ص: أي أمره عليه السلام .
(١٢) في ب: نبالي، وفي أ: نبالي، يُبالي ـ معاً ـ.

١ ـ(ولا تترك)؛ فإنّ خذل امام الهدى ـكما اعلن الاشعري ـ يعني كونه خائناً لامانة الولاية.

(حتى يخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك) والخاثر: اللبن الغليظ وخلاصة اللبن وصفوته، وهو كناية عن ضرب الإنسان مبرحاً، كأنّه بعد الضرب اختلطت اعضاء بدنه اللطيف بالكثيف.

فان الموقف المتخاذل لا يكون مرضيا للقيادة الشرعية كما انه ليس مرضيا للمعارضة المسلحة.

وكان الإمامعليه السلام يشير إلى خطة استقلالية لخطط الاشعري خططها لنفسه بالاستقلال بالحكم في الكوفة فقال:

٢ ـ(وحتى تعجل عن قعدتك) أي القعود بالتخاذل عن نصر الإمام .

(وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك) فان الموقف المتخاذل يعتبر خيانة لامانة الولاية من قبل الإمام، كما لا يكون أيّ نصر للمعارضة المسلحة، بل يكون موقفا بين خيانة التخاذل وحذر المعارضة. وعن سبب ذلك قال:

٣ ـ(وما هي بالهوينى التي ترجو) من الاستقلالية من الجانبين ظناً بأن ضعف أيّ واحد من الجانبين يؤدي الى الوصول إلى مركز الكوفة.

٤ ـ(ولكنها الداهية الكبرى) لانها معارضة للحكم المركزي الشرعي، وهو البغي.

وعن الواجب القيادي في حكم البغاة أشار بقوله:

أوّلاً: (يركب جملها) باخماد دعاة التفرقة والتجزئة للوطن الاسلامي .

ثانياً: (ويذل صعبها) بمحاربة رؤوس الفتنة في المجتمع الاسلامي .

ثالثاً: (ويسهل جبلها) بتحطيم قوى المعارضة للحكم الاسلامي.

وعن واجب الاشعري باعتباره لا يزال واليا، قال:

١ ـ(فاعقل عقلك) العقل: هو الفكر، والعقال: مايربط به البعير، كناية عن تحكيم العقل في هذا القرار.

٢ ـ (واملك أمرك) بأن يكون القرار من جانب الاشعري، وليس للاهواء العامة التي تؤثر على فكره.

٣ ـ(وخذ نصيبك) بالاستمرار في الولاية الشرعية.

٣ ـ(وحظك) الذي وفره القائد الاعلى، حيث لم يعتبر التخاذل خيانة توجب العقوبة.

٤ ـ (فإن كرهت) الولاية للانحراف الفكري الذي أنت تزعمه.

(فتنح) بالاستقالة من الوظيفة من دون تثبيط أو تخاذل.

وقد علق على هذا العزل ـ ان اختاره ـ فانه عزل مرغوب فيه، فلا حاجة إلى ولاية الاشعري المتخاذل لوجود من هو جدير بالوظيفة فقال:

(إلى غير رحب) وهو ضد قولك: مرحبا.

(ولا في نجاة) من عقاب التخاذل في الدنيا والآخرة.

(فبالحري لتكفين وأنت نائم حتّى لا يقال: أين فلان)؛ فإنّ بالمقاتلين من المسلمين من دون الاشعري كفاية في حرب البغاة في البصرة، فيكون الاشعري منهما في الكوفة كالنائم الذي لا يشترك في المسؤوليات.

ثم أكّد على أن الحرب ضد البغاة واجب اسلامي تطبيقا لقوله تعالى في البغاة بالقتال :﴿حتّى تفيءَ إلى امر الله﴾ فقال مؤكدا:

(والله انّه لحق مع محق) فان الحرب ضد البغاة حق، والمحارب معه ضدهم مع قائد محق.

(وما نبالي ما صنع الملحدون) بهذا الواجب من المحاربة أوالتخاذل .

(والسلام)؛ فإنّ اداء الواجب الاسلامي هو المطلوب من القيادة في سبيل الله.

ذكر ابن الأثير في أسد الغابة ، قال:« ب ع س ، أبو موسى الأشعري، واسمه عبد الله بن قيس وقد ذكرناه في اسمه في العين ونسبناه هناك وذكرنا شيئا من أخباره وأمه امرأة من عك أسلمت وماتت بالمدينة قال طائفة منهم الواقدي كان أبو موسى حليفا لسعيد بن العاص ثم أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر وقال الواقدي عن خالد بن الياس عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي الجهم وكان علامة نسابة قال ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة وليس له حلف في قريش ولكنه أسلم قديما بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة ووافق رسول الله ﷺ بخيبر فقالوا قدم رسول الله صلى الله عليه مع أهل السفينتين وانما الامر على ما ذكرته قال أبو عمر انما ذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة لأنه أقبل

مع قومه إلى رسول الله ﷺ وكانوا في سفينة فألقتهم إلى الحبشة وخرجوا مع جعفر وأصحابه هؤلاء في سفينة وهؤلاء في سفينة فقدموا جميعا حين افتتح رسول الله ﷺ خيبر فقسم لأهل السفينتين ويصدق هذا القول ما أخبرنا به يحيى بن محمود وأبو ياسر باسنادهما عن مسلم بن الحجاج حدثنا عبد الله بن براد الأشعري ومحمّد بن العلاء الهمداني قالا حدثنا أبو أسامة حدثني يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى قال بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا واخوان لي أنا أصغرهما أحدهما أبو بردة والآخر أبورهم اما قال بضع واما قال ثلاثة وخمسون رجلا من قومي قال فركبنا السفينة فألقتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده فقال جعفر ان رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا قال فوافقنا رسول الله صلى عليه وسلم حين افتتح خيبر فأسهم لنا أو قال أعطانا منها وما قسم لأحد غاب عن خيبر منها شيئا إلّا لمن شهد معه إلّا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه وهذا حديث صحيح وقيل رسول الله ﷺ لم يقسم لهم»[١].

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة ، قال:«واستعمله عمر بن الخطاب على البصرة بعد المغيرة بن شعبة ثم إنّ عثمان عزله فلما منع أهل الكوفة سعيد بن العاص أميرهم على الكوفة طلبوا من عثمان ان يستعمل عليهم أبا موسى فاستعمله فلم يزل عليها حتى استخلف على فأقره عليها فلما سار على إلى البصرة ليمنع طلحة والزبير عنها أرسل إلى أهل الكوفة يدعوهم لينصروه فمنعهم أبو موسى وأمرهم بالقعود في الفتنة فعزله على عنها وصار أحد الحكمين فخدع فانخدع وسار إلى مكة فمات بها وقيل مات بالكوفة سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة أربع وأربعين وقيل سنة خمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين أخرجه أبو نعيم وأبو موسى مختصرا وأخرجه أبو عمر مطولا وقد تقدم في اسمه أكثر من هذا»[٢].

[٦٥]

ومن كِتابٍ لَهُ ﷺ إلى مُعاوِيَةَ جَواباً عَنْ كِتابِ منهِ[٣]، ويتضمّن المقارنة بين الماضي

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٥ : ٣٠٨ - ٣٠٩.
(٢) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٥ : ٣٠٩.
(٣) لم ترد «عن كتاب منه» في أ، وفي د: جواباً عن كتابه.

والحاضر، ودفع المؤاخذات ومقابلة التهديدات وشخصية معاوية والحكم الاسلامي.

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلى ما ذَكَرْتَ مِنَ ٱلْأُلْفَةِ وَٱلْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَٱلْيَوْمَ أَنَّا ٱسْتَقَمْنا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إلّا كُرْهاً وَبَعْدَ أَنْ كانَ أَنفُ ٱلْإِسْلَامِ[(١)] كُلُّهُ لِرَسُولِ ٱللّهِ ﷺ حِزْباً[(٢)].

(١/ك ٦٤) بين الماضي والحاضر:

قارن الإمام بين التاريخ الماضي الذي أشار اليه معاوية ورسالته في اسلام الطرفين، وقارنه بالحاضر من سلالة الطرفين، فقال عن الماضي:

١ ـ (أما بعد، فإنا كنا نحن وأنتم) فمن جانب الإمام بنو هاشم، ومن جانب معاوية بنو أُميّة، وتاريخ كلّ من العشيرتين في الماضي معروف، والإمام هو عليّ بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

ومعاوية هو ابن أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.

٢ ـ (على ما ذكرت من الألفة والجماعة) بحيث يجتمع النسب من عبد مناف وما فوق.

٣ ـ (ففرق بيننا وبينكم أمس: أنّا آمنّا وكفرتم)؛ فإنّ بني هاشم قاطبة آمنت بالنبى محمّد ﷺ، في حين أن بنو أُميّة قاطبة كفرت به وحاربت الاسلام.

وعن الحاضر قال:

أوّلاً: (واليوم أنا استقمنا) على الاسلام الذي بشر به النبيّ محمّد ﷺ عقيدة وشريعة.

ثانياً: (وفتنتم) حيث امتحنتم في اسلامكم فتنة لا تنبئ عن الاستقامه على تلك المبادي الاسلاميّة التي منها: الحكم الاسلامي القائم بالشورى، ورفض تغييرها إلى الملك بالوراثة؛ فإنّ الفتنة تكشف عن انه:

ثالثاً: (وما أسلم مسلمكم إلّا كرها) من دون رغبة في الاسلام عقيدة وشريعة، حيث أن معاوية يحارب اليوم الحكم الاسلامي القائم بالشورى، كما حارب ابو سفيان الاسلام في حياة النبيّ ثلاثة حروب، واستسلم قبل فتح مكة بليلة واحدة في العام الثامن للهجرة، خشية القتل لو لم يسلم، فاسلم كارها.

(٢/ك ٦٤) دفع المؤاخذات:

---

(١) يريد ﷺ اسلام أبي سفيان ليلة فتح مكة خوفاً من القتل.

(٢) في ط: حَرْبا، وفي هـ. د: حربا ـ ح، وروي: حربا ـ ك.

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَٱلزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ[١] بِعائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ ٱلْمِصْرَيْنِ[٢]، وَذٰلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا ٱلْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

(وبعد أن كان أنف الاسلام كلّه لرسول الله ﷺ حزبا) انف الشئ: أوله، أي كان من اسلم من بني أُميّة في صدر الاسلام حزباً واحدا ضد النبي ومحاربا له حتّى عام الفتح.

وهذه المقارنة الواضحة بين بني هاشم وبني أُميّة تكشف عن الخلاف العميق بينهما في المبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية، كما تدل على ذلك مواقفهما.

وأشار الإمام اشارة عابرة إلى دفع المؤاخذات والاتهامات التي وجهها معاوية الى الإمام تحريفا عن المسألة الحقيقية من محاولة تغيير الخلافة من الشورى إلى الملوكية فقال:

١ ـ (وذكرت أني قتلت طلحة والزبير) في معركة الجمل عام ٣٦ في البصرة .

٢ ـ (وشردت بعائشة) التي أسرت في معركة الجمل في معارضة الإمام.

٣ ـ(ونزلت بين المصرين) يعني: البصرة والكوفة.

فاجاب عنها بقوله:

(وذلك أمر غبت عنه، فلا عليك، ولا العذر فيه إليك) حيث انّه امرٌ لا يخصّك، ولا يستحق الاجابة عليها؛ لان الذي قتل طلحة هو مروان بن الحكم، واعلن ذلك بنفسه ، والزبير قتله عمرو بن جرموز، والسيدة عائشة كانت حيّة في هذا التاريخ، وكان لها رأيها في المؤاخذة ان كانت ـ لا غير، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «اجابه.. بكلام مختصر اعترض فيه عنه عنه هواناً به».[٣]

(٣/ك ٦٤) مقابلة التهديدات:

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي ٱلْمُهاجِرِينَ وَٱلْأَنْصارِ، وَقَدِ ٱنْقَطَعَتِ ٱلْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ[٤]، فَإِنْ كانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ[٥]، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ ٱللّٰهُ إِنَّما بَعَثَنِي لِلنِّقْمَةِ

---

(١) التشريد بشخص: إسماع الناس عيوب شخص أو طرده وتفريق أمره.

(٢) في هـ. ب: الكوفة والبصرة.

(٣) شرح النهج ١٧ : ٢٥٤.

(٤) أخوه عمرو بن أبي سفيان، أُسر يوم بدر.

(٥) في هـ. ب: تأن واسكن، وفي هـ. ص: أي كن ذا رفاهية وتؤدة ولا ترهقنّ نفسك، فلابد من لقاء بعضنا بعضاً، ثم قسم اللقاء بقوله: فأني إن أزرك... الخ، انتهى من شرح ابن أبي الحديد.

مِنْكَ، وَإِنْ تَزُرْنِي[(١)] فَكَما قالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ[(٢)]:

مُسْتَقْبِلِينَ رِياحَ ٱلصَّيْفِ[(٣)] تَضْرِبُهُمْ بِحاصِبٍ[(٤)] بَيْنَ أَغْوارٍ[(٥)] وَجُلْمُودِ[(٦)]

وَعِنْدِي ٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي أَعْضَضْتُهُ[(٧)] بِجَدِّكَ[(٨)] وَخالِكَ[(٩)] وَأَخِيكَ[(١٠)] فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ[(١١)].

وعن تهديدات معاوية قال:

أوّلاً: ـ (وذكرت أنك زائري في المهاجرين والأنصار) كناية عن أعلان الحرب ضد الإمام قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هذا الكلام تكذيب له في قوله : " في جمع من المهاجرين والأنصار " ، أي ليس معك مهاجر لان أكثر من معك ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هم أبناء الطلقاء ومن أسلم بعد الفتح ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : " لا هجرة بعد الفتح " . وعبر عن يوم الفتح بعبارة حسنه فيها تقريع لمعاوية وأهله بالكفر ، وأنهم ليسوا من ذوي السوابق ، فقال : " قد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك يعنى يزيد بن أبي سفيان أسر يوم الفتح في باب الخندمه ، وكان خرج في نفر من قريش يحاربون ويمنعون من دخول مكة فقتل منهم قوم وأسر يزيد بن أبي سفيان ، أسره خالد بن الوليد ، فخلصه أبو سفيان منه ، وأدخله داره ، فـآمن لان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يومئذ : " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن "».[(١٢)]

ثانياً: (وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك) وهو زيد بن أبي سفيان الأموي، حيث

---

(١) هـ. ص: أي تغزني في بلادي وتقبل بجموعك إليّ.

(٢) في هـ. ص: قال في شرح ابن أبي الحديد: كنت اسمع قديماً أن هذا البيت من شعر بشر بن أبي حازم الأسدي، والآن قد تصفحت شعره فلم أجده ولا وقفت على قائله، وإن وقفت فيما يستقبل من الزمان على قائله الحقته، انتهى.

(٣) في هـ. ص: هو القيض، وخص رياحُه لأنّها تحمل السموم.

(٤) في هـ. ص: هو صغار الحصى.

(٥) في هـ. ب: أرض منحدر، وفي هـ. ص: جمع غور، ما اطمأن من الأرض.

(٦) في هـ. ص: واحد الجلاميد، وهي الصخور والرياح تهوى في الفجاج لاجتماعها.

(٧) في هـ. ب: من العضّ، وفي هـ. ص: أي جعلته عاضاً، شبهه بسبع عقّار، فليس من المقلوب.

(٨) في هـ. ص: عتبة بن ربيعة.

(٩) في هـ. ص: الوليد.

(١٠) في هـ. ص: حنظلة بن أبي سفيان.

(١١) في هـ. ص: يوم بدر.

(١٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

قال ﷺ :«لاهجرة بعد الفتح». فدعوى معاوية انّ معه المهاجرون جهل بالتاريخ الاسلامي.

ثالثا: (فإن كان فيك عجل فاسترفه) أي اطلب الرفاء قبل العجلة؛ لان في المواجهة يكون هلاك معاوية، فلا يكون هناك زمن للرفاه، ثمّ علل ذلك بامور ثلاثة:

١ ـ (فإني إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله إنما بعثني للنقمة منك)؛ فإنّ التهديد لمن يؤمن بالحرب العقائدية محاولة فاشلة؛ لايمان المحارب بأنّه يحارب في سبيل الله.

٢ ـ (وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد :

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار وجلمود).

والحاصب: الحصى، والغور: الغبار، والجلمود: الصخر، فان الجيش الشعبي الاسلامي مستعد للمواجهة بانواع ما يتيسر له من الاسلحة المادية.

٣ ـ(وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد) مشيراً إلى من قتلهم الإمام في حرب بدر من الامويين وهم:

أوّلاً: جد معاوية من قبل الام، وهو عتبة بن ربيعة.

ثانياً: خال معاوية، وهو الوليد بن عتبة بن ربيعة.

ثالثاً: اخو معاوية، وهو حنظلة بن ابي سفيان.

فهؤلاء الثلاثة كانوا في جيش المشركين في معارضة النبي ﷺ، وقتلهم الإمام جميعا في بدر، وكان فيهم معاوية بن حرب، فهرب راجلاً إلى مكة ونجى بنفسه.

(٤ / ك ٦٣) شخصية معاوية:

وَإِنَّكَ ـ وَٱللّهِ ـ ما عَلِمْتُ[١]: ٱلْأَغْلَفُ ٱلْقَلْبِ[٢]، ٱلْمُقارِبُ[٣] ٱلْعَقْلِ، وَٱلْأَوْلَى أَنْ يُقالَ لَكَ[٤]: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سَوْءٍ عَلَيْكَ لا لَكَ[٥]، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ

---

(١) في هـ . ب: الّذي علمت.

(٢) في هـ . ص: أي الّذي لا بصيرة له، كأن قلبه في غلاف لا يصل إليه نور الحق.

(٣) في هـ . ب: المقارب، يقال لمن ليس له فهم وعلم، وفي هـ . ص: بكسر الراء: الّذي عقله ليس بجيّد، والعامة تقوله: بالفتح، انتهى من الشرح.

(٤) في هـ . ص: أي يضرب لك هذا المثال ويقال في حقك هذا القول.

(٥) في هـ . ص: أي أن عاقبة فعلك سوء لابد أن يحيق بك في الدنيا والآخرة.

ضَالَّتِكَ[١]، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ[٢]، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلا فِي مَعْدِنِهِ، فَما أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ[٣].

وَقُرِيبَ[٤] ما أَشْبَهْتَ[٥] مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ! حَمَلَتْهُمُ ٱلشَّقاوَةُ وَتَمَنِّي ٱلْبَاطِلِ عَلَى ٱلْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فُصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ ما خَلَا مِنْهَا ٱلْوَغَى[٦]، وَلَمْ تُمَاشِهَا[٧] ٱلْهُوَيْنَى[٨].

وأشار الإمام مؤكدا على شخصية معاوية بالصفات التالية:

ـ (وإنك والله ما علمت) بحكم التواطن في مكة فيكون علمه بصفاته علما شخصيا.

١ ـ (لأغلف القلب) الذي على قلبه غلاف، فلا تؤثر فيه الموعظة الاسلاميّة.

٢ ـ (المقارب العقل) القرب من الشيئ يستلزم النقص منه، بأن لا يكون عقلا كاملا لفقدان الوعي للمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة.

٣ ـ(والأولى أن يقال لك: إنك رقيت سلما أطلعك مطلع سوء عليك لا لك)؛ فإنّ طلب الملك بمحاربة الحكم الاسلامي القائم بالشورى صعود في السلم بدرجات يوصل الإنسان إلى السوء المفروض على من يسلك هذا المدرج؛ فإنّ محاربة الحكم بالشورى تصبح شرعية لمحاربة أي حكم بالقوة، كما حصل بالفعل من العباسيين على الامويين، وهكذا حكم الثورات في التاريخ.

٤ ـ وعن الاسباب الداعية إلى وصف معاوية بذلك قال:

أوّلاً: (لأنك نشدت غير ضالتك) وانشاد الضالة: طلب ما ضاع، كناية عن المغالبة

---

(١) مثل بضرب لمن طلب غير حقه، وفي هـ. ب: نشدت: طلبت.

(٢) في هـ. ب: سايمتك، وفي هـ. ص: السائمة هي المال الراعي، والكلام خارج مخرج الاستعارة.

(٣) في هـ. ص: قوله: «فما أبعد قولك» أي أن أفعاله مضاد ما ادعاه من طلب الحق، لأن أفعاله القديمة والحادثة ضدّ الحق وخلافه.

(٤) في أ و ب و ط: وقريب.

(٥) في هـ. ص: قوله: «وقرب» أي ما أقرب، فهي صيغة تعجّب، وأصله: قريب بضم الراء، و «ما» مصدرية، أي شديد شبهك بالكفار من اسلافك وأعمام معاوية هم أخواله؛ لأنّهم كلّهم من بني عبد شمس.

(٦) في هـ. ب: الحرب.

(٧) في هـ ز ب: من المماشاة، ماشا يماشي، من المشي.

(٨) في هـ. ص: أي لم يصحبها الاناءة، بل هي ماضية في الضريبة.

بالحكم بالقوة مع أن الحكم بالشورى.

ثانياً: (ورعيت غير سائمتك) السائمة: الحيوانات الراعية؛ فإنّ المسلمين يعرفون نظام الحكم بالشورى، وفرض نوع اخر من الحكم عليهم بالملوكية لا يتحمله المسلمون.

ثالثاً: (وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه) لفقدان المؤهلات المطلوبة في القيادة الاسلامية في معاوية لعدم تربيته تربية اسلامية تؤهله لها.

رابعاً: (فما أبعد قولك من فعلك) حيث انّه النفاق، فالاقوال والدعايات الاسلاميّة المرفوعة من قبل معاوية لا تطابق اعماله في محاربة الحكم الاسلامي بالشورى.

خامساً: (وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال)؛ فإنّ لمواقف معاوية في النفاق يشابه مواقف اسرته قبل الاسلام.

(٥/ك ٦٤) الحكم الاسلامي:

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمانَ، فَادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ ٱلنَّاسُ، ثُمَّ حاكِمِ ٱلْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلى كِتَابِ ٱللّهِ تَعالى، وَأَمَّا تِلْكَ ٱلَّتِي تُرِيدُ[١] فَإِنَّها خُدْعَةِ ٱلصَّبِيِّ عَنِ ٱللَّبَنِ فِي أَوَّلِ ٱلْفِصالِ، وَٱلسَّلامُ لِأَهْلِهِ.

وذكر وجه الشبه بين معاوية واسرته في معاداة الاسلام في الجاهلية بقوله:

(حملتهم الشقاوة وتمني الباطل على الجحود بمحمدﷺ، فصرعوا مصارعهم حيث علمت)، فان الدوافع التي دعت الاسرة في الجاهلية الى انكار الاسلام منها الشقاوة وثمن الباطل من غلبة الحكم الجاهلي على الحكم الاسلامي، هي تشابه تماماً مواقف معاوية من غلبة الحكم الملوكي على الحكم بالشورى.

وأشار إلى أن النائحة تكون مشابهة في التاريخ بقوله:

(لم يدفعوا عظيما، ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها الهوينى) الوغى: الحرب، والهوينى: تصغير للاهون؛ فإنّ الحرب الماديّة ضد الحرب العقائدية فاشلة في التاريخ، كما كانت حرب الامويين قبل الاسلام التي وسمت المحاربين المشركين بالقتل في ساحة الحرب والهوان في التاريخ.

وختم المقطع بالمؤاخذة الاخيرة من معاوية والحل لها من وجهه نظر الحكم

---

(١) في ه. د: وأما الّتي تريد ـ ف، وفي ه. ص: وهي قراره على الشام، كأنّ معاوية يريد المطاولة حتى يستمكن ويقرر أمره.

الاسلامي، فقال:

١ ـ (وقد أكثرت في قتلة عثمان) فقد رفع معاوية قميص عثمان شعاراً للمطالبة بقتلة عثمان في أكثر من موقع.

وقد اجاب الإمام عن هذه المؤاخذة بأن الحكم في القتل لابدّ وان يصدر من محكمة اسلامية وفقا لقانون العقوبات الاسلامية. وهذه المحكمة لابدّ وان تشكل بعد الاعتراف بها ولا يكون الاعتراف بها إلّا بعد الاعتراف بالحكم الاسلامي بالشورى، وليس بالمعارضة المسلحة فقال:

٢ ـ (فادخل فيما دخل فيه الناس) من الاعتراف بالحكم الاسلامي القائم بالشورى.

ـ (ثم حاكم القوم إلي) برفع الدعوى على من هو متّهم بالقتل، كما يقتضيه قانون المرافعات من معرفة المدعي والمدعى عليه.

٣ ـ (أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى)؛ فإنّ واجب القيادة الاسلاميّة المحاكمة الاسلاميّة العادلة القائمة على القانون الاساسي وهو القرآن الكريم.

٤ ـ (وأما تلك التي تريد) وهي الملوكية في الاسلام برفع الشعارات والدعايات بالمعارضة المسلحة.

٥ ـ (فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال، والسلام لأهله)؛ لانها دعايات تؤثر فيمن ليست له رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، كالصبيان الذين يخدعون في فترة الفصال والفطام عن لبن الام بتحوير اتجاهه عن المطالب الحقيقة حتّى ينشغل عن اللبن ويتعود على الفطام.

وهذه الدعايات السياسية التي يقوم بها معاوية فى سبيل تعويض الحكم الاسلامي لا تؤثر على من يتحصن بالوعي للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[كتاب معاوية إلى علي]

وأمّا الكتاب الذي كتبه إليه معاوية ، وهذا الكتاب جوابه ، فهو : من معاوية بن أبي سفيان ، إلى علي بن أبي طالب : وأمّا بعد ، فإنا بني عبد مناف لم نزل ننزع من قليب واحد ، ونجري في حلبة واحدة ، ليس لبعضنا على بعض فضل ، ولا لقائمنا على قاعدنا فخر ، كلمتنا مؤتلفة وألفتنا جامعة ، ودارنا واحدة ، يجمعنا كرم العرق ، ويحوينا شرف النجار ،

ويحنو قوينا على ضعيفنا ، ويواسي غنينا فقيرنا ، قد خلصت قلوبنا من وغل الحسد ، وطهرت أنفسنا من خبث النيّة فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الادهان في أمر ابن عمك ، والحسد له ، ونصرة الناس عليه ، حتى قتل بمشهد منك ، لا تدفع عنه بلسان ولا يد . فليتك أظهرت نصره ، حيث أسررت خبره ، فكنت كالمتعلق بين الناس بعذر وإن ضعف ، والمتبرئ من دمه بدفع وإن وهن ، ولكنك جلست في دارك تدس إليه الدواهي ، وترسل إليه الأفاعي ، حتى إذا قضيت وطرك منه ، أظهرت شماتة وأبديت طلاقة ، وحسرت للامر عن ساعدك ، وشمرت عن ساقك ، ودعوت الناس إلى نفسك ، وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتك ، ثم كان منك بعد ما كان ، من قتلك شيخي المسلمين أبى محمّد طلحة وأبى عبد الله الزبير ، وهما من الموعودين بالجنة ، والمبشر قاتل أحدهما بالنار في الآخرة ، هذا إلى تشريدك بأم المؤمنين عائشة وإحلالها محل الهون ، متبذلة بين أيدي الاعراب وفسقه أهل الكوفة ، فمن بين مشهر لها ، وبين شامت بها ، وبين ساخر منها . ترى ابن عمك كان بهذه لو رآه راضيا ، أم كان يكون عليك ساخطا ، ولك عنه زاجرا ! أن تؤذى أهله وتشرد بحليلته ، وتسفك دماء أهل ملته . ثم تركك دار الهجرة التي قال رسول الله ﷺ عنها : " إنّ المدينة لتنفي خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد " ، فلعمري لقد صح وعده وصدق قوله ، ولقد نفت خبثها ، وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها ، فأقمت بين المصرين ، وبعدت عن بركة الحرمين ، ورضيت بالكوفة بدلا من المدينة وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضا من مجاورة خاتم النبوة ، ومن قبل ذلك ما عبت خليفتي رسول الله ﷺ أيام حياتهما ، فقعدت عنهما وألبت عليهما ، وامتنعت من بيعتهما ، ورمت أمرا لم يرك الله تعالى له أهلا ورقيت سلما وعرا ، وحاولت مقاما دحضا ، وادعيت ما لم تجد عليه ناصرا ، ولعمري لو وليتها حينئذ لمّا ازدادت إلا فسادا واضطرابا ، ولا أعقبت ولا يتكها إلا انتشارا وارتدادا ، لأنك الشامخ بأنفه ، الذاهب بنفسه ، المستطيل على الناس بلسانه ويده ، وها أنا سائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار تحفهم سيوف شامية ، ورماح قحطانية حتى يحاكموك إلى الله . فانظر لنفسك وللمسلمين ، وادفع إلى قتله عثمان ، فإنهم خاصتك وخلصاؤك والمحدقون بك ، فإن أبيت إلا سلوك سبيل اللجاج ، والاصرار على الغي والضلال ، فاعلم أن هذه الآية إنما نزلت فيك وفي أهل العراق معك :﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها

الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ ،ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل ومعانيه ، قال عليه السلام : لعمري إنا كنا بيتا واحدا في الجاهلية ، لأنا بنو عبد مناف ، إلا أن الفرقة بيننا وبينكم حصلت منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله ، فأنا آمنا وكفرتم ثم تأكدت الفرقة اليوم بأنا استقمنا على منهاج الحق وفتنتم . ثم قال : " وما أسلم من أسلم منكم إلا كرها " ، كأبي سفيان وأولاده يزيد ومعاوية وغيرهم من بني عبد شمس . قال : " وبعد أن كان أنف الاسلام محاربا لرسول الله صلى الله عليه وآله أي في أول الاسلام ، يقال :كان ذلك في أنف دولة بني فلان ، أي في أولها ، وأنف كل شئ أوله وطرفه ، وكان أبو سفيان وأهله من بني عبد شمس أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله في أول الهجرة ، إلى أن فتح مكة ، ثم أجابه عن قوله : " قتلت طلحة والزبير ، وشردت بعائشة ، ونزلت بين المصرين " بكلام مختصر أعرض فيه عنه هوانا به ، فقال هذا أمر غبت عنه ، فليس عليك كان العدوان الذي تزعم ، ولا العذر إليك لو وجب على العذر عنه . فأمّا الجواب المفصل فأن يقال : إنّ طلحة والزبير قتلا أنفسهما ببغيهما ونكثهما ، ولو استقاما على الطريقة لسلما ، ومن قتله الحق فدمه هدر ، ووأمّا كونهما شيخين من شيوخ الاسلام فغير مدفوع ، ولكن العيب يحدث ، وأصحابنا يذهبون إلى أنهما تابا وفارقا الدنيا نادمين على ما صنعا ، وكذلك نقول نحن ، فان الاخبار كثرت بذلك ، فهما من أهل الجنة لتوبتهما ولولا توبتهما لكانا هالكين كما هلك غيرهما ، فإن الله تعالى لا يحابى أحدا في الطاعة والتقوى ،﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينه ﴾. ووأمّا الوعد لهما بالجنة فمشروط بسلامة العاقبة ، والكلام في سلامتهما ، وإذا ثبتت توبتهما فقد صح الوعد لهما وتحقق ، وقوله : " بشر قاتل ابن صفية بالنار " ، فقد اختلف فيه ، فقال قوم من أرباب السير وعلماء الحديث : هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام غير مرفوع ، وقوم منهم جعلوه مرفوعا ، وعلى كل حال فهو حق ، لان ابن جرموز قلته موليا خارجا من الصف ، مفارقا للحرب ، فقد قتله على توبة وإنابة ورجوع من الباطل ، وقاتل من هذه حاله فاسق مستحق للنار ، ووأمّا أم المؤمنين عائشة فقد صحت توبتها ، والأخبار الواردة في توبتها أكثر من الأخبار الواردة في توبة طلحة والزبير ، لأنها عاشت زمانا طويلا ، وهما لم يبقيا ، والذي جرى لها كان خطأ منها ، فأي ذنب لأمير المؤمنين عليه السلام في ذلك ولو أقامت في منزلها لم تبتذل بين الاعراب وأهل الكوفة ، على أن أمير المؤمنين عليه السلام أكرمها وصانها وعظم من شأنها ، ومن أحب أن يقف على ما فعله معها

فليطالع كتب السيرة . ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت به ، وشقت عصا الأمة عليه ، ثم ظفر بها ، لقتلها ومزقها إربا إربا ، ولكن عليا كان حليما كريما .

وأمّا قوله : " لو عاش رسول الله صلى الله عليه وآله فبربك هل كان يرضى لك أن تؤذى حليلته ! فلعلي عليه السلام أن يقلب الكلام عليه ، فيقول أفتراه لو عاش أكان يرضى لحليلته أن تؤذى أخاه ووصيه ! وأيضا أتراه لو عاش أكان يرضى لك يا بن أبي سفيان أن تنازع عليا الخلافة وتفرق جماعه هذه الأمة ! وأيضا أتراه لو عاش أكان يرضى لطلحة والزبير أن يبايعا ، ثم ينكثا لا لسبب ، بل قالا : جئنا نطلب الدراهم ، فقد قيل لنا : إنّ بالبصرة أموالا كثيرة ! هذا كلام يقوله مثلهما . فأمّا قوله : " تركت دار الهجرة " ، فلا عيب عليه إذا انقضت عليه أطراف الاسلام بالبغي والفساد أن يخرج من المدينة إليها ، ويهذب أهلها وليس كل من خرج من المدينة كان خبثا ، فقد كان خبثا ، خرج عنها عمر مرارا إلى الشام . ثم لعلى عليه السلام أن يقلب عليه الكلام فيقول له : وأنت يا معاوية فقد نفتك المدينة أيضا عنها ، فأنت إذا خبث ، وكذلك طلحة والزبير وعائشة الذين تتعصب لهم وتحتج على الناس بهم وقد خرج عن المدينة الصالحون ، كابن مسعود وأبي ذر وغيرهما ، وماتوا في بلاد نائية عنها ، ووأمّا قوله : " بعدت عن حرمة الحرمين ، ومجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكلام إقناعي ضعيف ، والواجب على الامام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالح الاسلام ، وتقديم قتال أهل البغي على المقام بين الحرمين أولى . فأمّا ما ذكره من خذلانه عثمان وشماتته به ودعائه الناس بعد قتله إلى نفسه وإكراهه طلحة والزبير وغيرهما على بيعته فكله دعوى والامر بخلافها ، ومن نظر كتب السير عرف أنه قد بهته وادعى عليه ما لم يقع منه . ووأمّا قوله : " التويت على أبى بكر وعمر ، وقعدت عنهما ، وحاولت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن عليا عليه السلام لم يكن يجحد ذلك ولا ينكره ، ولا ريب أنه كان يدعى الامر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه على الجملة ، إما لنص كما تقوله الشيعة ، أو لأمر آخركما يقوله أصحابنا . فأمّا قوله : " لو وليتها حينئذ لفسد الامر واضطرب الاسلام " ، فهذا علم غيب لا يعلمه إلا الله ، ولعله لو وليها حينئذ لاستقام الامر وصلح الاسلام وتمهد فإنه ، ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لان أمره هان عندهم بتأخره عن الخلافة ، وتقدم غيره عليه ، فصغر شأنه في النفوس ، وقرر من تقدمه في قلوب الناس أنه لا يصلح لها كل الصلاحية ، والناس على ما يحصل في نفوسهم ، ولو كان وليها ابتداء وهو على تلك الحالة التي كان عليها أيام حياة

رسول الله ﷺ وتلك المنزلة الرفيعة والاختصاص الذي كان له ، لكان الامر غير الذي رأيناه عند ولايته بعد عثمان . ووأمّا قوله : " لأنك الشامخ بأنفه ، الذاهب بنفسه " ، فقد أسرف في وصفه بما وصفه به ، ولا شك أن علياعليه السلام كان عنده زهو لكن لا هكذا ، وكانعليه السلام مع زهوه ألطف الناس خلقا».[١]

[٦٦]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلَيْهِ أَيْضاً[٢]، اشارفيه إلى العادات الجاهلية الموروثة التي ورثها معاوية من آبائه المشركين قبل الاسلام.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وهذا الكتاب هو جواب كتاب وصل من معاوية إليهعليه السلام بعد قتل علىالخوارج ، وفيه تلويح بما كان يقوله من قبل : إنّ رسول الله وعدني بقتال طائفة أخرى غير أصحاب الجمل وصفين ، وإنه سماهم المارقين ، فلما واقعهمعليه السلام بالنهروان وقتلهم كلهم بيوم واحد وهم عشرة آلاف فارس أحب أن يذكر معاوية بما كان يقول من قبل ، ويعد به أصحابه وخواصه ، فقال له : قد آن لك أن تنتفع بما عاينت وشاهدت معاينة ومشاهدة ، من صدق القول الذي كنت أقوله للناس ويبلغك فتستهزئ به ».[٣]

(١/ ك ٦٥) العادات الجاهلية:

أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ ٱلْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ[٤] ٱلْأُمُورِ، فَلَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ[٥] أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ ٱلْأَبَاطِيلَ، وَٱقْتِحَامِكَ[٦] غُرُورَ ٱلْمَيْنِ[٧] وَٱلْأَكَاذِيبِ؛ وَانْتِحَالِكَ[٨] مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ، وَٱبْتِزَازِكَ[٩] لِمَا ٱخْتُزِنَ دُونَكَ؛ فِرَاراً مِنَ ٱلْحَقِّ، وَجُحُوداً لِمَا

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٧ : ٢٥١ ـ ٢٥٦.
(٢) العنوان في أ هكذا: ومن كتابه له إليه.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٧.
(٤) في هـ. د: عنان ـ ع.
(٥) في هـ. ص: المدارج جمع مدرج، وهو الطريق، والأباطيل: جمع باطل على غير قياس.
(٦) في ب و ص: اقحامك، وفي هـ. ص: في نسخة: اقتحامك، وفي هـ. ب: الاقتحام: الإدخال على سبيل الشدة، وفي هـ. ص: أي نفسك ومن اتبعك.
(٧) في هـ. ب: الكذب، وفي هـ. ص: هو الكذب.
(٨) في أ: وبانتحالك، وفي ب و ط: ومن انتحالك، وفي هـ. ب : في نسخة: وانتحالك: أي

هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ؛ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ(١٠)، وَبَعْدَ ٱلْبَيَانِ إِلَّا ٱللَّبْسُ!

فَاحْذَرِ ٱلشُّبْهَةَ وَٱشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا(١١)، فَإِنَّ ٱلْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ(١٢) جَلَابِيبَهَا، وَأَغْشَتِ(١٣) ٱلْأَبْصَارَ ظُلْمَتَهَا.

(أما بعد، فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:

وعن العادات الجاهلية الموروثة عن الاباء أشار بقوله:

١ ـ (فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل)؛ فإنّ فلول المشركين العرب ومنهم ابو سفيان ـ والد معاوية ـ استخدمت الدعايات والاباطيل ضد النبيّ والاسلام.

٢ ـ (وإقحامك غرور المين والأكاذيب) والاقحام: المبادرة، والمين: الكذب، وذلك باستخدام الكذب في مواجهة حقيقة الاسلام ونبيّ الاسلام.

٣ ـ(وبانتحالك ما قد علا عنك) وهو المطالبة بالشركة في الحكم الاسلامي .

٤ ـ (وابتزازك لما اختزن دونك) والابتزار: السرقة بالسلب، والاختزان: الحفظ من أن يناله، وهو الحكم الاسلامي ولقب الخلافة من دون استحقاق بالشورى.

٥ ـ (فرارا من الحق)؛ فإنّ المشركين لم يحاربوا الاسلام لما في الحق من ضرر على مصالحهم السياسية والاجتماعية والاقتصاديّة من المستضعفين من المسلمين.

٦ ـ (وجحودا لما هو ألزم لك من لحمك ودمك) وهو البيعة لحاكم الاسلامي القائم بالشورى، وذلك لانه (مما قد وعاه سمعك ، وملئ به صدرك) .

دعواك، وفي هـ. ص: وانتحالك: أي ادعاؤك ما ليس لك.

(٩) هـ. ب: أي سلبك.

(١٠) في هـ. د: الضلال المبين ـ ض ب.

(١١) في هـ. ص: قوله: لبستها، بضم اللام، أي اشكالها وعدم بيانها، ومعنى اشتمالها: احتوائها والتفافها.

(١٢) في هـ. ب: ارسلت، وفي هـ. ص: قوله: «اغدفت» يقال: اغدفت المرأة القناع: ألقته على رأسها وأرسلته على وجهها فغطته، وفي هـ. أ: يقال: اغدف الليل: أرخى سدوله، واغدف الصياد الشبكة على الصيد، وأغدفت المرأة قناعها: أي أرسلته على وجهها.
قلت: وأرى أصل الكلمة من الغداف، وهو الشعر الأسود، وكذلك الجناح إذا كان اسودا.

(١٣) هـ. ص: قوله: «اعشت» بالمهملة أي كسيتها العشاء، وهو ظلمة البصر، وبالمعجمة أي جعلت ظلمتها غاشية للبصر ساترة له.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «وجحوداً لما هو ألزم»، يعني: فرض طاعة علي عليه السلام ، لأنه قد وعاها سمعه ، لا ريب في ذلك ، إما بالنص في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كما تذكره الشيعة – فقد كان معاوية حاضرا يوم الغدير لأنه حج معهم حجة الوداع ، وقد كان أيضا حاضرا يوم تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافة : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى " ، وقد سمع غير ذلك – وإما بالبيعة كما نذكره نحن فإنه قد اتصل به خبرها ، وتواتر عنده وقوعها ، فصار وقوعها عنده معلوما بالضرورة كعلمه بأن في الدنيا بلدا اسمها مصر ، وأن كان ما رآها».[١]

وبعد سرد هذه النقاط الستّ المشتركة بين معاوية واسلافه المشركين، ووضوح الحق، ختم المقطع بالموعظة بقوله تعالى:

أوّلاً: ـ ﴿فما ذا بعد الحق إلّا الضلال﴾[٢] المبين.

(وبعد البيان إلّا اللبس) وهو خلط الحق بالباطل.

ثانياً: (فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها)؛ فإنّ كلما يرفعه معاوية ليس الا شبهات تسوّلها إليه نفسه بعد البيان ومعرفة الحق.

ثالثاً: (فإن الفتنة طالما أغدفت جلابيبها وأعشت الأبصار ظلمتها) والاغداف: الارسال، والجلباب: الثوب، والعشي: ظلمة العين؛ فإنّ الفتنة التي جعلت من المعارضة من جانب معاوية عمت المجتمع الاسلامي في عصره، وهذه الحالة تدعوا لمن اخلص للمبادي الاسلاميّة من تجنّب الحرب الاهلية ورفض البغي والرضوخ للحكم الاسلامي القائم على الشورى.

(٢/ك ٦٥) كتاب معاوية:

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ[٣] مِنَ ٱلْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ ٱلسِّلْمِ[٤]، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحْكِهَا[٥] عَنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ[٦] فِي ٱلدِّهَاسِ[٧]، وَٱلْخَابِطِ فِي

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٤.
(٢) يونس :٣٢.
(٣) جمع فن.
(٤) في ص: ضعفت عن السلم قواها.
(٥) في هـ . ب: لم يحكها من الحياكة، وهي النساجة.
(٦) في هـ . ص: أي مردود الخطو فيما لا يقلّ اقدامه، فتراه متزلزلاً متغيّراً.

ٱلدِّيْمَاسِ[٨].

ويصف الإمام كتاب معاوية وصفا دقيقا للمواصفات التي تغلب على كتب السياسة المادية من الالفاظ من دون مغزى حقيقي سوى التلاعب بالعواطف فقال:

(وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول) وهي الاساليب المختلفة من الكلام الفارغ وعد منها:

١ ـ (ضعفت قواها عن السلم) فليس المكاتبات السياسة إلّا لكسب الوقت وضياع الهدف الاصلي الذي هو السلم وتجنب الحرب الاهلية.

٢ ـ (وأساطير لم يحكها منك علم ولا حلم) والحلم: العقل، فهي تحتوي على خرافات مجتمعة من دون علم بالمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة، وهي بعيدة عن العقل المبتني على الاسلام عقيدة وشريعة.

٣ ـ (أصبحت منها كالخائض في الدهاس) الخوض: الدخول في الشيئ، والدهاس: الرمل الرخو الذي لا يمكن السير عليه إلّا بالانغماس فيه، كناية عن عدم توازن التفكير فيها.

٤ ـ (والخابط في الديماس) وهو المكان المظلم تحت الارض؛ فإنّ السائر فيه يسير على غير هدى، وهو الخبط، فلا يتكلم إلّا بما لا سند له.

وهذه النقاط الخمس الأول التي وصفها الإمام لكتاب معاوية، انما هي بسبب الاقتراح الذي تضمنه كتاب معاوية من الولاية للشام، كما يظهر من المقطع الاخير.

(٣/ ك ٦٥) ولاية الشام:

وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ[٩] بَعِيدَةِ ٱلْمَرَامِ، نَازِحَةِ[١٠] ٱلْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا ٱلْأَنُوقُ[١١]،

---

(٧) في هـ. أ: الدهاس: المكان السهل الليّن، لا يبلغ أن يكون رملاً. وليس هو بتراب ولا طين، ولونه الدهيسة، يقال: رمل أدهس بيّن الدهس. وفي هـ. ب: في الرمل، وفي هـ. ص: من رواها بالكسر فهو جمع دهس، ومن رواها بالفتح فهو مفرد بمعنى دهس، وهو المكان السهل الّذي لا يبلغ أن يكون رملاً وليس بتراب ولا طين.

(٨) في هـ. أ: الديماس: السرب، وأراه من دهست عليه الخبر، أي سترته، وفيه لغتان: الديماس بكسر الدال والديماس بفتحها، وفي هـ. ص: الديماس: السرب المظلم، والمراد به هنا الظلمة، يقول عليه السلام أنت في كتابك هذا كالخائض في تلك الأرض الرخوة يقوم ويقع ولا يكاد يتخلّص، والخابط في الليل يسير ويقوم ولا يتهدي الطريق.

(٩) في هـ. ص: المرقبة: المكان العالي يكون فيه المرتقب.

وَيُحَاذَى بِهَا ٱلْعَيُّوقُ(١٢)؛ وَحَاشَ لِلّٰهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ(١٣) بَعْدِي صَدَراً أَوْ وِرْداً، أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً(١٤)؛ فَمِنَ ٱلْآنِ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَٱنظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ(١٥) إِلَيْكَ عِبَادُ ٱللّٰهِ أُرْتِجَتْ(١٦) عَلَيْكَ ٱلْأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ ٱلْيَوْمَ مَقْبُولٌ، وَٱلسَّلامُ(١٧).

وقد استفتح المقطع الاخير بموضوع كتاب معاوية وهو ولاية الشام، وقد قال عنها الإمام:

١ ـ (وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام) والمرقبة: الموضع العالي؛ فإنّ ولاية المسلمين لها مؤهلات عالية وليست متواجدة في شخصية معاوية.

٢ ـ (نازحة الأعلام) والعلم: ما يهتدى به في الطريق من النار، والولاية والنزوح البعيد؛ فإنّ الولاية الاسلامية لا يعلو اليها إلّا بعد اجتماع تلك المؤهلات، وهي غير مبتذلة، بل بعيدة تفتقر إلى علم وعمل وجهد في سبيل الله.

٣ ـ(تقصر دونها الأنوق) وهو الرخمة والعقاب الذي يعيش في قمة الجبال، والطريقة الاسلاميّة فوق ذلك.

٤ ـ (ويحاذى بها العيوق) وهو كوكب فوق زحل في العلو، وهذه امثال يضرب لبعد الشيئ ويطبقها الإمام على معاوية بأنّه يطلب الولاية الاسلاميّة التي هي بعيدة عنه اكثر من هذا البعد المادي.

٥ ـ (وحاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدرا أو وردا) الصدر: دخول الابل لشرب الماء، والصدر: الخروج منها؛ فإنّ مؤهلات الولاية الاسلامية ليست في معاوية باعتباره

(١٠) في هـ. ب: بعيده.
(١١) في هـ. ص: الأنوق على فعول بفتح الفاء: طائر وهو الرخمة، وفي المثل: أعزّ من بيض الأنوق؛ لأنّه يحرزه في رؤوس الجبال والأماكن المرتفعة الصعبة.
(١٢) في هـ. ص: العيّوق كوكب معروف صغير فوق زحل في العلو، وهذه أمثال ضربها لبعد معاوية من الخلافة. تمت.
(١٣) لم ترد «من» في أ ب ص د، وفي هـ. د: من بعدي ـ ح.
(١٤) في هـ. ص: أي لا تتولى شيئاً من أمرهم مستنداً إلى تولية منّي.
(١٥) في هـ. ب: ينهض، وفي هـ. ص: أي ينهضوا.
(١٦) في هـ. ب: اغلقت، وفي هـ. ص: أي اغلقت مخارجها، فلم تستطع خروجاً من مضائقها.
(١٧) لم ترد «والسلام» في أ و ب.

محاربا للحكم الاسلامي بالشورى.

٦ ـ (أو أجري لك على أحد منهم عقدا أو عهدا) بالولاية للعهد من بعد الإمام أو أيّ عقد يمتاز به معاوية على غيره من المسلمين بعد أن اعلن رفض الخلافة بالشورى.

وعن السياسة الاسلامية المفتوحة أشار الى أمرين:

أوّلاً: (فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها)؛ فإنّ السياسة الاسلاميّة في حكم البغي امر واضح لا يقبل المساومة.

ثانياً: (فإنك إن فرطت حتّى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور) فإنّه لاخيار بعد اعلان المعارضة للثابتة في الاسلام من الحكم بالشورى سوى الرضوخ لها، حسب القانون الاسلامي، ولا يكون استمرار الرفض لها سوى قانون البغاة من الحرب، والنهد: النهوض، والرتج: الغلق؛ فإنّ الحرب اذا اعلنت لا تتوقف.

ثالثاً: (ومنعت أمرا هو منك اليوم مقبول . والسلام) فان صيانة الدماء من أن تراق انما يكون قبل الحرب، وبعد اندلاع الحرب لا امان منها.

ومن هذه السياسة المفتوحة يظهر ان هذه الرسالة من اخريات رسائل الإمام التي تعقبها حرب صفين عام ٣٨ مباشرة.

[٦٧]

ومن كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى عَبْدِاللّهِ بْنِ الْعَبّاسِ(١)

وَقَدْ مَضى هذا الكتاب فيما تَقَدَّمَ بِخِلافِ هذِهِ الرِّوايَةِ(٢):

يشير الرضي (ت /٤٠٦) بهذا إلى الكتاب رقم (٢١).

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ(٣) لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ ما نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْياكَ(٤) بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ، وَلكِنْ إِطْفاءُ باطِلٍ وَإِحْيَاءَ حَقٍّ.

وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِما قَدَّمْتَ، وَأَسَفُكَ عَلى ما خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيما بَعْدَ الْمَوْتِ(٥).

---

(١) في أ: عبد الله بن عباس رحمه الله.
(٢) في ط: وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية، راجع الكتاب رقم ٢٢.
(٣) في غير ص : أمّا بعد فان المرء.
(٤) في ص: في نفسك.
(٥) عبارة «وليكن سرورك ... إلى: الموت» لم ترد في أ و ب، وفي هـ . د: العبارة ساقطة من ف ن

(ك ١/٦٦) القضاء والقدر:

يشير الإمامعليه السلام إلى اثر القضاء والقدر في حياة الإنسان، والواجب الاسلامي في الحياة، فقال:

١ ـ (أما بعد؛ فإنّ المرء ليفرح بالشئ الذي لم يكن ليفوته)؛ فإنّ المقدر له يحصل بالسعي لتحصيل أسبابه، فلا يفوته ما هو المقدر له، ويفرح لذلك مع انّه حاصل على أي حال، فرح أم لم يفرح.

٢ ـ (ويحزن على الشئ الذي لم يكن ليصيبه) مع انّ الشئ كان متعذراً، بأن لا يصل إليه سواءً حزن أم لا.

فلماذ الفرح والحزن للامور الخارجة عن اختيار الانسان؟ وليس له إلّا السعي سواءً حصل المطلوب أم لا.

ثم أشار إلى أن المهم هو اداء الواجب وليس حصول المطلوب، وعلى الإنسان في حياته واجبات يوميّة فى كلّ لحظة من حياته، يجب عليه أن يقوم بها تجاه نفسه واهله ومجتمعه؛ فإن ادى الإنسان واجبه كان موجبا للفرح للتوفيق باداء الواجب دون الفرح النفسي الجسمي، فقال:

٣ ـ(فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ)؛ لأنّ هذه امور مادية زائلة.

٤ ـ (ولكن إطفاء باطل أو إحياء حق)؛ فإنّهما من الواجبات التي تبقى اثارها في الحياة وبعد الممات.

٥ ـ(وليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على ما خلفت ، وهمك فيما بعد الموت)؛ لأنّ هذه المراحل الثلاث سلسلة مترابطة من العمل المقدم في الدنيا والاثر في الآخرة بعد الموت من الخلود في التاريخ حيا أو الرمي في مزبلة التاريخ، هذا في الدنيا وفي يوم الحساب، والله الموفق للصواب.

[٦٨]

ومن كِتابٍ[١] لَهُ عليه السلام إِلى قُثَم بْنِ ٱلْعَبّاسِ وَهُوَ عامِلُهُ عَلى مَكَّةَ:

ش.
(١) في أ: ومن كلام، وفي هـ. ا: في نسخة: ومن كتاب.

أَمّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ ٱلْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ[١]، وَٱجْلِسْ لَهُمُ ٱلْعَصْرَيْنِ[٢]، فَأَفْتِ ٱلْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ ٱلْجاهِلَ، وَذَاكِرِ ٱلْعالِمَ، وَلا يَكُنْ لَكَ إِلَى ٱلنَّاسِ سَفِيرٌ[٣] إِلّا لِسانَكَ، وَلا حَاجِبٌ إِلّا وَجْهُكَ.

وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقائِكَ بِها، فَإِنَّها إِنْ ذِيدَتْ[٤] عَنْ أَبْوَابِكَ[٥] فِي أَوَّلِ وِرْدِها[٦] لَمْ تُحْمَدْ فِيما بَعْدُ عَلى قَضَائِها.

وَٱنظُرْ إِلى مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مالِ اللّهِ فَاصْرِفْهُ إِلى مَن قِبَلِكَ[٧] مِنْ ذَوِي ٱلْعِيَالِ وَالْمجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْمَفاقِرِ[٨] وَٱلْخَلّاتِ[٩]، وَما فَضَلَ عَنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنا.

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً[١٠]؛ فَإِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ يَقُولُ: ﴿سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾[١١]. فَالْعَاكِفُ: ٱلْمُقِيمُ بِهِ، وَٱلْبَادِي: الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَفَّقَنَا اللّهُ وَإِيَّاكَ لِمحَابِّهِ[١٢]، وَٱلسَّلَامُ.

(١/ك ٦٧) مسؤوليات والي مكة:

يتضمّن هذا الكتاب مسؤوليات والى مكة بالذات، وهو موجه إلى قثم بن العباس باعتباره والي مكة في عصر الكتاب، وهذا ثاني كتاب له، قاله الشريف الرضي في النهج .

وقد تقدم الكتاب الأوّل برقم (٣٣) مع الاشارةالى شخصية المرسل إليه، وقد حدد هذه المسؤوليات بقوله:

---

(١) في هـ. ص: أي أيام الإنعام والأسقام لتحصل لهم الرغبة والرهبة.
(٢) العصران: الغداة والعشيّ، تغليب.
(٣) في هـ. ب: رسول، وفي هـ. ص: هو الرسول المعبّر المؤدّي عنه وإليه.
(٤) في ب: فانها ان ردت، وفي هـ. ب: فانك، وفي هـ. ب: في نسخة: فإنّها ان ذيدت، وفي هـ. ص: طردت ومنعت.
(٥) في أ: عن بابك.
(٦) وردها: أي ورودها.
(٧) «قِبَلَكَ» بكسر ففتح: أي عندك. و «مصيبا» حال.
(٨) في هـ. د: الفاقة ـ ض ب.
(٩) في هـ. ص: المفاقر: هي الحاجة والأعلام، يقال: سدّ الله مفاقره، أي أغنى فقره، والخلات: هي الحاجات التي تخلّ بصاحبها، وفي هـ. ب: الخلل.
(١٠) في هـ. ص: «ومُر أهل مكّة» هذا دليل على أن أرض مكّة لا تملك.
(١١) الحج: ٢٢/٢٥ .
(١٢) المحاب. بفتح الميم: مواضع محبته من الأعمال الصالحة، وفي هـ. ب: من الحب.

١ ـ (أما بعد، فأقم للناس الحج) باقامة شعار الحج من المناسك، قال تعالى:﴿جعل الله الكعبة اكتسب الحراب قياما للناس﴾.(١)

٢ ـ (وذكرهم بأيام الله) ؛ فإنّ مناسك الحج تدور في أساسها حول اول بيت وضع للناس الذي بناه ابو الانبياء ابراهيم، وبتجديد تلك المناسك تتجدد ذكرياته وجهاده وجهاد اسرته في سبيل الله في كلّ موضع منها، سواءً في المسجد الحرام من المقام والحجر والطواف وفي خارج المسجد الحرام من السعي والصفا والمروة ومنى ورمي الجمرات.

والحج مدرسة ابراهيمية، وعلى والي مكة الاشراف المباشر على تطبيق اهدافها عمليا باقامتها مدرسة حيّة في قلوب الحجاج الحاضرين واداء هذه المناسك في موسم الحج.

٤٣ ـ (واجلس لهم العصرين) العصر: فترة احمرار الشمس من النهار في الغداة والعشي، وقد غلب على الاخير، والمراد بالصباح الغداة، والعشي: المساء.

وحدد واجبات الجلوس بامور مترابطة، هي:

أوّلاً: الافتاء (فأفت المستفتي) في مناسك الحج وامور الحجاج الذين حملوا معهم اسئلتهم الخاصة باعتباره الوالي والمرجع الذي يتواجد فيه مؤهلات الافتاء.

ثانياً: التثقيف (وعلم الجاهل) ممّن ليس له سؤال خاص، فيحضر مجلس الوالي ليتعلم مبادئ الاسلام، فيتثقف اسلاميا فيما يفتقر إليه في حياته.

ثالثاً: المذاكرة (وذاكر العالم) لتبادل وجهات النظر مع من ليس من الاولين.

ومجلس الوالي بمكة باعتباره مركز الثقل البشري لكون مكة العاصمة الروحية للمسلمين جميعا لا يخلو من هذه الطوائف الثلاث.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ثم قسم له ثمرة جلوسه لهم ثلاثة أقسام : إما أن يفتى مستفتيا من العامة في بعض الأحكام ، ووأمّا أن يعلم متعلما يطلب الفقه ، وإما أن يذاكر عالما ويباحثه ويفاوضه ولم يذكر السياسة والأمور السلطانية لان غرضه متعلق بالحجيج ، وهم أضيافه ، يقيمون ليالي يسيرة ويقفلون ، وإنما يذكر السياسة وما يتعلق بها فيما يرجع إلى أهل مكة ، ومن يدخل تحت ولايته

---

(١) المائدة : ٩٧.

دائما ، ثم نهاه عن توسط السفراء والحجاب بينه وبينهم ، بل ينبغي أن يكون سفيره لسانه ، وحاجبه وجهه».[١]

٤ ـ (ولا يكن لك إلى الناس سفير إلّا لسانك)؛ فإنّ السفير بحكم كونه بشراً قد يفسر المسؤولية المناطة إليه برأيه الشخصي أو يفهمها على غير وجهها، هذا اذا لم يحرفها عن مصلحة باغواء الشيطان، فلا بد ان لا يكون للوالي ناطق عنه الا لسانه، فيعلن هو عما يريد بنفسه بالقنوات العامة المستخدمة في كلّ عصر.

٥ ـ (ولا حاجب إلّا وجهك)؛ فإنّ الحاجب كذلك بشر، تؤثر فيه الصفات البشرية، فلا بد من أن يكون مجلس الوالي عاماً لكل من يرغب الحضور فيه من دون واسطة مهما كانت امينة.

٦ ـ (ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها)؛ فإنّ الحاجة لها وقتها، فاذا اخرت عن وقتها فقد ترتفع ولا تكون حاجة، أو تقل الضرورة، فلابد من قضاء الحاجة عند معرفتها؛ فان خير البرّ ما كان عاجله.

(فإنها إن ذيدت عن أبوابك في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها) والذود: المنع؛ فإنّ تأخير القضاء عن وقت الحاجة تفويت للضرورة الماسة اليها يفقدان الحاجة أو تقل ضرورتها، فلا يستحق الحمد على المبادرة التي فاتت عن عمد.

٧ ـ (وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة) القبل: الجهة، والفاقة: الفقر، والخلة: الحاجة؛ فإنّ الاقربين اولى بالمعروف، والمال مال الله، فلا بد من ان يقسم بين عباد الله المحتاجين، والاقرب يمنع الأبعد.

٨ ـ (مصيبا به مواضع الفاقة والخلات) وقد أشار الإمام أن من واجب الوالي الاصابة في مواضع صرف مال الله، وليس الصرف اعتماداً على قنوات أو جمعيات لا تحقق هذه الاصابة؛ فإنّ المؤسسات الخيرية غالبا ما تستخدم اموال الله في رواتب الموظفين فيها، وقد تنفق في حاجة المحتاجين ولا يصل اليهم إلّا النزر اليسير، بل لابدّ من الاصابة، والا فيكون الوالي مسؤولا عن حصص الفقراء.

٩ ـ (وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا) من ذوي العيال والمجاعة

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٣١.

والفاقة والخلات؛ فان مال الله انما هو للمحتاجين من عبادالله اين ما كانوا، فيما اذا استغنى عنه اهل البلد.

١٠ ـ(ومر أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجرا) فلا يجوز لاهل مكة أن يأخذوا من الساكن فيها اجراً. وقد استدل على ذلك بقوله:(فان الله سبحانه يقول : ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ فالعاكف: المقيم به، والبادي: الذي يحج إليه من غير أهله) .

وهذه النقطة الاخيرة اصحبت موضع الجدل بين فقهاء المسلمين، فمنع الحنفية من الاجر لدور مكة، واجاز الشافعي بيع دور مكة واجارتها خلافا للحنفية.

ولكن التأمّل في استدلال الإمام بالاية يفيد أن موضع المنع ليس بيع دور مكة ولا اجارتها بل موضوع المنع هو اخذ الاجرة للسكن، ولم يذكر متعلق السكن هل هو دور مكة أو غيرها، ولكن في الاستدلال بالاية يعنى السكن في خصوص المسجد الحرام وليس عموم دور مكة فقد قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[١]

والاية التي استشهد بها الإمام صريحة في اخذ اهل مكة الاجرة عن السكن في المسجد الحرام كما كانت في الجاهلية من عادة الحمس، حيث كان المشركون العرب يفرضون ضريبة على كلّ من يريد الحج، فابطلها الاسلام كما هو مشروح في السير، فراجع. وما اشبه الليلة بالبارحة.

فان هذه المسؤوليات العشر على والي مكة باعتبارها عاصمة المسلمين الروحية تحتم اهتماما متزايدا بشئوون المسلمين الوافدين الى الحج بتسهيل كافة ما يفتقرون إليه من التسهيلات اللازمة اقتصاديا واجتماعيا.

(وفقنا الله وإياكم لمحابه والسلام) .

[٦٩]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ ﷺ كَتبه إلى سَلْمانَ ٱلْفارِسِيِّ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ قَبْلَ أَيّامِ خِلافَتِهِ[٢]:

---

(١) الحج : ٢٥ .

(٢) في أ زيادة: صلوات الله عليه، وفي هـ . ص: روي أنه كتب إليه: إنّي قد خفت على نفسي الدنيا فعظني. فكتب إليه هذا الكتاب، وكان سلمان مقيماً بالعراق.

إلى سلمان الفارسي رحمة الله قبل أيام خلافته، يتضمّن بعض خصائص الدنيا وواجب الحذر منها.

تولى سلمان الفارسى (ت /٣٥) ولاية المدائن للخليفة الثاني عمر.[١] ويظهر أن اختياره لهذه الولاية كان بسبب معرفته اللغة الفارسية التي تمكنة من معرفة عاصمة الايرانيين انذاك المعروفة بالمدائن، وهي اليوم تعرف بسلمان باك، وتبعد عن بغداد حوالي ثلاثة فراسخ شرقاً، والتسمية معروفة منذ العهد العثماني وحتى اليوم.

على قرب من طاق كسرى المعروف بنطيسفون تاريخيا، وزرته كلما زرت بغداد.

وتاريخ حياة سلمان فيه تعتيم، وربما لصلته الوثيقة بالإمام، فقد اختلفت المصادر حتّى في وفاته بين عهد عمر أو عثمان عام (٣٥) أو (٣٦)، وهذا الكتاب في نفسه يكشف عن الصلة الوثيقة بينه وبين الإمام، وتاريخ حياة سلمان يكشف عن الخطوط العريضة لهذا الكتاب، والله اعلم بالصواب.

(١/ك ٦٨) **خصائص الدنيا:**

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا[٢] مَثَلُ ٱلدُّنْيَا مَثَلُ ٱلْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَايَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا[٣]، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا ٱطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى[٤] إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ[٥]؛ وَٱلسَّلَامُ[٦].

سرد الإمام بعض خصائص الدنيا والواجبات الرئيسية للوالي الاسلامي فيها بقوله:

١ ـ(أما بعد، فإنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها، قاتل سمها) فالقضيتان المشتركتان بين الدنيا والحية في المظهر المغري والضرر القاتل؛ فإنّ مغريات الحياة في الدنيا من المادة والماديات وان تقضي على طالبها في الدنيا قبل الآخرة باستيلاء الهموم والغموم

(١) شرح النهج ١٨: ٣٩.
(٢) في هـ. د: فإن ـ ف م.
(٣) عبارة «وتصرف حالاتها» ساقطة من ف ن ل.
(٤) في ب: وإلى.
(٥) في ب: أزاله عنه ايحاش، وفي ص: ازالته عنه بايحاش، وفي هـ. د: ازاله عنه ايحاش ـ ش.
(٦) لم ترد «والسلام» في ب و ص، وعبارة «أو إلى ايناس» إلى آخرها، لم ترد في أ.

من فقدان شئ يتعلق القلب به، وعن الواجب تجاه الدنيا قال:

٢ ـ (فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها)؛ فإنّ مغريات الدنيا توجب العجب، ولكنّه عجب زائل لا يدوم اكثر من فترة قصيرة، فتذوب كما يذوب الثلج بمرور العمر، وهذه الحقيقة الواضحة حيث لا يصطحب احد شيئا منها ويدعها إلى الغير، فالواجب الاعراض عنها والاقبال على ما يصحب الإنسان من العمل الصالح.

٣ ـ(وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها وتصرف حالاتها)؛ فإنّ الهموم ايضاً ليست ثابتة، بل هي وقتية زائلة، فلماذا اذاً التأثر بالهموم التي تزول بنفسها تدريجيا، فهناك سببان رئيسيان يدعوان إلى عدم التأثر بالهموم:

أوّلاً: العلم بانّ الهموم لا تبقى.

وثانياً: أن الدنيا بتغير حالاتها توجب الهموم تارة وتوجب الفرح اخرى.

٤ ـ (وكن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها)؛ فإنّ بدرجة القرب والبعد من مركز الخطر يكون الانس والحذر، فكلما اقترب الإنسان إلى الدنيا كان آنس بها، فيكون هذا القرب موجبا للحذر؛ لأنّه اقرب من معدن الخطر.

وعن السبب في ذلك أشار بقوله:

٥ ـ (فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور)؛ فإنّ كلّ سرور لابد وان يتعقبه محذور.

(او إلى ايناس ازالته عنه إلى ايحاش، والسلام)؛ فإنّ الاستئناس بالشئ يولد علاقة حب بين الإنسان وذلك الشئ، مع العلم بأن هذا الشئ مهما كان عزيزاً من مال أو جمال أو قوة أو منصب لابد وان يزول بمرور الزمن، فيولد الوحشة، فكيف يتعلق الإنسان بذلك في الحياة؟

وهذه النقاط الخمس توجب الحذر من مغريات الدنيا باسرها، فإنّها ترجع جميعا إلى المادة أو الماديات التي لايسعد الإنسان بها إلى الابد، بل لفترة وجيزة مقدرة تنتهي بانتهاء أمدها.

ويقتضي الواجب الاعتبار بالدنيا والتركيز على أداء الواجبات التي تخلد في التاريخ ويثاب عليها في الآخرة.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[سلمان الفارسي وخبر إسلامه]

سلمان ، رجل من فارس من رامهرمز ، وقيل : بل من أصبهان ، من قرية يقال لها جي ، وهو معدود من موالي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكنيته أبو عبد الله ، وكان إذا قيل : ابن من أنت ؟ يقول : أنا سلمان ، ابن الاسلام ، أنا من بني آدم . وقد روى أنه قد تداوله أرباب كثيرة ، بضعة عشر ربا ، من واحد إلى آخر حتى أفضى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . وروى أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " أن سلمان أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بصدقة ، فقال : هذه صدقه عليك وعلى أصحابك ، فلم يقبلها ، وقال : إنه لا تحل لنا الصدقة ، فرفعها ، ثم جاء من الغد بمثلها وقال : هدية هذه ، فقال لأصحابه : كلوا . واشتراه من أربابه ، وهم قوم يهود بدراهم ، وعلى أن يغرس لهم من النخيل كذا وكذا ، ويعمل فيها حتى تدرك ، فغرس رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك النخل كله بيده إلا نخلة واحده غرسها عمر بن الخطاب ، فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : " من غرسها " ؟ قيل : عمر ، فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده فأطعمت . قال أبو عمر : وكان سلمان يسف [1] الخوص وهو أمير على المدائن ويبيعه ويأكل منه ويقول لا أحب أن آكل إلا من عمل يدي ، وكان قد تعلم سف الخوص من المدينة . وأول مشاهده الخندق ، وهو الذي أشار بحفره ، فقال أبو سفيان وأصحابه لمّا رأوه : هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . قال أبو عمر : وقد روى أن سلمان شهد بدر واحدا ، وهو عبد يومئذ ، والأكثر أن أول مشاهده الخندق ، ولم يفته بعد ذلك مشهد . قال : وكان سلمان خيرا ، فاضلا ، حبرا ، عالما ، زاهدا ، متقشفا . قال : وذكر هشام بن حسان عن الحسن البصري ، قال : كان عطاء سلمان خمسة آلاف ، وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به ، ويأكل من عمل يده ، وكانت له عباءة يفرش بعضها ويلبس بعضها . قال : وقد ذكر ابن وهب وابن نافع أن سلمان لم يكن له بيت ، إنما كان يستظل بالجدر والشجر ، وإن رجلا قال له : ألا أبني لك بيتا تسكن فيه ؟ قال : لا حاجة لي في ذلك فما زال به الرجل حتى قال له : أنا أعرف البيت الذي يوافقك ، قال : فصفه لي ، قال : أبني لك بيتا إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه ، وإن أنت مددت فيه رجليك أصابهما الجدار قال : نعم ، فبنى له . قال أبو عمر : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله من وجوه أنه قال : " لو كان الدين في الثريا لناله

(١) يسف الخوص ، أي ينسجه ، وفى اللسان : "وفى حديث أبي ذر ، قالت له امرأة : ما في بيتك سفة ولا هفة ، السفة : ما يسف من الخوص كالزبيل ونحوه " .

سلمان " ، وفى رواية أخرى " لناله رجل من فارس " . قال : وقد روينا عن عائشة قالت : كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ . قال : " وقد روى من حديث ابن بريدة ، عن أبيه أن رسول الله قال : " أمرني ربى بحب أربعة ، وأخبرني أنه يحبهم : على ، وأبو ذر ، والمقداد ، وسلمان " . قال : وروى قتادة عن أبي هريرة ، قال : " سلمان صاحب الكتابين " يعنى الإنجيل والقرآن . وقد روى الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن علي عليه السلام أنه سئل عن سلمان فقال : علم العلم الأول ، والعلم الاخر ، ذاك بحر لا ينزف ، وهو منا أهل البيت . قال : وفى رواية زاذان ، عن علي عليه السلام : سلمان الفارسي كلقمان الحكيم . قال : وقال فيه كعب الأحبار : سلمان حشي علما وحكمة .

قال : وفى الحديث المروى أن أبا سفيان مر على سلمان وصهيب وبلال في نفر من المسلمين فقالوا : ما أخذت السيوف من عنق عدو الله مأخذها – وأبو سفيان يسمع قولهم – فقال لهم أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ! وأتى النبي ﷺ وأخبره فقال : يا أبا بكر ، لعلك أغضبتهم ! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله ، فأتاهم أبو بكر ، فقال أبو بكر : يا إخوتاه ، لعلى أغضبتكم ! قالوا : لا يا أبا بكر ، يغفر الله لك . قال : وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى الدرداء لمّا آخى بين المسلمين . قال : ولسلمان فضائل جمة ، وأخبار حسان ، وتوفى في آخر خلافة عثمان سنة خمس وثلاثين ، وقيل : توفى في أول سنة ست وثلاثين . وقال قوم : توفى في خلافة عمر ، والأول أكثر . ووأمّا حديث إسلام سلمان فقد ذكره كثير من المحدثين [١] ورووه عنه ، قال : كنت ابن دهقان [٢] قرية جي من أصبهان ، وبلغ من حب أبى لي أن حبسني في البيت كما تحبس الجارية ، فاجتهدت في المجوسية حتى صرت[٣] قطن بيت النار ، فأرسلني أبى يوما إلى ضيعة له ، فمررت بكنيسة النصارى ، فدخلت عليهم ، فأعجبتني صلاتهم ، فقلت : دين هؤلاء خير من ديني ، فسألتهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، فهربت من والدي حتى قدمت الشام ،

(١) وقد ذكر خبر إسلامه أيضا ابن هشام ، أورده في السيرة ١ : ٢٣٣ـ ٢٤٢ .
(٢) الدهقان : شيخ القرية في بلاد فارس .
(٣) قطن النار : خادمها .

فدخلت على الأسقف [1] فجعلت أخدمه وأتعلم منه ، حتى حضرته الوفاة ، فقلت : إلى من توصي بي ؟ فقال : قد هلك الناس وتركوا دينهم إلا رجلا بالموصل فالحق به ، فلما قضى نحبه لحقت بذلك الرجل، فلم يلبث إلا قليلا حتى حضرته الوفاة ، فقلت : إلى من توصي بي ؟ فقال : ما أعلم رجلا بقي على الطريقة المستقيمة إلا رجلا بنصيبين ، فلحقت بصاحب نصيبين . قالوا : وتلك الصومعة اليوم باقية ، وهي التي تعبد فيها سلمان قبل الاسلام ، قال : ثم احتضر صاحب نصيبين ، فبعثني إلى رجل بعمورية من أرض الروم ، فأتيته وأقمت عنده ، واكتسبت بقيرات وغنيمات ، فلما نزل به الموت قلت له : بمن توصي بي ؟ فقال : قد ترك الناس دينهم ، وما بقي أحد منهم على الحق ، وقد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين ، لها نخل ، قلت : فما علامته ؟ قال : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، قال : ومر بي ركب من كلب ، فخرجت معهم ، فلما بلغوا بي وادي القرى ظلموني وباعوني من يهودي ، فكنت أعمل له في زرعه ونخله ، فبينا أنا عنده إذ قدم ابن عم له ، فابتاعني منه ، وحملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها ، وبعث الله محمّدا بمكة ، ولا أعلم بشئ من أمره ، فبينا أنا في رأس نخلة إذ أقبل ابن عم لسيدي ، فقال : قاتل الله بني قيلة ، قد اجتمعوا على رجل بقباء قدم عليهم من مكة ، يزعمون أنه نبي ، قال : فأخذني القر والانتفاض ، ونزلت عن النخلة ، وجعلت أستقصي في السؤال ، فما كلمني سيدي بكلمة ، بل قال : أقبل على شأنك ، ودع مالا يعنيك . فلما أمسيت أخذت شيئا كان عندي من التمر ، وأتيت به النبي ﷺ فقلت له : بلغني أنك رجل صالح ، وأن لك أصحابا غرباء ذوي حاجة ، وهذا شئ عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم ، فقال لأصحابه : كلوا ، وأمسك فلم يأكل ، فقلت في نفسي : هذه واحدة وانصرفت ، فلما كان من الغد أخذت ما كان بقي عندي وأتيته به ، فقلت له : إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية ، فقال : كلوا وأكل معهم ، فقلت إنه لهو ، فأكببت عليه أقبله وأبكى ، فقال : مالك ؟ فقصصت عليه القصة فأعجبه ، ثم قال : يا سلمان ، كاتب صاحبك ، فكاتبته على ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية ، فقال رسول الله ﷺ للأنصار : " أعينوا أخاكم " ، فأعانوني بالنخل حتى جمعت ثلاثمائة ودية ،

(١) الأسقف : من وظائف النصرانية ، وهو فوق القسيس ودون المطران.

فوضعها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده ، فصحت كلها ، وأتاه مال من بعض المغازي ، فأعطاني منه ، وقال : أد كتابتك ، فأديت وعتقت . وكان سلمان من شيعة علي عليه السلام وخاصته ، وتزعم الامامية إنه أحد الأربعة الذين حلقوا رؤوسهم وأتوه متقلدي سيوفهم في خبر يطول ، وليس هذا موضع ذكره وأصحابنا لا يخالفونهم في أن سلمان كان من الشيعة ، وإنما يخالفونهم في أمر أزيد من ذلك ، وما يذكره المحدثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة : كرديد ونكرديد محمول عند أصحابنا على أن المراد صنعتم شيئا وما صنعتم ، أي استخلفتم خليفة ونعم ما فعلتم ، إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت ، ، فلو كان الخليفة منهم كان أولى والامامية تقول : معناه : " أسلمتم وما أسلمتم واللفظة المذكورة في الفارسية لا تعطى هذا المعنى ، وإنما تدل على الفعل والعمل لا غير ، ويدل على صحة قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمر على المدائن ، فلو كان ما تنسبه الامامية إليه حقا لم يعمل له ».[١]

[٧٠]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلَى ٱلْحارِثِ ٱلْهَمْدانِيِّ، ويتضمّن مبادي الإنسان الاولية والضرورية في حياة كلّ مسلم، ثمّ مقاييس الفضيلة الاسلامية التي بها يعرف افضل المؤمنين، وقد كتبه الإمام ليكون دستورا عمليا في حياة كل مسلم.

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ وَٱسْتَنْصِحْهُ[٢]، وَأَحِلَّ حَلَالَهُ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِما سَلَفَ مِنَ ٱلْحَقِّ[٣]، وَٱعْتَبِرْ بِما[٤] مَضَى مِنَ ٱلدُّنْيا لِما بَقِيَ[٥] مِنْها، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً[٦]، وَآخِرَهَا لاحِقٌ بِأَوَّلِها، وَكُلُّها حائِلٌ مُفارِقٌ[٧].

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٣٤ ـ ٣٩.

(٢) في ط و د: واستنصحه، وفي هـ . ص: قول: وانتصحه، أي عده ناصحاً لك فيما أمرك به ونهاك. في هـ . د: وانتصحه ـ ش.

(٣) في هـ . ص: قوله: «وصدق بما سلف» أي بما تضمنه القرآن من أيام الله ومثلاته بالمكذبين والعصاة.

(٤) في ب: ما مضى.

(٥) في ب: بما بقي، وفي أ و ص: ما بقي، وفي هـ . ص: قوله: «واعتبر بما مَضى من الدنيا ... إلى قوله:بأوّلها». في المثل إذا شئت أن تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك، وفي الحديث: ولَمَا بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء.

(٦) في ب: بعضها، وفي هـ . د: بعضها ـ ش.

(٧) في هـ . د: حائل زائل ـع.

وَعَظِّمِ ٱسْمَ اللّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إلّاَ عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ ٱلْمَوْتِ[١] وَما بَعْدَ ٱلْمَوْتِ، وَلاَ تَتَمَنَّ ٱلْمَوْتَ إلّاَ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ[٢].

وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضاهُ صاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ[٣] لِعامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ[٤] بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَى[٥] مِنْهُ فِي ٱلْعَلاَنِيَةِ، وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صاحِبُهُ أَنكَرَهُ وَٱعْتَذَرَ[٦] مِنْهُ. وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ[٧] غَرَضاً لِنِبَالِ ٱلْقَوْمِ[٨]، وَلا تُحَدِّثِ ٱلنَّاسَ بِكُلِّ ما سَمِعْتَ به[٩]، فَكَفى[١٠] بِذَلِكَ كَذِباً، وَلا تَرُدَّ عَلَى ٱلنَّاسِ كُلَّ ما حَدَّثُوكَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلاً.

وَٱكْظِمِ ٱلْغَيْظَ، وَٱحْلُمْ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ[١١]، وَتَجاوَزْ عِنْدَ المَقْدِرَةِ[١٢]، وَٱصْفَحْ مَعَ ٱلدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ ٱلْعاقِبَةُ، وَٱسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللّهُ عَلَيْكَ، وَلاتُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللّهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ ما أَنْعَمَ اللّهُ بِهِ عَلَيْكَ[١٣].

(١/ك ٦٩) مبادي الايمان:

سرد مبادي الايمان الضرورية في خمسة عشر نقطة بقوله:

---

(١) في هـ. ص: قوله: «وأكثر ذكر الموت ... الخ» جاء في الخبر المرفوع: «واذكروا هادم اللذات»، من الشرح.
(٢) في هـ. ص: وقوله: «الا بشرط وثيق» أي أصلح عملك، حتى تكون على ثقة بأن يزحزحك الله عن النار ويدخلك الجنة.
(٣) في أ ب د: ويكره، وفي هـ. د: ويكرهه ـ ح.
(٤) في هـ. د: ما يعمل به ـ م.
(٥) في أ: ويستحيا.
(٦) في ب و ص: أو اعتذر.
(٧) في هـ. ب: هي نفسك، وفي هـ. ص: قوله: «ولا تجعل عرضك ... الخ» أي لا تعترض لمذمة الناس بفعلك ما لا يليق وتركك ما يليق.
(٨) في هـ. د: النبال القول ـ ح.
(٩) لم ترد «به» في د.
(١٠) في ب: وكفى، وفي هـ. د: وكفى ـ ص ح ب.
(١١) عبارة «واحلم عند الغضب» وردت في د بعد. «وتجاوز عند القدرة» وفي هـ. د: واكظم الغيظ واحلم عند الغضب» ـ ف م ن ل ش.
(١٢) في أ ب ص د: القدرة، وفي هـ. د: المقدرة ـ ص ح ب.
(١٣) في هـ. ص: قد امر الإنسان بأن يظهر على نفسه آثار نعمة الله عليه، قال سبحانه: ﴿وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾، وقال في ذم من خالف ذلك: ﴿الّذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾.

١ ـ (وتمسك بحبل القرآن وانتصحه)؛ فإنّ القرآن هو القانون الاسلامي للاسلام، والمسلم الذي لا يسير على نصائح القرآن في الحياة ليس مؤمنا بحقيقة الاسلام وان اعلن الاسلام، وهو الحبل المتين، قال تعالى:﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾[١].

٢ ـ (وأحل حلاله وحرم حرامه)؛ فإنّ المؤمن بالقانون لابدّ أن يطبقه وينفذ ما يدعوا إليه ويترك ما ينهى عنه.

٣ ـ(وصدق بما سلف من الحق) في الاديان السابقة؛ فإنّ دين الله واحد، ارسل الأنبياء والرسل على مختلف العصور لتبليغ دين الله :﴿الا لله الدين الخالص﴾[٢] وقال :﴿لا نفرق بين احد من رسله ونحن له مسلمون﴾ [٣].

٤ ـ (واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها) قال تعالى:﴿لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب﴾[٤]، وقد ذكر الإمام السبب لهذه العبرة بقوله:

(فإن بعضها يشبه بعضا)؛ فإنّ الدنيا حركة زمنيّة مستمرة متشابهة من حيث الزمن أوّلاً واخراً و وسطاً.

(وآخرها لاحق بأولها)؛ فإنّ كلّ لحظة يعيشها الإنسان حال، وفي لحظة اخرى يكون في خبر كان.

(وكلها حائل مفارق)؛ فإنّ الدنيا وعاقبتها ومن عليها لابدّ وان يفارق الإنسان لحظة فلحظة، ويحول بين الإنسان والخلود فيها بالموت.

٥ ـ (وعظم اسم الله أن تذكره إلّا على حق)؛ لأنّه سبحانه هو العظيم في ذاته وفعله، قال تعالى:﴿وهو العلى العظيم﴾ [٥] فلا يستحق التعظيم غيره.

٦ ـ(وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت) قال تعالى:﴿كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة﴾[٦]؛ فإنّ ذكر الموت وما بعده يدعوا إلى محاسبة النفس في الحياة .

(ولا تتمن الموت إلا بشرط وثيق) قال تعالى:﴿ان زعمتم انكم اولياء لله من دون

(١) آل عمران : ١٠٣.
(٢) الزمر : ٣.
(٣) البقرة: ١٣٦.
(٤) يوسف : ١١١.
(٥) البقرة: ٢٥٥.
(٦) آل عمران : ١٨٥.

الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين﴾.[١]

والشرط الوثيق هو الاسلام، قال تعالى:﴿ولا تموتن إلّا وانتم مسلمون﴾ [٢].

٧ ـ (واحذر كلّ عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكره لعامة المسلمين) قال تعالى:﴿فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة﴾[٣] ؛ فإنّ الاسلام يأمر بأن تحب لنفسك ما تحب لغيرك، وحب الشيئ لنفسه وكرهه لعامة المسلمين مخالفة للاوامر الاسلامية.

٨ ـ (واحذر كلّ عمل يعمل به في السر ويستحى منه في العلانية)؛ لأنّ الله سبحانه لا يخفى عليه شيئ، قال تعالى:﴿الم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾.[٤]

٩ ـ (واحذر كلّ عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه) فإنّه يكشف عن قبحه في ذاته، والآثار الوضعية للعمل القبيح لا تسعد في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى:﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾.[٥]

١٠ ـ (ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القول) العرض ـ بالكسر ـ: ما يحافظ الإنسان عليه من نفسه، قال تعالى:﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾.[٦]

١١ ـ (ولا تحدث الناس بكل ما سمعت، فكفى بذلك كذبا) قال تعالى:﴿مالهم له من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون إلّا كذبا﴾.[٧]

ـ (ولا ترد على الناس كلّ ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.[٨]

ـ (وتجاوز عند المقدرة) قال تعالى:﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

---

(١) الجمعة : ٧.
(٢) البقرة: ١٣٢.
(٣) النور : ٦٣.
(٤) التوبة : ٧٨.
(٥) غافر : ٥٢.
(٦) الانعام : ١٠٨.
(٧) الكهف : ٥.
(٨) آل عمران : ١٣٤ .

وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ في أَصْحَابِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾.[١] (الاحقاف : ١٦).

ـ (واحلم عند الغضب) والحلم عند الغضب يلازم العفو، راجع رقم (١٣).

ـ (واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة) قال تعالى:﴿فاعفوا واصفحوا حتّى يأتي الله بامره﴾ [٢] وقال :﴿وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم﴾[٣] ؛ فإنّ العاقبة للمتقين كما يشهد به التاريخ في الظلم والظالمين.

١٥ ـ (واستصلح كلّ نعمة أنعمها الله عليك)؛ فإنّ من استصلاح النعمة الشكر لها، قال تعالى:﴿واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون﴾[٤] ؛ فإنّ نعم الله تعم الحياة، واقلها التنفس من الهواء الطلق، والعقل والقدرة، قال تعالى:﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان الله لغفور رحيم﴾.[٥]

(ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك) ومنها نعمة الصحة والسلامة لعمل الخير.

(ولير عليك أثر ما أنعم الله به عليك) فإنّه شكر عملي للنعمة، قال تعالى:﴿لئن شكرتم لازيدنكم﴾[٦]، وقال :﴿واما بنعمة ربك فحدث﴾.[٧]

وهذه النقاط الاربعة عشر وما يستلزمها هي من مبادي الايمان الاولية الضرورية في حياة كل مسلم، وأكدت عليها الايات القرانية، وطبقتها السنة النبوية، ولا يستقيم الايمان حقيقة بدون تطبيقها.

(٢/ك ٦٩) افضل المؤمنين:

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ[٨] ومالِهِ[٩]، وَإِنَّكَ ما

---

(١) .
(٢) البقرة: ١٠٩.
(٣) التغابن: ١٤.
(٤) النحل : ١١٤.
(٥) النحل : ١٨.
(٦) ابراهيم : ٧.
(٧) الضحى : ١١.
(٨) في أ: وأهليه، وفي هـ. د: وأهليه ـ ف ن ل.
(٩) في هـ. ب: تقدمه اسلاماً وطاعة.

تُقَدِّمْ(١) مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، وَما تُؤَخِّرْهُ(٢) يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ(٣)، وَٱحْذَرْ صَحابَةَ(٤) مَنْ يَفِيلُ(٥) رَأْيُهُ، وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ ٱلصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصاحِبِه.

وَٱسْكُنِ الْأَمْصارَ ٱلْعِظامَ فَإِنَّها جِماعُ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَٱحْذَرْ مَنازِلَ ٱلْغَفْلَةِ وَٱلْجَفاءِ، وَقِلَّةِ ٱلْأَعْوَانِ عَلى طاعَةِ اللّهِ، وَٱقْصِرْ(٦) رَأْيَكَ عَلى ما يَعْنِيكَ(٧).

وَإِيَّاكَ وَمَقاعِدَ ٱلْأَسْوَاقِ فَإِنَّها مَحاضِرُ(٨) ٱلشَّيْطانِ، وَمَعارِيضُ ٱلْفِتَنِ. وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَبْوَابِ ٱلشُّكْرِ.

وَلا تُسافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ(٩) حَتَّى تَشْهَدَ ٱلصَّلَاةَ إِلّا فاصِلاً(١٠) فِي سَبِيلِ اللّهِ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ. وَأَطِعِ اللّهَ فِي جُمَلِ(١١) أُمُورِكَ(١٢)، فَإِنَّ طاعَةَ اللّهِ فاضِلَةٌ(١٣) عَلى ماسِوَاها. وَخادِعْ نَفْسَكَ فِي ٱلْعِبادَةِ وَٱرْفُقْ(١٤) بِها وَلا تَقْهَرْها، وَخُذْ عَفْوَها(١٥) وَنَشاطَها، إِلّا ما كانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ ٱلْفَرِيضَةِ(١٦)، فَإِنَّهُ لا بُدَّ مِن قَضائِها، وَتَعاهُدِها عِنْدَ مَحَلِّها(١٧).

وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ ٱلْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ ٱلدُّنْيا، وَإِيَّاكَ وَمُصاحَبَةَ ٱلْفُسَّاقِ، فَإِنَّ ٱلشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ.

---

(١) في ب من تقدم، وفي هـ. ب: ما تقدّم.
(٢) في هـ. د: وما تؤخّر ـ ف.
(٣) في هـ. ص: قوله: «يكن لغيرك خيره» كل ما يتركه الإنسان بعده فقد حرم نفعه، وإنّما كان يكدح لغيره وذلك من الشقاء وقلة التوفيق، من الشرح.
(٤) في هـ. ب: مصدر، وفي هـ. ص: بالفتح: مصدر صحب.
(٥) في هـ. ب: بضعف، الفيلول: ضعف الرأي، وفي هـ. ص: يضعف ويفسد.
(٦) في هـ. ب: وأحبس.
(٧) في هـ. ص: كان يقال: من دخل فيما لا يعنيه فاته ما يغنيه.
(٨) في أ: محاصر.
(٩) في أ: الجمعة، وفي هـ. ب: في نسخة: الجمعة، وفي هـ. د: الجمعة ف.
(١٠) في هـ. ب فاصلاً: أي ذاهباً.
(١١) في هـ. د: جميع ـ ب.
(١٢) في هـ. ص: أي في جميعها ولا تعمل إلا ما يرضاه.
(١٣) في هـ. ب: أي زائدة.
(١٤) في ب: فارفق.
(١٥) في هـ. ب: سهلها.
(١٦) في هـ. ب: فرائض الله.
(١٧) في هـ. ص: أمره أن يلطف بنفسه في النوافل ويفعلها عند نشاطها، بخلاف الفرائض فيكلّفها النفس.

وَوَقِّرِ اللّهَ[١] وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ، وَٱحْذَرِ ٱلْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ[٢] مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ؛ وَٱلسَّلامُ.

وسرد في المقطع الثاني مقاييس التفاضل بين المؤمنين، وبه يعرف اختلاف الدرجات، وبلغت ١٥ نقطة، فقال:

١ ـ (واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله) قال الشارح ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة مانصه:« التقدمة ، قال الله تعالى :﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه﴾ ، فأما النفس والاهل ، فإن تقدمتهما في الجهاد ، وقد تكون التقدمه في النفس بأن يشفع شفاعة حسنة أو يحضر عند السلطان بكلام طيب ، وثنا حسن ، وأن يصلح بين المتخاصمين ، ونحو ذلك ، والتقدمة في الاهل أن يحج بولده وزوجته ويكلفهما المشاق في طاعة الله ، وأن يؤدب ولده أن اذنب ، وأن يقيم عليه الحد ، ونحو ذلك». [٣]

وعن السبب في أن هذه التقدمة على رأس قائمة الاوليات قال:

(فإنك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخر يكن لغيرك خيره) فان التقدمة حرز للمستقبل ، والمحافظة على الشئ انما هو بالمحافظة على شئ فائت.

٢ ـ (واحذر صحابة من يفيل رأيه وينكر عمله؛ فإنّ الصاحب معتبر بصاحبه) والفيل: الفساد بحلّ ما احكم، فاشار إلى الدليل على هذا الفساد وهو انكار ما طبعه من العمل بعد ظهور فساده، فهذه محاولة لتغطية الفساد بما لا يمكن تغطيته، فيكفي هذا حجة للحذر من صحبة من هذه عادته.

٣ ـ(أسكن الأمصار العظام، فإنها جماع المسلمين)؛ فإنّ القرى والارياف البعيدة تجعل الإنسان في عزلة عن واقع الحياة، دون البلدان الكبيرة المزدحمة بانواع الناس؛ فإنّ ذلك يوجب ملاحظة الحالة الحقيقية التي يعيشها المجتمع من ناحية، ومعرفة قيمة اصحاب المبادي فيها ونقاط القوّة والضعف في مختلف الطبقات منها.

٤ ـ(واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الأعوان على طاعة الله)؛ فإنّ كلّ مجتمع صغير

---

(١) في هـ. ب: عظم الله.
(٢) لم ترد «عظيم» في ط.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١٨ : ٤٨.

أو كبير لا يخلوا من صالح وطالح، وفيها منازل لكل انواع الطبقات من الصلاح والفساد، وابتعاد الإنسان عن منازل الغفلة باللهو واللعب والجفاء للطبقات الكادحة بالسكنى في حي الاغنياء والمترفين، والمجتمع الذي يقل فيه الاعوان على طاعة الله يؤثر في حياة الإنسان المسلم اثرا واضحا في سلوكه الشخصي والاسلامي.

٥ ـ (واقصر رأيك على ما يعنيك) من الواجبات الاسلاميّة؛ فإنّ من حسن اسلام المرأ تركه ما لا يعنيه.

وقد خصّ من ذلك المجالس العامة التي لا هدف لها بقوله:

٦ ـ (وإياك ومقاعد الأسواق) وهي حلقات الجلوس العامة التي تعقد في الاسواق، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ):

وقد ذكر الإمام في تعليل ذلك قوله:

أوّلاً: (فإنها محاضر الشيطان) باعتبار أن في الاجتماعات العامة غير المحددة الاهداف ضياع الوقت وهدر للطاقات.

ثانياً: (ومعاريض الفتن) حيث أن في الاسواق تعرض انواع مغريات الحياة من انواع المنتوجات التي تدعوا النفوس الضعيفة إلى الحصول عليها بأيّة طريقة كانت، فتكون فتنة وامتحان للانسان، وان اجتنابها يقطع هذا من النفوس.

٧ ـ (وأكثر أن تنظر إلى من فضلت عليه؛ فإنّ ذلك من أبواب الشكر)؛ فإنّ الإنسان كلما نظر إلى من هو اعلى منه طبقةً في المادّة والماديات اصبح طامحا لها، وكلما نظر إلى من هو دونه من الطبقات رأى نفسه في حالة احسن، فيكون شاكراً.

٨ ـ (ولا تسافر في يوم جمعة حتّى تشهد الصلاة إلّا فاصلا في سبيل الله أو في أمر تعذر به) والفاصل: الشاخص إلى الجهاد، فشعيرة الجمعة يجب الاحتفاظ بها، والواجب هو الحضور، قال تعالى:﴿يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾[1]، فيجب الحضور على من اجتمعت لديه الشرائط، دون من كان معذورا في الواجب اهم كالجهاد، وخلق الاعذار طبيعي لمن اراد التهرب من الحضور اليها بالسفر

(١) الجمعة : ١.

قبل الوقت، وبهذ المقاييس يعرف فضيلة المؤمنين.

٩ ـ (وأطع الله في جميع أمورك)؛ فإنّ الطاعة باداء الواجبات وترك المحرمات امر مبدئي، دون قصد الطاعة في جميع الامور، وحتى المباحات فهي من موارد الفضيلة، وقد قال عن ذلك:

(فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها) فلا تقارن للطاعة شيئ، فيعم جميع الحالات .

١٠ ـ (وخادع نفسك في العبادة) وخدعة النفس: توجيهها إلى ما يصرفها عن غير العبادة، وقد اشار الى امرين مما يصرفها وهما:

أوّلاً: (وارفق بها ولا تقهرها) بالعبادة في اوقات الفضيلة، وكذلك في الاماكن المقدسة.

وثانياً: (وخذ عفوها ونشاطها) أي الحالة التي تفضل النفس اداء هذه العبادة فيها، وهي عند القدرة دون وقت النوم.

(إلا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة، فإنّه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها) من الاوقات المحددة من دون اعتبار للنشاط؛ لانها فرائض واجبة .

١١ ـ (وإياك إن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربك في طلب الدنيا)؛ فإنّ المسلم الملتزم يكون على استعداد بالوصية المكتوبة، فلا يضيع عنده بالموت أي حق لنفسه أو لغيره.

١٢ ـ (وإياك ومصاحبة الفساق؛ فإنّ الشر بالشر ملحق)؛ لأنّ الفاسق لا يأتي منه إلّا الشرّ، قال تعالى:﴿ان جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.[١]

١٤ ـ (ووقر الله وأحبب أحباءه)؛ فإنّ ذلك احسان، قال تعالى:﴿وأحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾ [٢].

١٥ ـ (واحذر الغضب؛ فإنّه جند عظيم من جنود إبليس . والسلام) وقد ختم مقياس الفضيلة بين المؤمنين بالغضب باعتبار انه شرّ الرذائل من وسائل ابليس اللعين.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

---

(١) الحجرات : ٦.

(٢) البقرة: ١٩٥.

[الحارث الأعور ونسبه]

هو الحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو الحارث بن عبد الله ابن كعب بن أسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمداني ، كان أحد الفقهاء ، له قول في الفتيا ، وكان صاحب علي عليه السلام ، وإليه تنسب الشيعة الخطاب الذي خاطبه به في قوله عليه السلام :

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا

وهي أبيات مشهورة قد ذكرناها فيما تقدم».[1]

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب:«الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الخارفي [2] أبو زهير الكوفي . ويقال الحارث بن عبيد ويقال الحوتي [3]، وحوت بطن من همدان روى عن علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وبقيرة امرأة سلمان . روى عنه الشعبي وأبو إسحاق السبيعي وأبو البختري الطائي وعطاء بن أبي رباح وعبد الله بن مرة وجماعة . قال مسلم في مقدمة صحيحه ثنا قتيبة ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي حدثني الحارث الأعور وكان كذابا وقال منصور ومغيرة عن إبراهيم أن الحارث اتهم وقال أبو معاوية عن محمّد بن شيبة الضبي عن أبي إسحاق زعم الحارث الأعور كان كذابا وقال يوسف بن موسى عن جرير كان الحارث زيفا .

وقال أبو بكر بن عياش لم يكن الحارث بأرضاهم وقال الثوري كنا نعرف فضل حديث عاصم بن ضمرة على حديث الحارث وقال عمرو بن علي كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه غير أن يحيى حدثنا يوما عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث يعني عن علي لا يجد عبد طعم الايمان حتى يؤمن بالقدر . فقال هذا خطأ من شعبة حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن الحارث عن عبد الله وهو الصواب وقال أبو خيثمة كان يحيى بن سعيد يحدث عن حديث الحارث ما قال فيه أبو إسحاق سمعت الحارث . وقال الجوزجاني سألت علي بن المديني عن عاصم والحارث فقال مثلك يسأل عن ذا الحارث كذاب وقال الدوري عن ابن معين الحارث قد سمع من ابن مسعود وليس به بأس وقال

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) الخارفي بكسر الراء وفاء نسبة إلى خارف بطن من همدان اهد لب اللباب .

(٣) الحوتي، بضم الخاء المهملة والمثناة الفوقانية نسبة إلى الحوت بطن من همدان اهد لب اللباب . الزيف المردود لغش فيه ودرهم زيف وزائف اهد السيد أبو بكر ابن شهاب الحضرمي .

عثمان الدارمي عن ابن معين ثقة . قال عثمان ليس يتابع ابن معين على هذا وقال أبو زرعة لا يحتج بحديثه وقال أبو حاتم ليس بقوي ولا ممن يحتج بحديثه وقال النسائي ليس بالقوي وقال في موضع آخر ليس به بأس وقال مجالد قيل للشعبي كنت تختلف إلى الحارث قال نعم اختلف إليه أتعلم منه الحساب كان أحسب الناس . وقال أشعث بن سوار عن ابن سيرين أدركت الكوفة وهم يقدمون خمسة من بدأ بالحارث ثنى بعبيدة ومن بدأ بعبيدة ثنى بالحارث [1] وقال علي بن مجاهد عن أبي جناب الكلبي عن الشعبي شهد عندي ثمانية من التابعين الخير فالخير منهم سويد بن غفلة والحارث الهمداني حتى عد ثمانية أنهم سمعوا عليا يقول: فذكر خبرا وقال ابن أبي داود كان الحارث أفقه الناس وأحسب الناس وأفرض الناس تعلم الفرائض من علي . وقال البخاري في التاريخ عن أبي إسحاق أن الحارث أوصى أن يصلي عليه عبد الله بن يزيد الخطمي . قلت : وفي مسند أحمد عن وكيع عن أبيه قال حبيب بن أبي ثابت لابي إسحاق حين حدث عن الحارث عن علي في الوتر يا أبا إسحاق يساوي حديثك هذا ملئ مسجدك ذهبا وقال الدارقطني الحارث ضعيف وقال ابن عدي عامة ما يرويه غير محفوظ وقال ابن حبان كان الحارث غاليا في التشيع واهيا في الحديث مات سنة (٦٥) وكذا ذكر وفاته إسحاق القراب في تاريخه . وقرأته بخط الذهبي وقال ابن أبي خيثمة قيل ليحيى يحتج بالحارث فقال ما زال المحدثون يقبلون حديثه . وقال ابن عبد البر في كتاب العلم له لمّا حكى عن إبراهيم أنه كذب الحارث أظن الشعبي عوقب بقوله في الحارث كذاب ولم يبن من الحارث كذبه وانما نقم عليه افراطه في حب علي . وقال ابن سعد كان له قول سوء وهو ضعيف في رأيه توفي أيام ابن الزبير وقال ابن شاهين في الثقات قال أحمد بن صالح المصري الحارث الأعور ثقة ما أحفظه وما أحسن ما روى عن علي وأثنى عليه . قيل له فقد قال الشعبي كان يكذب قال لم يكن يكذب في الحديث انما كان كذبه في رأيه . وقرأت بخط الذهبي في الميزان والنسائي مع تعنته في الرجال قد احتج به والجمهور على توهينه مع روايتهم لحديثه في الأبواب وهذا الشعبي يكذبه ثم يروي عنه والظاهر أنه يكذب حكاياته لا في الحديث . قلت : لم يحتج به النسائي وانما أخرج له في السنن حديثا واحدا مقرونا بابن

---

(١) ثم علقمة الثالث لا شك فيه ثم مسروق ثم شريح اهد تهذيب الكمال .

ميسرة وآخر في اليوم والليلة متابعة هذا جميع ماله عنده وذكر الحافظ المنذري أن ابن حبان احتج به في صحيحه ولم أر ذلك لابن حبان وإنما أخرج من طريق عمرو بن مرة عن الحارث بن عبد الله الكوفي عن ابن مسعود حديثا والحارث بن عبد الله الكوفي هذا هو عند ابن حبان رجل ثقة غير الحارث الأعور كذا ذكر في الثقات وان كان قوله هذا ليس بصواب والله أعلم».(١)

[٧١]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ٱلْأَنصارِيِّ وَهُوَ عامِلُهُ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ، فِي مَعْنى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِها لَحِقُوا بِمُعاوِيَةَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ(٢) إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفْ(٣) عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً(٤)، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً(٥) فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَٱلْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ(٦) إِلَى الْعَمَى وَٱلْجَهْلِ؛ وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا(٧) مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ(٨) إِلَيْهَا، قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ(٩)، وَعَلِمُوا أَنَّ ٱلنَّاسَ عِنْدَنَا(١٠) فِي ٱلْحَقِّ أُسْوَةٌ(١١)، فَهَرَبُوا إِلَى ٱلْأَثَرَةِ(١٢)، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً(١٣)، إِنَّهُمْ وَاللّهِ لَمْ يَنْفِروا(١٤) مِنْ جَوْرٍ، وَلَمْ يَلْحَقُواْ بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ ٱللّهُ لَنَا أَصَعْبَهُ(١٥)، وَيُسَهِّلَ لَنَا أَحَزْنَهُ(١٦)، إِنْ شَاءَ اللّهُ؛ وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ(١٧) وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

---

(١) تهذيب التهذيب ؛ لابن حجر ٢ : ١٢٦ ـ ١٢٨.
(٢) في هـ. ب: يتعوّذون، وفي هـ. ص: أي يخرجون هاربين في خفى واستتار.
(٣) في هـ. ب: لا تحزن.
(٤) في هـ. ب: أي تعلم ما فعلوا غيّاً أي جهلاً.
(٥) في هـ. ص: أي علمك بحقيقة أمرهم ومآلهم ومصيرهم يسلّيك عنهم.
(٦) في هـ. ب: اسراعهم، وفي هـ. ب: الاسراع.
(٧) في هـ. ب: ا لدنيا.
(٨) في هـ. ب: ساعون. وشاخصون أبصارهم ومبلغون أعناقهم.
(٩) في هـ. د: ورعوه ـ ب.
(١٠) في هـ. د: عنده ـ ب.
(١١) في هـ. ب: سواء.
(١٢) في هـ. ب: فهربوا إلى اختيارهم.
(١٣) في هـ. ص: دعا عليهم باليعد عن رحمة الله.
(١٤) في ط: يفروا، وفي هـ. ص: وروي: يفروا.
(١٥) في أ و ط: صعبة، وفي هـ. ص: في نسخة ابن أبي الحديد: صعبة.

(ك ١/٧٠) التسلل إلى العدو:

لا يخلو مجتمع بشري من منافقين يعملون للاعداء ويتعاونون لاسباب شخصية أو فكرية وفي مقدمتها المغريات التي يوفرها العدو لاستقطاب اكبر عدد ممكن منهم حتّى تضعف الجبهة التي يقودها من يعاديها.

وهذه الحالة كانت في عصر النبي القائدﷺ، فانزل الله في المنافين سورة كاملة تندد بهم، راجع السورة رقم (٦٣).

ومن اهم خطط المنافقين بث الاشاعات الكاذبة وتضعيف الجبهة الداخلية لها، وكان منها في عصر النبي في غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة.

قال الطبرى (ت /٣١٠) في تاريخه: «مضى رسول الله في سائرا فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون: يا رسول الله، يخلف فلان. فيقولﷺ: دعوه؛ فإنّ يك فيه خيراً فسيلحقه الله بكم، وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه» .(١٨)

وكان كذلك في عصر الإمام، ويتضمّن هذا المقطع الاشارة الى تحليل نفسي لموقف تسلل المنافقين من جانب الإمام، والالتحاق بركب العدو، فقال:

١ ـ (أما بعد، فقد بلغني أن رجالا ممّن قبلك يتسللون إلى معاوية) والتسلل: الهروب في خفية واستتار، ولم يصرح الإمام باسمائهم وربما للامل بندمهم وتوبتهم، والمهم تحليل ظاهرة التسلل من أي شخص كان وفي أي وقت وزمانٍ.

٢ ـ (فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم)؛ فإنّ النصر ليس بالكمية والكثرة العددية، وانما هو بالكيفية والقلة المؤمنة بالاهداف .

ثم أشار إلى أن تسلل من لا يؤمن بالهدف ليس موجباً للاسف بقوله:

٣ ـ(فكفى لهم غيا) حيث ظهرت حقائقهم، فكان النفاق وبعد التسلل الاعلان للعداء ومعرفة العدو الظاهر أقل خطراً من العدو المنافق والداخل في صفوف المسلمين .

(ولك منهم شافيا) للتخلص من المنافق، وهذا موجب للفرح وليس للاسف.

٤ ـ (فرارهم من الهدى والحق)؛ لأنّ فرار هؤلاء انما هو فرار من الهدى، وهو السير

---

(١٦) في أ و ط: حزنه، وفي هـ. ص: في نسخة ابن أبي الحديد: حزنة.
(١٧) من هنا إلى آخر الكتاب لم يرد في ب، ولم يرد «ورحمه الله وبركاته» في أ و ص.
(١٨) تاريخ الطبرى ٣: ١٠٠، ط / القاهرة ـ دار المعارف.

على السنة النبوية في الحق الذي دعا إليه الاسلام.

(وإيضاعهم إلى العمى والجهل) حيث لا يكون ضد الهدى إلّا الضلال، وضد الحق إلّا الباطل، وهو الايمان بالمبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية.

٥ ـ (وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها) فتوجهوا إلى ما يؤمنون به من تفضيل الدنيا على المبادئ.

(ومهطعون إليها) والاهطاع: الاسراع في الشئ، لاختلافهم في المبادي والاهداف مع الحق.

٦ ـ (قد عرفوا العدل ورأوه) الواو حالية، فانهم اتخذوا قرار التسلل بانفسهم بعد ان عرفوا الحق فكرياً ورأوه عمليا.

(وسمعوه ووعوه) سماعاً من القيادة التي ألتزمت بالعمل بالكتاب والسنّة وسياستها ووعوا ذلك وعيا كاملا، ثمّ قرروا الالتحاق بالعدو لمغريات الدنيا.

٧ ـ (وعلموا أن الناس عنده في الحق أسوة) أي متساويين؛ مشيراً إلى السبب الذي دعاهم الى التسلل عن جانب الامام، لانه لا امتيازات اعتباطية لأحد.

٨ ـ (فهربوا إلى الأثرة) وهي الاستبداد بالحكم من استخدام سياسة الامتيازات والتفضيل.

(فبعدا لهم وسحقا) ومع هذا الاختلاف في الاهداف يكون الافضل أن يبعدوا من جانب من لا يرى هذه السياسة، والذي يهدف إلى المساواة والعدالة والحق.

٩ ـ (إنهم والله لم ينفروا من جور)؛ فإنّ الحكم الاسلامي القائم بالشورى لم يستخدم الجور والظلم للوصول الى الحكم كما استخدمها العدو؛ وذلك لاعتقاده بأن الله لا يطاع من حيث يعصى، وان معتقد القائد أن الغاية لا تبرر الواسطة.

١٠ ـ (ولم يلحقوا بعدل)؛ فإنّ العدو الذي استخدم سياسة التفضيل في العطاء لا يعدل قط بين هؤلاء المتسللين وبين اصحابه القواد من الامويين والمرتزقة الذين كانوا في المعارضة من البدء.

وهذه النقاط العشر تكشف أن نفسيات المتسللين ، وانهم ليست لهم رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية، واتباعا للسنة النبوية فانه لم يعاقب احدا منهم؛ فإنّ سياسة العقاب يعارض الفكر للحرية الفكرية في الاسلام، والذي اعلنها الاسلام بقوله

تعالى:﴿لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [١]؛ فإنّ بعد معرفة الرشد والغي يكون الخيار بيد من عرف الحقيقة، واختيار الغى هو العقاب الذي يطوق ضميره والي الابد.

ثم ختم الإمام المقطع بما يأمله كلّ مسلم في الحرب العقائدية بقوله:

(وإنا لنطمع في هذا الأمر أن يذلل الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه إن شاء الله . والسلام) والحزن: الوعورة، فان المسلم يؤدّي واجبه في الحياة في سبيل الله سواء انتصر مبدائيا أم لا، فهو ينال احدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

ذكر ابن الأثير في أسد الغابة ، قال : ب د ع، سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن خناس ويقال ابن خنساء وقيل حنش بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس قاله أبو عمر وأبو نعيم وقال الكلبي كذلك إلّا انه قال ثعلبة بن الحارث بن مجدعة قدم الحارث وهو أنصاري أوسى يكنى أبا سعد وقيل أبا سعيد وقيل أبا عبد الله وأبا الوليد وأبا ثابت شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وثبت يوم أحد مع رسول الله ﷺ لمّا انهزم الناس وكان بايعه يومئذ على الموت وكان يرمى بالنبل عن رسول الله ﷺ أخبرنا عمر بن محمّد بن المعمر أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمّد الحريري أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي أخبرنا أبو بكر محمّد بن عبد الله بن خلف بن تجيب الدقاق أخبرنا إسماعيل بن موسى الحاسب أخبرنا جبارة بن مغلس حدثني عبد الرحمن ابن سليمان الغسيل أخبرنا مسلمة بن خالد عن أبي دجانة الساعدي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه انه كان مع رسول الله ﷺ في غزاة فمر بنهر فاغتسل فيه وكان رجلا حسن الجسم فمر به رجل من الأنصار فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة وتعجب من خلقته فلبط به فصرع فحمل إلى النبي محموما فسأله فأخبره فقال رسول الله ﷺ ما يمنع أحدكم إذا رأى من أخيه ما يعجبه في نفسه أو في ماله فليبرك عليه فان العين حق ثم إنّ سهل ابن حنيف صحب علي بن أبي طالب حين بويع له فلما سار على من المدينة إلى البصرة استخلفه على المدينة وشهد معه صفين وولاه بلاد فارس فأخرجه أهلها فاستعمل زياد بن أبيه فصالحوه وأدوا الخراج ومات سهل بالكوفة سنة ثمان وثلاثين وصلى عليه على وكبر عليه ستا وقال إنه بدري روى عنه ابناه أبو أمامة

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

وعبد الملك وعبيد بن السباق وأبو وائل وعبد الرحمن بن أبي ليلى وغيرهم أخرجه الثلاثة»[١].

[٧٢]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلَى ٱلْمُنْذِرِ بْنِ ٱلْجارُودِ ٱلْعَبْدِيِّ وَقَدْ كانَ ٱسْتَعْمَلَهُ عَلى بَعْضِ ٱلنَّواحِي، فَخانَ ٱلْأَمانَةَ[٢]:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ[٣]، فَإِذَا أَنْتَ ـ فِيما رُقِيَ[٤] إِلَيَّ عَنْكَ ـ لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ ٱنقِيَاداً[٥]، وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً[٦]، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ[٧]؛ وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ[٨] وَشِسْعُ نَعْلِكَ[٩] خَيْرٌ مِنْكَ. وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ[١٠] فِي أَمَانَةٍ[١١]، أَوْ يُؤْمَنَ[١٢] عَلَى جِبَايَةٍ[١٣]، فَأَقْبِلْ إِلَيَّ[١٤] حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ.

قال الرضي رحمه الله تعالى[١٥]:

---

(١) أسد الغابة؛ لابن الأثير ٢ : ٣٩٤ - ٣٩٥.
(٢) من قوله: «وقد كان» إلى هنا لم يرد في أ، وفي ب و ط زيادة: في بعض ما ولّاه من أعماله.
(٣) في هـ. ص: قال في الشرح: كثيراً ما يغتر الإنسان بحال الآباء فيظن إن الأبناء على منهاجهم ولا يكون الأمر كذلك.
(٤) هـ. ب رفع، هـ. ص: أي رفع، وأصله أن يكون الإنسان في مكان عال فيرقىٰ إليه الشيء أي يرفع، وكأنّ العلو ـ هنا ـ علو رتبة بين الإمام والأمير، ونحوه قولهم: تعال، باعتبار علو رتبة الآمر على المأمور، انتهى من الشرح.
(٥) في هـ. ص: الأظهر تعليق «لهواك» بـ«انقياداً» على اختيار الرضي من جواز تقديم معمول المصدر عليه إن كان حرفاً أو جاراً ومجروراً.
(٦) في هـ. ب: عتاداً: معداً مهيّئاً، وفي هـ. ص: هو ما يعتدد ويدّخر للحاجة.
(٧) في هـ. ص: كان فيما رقي عنه أنّه يقتطع المال ويفيضه على رهطه وقومه ويخرج بعضه في لذّاته ومآربه، انتهى من الشرح.
(٨) في هـ. ص: العرب تضرب بالجمل المثل في الهوان.
(٩) في هـ. ص: ضرب المثل به في الاستهانة مشهور.
(١٠) في هـ. ب: من الشركة.
(١١) في هـ. ص: كل ما يتولّاه الإمام فهو أمانة معه، فإذا ولّى غيره أمراً فقد أشركه في أمانته.
(١٢) في هـ. ب: من الأمن.
(١٣) في أ و ب: خيانة، وفي هـ. ص: مصدر جبىٰ.
(١٤) في هـ. ص: كناية عن العزل.
(١٥) لم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أ ب ص د.

وَٱلْمُنْذِرُ[١] بن الجارود[٢] هَذَا هُوَ ٱلَّذِي قَالَ فِيهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّهُ[٣] لَنَظَّارٌ فِي عِطْفَيْهِ مُخْتَالٌ[٤] فِي بُرْدَيْهِ، تَفَّالٌ فِي شِرَاكَيْهِ[٥].

هذا المقطع كشف عن الرقابة المشددة على العمال والولاة، وفيه من موارد الاعتبار نقاط يعلنها الإمام الى المتهم بالذات في رسالة رسمية يكون عبرة لغيره ـ من دون الحكم بصحة التهمة، ويتضمن السبب في توظيف المتهم بالذات، ونقاط الاتهام والانذار بالاشارة إلى مسؤوليات الوظيفة والطلب للحضور في التحقيق مباشرة.

وعن صلاحية الوظيفة قال:

١ ـ (أما بعد؛ فإنّ صلاح أبيك غرني منك)؛ فإنّ من العادة الغالبة أن يتربى الأبناء على سيرة الاباء، وكان من صلاح الجارود العبدي أنه لم يشارك اصحاب الردة وبقى داعيا للاسلام بالرغم من ارتداد بعض العرب، وهذه خصلة يتوقع وجودها في ولد المنذر كما هي العادة في تربية البيوتات، وان شذ الأمر، كما في ولد نوح الذي قال عنه: ﴿يانوح انّه ليس من اهلك انّه عمل غير صالح﴾.[٦]

٢ ـ (وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله) من نصرة المبادي الاسلامية كما كان عليه والد الجارود داعية للاسلام بالرغم من ارتداد اهل الردة.

وعن الاتهامات قال:

(فإذا أنت فيما رقي إلي عنك) بالتقرير الذي رفع إلى الإمام عن المنذر، ويتلخص في اربع تهم:

أوّلاً: (لا تدع لهواك انقيادا)؛ فإنّ القرارات التي يتخذها نابعة من الهوى من دون شورى.

ثانياً: (ولا تبقي لآخرتك عتادا) والعتاد: العدة، كما هو المطلوب من أيّ مسلم.

---

(١) في ط: المنذر.
(٢) لم ترد «ابن الجارود» في أ و ب.
(٣) في هـ. د: إنّك ـ ك.
(٤) في هـ. ص: أي يمشي الخيلاء عجبا بنفسه وثيابه.
(٥) في هـ. ص: التفل بالتسكين مصدر تفل، أي بصق، والتَفَل محركة البصاق نفسه، والشراك: السير الّذي يكون في النعل على ظهر القدم، وإنّما يتفل في شراكيه ليذهب عنهما الغبار فيهما ويمسحهما ليكونا كالجديدين، انتهى من الشرح.
(٦) هود: ٤٦.

ثالثاً: (تعمر دنياك بخراب آخرتك) بالقرارات التي تعود عليك منفعه دينيوية على حساب الآخرة.

رابعاً: (وتصل عشيرتك بقطيعة دينك) حيث قام بسياسة التفضيل والمحاباة، فقدم عشيرته على غيرها، مع أن الوظيفة الاسلامية لابدّ وان تأخذ بعين الاعتبار الكفاءة والمساواة بين المسلمين من دون تفضيل.

وعن ماة الانذار ، قال:

(ولئن كان ما بلغني عنك حقا) وليس في هذه المرحلة سوى الانذار حيث لا اثبات على الامر الا بعد التحقيق وحق الدفاع وبيان الحقائق.

ـ (لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك) والشع: القطعة التي تربط النعل فوق الاصابع، وقال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «العرب تضرب بالجمل المثل في الهوان» وايضا ـ فأما شسع النعل فضرب المثل بها في الاستهانة مشهور».[١]

وعن عقوبة التهمة أشار بقوله:

١ ـ (ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر) من حدود الدين الاسلامي.

٢ ـ (أو ينفذ به أمر) من امور المسلمين التي يفتقر فيها إلى نظم الدولة الاسلامية.

٣ ـ(أو يعلى له قدر)؛ فإنّ الوظيفة الاسلامية لها حرمة عالية القدر، ينظر اليها المسلمين لاداء دورها بنزاهة على المبادئ الاسلامية.

٤ ـ (أو يشرك في أمانة) فالمسؤولية الاسلامية التي هي امانة الله على العباد.

٥ ـ (أو يؤمن على خيانة) من اموال الخراج؛ لافتقارها إلى الامانة.

وعن طلب التحقيق قال:

(فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله).

فان التقرير المرفوع لا يثبت التهمة وان كان التقرير صادقا، بل لابدّ من التحقيق المباشر مع المتهم في محكمة اسلامية عادلة، ولا يمكن ذلك إلّا بالحضور شخصيا للدفاع، وان العقاب في النقاط الخمس لا يتعدى الحكم بالعزل ونصب البديل الذي له كفاية للوظيفة.

(١) شرح النهج ١٨ : ٥٨، ط / ١٩٦٠.

وقد نقل الشرف الرضي (ت /٤٠٦) عن شخصية المنذر صفات ثلاث يكشف عن روح الغرور والخيلاء، وقد شرحها الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، بما نصّه:

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«فأمّا الكلمات التي ذكرها الرضيّ عنه عليه السلام في أمر المنذر فهي دالة على أنه نسبه إلى التيه والعجب ، فقال : " نظار في عطفيه " ، أي جانبيه ، ينظر تارة هكذا وتارة هكذا ، ينظر لنفسه ، ويستحسن هيئته ولبسته ، وينظر هل عنده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه بإزالته ، كما يفعل أرباب الزهو ومن يدعى لنفسه الحسن والملاحة . قال : " مختال في برديه : يمشى الخيلاء عجبا " قال محمّد بن واسع لابن له وقد رآه يختال في برد له : ادن فدنا فقال : من أين جاءتك هذه الخيلاء ويلك ! وأمّا أمك فأمة ابتعتها بمائتي درهم ، ووأمّا أبوك فلا أكثر الله في الناس أمثاله . قوله : " تفال في شراكيه " ، الشراك : السير الذي يكون في النعل على ظهر القدم . والتفل بالسكون : مصدر تفل أي بصق ، والتفل محركا البصاق نفسه ، وإنما يفعله المعجب والتائه في شراكيه ليذهب عنهما الغبار والوسخ ، يتفل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجديدين».[1]

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[ذكر المنذر وأبيه الجارود]

هو المنذر بن الجارود . واسم الجارود بشر بن خنيس بن المعلى ، وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبه بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز ابن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان ، بيتهم بيت الشرف في عبد القيس ، وإنما سمى الجارود لبيت قاله بعض الشعراء فيه في آخره : كما جرد الجارود بكر بن وائل.

ووفد الجارود على النبي صلى الله عليه وآله في سنة تسع ، وقيل : في سنة عشر . وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " أنه كان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه ، وكان قد وفد مع المنذر بن ساوى في جماعة من عبد القيس ، وقال :

شهدت بأن الله حق وسامحت ... بنات فؤادي بالشهادة والنهض

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٥٩.

فأبلغ رسول الله منىب رسالة بأني حنيف حيث كنت من الأرض

قال : وقد اختلف في نسبه اختلافا كثيرا ، فقيل : بشر بن المعلى بن خنيس ، وقيل : بشر بن خنيس بن المعلى ، وقيل : بشر بن عمرو بن العلاء ، وقيل : بشر بن عمرو بن المعلى وكنيته أبو عتاب ، ويكنى أيضا أبا المنذر . وسكن الجارود البصرة ، وقتل بأرض فارس ، وقيل : بل قتل بنهاوند مع النعمان ابن مقرن . وقيل إنّ عثمان بن العاص بعث الجارود في بعث نحو ساحل فارس ، فقتل بموضع يعرف بعقبة الجارود ، وكان قبل ذلك يعرف بعقبة الطين ، فلما قتل الجارود فيه عرفه الناس بعقبة الجارود ، وذلك في سنة إحدى وعشرين . وقد روى عن النبي)(أحاديث وروى عنه ، وأمه دريمكة بنت رويم الشيبانية . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب " التاج " : إنّ رسول الله ﷺ أكرم الجارود وعبد القيس حين وفدا إليه ، وقال للأنصار قوموا إلى إخوانكم ، و أشبه الناس بكم " ، قال لأنهم أصحاب نخل ، كما أن الأوس والخزرج أصحاب نخل ، ومسكنهم البحرين واليمامة . قال أبو عبيدة : وقال عمر بن الخطاب : لولا أني سمعت رسول الله يقول : إنّ هذا الامر لا يكون إلا في قريش لمّا عدلت بالخلافة عن الجارود ابن بشر بن المعلى ، ولا تخالجني في ذلك الأمور . قال أبو عبيدة : ولعبد القيس ست خصال فاقت بها على العرب ، منها : أسود العرب بيتا ، وأشرفهم رهطا الجارود هو وولده . ومنها أشجع العرب حكيم بن جبلة ، قطعت رجله يوم الجمل ، فأخذها بيده وزحف على قاتله فضربه بها حتى قتله ، وهو يقول :

يا نفس لا تراعى قطعت كراعي
إنّ معي ذراعي

فلا يعرف في العرب أحد صنع صنيعه . ومنها أعبد العرب هرم بن حيان صاحب أويس القرني . ومنها أجود العرب عبد الله بن سواد بن همام ، غزا السند في أربعة آلاف ، ففتحها وأطعم الجيش كله ذاهبا وقافلا فبلغه أن رجلا من الجيش مرض ، فاشتهى خبيصا، فأمر باتخاذ الخبيص لأربعة آلاف إنسان ، فأطعمهم حتى فضل ، وتقدم إليهم ألا يوقد أحد منهم نارا لطعام في عسكره مع ناره . ومنها أخطب العرب مصقلة بن رقبة ، به يضرب المثل فيقال : أخطب من مصقلة . ومنها أهدى العرب في الجاهلية وأبعدهم مغارا وأثرا في الأرض في عدوه ، وهو دعيميص الرمل كان يعرف بالنجوم هداية ، وكان أهدى

من القطا ، يدفن بيض النعام في الرمل مملوءا ماء ثم يعود إليه فيستخرجه . فاما المنذر بن الجارود فكان شريفا ، وابنه الحكم بن المنذر يتلوه في الشرف ، والمنذر غير معدود في الصحابة ، ولا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا ولد له في أيامه ، وكان تائها معجبا بنفسه ، وفي الحكم ابنه يقول الراجز :

يا حكم بن المنذر بن الجارود　　　أنت الجواد ابن الجواد المحمود

سرادق المجد عليك ممدود

وكان يقال : أطوع الناس في قومه الجارود بن بشر بن المعلى ، لمّا قبض رسول الله فارتدت العرب ، خطب قومه فقال : أيها الناس ، إنّ كان محمّد قد مات فإن الله حتى لا يموت ، فاستمسكوا بدينكم ، ومن ذهب له في هذه الفتنة دينار أو درهم أو بقرة أو شاة فعلى مثلاه ، فما خالفه من عبد القيس أحد .

قوله عليه السلام : " إنّ صلاح أبيك غرني منك " ، قد ذكرنا حال الجارود وصحبته وصلاحه ، وكثيرا ما يغتر الانسان بحال الاباء فيظن أن الأبناء على منهاجهم ، فلا يكون والامر كذلك) يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ».[(١)]

[٧٣]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى عَبْدِ ٱللّه بْنِ ٱلْعَبّاسِ رحمه الله[(٢)]:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسابِقٍ أَجَلَكَ، وَلَا مَرْزُوقٍ ما لَيْسَ لَكَ، وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلدَّهْرَ يَوْمانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ ٱلدُّنْيا دَارُ دُوَلٍ[(٣)]. فَما كانَ مِنْهَا لَكَ أَتاكَ عَلى ضَعْفِكَ، وَما كانَ مِنْها عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

القضاء والقدر:

يتضمّن المقطع نقاط أساسية عن مسألة القضاء والقدر؛ فإنّ الامور في الحياة مقدرة على أسبابها الطبيعية المتسلسلة بتقدير الله تعالى، ودور الإنسان فيها السعي في تحصيل تلك الاسباب التي تحت اختياره دون ما ليس تحت اختياره من قوى الطبيعة الحاكمة

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٥٥ ـ ٥٧.
(٢) في ط: رضي الله عنه.
(٣) في هـ. ب: جمع دولة، وفي هـ. أ: دارُ دول، دارَ دول ـ معاً ـ.

على ارادته من الفصول الاربعة ونحوها، وقد سرد من مواردها المحسوسة في حياة كلّ انسان بقوله:

أوّلاً: (أما بعد، فإنك لست بسابق أجلك)؛ فإنّ الاجل المقدر لايعلمه احد سوى الله :﴿إذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون﴾؟؟؟.[١]

ثانياً: (ولا مرزوق ما ليس لك)؛ فإنّ الرزق الذي يقسمه الله قسمة عادلة لاتدخل تحت اختيار الإنسان، قال تعالى:﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.[٢] ثالثا: (واعلم بأن الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك) وليس في الدنيا من اول التاريخ إلى اخره من صفى الدهر له دائما في حالة واحدة، فهي في حركة دائمية من العلو والهبوط بما ليس تحت اختيار الإنسان قط، فالحوادث الطبيعية من الزلازل وحتى الموت والمرض تغير منهاج الإنسان ـ أي انسان ـ في الحياة شاء أم أبى.

رابعاً: (وأن الدنيا دار دول) والدولة: ماتدار كالدولاب من العلو والهبوط.

وعن نتيجة هذه الدولة الطبيعية في الحياة الدنيا قال:

خامساً: (فما كان منها لك أتاك على ضعفك) فلا تفتقر إلى استخدام قوة للحصول عليه ، فانه يصل الى الإنسان ان كان مقدراً له بالرغم من ضعفه من تحصيله.

(وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك)؛ فإنّ الضرر المتوجه في الدنيا من الامراض والخسارات المادية والمعنوية لا يمكن دفعها بالقوة، فلابد من مواجهتها بالصبر.

وفي كلّ هذه النقاط لا اختيار للانسان في مواجهة الواقع، بل لابدّ من العمل فيما يمكن من العمل دون ما لا يتمكن منه، والله المستعان.

[٧٤]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إلى مُعاوِيَةَ:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنِّي عَلَى ٱلتَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَٱلْاسْتِماعِ إِلَى كِتابِكَ لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي[٣]، وَمُخَطِّئٌ

(١) الاعراف : ٣٤.
(٢) الطلاق : ٣.
(٣) في هـ. ص: قال في الشرح: ليس معناه التوقف، بل معناه التراد والتكرار، أي أنا لائم نفسي ومستضعف رأيي في أن جعلتك نظيراً ارادّك الكتب، وإنّما ينبغي أن يكون جواب مثلك السكوت؛ لهوانك، انتهى من الشرح. في هـ. ب: موهن: ضعيف.

فِرَاسَتِي[١]، وَإِنَّكَ إِذْ تُحاوِلُنِي ٱلْأُمُورَ، وَتُرَاجِعُنِي ٱلسُّطُورَ، كَٱلْمُسْتَثْقِلِ ٱلنَّائِمِ تَكَذِّبُهُ أَحْلامُهُ، وَٱلْمُتَحَيِّرِ[٢] ٱلْقائِمِ يَبْهَظُهُ[٣] مَقَامُهُ؛ لَا يَدْرِي أَلَهُ ما يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ[٤]، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ.

وَأُقْسِمْ بِاللّهِ أَنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ ٱلْاسْتِبْقَاءِ، لَوَصَلَتْ[٥] إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ[٦] تَقْرَعُ ٱلْعَظْمَ، وَتَلْهَسُ[٧] ٱللَّحْمَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ[٨] عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ، وَتَأْذَنَ[٩] لِمَقَالِ نَصِيحِكَ[١٠]، وَٱلسَّلَامُ لأهلِهِ[١١].

هذا المقطع من الكتاب يتضمن نقاطا عن مواقف الإمام ومواقف معاوية يكشف انّه من الكتب الجوابية الآخيرة قبل حرب صفين عام ٣٨.

أوّلاً: (أما بعد، فإني على التردد في جوابك والاستماع إلى كتابك لموهن رأيي ومخطئ فراستي) فان الإمام بحكم دراسة تاريخ معاوية الماضي قبل الاسلام وبعده له رأي واضح فيه، وله فراسة في خططه واهدافه من المراسلات، واقلها أن معاوية يكتسب من جواب الإمام شخصية معارضة، فأعلن الإمام كما هي سياسته الاسلامية المفتوحة انّه متردد في الجواب والاستماع الى الكتاب ـ ومن هذا يظهر انّه كان يقرأ علنا ـ لنفس السبب من جهة، ومن جهة اخرى من حيث أن الكتاب يقرأ علنا فلابد من رفع الشبهة عن عموم افراد الشعب.

(١) في هـ. ب: أي أحسست خطأً بفطنتي.
(٢) في ب: أو المتحيّر.
(٣) في هـ. ب: يبهره.
(٤) في هـ. ص: أي لست بمتحيّر حيرة حقيقية صادرة عن جهل بالحقّ وسبيله، وإنّما حيّرت نفسك عمداً وقصداً للدنيا.
(٥) في هـ. د: لو وصلت ـ ع ك.
(٦) في هـ. د: من نوازع ـ ع ك، وفي أ: مني نوازع، وفي هـ. ص: جمع قارعة، وروى «نوازع» جمع نازعة، أي جاذبة قالعة، وقوله: «يقرع العظم» أي تصل إليه كما تبلغ العظّة البالغة إليه.
(٧) في ب: وتهلس، وفي ط: وتنهس، وفي هـ. ا: اللهس كاللحس، وفي هـ. د: تهلس ـ ض ب ن ل ش، تنهس ـ ح، وفي هـ. ب: تخد وتنهش.
(٨) في هـ. ب: حسبك.
(٩) في هـ. ص: أي تسمع وتعي.
(١٠) في ب و ط: نصيحتك.
(١١) في ط زيادة: لأهله.

ثالثاً: (وإنك إذ تحاولني الأمور) والمحاولة: المطالبة بولاية الشام.

(وتراجعني السطور) والسطر: الكتابة؛ حيث كان طلب الجواب مكتوبا.

(كالمستثقل النائم) اي النائم الذي ثقل نومه وغفى في نوم عميق.

(تكذبه أحلامه) من الجواب المسطور بولاية الشام.

(أو المتحير القائم يبهظه مقامه) والبهظ: المشقة بالمقام في حالة واحدة.

(لا يدري أله ما يأتي أم عليه) حيث ليست له رؤية واضحة لنتائج ما يقدم عليه.

(ولست به) فانك لست تائها ولا متحيّراً في تحركاتك ضد الخلافة القائمة بالشورى.

(غير انّه بك شبيه)؛ فإنّ وجه الشبه أن هذه الاحلام معروفة عند الإمام ولا ينخدع بها ولا يولى معاوية ولاية الشام؛ لأنّه في اعتقاده لا يصلح لها اسلاميا.

وعن موقف الإمام نفسه قال مؤكدا:

ثالثاً: (وأقسم بالله انّه لولا بعض الاستبقاء) وهو طلب بقاء الشئ، ولم يصرح به الإمام لظاهر بقاء الثوابت الاسلامية في الحرب؛ فإنّ احدى الثوابت عدم البدء بالحرب حتّى يبتدئ به العدو، فيكون دفاعاً لا هجوما.

(لوصلت إليك مني قوارع) والقارعة: الداهية باستخدام اسلوب الاغتيال الذي يستخدمه العدو وما شابه بما لا يسمح بها قوانين الحرب الاسلامية.

(تقرع العظم) فتكسر الهيكل العظمي للمعارضة الامويّة المسلحة.

(وتهلس اللحم) والهلس: الذوبان.

فان الحرب العقائدية لا يمنعها الخوف وهي شجاعة في الاقدام على ذلك؛ لاستقبالها سبيل الشهادة، فلم يمنع من ذلك شئ سوى الاستبقاء على الثوابت الاسلامية من القوانين الحربية التي تسير على سنة الرسول صلى الله عليه وآله.

وعن موقف معاوية قال:

رابعاً: (واعلم أن الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك) والتثبيط: الانشغال بالتاخير.

(وتأذن لمقال نصيحتك، والسلام) والتأذن: السماع.

فان مواقف معاوية ليست مواقف من يتقبّل النصيحة الاسلامية بالانقياد للخلافة القائمة على الشورى، بل هي مواقف المطالبة بالحكم المحلي.

(تحاولتى الامور) وان يكون الحكم المحلي رسمياً .

(تراجعني السطور) وهذه خطوة شيطانية في تفكيك وحدة الاراضي الاسلامية وتقسيمها محلياً إلى دول مختلفة بعضها على أساس الملوكية المستبدة وبعضها على أساس الحكم بالشورى، وهذا مالا يسمح به الاسلام نظريا، ولا يمكن استمراره في الوطن الاسلامي الواحد.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ثم قال : وإنك في مناظرتي ومقاومتي بالأمور التي تحاولها ، والكتب التي تكتبها كالنائم يرى أحلاما كاذبة ، أو كمن قام مقاما بين يدي سلطان ، أو بين قوم عقلاء ليعتذر عن أمر ، أو ليخطب بأمر في نفسه ، قد بهظه مقامه ذلك ، أي أثقله فهو لا يدرى : هل ينطق بكلام هو له ، أم عليه ! فيتحير ويتبلد ، ويدركه العمى والحصر . قال : وإن كنت لست بذلك الرجل فإنك شبيه به ، وأمّا تشبيهه بالنائم ثم ذي الأحلام ، فإن معاوية لو رأى في المنام في حياة رسول الله ﷺ أنه خليفة يخاطب بإمرة المؤمنين ، ويحارب عليا على الخلافة ، ويقوم في المسلمين مقام رسول الله ﷺ لمّا طلب لذلك المنام تأويلا ولا تعبيرا ، ولعده من وساوس الخيال وأضغاث الأحلام ، وكيف وأنى له أن يخطر هذا بباله ، وهو أبعد الخلق منه ! وهذا كما يخطر للنفاط [١] أن يكون ملكا ، ولا تنظرن إلى نسبه في المناقب بل انظر إلى أن الإمامة هي نبوة مختصرة ، وإن الطليق المعدود من المؤلفة قلوبهم المكذب بقلبه وإن أقر بلسانه ، الناقص المنزلة عند المسلمين ، القاعد في أخريات الصف ، إذا دخل إلى مجلس فيه أهل السوابق من المهاجرين ، كيف يخطر ببال أحد أنها تصير فيه ويملكها ويسمه الناس وسمها ، ويكون للمؤمنين أميرا ، ويصير هو الحاكم في رقاب أولئك العظماء من أهل الدين والفضل ! وهذا أعجب من العجب ، أن يجاهد النبي ﷺ قوما بسيفه ولسانه ثلاثا وعشرين سنة ، ويلعنهم ويبعدهم عنه ، وينزل القرآن بذمهم ولعنهم ، والبراءة منهم ، فلما تمهدت له الدولة ، وغلب الدين على الدنيا ، وصارت شريعة دينيّة محكمة ، مات فشيد دينه الصالحون من أصحابه ، وأوسعوا رقعة ملته ، وعظم قدرها في النفوس ، فتسلمها منهم أولئك الأعداء الذين جاهدهم النبي ﷺ فملكوها وحكموا فيها ، وقتلوا الصلحاء

---

(١) النفاط : مستخرج النفط ، وهو الزيت .

والأبرار وأقارب نبيهم الذين يظهرون طاعته ، وآلت تلك الحركة الأولى وذلك الاجتهاد السابق إلى أن كان ثمرته لهم ، فليته كان يبعث فيرى معاوية الطليق وابنه ، ومروان وابنه خلفاء في مقامه ، يحكمون على المسلمين ، فوضح أن معاوية فيما يراجعه ويكاتبه به ، كصاحب الأحلام . ووأمّا تشبيهه إياه بالقائم مقاما قد بهظه ، فلان الحجج والشبه والمعاذير التي يذكرها معاوية في كتبه أوهن من نسج العنكبوت ، فهو حال ما يكتب كالقائم ذلك المقام يخبط خبط العشواء ، ويكتب ما يعلم هو والعقلاء من الناس أنه سفه وباطل».[١]

[٧٥]

وَمِنْ حِلْفٍ كَتَبَهُ عليه السلام[٢] بَيْنَ ٱلْيَمَنِ وَرَبِيعَةَ[٣]، وَنُقِلَ مِنْ خَطِّ هِشامِ بْنِ ٱلْكَلْبِيِّ:

قال عمر كحالة في معجم المؤلفين:«هشام الكلبي (٢٠٤ ٠٠٠ هـ ((٨١٩ ٠٠٠ م (هشام بن محمّد بن السائب بن بشر ابن عمرو الكلبي ، الكوفي) أبو المنذر (نسابة ، اخباري . روى عن أبيه وعن مجاهد بن سعيد وغيرهما ، وتوفي بالكوفة . من تصانيفه الكثيرة [٤] : جمهرة الأنساب ، حلف عبد المطلب وخزاعة ، الأصنام ، المثالب ، وأسواق العرب»[٥].

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« الحلف : العهد ، أي ومن كتاب حلف ، فحذف ، المضاف ، واليمن : كمن ولده قحطان ، نحو حمير ، وعك ، وجذام ، وكندة والأزد ، وغيرهم . وربيعة ، هو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهم بكر وتغلب ، وعبد القيس . وهشام ، هو هشام بن محمّد بن السائب الكلبي ، نسابة ابن نسابة عالم بأيام العرب وأخبارها ، وأبوه أعلم منه ، وهو يروى عن أبيه».[٦]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٦٣ ـ ٦٤.
(٢) العنوان في ط هكذا: ومن حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة واليمن ... الخ.
(٣) في هـ . ب: قبيلة في هـ . ص: ربيعة هو أبوهم، وهو ابن نزار بن معد بن عدنان، وهم بناء بكر وتغلب وعبد القيس. وهشام هو هشام بن محمّد بن السائب، نسّابة ابن نسابة، عالم بأيام العرب وأخبارها، وأبوه أعلم منه، وهو يروي عن أبيه، انتهى من الشرح.
(٤) في معجم البلدان : تزيد تصانيفه على ١٥٠ مصنفا ، وانظر هدية العارفين .
(٥)معجم المؤلفين ؛ لعمر كحالة ١٣ : ١٤٩ ـ ١٥٠.
(٦) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٦٦.

هَذَا مَا ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ(١) أَهْلُ ٱلْيَمَنِ حَاضِرُهَا(٢) وَبَادِيهَا(٣)، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا، أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ ٱللّٰهِ(٤) يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً(٥)، وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ(٦) عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، وَأَنَّهُمْ أَنْصارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ(٧)، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ(٨) عَاتِبٍ، وَلَا لِغَضَبِ غَاضِبٍ، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْماً، وَلَا لِمَسَبَّةِ(٩) قَوْمٍ قَوْماً(١٠)، عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، وَسَفِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ(١١)، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ عَهْدَ ٱللّٰهِ وَمِيثَاقَهُ، إِنَّ عَهْدَ ٱللّٰهِ كَانَ مَسْئُولاً.

وَكَتَبَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

(١/ك ٧٤) الحلف الاسلامي:

يتضمّن هذا الحلف ست نقاط، والظاهر أن هذا الحلف كان ردة فعل لسياسة التفرقة التي أتبعها معاوية باثارة الخلافات القبلية الجاهلية بين اهل اليمن وربيعة، واشغال الدولة الاسلامية القايمة بالشورى في جبهة اخرى في شرق الوطن الاسلامي، كيما يتزعم معاوية قيادة المعارضة في غرب الوطن الاسلامي كما يستظهر من موارد الحلف.

المادّة الاولى ـ في المتحالفين (هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن : حاضرها وباديها) الحاضر: ساكنها من الحضر في المدن، والبادي: ساكن البادية في القرى والارياف، وهم كلّ من نسب إلى قحطان من قبائل، هذا من جانب.

(وربيعة: حاضرها وباديها) وهم كلّ من ينتسب الى ربيعة ونزار ومعد وعدنان ونسب اليهم قبائل، من جانب آخر.

---

(١) في هـ. ب: إليه.
(٢) في هـ. ص: ساكنوا الحضر.
(٣) في هـ. ص: ساكنوا البدو.
(٤) في هـ. ص: أي مجتمعون.
(٥) في هـ. ص: أي لا يتعوضون به الدنيا.
(٦) في هـ. ص: أي قاصدون بطشهم واحد.
(٧) في أ: دعوةً واحدة.
(٨) في هـ. ب: لعتاب عاتب.
(٩) في هـ. ب: في نسخة: لمشيتة.
(١٠) في هـ. د: عبارة «ولا لمسبّة قوم قوماً» ساقطة من ب ل.
(١١) لم ترد «وسفيههم وعالمهم» في ب، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ش.

المادّة الثانية: (انهم على كتاب الله) باعتباره القانون الاساسي للمجتمع الاسلامي، وهذا بالالتزامات التالية:

أوّلاً: (يدعون إليه) فهو المحكم في الحياة، وليست الاعراف الجاهلية التي كانت سائدة قبل الاسلام.

ثانياً: (ويأمرون به) بالعمل على ما يأمر به في الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصاديّة والسياسية، ومنها الحكم بالشورى.

ثالثاً: (ويجيبون من دعا إليه وأمر به) دون من لم يدع إليه أو دعى إلى العادات القبلية التي كانت في الجاهلية.

رابعاً: (لا يشترون به ثمنا) بتغيير الاحكام القرآنية الثابتة.

خامساً: (ولا يرضون به بدلا) بغير الاحكام الاسلامية باعتبار تطور الزمن ومنها تغيير الحكم من الشورى إلى الملوكية.

المادة الثالثة: (وأنهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه) في هذه المادّة يحض المسلمين؛ فإنّ امر الكفار واضح، ومن هنا يكتشف أن العهد كان تصدياً للدعايات الاموية في تفريق المسلمين إلى جماعات وقبائل، متبعا سياسة "فرّق تسد" فكانت هذه المادّة الثالثة رداً لهذه السياسة.

المادة الرابعة: (أنصار بعضهم لبعض) بالرغم من الخلافات في العهد الجاهلي؛ فإنّ الاسلام قد طهرهم من الشرك والجهل، وجعلهم في صف واحد بموجب هذا الحلف.

المادّة الخامسة: (دعوتهم واحدة) فليست هناك دعوات متباينة، بل هي صوت واحد للامة الاسلامية اينما كانت، وتحت قيادة اسلاميّة واحدة هي الحكم القائم بالشورى.

المادة السادسة: (لا ينقضون عهدهم) وقد سرد امورا اربعة يظهر انها كانت مستخدمة لتفريق الأمّة، فقضى عليها بهذا العهد وهي:

أوّلاً: (لمعتبة عاتب)؛ فإنّ أيّ تحالف لا يخلو من عتاب من يكون مصالحة الشخصية في خطر، فلا يكون العتب موجبا للنقض.

ثانياً: (ولا لغضب غاضب) على هذا العهد لاي سبب كان؛ فإنّ العهد نافذ المفعول.

ثالثاً: (ولا لاستذلال قوم قوما) بعد العهد؛ فإنّ ذلك لا يوجب النقض.

رابعاً: (ولا لمسبة قوم قوما)؛ فإنّ المسبة لبعض المصالح الشخصيّة أو السياسة أو

غيرها لا توجب النقض.

فان هذه العوامل الجانبية كانت ـ ولا تزال ـ من الاسباب الموجبة لاشتعال نار الحرب بين القبائل، وبموجب هذا الحلف لا تؤثر هذه الخلافات الجانبية في تطبيق هذا العهد.

المادّة السابعة: (على ذلك) وجميع طبقات الشعب المسلم، وقد صرح باغلبهم، وهم:

أوّلاً: (شاهدهم) الذي حضر مجلس التحالف شخصيا.

ثانياً: (وغائبهم) ممّن لم يحضر وعلم به أو لم يعلم من الغائبين.

ثالثاً: (وسفيههم) من لا خبرة له بالحياة وخاصة الامور السياسة.

رابعاً: (وعالمهم) من يعلم اثر هذا الحلف والاسباب الداعية اليه والمسؤوليات المنوطة به.

خامساً: (وحليمهم) من اصحاب الحلم والعقل من الناس.

سادساً: (وجاهلهم) من عامة الطبقات التي لا يعنيه النظام القائم في المجتمع.

وختام الحلف: (ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه)، وختمها بقوله: ﴿إن عهد الله كان مسؤولا﴾.(١) اقتباسا من القرآن الكريم. (وكتب: علي بن أبي طالب).

[٧٦]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام إِلى مُعاوِيَةَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ ما بُويِعَ لَهُ بِالْخِلافَةِ(٢)، ذَكَرَهُ(٣) ٱلْواقِدِيُّ فِي كِتابِ ٱلْجَمَلِ:

(ك ١/٧٥) اخر كتاب إلى معاوية:

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيانَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي(٤) فِيكُمْ، وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ، حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ، وَٱلْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَٱلْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وَأَقْبَلَ مَا(٥) أَقْبَلَ. فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ،

---

(١) الأحزاب: ١٥.

(٢) لم ترد «بالخلافة» في أ.

(٣) في ب: وذكره.

(٤) في هـ. ب: ازعاج عذري.

(٥) في أ: من، وفي هـ. ب: في نسخة: من.

وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ[١] مِنْ أَصْحَابِكَ. وَٱلسَّلَامُ.

قد تكررت كتب الامام إلى معاوية في نهج البلاغة، وبلغت خمسة عشر كتابا، هذه اخرها.، وكتب الإمامعليه السلام تشير في اكثر من موضع إلى علمه باهداف معاوية ومحاولاته لتحريف الحقائق ورفع شعار قميص عثمان بالذات لاثارة العواطف ضد الإمام، والإمام من جانبه كان بين خيارين: اهمال الاجابة على كتب معاوية أو الاجابة بالرغم من علمه بانّها غير مجدية، ورجح الامام الخيار الثاني؛ لما فيه من توعية الشعب المسلم للحقائق والوعي الاسلامي هو من الاهداف الاسلامية الثابتة.

ويتضمن الكتاب نقاط تقتضي أن تكون من اخريات الكتب، فقال:

١ ـ (من عبد الله علي أمير المؤمنين) مشيرا إلى أن العبودية لله تعالى في هذه الدعوة امتثالا لامره تعالى، ووصفا باعتبار الخلافة بالشورى.

(إلى معاوية بن أبي سفيان) باسمه الشخصي المجرد عن أي عنوان رسمي.

٢ ـ (أما بعد، فقد علمت إعذاري فيكم) والعذر في التهمة الموجهة في قتل عثمان.

٣ ـ(وإعراضي عنكم) بعدم اعلان الحرب والاكتفاء بالنصيحة بالكتابة.

٤ ـ (حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له) من بيعة الصحابة في المدينة بالحكم للشورى.

٥ ـ (والحديث طويل ، والكلام كثير)؛ فإنّ تفصيل ذلك من شأن التاريخ ولا يؤثر في مسألة العلم.

٦ ـ (وقد أدبر ما أدبر) حيث قد انتهى ما كان في الماضي.

٧ ـ (وأقبل ما أقبل) حيث ظهر دور جديد من الخلافة بالشورى.

وهذه النقاط توجب النقطة الاخيرة، وهي:

٨ ـ (فبايع من قبلك) اى من جهتك حيث تمت الحجة الاسلامية على البيعة للحاكم الاسلامي الذي يحكم بالشورى.

(وأقبل إلي في وفد من أصحابك والسلام).

و هذا اخر امر قيادي يوجه إلى من انقطعت عنه الحجة الشرعية، فلا يكون خيار له سوى البيعة أو اعلان الحرب، وكان من معاوية الخيار الثاني، كما هو مشروح في كتب

---

(١) في ب: بوفد، وفي هـ. ب: في نسخة: في وفد.

التاريخ، وراجع موارد الاعتبار، وما اكثر العبر واقل الاعتبار.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«كتابه إلى معاوية ومخاطبته لبني أمية جميعا . قال : " وقد علمت إعذاري فيكم " ، أي كوني ذا عذر لو لمتكم أو ذممتكم – يعنى في أيام عثمان . ثم قال : " وإعراضي عنكم " أي مع كوني ذا عذر لو فعلت ذلك فلم أفعله ، بل أعرضت عن إساءتكم إلى وضربت عنكم صفحا . حتى كان مالا بد منه يعنى قتل عثمان وما جرى من الرجبة بالمدينة . ثم قاطعه الكلام مقاطعة وقال له : والحديث طويل ، والكلام كثير ، وقد أدبر ذلك الزمان ، وأقبل زمان آخر ، فبايع وأقدم فلم يبايع ، ولا قدم ، وكيف يبايع وعينه طامحة إلى الملك والرياسة منذ أمره عمر على الشام وكان عالي الهمة تواقا إلى معالي الأمور ، وكيف يطيع عليا والمحرضون له على حربه عدد الحصا ! ولو لم يكن إلا الوليد بن عقبة لكفى ، وكيف يسمع قوله :

فوالله ما هند بأمك إنّ مضى النهار ولم يثأر بعثمان ثائر
أيقتل عبد القوم سيد أهله ولم تقتلوه ، ليت أمك عاقر
ومن عجب أن بت بالشام وادعا قريرا وقد دارت عليه الدوائر !

ويطيع عليا ، ويبايع له ، ويقدم عليه ، ويسلم نفسه إليه وهو نازل بالشام في وسط قحطان ودونه منهم حرة لا ترام ، وهم أطوع له من نعله ، والامر قد أمكنه الشروع فيه ، وتالله لو سمع هذا التحريض أجبن الناس وأضعفهم نفسا وأنقصهم همه لحركة وشحذ من عزمه ، فكيف معاوية ، وقد أيقظ الوليد بشعره من لا ينام».[١]

[٧٧]

ومن وَصِيَّةٍ لَهُ ﷺ لَعَبْدِ ٱللّٰه بْنِ ٱلْعَبّاسِ عِنْدَ ٱسْتِخْلافِهِ إيّاهُ عَلَى ٱلْبَصْرَة:

سَعِ[٢] ٱلنَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ، وَحُكْمِكَ[٣]، وَإيّاكَ وَٱلْغَضَبَ؛ فَإِنَّهُ طِيَرَةٌ[٤] مِنَ ٱلشَّيْطانِ.

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٨ : ٦٨ ـ ٦٩.
(٢) في ب: متّع، وفي هـ. ب: في نسخة، يتبع، وفي هـ. د: متع ـ ش.
(٣) في هـ. ص: وروي حلمك.
(٤) في هـ. ب: قال: وكهانة.

وَٱعْلَمْ ما قَرَّبَكَ مِنَ ٱللّٰهِ يُباعِدُكَ مِنَ ٱلنّارِ، وَما باعَدَكَ مِنَ ٱللّٰهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ ٱلنّارِ.

(١/ك ٧٦) العلاقات الاجتماعية:

يتضمّن المقطع اصول العلاقات الاجتماعية في سياسة الحكم، وما يفسدها، ومقياس ذلك مما يوثق العلاقات الاجتماعية قال:

(سع الناس) والسعة: الانشراح بالطلاقة، ويضاده العبوس والانقباض، ومن الضروري في العلاقات الاجتماعية أن يتبع الحاكم للشعب مستخدماً القنوات الثلاث:

أوّلاً: (بوجهك)؛ فإنّ طلاقة الوجه في التعامل مع الآخرين يعبر عن قوة النفس في نفس الحاكم والاعتماد على النفس بعد الاعتماد على الله يولد الثقة في نفوس الناس.

ثانياً: (ومجلسك)؛ فإنّ من مظاهر السعة أن يكون محل الجلوس للعامة محلاً لائقا للجميع، فلا يكون مغلقا في وجه العامة، بل مفتوحاً للجميع في نظام يتمكن كلّ ذي حاجة من الوصول إليه.

ثالثاً: (وحكمك)؛ فإنّ الواجب الاصلي للوالي المسلم تطبيق الحكم الاسلامي العادل في المجتمع.

وهذه القنوات الثلاث ضرورية في تعامل الحاكم مع الشعب.

وعما يفسد العلاقات الاجتماعية قال:

(وإياك والغضب؛ فإنّه طيرة من الشيطان) والطيرة: الخفة؛ فإنّ الغضب يفسد العلاقات الاجتماعية وحتى في القرارات الصائبة؛ لأنّ الغاضب لا يتمالك نفسه، فينصرف من غير تعقل ويصبح خفيفا برمية الشيطان من الرضوخ لشهوات النفس من الظلم، ولابدّ وان يتصف بالحلم والرفق حتّى لا يختلط عليه الاوراق، وينظر إلى واقع الحال برؤية واضحة للاسباب والنتائج حتّى يأمن من الانحراف.

وعن المقياس في معرفة السعة والغضب قال:

(واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار ، وما باعدك من الله يقربك من النار)؛ فإنّ الدنيا مرحلة من السير إلى مراحل الآخرة، من الخلود في التاريخ والحساب في يوم القيامة.

فكل ما يقرب من الله تعالى من العمل بما امر به من الواجبات ولانتهاء عما نهى عنه من المحرمات يبعد الإنسان من النار في الآخرة، فيكون مبعداً عن المؤاخذات في

التاريخ في الدنيا ايضا.

وعلى العكس فان ما يقرب إلى النار حكما يباعد الإنسان من الله سبحانه في الدنيا من الاهمال أو الاخلال بالمسؤوليات والواجبات الاسلامية، سواء في النفس أو الاسرة أو المجتمع أو الحكم في الاسلام في المبادئ والوسائل والاهداف، وللتطبيق على جميع المسلمين في جميع الحالات من الولاده حتى الوفاة.

[٧٨]

ومن وَصِيَّةٍ لَهُ عليه السلام لِعَبْدِ ٱللّه بْنِ ٱلْعَبّاسِ لَمّا بَعَثَهُ[١] لِلْاحْتِجاج عَلَى ٱلْخَوارِج:

لا تُخاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ حَمَّالٌ[٢] ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلكِنْ حاجِجْهُمْ[٣] بِالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْها مَحِيصاً[٤].

(١/ك٧٧) من اصول الاحتجاج:

من اصول الاحتجاج الاستدلال بما يقطع الخصم، حيث لا يقصد من الحاجة إلّا الخصومة والعناد، فلابد من استئصال اصل اللجاج بما يقوم به من الاحتجاج، ويشير الإمام إلىأن الاحتجاج مع الخوارج باعتبارهم اصحاب دعوة، أعلنوا الخصومة استناداً إلى كلمة حق، وهي انّه لا حكم الا لله، وان اريد بها الباطل وهو المعارضة المسلحة ضد الحكم الاسلامي القائم بالشورى. فقال:

١ ـ (لا تخاصمهم بالقرآن)؛ فإنّ القرآن هو القانون الاساسي للاسلام، وطبيعة القانون الاساسي في كلّ حضارة ـ أن يكون مجملا لكي تطبيقه في كلّ العصور، فلو كان صريحا في كلّ مادة بالتفصيل لا نحصرت بعصر دون عصر، ومجتمع دون اخر، والقرآن باعتباره رسالة عالمية يؤكد على الثوابت الاسلامية بالاجمال من دون تفصيل كتشريع وجوب الصلاة من دون تفصيل لعدد الركعات؛ فإنّ امر ذلك متروك الى السنة، وعن سبب هذا

---

(١) في أ و ب: ومن وصيته له عليه السلام لما بعثه.

(٢) حمّال أي قابل للحمل على معان كثيرة.

(٣) في أ: خاصمهم، وفي هـ. أ: في نسخة: حاجّهم وفي ب: حاجهم وحاججهم ـ معاً ـ، وفي ص: حاجّهم. في هـ. د: حاججهم ـ ض خ ب ش، حاجّهم ـ ن وحاشية ف ل.

(٤) في هـ. ب: معدلا.

النهي قال:

٢ ـ (فإن القرآن حمال ذو وجوه) باعتباره القانون الاساسي فيه الاجمال المحتمل لوجوه مختلفة.

(تقول ويقولون) في تفسير القرآن كلّ حسب فهمه الخاص من النص القرآني، هذا في المتشابهات، واما في المحكمات فيعود القول في تحديد معنى الحكم، كما هو موضع البحث عند المفسرين حتى عصرنا، فكيف في ساحة الحرب؟

٣ ـ(ولكن حاججهم بالسنة) النبوية، وهي الطريقة التي سلكها النبيّ لكي يكون علما يهتدي به الآخرون من فعله الشريف، فإنّه تطبيق لمنطق القرآن، ومنه يعرف الوجه الصحيح في التفسير، ومن هنا كانت السنّة النبويّة الشريفة في مناسك الحج، فلا خلاف رئيس بين فقهاء المسلمين على اختلافهم في ذلك؛ لانها كانت سنة نبويّة اعلن عنها بالعمل كما أكّد عليها بالقول.

وعن نتيجة هذا الاحتجاج بالسنة قال:

(فإنهم لن يجدوا عنها محيصا) والمحيص: المهرب، فتكون السنة قاطعة لحجة الخصم وموجبة للرضوخ للحق، وبذلك يظهر حقيقة الموقف، فاما أن يرضخ إلى الحق، واما أن يكابر ويعاند فيظهر حقيقة دعواه من مواقفه لا من اقواله؛ فإنّ الموقف يتضح بالاشارة، والمكابر المعاند لا ينفعه الف عبارة، والله العاصم.

[٧٩]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ ﷺ أَجابَ بِهِ أَبَا مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ عَنْ كِتابٍ كَتَبَه إِلَيْهِ مِنَ ٱلْمَكانِ ٱلَّذِي أُقْعِدُوا[١] فِيهِ لِلْحُكُومَةِ ـ وَذَكَرَ هذا ٱلْكِتابَ سَعِيدُ[٢] بْنُ يَحْيَى ٱلْأُمَوِيُّ[٣] فِي كِتابِ ٱلْمَغازِي:

وقد عقد يوسف المزي (ت / ٧٤٢) ترجمتين للولد سعيد بن يحيى (ت / ٢٤٩)، وللوالد يحيى بن سعيدبن أبان بن سعيد بن الصاحب بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي

(١) في ص: اقعدوا، وفي هـ. ب: أي قعدوا.
(٢) في أ: أي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين ذكره سعيد.
(٣) في هـ.ص: نسبة إلى أموى، وهي بلدة بالقرب من مرو.

الاموي (ت / ١٩٤)، وقال: ان الولد يروي عن الوالد، ومما قال عن الوالد ما لفظه:« .

وذكره ابن حبان في كتاب " الثقات " وقال أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي : قال أبي : كان محمّد بن سعيد أخي ، والعوفي سمعوا " المغازي " سماعا من ابن إسحاق ، فأمّا أنا وأبو يوسف – يعني القاضي – وأصحاب لنا عرضا إلا الشئ يمر . قال محمّد بن سعد : نزل بغداد ومات بها . وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي : مات أبي سنة أربع وتسعين ومئة في النصف من شعبان ، وبلغ ثمانين . وقال أبو حسان الزيادي : مات سنة أربع وتسعين ومئة . النصف من شعبان وهو ابن أربع وسبعين. روى له الجماعة (١)

وقال المزي في تهذيب الكمال:«قال على ابن المديني : جماعة من الأولاد أثبت عندنا من آبائهم ، منهم : عيسى بن يونس ، وهذا سعيد بن يحيى الأموي أثبت من أبيه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي ، قال : حدثنا أبي ، قال يعقوب : وهما ثقتان الأب والابن . وقال النسائي : ثقة . وقال أبو حاتم ، وصالح بن محمّد : صدوق . زاد صالح : إلا أنه كان يغلط . قال البغوي ، ومحمّد بن إسحاق الثقفي السراج : مات للنصف من ذي القعدة سنة تسع وأربعين ومئتين».[٢]

(١/ك ٧٨) **الموقف من التحكيم:**

فَإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ، فَمالُوا مَعَ ٱلدُّنْيا، وَنَطَقُوا بِالْهَوى[٣]؛ وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا ٱلْأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً؛ ٱجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، فَإِنِّي أُدَاوِي[٤] مِنْهُمْ قَرْحاً أَخافُ أَنْ يَعُودَ[٥] عَلَقاً[٦]، وَلَيْسَ رَجُلٌ ـ فَاعْلَمْ ـ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى جَماعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُلْفَتِها مِنِّي، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ ٱلثَّوَابِ، وَكَرَمَ ٱلْمَآبِ.

---

(١) تهذيب الكمال ؛ للمزي ٣١ : ٣٢٢ – ٣٢٣.
(٢) تهذيب الكمال ؛ للمزي ١١ : ١٠٥ – ١٠٦.
(٣) في هـ. ص: وروي مع الهوىٰ.
(٤) في أ: فإنّي اُداري، وفي ب: فأنا اُداوي، وفي د: فإنّي اُداوي، وفي هـ. ب: في نسخة: فإنا اداري، وفي هـ. د: فانا اداوي ـ ش، وفي هـ. ص: وروي «اداري» من المداراة، وهي الملاينة والمساهلة، أي أنا معهم كطبيب يداوي جراحة قد قاربت الاندمال ولم تندمل بعد، فهو يخاف أن يعود علقا، أي دماً، انتهى من الشرح.
(٥) في أ: ن يكون، وفي هـ. ب: في نسخة: أن يكون.
(٦) في هـ. ب: أي دماً. وفي ب زيادة؛ علقا.

وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ[١] عَلى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صالِحِ ما فارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ ٱلشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ[٢] نَفْعَ ما أُوتِيَ[٣] مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلتَّجْرِبَةِ، وَإِنِّي لَأَعْبَدُ[٤] أَنْ يَقُولَ قائِلٌ بِباطِلٍ، وَأَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ ٱللّهُ. فَدَعْ مالَا تَعْرِفُ. فَإِنَّ شِرَارَ ٱلنَّاسِ طائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقاوِيلِ ٱلسُّوءِ، وَٱلسَّلَامُ.

الموقف مسألة التحكيم لا يختلف عن مواقف الحركات التصحيحية في التاريخ؛ فإنّ لها اسباب وظروف خاصة، وطريق للتصحيح واهداف .

وعن الاسباب المسؤولة في التحكيم قال:

(فإن الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم، فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى)؛ فإنّ الميل مع الدنيا والنطق بالهوى انحراف عن مبادي القرآن والسنّة، وذلك من اسباب الانحراف والخسارة على الناس، وليس للمبادي الاسلامية التي تحض على العدالة.

وعن الظروف المتاخمة لمسألة التحكيم قال:

١ ـ (وإني نزلت من هذا الأمر منزلا معجبا) وهذا الأمر هو الخلافة بالشورى، ويدعوا إلى العجب.

٢ ـ (اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم)؛ فإنّ الاقوام الذين تدار بهم الخلافة اقوام تحركوا بما تعجب انفسهم، وليس على المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة، وادارة المجتمع الذي يتحرك على نفس المبادي لتحقيق تلك المبادي ليدعوا إلى العجب؛ لأنّ اولى متطلبات الحركة الاسلامية الذوبان في الاهداف ورفض العجب بالنفس، بل التضحية بهما في سبيل الله.

٢ ـ (فإني أداوي منهم قرحا أخاف أن يكون علقا) والقرح: الجرح، والعلق: الدم الغليظ؛ لأنّ الحركة الاسلامية قائمة على التضحية في سبيل الله، وحركة الاقوام على العجب بالنفس وبينهما تضاد، وهي حالة شاذة في المجتمع الاسلامي المفروض فيه

(١) في هـ. ب: وعدت، وفي هـ. ص: أي وعدت والتزمت.
(٢) هـ. ب: منع.
(٣) في هـ. ص: ويروىٰ «ما أُولي» من أولاه معروفاً، أي أعطاه.
(٤) في ب: لا أعبد، وفي هـ. د: لا عبد ـ ش في هـ. ب: أي لا استنكف، وفي هـ. ص: لا أعبد أي أنف عبد بالكسر أي أنف بقول: إنّي آنف أن يقول غيري قولاً باطلاً فكيف لا آنف من ذلك لنفسي، انتهى من الشرح.

الحركة على المبادي الاسلامية والخلوص لله، وليس العلاج إلّا بما يتيسر مع العلم بالداء، وانه جرح يفتقر إلى علاج، وحيث لا يمكن علاجه الا باستقال الداء، فلابد من العلاج بأن لا ينقلب الجرح إلى مرحلة وخيمة تكون اصعب علاجا، وهو أن يصبح المرض مزمنا.

وعن طريق التصحيح قال:

أوّلاً: (وليس رجل ـ فاعلم ـ أحرص على جماعة أمة محمّدﷺ وألفتها مني)؛ فإنّ الطريق الوحيد للتصيح هو الوحدة بين الامة الاسلامية، وليس هناك من يرى ذلك ويعمل من اجله بصدق غيره.

ثانياً: (أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب) وذلك في سبيل الله تعالى، وليس بالاعمال بالنفس؛ لان في ذلك رضى الله الذي وعد عليه بالثواب في يوم الممات، وهو الرجوع في يوم القيامة.

ثالثاً: (وسأوفي بالذي وأيت على نفسي) والوأي: الالتزام الشخصي؛ فإنّ هذا الحرص على الوحدة الاسلامية طريق للتصحيح لا محيد عنها.

رابعاً: (وإن تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه) يخاطب أبي موسى الاشعري محذراً من دون توجيه الاتهام.

فانه يعتبر من الصلاح، وهو الاخذ بالسنة النبوية، والتغيير إلى البديل وهو التحصن بالتقوى حيث ان رئاسة لجنة التحكيم يستلزم هذا العجب بالنفس عادة؛ ظناً بأنّه امر حقيقي مع أن العناوين الخيالية لاقيمة لها ما لم يكن لها اثر فعلي في المجتمع.

خامساً وسادساً: (فإن الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة)؛ فإنّ كلاً من العقل والتجربة من طرق التصحيح، ومن فقدهما فقد الطريق الصحيح للتصحيح.

وعن اهداف التصحيح قال:

١ ـ (وإني لأعبد أن يقول قائل بباطل)؛ فإنّ الهدف الاول هو رفض الباطل تحت أي قناع أو شعار كان، وباية واسطة يتحقق الباطل سواءً في ذلك العدو الذي اعلن شعار الباطل أو من القريب (مثل الاشعرى) الذي يتعاطف معه.

٢ ـ (وأن أفسد أمرا قد أصلحة الله) والهدف هو تحقيق ما اصلحه الله سبحانه بالاسلام عقيدة وشريعة في كافة مجالات الحياة، ومنها: نظام الحكم بالشورى، وليس ما وراء تحقيق الحق وابطال الباطل من هدف.

وختم المقطع بنصيحة يقتضيها الموقف فقال:

(فدع ما لا تعرف) فلا تدخل في امر ليس لك به علم، فقد قال سبحانه: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾.[1]

وعن السبب في هذه النصيحة اشار بقوله:

(فإن شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء . والسلام) فان في موقف التحكيم كما هو الحال في أيّ موقف قوة تحاول الاستيلاء على فكر الحاكم، وليست ارخص واخصر وسيلة تستخدم في سبيل التأثير على الإنسان من الدعايات الكاذبة من اقاويل السوء واشاعتها في المجتمع من ناحية وايصالها إلى الحاكم بسرعة الطيران، ليوقعوا في نفس الإنسان انواع المخاوف والاحزان؛ فإنّ ذلك من أساليب الشيطان، فلابد من الحذر واليقظة والاستعاذة بالرحمن، والله المستعان.

[٨٠]

وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عليه السلام لَمَّا ٱسْتُخْلِفَ إلى أُمَراءِ ٱلْأَجْنادِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا ٱلنَّاسَ ٱلْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ[2] بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ[3].

(١/ك ٧٩) سقوط الحضارات:

وهذا المقطع من المختار من كتب الإمام ـ على قصره ـ يشير إلى اسباب سقوط الحضارات في التاريخ، وان مصير الحضارة الاسلامية يختلف عن الامم الماضية في التاريخ العام للعالم. فقال:

(أما بعد، فإنما أهلك من كان قبلكم) من الامم والحضارات الراقية ماديا، والتي خلفت آثارا لاتزال باقية من اهرامات الفراعنة وطاق كسرى للفرس، وغيرهما في سائر الامم.

واشار عليه السلام في هذا المقطع الخاتم الى أسباب خاتمة الحضارات بقوله:

أوّلاً: واجبات الدولة، وهي خدمة الشعب المسلم في مبادئه التي يؤمن بها والاهداف التي يتطلع اليها، وليس منها: التسلط على الشعب؛ فإنّ الحضارة ـ اية حضارة ـ اذا قامت

---

(١) الاسراء : ٣٦.

(٢) في ب: وأخذوه، وفي هـ . د: وأخذوه ـ ش وفي هـ . ص: هذا آخر ما خرج من المكاتبات.

(٣) في هـ . ب: تم الباب بحمد الله.

على التلاحم بين الحكومة والشعب، فلابدّ وان تكون ثابتة لضرورة حاجة المجتمع إلى الحكم العادل بالشورى.

يوجه هذا الكلام إلى (امراء الاجناد) باعتبارهم الدروع للوطن الاسلامي على حدود الدولة الاسلامية.

ثانياً: واجبات الشعب، وهي رفض حكم الظلم بمختلف الطرق والوسائل المتيسرة والتي تبتدئ بعدم المساهمة معها والمقاطعة ورفض الاقتداء للحكم غير الاسلامي.

فان الامم الماضية انما سقطت حضارتها لعدم قيام الحكام والشعوب بالواجبات الملقاة على عاتقهم، فاتخذ الحكام الحكم وسيلة للابتزاز الاموال، واهمل الشعب واجباته في الدفاع عن كرامته وحريته بمتابعة الاحكام الجائرة وعدم رفعها بالطرق المتيسرة لها، والى ذلك أشار بقوله:

(فانما اهلك) الله الامم المتقدمة بالاسباب الطبيعة؛ لأنّه سبحانه أبى أن يجرى الامور إلّا باسبابها. ولاسباب لسقوط الامم (من كان فيه) ترجع إلى سببين رئيسيين هما:

أوّلاً: (أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه)؛ فإنّ الدولة لم تعمل بواجبها من خدمة الشعب، بل منعت الحقوق الواجب عليها تحقيقها في خدمة الشعب.

واهمال هذا الواجب للدولة قوبل من الشعب المضطر إلى حقوقه المساومة، فاشترى حقوقه من الدولة باستخدام الوسائل التي يحققها له من الرشوة ونحوها، حتّى يحصل على حقوقه.

ثانياً: (وأخذوهم بالباطل فاقتدوه)؛ فإنّ الحكم الظالم فرض على الشعب احكاما باطلة؛ لانها لم تصدر بالشورى مع الشعب، فكانت احكاما تفرض ارادة الحاكم فقط، والشعب لم يعمل بواجبه من المعارضة باطرق المتيسرة، واقلها المقاطعة، بل اقتدى بالحكم الباطل على انّه حكم شرعي.

ونتيجة ذلك أن اصحبت الهوة بين الحاكم والشعب، وكلما زادت الهوة اسرعت إلى سقوط الحضارة.

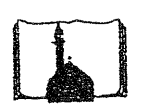
وحظارة الاسلام ليست بمعزل عن هذه الاسباب التي أساسها الحكم بالشورى الموجب لتلاحم الشعب مع الحاكم، ويستلزم حياة الحضارة.

صان الله سبحانه حضارة الاسلام من الانحراف من المبادي والوسائل والاهداف، انّه

على كل شيئ قدير وبالاجابة جدير.

هذا آخر باب الكتب، ويليه باب الحكم والمواعظ

فهرس المحتوى



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

Sharna 4